



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir



سيرة المراق وبناء الوطن

دراسة تاريخية منذ ثورة الدستور حتى الاستقلال 1304 - 1332 م

الدكتور محمد جواد مالمک

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد حسين الصفير

هذا الكتاب في الأساس رسالة ماجستير قدمت في كلية الآداب الأيرانية في
جامعة طهران، وقد نوقشت بتاريخ 24/1/1375 في الصفح 107 والرقم 104 تاريخ 1375 م
وقال المؤلف مرة أخرى جيد جداً

إصدار

مركز الدراسات والبحوث
الاجتماعية والسياسية
والاقتصادية والبيئية
والثقافية والدينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شيعه العراق و بناء الوطن

كاتب:

محمد جواد مالک

نشرت فى الطباعه:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٥	شيعه العراق و بناء الوطن
١٥	اشاره
١٥	شناسنامه
١٩	الإهداء
٢٠	شكر وتقدير
٢١	تقديم بقلم: الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير
٢٥	مقدمه المؤلف
٢٥	اشاره
٣١	محتويات الكتاب
٣٣	أهداف الكتاب
٣٦	مصادر ومراجع الكتاب
٤٧	الباب الأول : الإسلاميون في مواجهه السياسه العثمانيه أواخر عهدا ١٩٠٨-١٩١٤م صراع من أجل الإصلاح
٤٧	اشاره
٤٩	الفصل الأول : العراق في ظل الدوله العثمانيه
٤٩	اشاره
٥١	١. لمححه تمهيديه عامه عن العراق
٥١	اشاره
٥٨	سكان العراق
٥٩	جدول رقم (١)
٦٤	جدول رقم (٢)
٦٥	جدول رقم (٣)
٦٧	٢. تطور السياسيه العثمانيه - داخلياً وخارجياً - (نظره عامه)
٧٧	٣. أوضاع العراق في نهايات العهدالعثماني
٧٧	أ. نظره تاريخيه عامه
٧٧	اشاره
٨٠	تعديلات الإداره الداخليه
٨٢	مجمل الحياه الاقتصاديه
٨٤	ب. أوضاع العراق من الناحيه الاجتماعيه و الثقافيه و التوزيع الجغرافي
٨٤	اشاره
٩٢	جدول رقم (٤)

٩٩	الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في واقع الساحة العراقية، (داخلياً وخارجياً)
٩٩	اشاره
١٠١	توطئه
١٠١	اشاره
١٠٢	١. السلطه المركزيه ومواجهه الثقافه العامه
١٠٢	أ. صراع مراكز القوى داخل السلطه المركزيه
١٠٥	ب. مواجهه الواقع الثقافى للأمة
١٠٥	اشاره
١٠٧	أولاً: الاصطدام بالمسلمين عمومأً، وبالمسلمين الشيعه على الخصوص
١١٦	ثانياً: الاصطدام بالقوميات غير التركيه عمومأً، وبالقوميه العربيه على الخصوص
١٢٢	ثالثاً: الاصطدام بالأقليات الأخرى
١٢٧	٢. النفوذ الأجنبي، بدايه الاختراق المباشر
١٢٧	أ. البعد الدولى - سبل التغلغل الأوروبى - الإنكليزى
١٣٤	ب. البعد الإقليمى
١٣٩	٣. الواقع الثقافى والأبعاد التاريخيه للعراقيين
١٣٩	اشاره
١٤١	الوحده الإسلاميه، محور التحرك الواعى
١٤٤	ظهور أسر الأشراف
١٤٩	الدور السياسى والأمنى للمؤسسات الدينيه والاجتماعيه
١٥٢	تمايز المسلمين الشيعه عن المسلمين السنه
١٥٣	مناطق تواجدهم
١٥٤	الأسس العقديه والمرتكزات الفكرية - السياسيه لدى الشيعه
١٥٥	أئمه أهل البيت خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
١٥٧	الامتداد الشرعى المتواصل لقياده الإمام
١٥٨	وجوب تقليد المرجع الحى
١٥٨	اشاره
١٦٣	أولاً: مسأله التزامهم بالتقته فى حياتهم
١٦٤	ثانياً: مسأله إحياء عاشوراء، ذكرى مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه
١٦٧	الأكراد والتركمان والأقليات الأخرى فى العراق
١٦٩	نظرة عامه إلى انطلاقه الحركه السياسيه للأكراد و تطوراتها
١٧٢	ما بين الشيعه والأكراد

١٧٧	المسلمون التركمان
١٧٨	أصل التسميه
١٧٩	الأصالة الإسلامية والدور الوطني الحديث للتركمان
١٨١	الشيعة التركمان، غلامه مزدوجه
١٨٧	الفصل الثالث : نمو الوعي الإسلامي في العراق ١٩٠٨-١٩١٤
١٨٧	اشاره
١٨٩	١. بروز أطروحه الإسلاميين الإصلاحيه
١٨٩	اشاره
١٩٤	سياده الحركه الإصلاحيه في الساحة الإسلاميه
٢٠٤	المدرسه التجديديه للإمام الميرزا حسن الشيرازي، انطلاقه التحرك السياسي والجهادي
٢١٣	التجديد والإصلاح في الساحة العراقيه
٢٢٢	أهم أفكار وخطوات المدرسه الإصلاحيه - التجديديه
٢٣٢	تقويم الأطروحه الإصلاحيه
٢٣٨	٢. تبلور الوعي الإسلامي وانتشاره في مظاهر حركيه - سياسيه
٢٣٨	اشاره
٢٤٠	أثر حركتي الدستور، الإيرانيه و التركيه
٢٥٢	نشأه الجمعيات و الأندية
٢٥٢	اشاره
٢٥٣	١- جمعيه الاتحاد والترقي
٢٥٣	٢- الحزب الحرالمعتدل
٢٥٥	٣- حزب الحريه والائتلاف
٢٥٦	٤- جمعيه الإخاءالعربي
٢٥٦	٥- المنتدى الأدبي
٢٥٦	٦- الجمعيات الفحطانيه
٢٥٦	٧- جمعيه العهد
٢٥٩	٨- جمعيه اللامركزيه الإداريه العثمانيه
٢٦٠	٩- جمعيه العربيه الفتاه
٢٦١	١٠- الجمعيه الإصلاحيه في البصره
٢٦٢	١١- النادي الوطني العلمى في بغداد
٢٦٣	تقويم الجمعيات و النوادي
٢٦٨	المرجعيه الدينيه الشيعيه، مواقف ميدنيه
٢٧٧	الباب الثاني : العراقيون في مواجهه الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢٠ صراع من أجل الحريه

٢٧٧	اشاره
٢٧٩	الفصل الأول : حركة الجهاد الإسلامي ضد الغزو البريطاني ١٩١٤-١٩١٧
٢٧٩	اشاره
٢٨١	موقف الإسلاميين من عموم الاعتداءات الأجنبية
٢٨٤	العوامل الخارجية والداخلية لحركة الجهاد الإسلامي
٢٨٩	علماء المسلمين الشيعة يقودون حركة الجهاد
٢٩٨	وقفه مع أحداث حركة الجهاد الإسلامي
٣٠٢	النهاية البطولية لحركة الجهاد
٣٠٥	المسؤولية الجديدة للإسلاميين
٣٠٨	من نتائج العملية الجهادية
٣٠٩	التطورات المحلية معالجات محدوده
٣١٣	مبديته علماء الشيعة ضمانه الوحدة الإسلاميه
٣١٦	بدايات الغليان الثوري
٣٢٤	علماء المسلمين الشيعة يتقنون الموقف
٣٣٠	تقويم حركة الجهاد الإسلامي
٣٤١	الفصل الثاني : التصدى السياسي للمرجعية الدينيه الشيعيه، وظهور الجمعيات والأحزاب السياسيه المعارضه ١٩١٧-١٩٢٠
٣٤١	اشاره
٣٤٣	السياسيون و مسؤوليات المرحله
٣٤٥	أثر إعلان الانتداب، وشعارات الوعود
٣٥١	ثوره النجف، أسبابها ووقائعها
٣٥٥	(جمعيه النهضه الإسلاميه) والتطورات الحركيه في النجف الأشرف
٣٦٩	حديث التقويم
٣٧٥	(الجمعيه الإسلاميه) وتطورات الحركة الإسلاميه في كربلاء المقدسه
٣٨٣	الاستفتاء الشعبي العام
٣٨٧	البدايه الصعبه، ومسلسل الصدمات الشديده
٣٩٨	التصدى السياسي للمرجعيه الدينيه الشيعيه
٤٠٤	(حرس الاستقلال) والتطورات الحركيه في بغدادوالكاظميه
٤٠٤	اشاره
٤٠٧	جمعيه الشبيبه الجعفرية
٤٠٧	الجمعيه الإسلاميه في الكاظميه المقدسه
٤٠٩	الفصل الثالث : الثوره العراقيه الشامله عام ١٩٢٠
٤٠٩	اشاره

٤١١	ثوره العشرين، الثورة العراقيه الشامله
٤١٥	أسباب الثورة وأهدافها
٤١٥	اشاره
٤٢٠	العوامل الخارجيه
٤٢٥	العوامل الداخليه
٤٣٣	القياده الإسلاميه وخطتها في الإعدادالثوري
٤٤٢	الإمام الشيخ الحائري الشيرازي في موقع قياده الثورة
٤٥٣	تبلور المعارضه المدنيه
٤٦٤	الأخرس الكربلائي، شهيدالوطن
٤٦٦	تصعيد المواجهه السياسيه
٤٧٢	اعتقال نجل الإمام الحائري - قائدالثوره
٤٧٦	إعلان الثورة
٤٨٠	خلافه أحداث الثورة - الشراره الأولى من الرميته
٤٨٩	الحكومه الإسلاميه الوطنيه في كربلاء عاصمه الثورة
٥٠٠	حكومه كربلاء ترفع العلم الوطني - لأول مره في العراق
٥٠٠	اشاره
٥٠٧	الشيخ فخرى كموته رجل المرحله
٥١٤	الشيخ ضارى المحمود بطل الكرامه الوطنيه
٥٢٠	الإمام الشيخ الاصفهاني إلى قياده الثورة
٥٢٤	أبرز نتائج الثورة
٥٣٣	الباب الثالث: العراقيون في مواجهه مشاريع السيطره البريطانيه : تطور الصراع من أجل الاستقلال ١٩٢١-١٩٣٢
٥٣٣	اشاره
٥٣٥	الفصل الأول: المعارضه الإسلاميه الوطنيه في مواجهه الانتداب البريطاني، والحكومه المؤقته، وتنصيب فيصل ملكاً على العراق
٥٣٥	اشاره
٥٣٧	نظرة تمهيديه
٥٤٢	السياسه البريطانيه ومحاولة احتواء الثورة
٥٤٧	الإمام شيخ الشريعه وقرار استمرار الثورة
٥٥٢	الإنكليز، وتغيير الأسلوب الإداري
٥٥٨	الإسلاميون في المعترك السياسى
٥٥٨	أ. معارضه فكره الانتداب
٥٥٨	اشاره
٥٦٤	معاداه الإسلاميين

٥٦٨	إعلان الانتداب
٥٧٤	ب. الحكومه المؤقته
٥٧٤	اشاره
٥٨١	موقف الإسلاميين من الحكومه المؤقته
٥٨٤	ج. تنصيب فيصل ملكاً على العراق
٥٩٣	لماذا فيصل المرشح الأوحده؟
٦٠١	فيصل ملك العراق رسمياً
٦٠٥	الخطوات الإداريه للمندوب السامي
٦١٣	موقف المعارضه الإسلاميه من تنصيب فيصل
٦٢٣	مؤتمر كربلاء المفضل التاريخي الهام
٦٢٨	مؤتمر كربلاء، وحده الموقف الوطني
٦٣٤	البيان الختامي للمؤتمر
٦٣٨	مؤتمر كربلاء في الميزان السياسي
٦٤٣	الفصل الثاني : المعارضه الإسلاميه الوطنييه في مواجهه المعاهده البريطانيه - العراقيه وانتخابات المجلس التأسيسي عام ١٩٢٤م
٦٤٣	اشاره
٦٤٥	أ. معارضه المعاهده البريطانيه - العراقيه
٦٤٥	سلطه الاحتلال وسياسه الخطوه - خطوه
٦٤٧	تقاسم الأدوار، بين الشده واللين
٦٥١	المعارضه الإسلاميه والتصدى السياسي
٦٥٨	المعارضه الإسلاميه ومطالبه الحقوق بالطرق السلميه
٦٦٠	الحكومه وأتباع منهج السياسيه الغربيه
٦٦٤	سياسه القمع والإرهاب ضدالإسلاميين
٦٧٢	ب- معارضه انتخابات المجلس التأسيسي
٦٧٢	اشاره
٦٧٤	موقف المعارضه الإسلاميه من الانتخابات
٦٧٩	السعدون رجل المهمات البريطانيه الصعبه
٦٨٥	المعارضون والسلطه - التحدى المتبادل
٦٨٩	الإسلاميون يخوضون معركة مكتشفه
٦٨٩	١- تشديد الموقف الإسلامي
٦٩٣	٢- اعتقال ونفى العلماء المراجع - رأس التحرك الإسلامي ورموزه
٧٠٥	الإمام الخالصي في مدينه قم - مشروع فردى
٧١٣	الإسلاميون يواصلون نشاطاتهم ضد إجراءات الانتخابات

٧٢٢	محاولات الإسلاميين في عرقلة تصديق المعاهده
٧٣٥	الفصل الثالث : الإسلاميون في المعترك الثقافي والحركي، منذ منتصف العشرينيات حتى الاستقلال الرسمي عام ١٩٣٢م (دخول العراق عصبة الأمم)
٧٣٥	اشاره
٧٣٧	حصيله التجربه الجهاديه والصراع السياسى
٧٤٢	التوجه الثقافى، خيار العلماء الإسلاميين
٧٤٧	الإنكليز يفتحون جبهه المعركه الثقافيه
٧٥٦	تطوير مراكز الثقافه الإسلاميه
٧٦٢	المعارضه الإسلاميه تسعى وراءالأحداث
٧٦٢	اشاره
٧٦٤	١- تطور الأوضاع السياسيه وإداريات الحكم
٧٧١	٢. الإنكليز والبحث عن الرجل الأنسب للمرحله
٧٨١	٣. نورى السعيد إلى رئاسه الحكومه
٧٨٤	الإسلاميون ومراجعه الحسابات
٧٨٧	الإنكليز وإتباع أسلوب الهجوم فى عمليات الغزوالثقافى
٧٩٢	الإنكليز ونشر الثقافه الهتامه
٨٠٢	الإسلاميون ومحاولات الخروج من المأزق السياسى
٨١٠	دخول العراق عصبه الأمم - بدايه عهد الاستقلال الرسمي
٨١٧	الخاتمه والاستنتاجات و الملاحق
٨١٩	الخاتمه و الاستنتاجات
٨٥١	الملاحق
٨٥١	اشاره
٨٥٥	الملحق رقم (١)
٨٥٥	جواب الإمام الشيخ كاظم الخراسانى على استفتاء العلماء من دعاه الدستور فى إيران
٨٥٦	ملحق رقم (٢)
٨٥٦	فتوى المرجعيه الدينيه فى النجف الأشرف بإعلان الجهاد ضد الغزو الإيطالى لطرابلس الغرب سنه ١٩١١م
٨٥٨	ملحق رقم (٣)
٨٥٨	برقيه المرجع الأعلى السيد محمد كاظم الطباطبائى (اليزدى)
٨٥٩	ملحق رقم (٤)
٨٥٩	برقيه عدد من المجتهدين فى النجف إلى الشيخ خزعل أمير المحمره يدعونه إلى الجهاد
٨٥٩	ملحق رقم (٥)
٨٥٩	المرجع الأعلى السيد اليزدى يؤكد وجوب الجهاد فى جوابه على رساله الشيخ شعلان العطييه، إلى المؤمنين من أهالى عفك فى ١ ذى الحجه ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م
٨٦٠	ملحق رقم (٦)

- ٨٦٠ نداء المرجع الأعلى السيد اليزدي إلى أهالي الشطره، بوجود الجهاد
- ٨٦١ ملحق رقم (٧)
- ٨٦١ بلاغ (الجنرال) مود القائد العام للقوات البريطانيه إلى سكان ولايه بغداد
- ٨٦٣ ملحق رقم (٨)
- ٨٦٣ التصريح الإنجليزى - الفرنسى فى ٨ تشرين الثانى ١٩١٨
- ٨٦٤ ملحق رقم (٩)
- ٨٦٤ رساله إداره الحاكم الملكى العام فى العراق إلى الإمام الشيخ محمد تقى الحائرى الشيرازى فى ٥ أيار ١٩١٩
- ٨٦٦ ملحق رقم (١٠)
- ٨٦٦ جواب (السير ولسن) قائممقام الحاكم الملكى العام فى العراق على رساله الإمام الشيرازى المهدهه بالهجره من كربلاء
- ٨٦٨ ملحق رقم (١١)
- ٨٦٨ الرساله الجوابيه التى بعثها الشريف حسين إلى الإمام الشيرازى رداً على الرساله التى كان قد بعثها فى صيف ١٩١٩ مع الشيخ رضا الشيبى
- ٨٦٩ ملحق رقم (١٢)
- ٨٦٩ رساله الشيخ محمد، نجل الإمام الشيرازى إلى ولى عهد المملكه الحجازيه الأمير على بن الحسين. أرسلت فى صيف ١٩١٩
- ٨٧١ ملحق رقم (١٣)
- ٨٧١ رساله الشيخ الشيرازى وشيخ الشريعه إلى الرئيس الأمريكى ولسن، بمناسبة انعقاد مؤتمر باريس، يطلبان فيها مسانده فى دعم العراقيين بإقامه دوله عربيه مستقله إسلاميه يرأسها ملك مسلم مقيد بمجلس وطنى
- ٨٧٢ ملحق رقم (١٤)
- ٨٧٢ رساله الإمام الشيرازى إلى الأمير فيصل بن الحسين إلى حضره صاحب السمو فيصل نجل ملك العرب خُلدملكه
- ٨٧٣ ملحق رقم (١٥)
- ٨٧٣ رساله الإمام الشيرازى للشيخ أحمد الشيخ داود
- ٨٧٤ ملحق رقم (١٦)
- ٨٧٤ رساله الإمام الشيرازى إلى جعفر أبو التمن
- ٨٧٥ ملحق رقم (١٧)
- ٨٧٥ نداء الإمام الشيرازى إلى جميع العراقيين
- ٨٧٦ ملحق رقم (١٨)
- ٨٧٦ كتاب الإمام الشيرازى إلى الحاكم السياسى فى الحله
- ٨٧٧ ملحق رقم (١٩)
- ٨٧٧ رساله الإمام شيخ الشريعه الاصفهانى إلى الحاكم الملكى العام فى العراق بتاريخ ٨ شوال ١٣٣٨ هـ - ٢٥ حزيران ١٩٢٠م
- ٨٧٨ ملحق رقم (٢٠)
- ٨٧٨ جواب الحاكم الملكى العام فى ١٦ شوال ١٣٣٨ هـ - الموافق ٢ تموز ١٩٢٠م
- ٨٨٠ ملحق رقم (٢١)
- ٨٨٠ رد الإمام شيخ الشريعه على جواب الحاكم الملكى العام فى ٢١ شوال ١٣٣٨ هـ - ٨ تموز ١٩٢٠م
- ٨٨٢ ملحق رقم (٢٢)

٨٨٢	رساله الإمام شيخ الشريعة إلى المؤمنين ورؤساء العشائر، لممارسه الطرق السلميه للمطالبه بالحقوق المشروعه
٨٨٣	ملحق رقم (٢٣)
٨٨٣	رساله الحاكم الملكي العام للإمام شيخ الشريعة الاصفهاني، ألفتها الطائرات البريطانيه على كربلاء يوم ١٩ ذى الحجه ١٣٣٨ هـ - ٢٦ آب ١٩٢٠ م
٨٨٦	ملحق رقم (٢٤)
٨٨٦	جواب المرجع الأعلى الإمام شيخ الشريعة على رساله الحاكم الملكي العام ببغداد
٨٨٨	ملحق رقم (٢٥)
٨٨٨	لائحه الانتداب البريطاني على العراق
٨٩٣	ملحق رقم (٢٦)
٨٩٣	رساله الشيخ عبد الكريم الجزائري، أحد علماء النجف، إلى الشيخ خزعل يطالبه فيها ترشيح نفسه ملكاً على العراق
٨٩٤	ملحق رقم (٢٧)
٨٩٤	تعليمات الإدارة البريطانيه التي وجهت إلى مجلس الدوله
٨٩٨	ملحق رقم (٢٨)
٨٩٨	نص منهاج سفر الوفود إلى مؤتمر كربلاء المنعقد بين ١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠ هـ - ٨-١٣ نيسان ١٩٢٢ م
٩٠١	ملحق رقم (٢٩)
٩٠١	البيان الختامي الصادر عن مؤتمر كربلاء المنعقد بين ١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠ هـ - (٨-١٣ نيسان ١٩٢٢) بمناسبة اعتداءات الوهابيين على العراق
٩٠٢	ملحق رقم (٣٠)
٩٠٢	نموذج عن الفتاوى التي أصدرها العلماء لمقاطعه المجلس التأسيسي
٩٠٣	ملحق رقم (٣١)
٩٠٣	المعاهده الإنجليزيه -العراقيه المنعقده في ١٠ تشرين الأول ١٩٢٢ م
٩٠٧	ملحق رقم (٣٢)
٩٠٧	لائحه إحلال المعاهده العراقيه - البريطانيه وملاحظتها لعام ١٩٢٢ محل الانتداب البريطاني، مرسله من الحكومه البريطانيه إلى عصيه الأمم
٩١٠	ملحق رقم (٣٣)
٩١٠	ملحق المعاهده الإنجليزيه العراقيه لسنه ١٩٢٢ بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٣
٩١٠	ملحق رقم (٣٤)
٩١٠	المعاهده الإنجليزيه -العراقيه المنعقده في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ م
٩١٢	ملحق رقم (٣٥)
٩١٢	المعاهده الإنجليزيه -العراقيه المنعقده في ٣٠ حزيران ١٩٣٠
٩١٥	ملحق رقم (٣٦)
٩١٥	ملحق المعاهده الإنجليزيه -العراقيه لسنه ١٩٣٠ م
٩١٨	ملحق رقم (٣٧)
٩١٨	الاتفاقيه الإنجليزيه -العراقيه حول المسائل الماليه، المنعقده في ١٩ آب ١٩٣٠ م
٩٢٢	ملحق رقم (٣٨)

٩٢٢	الحكام العسكريون والمدنيون الإنجليز في العراق
٩٢٣	ملحق رقم (٣٩)
٩٢٣	الوزارات العراقية بأسماء الرؤساء وفترة حكمهم في المملكة العراقية، بعهد الملك فيصل الأول (١٩٢١-١٩٣٣م)
٩٢٥	ملحق رقم (٤٠)
٩٢٥	نص رساله الإمام السيد أبو الحسن الاصفهاني إلى أهالي البصره - لتوحيد الكلمه - إثر سؤال بعض البصريين حول بعض المسائل الاعتقاديه المهمه
٩٢٧	ملحق رقم (٤١)
٩٢٧	الرساله الجوابيه لسماحه آيه الله السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للنوره الإسلاميه في العراق
٩٣١	المصادر والمراجع
٩٣١	اشاره
٩٣١	ثانياً: أ - الرسائل الجامعيه
٩٣٤	ب- الكتب العربيه، والمترجمه إلى العربيه
٩٥٣	ج- المقالات الفكرية المنشوره في الكتب والصحف و الدوريات العربيه
٩٥٥	د- أرشيف الجرائد والمجلات العراقيه
٩٥٦	ه - - المراسلات والمقابلات الشخصيه
٩٥٦	و- الوثائق
٩٥٧	ز- الكتب الأجنبيه
٩٦٠	المحتويات
٩٨٤	تعريف مركز

سرشناسه: مالک، محمد جواد.

عنوان و نام پديد آور: شيعه العراق و بناء الوطن: دراسه تاريخيه منذ الدستور حتى الإستقلال ١٩٠٨-١٩٣٢م / [تأليف] محمد جواد مالک؛ تقديم محمد حسين الصغير، [اللجنه العلميه فى قسم الشؤون الفكرية والثقافيه]

مشخصات نشر: كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه - قسم الشؤون الفكرية والثقافيه. شعبه الدراسات والبحوث الاسلاميه

محل نشر: كربلاى معلی - عراق

سال نشر: ١٤٣٣ هـ ق

مشخصات ظاهري: ٩٥٧ص

يادداشت:عربي

يادداشت:کتابنامه

موضوع: الشيعه -العراق-تاريخ -تاريخ-العصر الحديث.

موضوع: المرجعيه الشيعيه-العراق-تاريخ -ثوره العشرين-١٩٢٠م.

موضوع: العراق-سياسه و حكومہ - العلماء والمجتهدين-العراق-١٩٣٢-١٩٠٨م. الدور-الاجتماعى والسياسى.

موضوع: فقهاء-الشيعه نقد و تفسير

ص: ١

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١١-١٦٢

الرقم الدولى: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٠٦٩

مالك، محمد جواد.

شيعه العراق وبناء الوطن: دراسه تاريخيه منذ الدستور حتى الإستقلال ١٩٠٨-١٩٣٢م / [تأليف] محمد جواد مالك؛ تقديم محمد حسين الصغير، [اللجنه العلميه فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية]-. ط ٢ - كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٣ق. ٢٠١٢م.

ص ٩٦٠ - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٦٧).

المصادر: ص ٩٢١ - ٩٤٧؛ وكذلك فى الحاشيه.

١ . الشيعه -العراق-تاريخ. ٢ . العراق -تاريخ-العصر الحديث. ٣ . المرجعيه الشيعيه-العراق-تاريخ. ٤ . العراق-تاريخ-ثورته العشرين-١٩٢٠م. ٥ . العراق-سياسه وحكومته. ٦ . العلماء والمجتهدين-العراق-١٩٣٢-١٩٠٨م. الدور-الاجتماعى والسياسى. ٧ . فقهاء-الشيعه نقد وتفسير. ٨ . الأكراد-تاريخ. ٩ . العلماء والمجتهدين-كربلاء-تاريخ. ألف. العنوان

٢ م ٩ س / ٨ / DS٧٠

تمت الفهرسه قبل النشر فى مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه

ص:٢

دراسه تاريخيه منذ ثوره الدستور حتى الاستقلال ١٩٠٨ - ١٩٣٢م

الدكتور محمد جواد مالك

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير

هذا الكتاب فى الأصل رساله ماجستير قدمت الى كلية الإمام الأوزاعى فى بيروت-لبنان وقد نوقشت بتاريخ ٢٤/ذى القعدة

١٤١٨هـ- الموافق ٢٣ آذار ١٩٩٨م

ونال المؤلف مرتبه جيد جداً

ص:٣

جميع الحقوق محفوظه

للعته الحسينيه المقدسه

الطبعه الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

العراق: كربلاء المقدسه - العته الحسينيه المقدسه

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

البريد الإلكتروني: info@imamhussain-lib.com

ص: ٤

إلى الوالدين العزيزين..

أقدم هذا الجهد الذي أعتزُّ به، وهو من ثمارِ تربيتهما، فقد غرسا في قلبي - منذ نعومه أظفاري - حبَّ الوطن والمسيرة الإسلامية المباركة عبر التاريخ.

ص: ٥

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والعرفان للأساتذة الكرام في بيروت، أخص بالذكر الدكتور نايف معروف، والدكتور محمد علي القوزي والدكتور حسان حلاق على ما قدّموه من ملاحظات مفيدة.

كما وأشكر العاملين في مكتبة الأسد الوطنيّة، ومكتبة الحوزه العلميّه الزينبيّه في دمشق، وكذلك العاملين في مكتبه حسينيّه النبطيه في الجنوب اللبناني، وذلك لإتاحتهم لي فرصاً ثمينه لغرض الإطلاع على المصادر والمراجع المعنيّه.

وأرى من الانصاف توجيه شكرى الكبير إلى العلماء الأفاضل والأخوه المثقفين الذين بعثوا لي بأجوبتهم الوافيه، لاسيما شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله، والذين زودوني ببعض الكتب المعنيّه - القديمه والحديثه - لتكون تحت تصرفي مباشره، كما - لا بد لي أيضاً - أن أوجه شكرى الخاص إلى زوجتي الفاضله التي تحملت عناءً مضاعفاً في إداره البيت وشؤون الأبناء وذلك لتوفر لي الوقت والهدوء أثناء انشغالي في البحث حتى إتمامه بصورته الحاليّه.

راجياً للجميع الموفقيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رساله رائده تتحدث بأصالة وموضوعيه عن مظاهر التحرر السياسى فى العراق منذ ١٩٠٨م حتى ١٩٣٢م، وهى فتره خصبه بالعطاء الفكرى المتوثب، وحقبه حاشده بالعمل السياسى المتحرر، قلّ من كتب عنها بأمانه وإخلاص، وندر من استوعب ظواهرها بدقه وموضوعيه، ففيها من الأحداث الجسام والتحرك الضخم ما يجعل الدوائر الاستعماريه فى حيره وذهول.

كانت الدوافع فى هذه الأعوام الحرجه الشديده وهى تقاوم الأطماع الأوربيه شرقاً وغرباً، من أنصع الدوافع إعتداداً، ومن ألمع الأهداف إشراقاً، فلا رائد إلاّ الحق، ولا هدف إلاّ خدمه العراق وطنياً وقومياً وإسلامياً.

الضوء الأخضر الذى تسلّمه القاده والشباب والمتحفزون من المراجع العظام، كان إيذاناً بسقوط أعتى المؤامرات على الشعب العراقى، لتتوجّه الطلائع المناضله بإشاره من النجف الأشرف، وتتهياً الجموع المقاتله بفتاوى منها ومن كربلاء المقدسه، وتتحرك الجحافل بقيادات دينيه تنطلق منهما، ومن الكاظميه المشرفه، لتلتقى جماهير الأمه مندمجه فى المناخ الدينى، وهى تزحف شيباً وشباناً وكهولاً، فيها العالم المتثور، والمثقف الواعى، والأديب البارع، والفلاح الثائر، والزعيم المقاتل.

وكان دور المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف وكربلاء والكاظميه بارزاً في تطوير العقلية الشابه والناشئه والساذجه إلى حيث الأرتماء في لهوات الحروب وخوض المعارك الداميه، لاسيما:

١. الشيخ محمد كاظم الخراساني (زعيم الأحرار).

٢. السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، المشارك في جهاد الإنكليز، والمنكمش لدى ثوره النجف لأنها غير ناضجه ولا مبرمجه، وهو الصحيح.

٣. الشيخ محمد تقى الشيرازى الحائرى (مفجر ثوره العشرين).

٤. السيد محمد سعيد الحبوبى النجفى (زعيم حركه الجهاد ضد الإنكليز ١٩١٤م).

٥. الشيخ فتح الله / شيخ الشريعة الاصفهاني (قائد ثوره العشرين بعد الشيرازى).

٦. السيد على الداماد التبريزى.

٧. الشيخ مهدي الخالصى الكاظمى.

٨. الشيخ ميرزا محمد حسين الغروى النائنى.

٩. السيد أبو الحسن الاصفهاني.

١٠. الميرزا السيد على الشهرستانى.

١١. السيد مهدي الحيدرى الكاظمى.

١٢. السيد محسن الطباطبائي الحكيم.

١٣. الشيخ عبد الكريم آل الشيخ أحمد الجزائرى النجفى.

١٤. الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

وكان لعلماء الدين والقاده الوطنيين والزعماء العشائرين أكبر الأثر فى مواصله النضال دون كسب سياسى إلا الخدمه العامه، وأبرزهم:

١. الحاج محمد جعفر أبو التمن البغدادي.
٢. الشيخ محمد رضا الشيبى النجفى.
٣. الشيخ محمد جواد الجزائرى النجفى.
٤. السيد محمد على بحر العلوم النجفى.
٥. الشيخ محمد جواد صاحب الجواهر النجفى.
٦. السيد عيسى كمال الدين النجفى الحلى.
٧. الشيخ جعفر الشيخ عبد الحسن الشيخ راضى النجفى.
٨. الشيخ عبد الرضا الشيخ راضى النجفى.
٩. الحاج عبد الواحد الحاج سكر آل فته.
١٠. السيد نور السيد عزيز الياصرى.
١١. السيد علوان الياصرى.
١٢. الشيخ شعلان أبو الجون.
١٣. الشيخ فريق آل مزهر الفرعون آل فته.
١٤. الشيخ مرزوك العواد العبادى، وأضرابهم.

كان هؤلاء جميعاً وأتباعهم وأشباعهم وقود الثورات المتلاحقه فى سبيل الله والأمة والعراق، وهم النواه لكل المؤسسات والجمعيات، والنوادى التى تأسست فى العراق لأغراض التحرر والتحرير، وكانت ثوره النجف ضد الإنكليز محفزاً كبيراً فى عطائها وتضحياتها الجمه، فيما تعرض له أبناؤها من الإعدام والأسر والتشريد لا سيما

الحاج نجم البقال وجماعته، والحاج عباس على الرماحي، وآل الحاج سعد الحاج راضى وأولاده الأشاوس.

وكان لكل ما تقدم أسباب خارجيه، وعوامل داخلية، ومؤثرات نفسيه، وضغوط، ومواقف، ومعارضته، ومؤتمرات وأحداث، وإعدامات، وقتلى، وجرحى، ونداءات، وخطوات، وعزل سياسى، وتجهّم إنكليزى، وتخطيط لإقصاء أبناء العراق الغيارى، وتسفير للعلماء، وكبت للحريات، وخنق للأنفاس، حتى تطور الحال من سىء إلى أسوء، فساد الصمت العميق، وأحتلب البعداء ثمار كل شىء، وانتهى كل شىء، وإذا بالاستقلال عين الاحتلال، وإذا بالانتخاب هو الأنتداب، رحم الله باقر الشيبى:

المستشار هو الذى شرب الطلا فعلام يا هذا الوزير تعربد

كل هذه الآثار والمفارقات تجد عرضها فى هذه الرساله الجيده التى نهد بها قلم الأستاذ القدير الشيخ محمد جواد مالك، وهو من الباحثين المثابرين، والتلامذه الأذكياء، يسترسل شوطاً، ويبدع شوطاً، كاتباً ومناقشاً ومدافعاً، وقد لا أتفق معه فى بعض الآراء، ولكنى أبارك فيه هذا العطاء.

أرجو أن تكون رسالته هذه بدايه صالحه لأطاريح علميه أخرى، وما التوفيق إلا من عند الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور محمد حسين على الصغير

أستاذ أول متمرس فى جامعه الكوفه/ النجف الأشرف

دمشق ١٥/جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ-

٢٤/آب/٢٠٠٢م

ص: ١٠

دَلَّت وقائع التاريخ الإسلامى على أن الشريعة الإسلاميه تمتلك قدرات ذاتيه تمكّنها من استيعاب الإنسان بواقعه وطموحاته، بمفرده واجتماعه، ببساطته وتطوره العلمى والحياتى، بل بكامل تفاصيل أوضاعه وتطلعاته وأزماته النفسيه وتعقيداته الفكرية وحرسته السياسيه، وذلك لتصوغ منه مخلوقاً متميزاً بكرامته وعطائه.

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا.

ومتحملاً مسؤوليه إقامه النظام العادل فى إداره شؤون الحياه، باعتباره خليفه الله فى الأرض. يقول سبحانه وتعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

وقد بين المفسرون أنها ليست خاصه للنبي آدم عليه السلام بل هى شامله لأبنائه أيضاً.

وما التجارب البشرية عبر الأدوار المتنوعه فى التاريخ إلا- مظاهر معبره تعبيراً حياً عن الصدقيّه العمليه - فى النتيجة - لحقيقه الانتصار الإلهى لمسيره رجال الله، وهذا المعنى تشير إليه الآيه المباركه فى قولتهعالى:

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ .

والواقع أنّ أزمه تأسيس الدوله وبناء الوطن بشكل عادل، يضمن حمايه حقوق الناس، ويوظف طاقاتهم فى بناء الحياه، على ضوء نظريات وتصورات البشر بقيت تراوح محلها كحصان الناعور الذى يدور فى دائره ضيقه ويحسب أنه يقطع مسافات طويله، وبالفعل ما إن تباشر هذه النظريات عملها فى معالجه أزمه حياثيه إلا وتختنق بأزمات أكثر منها فى الشده والإيلام، وهكذا نلاحظها قد انكشمت داخل حدودها، بل انتكست إلى الخلف بتجاربهها المعاصره، مما أدى - هذا الانتكاس - إلى تكريس أزمه الفكر السياسى المعاصر، فى مختلف تبنىاته الفكرية ورؤاه العمليه. وبالفعل شهد الربع الأخير من القرن العشرين تهاوى صروح المعسكر الشرقى سياسياً، بعد أن عاش واقعه الفكرى هزيمه تامه فى خريف مروّع، تساقطت أوراقه الصفراء عن شجرته الاصطناعيه، وبالمقابل - أيضاً - غرقت الحضاره الغربيه فى وحل الأزمات الإنسانيه المتنوعه، رغم ضجيجها الإعلامى، وإمكانياتها الاقتصاديه والتقنيه، ليعود الإنسان المثقل بهمومه وتطلعاته - بين فتره وأخرى - إلى نقطه الصفر باحثاً بنهمٍ وشغفٍ عن هويته الفطريه وروحه الإنسانيه، كالضائع الذى يبحث بجديّه وصدقٍ عن سبل تحقيق السعاده.

كل ذلك بعد رحله شاقه من العناء والتعب، فى الإطار الفكرى والسلوكى على المستوى الشخصى والاجتماعى. بينما تفتح بصائر القرآن وتجارب المسلمين فى التاريخ آفاقاً صافيه، ليتروّد منها المتلقون وعياً ناضجاً بالاعتماد على الله سبحانه فى حركتهم،

وعزماً واثقاً بالإرادة الذاتية القادرة عبر تلك البصائر من بناء الحياه السعيده فى المدينه الفاضله التى يبحثون عنها يقول تعالى:

..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...

وهنا أتذكر مقوله (لاندرية بالرو) الكاتب الفرنسى الشهير ووزير ثقافه (ديغول) فى هذا الصدد يؤكد من خلالها بأن الحضاره الغربيه تحتضر، وعندما يظهر البديل فستنهيار. من هنا كان لابد للدراسات الهادفه أن تغور إلى أعماق الواقع التاريخى - قديماً وحديثاً - لتكتشف أسرار العظمه فى تاريخ الشعوب الإسلاميه، ومنابع القوه للوعى الإسلامى والإيمانى. ومن ثم تقدمها كتجارب غنيه ترفد بها المسيره الإسلاميه المعاصره، وترمم نواقصها. وكان من المفروض أن تأتى هذه المحاولات متقدمه على المساعى السراييه فى توجيه أحداث التاريخ، بقلب الموازين، وطمس الحقائق لصالح (الأيدولوجيات) التى يتبناها أصحاب تلك المحاولات سعياً من طرفهم لتشكيل الخلفيه التاريخيه لمنطلقاتهم الفكرية ورؤاهم السياسيه. والمتتبع لتتاج الباحثين فى التاريخ السياسى فى العراق يكشف بوضوح محاولات عديده لتجسير أحداث التاريخ، بتفسيرها تفسيراً تحملياً على ضوء التوجهات السياسيه، المصلحيه والحزبيه - أحياناً - والعصبيات القوميه والمحليه - غالباً - كل ذلك على حساب المسلمين الواعين وحركتهم السياسيه.

إن دراستنا - هذه - محاوله جاده فى هذا الاتجاه الذى عانى ولا يزال يعانى من تلك المحاولات القسريه. فهى إذن خطوه - أرجو أن تكون متقدمه - تضاف إلى جانب الخطوات الإيجابيه الأخرى فى هذا المضمار. هدفها استرجاع الحق إلى نصابه وإعادة المياه إلى مجاريها، وذلك عبر تحرير الوقائع التاريخيه من القيود المصلحيه الضيقه، وأغلال العصبيات المحليه والإقليميه والقوميه، لتعيش فى رحاب الإسلام الذى تكمن فيه أسرار قوه الشعوب، وطموحات الإنسان والمجتمع الإنسانى فى بناء حياه كريمه عزيزه.

..وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ .

ففى العراق، بدأت تتبلور نشاطات الإسلاميين الشيعة بالخصوص حركياً وسياسياً، برعايه القيادة الإسلاميه، المتمثله بالمرجعيه الدينيه وذلك منذ إعلان ثوره الدستور فى إيران (١٩٠٥-١٩٠٦م)، وفى تركيا (١٩٠٨-١٩٠٩م)، وتحديدأ بعد انحسار دور الدوله العثمانيه إسلامياً عبر التخلّى عن إداره شؤون عموم المسلمين وذلك إثر صعود الاتحاديين لقيادتها.

هذه الحركه المتناميه شكّت طريقها فى خضم الأحداث والوقائع التاريخيه الساخنه، وصاغت للأمه الإسلاميه تاريخاً حافلاً بالمواقف المبدئيه فى توجيه وقياده الساحه - ثقافياً وسياسياً وجهادياً - وبذلك انتشلت واقع المجتمع العراقى المسلم - آنذاك - من وحل التخبّط العشوائى، سواء بمنهجية الترقيعات الفوقيه والشكائيه التى تتخذ من الإسلام شعاراً لخدمه دنيا العروش، أو التوجيهات القوميّه التى باتت تنظر للشريعاه الإسلاميه نظراً هامشيه تلجأ إليها وقت الحاجه والمصلحه، أو بمنهجيه (العلمنه) وتجاوز شريعاه الإسلام - علناً.

المهم كان لعلماء المسلمين الشيعة من المجتهدين الكبار، الدور الأساس فى قياده وتوجيه الأمه - فى تلك المرحله - على رأسهم الشيخ الآخوند الخراسانى (المتوفى سنه ١٣٢٩هـ - ١٩١١م) والذى كان يتخذ من مدينه النجف الأشرف مقراً لزعامته الدينيه والسياسيه، ومنها قاد الحركه الدستوريه فى إيران، واستوعب ما رافقها من تطوّرات مضادّه داخل التيار الإسلامى الشيعى بالتحديد، وبالمستويات القياديه أيضاً، حيث برز فى قمه المعارضين لها المرجع الأعلى السيد محمد كاظم اليزدى (المتوفى سنه ١٣٣٧هـ - ١٩١٩م)، وهنا نؤكد على أن هذه الظاهره التى تبدو غريبه بنسبه معينه، لكنها - فى الوقت ذاته - تدل بوضوح على مبدأ الحريه فى وعى الأحداث السياسيه وعلى

الشجاعه المبدئيه فى التعامل معها. هذه الحاله وُفرت مناخاً إيجابياً لنمو وتبلور الرؤى الحركيه إلى مستوى النضوج لدى العراقيين، مما أدى إلى استيعابهم مفاهيم النهوض والثوره بما يتناسب مع ظروف تلك المرحله.

إن هذا الوعي المتميز الذى برز لدى العلماء المجاهدين، وهم فى قمه حركه المعارضه السياسيه، مكنهم من توظيف طاقات الأمه نحو المواجهه والمقاومه والثوره ضد مشاريع السيطره الاستعماريه، وذلك عبر إصدار الفتاوى الجهاديه، والتصدى الميدانى لقياده الأمه. هذه الفتاوى الدينيه التى هى بالإضافة إلى كونها تحمل روح الموقف المبدئى المعارض لسياسه الاستعمار، فإنها تكشف عن النظره الثاقبه لدى العلماء القاده نحو مسلسل الأحداث المتعاقبه، التى تستهدف مصير العباد والبلاد.

وبالفعل جاءت فتوى الجهاد محققه لطموحات الأمه الواعيه، لذلك هبّ شعب العراق مستجيباً لها، حاملاً رايه الجهاد ضد الإنكليز الغزاه منذ بدايه احتلال العراق عام ١٩١٤م. هذا وقد تطور الوضع إلى ثوره النجف ١٩١٨م، ومن ثمّ برز الإمام الشيخ محمد تقى الشيرازى (المتوفى سنه ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م) فى موقع القياده، ففجّر ثوره العشرين الشامله، كتتويج للمسيره الجهاديه ميدانياً.

بينما استمرت محاولات الإسلاميين الجاده فى رفض مشاريع الاستيلاء والسيطره الاستعماريه على شعب العراق، فى مراحل العمل السياسى التى تلت ثوره العشرين حيث وقفت المعارضه الإسلاميه ضد مشروع الانتداب البريطانى بكامل ثقلها، واستمرت فى مواقفها وجهادها حتى نال العراق استقلاله الرسمى عام ١٩٣٢م. بالرغم من كافه محاولات سلطات الاحتلال والحكومات المحليه المتعاقبه - آنذاك - نحو تضيق دور العلماء الأعلام والتحرك الإسلامى الواعى، وحصر فعاليات الإسلاميين فى زوايا المساجد والحوزات والحسينيات والكتاتيب والتكيات. وكذلك سعت تلك المحاولات نحو

تمزيق وحده الصف الإسلامي، وتحطيم قوه الإسلاميين عبر توجيه ضربه قاصمه للعلماء المراجع لتجميد دورهم السياسي بإبعادهم عن الوطن تحت ذرائع واهيه، وفي الوقت ذاته، تم تشتيت امتداداتهم في العمق الشعبي الواسع داخل أوساط العشائر وأبناء المدن معاً، وبالفعل تعددت الأسباب، وتلونت الأساليب من قبل سلطات الاحتلال البريطاني والحكومات المحليه، لنيل الهدف المشترك وهو إنهاء دور الإسلام والإسلاميين من الحياه السياسيه. إلا أن الذي نؤكد هنا هو أن الإسلاميين بقياده العلماء المراجع بلغوا قمه التحدى في مواجهه تلك المحاولات بدرجة كبيره. ولكن، يبقى أن نشير إلى أن الدوائر الاستعماريه بالرغم من فشلها وانكسارها، لم تنسحب من المعركه تماماً، وإنما سعت جاهده لتغيير أساليبها الإداريه التي تظهر تنازلات شكلية من الممكن أن تخدع بها التيار الاجتماعي العام، ومن ثم يتم إبعاد القياده الإسلاميه الواعيه عن ساحتها الجهاديه، ليتسنى للدوائر الاستعماريه تمرير المؤامره.

نعم هذا هو الذي حصل في العراق!! إيّان فتره الانتداب البريطاني، بعد ثوره العشرين المجيده. فتراجع التحرك السياسي الإسلامى إثر تراجع العلماء المراجع على ضوء التعهدات الخطيه بعدم التدخل في الشؤون السياسيه في العراق لقاء عودتهم إليه من المنفى، بينما توافرت الأسباب المشجعه لتحريك غير الإسلاميين ليحتلوا مواقع التحرك السياسي في البلاد - حاكمين ومعارضين - كما سنرى ذلك في تطور الأحداث.

إنّ البحث في تلك المعطيات مسؤوليه جسيمه بقدر ما هو أمانه تاريخيه أيضاً لذلك عشت مع معظم البحوث والدراسات المختلفه لتلك المرحله، مستنطقاً بعض الأحداث الخطيره، راداً على بعض التوجيهات ذات الأغراض الخاصه، مناقشاً بهدوء وموضوعيه الآراء التحليليه الساعيه لتجسير أحداث التاريخ لمصلحتها السياسيه.

يشمل الكتاب على ثلاثة أبواب، كل باب منه يتألف من ثلاثة فصول.

الباب الأول بعنوان: الإسلاميون في مواجهه السياسيه العثمانيه، أواخر عهدھا ١٩٠٨-١٩١٤م -صراع من أجل الإصلاح -.

الفصل الأول: تناولنا فيه أوضاع العراق في ظل الدوله العثمانيه، فألقينا نظره تمهيديه حول تاريخ العراق وأوضاعه العامه. وخصّصنا الحديث عن أوضاع العراق في نهايات العهد العثماني، باعتبار هذه الحقبه الزمنيه هي الأساس التاريخي لبحثنا، فسألنا الأضواء على تعديلات الإدارة الداخليه، ومجمل الحياه الاقتصاديه، وكذلك أوضاع العراق من الناحيه الاجتماعيه والثقافيه. كما وأشرنا في الأثناء إلى الجغرافيه الطبيعيه للعراق لتكتمل الصوره العامه عنه.

الفصل الثاني: تناولنا فيه العوامل المؤثره في واقع الساحه الإسلاميه (داخلياً وخارجياً). أما على المستوى الداخلي فقد خصّصنا الحديث عن السلطه المركزيه في مواجهه الأحداث الداخليه، ومن أبرزها مسأله صراع مراكز القوى داخل السلطه القائمه، وكذلك اصطدم السلطه بالثقافه السائده في الأمه. ثم تحدثنا عن المسأله الخارجيه الخطيره التي هددت الكيان الإسلامى بشكلٍ عام، وهي قضيه النفوذ الأجنبي في البلاد الإسلاميه واعتبرناها بدايه الاختراق المباشر. ومن ثم سلّطنا الأضواء على الواقع الثقافى والأبعاد التاريخيه للساحه الإسلاميه في العراق، باعتبارهما من العوامل المؤثره في واقع الإسلاميين، إضافه للعاملين السابقين.

الفصل الثالث: تناولنا فيه مسأله نمو الوعي الإسلامى في العراق، وقد تحدثنا بإسهاب عن أطروحه الإسلاميين الإصلاحيه، التي تنطلق من مبدأ ضروره الإصلاح للكيان السياسى للأمه الإسلاميه، وعن سياده الحركه الإصلاحيه في الساحه

الإسلاميه، ودور المرجع الإسلامى الشيعى الميرزا حسن الشيرازى (المتوفى ١٣١٢هـ - ١٨٩٤م) قائد ثوره التباك المشهوره عام ١٣١٢هـ - وقيل ١٣٠٩ وعن أثره الواضح فى وضع أسس التحرك السياسى والجهادى فى العراق على المستوى القىادى بالتحديد فضلاً عن المستوى الشعبى العام. وبعد ذلك بيّنا أهم أفكار وخطوات المدرسه الإصلاحيه، وأخيراً قدمنا تقويماً لهذه الأطروحه.

وفى نهايه هذا الفصل تناولنا موضوع تبلور الوعى الإسلامى وانتشاره فى مظاهر حركيه - سياسيه، والعوامل المؤثره فيه، كالتأثير الواضح لحركتى الدستور - الإيرانيه والتركيه، (١٩٠٥-١٩٠٦، ١٩٠٨ - ١٩٠٩)، على عموم الأوضاع السياسيه والحركيه فى العراق.

الباب الثانى: العراقيون فى مواجهه الاحتلال البريطانى، صراع من اجل الحريه، ١٩١٤-١٩٢٠م.

الفصل الأول: تحدثنا فيه عن حركه الجهاد الإسلامى ضد الغزو البريطانى للعراق ١٩١٤-١٩١٧. بعد أن استعرضنا مواقف العلماء من الاعتداءات الأجنبيه على بلاد المسلمين المختلفه.

الفصل الثانى: تناولنا فيه مسأله ظهور الجمعيات والأحزاب السياسيه المعارضه فى عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٢٠م، وأثرها فى ثوره النجف ١٩١٨، والتطورات الحركيه والسياسيه فى كربلاء والكاظميه وبغداد. وكذلك دور الإسلاميين فى عمليه الاستفتاء الشعبى ١٩١٨-١٩١٩ وذلك ضمن التصدى القىادى للمرجعيه الدينيه الشيعيه.

الفصل الثالث: خصصناه لثوره العشرين، وسميناها «الثوره العراقيه الشامله» وتحدثنا عن أسبابها وقىادتها العلمائيه، والصفه الشموليه فى استجابته الناس بكافه توجهاتهم ومذاهبهم لنداءاتها. وختمنا الفصل بأبرز نتائج الثوره بروح موضوعيه هادفه.

الباب الثالث: العراقيون في مواجهه مشاريع السيطره البريطانيه، تطور الصراع من اجل الاستقلال ١٩٢١-١٩٣٢، وهو بثلاثه فصول أيضاً:

الفصل الأول: تناولنا فيه المعارضه الإسلاميه في مواجهه الانتداب البريطاني، والحكومته المؤقتة وتنصيب فيصل ملكاً على العراق.

وفي الفصل الثاني: تناولنا دور المعارضه الإسلاميه في مواجهه المعاهده البريطانيه - العراقيه، وانتخابات المجلس التأسيسي عام ١٩٢٤م.

أما الفصل الثالث: فخصصناه لدخول الإسلاميين في المعترك الثقافي منذ منتصف العشرينيات حتى الاستقلال الرسمي عام ١٩٣٢. وفي الختام ذكرنا استنتاجاتنا من هذه الدراره.

أهداف الكتاب

١. معرفه جذور التحرك الإسلامى المعاصر: إن الحقبه الزمنيه التى تناولناها تعتبر حقبه تأسيسيه للتحرك الإسلامى الحديث، وذلك لتوافر الظروف الذاتيه والموضوعيه الملائمه لهذا الانطلاق الحركى والسياسى، وعليه تكترست جهود الإسلاميين نحو تفجير الطاقات الذاتيه المتاحة - آنذاك - مستثمره الظروف الموضوعيه التى ساعدت على نمو التحرك الإسلامى فى العراق، خصوصاً بعد استلام الاتحاديين لزام الحكم فى تركيا وغياب دوله الخلافه العثمانيه عن الساحة السياسيه - كما قلنا-.

وهذه الحقبه بالتحديد ضاعفت من مسؤوليه المتصددين للتحرك الإسلامى وبالذات علماء الدين، حيث توسعت مهامهم الحركيه انطلاقاً من مسؤوليه نشر الوعي الإسلامى فى الأمه - كنقطه بدايه-، ووصولاً إلى الهدف الأساس فى تحمل مسؤوليه إقامه الحكومه العادله، ومروراً بممارسه العمل الميدانى فى أوساط الأمه بهدف تنظيم قدراتها وتوجيه طاقاتها ولملمه الجهود لغرض إداره شؤون التحرك باتجاه المعارضه

السياسيه والمطالبه بالحقوق ومواكبه تطور الأوضاع السياسيه وتغييراتها.

إذن تعتبر تلك المرحله التأسيسيه غايه فى الأهميه للدارسين والمهتمين بشؤون التحرك الإسلامى فى العراق، وذلك للتعرف على تلك المواقف وتناجها من ناحيه، ومن ناحيه أخرى تعتبر مهمه وأساسيه للمراحل التى تلتها كمسلسلٍ مترابطٍ فى التأثير والتأثير للأحداث والنتائج المتعاقبه.

ومن أبرز تلك النتائج أنها شخّصت الوظيفه الشرعيه للمتصدين للساحه الإسلاميه - علماء وقيادات ميدانيه وقواعد شعبيّه - بمزاولة العمل التغييرى وخوض تجربته إداره التحرك والثوره وربما الحكم أيضاً. ومما لا شك فيه، ان دراسه تلك التجارب الغتية بالمواقف والإنجازات والنتائج تشكّل الخلفيه الحركيه الراعيه للتحرك الإسلامى المعاصر.

٢. المعالجه الموضوعيه للحقبه التأسيسيه: بتقديرى أن تلك الحقبه التأسيسيه - كما سميناه - وما تلتها من تطورات حركيه وسياسيه فى العراق لم تعالج بالطريقه الموضوعيه الطموحه، بحيث تُكتب تلك المساحه المهمه من تاريخ شعبنا بما يتناسب مع مبادئ وقيم الإسلام التى يؤمن بها.

لذلك تحولت تلك الحقبه التأسيسيه إلى ماده دسمه لمن يريد أن يضع الأسس التاريخيه لتوجهاته العائليه المحليه، أو القوميّه، أو للصراع الطبقي إثر التفاوت الاقتصادى. وبالفعل تحولت الماده التاريخيه لتلك المرحله إلى أرضٍ خصبه يتنافس على استثمارها المتنافسون، كلٌ يدعى أحقيته بذلك.

حقاً لقد أضحى ذلك الإرث الكريم نهياً بأيدي السياسيين الحاكمين -بالتحديد - والباحثين الذين يدورون فى فلكهم. والذى ساعد على نجاح هذه العمليه بنسبه كبيره، هو ضعف الكتابات التاريخيه بأقلامٍ مهتبهٍ منصفه. ويمكن القول أن هذا الأمر هو نتاج

ما زرعته القوى الاستعماريه فى بلادنا من حكومات مرتبطه غذتها روح الانهزاميه وحاله عدم الثقه بقدرات الناس الواعين، فكأنما انتزعت الثقه من أعماق النفوس بالشريعته الإسلاميه والتاريخ الإسلامى الحافل بالإمكانيات الذاتيه للأممه التى صنعت الحضارات، لذلك جاءت أغلب الكتابات متوافقه مع نظريات الحاكمين - للأسف - وعاده يكون النسيان أو التناسى فى هكذا منهجيه من حصه الثائرين والمضحكين، الذين كتبوا التاريخ بدمائهم وعرقهم وجهودهم وفى الطليعه القاده العلماء -رضوان الله عليهم - وحتى أن بعض المحاولات التى دونت تلك المرحله -جديداً - وعالجت أحداثها، فإنها - فى نظرنا - لم تكن وافيّه الأغراض رغم أهميتها، وستناولها فى هذه المقدمه كنماذج شاهده، لما تشكو منه.

٣. تقويم المرحله الماضيه لمعرفة الحاضر وبناء المستقبل حيث إن شعب العراق شعبٌ متحمسٌ شجاع، تشرب روحه بنهضه واعيه وهى معروفه على مرّ العهود، ويمتاز وعيه بروح النقد والمعارضه الهادفه لنيل حقوقه. فهذا الشعب المسلم أضحى هو المرشح - كما يبدو لى - لتهديد مصالح الاستعمار فى المنطقه لو قُدِّرَ لإمكانيات العراق الماديه والبشريه أن تتحول إلى أيدٍ أمينهٍ مستقله، من هنا نفهم بدقه فصول مسرحيه الحرب عام ١٩١١م إثر احتلال الكويت من قبل الجيش العراقى، حيث نَقَذَ أبطال المسرحيه أدوارهم المناسبه بأداء متكامل، كل ذلك لتدمير العراق روحاً وقدرات.

إن دراسه التاريخ السياسى تفسر أحداث الحاضر وترسم آفاق المستقبل، أى إنَّ بناء المستقبل إنما يتم عبر النظره التقويميه الصريحه لأحداث التاريخ، هذه النظره التى تستطيع أن تخترق الزمن وتتوصل إلى معرفه جذور المعارك الدائره اليوم، فهى تسبر الأعماق بكواشف ثاقبه لتستوضح الحقائق الدفينه، ومن ثمَّ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذَكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاَعِيَهُ هَكَذَا نحاول من دراستنا هذه أن نعيش الماضى وندرسه بروح موضوعيه واعيه،

لنتعرف على موقعنا وواقعنا اليوم، وندرک أيضاً أطماع المتصارعين من حولنا وبذلك نستطيع أن نرسم هيكل البناء المستقبلي بمستوى الطموح - بإذنه تعالى - يقول الأستاذ (سميث) الكاتب الغربي في كتابه (الإسلام في التاريخ الحديث): «..التاريخ في نظر المسلم هو سجل المحاوله البشريه لتحقيق ملكوت الله في الأرض ومن ثم، فكل عمل وكل شعور، فردياً كان أو جماعياً ذو أهميه بالغه، لأن الحاضر هو نتيجه الماضي، والمستقبل متوقف على الحاضر..». فالعبره من دراسه التاريخ دراسه جديده تتمحور حول تشخيص أخطاء المسيره الماضيه، لغرض معالجتها في ظروف مماثله، وكذلك لمعرفة نقاط القوه في مسيره الإصلاح والتغيير والنهضه لغرض المحافظه على قوتها بل وتطويرها بما يتلاءم والظروف المستجده.

مصادر ومراجع الكتاب

وأما بالنسبه للمصادر والمراجع، فهي على كثرتها وتنوعها، إلا- أنها تشكو -بشكل عام - من ضعف خاص في إبراز دور الإسلاميين وعلى رأسهم العلماء المراجع في قياده الأهمه، وبالشكل الذي يليق بمكانتهم وتصديهم بمختلف المراحل للحاله السياسيه والجهاديه. ويمكن تقسيم المصادر والمراجع إلى ثلاثه أقسام بالشكل التالي:

١. المصادر التي اهتمت بسرد الوقائع التاريخيه التفصيليه أكثر من التحليل وهي - غالباً - من نتاج أبناء المرحله. وهي تعكس وجهه نظر كاتبها، إن كان من العراقيين، أو من الإنكليز المعاصرين والمساهمين في الأحداث. فمن أمثله الكتياب العراقيين: محمد مهدي البصير، وكتابه «تاريخ القضيه العراقيه» بجزأين. وكذلك حسن الأسدي وكتابه «ثوره النجف ضد الإنكليز»، وأيضاً فريق المزهري الفرعون وكتابه «الحقائق الناصعه في الثوره العراقيه سنه ١٩٢٠». أما ما يخص الجانب البريطاني فقد أصبح كتاب (المس بيل) «فصول من تاريخ العراق القريب» ومجموعه رسائل لها إبان الأحداث المتصاعده.

وكذلك (الجنرال هالدين)، و(ولسون) وغيرهم من الذين شغلوا مواقع قيادية في إداره الاحتلال البريطاني للعراق من أهم الكتب الأجنبية لتلك المرحلة.

أما بالنسبة لكتاب الأستاذ البصير، فهو يعتبر من الكتب التاريخية المهمة في سرد الأحداث وتقييم الأوضاع السياسي، إلا أنه اعتمد على كتاب (هالدين) كثيراً وخاصة في معلوماته عن الوضع العسكري للثائرين في ثورة العشرين، بشكل غير متوازن مع وجهه نظر المعارضه والثوار، هذا وإن كانت - على الأ-غلب - تقارير الثوار لا- تخلو من المبالغه، كنتيجة طبيعیه لحاله الحماس والثوره، وخاصة فيما يتعلق بأعداد الشهداء والقَتلى في ثورة العشرين، إلا- أنه كان يستطيع ذكرها إلى جانب ذكر التقارير البريطانيه ليتمكن المتلقى من التوصل إلى الحقائق عبر وجهتي النظر. هذا وأنه شخصياً كان يتمكن من إبراز الصورة القريبه من الواقع لأنه من رجال تلك الحقبة الزمنيه والمساهمين في الحركة السياسي - آنذاك - وهكذا نلاحظ فريق المزهرة الفرعون في كتابه «الحقائق الناصعه..» فبالرغم من أهميه الكتاب، لقربه من الثوار واشتراكه مع عشيرته بشكل بارز في الأحداث. وكذلك لقرابته من الشيخ عبد الواحد الحاج سكر - من الزعماء الكبار لثورة العشرين - ومما لا يخفى إن أبناء العشائر كانوا هم رجال الثورة، سَطروا بدمائهم وتضحياتهم صفحات مشرقه من تاريخنا الحديث. مع ذلك يُلاحظ على الكاتب توجهاته العشائريه الخاصه، ونحن من الممكن أن نجاريه في بعضها، إلا- أنه قد يتخيل المتلقى أن ثورة العشرين ثورة فتلاويّه بزعامه شيخ آل فتله عبد الواحد الحاج سكر. والحال إنها ثورة عراقيه شامله، كان للعشائر الدور البارز في ساحات القتال، لاسيما الشيخ عبد الواحد وآل فتله وبقية عشائر الفرات الأوسط. أما كتاب (المس بيل) السكرتيره الشرقيه لمدار الاعتماد البريطاني، فهي تمثل وجهه نظر الإنكليز، أي أنها تنظر إلى المعارضه والثوار من الزاويه السلبيه، بل الموغله في السلبيه إلى درجه الخروج عن إطار البحث العلمى والقيم الأخلاقيه والإنسانيه. فلنستمع إليها وهي تصف

الاجتماع السياسى الذى أقامه المحامون ببغداد ضد الانتداب عام ١٩٢٢م، حيث تقول «إن المحامين الأوغاد!! أقاموا حفله دعوا فيها النّواب، ألقى اثنان من هؤلاء الحمير الصغار!! خطباً عنيفه». أما فى صدد تقييمها للأوضاع الحركيه فإنها تعكس خلفيتها الاستعماريه بوضوح فى كتاباتها، ولا تخرج من دائره التمنى فى استيعاب تطورات المعارضه، والحكم عليها بسطحيه وسذاجه. وحينما تصل إلى زعماء الثوره تتعرض لهم بالنقد والتجريح، بعيدة كل البعد عن الروح الموضوعيه، فتصف قائد الثوره الإمام الشيرازى بقولها: «إنه يكاد يكون خرفاً». وذلك لتحطّ من قدره ومكانته.

٢. المراجع التى تقدّم تحليلاً للإحداث، وهى التى تمتلك رؤيه تحليليه مقبوله فى أوساط الباحثين، وحينما توجه إليها انتقادات معينه فهى لا- تخرج من إطار الملاحظات التقويّميه العامه، وسيوضح هذا المعنى عندما نتحدّث عن النوع الثالث من المراجع، وهى التى تحمّل الأحداث وجهات نظر قسريه. أما هذا النوع - أى الثانى - من المراجع نجده غالباً فى الرسائل الجامعيه والكتب الهادفه. ومن الأمثله على ذلك ما يلى:

النفيسى، الدكتور عبد الله فهد: دور الشيعة فى تطور العراق السياسى الحديث، ترجمه دار النهار، بيروت ١٩٧٣.

الكاتب، أحمد: تجربه الثوره الإسلاميه فى العراق منذ ١٩٢٠ حتى ١٩٨٠. دار القبس طهران ١٩٨١.

الرهمي، عبد الحليم: تاريخ الحركه الإسلاميه فى العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، بيروت ١٩٨٥، الدار العالميه.

شير، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، جزآن، ج ١، العمل الحزبى فى العراق ١٩٠٨-١٩٥٨م، بيروت - دار التراث العربى ١٩٨٩م، ج ٢ التحرك الإسلامى فى العراق ١٩٠٠-١٩٥٧م، بيروت دار المنتدى ١٩٩٠م.

فياض، الدكتور عبد الله: الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م - بغداد ١٩٦٣م.

الوردى، الدكتور على: لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث، ستة أجزاء، طبع بغداد، مطبعة الإرشاد ١٩٦٩-١٩٧٦م.

الحسينى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، عشره أجزاء، صيدا ١٩٦٥م. وكتابه الآخر: تاريخ العراق السياسى الحديث وغيرهما من كتب السيد الحسنى، التى تعتبر مع كتاب الأستاذ الوردى من الكتب الأساسيه لتلك المرحله.

لنبدأ من الأخير فالدكتور الوردى يتناول الأمور بطريقه النقد الاجتماعى ولنا على كتابه ملاحظات عديده، أهمها يعتمد النقد المباشر للسلوكيات الاجتماعيه وكأنه يحملها على الجانب الفكرى، ممّا يدفع القارئ بإتجاه الإحباط من مشروعات التغيير والإصلاح، عوضاً عن وضعه على خارطه النهضه إنطلاقاً من المبادئ الساميه التى يؤمن بها. أما السيد الحسنى فكتبه وثائقيه وشبه رسميه ومع ذلك لا- يبخل من تسجيل ملاحظاته بشكل مقتضب، رعايه للأجواء المحيطه به، والتزاماً منه بالطريقه السرديه فى كتابه التاريخ - كما يبدو لنا-.

أما كتاب النفيسى، فهو جيّد فى بابه، ويظهر أن المؤلف قد بذل جهداً كبيراً لإخراج أطروحته تلك، وهى أطروحه دكتوراه قدّمها إلى جامعه كمبردج عام ١٩٧٢، فينقل مقابلاته الشخصيه التى أجراها فى أوساط العلماء والعشائر بنفسه، مما أعطى لبحثه أهميه خاصه. إلا أن القارئ يشعر وكأنه يقرأ كتاباً منحازاً إلى جانب سلطات الاحتلال البريطانى، على حساب الجانب الإسلامى المعارض. وربما لأن المؤلف قد اعتمد فى بحثه بشكل كبير على التقارير الإنكليزيه وبالذات تقارير المخابرات البريطانيه فى تلك المرحله، فرتب على ضوئها قناعاته الفكريه، فمثلاً يسمى ثوره العشرين فى عنوان مستقل (اضطرابات سنة ١٩٢٠) مما يوحي بالدلاله السلبيه فى تفسير الثوره

الكبرى كما يسميها معظم الباحثين كالسيد عبد الرزاق الحسنى، الذى يسمى كتابه (الثوره العراقيه الكبرى)، وكذلك الدكتور عبد الله فياض الذى يسمى كتابه (الثوره العراقيه الكبرى) أيضاً، ولعل أمر الأستاذ النفيسى وأمثاله، يعدّ طبيعياً - حسب تصوّرى - إذا كان ينتمى إلى مدرسه تقديس التراث الحاكم على ما فيه - قديماً وحديثاً - فلا يستطيع أن يرى المعارضه وهى تبنى صروح الوعى والمقاومه والنهضه فى التاريخ الإسلامى القديم أو الحديث، كما يراها الآخرون، فمع توافر هذا الشرط يكون من حقّه أن يعتمد على كتابه الحاكمين والمستعمرين، ويبنى قناعاته عليها. أما كتاب أحمد الكاتب (تجربه الثوره الإسلاميه فى العراق منذ ١٩٢٠ حتى ١٩٨٠)، فيعدّ محاوله لها أهميتها فى ظرفنا المعاصر. إلاّ - أنّه كتاب تنقصه النواحي العلميه والفنيه غالباً، بالإضافة لحاجته إلى توضيح وتفصيل أكثر. فمثلاً لا يشير الباحث إلى مصادر البحث بشكل مفصل إلا نادراً، كما ويعتمد على آرائه وتصوراته الشخصيه غالباً فى تحليل الأحداث. وهذه التصورات - فى نظرى - لا تخرج من إطار رده الفعل اتجاه قضايا وسلوكيات مضخمه فى ذهنه، مما يصنف الكتاب باتجاه البحوث الاستنتاجيه، التى تفرزها المعاناه الحاليه. ولو كانت لغه الكتاب أكثر علميه وموضوعيّة وتوثيقاً بالمصادر، لازدادت أهميته. ويلاحظ أيضاً على لغه الكتاب، فهى قريبه من لغه المعارضه (الراديكاليه) الخطابيه، فيتهجم - أحياناً - بطريقه إعلاميه صارخه لا تتلاءم مع الدقه العلميه للبحوث العصريه، التى من المفروض أن تمتاز بروح موضوعيه هادئه وملاحظه أخرى لا تقلّ أهميتها عما سبق، وهى أن الكتاب تناول ستين عاماً من تاريخ العراق فى ثلاثمائه صفحه من القطع المتوسط، معنى ذلك إنه بحث مضغوط كثيراً، وعليه فإنه يُعدّ فهرسياً انتقائياً يصعب الاعتماد عليه فى البحوث العلميه. أما الأستاذ عبد الحليم الرهيمى، فقد استطاع فى كتابه «تاريخ الحركه الإسلاميه..» أن يسد ثغره فى المكتبه الإسلاميه المعاصره، ويتضح من خلاله، أن جهداً مضاعفاً قد بذل لأجل إخراجه بهذه

الصورة من الناحية الفنية والموضوعية. إلا- أنه تناول الحالة الفكرية بشكل مسهب أكثر من تناوله للتطورات السياسية. فعنوان الكتاب «تاريخ الحركة الإسلامية..» ويفهم منه النشاط السياسي الإسلامي، فالمفروض - كما يبدو لي - أن يختصر الكاتب الجانب الفكري والعقدي، ليدخل في صميم الأحداث السياسية، وإن كان الباحث يضع تحت العنوان الرئيس لكتابه عبارة «الجدور الفكرية والوقائع التاريخية ١٩٠٠-١٩٢٤م» إلا أن الملاحظه تبقى في موقعها، تدل على ضروره تسليط الأضواء بشكل أوسع على جانب المعارضه الإسلاميه ودورها، أكثر من توضيح الجانب الفكري. وكذلك نلاحظ على الأستاذ الرهيمي أنه يتناول أحداث مهمه وخطيره بالهوامش، مثلاً- يذكر الاتفاقيات البريطانيه - العراقيه، وهي أربع اتفاقيات مهمه يشير إليها في هامش الصفحه، وكأنه يعتبرها هامشيه في الصراع السياسي - آنذاك-، والحال أنها تعدّ من الأمور المهمه التي نفذتها السياسه البريطانيه كمحاوله لترضيهِ الإسلاميين، فهي ثمره من ثمار المعارضه السياسيهِ والمقاومه الجهاديه، وفي الوقت ذاته تعتبر خطوه تنازليه ضمن نتائج سياسه الانتداب البريطاني. أما محاوله الأستاذ حسن شبر، في كتابه «تاريخ العراق السياسي..» فهي محاوله حديثه، ويبدو لي أن السيد شبر لفرط حماسه وكثره أعماله أنجز مشروعه بسرعه. إلا- أن الحماس الزائد أحياناً لا يخدم الدراسات الفكرية والتحليلية، وفي كتابه «تاريخ العراق السياسي المعاصر» الجزء الثاني أظن بأننا لسنا بحاجة إلى الحماس المتزايد، فمثلاً لا نجده يركّز حتى في بيان المصادر والمراجع المعتمده، فيذكرها أحياناً بشكل غير دقيق وأحياناً أخرى لا يشير إلى المصادر التاريخيه المعتمده لتوثيق حديثه، خصوصاً في ذكر أحداث ذات طابع محليّ خاص ومع ذلك فهو كتاب جدير بالاهتمام في محاولته الجدّيه نحو إظهار الأصالة الإسلاميه المترسخه في العراق. واما أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الله فياض، فبالرغم من اعتزالي الكبير بشخصه، وحبّي لكتاباتهِ، فقد كنت من الطلبة المنشدين لتحليلاته والملحّين في مناقشه آرائه أثناء الدرس وبعده - أيام دراستي

الجامعيه - إلا- أننى ألاحظ عليه الخلط فى بعض المفاهيم التى توصّلتنا إلى نتائج غير واضحة، فمثلاً ينظر إلى انطلاق حركة الجهاد ضدّ القوات البريطانيه المحتله للعراق من زاويه متخلفه! حيث يعتبرها نتيجةً لضعف الوعى الوطنى!! ونسجل هنا أيضاً ملاحظه فيه على كتابه «الثوره العراقيه الكبرى» فإنه يكرّر أحياناً بعض المعلومات، مما يسئ إلى منهجيه البحث، - ويبدو لنا- أن السبب وراء هذا التكرار هو ضعف تسلسل الأحداث بالشكل الذى يضمن عدم التكرار.

٣. المراجع الموجهه للأحداث بتحليلات تحميليّه لتحقيق أهدافها الخاصه، ومن أبرز الأمثله الدكتور وميض نظمي، فإنه بالرغم من اهتماماته الكثيره لتلك المرحله، إلا أنّ بحوثه متوجهه نحو صب الأحداث لصالح الاتجاه القومى - العربى، وتجدّه أحياناً يفرّط فى تحميل أحداث التاريخ توجهاته القوميه إلى درجه لا- تطاق، فمثلاً يصف ثوره العشرين التى قادها الإمام الشيرازى والحركيين الإسلاميين من أبناء المدن والعشائر، بأنها قوميه!

ويصف وحده المسلمين (شيعه وسنه) تحت رايات الجهاد الإسلامى بأنها وحده قوميه!! ويتناول أكثر ليرسم للقوميين العرب دوراً قيادياً فى ثوره العشرين، بل دوراً مؤثراً على قائد الثوره!

وفى تقديرى إنه بهذه المحاوله يخدم الاستعمار بطريقتين، بالأولى يرفع عن تاريخ العراق اسم الإسلام والإسلاميين وهذا طموح الاستعمار، لأن الحركات غير الإسلاميه ممكنه الاحتواء - غالباً - من قبل المستعمرين بشكلٍ أو بآخر، على العكس من الحركات والفعاليات الإسلاميه المبدئيّه التى لا- زالت - حتى اليوم - تعانى من ترويضها واحتوائها دوائر الاستكبار العالمى. أما بالطريقه الثانيه، فهو يثير نوعاً من الحساسيه الطائفية والفتنه المذهبيه وهذا أيضاً طموح الاستعمار فى المنطقه.

ويلاحظ على المؤلف - أيضاً - أنه يعتمد اعتماداً كلياً على تقارير البريطانيين ضد المرجعيه الدينيه الشيعيه، وخاصه السيد محمد كاظم اليزدى بأنه كان داعماً

ومسانداً للمحتلين البريطانيين، وهو إذ يؤكد ذلك ولكن من دون إثباتٍ علمي يدعم صحه تلك الادعاءات من مصادر أخرى. وكأنه يتشقى بالصاق التهم بالرموز الدينيه والوطنيه، بل يعارض أى كلام يعاكس تصوره، وهذه الظاهره من الابتلاءات المرصيه القاتله للمنهج العلمى. وإلا لو كان لبنان - كما يقال - فى النتائج على الأقل، فلم يتحدث التاريخ عن أية نتيجة سجلها البريطانيون لصالح المرجع اليزدى أو غيره.. وهكذا نراه يتغافل - عمداً - عن معرفه الأساليب الماكره للبريطانيين المحتلين فى إشاعه هذه الأكاذيب والتي يقصد منها زعزعه ثقه الناس بالمرجع الأعلى وبالرموز الدينيه والوطنيه بشكل عام وبالتالي إسقاط هيبتها فى الأوساط العامه لتسهيل عمليه السيطرة على العباد والبلاد. ومن الأمثله على هذا النوع من المراجع: كتاب الدكتور خالد التميمى، «محمد جعفر أبو التمن، دراسه فى الزعامه السياسيه العراقيه»، ترى من خلاله، أنّ المؤلف يقف إلى جانب الملك فيصل بشكل تام، والسياسه البريطانيه أيضاً، بعيداً كل البعد عن آلام العراقيين وطموحاتهم السياسيه، وكأنه من حاشيه الملك مرتبط به وبامتداداته ارتباطاً وثيقاً، لذلك ينتقد المعارضه ويرمى بالمسؤوليه على كاهلها، فى الوقت الذى يعلن براءه الملك عن أية مسؤوليه اتجاه الأحداث. لنستمع إليه هو يتحدث عن المعارضه المتصاعده بأنها أصبحت: «وجهاً لوجه أمام بريطانيا والملك و(الصفوه) الشريفيه مجتمعين. وكلما حاول الملك فيصل الأول الاقتراب من عناصر المعارضه والاستجابه لما يمكن أدائه ازدادت المعارضه - وغالبيتهم من الشيعه - فى طرح الشعارات المثاليه والمطالب التعجيزيه فيحصل الافتراق. لقد كان ذلك إلى حدٍ كبير نتيجة التريه العقائديه المثاليه التى نشؤا عليها.. كما كان ذلك أيضاً نتيجة الشعور بالزهو، الذى قد يصل أحياناً عند البعض إلى درجه الغرور». وكأنه لم يمرّ على موقف الإمام الخالصى (الشيعى) من الملك فيصل فى بدايه مجيئه. هذا، ويذهب إلى أبعد من ذلك فى تقييمه للسياسه البريطانيه - آنذاك - بطريقه تحمليه ساذجه حيث يقول: «إن

السياسات التي اعتمدها فيصل والبريطانيون في العراق، والتي استهدفت تقوية الإحساس بالهوية الوطنية العراقية [!]. وكان أمام الملك فيصل طريقاً طويلاً -صعباً لبناء (الوطنية العراقية) [!]. طبعاً يقصد بذلك، الوطنية العراقية على الطريقة البريطانية، والتي تعنى الخضوع التام للإنكليز بعد الانسلاخ التام من الهوية الوطنية والقومية والإسلام. ومن أمثله هذ الكتب أيضاً: كتاب الأستاذ اسحق نقّاش فهو كتاب حديث يتناول تاريخ الشيعة في العراق ونشاطهم في نشر التشيع في أوساط العشائر العراقية، ثم يربط الأحداث بحرب الخليج الأولى والثانية بطريقه ساذجه وغير شامله. وهذا لا يعنى عدم وجود نظرات مهمه في الكتاب جديره بالدراسه والتأمل. كما ويتناول الساده الأشراف في وسط العشائر من زاويه موغله بالسلبيه والاستغلال، حتى يصف بعضهم بالمنجمين والعزّافين المتجولين.

كما ويعتبر شعائر عاشوراء من الطقوس الدينيه المسرفه، وزياره العتبات المقدسه يعتبرها عباده الأولياء، وأن كربلاء مرقد الحسين يتحدى مركز مكة والكعبه، ويعتبر زياره الحسين تعويضاً عن فريضه الحج معتمداً على حكاية رجل بدوى! ويزداد سوءاً في نظراته حينما يشبّه بعض العبادات والسلوكيات للمسلمين الشيعة باليهود القدامى، وفي تقديري إنه بحاجة إلى أن يكون متديناً بالإسلام ليجتهد عن عباده المسلمين الشيعة، فهو لا يعى مفاهيم الواجب الشرعى والحق الإيماني لدعوه الناس إلى الإسلام والتشيع، وإنما يربط ذلك بعوامل اقتصاديه تارةً ومصليحيه دفاعيه أو ابتزازيه تارة أخرى. أما الكتب الأجنبية، الواضحه في تحميل الأحداث ما لا تطيق، فأبرزها كتاب الكاتب السوفيتي (كوتولوف): «ثوره العشرين التحريريه في العراق». وذلك لأنه يعتبر اندلاع ثوره العشرين يعود إلى أسباب الصراع الطبقي والعوامل الاقتصاديه، هنا يقول مير بصري: «باعتمادى إن هذا الرأى خاطئ لأن زعماء الثوره وقادتها كانوا من رؤساء العشائر.. وقد ناقش الموضوع الدكتور على الوردى فقال، إنه قرأ كتاب المؤلف

الروسي فشعر كأن الرجل يتحدث عن غير الثورة التي عرفها العراقيون وأدركوا رجالها، وعن غير البلاد التي نعيش فيها».

أما الكاتب السوفيتي (البرت م، منتشاشفيلي)، في كتابه «العراق في سنوات الانتداب البريطاني»، فالملاحظ عليه أنه لا يعتمد على التقارير البريطانية، والحال أنها تعتبر من المصادر المهمة لأنها طرف في القضية باعتبارها الدولة المحتلة للعراق - آنذاك - هذا وأنه يفسر الأحداث على ضوء النظرية الماركسية، فيربط المعارضه بالعوامل الاقتصادية والصراع الطبقي، لذلك يستغرق في بحث تفاصيل الأوضاع الاقتصادية.

كانت هذه أهم الملاحظات التي سجلناها على تلك المصادر والمراجع.

ولقد احتلت الوثائق الرسمية، العراقية البريطانيه وكذلك منشورات المعارضه، - آنذاك - موقعاً مهماً في مصادر الكتاب نظراً لما تحتوي من أسرار ووقائع بالغه الأهميه، وذلك لأنها تقع في طريق كشف الخلفيات والمعطيات المرحليه معاً، كذلك انصبّ جزء من اهتمامنا نحو الصحافه العراقيه، التي عكست تطور الأحداث السياسيه يومياً، وإن صُيّفت تلك الصحف في اتجاهات سياسيه معينه، إلا أنه في حاله جمعها ومقارنتها ببعضها، وخاصه لو قرأنا ما وراء الأسطر - قدر الإمكان - في الصحف المؤيده للنظام أو الصحف المعارضه له، لاكتشفنا - بوضوح - طبيعه الصراع السياسي وأدواته - آنذاك - ومدى انعكاس أثر الصحف الخارجيه - أيضاً - في الصحافه المحليه وفي الأوساط العامه كذلك.

طموحى أن يكون هذا الكتاب محاوله ضمن المحاولات التحليليه الهادفه، لمرحله موضوع البحث. والمسأله المهمه تكمن في معرفه نقاط الضعف والقوه للتحرك الإسلامى في تلك المرحله، لتنعكس على مسيره النهضه الحاليه والمستقبليه بظلالها النافعه، باعتبارها حلقات متواصله في المسيره الإنقاذيه. وذلك لتوفّر الجهد والزمن في سبيل إنقاذ البلاد والعباد من قيود المستعمرين، أكرر إنّها محاوله أرجو أن توصلنا إلى الهدف المنشود.

الباب الأول :الإسلاميون فى مواجهه السياسه العثمانيه أواخر عهدها ١٩٠٨-١٩١٤م صراع من أجل الإصلاح

اشاره

ص:٣٣

الفصل الأول : العراق في ظل الدوله العثمانيه

اشاره

ص: ٣٥

العراق بلد عريق بتاريخه وشعبه، قامت على أرضه كيانات متحضرة منذ القدم فهو «بفضل تربته ومياهه وسهوله التنقل فيه، كان مهد الحضاره، وأن حضارته - بفضل خصائصها وغناها والتي توجت باكتشاف الكتابه - فاقت حضاره وادي النيل. وفي العراق ازدهرت المدن ونشطت الأفكار وظهرت الأديان وبرزت الفنون وتمتع الناس بنظام رى دقيق، فتقدمت الزراعه كما تقدمت التجاره، وشمل الناس نظام إدارى، وما قانون حمورابى - الذى خلّد بابل - إلا مثلاً رائعاً لمقاييس العدالة ولوسعه الفكر الحر» (١). وقد أصبحت أرض الرافدين ميداناً مهماً لحركه الأنبياء والرسل والأئمه عليهم السلام، فهى مزينه اليوم من شماله إلى جنوبه بمقامات الأنبياء والأوصياء ومرآدهم، ففي مسجد الكوفه ومسجد السهله

ص: ٣٧

١- (١) كنه، خليل: العراق أمسه وغده، دار الريحاني للطباعه والنشر، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٦٦م، ص ٧. الملك حمورابى، هو سادس ملوك سلاله بابل الأولى (١٧٩٢-١٧٥٠ قبل الميلاد)، عرف بالقانون بحيث قسمه إلى اثنى عشر قسمًا، تظهر فيه ٢٨٢ ماده، ويمكن تزيد هذه المواد إلى ٣٠٠ بقليل. وقد عثر على مسلّه حمورابى - هذه - فى السوس وهى مدينه فى خوزستان، وكان الملك (شتروك ناخويتى) قد نقلها إلى هناك بعد غزوه بابل حوالى سنه ١٦٧١ ق.م. للمزيد من المعلومات راجع: العشماوى، محمد سعيد: روح العدالة، طبع بيروت، الطبعة الثالثه، ١٤٠٦هـ-، ١٩٨٦م، ص ٣٧-٤١. وكذلك يحصل الزائر لآثار بابل فى محافظه بابل بالعراق على الشواهد التاريخيه الحيّه لهذه المسلّه القانونيه وغيرها من الآثار المهمه.

بالكوفه مقامات الكثير من الأنبياء والأئمه والصالحين، كما أن في الموصل هناك مقامات للأنبياء أيضاً (١) وهنالك المراقده المقدسه لأئمه المسلمين، فمرقد الإمام على عليه السلام في النجف الأشرف، والإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ومرقد الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام في بغداد، والإمامين الهادي والعسكري في سامراء، وفي بغداد - أيضاً - مرقد الإمام أبي حنيفه النعمان، والشيخ عبد القادر الكيلاني، ومرقد مجموعه من الفضلاء والعلماء.

والعراق في العهود الإسلاميه له خصوصيته، ودوره المتميز، فمنذ دخول رايات الإسلام إلى العراق عام ٦٣٨م، ٥١٦هـ - (٢)، بدأ عهد العراق الإسلامى، فشارك شعب

ص: ٣٨

١- (١) توجد في مسجد الكوفه مجموعه من المقامات الشريفه لبعض الأنبياء عليهم السلام مثل مقام النبي آدم عليه السلام، والنبي نوح عليه السلام، والنبي إبراهيم الخليل عليه السلام، والرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك هناك محراب للإمام على عليه السلام الذى استشهد فيه، وضريح مسلم بن عقيل، وفي مسجد السهله - بالقرب من جامع الكوفه - يوجد عدد من المقامات الكريمه - أيضاً - للأنبياء والأئمه، أمثال مقام النبي إدريس عليه السلام ومقام الخضر عليه السلام وكذلك مقام الإمام زين العابدين عليه السلام. ومقام الإمام الصادق عليه السلام. وفي المسجدين الكريمين مقامات عباديه معروفه، وقد ذكرت في كتب الأدعيه والزيارات، الأعمال العباديه الخاصه لهذين المسجدين العظيمين، راجع، الجوهرى، محمد صالح: ضياء الصالحين، أعمال مسجد الكوفه وأعمال مسجد السهله. وكذلك راجع القمى، الشيخ عباس: مفاتيح الجنان، وغيرهما من كتب الأدعيه والزيارات، وهى مطبوعه مراراً. كما وتوجد مقامات للأنبياء عليهم السلام فى كثير من مناطق العراق، فمثلاً فى الموصل هنالك مقام للنبي شيت عليه السلام، وكذلك للنبي يونس عليه السلام.. وتقصد هذه المقامات الكريمه لأداء الصلوات والزيارات.

٢- (٢) الذهبى، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٧٥، قال الطبرى: «فيها - سنه ست عشره - دخل المسلمون مدينه بَهرُ سير (وهى من نواحي سواد بغداد قرب المدائن) وافتتحوا المدائن».

العراق بحماسته المعهودة في بناء صرح الحضاره الإسلاميه، فأقيمت على أرضه عاصمه الإسلام، وأصبحت الكوفه حاضره الإمام على عاصمه الخلافه الإسلاميه، مركز القرار السياسى، كما أصبحت مركز الإشعاع الفكرى والعلمى فى عهده، ولعبت البصره فيما بعد دوراً فكرياً وعلمياً بارزاً، ومن ثم صارت بغداد عاصمه الخلافه العباسيه.

وعرف العراق، بأنه بلد العلم والمعرفه والصراعات الفكرية، إلى جانب كونه بلد الانتفاضات والثورات. وهكذا فإنّ «للعراق دوراً كبيراً فى التاريخ الإسلامى حتى أصبح يمثل الحجم الكبير فى هذا التاريخ، باعتبار أنه البلد الذى عاشت فيه الأحداث الكثيره، التى تركت بصماتها على كل ملامح الأوضاع الإسلاميه اللاحقه فى مختلف بلاد العالم الإسلامى وفى حياه الشعوب الإسلاميه، بحيث لا تجد أى تجمع إسلامى فى انتماءاته المذهبيه أو فى اتجاهاته الفكرية أو فى خطوطه السياسيه إلا وتلاحظ وجود شىء عراقى فى أى جانب من تلك الجوانب، سواءاً أكانت فقهيه أم كلاميه، أم لغويه، أم سياسيه، لأن العراق كان يحمل فى تاريخه اتجاهات التشيع والتسنن، وكما يلتقى الأشاعره والمعتزله، ويواجه الخلاف النحوى بين الكوفيين والبصريين، ويحرك الذاكره التاريخيه الدمويه فى كل الخلافات الداخليه بين المسلمين وفى الإحتلالات الخارجيه المتكرره له» (1)، وكان وسط وجنوب العراق مركز الانتفاضات والثورات المستمره بعد عهد الخلفاء الراشدين، يقول عبد الله النفيسى: «بعد ذلك [بعد شهاده الإمام على عليه السلام] أصبح جنوب العراق مركز ثوره دائمه ومسرحاً لحوادث الاضطهاد المتكرره فى كلال-العهدين الأموى والعباسى. كذلك أصبحت هذه المنطقه محجاً لجميع الحجاج من الشيعه الذين يؤمون المزارات المقدسه حيث فيها جماعه من الأئمه، وبعد غياب الإمام

ص: ٣٩

١- (١) فضل الله، السيد محمد حسين، فى مقدمته لكتاب (تاريخ العراق السياسى المعاصر) للأستاذ حسن شبرج ٢، ص ٧.

الثاني عشر، وبعد أن شاع في أوساط الشيعة أمر رجعتهم، أصبحت الشيعة في جنوب العراق جماعة ثورية ترفض الاعتراف بأى سلطه قائمه» (١).

وسياتى توضيح هذه الأدوار للفترة المخصصة في البحث.

أما من الناحية الجغرافيه، فقد «أخذ العراق شكل حدوده الحاليه إثر تشكيل الحكومه العراقيه المؤقته تحت الانتداب البريطاني عام ١٩٢٠م، ١٣٣٩هـ- وقد تمّ ذلك نتيجة للتوحيد السياسى للمناطق الثلاث التى كانت خاضعه للحكم العثماني قبل التاريخ المذكور، وهى ولايه بغداد، وولايه الموصل، وولايه البصره. وثبتت تلك الحدود رسمياً بعد عام ١٩٢٠م، بفترات مختلفه وبعده اتفاقيات مع الأقطار المجاوره وهى تركيا شمالاً، وإيران شرقاً، وسوريه والأردن غرباً، والكويت والسعوديه جنوباً» (٢). وهذه الحدود للعراق رسمتها الدول الأورويه المنتصره فى الحرب العالميه الأولى، وقد أطلق عليه اعتباراً من تاريخ تنصيب الأمير فيصل ملكاً فى ٢٣/آب/١٩٢١م - ١٩/ذو الحجه/١٣٣٩هـ. اسم (المملكه العراقيه) (٣). «أما قبل ذلك، فقد كان العراق يسمى دولياً بـ(بلاد النهرين التوأمين) أو (وادي الرافدين)، أو (بلاد ما بين النهرين). بينما كان يعرف فى زمن الدوله العثمانيه بـ(اياله بغداد) إلى أن انقسمت تدريجياً إلى ثلاث ولايات» (٤).

وكما أشرنا «العراق الحديث هو النتاج التاريخى لعملية التوحيد السياسى والاقتصادى

ص: ٤٠

- ١- (١) النفيسى، عبد الله، دور الشيعة فى تطور العراق السياسى الحديث، ترجمه دار النهار، بيروت ١٩٧٣م. (بالمقدمه) ص ١١-١٢.
- ٢- (٢) الانصارى، الدكتور فاضل: مشكله السكان، نموذج القطر العراقى، منشورات وزاره الثقافه والإرشاد القومى، دمشق ١٩٨٠، ص ٥.
- ٣- (٣) الرهيمى، عبد الحليم: تاريخ الحركه الإسلاميه فى العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخى، ص ٢٩.
- ٤- (٤) حليم، أحمد: موجز تاريخ العراق الحديث، ١٩٢١-١٩٥٨. دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٨، ص ١٩.

«ويمثل موقع العراق جزءاً من منطقته جنوب غرب آسيا. وتمتد أراضيها بين خطي عرض ٢٩°٥' و ٣٧°٢٢' شمالاً، وبين خطي طول ٣٨°٤٥' - ٤٨°٤٥' شمالاً، وهو بهذا الموقع يشرف من جهة الجنوب على تخوم النطاق الصحراوي الكبير الذي تمثله صحراء شبه الجزيرة العربية في آسيا، كما يتصل من جهة الشمال والشرق بسهوب وسط القارة الآسيوية بين هضبة الأناضول وحياض إيران الجافة» (٢).

أما مساحته العراق فتبلغ ٤٤٠ و ٤٤٤ كيلومتر مربعاً (٣). كما وينقسم سطحه إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: السهل الرسوبي، والهضبة الصحراوية، والمنطقة الجبلية. ويمثل السهل الرسوبي خمس مساحة العراق، تقريباً. ويمتد على شكل مستطيل، بين مدينته بلد على نهر دجلة، ومدينته الرمادي في منطقته التل الأسود على نهر الفرات من جهة الشمال والحدود الإيرانية من جهة الشرق والهضبة الصحراوية من جهة الغرب. وتشكل الزراعة الحرفه الرئيسية في البلد حيث تبلغ مساحه الأراضي القابله للزراعه ثمانين ألف كم ٢ بالرغم من أن المساحة المستثمره للزراعه لا تزيد عن ربع مساحه المنطقه. أما المنطقه الجبلية، فهي تقع في شمال وشمالي شرق العراق وتمتد إلى الحدود المشتركة مع سوريا وتركيا وإيران، وتبلغ مساحه الأراضي الواقعه ضمنها ٣٧٠ و ٩٠ كم ٢، أي خمس المساحه الكليه تقريباً.

وأما المنطقه الصحراويه، فهي تقع في غربى العراق وتحتل حوالى ثلاثة أخماس

ص: ٤١

- ١- (١) نظمي، دكتور وميض جمال عمر: الجذور السياسيه والفكرية والاجتماعيه للحركه القوميه العربيه (الاستقلاليه) في العراق، مركز دراسات الوحده العربيه، سلسله اطروحات الدكتوراه (٥)، طبع بيروت ط ١٩٨٤ م. ص ٣١.
- ٢- (٢) الانصاري، د. فاضل: المرجع السابق، ص ٥.
- ٣- (٣) حلیم، أحمد: المرجع السابق، ص ٢٢.

مساحه العراق تقريباً. أى ٢٧٠٠٠ و ٢٧٠ كم^٢، وتسكنها القبائل البدويه التي تعتمد على رعى الجمال والماشيه (١). ولذلك يمكن تقسيم المناخ إلى ثلاثه أنواع: مناخ البحر المتوسط، مناخ السهوب (استبس)، والمناخ الصحراوي.

وتعتبر الزراعه هى الحرفه الرئيسه لأغلب السكان، نظراً لملائمه الظروف الطبيعيه، فوجود النهرين (دجله والفرات) (٢)، بالإضافة إلى مياه الأمطار، والآبار وكذلك توافر الأراضى الخصبه وتنوع المناخ. كل هذه العوامل تمكّن العراق من الزراعه المتنوعه، وتجعل مهنة الزراعه هى الأ-كثر شيوعاً، أما أشهر المحاصيل الزراعيه فهى: القمح والشعير، الرز، الخضروات، الفواكه، ويتج العراق ٤٥٤ نوعاً من التمور والتي يمكن تمييزها وتصنيفها بصفات وأسماء خاصه (٣). هذا ويلاحظ هنالك تحول باتجاه القطاع الصناعى، كما وأن السكان يزاولون حرفه صيد الأسماك فى مناطق الأهوار والمستنقعات (٤).

ص: ٤٢

١- (١) الانصارى، د. فاضل: المرجع السابق، ص ٦-٨.

٢- (٢) «إن النهرين التوأمن الرئيسيين فى العراق هما دجله والفرات، ويقطعانه من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ويعمرانه بالغنى بما يقضيان به من غرين وطمى، مما يجعل العراق من أخصب أراضى العالم. نهر دجله: وطوله ١٨٤٠ كم يبدأ منبعه من سلسله جبال طوروس الشرقيه، وله منبعان: الجدول الأصيل فى منبعه الأعلى وستة روافد تصب فيه من الجهه الشرقيه، وأهم روافده داخل العراق هما الزابان -الكبير والصغير. نهر الفرات: وطوله ٢٣٥٢ كم يبدأ منبعه الرئيس الأعلى فى سفوح جبال أرارات، وله كذلك منابع أخرى تجتمع عند سهول خربوط لتشكّل نهراً واحداً. وتلتقى بهذا النهر فى سوريا روافد ثلاثه ثم يدخل العراق عند البوكمال ويلتقى بدجله عند القرنه. والنهران التوأمان يلتقيان فى القرنه ليشكّل شط العرب الذى يبلغ طوله ١٨٥ كم، وهو نهر واسع وعمقه كافٍ ليجعل الملاحه فيه ممكنه للسفن الكبرى، وشط العرب يصب فى الخليج العربى قرب البصره». سليمان، حكمت سامى: نطف العراق، دراسه اقتصاديه سياسيه، دار الرشيد للنشر، دار الحريره للطباعه ببغداد ١٤٠٠هـ، ١٩٧٩م، ص ٢٠-٢١.

٣- (٣) حليم، أحمد: المرجع السابق، ص ٢٣.

٤- (٤) تكثّر فى القسم الجنوبي من منطقه السهل الرسوبى، الأهوار والمستنقعات، وذلك بفعل الترسبات التى تحملها

وفى العراق - أيضاً - ثروه معدنيه هائله، فأرض العراق غنيه بالمعادن، ويعتبر النفط من أهم الثروات المعدنيه التى يمتلكها العراق، «وقد تم استخراجها وتصفيته بطرق بدائيه منذ القرن التاسع عشر فى منطقتى مندلى والقياره» (١) قرب منابع النفط. يقول حكمت سامى سليمان: «ويظهر.. أن الشرق الأوسط وخاصه البلدان العربيه التى يخرن الآن فيها ما يقارب من ٦٧٪ من مجموع احتياطى العالم من النفط سوف تمثل ولا شك دوراً بالغ الأهميه فى ميدان الاقتصاد والسياسه الدوليه والاستراتيجيه العسكريه.. وأصبحت أوروبا الغربيه وأمريكا تعتمد كلياً - وأكثر من أى وقت - على موارد النفط فى منطقه الشرق الأوسط إذ يقدر مجموع كميات النفط التى تستوردها أمريكا وأوروبا الغربيه من بلاد هذه المنطقه بحوالى (٨٥) بالمائه من المجموع العام الذى تستورده من ماده النفط من العالم أجمع» (٢).

ص: ٤٣

١- (١) حليم، أحمد: المرجع السابق، ص ٢٤. يقول سليمان: «لقد عرف أهل العراق النفط منذ قديم الزمان، فقد استخرجوا القار من منابعه على مقربه من منابع النفطية واستعملوا مشتقات النفط فى بناء برج بابل وبناء المنازل وتغطيه جدران القنوات والسفن ومخازن الحبوب وفى التدفئه والإناره. ومن الرسوبات المتجمعه فى بلاد ما بين النهرين ظهر الوهج الأحمر الأبدى للغاز الطبيعى الذى اثبت وجود النفط فى أعماق أرض العراق منذ أقدم العصور فى التاريخ». سليمان، حكمت سامى: المرجع السابق، ص ٥.

٢- (٢) سليمان، حكمت سامى: المرجع السابق، ص ١٢، (بالمقدمه). ويصنف النفط المدخر تحت سطح الأرض والمقدر استغلاله والحصول عليه كمايلى:

وبالنتيجة يقول: «إن احتياطي ثروه العراق النفطية تقدر بأكثر من (٣٥٠٠) مليون طن، وهذا المعدل يكون رصيد نبط العراق بمقدار (١١) بالمائه من مجموع احتياطي النفط في العالم» (١). ويضيف سليمان -أيضاً- «..ومن بين الموارد العظيمه الأخرى في العراق اكتشاف حقول الكبريت الممتده بكميات غزيره في بعض المناطق الشماليه والجنوبيه الغربيه من العراق حيث توجد مخلوطه بالأحجار الكلسيه وصخور الجص بنسبه (٣٠) بالمائه تقريباً، ويعتقد أن أهميه الكبريت والفوسفات تأتي بعد النفط في العراق بالنظر لغزارتها وثمرتها المرتفع في الأسواق العالميه» (٢).

سكان العراق

من ناحيه البنيه القوميه للسكان فهم عرب بالأغلبيه، ومن خلال النظره إلى نسبتهم إلى مجموع السكان للأعوام ١٩١٩م، ١٣٣٨هـ- و١٩٤٧م، ١٣٦٧هـ- و١٩٥٧م، ١٣٧٧هـ-. نلاحظ بأنها تقترب من أربعه أخماس سكان العراق.

ص: ٤٤

١- (١) سليمان، حكمت سامى: المرجع ذاته، ص ٢٣.

٢- (٢) المرجع نفسه، ص ٩.

جدول رقم (١)

البنية القومية للسكان (١)

ويذكر أن نتيجة الإحصاء الأول للحكومة في العهد الملكي عام ١٩٢٧م هو ٢ و٩٧٠ و٠٠٠ نسمة، بينما وصلت نتيجة الإحصاء الثاني عام ١٩٥٣ إلى ٣ و٢١٠ و٠٠٠ نسمة (٢).

ص: ٤٥

-
- ١- (١) الأنصاري، د. فاضل مرجع سابق، ص ٢١-٢٢. وقد صححنا المجموع لعام ١٩١٩م، واعتبرنا الخطأ من الأخطاء المطبعية.
 - ٢- (٢) التميمي، د. خالد: محمد جعفر أبو التمن، دراسته في الزعامه السياسيه العراقيه، مرجع سابق ص ١٧.

«وأما (السير ايرنست دوسن (Sir Ernest Dowson)الذى تعتبر نتائجه من أكثر التقديرات صحة قبل عام ١٩٤٧م [يؤكد على أن] المجموع الكلى للسكان مقداره ٢٠٠٠ و٨٠٠ و٠٠٠ نسمة لعام ١٩٣٠م» (١).

ويذكر المؤرخون عدد نفوس العراقيين فى عام ١٩٢١ م، ١٣٤٠هـ- بلغ ٢٧٥٠ و٠٠٠ نسمة وفى عام ١٩٣٧ م، ١٣٥٧هـ- بلغ ٣٩٤٠ و٠٠٠ نسمة، وفى عام ١٩٥٧ م، ١٣٧٧هـ- بلغ ٦٤٩٦ و٠٠٠ نسمة، وقد بلغ تعداد السكان عام (١٩٧٠م-١٣٩١هـ-) حوالى ٩٤٤٠ و٠٠٠ نسمة (٢). وفى مطلع الثمانينات بلغ عدد السكان ١٤ مليون نسمة (٣).

ويعتبر الأكراد ثانى مجموعه قوميه بعد العرب من حيث عدد السكان، والتركمان ثالث مجموعه كما هو مبين فى الجدول.

ويتركز الوجود العربى فى المحافظات الوسطى والجنوبيه، فتزيد نسبتهم فيها على ٩٥٪ من مجموع السكان، بينما تنخفض هذه النسبه فى المحافظات الشماليه، فتصل فى محافظه الموصل إلى ٥٠٪ تقريباً، وفى كركوك إلى ٣٦٪، وأربيل إلى ٢٨٪ والسليمانيه إلى ٣٪ من مجموع السكان.

أما منطقه انتشار الأكراد فى العراق، فهى المثلث الشمالى الشرقى بجوار الحدود الإيرانيه، بما يشمل معظم حيز المحافظات الشماليه من العراق. وتكون نسبتهم فى

ص: ٤٦

١- (١) المرجع ذاته، ص ١٧.

٢- (٢) حلیم أحمد: مرجع سابق، ص ٢٢. ويذكر أيضاً أن التاريخ يحدثنا عن عدد نفوس العراق فى فتره العهد العباسى قد بلغ ٣٥ مليون نسمة، بل فى عهد الخليفه العباسى هارون الرشيد بلغ أربعين مليون نسمة، إلا أن الدكتور فاضل الأنصارى يعتبر هذه الأرقام مبالغ بها. راجع الأنصارى، د. فاضل: المرجع السابق، ص ٤١-٤٢.

٣- (٣) الحرکه الإسلاميه فى العراق، دراسه موضوعيه عن الماضى والحاضر والمستقبل، مؤسسسه الجهاد، بيروت -لبنان ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٢٤.

محافظة السليمانية ٣٨٪ من مجموع أكراد العراق، وفي محافظة أربيل ٣٤٪ من أكراد العراق وفي محافظة دهوك ١٢٪ من مجموع أكراد العراق، وفي محافظة التأميم (كر كوك) ١٠٪ من مجموع أكراد العراق، وفي محافظة نينوى (الموصل) حوالي ٣٪ من مجموع أكراد العراق وينتشر حوالي ٣٪ في المحافظات الوسطى من العراق، منهم ٣٪ في محافظة ديالى و ١٪ في محافظة بغداد.

وعلى أساس تقدير معدلات الزيادة الطبيعية، يتوقع أن تقترب أعداد الأكراد - آنذاك - إلى مليونى نسمة. أما التركمان فينتشرون في الحدود الفاصلة بين الأكراد والعرب. وتمتد على طول خط يبدأ من الشمال الشرقى في منطقته تل عقره في محافظة نينوى، إلى الجنوب الشرقى في مندلى من محافظة ديالى، ماراً بمحاذاة أو قرب ساحل نهر دجلة الشرقى. ويتوقع أن تكون أعدادهم حوالي ربع مليون نسمة. بالإضافة إلى ذلك هناك أقليات قومية ودينية صغيرة.. أخرى مثل: الكلدان، الآشوريون، اليزيدون، الصابئة.

وقد بلغ عدد اليزيديين في عام ١٩٦٥م، ١٣٨٦هـ- ما مجموعه (٦٩٦٦٥) نسمة، بعد أن كان عددهم عام ١٩٥٧م ما مجموعه (٥٥٦٩٠) نسمة، وتعيش الغالبية العظمى من اليزيديين في محافظة نينوى، حيث تصل نسبتهم إلى حوالي ٩٥٪ من مجموع يزيدي العراق. وهؤلاء يتركزون في قضاء سنجار (٩٣٨ و٤٤) نسمة، وقضاء الشيخان (١٤٦٣٩) نسمة (١). أما «الآشوريون فهم غير الآشوريين الساميين القدماء، وقد هاجروا إلى العراق، من منطقته الأناضول سنة ١٩١٨م، [١٣٣٧هـ-] بمساعدته الإنكليز بعد القتال الدامى بينهم وبين الأكراد هناك. وقد أسكنوا في البدايه في منطقته خانقين وبعقوبه، ثم نقل منهم ما يقرب من (١١) ألف نسمة إلى الشمال في مندان من محافظة نينوى. حيث أعطوا أراضي زراعيه، وما بقى منهم وعددهم ٦٠٠٠ نسمة تقريباً، استخدموا عمالاً في جيش المرتزقه الذى

ص: ٤٧

شكّله البريطانيون في عهد انتدابهم للعراق. يتكلم الآشوريون اللغه السريانيه الآراميه التي خرجوا فيها بعض الألفاظ الأرمنيه والتركيه والكرديه.. لم يجر حتى الآن تعداد رسمي للآشوريين في العراق ويقدر زعماءؤهم نفوسهم بـ(٧٠-٨٠) ألف نسمة، وهم اليوم منتشرون في محافظتي نينوى وأربيل، إضافة إلى أن أعداداً منهم تشتغل في شركات النفط في محافظه التأميم (كر كوك) أو تعمل في بغداد.

ويختلط بالآشوريين اختلاطاً شديداً، (الكلدان والسريان) بحكم اللغه السريانيه الآراميه التي يتكلمون بها. وبحكم العقيدته النسطوريه التي يؤمن بها السريان، وهي عقيدته غالبية الآشوريين. ولذلك تدمج الإحصاءات العراقيه أعدادهم ضمن الآشوريين، ويرجع الكلدان والسريان أصلهم إلى سكان العراق القدماء من الآشوريين والآراميين ويتشرون عموماً في محافظه نينوى ومركزها مدينه الموصل. [أما الفرس] يرجع استيطان قسم من الفرس إلى عهد استيلاء الدوله الصفويه على العراق في ١٥٠٧م، [٥٩١٤-]، ومعظم هؤلاء اندمجوا بالسكان المحليين الآخرين، وهم ينتشرون بشكل غير مميز تماماً في المدن العراقيه الدينيه في محافظتي النجف وكربلاء، كما يوجد قسم منهم في محافظه نينوى.. وأما من ناحيه عدد الفرس، فقد أشار تعداد عام ١٩٦٥م، [٥١٣٨٦-] إلى أن مجموع الإيرانيين في العراق هو ٤٠٠٩ و٤٠٠٩ نسمة. وبالإضافه إلى هذه الجماعات يوجد عدد قليل من الأرمن لا يتجاوز (١٥) ألف نسمة. وعدد أقل من الشركسه، وهجره هاتين الجماعتين المذكورتين إلى العراق تّمت بعد الحرب العالميه الأولى، وهم موزعون في مناطق متفرقه من شمال العراق وفي مدن بغداد والموصل وكر كوك» (١). أما من

ص: ٤٨

١- (١) الأنصاري، فاضل: المرجع السابق، ص ٢٦-٢٨. و«النسطوريه نسبه إلى الكنيسه التي أسسها أسقف القسطنطينيه (نسطور) في أوائل القرن الرابع الميلادي.. وقد أخذ السريان الفرس تعاليم نسطور باللغه السريانيه مما ساعد على توحيد أركانها في الشرق بكيان الكلدان وبقايا الآشوريين في العراق». المرجع ذاته، هامش ص ٢٧.

الناحية الدينية، فالإسلام هو دين الشعب العراقي عموماً، بعربه وكرده وأقلياته القومية الأخرى. ويدين بالمسيحية قلة من العرب، إضافة إلى الكلدان والسريان والأرمن والآثوريين، وحسب «البيانات الرسمية التي سجلتها التعدادات العامه للسكان عن البنية الدينية لهم حتى ١٩٦٥م [١٣٨٦هـ-]، يظهر أن الغالبية العظمى من السكان هي من المسلمين ويشكلون حوالي ٩٥٪ من المجموع، ويليهم في ذلك المسيحيون ٣٪ من مجموع السكان ثم بقيه الديانات التي يعتنقها حوالي ٢٪ من مجموع السكان» (١).

«وبالإضافة إلى الديانة الإسلامية والمسيحية واليهودية واليزيدية، توجد في العراق ديانات أخرى كالصابئة والبهائية والبابية، غير أن حجم السكان الذين يدينون بهذه العقائد صغير جداً بالنسبة لبقية الأديان. ويدين بالصابئة جماعه صغيره لا يتجاوز عدد أفرادها (١٥) ألف نسمة، أي ١٧ و٠٪ من مجموع سكان العراق،..أما البهائية فتدين بها جماعات صغيره جداً لا تتجاوز ألف نسمة» (٢).

ص: ٤٩

١- (١) الأنصاري، د. فاضل: المرجع السابق، ص ٢٩.

٢- (٢) المرجع نفسه، ص ٣٣.

البنية الدينية لسكان العراق من عام ١٩٣٢-١٩٦٥م (بالآلاف) (١)

ومن المفيد أن نتعرف على كل شيء من التكوين الديني - الطائفي و(الأثني) العرقي لسكان العراق، ونحن ما زلنا في ذكر الأديان لسكان العراق. والجدول أدناه يبين لنا ذلك لسنة ١٩٤٧م. وهو يعكس لنا النسب التقريبيه للتكوين الديني والعراقي لما بعد هذه السنة (٢).

ص: ٥٠

١- (١) المرجع نفسه، ص ٣٠، وقد صححنا المجموع لعام ١٩٣٢ وكذلك المجموع لعام ١٩٥٧، معتبرين ذلك من الأخطاء المطبعية.

٢- (٢) (لم تحتوِ البيانات التي نشرت عن التعداد العام لسنة ١٩٧٧م أيه إشاره للتصنيف الديني للسكان). الأنصاري، د. فاضل: المرجع ذاته، ص ٢٩ بالهامش.

جدول رقم (٣)

التكوين الديني الاتني (العرقى) لسكان العراق سنة ١٩٤٧م، تقدير تقريبي (بالآلاف)

ص: ٥١

٢. تطور السياسه العثمانيه - داخلياً وخارجياً - (نظره عامه)

إن الدوله العثمانيه استطاعت أن تصد الخطر الصليبي لفترات طويله بالقوه. إلا أنها ما استطاعت أن تبلور وعياً ثقافياً إسلامياً يمدّ هذا التصدى - باستمرار - عزمه وإصراراً، بتمكين أدوات الصراع الميداني في الأمه، وبالتالي لكسب الغلبه على الأعداء دوماً، وظهر جلياً في أيام ضعفها بالمراحل الأخيره. يقول أبو الحسن الندوى:

«كان العالم الإسلامي، من شرقه إلى غربه مصاباً بالجذب العلمى، وشبه شلل فكرى، قد أخذه الإعياء والفتور، واستولى عليه النعاس.. وترى هذا الخمود شاملاً للعلوم الدينيه والفنون الأدبيه والمعانى الشعريه، والإنشاء والتاريخ ومناهج التعليم، فلا تجد فى كتاب التراجم التى ألفت للعصور الأخيره من تطلق عليه لقب العبقرى أو النابغه.. إذا استثنينا بعض الأفراد فى أطراف العالم الإسلامى» (١).

وشمل الخمول والتراجع مجالات العلوم والصناعات الحديثه، فمثلاً:

«لم تدخل المطابع فى العاصمه والمحاجر الصحيه فى هذه الدوله إلا فى القرن الثامن عشر، وكذلك مدارس الفنون الحريه على النسق الأوروبى، وفى آخر هذا القرن كانت تركيا بمعزل عن

ص: ٥٣

١- (١) الندوى، أبو حسن: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٢هـ، -١٩٨٢م، ط ٧، ص ١٥١.

الصناعات والاكتشافات، حتى لَمَّا شاهدوا بالوناً يعلّق فوق العاصمه ظنوه من أعمال السحر والكيمياء. قد سبقتها دول أوروبا الصغيره فى الأخذ بأسباب المدينه والرفاه العام..» (١).

هذا، والذى يمكن أن نشير إليه ضمن بيان حاله السياسه العامه للدوله العثمانيه على مستوى الداخل هو وصول الدوله إلى درجه التآكل والضعف فى نهايه المطاف، هذه الحاله تزامنت مع ظهور أوروبا المتئمّره على مسرح الأحداث الدوليه ضد الدوله العثمانيه من الخارج فتمّ تطويقها تطويق السوار الحديدي بالمعصم، وبالفعل أصبحت الدوله العثمانيه بين كمّاشتين خطيرتين، إحداهما داخلية تمثلت بجمعيه الاتحاد والترقى وانعكاسات سياستها على الشعوب الإسلاميه. والثانيه خارجيه من الدول الأجنبيه التى استنفرت قواها لاختراق الكيان الإسلامى العثمانى حكومه وشعوباً، بل لافتراسه وتوزيع تركته الهائله. ولا بد أن نشير أيضاً - ونحن فى صدد تبيان الخطر الداخلى المتمثل فى ثوره الاتحاديين - إلى دور أعداء الإسلام والدوله العثمانيه من دعاه القوميه التركيه ومن ثم القوميه العربيه، التى نشأت رداً على الطورانيه، وبتحريض منسق من الاستعمار واليهود بالتحديد، حيث تلاقت أهداف أعداء الشريعه الإسلاميه، وأعداء الدوله العثمانيه، فى داخلها وخارجها لوضع خطط سياسيه محكمه لغرض إنهاء وجود الدوله العثمانيه من قبل دعاه القوميه التركيه، وكذلك لترويج فكره القوميه العربيه ودعمها بشتى الوسائل لتنال الدول العربيه استقلالها عن الدوله العثمانيه، ومن ثمّ ستسقط أسيره فى شراك الدوائر الإستكباريه تحت بريق التحرر والثوره!! وذلك لضعفها وتجزأتها، وبالفعل هذا هو الذى حصل بالنتيجه. يقول محمد على الزعبي:

ص: ٥٤

١- (١) المرجع ذاته، ص ١٥٤. للمزيد من المعلومات راجع الفصل الثالث من المرجع ذاته (دور القياده العثمانيه). ص ١٤٤-١٥٥.

«الدونمه (١)»، هم ماسون تركيا المستترون باسم اتحاد وترق، وإن خدع بعض الأتراك.. أسسوا حزب (تركيا الفتاه) ليدفعوا العرب لتأسيس (العربيه الفتاه) تنفيذاً للمخطط اليهودى الدونموى الذى يرى شطر السلطنه التركيه إلى قوميه عربيه وقوميه تركيه، يراه مدخلاً أو طريقاً لا بد من تعبيده ليسلكه إسرائيل تحقيقاً لمخططاته المعلومه، ينتطح القوميتان ويهدمان برجاً يعجزان عن إعادته بنائه. وتفوز اليهوديه بالأسلاب» (٢).

فمن هنا كانت الصهيونيه تشخص مصدر العداة الحقيقى لوجودها ولطموحاتها فى دوله الخلافه العثمانيه، فإنها العقبه الكأداء أمام مشروعها الاستيلائى فى المنطقه. فلذلك كانت محاولاتها الحثيثة مستمره، وضغوطها غير متوقفه أبداً نحو السلطان عبد الحميد الثانى، وبشتى الإغراءات، لتنال أبرز أحلامها فى إقامه دولتها فى فلسطين. وحينما اصطدمت بموقف السلطان قررت تصفيته، وبذلك: «تحققت اليهوديه المستتره بالدونمه والماسونيه، والاتحاد والترقى، أن السلاطين والقيصره عشره فى طريق القفزه شطر فلسطين، حيث السلاطين يمثلون الخلافه الإسلاميه» (٣).

يقول الدكتور حسان حلاق:

ص: ٥٥

١- (١) (الدونمه) كلمه تركيه تعنى مرتداً، ملحداً، زنديقاً، كافراً... وهم يهود يزعمون الإسلام كذباً، يعيشون بوجهين: يصلون ويصومون ويحجون كالمسلمين، ويقرؤون التلمود والعهد القديم أيضاً، أسماؤهم فى أوكارهم: عزرا، وشمعون، وحاييم، وفى السوق والوظيفه: أحمد ومحمد وحسين وزينب وعائشه. يقول ابن زفى (مؤلف كتاب الدونمه، الصادر عام ١٩٥٧ وهو الرئيس السابق لإسرائيل): «إن يهوداً كثيرين وكثيرين جداً يعيشون بين الشعوب بطبيعتين: إحداهما ظاهره وهى اعتناق دين الشعب الذى يعيشون فى وسطه اعتناقاً جماعياً وظاهرياً. والثانيه باطنه وهى إخلاص عميق لليهوديه». للتفاصيل راجع الزعبي، محمد على: الماسونيه فى العراق، طبع سنه ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م - لم يذكر مكان الطبع - ص ٢١٨ وما بعدها.

٢- (٢) الزعبي، محمد على: المرجع نفسه، ص ٢٢.

٣- (٣) الزعبي، محمد على: المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

«وكان ثمن موافقه (السلطان عبد الحميد الثاني) المعاديه للصهيونيه تحالف القوى الدوليه والصهيونيه والماسونيه للقيام بثوره ١٩٠٨م، ١٣٢٦هـ-، وتديره مؤامره لخلعه عن العرش عام ١٩٠٩م، ١٣٢٧هـ» (١).

وهكذا «لم تكتفِ جمعيه الاتحاد الترقى بإعلان المشروطيه (الدستور) بل قررت خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ومهدت لذلك بنشر عدد من البيانات خلال عام ١٩٠٨م، ١٣٢٦هـ- تحرّض الجنود العثمانيين على الثوره وخلق السلطان» (٢). وهكذا حينما أعلن الدستور سنه ١٩٠٨م، ١٣٢٦هـ- تبينت الأهداف الحقيقيه للاتحاديين، فبعد أن كان العرب ينظرون إلى الدوله العثمانيه باعتبارها دوله المسلمين كافه، أخذوا ينظرون إليها نظره أحاديه ضيقه، لأن الاتحاديين أرادوها دوله للعنصر التركي فقط. فكانت السياسه التي أعلنتها الحكومه العثمانيه بعد صدوره (الدستور) أثارت النفور بين العرب والترك» (٣).

يقول الدكتور محمد عماره:

«وبعد أن استولى الاتحاديون على السلطه فى الدوله العثمانيه، واتسمت سياسه المركزيه والتريكيه بالعنف والقسوه تكونت فى مواجهه هذه النزعه الطورانيه أهم جمعيتين عربيتين (جمعيه العربيه الفتاه) التي تأسست بباريس سنه ١٩١١م، ١٣٢٩هـ-، ثم نقلت مركزها إلى بيروت سنه ١٩١٣م، ١٣٣١هـ- ثم إلى دمشق فى العام التالى.. لقد غلب الطابع الإسلامى على عضويه هذه

ص: ٥٦

١- (١) حلاق، د. حسان: دور اليهود والقوى الدوليه فى خلع السلطان عبد الحميد الثانى عن العرش، ١٩٠٨-١٩٠٩م، بيروت الدار الجامعيه ص ٢٢. للتفاصيل راجع: السلطان عبد الحميد الثانى: مذكراتى السياسيه ١٨١٩-١٩٠٨م، طبع بيروت ط ٢، ١٣٩٩هـ-، ١٩٧٩م، ص ٣٧، رساله السلطان بخطه إلى الشيخ محمود أبى الشامات حول أسباب خلعه عن الحكم.

٢- (٢) حلاق، د. حسان: المرجع ذاته، ص ١٣١.

٣- (٣) السعيد، نورى: مذكرات عن الحركات العسكريه للجيش العربى فى الحجاز وسوريا ١٩١٦م-١٩١٨م، ص ٢٠.

الجمعيه التي سعت إلى استقلال البلاد العربيه، وتحريرها من الحكم التركي، وأيه سيطره أجنبيه أخرى. أما الجمعيه الثانيه فهي (جمعيه العهد) التي كونها الضابط عزيز على المصري أوائل سنه ١٩١٤م، ١٣٣٢هـ-، والتي كانت بالنسبه للضباط العرب في الجيش العثماني بمشابهه العربيه الفتاه للمدنيين. وفي سنه ١٩١٥م، ١٣٣٣هـ-، تمّ الاتصال بين (العربيه الفتاه) و(العهد) بدمشق، فتوحدت خططها واجتمعت مواردها استعداداً للثوره العربيه على الأتراك الذين كانوا قد دخلوا الحرب العالميه الأولى في جانب الألمان ضد الحلفاء..».

ويضيف الدكتور عماره بقوله:

«لكن هذه المسيره القوميه العربيه التي انخرط فيها عرب المشرق، لم تؤت الثمره المرجوّه.. ولعل القدر يسخر عندما جعل إجهاض مشروعاتها العربيه بفضل الغرب والتركي معاً، رغم أنهم كانوا أعداءً متحاربين. فالأ-تراك قد أعدموا أبرز قيادات الجمعيات القوميه العربيه، الأمر الذي جعل هذه الجمعيات تسلم زمام أمرها لقائد من خارج صفوفها هو الشريف حسين بن علي (١٨٥٦-١٩٣١م) الذي وإن لم ينقصه الطموح والحس القومي إلاّ- أنّ ثقته في (الشرف) الإنجليزي قد أدت إلى المأساه التي تمخضت عنها الحرب العالميه الأولى بالمشرق.. فمقابل وعود تميزت بالغموض في كثير من جوانبها، أعلن الشريف من الحجاز ثوره العرب ضد الأ-تراك في ٥ يونيو (حزيران) سنه ١٩١٦م [الموافق للخامس من شهر رمضان ١٣٣٤هـ-].. على حين كان الإنجليز والفرنسيون والروس قد تبادلوا - سراً - قبل ذلك بشهر واحد في ٩/مايو، المذكرات حول معاهده (ساييس - بيكو) التي اقتسموا بها المشرق العربي. وبانتهاء الحرب أعلنت المأساه.. فلسطين والعراق احتلها الإنكليز.. وسوريا ولبنان احتلها الفرنسيون، وانتهى المطاف بالشريف حسين ملكاً سابقاً يعيش في قبرص منفياً» (١).

ص: ٥٧

١- (١) عماره، د. محمد: القوميه العربيه والإسلام، بحوث ومناقشات الندوه الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربيه، طبع بيروت ١٩٨١م، الفصل الرابع، ص ١٦٤-١٦٥.

كانت هذه النظرة عامه عن تطور العامل الداخلي، أما العامل الخارجي المتلخص في محاولات تدخل الدول الأجنبية الطامعه في شؤون بلاد المسلمين، فقد كان هذا العامل في بدايه أمره تحت ذريعه حمايه حقوق المسيحيين في الدوله العثمانيه، إلا أنه سرعان ما اتضحت أهدافهم الاستعماريه. يقول محمد فريد بك:

«يرى القارئ تعصب الدول لحمايه المسيحيين بالدوله (العثمانيه)، مع أنه لو تدخلت الدوله (العثمانيه) في شؤون إحداها وطلبت من فرنسا مثلاً، عدم التعرض لما يمس الأمه الإسلاميه بالجزائر، أو مساواه المسلمين بها بالمسيحيين واليهود، لشدّدوا النكير عليها ورموها بالتعصب الديني، المتصفين هم به دون غيرهم. ولكن هي القوه، قضى التمدن الغربى الحديث أن تسود على كل حق تحت رايه الإنسانيه والمساواه، وما هي إلا ألفاظ لا معانى لها إلا فيما يلائم مصالحهم» (١).

وذلك بدليل أن الدول الأورويه المتحالفه، حينما لمست حاله الضعف في الدوله العثمانيه أواخر عهدها، بدأت سلسله من الاجتماعات والاتفاقيات فيما بينها ظاهرها مصالح إنسانيه معينه، كتحسين أحوال النصارى في الدوله العثمانيه، وإجراء إصلاحات في البوسنه والهرسك، إلا أنها تضمّر نوايا استعماريه، ظهرت على السطح فيما بعد. فمثلاً (بروتوكول) لندن (٢) الذى تمّ فيما بين الدول المتحالفه ضد الدوله العثمانيه بتاريخ ٣١ مارس (آذار) ١٨٧٧م، ١٧ ربيع الأول ١٢٩٤هـ، وقد كانت هذه الدول المتحالفه تتقاسم الأدوار على ضوء مصالحها في المنطقه، وبالرغم من وجود حاله التنافس الاستعماري فيما بينها، إلا أنها تتفق في جامع مشترك واحد، ألا وهو القضاء

ص: ٥٨

١- (١) فريد، محمد: تاريخ الدوله العليه العثمانيه، القايره ١٨٩٣م، ١٣١١هـ، ص ٤١٦.

٢- (٢) للمزيد من الاطلاع راجع: فريد، محمد: المرجع ذاته، ص ٤١٤ وما بعدها، (ترجمه لائحته لندن وإعلان الحرب).

على الدوله العثمانيه واستغلال ثروات المسلمين، واستعمار بلدانهم وشعوبهم. وقد تم هذا الاجتماع بتجاوز الدوله العثمانيه وكأنها غير معينه ببلادها!! فما دعيت للمشاركة في المذكرات والحوار، إنما أُبلغ الباب العالي بنتائج المؤتمر العلنيه. وما كان من الباب العالي إلا أن يرد على لائحته لندن بما يتناسب مع عزه الإسلام والمسلمين، وقد أُبلغ الرد إلى سفراء الدوله العثمانيه في أوروبا، إلا أن المؤامرات والفتن كانت متسارعه كقطع الليل المظلم، تستهدف تمزيق وحدته المسلمين، فقد «كان سعى أوروبا الاستعماريه للإجهاز على هذه الدوله التي تحتفظ بذلك الرمز الذي أرق الغرب تاريخياً، ولا زال يؤرقه. وهو وحده الشرق والغرب تحت أعلام الخلافه والإسلام، ولقد تظافر بروز هذين العاملين، الداخلي والخارجي، فزاد من ضعف العثمانيين حتى إذا الجدار الذي مثلوه أمام الغرب لعدده قرون مليئاً بالثغرات.. ولقد كانت الامتيازات الأجنبية التي منحها السلاطين العثمانيون (للدول الأوروبيه)، واحده من صور التسلل الاستعماري إلى (مناطق المسلمين). و(بالنتيجه) تزايد النفوذ الاستعماري حتى أُجبرت الدوله العثمانيه على التنازل عن العديد من ولاياتها، بعد أن تحول النفوذ الاستعماري فيها إلى احتلال سافر وغاشم، ففي فتره لم تتجاوز الأربعين عاماً، ومنذ اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢-١٩١٨م)، [١٢٥٨-١٣٣٦هـ-] زمام السلطه في سنه (١٨٧٦-١٩٠٩م)، [١٢٩٣-١٣٢٧هـ-] وحتى اندلاع الحرب العالميه الأولى ١٩١٤م [١٣٣٢هـ-] أُجبرت الدوله العثمانيه على أن تتنازل - رسمياً أو واقعياً - لروسيا القيصريه عن عدد من المقاطعات الغنيه في آسيا الصغرى، ولبريطانيا عن قبرص ومصر - ومن قبل ذلك عن عدن-، ولفرنسا عن تونس والمغرب - ومن قبل ذلك الجزائر - ولإيطاليا عن ليبيا، وللنمسا عن البوسنه والهرسك..» (١).

وتستمر أطماع الدول الأوروبيه وكأنها الوحوش الكاسره تترقب فرص الضعف، لتنهش جسد الأمة بمخالبتها وأنيابها ما استطاعت إلى ذلك من حيله وقوه،

ص: ٥٩

تحت شعارات مناسبة للمرحلة تمهّد للانقضاء التام على الدولة التي تحمل اسم الإسلام.

ومع كل ذلك، بقيت السلطنة العثمانية محافظة على الموقف المبدئي اتجاه اليهود ومسأله استيطانهم في فلسطين، رغم الترويض الدولي الذي مورس بحقها في ظروف الضعف الداخلي. فمن «المعروف أنه في عام (١٨٩٧م، ١٣١٥هـ-)، اجتمع مؤتمر (بال) وقرر اختيار فلسطين لإقامه الوطن القومي اليهودي، وتحدد أمر الاتصال بالسلطان والدولة العثمانية. ومن ثم بدأت المعركة الخفيه بين السلطان واليهود، وخاصة بعد أن تبين لهم إصرار السلطان عبد الحميد في فتره حكمه (١٨٧٦-١٩٠٩م)، على عدم التسليم لهم بأى مطمع في فلسطين» (١). ثم أفصح السلطان عن رأيه القاطع بقوله: «أنصح للدكتور (هرتزل) أن لا يسير أبداً في هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لى بل لشعبي، ولقد حصل شعبي على هذه الدولة بإرافه الدماء، وقد غذاها بدمائه، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا. ليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا ما قسمت الدولة فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون قتال.. إننا لن نقسم إلاّ جثثاً، ولن اقبل بتشريح أجسادنا لأى غرض كان. يونيو ١٨٩٦م [١٣١٤هـ-]. ولما توالى النذر، أصدر السلطان في يونيو ١٨٩٨م [١٣١٦هـ-] أمراً بمنع اليهود الأجانب من دخول فلسطين دون تمييز بين جنسياتهم» (٢). وبالفعل «يعتبر هذا الموقف ذروه المعارضه العثمانية للاستيطان اليهودي في فلسطين» (٣). وبالمقابل، استمرت المحاولات الصهيونية بالضغط على السلطان دون ملل. فقد جاء هرتزل، زعيم الحركة الصهيونية

ص: ٦٠

-
- ١- (١) الجندى، أنور: السلطان عبد الحميد والخلافه الإسلاميه، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، ص ٩٨.
 - ٢- (٢) الجندى، أنور: المرجع ذاته، ص ١٠٢، ١٠٤.
 - ٣- (٣) حلاق، د. حسان: المرجع السابق، ص ٢١.

ب- «مشروع جديد يتضمن مغريات ماليه مضاعفه، فعرض إقراض الدوله العثمانيه مبلغ عشرين مليون جنيه إسترليني، لا تعيدها مطلقاً، وإنما تحسمها من رسم الضرائب التي تفرض على المهاجرين اليهود إلى فلسطين بمعدل مئه ألف جنيه إسترليني في السنه الأولى. ثم تزداد إلى مليون جنيه سنوياً، وتتصاعد الضرائب كلما تضاعفت الهجره، ومقابل هذا القرض يسمح جلالته بالامتيازات التاليه: (الهجره اليهوديه إلى فلسطين التي لا تكون فقط غير محدوده، بل أيضاً تشجعها الحكومه السلطانيه بكل وسيله ممكنه، ويعطى المهاجرون اليهود الاستقلال الذاتى المضمون فى القانون الدولى، فى الدستور والحكومه وإداره العمل فى الأرض التي تقرر لهم، فلسطين كدوله شبه مستقله). ولكن السلطان العثماني رفض هذا العرض الصهيونى، وفضل القروض الأورويه رغم سيئاتها، وذلك للحيلوله دون خضوع الدوله العثمانيه للضغوط الماليه الصهيونيه» (1). وبتطور هذه الأحداث، تفاعلت الحاله الإسلاميه داخل الأمه، ووقف السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٤٢-١٩١٨م/١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ-) إلى جانب فكره تكوين الجامعيه الإسلاميه، لتتوحد كلمه الشعوب الإسلاميه إلى جانبه ضد الخطر الأوروبى الغازى، «ولقد لقيت صيحه استجابته فى خارج الدوله العثمانيه - بوصفه زعيماً للعالم الإسلامى كله، وليس للدوله العثمانيه وحدها - والتف حوله العرب المسلمون والفرس والترک لتعزيد الخلافه، وللذود عنها دون قيد أو شرط. وكان من أخطر هذه الإنجازات تصفيه موقف الخلاف بين تركيا وفارس، وبين السنه والشيعة، ومن كلماته فى هذا الصدد: «إن السمّ القديم يجب ألا يسرى فى جسد آسيا القوى، وعلى السّتين والشيعة أن يتحدوا لمقاومه أوروبا فى محاولتها قهر العالم». وقوله: «يجب ألا ندع الغرب يبهزنا فإن الخلاص ليس فى المديته الأورويه وحدها»، «إن تركيا هى نافذه الإسلام التي سيشع

ص: ٦١

١- (١) حلاق، د. حسان: المرجع ذاته، ص ٢٢. نقلاً عن يوميات هرتزل، ٢٥ آب (أغسطس) ١٨٩٦، ص ٤٥٧ (الترجمه العربيه، ص ٤٥).

منها النور الجديد» (١). وبالفعل بدأ السلطان بتنفيذ قرار مد خط حديدي إلى مكة المكرمة في عام ١٩٠٨م، كجزء من خطه الجامعه الإسلاميه لمساعدته آلاف المسلمين على أداء فريضة الحج، وكذلك لتيسير عمليه التنقل للدعاه والمبشرين المسلمين إلى هذه المسافات البعيده، وقد نهض بالمشروع في حماسه بالغه، وحشد له كل ما استطاع من جهد مادي وبشري حتى تم إنجازه بسرعه خارقه، وبدون أى عون من أوروبا. وقد أشار تقرير السفير البريطاني لدى الباب العالي سنة ١٩٠٧م، ١٣٢٥هـ-، إلى هذا الخطر بقوله: «يمكننا أن نقرر، أن أهم حوادث السنوات العشر الأخيره على الأقل (١٨٩٧-١٩٠٧م / ١٣١٥-١٣٢٥هـ) خطه السلطان الباهره التي استطاع أن يظهر بها أمام ٣٠٠ مليون مسلماً في ثوب الخليفه الذي هو الرئيس الروحي في الدين الإسلامى، وإن يقيم لهم البرهان على قوه شعوره الدينى وغيرته الدينيه ببناء سكه حديد الحجاز، ونتيجة لهذه السياسه فقد أصبح حائزاً على خضوع رعاياه له خضوعاً أعمى» (٢).

وهكذا نتلمس - من خلال هذه النظرة العامه - محاولات إصلاحيه، بذلها المصلحون العثمانيون على المستوى الإدارى والسياسى، لغرض تطوير أوضاع الدوله العثمانيه، إلا أن الأزمات الاقتصاديه والسياسيه التي حلت بالدوله ما كانت تنفعها تلك الإصلاحات المتأخره، وإن نجحت - نسبياً - على المستوى العاطفى العام، ولكن بالمقابل رافقتها عمليه النمو السريع فى الحركه الدستوريه التي أخذت تسيطر على القرار السياسى للدوله وقد بانَّ ضعفها. كل ذلك حال دون التوفيق لمواصله مسيره الإصلاح الداخلى. وحينما استلمت جمعيه الاتحاد والترقى زمام الحكم بثورتها عام (١٩٠٨م - ١٣٢٦هـ-)، نفذت مآرب الاستعمار ضد الدوله العثمانيه، وكافه المسلمين، مستفيدين من الأجواء المتخلفه التي كانت سائده فى الأمه بشكل عام - آنذاك-.

ص: ٦٢

١- (١) الجندى، أنور: المرجع السابق، ص ٩٩، ١٠١.

٢- (٢) الجندى، أنور: المرجع نفسه، ص ١٠٢.

اشاره

إن المعرفة التاريخيه لمجمل الأوضاع، توفر حاله من الفهم والاستيعاب لتطور الأحداث وتناميها على الساحة - فيما بعد -، فالتاريخ هو البوابه الطبيعيه لدراسه جذور الأحداث المستجده، فلاحظ آثار الماضي من الفعاليات والمواقف، منعكسه في سلوك الحاضر، أساس بناء المستقبل، حيث يتفاعل الناس مع اللاشعور الجمعي - إن صحّ التعبير - الذي يعتبر المخزون المتراكم لتلك الفعاليات والمواقف، وذلك بالصوره التي تضمن استيعاب تطورات الوعي الحياتي، ونضوج الظروف المحيطه. والعراق، ومنذ اكتمال الفتح العثماني للبصره عام (١٥٤٦م - ١٥٥٤هـ-)، أصبح يتألف من أربعه ولايات هي: بغداد، الموصل، البصره، شهرزور (کردستان). وكانت الإمارات والعشائر الكرديه منتشره في ولايتي شهر زور والموصل، وأما العشائر العربيه فكانت منتشره في ولايتي بغداد والبصره، وكذلك في ولايه الموصل. وقد اعترف العثمانيون بالعصبيات الحاكمه وبشيوخ العشائر، سواء في مناطق الأكراد، أو في المناطق العربيه، وكانت ولايه الموصل تغطي الجزء الشمالي الغربي من العراق، وتشمل مدينه الموصل وأسكى موصل وعشائر طي، وتمتد إلى الجنوب حتى تكريت، وإلى الشرق منها توجد ولايه شهرزور (کردستان). وقد امتازت ولايه الموصل عن غيرها من الولايات

العراقيه، بوجود أعداد كبيره من الجيش فيها، وأنها تعتبر كهزمه الوصل بين ولايات العراق وولايات الأناضول وولايات الشام.

أما ولاية بغداد فكانت أهم الولايات العراقيه، وكان واليها (الباشا) من المرتبه الأولى، بينما الولاه الآخرون كانوا من المرتبه الثانيه فى الموصل وشهرزور، وأما ولاية البصره فقد تبادلها الولاه العثمانيون وشيوخ المتفك وشيوخ الحويزه غير مره فكانت فى موضع الطمع من قبل الآخرين، وكان من العسير على ولاه بغداد أن ينقذوها من متاعبها، وأن القطع العثمانيه البحريه التى وضعت أمامها كانت عاجزه عن حفظها دوماً. أما ولاية كردستان فلم تعمر طويلاً لأنها امتازت بكثرة الإمارات والعشائر الكرديه المتنافسه فيما بينها، وكانت سياسه العثمانيين تقضى بالاعتراف بالعصبيات المحليه فى حدود معينه (١) إلا أن بعض الباشوات كان يطمح إلى ربط الولايات بالقرار المركزى فى بغداد، فمثلاً داود باشا (١٨١٧-١٨٣١م، ١٢٣٢-١٢٤٦هـ) آخر الولاه المماليك (٢) فى العراق، وإن كان - كما يعتبره بعض المؤرخين - مقلداً فى كثير من الأمور لسياسه محمد على باشا فى مصر، إلا أنه واجه بعض القبائل العربيه والكرديه بقبضه حديديه بهدف القضاء على الروح الانفصاليه لدى بعض القبائل وربطها بالقرار المركزى تحت سلطته. لذلك أخذ الانتفاضات القبليه وأقصى الشيوخ غير الموالين له، ووضع رجاله على رأس بعض القبائل العربيه، وكانت تعترضه صعوبه خاصه لإخضاع كردستان للحكم، وذلك لتحالفها مع ملك إيران، فكانت تتدخل القوات الفارسيه إلى جانب الأكراد ضد الباشا والحكومه العثمانيه. وهكذا كانت تتضاعف معاناه الباشا - أحياناً - من تمرد العشائر الكرديه، فكان يصب جام غضبه على الفرس الذين كانوا يعيشون فى العراق وعلى الشيعه فى الوسط والجنوب لتعاطفهم مع شيعه

ص: ٦٤

١- (١) نوار، عبد العزيز: المرجع السابق، ص ٦.

٢- (٢) فتره حكم المماليك فى العراق هى (١٧٣٩-١٨٣١م، ١١٦٣-١٢٤٦هـ).

«فقد أمعن في اضطهادهم وصادر ممتلكاتهم، وألقى القبض عليهم، وأبىد الكثير منهم، وأخذت الكنوز التي كانت تعود (لعلماء) الدين في كربلاء والنجف.. وهذا ممّا زاد من حدة النزاع التركي - الإيراني الناجم بصدد كردستان، وأدى إلى حرب ١٨٢١-١٨٢٣م، [١٢٣٧-١٢٣٩هـ-] وفي هذه الحرب كان التفوق بجانب الفرس.. إلّا أن وباء الهیضه اضطهرهم إلى التراجع إلى أرضهم وتوقيع صلح (أرضروم) في آذار عام ١٨٢٣م حيث ظلت كردستان بموجبه تحت سلطه الباشوات الأتراک» (٢).

أى (الدوله العثمانیه) إلّا أن داود باشا كان يعتمد على القوات العشائريه للدفاع عن العراق، لذلك استمرت العشائر في سيادتها شبه المطلقه. وكان لداود باشا طموح الانفصال عن الدوله العثمانیه والإعلان عن دوله الممالیک في بغداد، وقد باشر بعده إجراءات اقتصادیه وعسکریه للوصول إلى طموحه، إلّا أنه فشل في تمرده وانهزم جيشه أمام علی باشا والی حلب المرسل من قبل الباب العالی، وقد انتشر مرض الطاعون عام ١٨٣١م، ١٢٤٦هـ- في جيشه، وبذلك انتهت فتره الممالیک في العراق لتعود سلطه الولاه العثمانيين مباشره. وعلى المستوى الخارجی، عقدت معاهده (أرضروم الثانيه)، في ٣١ آيار عام ١٨٤٧م، ١٢٤٦هـ- بوساطه بريطانيه روسیه (لمصالح مشتركه)، بين الدولتين الفارسیه والعثمانیه وحسمت فيها المسائل المتنازع عليها بشأن الحدود والأماكن المقدسه، فتخلت إيران عن ادعائها بالسليمانیه وبعض المناطق الأخرى، أمام تنازل الباب العالی لإيران عن المحمره (عربستان) والساحل الأيسر لشط العرب.

ص: ٦٥

١- (١) أحمد، حلیم: المرجع السابق، ص ٢٨-٣٠.

٢- (٢) أحمد، حلیم: المرجع ذاته، ص ٣٠، عن: لوتسی، ف. أ: تاریخ الأقطار العربیه الحديث، ترجمه دار التقدم، موسكو

١٩٧١، ص ٩٠.

إن تلك الظروف التي شهدت فيها عمليات قمع للانتفاضات العشائريه في الجنوب والشمال تميزت - أيضاً - بعددٍ من الإجراءات والقرارات الإداريه، كانت بمنزله التعديلات المتواصله للإداره الداخليه، والتي سميت (بالتنظيمات)، وكان عهد مدحت باشا في بغداد (١٨٦٩-١٨٧٢م)، (١٢٨٧-١٢٩٠هـ-)، هو عهد الإصلاحات، وإعاده تنظيم الحياه الإداريه في العراق، فقد كان مدحت باشا والياً وقائداً في الوقت نفسه، أى اجتمعت بيده السلطه المدنيه والعسكريه، وشهد العراق عنايه خاصه في طرق المواصلات والملاحة التجاريه في دجله، وكذلك بذلت عنايه كبيره للزراعه لغرض تحسينها وتنويعها. وكانت بعض الإصلاحات - في الحقيقه - هي امتداد للتطور الإداري الحاصل في عاصمه الدوله العثمانيه. فمثلاً قانون الولايات لعام ١٨٦٤م، ١٢٨٢هـ- المتضمن إصلاحات إداريه وثقافيه، انعكس أثره في العراق، فألف مجلس الولايات والقائمقامات والنواحي وأنشأت الوظائف، وبوشر في التطور الصناعي والتجاري للولايه، والغى النظام الضرائبي القديم، وأنشأت المصارف الزراعيه، كما وضع تنظيم جديد للتقسيم الإداري للبلاد. وفي مجال القضاء طبقت قواعد الفصل بين السلطتين القضائيه والتنفيذيه (١). ومن الناحيه الإداريه (٢) فقد أصبح «العراق قبل الحرب

ص: ٦٦

- ١- (١) أحمد، حليم: المرجع السابق، ص ٣١-٣٤. راجع: لوتسكي - المرجع السابق - ص ١٧١-١٧٥، وأيضاً نوار، عبد العزيز سليمان، مرجع سابق ص ٣٢٧-٣٤٧. أما حول عهد مدحت باشا فالتفاصيل راجع: نوار، المرجع ذاته، ص ٣٥١-٣٩١. وللمزيد من الاطلاع حول بغداد، راجع: النجار، د. جميل موسى: الإدارة العثمانيه في ولايه بغداد، من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهايه الحكم العثماني، ١٨٦٩-١٩١٧م. طبع القايره ط ١، ١٤١١هـ-، ١٩٩١م.
- ٢- (٢) راجع: نوار، عبد العزيز سليمان: مرجع سابق، ص ٣٥٧-٣٥٨. عن خورشيد: سياحتنامه، ص ١٨-٢١، ٢٤٦-٢٤٧، ٣٠٠، سالنامه الدوله العثمانيه لسنة ١٢٨٠هـ-. وكذلك للمزيد من تفاصيل التطور الإداري راجع: لونكريك، ستيفن همسلفي: أربعه قرون من تاريخ العراق، ترجمه: جعفر الخياط، طبع بيروت ١٩٤١م. ص ٢٩٩ وما بعدها.

العالمية الأولى، ينقسم إلى ثلاث ولايات هي: بغداد والموصل والبصرة، وكل من هذه الولايات تنقسم إلى عدد من السناجق، وهذه بدورها إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، ويقف الوالى على رأس الولاية ويخضع للسلطة المركزيه. أما السناجق فيديرها المتصرفون في حين يدير الأقضية القائمقامون، والنواحى مدراء النواحى، ويؤلف المختار - عمدته القرية - الحلقة الأخيره فى سلسله الإدارة الطويله فى الولاية.

تتألف الهيئه المهيمنه على إدارة الولاية من معاون أى نائب الوالى، والدفتردار الذى يصرف الشؤون الماليه، والمكتوبجى الذى يرأس مكتب الوالى وترجمان الولاية المسئول عن العلاقات مع القناصل الأجانب، ثم موظفى الدرجه الثانيه الذين يصرفون شؤون الأوقاف وطرق المواصلات وشؤون العقار ورؤساء الشرطه والبريد والتلغراف، ومفتشى التجاره والزراعه، وفضلاً عن ذلك فقد كان هناك مجلس دائم يتمتع بصلاحيات استشاريه وينظر فى كل قضايا الولاية، ويضم هذا المجلس نائب الوالى والدفتردار والمكتوبجى والمفتى - رئيس (علماء) الدين للمسلمين - والنائب - رئيس المحكمه الشرعيه - وكذلك ممثلين عن الطوائف غير الإسلاميه، (من المسيحيين واليهود).

والوالى ملزم، مره فى السنه، بدعوه مجلس عام يدخل فيه ممثلون عن السناجق والأقضية كافه، وهكذا كانت السلطه تتركز بيد الوالى وكان يشغل أيضاً منصب قائد القوات المرابطه فى الولاية. ويشابه الهيكل الإدارى فى السناجق ما هو عليه فى الولاية» (1). «أما فى القرى فقد كان هناك إلى جانب المختار، مجلس للمشايخ يتألف من 3-12 شخصاً من (علماء) الدين يمثلون الأديان كافه، وينتخب لمدته سنه، ومهمه هذا المجلس توزيع الضرائب على الطوائف، والمحافظة على النظام والاستقرار، وحل

ص: ٤٧

١- (١) منتشاشفيلى، البرت. م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى، ترجمه الدكتور هاشم التكريتى ص ٢١-٢٢ مطبعه جامعه بغداد ١٩٧٨م.

المنازعات.. أما المسؤول عن جباية الضرائب في القرية فهو المختار نفسه» (١). ويضيف البرت منتشاشفيلي: «ان المجلس البلدى، هو الذى يصرف قضايا الإدارة في المدينة، ويتألف من سبعة أشخاص، وينتخب لمدته أربع سنوات، ويوجه عمل المجلس رئيس المدينة، ويقوم بتعيين الأخير، الوالى فى مركز الولاية. أما فى مدينة السنجق الرئيسيه، فيعيّنهُ المتصرف.. وتخضع البلديات لمجالس الولايات ومجالس السناجق، وتتألف مدخولات ميزانيتها من ضرائب خاصه كضريبه مقابل تأجير الحراس الليليين، واستعمال موازين المدينة وجسورها، والبيع والشراء فى ساحاتها، واستخدام مجازرها - وغيرها - يدفعها سكان المدن بطريقه الالتزام» (٢).

مجله الحياه الاقتصاديه

كانت مجمل الحياه الاقتصاديه أمام تلك التقسيمات والهيكليات الإداريه تتراوح بين المدّ والجزر، نتيجه الظروف الطبيعيه والبشريه التى تتحكم فى نموها أو تراجعها، ففى تلك الحقبه الزمنيه كانت تتمحور الحياه الاقتصاديه فى ابرز مظاهرها بالزراعه بينما بقيت الصناعه فى مستواها البدائى، ففى عام ١٩٠٩م، ١٣٢٧هـ- كان الوضع الصناعى بدائياً ولم يتطور. وأما التجاره العراقيه فكانت تعتمد لدرجه كبيره على تجاره (الترانزيت) (٣). إلا- أنه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، جرى توسع سريع فى تجاره الصادرات العراقيه، ورافق ذلك نمو ملحوظ فى تصدير المنتجات المحليه العراقيه. كان ذلك نتيجه التغييرات - الإصلاحيه والإنمائيه - التى مر بها العراق فى تلك الفتره، حيث امتازت بإخضاع العشائر للسلطه المركزيه، وتوحيد الولايات حول بغداد،

ص: ٦٨

١- (١) المرجع ذاته، ص ٢٣.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٢٣-٢٤.

٣- (٣) نظمى، وميض: الجذور السياسيه والفكرية والاجتماعيه للحركه القوميه العربيه (الاستقلاليه) فى العراق، ص ٣٣، ص ٤١.

وتطبيق نظام الولايات العثمانى فى العراق عام ١٨٧٠م، ١٢٨٨هـ-، وإصلاحات مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م) على المستوى الاقتصادى والإدارى.

كما كان لافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م، ١٢٨٧هـ- تأثير قوى على الاقتصاد العراقى، إذ أنه نتيجة تقليص التكاليف ومدته الرحلات والتنقلات، حدثت طفرة واضحة فى التجاره العراقىه (١). ومن عوامل تقدم التجاره فى العراق المعاهدات الدوليه مع الدوله العثمانيه وفق المصالح المشتركه، فقد انخفضت بموجبها الرسوم الكمركيه، فمثلاً- ما بين (١٩٠٠ - ١٩١١ م، ١٣١٩-١٣٣٠هـ-) عارضت الحكومه البريطانىه أيه محاوله من قبل الدوله العثمانيه لزياده رسوم الاستيراد.

وتمه عامل آخر مساعد على توسيع التجاره فى العراق، هو إدخال البواخر والمواصلات النهريه للنقل والتبادل التجارى، وانعكست - أيضاً - آثار النقل النهري، والنمو التجارى على عمليه استيطان العشائر، فإنها سهلت إخضاع العشائر بالقوه العسكريه وذلك باستخدام المواصلات النهريه الجديده. وكذلك شجعت العشائر على تطوير الزراعه، وتصدير المحاصيل الزراعيه للخارج، ففى تلك الحقبه الزمنيه كانت معظم الصادرات العراقيه المحموله بحراً -بمعظمها- موجهة إلى أوروبا، ففى عام ١٩٠٩م كان ٣٣ و٤ بالمائه من الصادرات العراقيه تذهب إلى بريطانيا، و٨ و٥٨ بالمائه من وارداتها يأتى من بريطانيا، بينما كانت التجاره البريه تتجه شمالاً إلى تركيا، وغرباً إلى سوريا، وشرقاً إلى إيران، وكذلك من بغداد إلى دمشق عن طريق الباديه الغربيه، ومن الزبير والنجف وسوق الشيوخ إلى العشائر فى الصحراء الغربيه. وكانت صادرات

ص: ٦٩

١- (١) للتفاصيل راجع: حسن، محمد سلمان: التطور الاقتصادى فى العراق، (١٨٦٤-١٩٥٨م)، طبع صيدا، ١٩٦٥.

الزراعيه تؤلف ٤٩ بالمائه من مجموع الصادرات العراقيه، في حين كانت الصادرات الحيوانيه تؤلف ٥١ بالمائه، وخلال عامي ١٩١٢ و١٩١٣م كانت السلع الزراعيه تؤلف ٨٠ بالمائه من مجموع الصادرات، في حين انخفضت الصادرات الحيوانيه إلى ٢٠٠ بالمائه (١). وبالمقابل أخذت نسبه الاستيراد تتزايد للسلع الإنتاجيه، كمضخات الري - مثلاً - وبالنتيجه لقد شهدت تلك الفتره تطوراً ملحوظاً في الإنتاج الزراعي والحيواني في العراق.

ب. أوضاع العراق من الناحيه الاجتماعيه و الثقافيه و التوزيع الجغرافي

اشاره

كان المجتمع العراقي - وما يزال - متميزاً بالتعداد القومي - الأثني، وبالتنوع في الانتماء الديني والمذهبي. فمن الناحيه الاتنيه (العرقيه) كان العراق مقسماً إلى عدّه فئات: العرب يؤلفون الأكثرية (حوالي ٧٠ بالمائه)، والأكراد (حوالي ١٩ بالمائه)، والباقي من التركمان والفرس والأرمن والشركس. فمن الطبيعي أن تترك هذه الانتماءات العرقيه والدينيه والمذهبيه المتعدده، آثاراً واضحه في تطور الأحداث السياسيه على الساحه العراقيه أو اخر العهد العثماني وما تلتها من عهود أخرى، بنسب معينه. والذي ساعد في إيجاد المناخ السياسى والحركى، هو التوزيع الجغرافي لهذه الطوائف، فظهرت حالات من التماسك والتكتل بدرجات عاليه في تأثيرها على مجريات الأحداث. وهذا التوزيع الجغرافي القائم على أساس الكثافه السكانيه المتواجده في تلك المناطق، أفرزته ظروف تاريخيه في فترات مختلفه، مما كرس طابعها الفكري، وتماسكها أمام العواصف. وهذه المناطق هي:

ص: ٧٠

١- (١) نظمي، وميض: المرجع السابق، ص ٤٢-٤٥، للتفاصيل راجع: حسن، محمد سلمان: التطور الاقتصادي في العراق - المرجع السابق-، وكذلك: غنيمه، يوسف: تجاره العراق قديماً وحديثاً، طبع بغداد ١٩٥٢.

المنطقه الأولى: وهي التي تغطي محافظات جنوب بغداد على ضفتي دجله والفرات، وهي عباره عن إقليم مؤلف من سهول مرويه، وفيها أكبر كثافه سكانيه وهي موطن المسلمين الشيعه، ما عدا بعض الجزر السنيه المتناثره فيها، وأغلب سكانها من العرب.

المنطقه الثانيه: تقع في أعالي بغداد ومحيط وادي الفرات، وهي ذات كثافه إسلاميه سنيه عريبه، مع أقليات شيعيه. وهنالك على امتداد الطريق القديمه للبريد، بغداد - الموصل - استنبول، شريط من المستوطنات التركمانيه منها: تلعفر وداقوق وطوز خورماتو وقره تبه، وهي شيعيه، وألتون كوبري، وكفرى وهي سنيه.

وأما المنطقه الثالثه: فهي المنطقه الجبلية التي تقع في الشمال والشمال الشرقي تتطابق مع الهلال الجبلي الكردي. وأغلب سكانها من المسلمين السنه الأكراد.

وكانت تلتقى وتتداخل هذه المناطق الدينيه الثلاث، في بغداد الكبرى، وفي محافظه ديالى شرق بغداد، مع أقليات دينيه لا تزيد نسبتها عن ٣٪ من سكان العراق، أما في عام ١٩٤٧م، ١٣٦٦هـ-، وقبل هجره اليهود، فقد بلغت النسبه حوالي ٧ و٦ بالمائه من مجموع السكان (١) وكما لاحظنا ذلك في الجدول رقم (٣).

أما من الناحيه الاجتماعيه، فقد كان سكان العراق مقسمين إلى ثلاثه أقسام رئيسيه:

سكان الباديه وسكان الريف وسكان المدن. وكان البدو يسكنون الصحراء في

ص: ٧١

١- (١) الرهيمي، عبد الحلیم: المرجع السابق، ص ٣٠-٣١. ومما يذكر أن عدد سكان العراق في نهايه القرن التاسع عشر قدر ب- ١٠٠٠ و ٢٥٠ و ٢ نسمة، كان ٥٥٪ تقريباً من العرب المسلمين الشيعه و ٢٥٪ من العرب المسلمين السنه، والبقية ٢٠٪ هم الأكراد ومعظمهم من السنه، وفيهم شيعه. بالإضافة إلى المسيحيين والأقليات الدينيه الأخرى. راجع أيضاً، التميمي، د. خالد: مرجع سابق، ص ٤٣٧-٤٣٨.

القسم الغربي والجنوبي الغربي من العراق. وكانت العشائر (١) الرئيسيه هي: شمّر في الشمال والجزيره، وعنزه في الشاميه، والدليم في جنوب غربي العراق، وكان البدو يعتمدون اقتصادياً على الجمال والغزو، ولم يكونوا عنصراً ذا إنتاجيه عاليه في المجتمع العراقي، بل كانوا يشكلون عقبه كأداء أمام نمو التجاره البريه وخطراً على الأمن، وتحدياً لأيه حكومه مركزيه (٢). ولعل بساطه الحياه والتنقل في البراري، والاعتماد على الذات وعلى الأعراف السائده لديهم، كل ذلك كان وراء استقلال وضعهم وعدم قدرتهم على التعايش مع التطور المدني للحكومه المركزيه. هذا وقد تحدثنا عن سكان المدن ومناطقهم - آنفاً - «وأما بالنسبه لسكان الريف فلقد كانت تشكيلاتهم الاجتماعيه تختلف تبعاً لأنظمه الري والزراعه، أما في الجنوب حيث المنطقه المأهوله بالعرب المرويه بالنهر، فكانت الوحده الاجتماعيه هي العشيره.

كان الإحساس بالانتماء عشائرياً، وكانت العشائر - عادةً - تمتلك (أراضٍ) تدعى (الديره) وتضم أراضٍ مزروعه وغير مزروعه، بالإضافة إلى أراضٍ تغطيها المياه

ص: ٧٢

١- (١) العشائر، جمع عشيره، والعشيره «تألف من عدّه أفخاذ أو بيوت وتعيش مجتمعه بالوجه المتعارف.. أما القبيله: فقد تتألف الجماعه العربيه من عدّه عشائر، بأن تكتسب ضخامه وسعه في تكوينها.. وحينئذ يقال لها (القبيله)، وقد يتساهل في التعبير فتسمى العشيره باسم القبيله.. وهذه لا تفترق عن العشيره إلا في الرياسه العامه بأن يكون رؤساء العشائر منقادين لرئيس القبيله، وقد يصح التعبير إذا قلنا: إن القبيله عشيره موسعه وبالغه حدّاً كبيراً من التفرع والتشعب، فهي لا تختلف في حكمها عن العشيره وحينئذ تكون الكلمه واحده وإن كانت كل عشيره تدار داخلياً من قبل رئيسها.. فالرؤساء هنا بمنزله رؤساء الأفخاذ في العشيره.. وتظهر قوه تكاتفها (القبائل) في أمور منها.. الدّيه، والمطالبه بالدم أو الثأر وبضمانات الجرائر.. (أما الإمارة) فقد تتقارب عدّه قبائل أو تتكاثر إلى أن تكون قبائل عديده فيتولى إمارتها رئيس الفخذ الأول». للتفاصيل راجع: العزاوي، عباس: عشائر العراق ج ١، ص ٥٤-٦٠ طبع بغداد، ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م.

٢- (٢) نظمي، د. وميض: الجذور السياسيه والفكرية والاجتماعيه للحركه القوميه العربيه (الاستقلاليه) في العراق، ص ٣٦.

(الأهوار)، وكان نظام (الديره) يعطى القبيله الحق فى زراعه أى جزءٍ منها وفقاً لخصوبتها وريّها، وكانت الديره تعتبر ملكاً للعشيره كلها، وليست ملكاً فردياً للشيخ أو العائله التى ينتمى إليها» (١).

إنّ هذا التماسك داخل العشيره يدعمه الوعي الإسلامى ضمن الحدود الشرعيه، ويستوعبه ضمن إطار الصالح العام، ويوجهه بالمنحى الإيجابى، ليتحول الإحساس القوى بتوحيد العشيره إلى رافد مهم يدعم الشعور الإسلامى بتوحيد كلمه الأمه. وهذا سيفسر لنا وقوف العشائر إلى جانب علماء الدين للدفاع عن حقوق الأمه، بل للدفاع عن الحكومه العثمانيه لكونها تحمل رايه الإسلام ضد الأجانب الغزاه.

- ومن هنا - نحن نميل إلى رأى الدكتور وميض نظمى الذى يذهب إلى أن الإحساس القوى بالوحده داخل العشيره أعاق بالنتيجه نمو الوعي القومى أو الوطنى (٢)، وذلك لأن الطرح القومى - تماشياً مع هذا الرأى - لا ينهض إلا على حساب تفتيت التماسك الداخلى للعشيره، وتصفيه الإحساس بالوحده الداخليه، هذه الحاله يتولد منها الوعي القومى أو الوطنى فى الأمه!! - كما يزعم -.

والمهم أن العشائر العراقيه لعبت أدواراً مهمه فى أواخر العهد العثمانى، والعهود التى تلت العهد العثمانى، وذلك لتمسكها الداخلى حول شيخ العشيره (رئيسها) وارتباطها المصيرى بالمواقف المتخذة من قبله، بالإضافة إلى طبيعه النظم والعادات والتقاليد التى تعتبر بمثابة الضوابط القانونيه لتنظيم حياتها الاجتماعيه والسياسيه. وبذلك امتلكت رصيلاً تاريخياً ذا أهميه معتبره. مما شجع الالتزام بنظامها حتى صار الارتباط الوثيق بقرار العشيره - من قبل أفرادها - له قيمته الشرفيه المميزه. والذى كرس هذه

ص: ٧٣

١- (١) نظمى، د. وميض: المرجع نفسه، ص ٣٧.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٣٧.

القيمه فى النفوس، هو تكرار التجارب التاريخيه (١)، ففى الظروف القاسيه التى كانت تعصف بخيرات البلاد نتيجه الحروب والمنازعات الداخليه، أو نتيجه الكوارث الطبيعيه المدمره لمشاريع الرى، «كان طبيعياً، تحت ظروف كهذه أن تكون القبيله هى التنظيم السياسى والاجتماعى التى يمكن أن يعيش فى ظلّه الأفراد، وأن يمنح هؤلاء الأفراد إخلاصهم وولاءهم لذلك التنظيم لا غيره» (٢).

وربما كانت من الحكمه والمصلحه أن يترك السلطان سليمان القانونى (٩٠٠ - ٩٧٤هـ، - ١٤٩٤ - ١٥٦٦م) مساحه من إداره العشائر لأمر شيوخها - كما مرّ معنا سابقاً - إلا أن الملاحظ فى الأمر، أن لغه التعامل بين السلطات العثمانيه والعشائر كانت تشكو من الضعف، لعوامل ذاتيه وموضوعيه لسنا فى صددنا الآن، ولكن بالنتيجه دفعت العشائر إلى حاله البناء الذاتى - اقتصادياً واجتماعياً - داخل العشيره الواحده، هذا من جانب، ومن جانب ثانٍ توسعت صيغه التحالفات والاتحادات العشائريه ما بين العشائر المتعدده، وذلك للوقوف أمام الحالات الطارئه. وبالفعل كانت العشائر تعيش هاجس الخوف من غزو وبطش العشائر الكبيره، وبالمقابل هذه العشائر الكبيره كانت تشعر بضروره التحالف مع العشائر الصغيره وذلك لتوحيد الموقف الداخلى للعشائر فى صدّ الحملات العسكريه التابعه للسلطات المركزيه التى تحاول بسط نفوذها فى المناطق العشائريه بشكل مطلق، لغرض إرغامها على دفع الضرائب، فلذلك تشكلت تحالفات قبلية واسعه بزعامه شيخ عام يدعى (شيخ المشايخ). وذلك من أجل تحقيق المصالح المشتركه فيما بين العشائر، والتى تعجز عن تحقيقها العشيره بشكل منفرد، فأصبحت القبائل المتحالفه فى موضع المجابهه الدائمه للسلطات

ص: ٧٤

١- (١) للتفاصيل راجع: نوار، عبد العزيز سلمان: المرجع السابق، ص ١٠. وكذلك الرهيمى، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ٤٣.

٢- (٢) فياض، د. عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠، طبع بغداد ١٩٦٣، ص ٤٥.

العثمانيه (١) ويرى بعض الباحثين أن هذه التحالفات «لم تكن لتتأغم وتتجانس إلا تحت تأثير تهديد خارجي، أو عندما تتراءى في الأفق ملامح غزوه مشتركه. وفي هذا ما يشير إلى طبيعتها السياسيّه ووظيفتها، فقد كانت هذه التحالفات (تحالفات من أجل الحرب) وكانت الحرب والدفاع عن الذات سبب وجودها. وقد لاحظ (دنيس دي ريغوار)، الذي زار المنتفك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أن كل شيء لدى العشائر كان يقام ويعمل من أجل الحرب، وكان التنظيم الاجتماعي تنظيمًا عسكريًا بالدرجة الأولى. ومن الطبيعي جدًا، في هذه الحالة، أنه كانت للبسالة العسكريه داخل الأحلاف قيمه كبرى، وكان المقاتلون من رجال العشائر يحتلون مرتبه مميزه» (٢).

وبالفعل أضحت العشيره - في تلك الفتره بالذات - بمثابة التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي الوحيد الذي يرتبط به الأفراد، ليحميهم ويحافظ عليهم وعلى أعراضهم وأموالهم (٣).

هذا، وقد «بلغت قوه العشائر ودورها، مستوى مهمًا من التأثير والأهميه، لاسيما في عهدي الاحتلال والانتداب البريطاني، وفي الشطر الأول من العهد الملكي، وهذا ما جعل أحد الخبراء العراقيين في شؤون العشائر، يتوصل إلى استنتاج مهم قال فيه: إن من يستطيع السيطرة على شيوخ العشائر، يستطيع السيطرة على العشائر ذاتها، ومن يسيطر على العشائر يحكم العراق بسهولة.. فالقبيله في العراق كانت تمثل خلال العهد العثماني، وحده اجتماعيه سياسيّه، واقتصاديّه

ص: ٧٥

١- (١) الرهيمي، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٣٥.

٢- (٢) بطاطو، حنا: العراق، الطبقات الاجتماعيّه والحركات الثوريه من العهد العثماني حتى قيام الجمهوريه، ترجمه: عفيف الرزاز، الكتاب الأول، بيروت مؤسسه الأبحاث العربيّه، ط ١، ج ١، ص ٩٤.

٣- (٣) الطاهر، عبد الجليل: العشائر العراقيه، بغداد ١٩٧٢م، ج ١، ص ٣٦ وما بعدها.

مستقله فى أغلب الولايات، ظلّ يتمتع أفراد القبيله بموجبها، حتى تطبيق قانون الأراضى فى عهد مدحت باشا، بالمساواه فى توزيع حصص الأرض.. وبهدف تنظيم شؤونها الداخليه العامه، بعيداً عن السلطه المركزيه، انفردت العشائر العراقيه (بنوع خاص) من التنظيم الإدارى والقضائى والإنتاجى والاجتماعى والسياسى. وقد ظلت المجتمعات العشائريه، إلى عهد قريب، تتمتع بشىء من النفوذ والاستقلال القضائى والإدارى، الذى يعتمد على التقاليد والأعراف التى يطلق عليها اسم (السوانى) وليس على القوانين المدنيه أو الجزائيه» (١). أما مواطن انتشار القبائل فقد تحددت منذ منتصف القرن التاسع عشر على الشكل التالى:

- القبائل المتوطنه على امتداد نهر دجله، من القرنه جنوباً إلى بغداد، وهى قبائل: كعب، أبو محمد، بنى لام، وشمر طوكه. وفى شمال بغداد تمتد ديار العبيد، شمر جربه. أما على نهر دىالى فقد توطنت بنى تميم، العزه، وقسم من العبيد والسييات.

- القبائل المتوطنه على نهر الفرات، من السماوه شمالاً حتى القرنه والغزاف وهى: عشائر اتحاد المنتفك، ويضم عشائر، آل شيب، بنى مالك، الأجدود، وبنى سعيد. ومن الاتحادات الأخرى: بنى حجيم، وبنى ركاب، وفى الفرات الأوسط من السماوه إلى الحله، عشائر اتحاد الخزاعل ويضم عشائر: الخزاعل، عفك، الأ-كرع وآل فتله، ومن الوحدات القبليه المهمه أيضاً قبائل بنى حسن.

- وفى المنطقه الكائنه بين نهر دجله وشط الحله، قطنت قبائل زبيد وبنى ربيعه، أما قبائل الدليم فقطنت على الضفه الشرقيه والجنوبيه لنهر الفرات ما بين أبو كمال وكربلاء. بينما قطنت شمر جربه فى الجزيره الفراتيه، وقبائل الجبور فى المنطقه الواقعه بين الموصل والشرقاط.

- أما القبائل الكرديه، فتقطن فى المناطق الجبليه، فى الشمال والشمال الشرقي

ص: ٧٦

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٣٣-٣٤.

وكان أشهر الاتحادات (اتحاد المنتفك) الذى شمل الجزء الجنوبى من البلاد، أى من القرنة إلى السماوه وعلى امتداد نهر الفرات - كما أسلفنا - وكانت القوه التى توحد هذه العشائر وتقودها متمركزه فى عائله السعدون الشهيره، وكانت المدينتان الشهيرتان فى هذه المنطقه هما الشطره والناصرية (٢).

وكانت وحدات (اتحاد الخزاعل) منتشره فى الفرات الأوسط إلى جانب عشائر واتحادات أخرى مشهوره أيضاً بخصائصها القتاليه، ومن بينها آل فتله التى استوطنت حول نهر المشخاب والشاميه. وكان فرع آخر من آل فتله يسكن المنطقه المحيطة بالهنديه، أما عشيره بنى حسن فكانت تسكن فى المنطقه الواقعه بين كربلاء والكوفه.

وكان يضم اتحاد زبيد، عشيره أبو سلطان وعشيرتى المعمره والجوحيه. وعليه كانت منطقه الفرات الأوسط تتسم بشكل استثنائى بتلاحمها العشائرى القوى، وكانت الروح العشائريه عميقه الجذور فى تلك المنطقه بسبب الظروف التاريخيه والموضوعيه لها (٣).

ونتيجه لذلك، فقد تمكنت بعض هذه الاتحادات القبليه من إقامه إمارات (مشيخات) داخلية مستقله عن الحكومه، تتمتع بتصرف تام فى الأرض والمناطق الواقعه تحت نفوذها، مثل إمارات المنتفك والخزاعل وزبير وبنى لام (٤). ومن المفيد أن نذكر -

ص: ٧٧

١- (١) المرجع ذاته، ص ٣٧-٣٨، راجع الجوهري، عماد أحمد: تاريخ مشكله الأرض فى العراق ١٩١٤-١٩٣٢، طبع بغداد ١٩٧٨.

٢- (٢) نظمي، وميض: الجذور السياسيه.. مرجع سابق، ص ٣٧. للمزيد من الإطلاع راجع: العزاوي، عباس: عشائر العراق - مرجع سابق - ج ٤.

٣- (٣) نظمي، د. وميض: المرجع نفسه، ص ٣٨.

٤- (٤) الرهيمي، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٣٦.

بعد إشارتنا السابقة لأسباب ظاهره عدم الاستقرار المكاني للعشائر - بأن التطور الاقتصادي، وتعزيز الأمن، وإدخال نظام (الطابو) في الأراضي، والنقلات النهريه، كل هذه العوامل شجعت على استيطان العشائر، فقد كانت نسبة البدو في العراق تتألف عام ١٨٦٧م، ١٢٨٥هـ - حوالي ٣٥٪ من مجموع السكان، بينما تقلصت النسبه إلى ٧٪ فقط بحلول عام ١٩٣٠م، ١٣٤٩هـ-، كما يتضح ذلك في الجدول التالي:

جدول رقم (٤)

التغيرات في التكوين البدوي والحضري للسكان في العراق حتى عام ١٩٣٠- (بالآلاف) (١)

ص: ٧٨

١- (١) نظمي، د. وميض: المرجع السابق، ص ٤٨، مقتبس من مقال بالإنكليزيه للدكتور محمد سلمان حسن: Mohammad Salman Hasan. Growth And Structure Of Iraq S Population ١٨٦٧-١٩٤٧. Bullelin of The Oxford University Institute Of Statistics. No٢٠ (١٩٥٨) وقد صححنا في الجدول عدد سكان الريف سنه ١٨٦٧، وفي المجموع أيضاً لسنة ١٩٣٠، معتبرين ذلك من الأخطاء المطبعية.

وكانت عشائر العراق العربييه تقسم إلى (أهل ابل)، وشاويه (أهل غنم) وفلاحين، ومربي جواميس يقطنون الأهوار، ولم تكن هذه التقسيمات واضحه دوماً نظراً لأن العاملين في الزراعة قد يعتنون بتربيه الأغنام والجواميس. وبالرغم من توافر فرص العمل هذه، إلا- أنهم كانوا يعتبرون حمل السلاح والقتال أفضل طريقه للحياه، لأن السيطره - عاده - للأقوى عسكرياً. بينما يقع المجتمع الزراعي أى طبقه الفلاحين ورعاه الأغنام تحت رحمة المقاتلين (١).

وهذه المسأله ليست منحصره بالعشائر العربييه بل «طبعت - سيطره المحاربين على الزراع - أيضاً بطابعها مجتمعات الحزام الجبلى الكردي.. فإن أهل كردستان كانوا ينقسمون إلى رجال عشائر محاربين، وطبقه من الفلاحين غير العشائريين الأدنى منزله، تسمى (غوران) أو (رعيه).. ويبدو أن السلطه الحقيقه كانت لرؤساء عشائر المحاربين أو المولعين بالحرب - مثل البروارى والميزورى والدوشكى والرايكان - الذين كانوا آشوريين أو نسطوريين. ولم تكن حاله هؤلاء الفلاحين تختلف كثيراً عن حاله الآخرين من أبناء طبقتهم فى بقيه أنحاء كردستان» (٢). هذا وان كانت الزراعه، هى المهنة الأساسيه للقسم الأ-كبر من أفراد العشائر العربييه والكرديه، باستثناء العدد القليل من البدو، إلا أن هناك فوارق عديده بين العشائر العربييه والكرديه -آنذاك - «وان أهم الفروق ذات الدلاله، هى يعكسها التباين بين البيئه القبليه العربييه بشكل عام، والبيئه الكرديه. فحيث كانت الأرض تعتبر مشاعاً عند القبائل العربييه وتوزع على فروعها وأفرادها، فإن (الآغا) الكردي يعتبر (ملاكاً) للأرض، أما الفلاحون فهم مستأجرون عنده، كذلك تميزت العشائر الكرديه فى الشمال بنموذج مختلف للمجتمع القبلى حيث تشكل الروابط المشتركه - أساس الوحده القبليه - أكثر منها روابط العائله الموسعه، التى تميزت

ص:٧٩

١- (١) بطاطو، حنا: المرجع السابق، ح ١، ص ٩٤-٩٥.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٩٧.

بها العشائر العربية» (١). ففي منطقته الري في وسط وجنوب العراق بشكل أساس كانت الأرض تخضع لنظام الملكية الجماعية، وكان الفلاح الفرد يزرع أرضه بحكم عضويته في العشيره، وملكيه (الديره) كانت تستند إلى قدره العشيره بمجموعها على الدفاع عنها، وكانت بالتالي تعتبر ملكاً مشتركاً للجميع، بالرغم من امتياز الشيخ في المحصول فإنه ينفقه لمصلحه العشيره (٢).

فيبدو أن للظروف السياسيه غير المستقره أثرها الواضح في عدم توافر الضمانات الحقيقيه لحيازه الأرض سواء في المنطقه الكرديه أم في المناطق العربيه، وهو عامل أدى إلى انتشار زراعه الكفاف (٣).

وهكذا بقيت مسأله حيازه الأرض من ابرز القضايا التي استخدمتها الإدارة العثمانيه لغرض بسط نفوذها بين العشائر في العراق ولربطها بالسلطه المركزيه، وقد مرت هذه المسأله بعده مراحل تاريخيه أهمها في عهد (التنظيمات) العثمانيه، الذي بدأ عملياً في العراق منذ عهد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م)، أما قبل ذلك أي بعد انضواء العراق تحت الحكم العثماني كانت الأراضي العامه (الأميرييه) تمنح للمستثمرين «مقابل مبالغ مقطوعه، وأداء ضرائب سنويه للسلطان.. وهكذا منحت (الإقطاعات) في مناطق الموصل وأربيل وكركوك إلى (السنجق بيكات) (أي أمراء الولايات) وإلى السباهيه. أما في ولايتي بغداد والبصره، فقد استخدمت طريقه الالتزام.. والسبب يعود إلى البنيه القبليه التي حتمت اتباع نظام (الملكيه العشائريه) وإلى مقاومه القبائل للسلطه بالسلح أيه سيطره على أرض القبيله» (٤).

ص: ٨٠

١- (١) الرهيمي، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٣٤.

٢- (٢) نظمي، د. وميض: المرجع السابق، ص ٥٠.

٣- (٣) بطاطو، حنا: المرجع السابق، ص ٥٠.

٤- (٤) الرهيمي، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٣٩. و(السباهيه) مفردتها (سباهي) وهي لفظه تركيه تعني الفرسان. وهي فرقه عسكريه من الفرق العثمانيه.

أما مدحت باشا فقد «شرح بتطبيق قانون الأراضي العثمانى على العراق ليعزز سياسته الراميه إلى تصفيه النظام العشائرى، وبمقتضى أحكام هذا القانون كان يجوز تفويض الأرض الأميريه لزارعها الفعلى، وبالتالي إكساب مصلحه ثابتة فيها، (لغرض) تحويل العشائر شبه البدويه، إلى مجاميع متوطنه بصوره دائمه، قائمه على الزراعه، وبالتالي تسهيل خضوعها للسلطه المركزيه. وعن طريق جعل ملكيه الأرض خاضعه لوثيقه تحريريه، كان مدحت يرمى إلى القضاء على الحروب العشائريه حول الأراضي المتنازع عليها، والاستعاضه عن سلطه الشيخ فى منح الأراضي بسلطه الدوله.. وعن طريق توزيع الأراضي بين زارعيها، كان مدحت يرمى إلى إلغاء الملكيه العشائريه المشتركه والاستعاضه عنها بالملكيه الفرديه الخاصه، التى كان يعتقد أنها ستحطم النظام العشائرى.. إلا أن الهدف الرئيس لسياسه مدحت باشا وهو تفويض الأراضي لصغار المزارعين، وتحويل أفراد العشائر إلى ملاك أرض، لم يتحقق أبداً، فلم يكن بوسع أفراد العشائر أن يهيئوا ما يكفى من المال لدفع (المعجل) للحصول على سندات الطابو، ومن جهه أخرى كان القانون يمنع الملكيه المشاعه. وبذلك حرّم العشيره كهيئه جماعيه من إمكانيه شراء الأرض.. وفوق كل هذا لم يكن أفراد العشائر يجدون أى سبب لشراء أراض كانوا قد حققوا الحيازه الكامله والفعليه عليها بالقوه. إن تردّد، أو عزوف أفراد العشائر فى شراء سندات الطابو، أفسح المجال أمام الموظفين الكبار وتجار المدن وبعض الشيوخ الأذكياء لشراء الأراضي والحصول على السندات» (١). هذا وقد «أصبحت تلك القوانين والتشريعات تشكل الأسس العامه التى تحدد أشكال حيازه الأرض وزراعتها طيله الفتره الأخيره من العهد العثمانى» (٢). والجدير بالذكر أن هذه السياسه خاصه للأراضي الأميريه أى التابعه للحكومه العثمانيه والتى أصبحت معظم أراضي العراق منها. «أما العقارات التى كان بوسع أصحابها إبراز حجج شرعيه

ص: ٨١

١- (١) نظمى، وميض: الجذور السياسيه والفكرية.. مرجع سابق، ص ٥١، ٥٣.

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٤٠.

لإثبات كونها أراضي (خراجيه) أو (عشيريه)، فقد بقيت في أيدي أصحابها، باعتبارها (ملكاً). وعلى الشاكلة نفسها، أعتُرف بالهبات الدينيه كـ(أوقاف)» (١). ()

والتساؤل المطروح - هنا - ما هي انعكاسات هذه السياسه على الوضع الاجتماعى فى العراق؟ وللإجابة عليه نقول: إن هذه السياسه كانت ترمى إلى اهتزازات البنيه الداخليه للتماسك العشائرى، وذلك لانحصار التفويض بعدد محدود من زعماء القبائل وتحوّل الأفراد إلى فلاحين أُجرا لديهم، بعيدين عن الاهتمامات العامه. وبذلك يتحقق نوع معين من السيطرة على القبائل بإضعاف الاتحادات القبليه، لا سيما المستقله منها، وبالفعل استطاعت السلطه تفويض بعض المشيخات بالقوه، كما حدث عام ١٩٠٩م، ١٣٢٧هـ- ضد مشيخه بنى لام، كما تمكنت من توطين بعض القبائل البدويه فى أراضٍ مفوضه لشيوخها.

وبالرغم من ذلك فإن هذه السياسه أثارت عداءً داخلياً بين أفراد القبائل وشيوخها الملاكين من جهه، ومن جهه أخرى بين القبائل وأصحاب سندات الأراضي من أهل المدن وغيرهم. وقد التهبت نيران الاضطرابات والفتن الداخليه -آنذاك-، كما حصل فى مدينتى الديوانيه والحله، حيث ظلّت حاله الاضطراب مستمره، ولم يجرؤ الملاكون من الوصول إلى أراضيهم. وقد استمرت حاله التمرد والانتفاضه حتى نهايه العهد العثمانى، وقد كانت فى قبائل الفرات الأوسط - بالذات - متوجهه ضد الملاكين وضد الدوله العثمانيه فى آن واحد، باعتبارها المقرره لسياسيه تفويض الأراضي (٢). «أما فى المناطق التى رفض الشيوخ فيها التحول إلى ملاكين - لسبب أو لآخر - أو تأخرت هذه العمليه لغايه ما بعد ١٩٣٠-١٩٣١م [١٣٤٩-١٣٥٠هـ] فإن النظام العشائرى

ص: ٨٢

١- (١) نظمى، وميض: المرجع ذاته، ص ٥٠، عن: Haider.Land Problems OfIraq, Ph.D Dissertaton, University,Of London, ١٩٢٤ P.١٧١

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع ذاته، ص ٤١-٤٣.

ازداد تماسكاً، واصبح الشيوخ غير الملاكين فرسان عشائريهم في النضال، ضد الملاك الغائبين والحكومه» (١). وهكذا استمرت الاضطرابات بالتصعيد رغم تعطيل نظام الطابو بمرسومين خلال عامي ١٨٨٠-١٨٨٢م، [١٢٩٨-١٣٠٠هـ].

وفي عام ١٩١١م، ١٣٢٩هـ- اضطرت الحكومه العثمانيه إلى تأليف (لجنه تحقيق) للتحري عن أسباب هذه الاضطرابات، وأشارت المعلومات فيما بعد إلى أن «الاضطرابات تعود إلى واقع، أن الأراضي الزراعيه للعشائر كانت محصوره في أيدي شيوخ أقوياء قلائل، يضطهدون أفراد عشائريهم، ويثيرون المنازعات فيما بينهم، وإن العلاج الصحيح هو تقسيم الأراضي بشكل دقيق» (٢).

ومن خلال الأحداث، يمكننا أن نقول: إن هذه الإجراءات رغم تأثيرها المباشر على البنيه العشائريه، إلا أنها وفرت مناخاً خاصاً لتلاقي المصالح بين أفراد العشائر وصغار مشايخها، لتتلاحم فيما بينها في ميدان التمرد والانتفاضه. وسنرى ذلك بتطور الأحداث.

ومن المفيد أن نذكر السبب في توضيح مسأله الأرض وحيازتها واثر ذلك على الوضع الاجتماعي والحركي في العراق، هو أن هذه المعضله من أضخم المشكلات التي واجهت السلطه العثمانيه، واستمرت تواجه إداره الاحتلال البريطاني، لما تمتاز من تأثير على الساحة الاجتماعيه والسياسيه. فقد أشار تقرير الحكومه البريطانيه ١٩١٦م، ١٣٣٤هـ-، إلى المنازعات الجديده بين شيوخ المنتفك آل السعدون الذين تحولوا إلى ملاكين للأراضي، وبين أفراد عشائريهم، لاستمرار تدميرهم من شيوخهم (٣).

ص: ٨٣

١- (١) نظمي، وميض: الجذور السياسيه والفكريه.. مرجع سابق، ص ٥٥، للتفاصيل راجع: العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٧، طبع بغداد ١٩٥٥.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٢٤١.

٣- (٣) فياض، د. عبد الله: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٤٨-٤٩.

الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في واقع الساحة العراقية، (داخلياً وخارجياً)

اشاره

ص: ٨٥

يتضح من مجمل المطالعات فى تاريخ العراق - فى فتره موضوع البحث - أن السلطه المركزيه كانت تعاني من عقبات عديده، أدت بالنتيجه إلى ضعفها فى إداره وتطوير شؤون العراق. ويمكن تقسيمها إلى عوامل داخلية، وأخرى خارجيه.

العوامل الداخليه: وهى تتوزع بنسب معينه ما بين الوضع الإدارى والتنظيمى للدوله العثمانيه -وخاصه فى أواخر عهدھا - ومدى قدره العاصمه على استيعاب الشعب العراقى بظروفه وثقافته وتاريخه، لاتخاذ الإجراءات المناسبه لإدارته وتحسين أوضاعه المعاشيه. هذا من ناحيه، ومن ناحيه أخرى، مدى سيطره الجهاز المركزى فى عاصمه الدوله العثمانيه على إداره ومحاسبه الوالى، والإداريين بشكل عام فى بغداد، وبقية الولايات العراقيه.

أما العوامل الخارجيه: فهى مجمل انعكاسات الوضع الإقليمى المحيط بالعراق، والأهم من ذلك - كما يبدو فى تلك المرحله - تأثيرات البعد الدولى، وبالتحديد أطماع أوروبا بالعراق وبقية التركه العثمانيه بشكل عام. وسنتحدث عن هذه العوامل بشيء من التفصيل، ومن بعد ذلك سنسلط الضوء على أهم سمات شعب العراق، من الناحيه الثقافيه، والتاريخيه، تحت عنوان (الواقع الثقافى والأبعاد التاريخيه للعراقيين)، وذلك لتكتمل الصوره عن حاله الشعب بمختلف مكوّناته، وأطيافه الدينيه والقوميه. هذا الشعب بتنوعه هو الذى يتلقى الخطه الإداريه التى تسعى لتنميته، ومعالجه أزماته، والتعامل مع انعكاسات تلك العوامل الداخليه و الخارجيه.

أ. صراع مراكز القوى داخل السلطه المركزيه

إن صراع مراكز القوى داخل السلطه المركزيه فى عاصمه الدوله العثمانيه، من أبرز العوامل الداخليه المؤديه إلى ضعف النظام الإدارى بشكلٍ عام، وقد انعكس أثر ذلك الصراع فى إداره شؤون العراق، باعتباره جزء من الدوله العثمانيه، ينال حصته الطبيعیه من مشكلات العاصمه، بالإضافة إلى صراع الأجنحه داخل السلطه الحاكمه فى بغداد -أيضاً- وذلك بهدف الإستيلاء على مركز القرار فى الولايات، وهذا الصراع الداخلي بدأ فى النمو بشكل واضح، لتوافر المناخ المناسب لنموه من جزاء مجموعه عوامل تفاعلت فيما بينها، فأدت بالنتيجه الطبيعیه إلى ضعف البنيه الداخليه للنظام، فبدت غير متلاحمه بالدرجه المطلوبه لاستيعاب الأزمات وتطوير البلاد، وهذا الصراع الداخلي الذى سبب نزيفاً داخلياً خطيراً فى جسم الدوله العثمانيه فى أواخر عهدها، لم يكن واضحاً فى بدايه نشوء الدوله العثمانيه، وذلك لأن الجهود كانت متظافره فى بدايه أمرها، من قبل القيمين على السلطه، ومن السلطان بالتحديد، بالإضافة إلى تلاحم العلماء والناس معهم بالشكل الذى يغطى هذا النقص الذى ظهر فى أيام ضعف الدوله العثمانيه. ففى المدن - مثلاً - كان الولاء للسلطان العثماني قوياً، وكان التجار وأهل

الحرف يرون في الحاميه العثمانيه القوه القادره على نشر الأمن اللازم لنجاح أعمالهم، وكان العلماء يرون السلطان حامى حمى الإسلام ورافع رايه الجهاد، ولذلك كان الثوار على الوالى لا- يقولون أنهم ثائرون ضد السلطان، وإنما ضد والٍ ظالم. فكان الوالى يعتمد فى السنوات الأولى من الحكم العثمانى على القوات الإنكشاريه، ولكن بسبب التمردات العديده التى قامت بها تلك القوات، لجأ الولاه إلى تكوين قوّات محليه، جاهزه لتنفيذ الأوامر عند الحاجة، من دون الاعتماد على القوات التقليديه. وقد أدى هذا التطور إلى ظهور حاله من الصراع والصدام، من وقت لآخر، بين القوات الإنكشاريه من جهه، والقوات المحليه من جهه أخرى. وكانت القوات الإنكشاريه هى الأقوى داخل بغداد، لخبرتها العسكريه والميدانيه المتراكمه. فإذن، كان الوالى أو السلطان فى الإدارة المركزيه يسعى لتثبيت سلطانه بإضعاف القوه الناميه فى جهازه إلى درجه المنافسه لقراره والتمرد على حكمه. فحينما كانت تتجاوز القوات العسكريه حدود صلاحياتها المرسومه لها، وتظهر حاله التمرد، وعدم الطاعه، حينها كان يخطط السلطان لتحجيمها، وإعادةنها إلى حجمها الطبيعى، وكانت الطريقه -آنذاك - تتلخص باللجوء إلى تأليف قوه عسكريه جديده، تأخذ شرعيّتها وقوتها من السلطه، منافسه لمهام القوه التقليديه، وتكون مقربه للسلطه. وبالرغم من كونها جديده فى ممارساتها، إلا أنها أكثر انضباطاً وإطاعه للأوامر. فإن اصطدمتا معاً، سيلجأ الفريقان المتصارعان إلى حكم السلطان ليفضّ النزاع بحكمته وإدارته فى الظروف الاعتياديه، وأما فى الظروف غير الطبيعيه، سيسعى كل طرف لنيل الشرعيه والإمكانيات من إحدى الخطوط الحاكمه، فتتوزع مراكز القوى على الفرقاء المتنازعين، وهكذا سنصل إلى الحقيقه المؤلمه التى تتلخص، بأن الصراع بين قوتين نظاميتين داخل النظام الواحد، وضمن مهام مشتركه ومتداخله بين القوتين، يعكس بوضوح صراع مراكز القوى، هذا الصراع النازل على شكل محاور متقابله من السلطه العليا إلى أطرافها على الأرض، فلذلك برزت حالات

من التمرد بين الوالى، وبين الباب العالى، وبين القوات التقليديه والقوات المحليه -أيضاً- (١). وهذا - بالفعل - ممّا أضعف السلطه المركزيه فى بغداد، وأظهر عجزها فى تحقيق الحمايه اللازمه للبلاد، وبالمقابل كان - هذا الضعف - عاملاً مهماً لانتعاش سلطه العشائر، وبروز دورها كقوه مؤثره على مجريات الأحداث.

إن تدهور القوه العسكريه فى العراق، ليس إلا- امتداداً للانحلال العام للقوه العسكريه العثمانيه، وبالرغم من اعتماد الولاه على القوات المحليه إلا- أنها كانت عاجزه - هى الأخرى - من السيطرة الكامله على البلاد. ولنا فى فتره حكم المماليك (١٧٤٩-١٨٣١م، ١١٦٣-١٢٤٦هـ-) شواهد كثيره على هذا الصراع.

وبالرغم من اعتبار معظم صراعات مراكز القوى ضمن إطار الذاتيات وصراع الإرادات الشخصيه، إلا أن تطوّر الأحداث السياسيه فى أواخر العهد العثماني أفرز حاله من الصراع المصيرى على مركز الخلافه. وبالرغم من محاولات الإصلاح والتجديد فى عهد الخليفه عبد الحميد الثانى (١٨٧٦-١٩٠٩م) إلا- أن التيار النقيض للحاله الإسلاميه كان يستمد قوته وخبرته من الدوائر الاستعماريه، الراصده لأوضاع الدوله العثمانيه والمتربصه بها من كل جانب، بالإضافة إلى وقوف - هذا التيار النقيض - على نواقص وسلبيات العهد العثماني، ممّا وفر أجواءً مناسبه لنجاح الخطه الماكره، داخل العاصمه، وكذلك انعكاساتها على الولايات العثمانيه ومنها بغداد. - ففى فتره موضوع البحث - بلغ الصراع ذروته داخل العاصمه العثمانيه، فدخل التيار القومى التركى إلى مستوى التنفيذ للخطه الاستعماريه المدروسه لغرض إنهاء دور الدوله الإسلاميه، هذا الدور - على علاته - يمثل الشبح المرعب للصليبيه والصهيونيه العالميه، وبعد نجاح هذه العمليه يتم إدخال الأمه الإسلاميه فى معركه الإثاره القوميه،

ص: ٩٠

١- (١) للتفاصيل التاريخيه، أنظر نوار، عبد العزيز سليمان: المرجع السابق، ص ١١ ومابعدها.

التي كانت أرضيتها مهياً بمعونه الاستعمار والتخلف في الأمة. فبعد ثوره الاتحاديين (١٩٠٨م، ١٣٢٦هـ-) دخلت أوضاع البلاد الإسلاميه في دوامه من الصراعات التي مزقت وحدتها بل حولتها إلى أشلاء مقطعه جاهزه للاستيلاء عليها والتحكم بها. ففي العراق «أخذت تدوى بشكل متزايد المطالبه بتوسيع الحقوق السياسيه للأهالي في حكم العراق، وزيادة نسبة الموظفين العرب في الإدارة المحليه، بل وطرح أيضاً قضية الاستقلال الذاتي» (١). وهذه الحاله تعتبر من إفرات ذلك الصراع.

ب. مواجهه الواقع الثقافى للأمة

اشاره

إن مسأله قياده الأمة - سياسياً وإدارياً - ترسم إطار التعاطى الشعبى معها، لأنها تشكل أبرز مظاهر الارتباط بين الراعى والرعيه، وأكثرها حساسيه ودقه، فهي ترتبط بمصير الأمة من ناحيه، وإنها شامله لكافه مناحى الحياه المعيشيه من ناحيه أخرى. فهي ليست محصوره بالمعاطاه التجاريه، أو العلميه، بل هي عامه تعكس آثارها على الحياه عمومًا. وقد قيل قديماً «الناس على دين ملوكهم» إذا كانت حاله الاستيعاب لدى السلاطين ناضجه، بدرجة معينه تحفظ الحقوق والواجبات للحاكم والمحكوم، فقد ورد عن الإمام على عليه السلام قوله: «آله الرياسه سعه الصدر» (٢).

أما إذا افتقدت الحاله الاستيعابيه لدى الحاكمين، وضاعت صدورهم من الناس فى توجيه وعيهم، وتنميه أدوارهم الإيجابيه عن قناعه، إثر تطور الأحداث، حينذاك يحدث الاصطدام الذى يبدأ - لعلّه - من نقاط بسيطه فى الزوايا العامه، ثم تتطور الحاله، - إذا لم تعالج معالجه صحيحه - لتصل إلى درجه الانتقاد، ثم الاعتراض، ثم التمرد والثوره ضد الواقع المؤلم. وقد تراكمت - بمرور الأيام - تلك السلبيات فى وعى

ص: ٩١

١- (١) منتشاشفيلى، البرت. م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى، مرجع سابق، ص ١١٢.

٢- (٢) نهج البلاغه، باب الحكم والكلمات القصار، رقم ١٧٦.

الأمة حتى بلغت درجة الغليان والانفجار، إبان حركة الدستور عام ١٩٠٨م، التي قادتها جمعيه الاتحاد والترقي، فانعكست سياستها مباشرة على واقع البلاد الإسلاميه عموماً، ومنها العراق.

فالشعوب التي كانت ضمن إطار الدوله العثمانيه، هي شعوب إسلاميه، وطابعها العام هو الطابع الإسلامى، وهناك أقليات دينيه أخرى متعايشه ضمن الجو الفكرى السائد أى الجو الإسلامى. ألم يلقب «السلطان العثماني بأمر المؤمنين وخليفه رسول رب العالمين؟» (١).

وفى العراق بالتحديد، كان الجو الفكرى إسلامياً من الناحيه الدينيه، وعربياً من الناحيه القوميه واللغه - على الأغلب-، بينما الذى نلمسه من سياسه الدوله العثمانيه، ومن الاتحاديين خاصه أنها اصطدمت بحاله الثقافيه السائده فى البلاد، فقد اصطدمت بالمسلمين عامهً وبالشيعة خاصهً، واصطدمت بالعروبه والقوميات الأخرى كذلك، واصطدمت بالأقليات الدينيه المتعايشه ضمن الجو العام. فظهرت عنصريه وطائفيه بشكل واضح. حيث اصطهدت المسلمين الشيعة والعرب والقوميات غير التركيه والأقليات الدينيه، كما سنلاحظ ذلك فى المحاورالتاليه:

أولاً: الاصطدام بالمسلمين عموماً، وبالمسلمين الشيعة على الخصوص.

ثانياً: الاصطدام بالقوميات غير التركيه عموماً، وبالقوميه العربيه على الخصوص.

ثالثاً: الاصطدام بالأقليات الأخرى.

وهكذا سنتعرف على حاله الاستياء العام من تلك السياسه الصداميه، وما أفرزتها من انعكاسات ميدانيه (سياسيه وحركيه) على الساحه العراقيه.

ص: ٩٢

١- (١) العلوى، حسن: التأثيرات التركيه فى المشروع القومى العربى فى العراق، ص ٤٢.

أولاً: الاصطدام بالمسلمين عموماً، وبالمسلمين الشيعة على الخصوص

إن تصرفات القاده السياسيين - بشكل عام - أخذت تعكس صوراً عن سلوكيات غير إسلاميه في حياتهم، كأنها تنبؤ عن عمليات منظمه لغزو الإداره العثمانيه، فقد أدت إلى اهتزاز الثقه بين الراعي والرعيه، وضعفت العلاقه بين الطرفين، لذلك بدأت الشعوب المحكوميه تتطلع للنجاه والخلص. «وهكذا أصبح الحكم العثماني في العراق، ذا طابع يبعده عن طابعه الإسلامى، الذى كان يتميز به من قبل، وفكره وحده المسلمين تحت حكم الخليفه كانت من أقوى العوامل التى ربطت بين الناس والخليفه العثماني، أما وقد تخلى الخليفه ورجاله عن بعض مظاهر الحكم الإسلامى، واتبعوا طريق الأوروبيين، فلا أقل من أن ينفض الناس من أنفسهم الولاء لهم.. فكان الناس يتطلعون إلى اليوم الذى يخلصهم من هذا النظام الجديد» (1). وهذه الحاله تجسدت فى الأذهان عبر الممارسات الجديده، وكذلك من الترسبات المشوهه التى أنتجتها ممارسات بعض الولاه والقاده، والتى زادت من استياء صوره السلطه، وكمثال على ذلك، واقعه مذبحه المماليك فى التاريخ القريب، فقد بقيت أصدائها فى أذهان البغداديين تنتقل من جيل إلى جيل. حيث أدت - فى وقتها - إلى الانفجار والثوره ضد حكومه على رضا، فى (1832م، 1247هـ-) ومما يذكر - كشاهد ملموس فى هذا المجال - أن موكب الوالى ورجاله من الإداريين والحرس، لما وفدوا البلاد كانت طريقتهم غير مرضيه لدى عموم الناس لأنها افتقدت أبسط مقومات الرعايه للحاله الثقافيه السائده «فكان الباشا الجديد - على باشا رضا - يرتدى الملابس الأوروبيه، وكذا عدد من حاشيته، وكان هذا الزى فى نظر أهل بغداد خروجاً على التقاليد الإسلاميه وأخذاً بالتقاليد الأوروبيه التى كان الناس يخشون منها على الإسلام كل الخشيه، وكانوا يعتقدون أن ارتداء مثل هذه الملابس ليس سوى مقدمه للتحويل عن

ص: ٩٣

الدين الإسلامى» (١). وبالنتيجه، لقد مارست السلطه الجديده أعمالاً ونشاطات أثارت الشارع الإسلامى ضدها، وأنها جاءت تتويجاً لأخطاء بعض الولاة والقاده فى بغداد عبر المسيره الطويله. يقول السلطان عبد الحميد - فى صدد بيان حرصه وخشيته من إثارة غضب الرأى العام الإسلامى -: «إن مدحت باشا قد ولى المناصب الكبرى، المسيحيين والروم فى المناطق الواقعه خارج تركيا، والخاضعه (للدوله) العثمانيه، إن مثل هذه الأعمال تؤلّب المسلمين علينا» (٢). وبالفعل أخذ الناس يلمسون عدم قدره السلطه العثمانيه على تطبيق الشريعه الإسلاميه فى بناء الحياه والمجتمع والنظم الاقتصاديه، وعليه فقد كانت تختفى صورته الإسلام المنقذ عن الأذهان، بل تفاقمت الأزمات الاقتصاديه فى البلاد، فسلموا الأسواق التجاريه والحرف المهمه إلى اليهود والأرمن، وبذلك «ظهروا بمظهر الحكّام الوقتين الذين همّهم أن يعتصروا من البلاد أكثر مما يمكن من الفوائد طالما أنها تحت سلطانهم» (٣).

إنّ مثل هذه الممارسات كانت تصطدم بالوعى العام لدى المسلمين كافه، وهنالك ممارسات إداريه خاطئه اصطدمت بواقع المسلمين الشيعه، أكثر وضوحاً وأشدّ إيلاماً من سابقته. فالشيعه «وهم أكثره سكان العراق» (٤). كانت علاقتهم بالسلطه العثمانيه متوتره وغير جيده، وذلك لأسباب طائفيه بالدرجه الأولى وقوميه بالدرجه الثانيه انعكست - بوضوح - على طريقه حكم العراق وإدارته، يقول عبد الله النفيسى: «أما أسلوب الحكم الذى كان الأتراك يمارسونه فقد كان أسلوباً يتميز إلى حدّ بعيد بالتعصب ضدّ الشيعه» (٥).

ص: ٩٤

١- (١) المرجع ذاته، ص ٤٥١-٤٥٢.

٢- (٢) حلاق، د. حسان: دور اليهود والقوى الدوليه فى خلع السلطان (مرجع سابق) ص ٤٥.

٣- (٣) منتشاشفيلى، البرت. م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى، مرجع سابق، ص ١٠٣.

٤- (٤) خدورى، مجيد: العراق الجمهورى، الدار المتحدّه للنشر، ط ١، ١٩٧٤م، ص ١٢.

٥- (٥) النفيسى، عبد الله: مرجع سابق، ص ٨١.

ويقول حسن العلوى: «فقد أقصى الأتراك العثمانيون، الشيعة العرب في العراق عن أى مركز إدارى فى الدولة وأبعدوهم عن التمثيل النيابى، فإذا اضطرت الدولة لتعيين نائب عن المدن الشيعيه اختارت أحد أبناء العراق من أهل السنه، ممثلاً لكربلاء أو العماره أو الديوانيه أو الناصريه، فيما أعطت الدوله العثمانيه لليهود والمسيحيين فى العراق حق اختيار أو تعيين مندوب لهم فى مجلس المبعوثين (البرلمان العثماني) وعلى الرغم من صدور الدستور العثماني عام ١٩٠٨م.. حُرم الشيعة من حق التمثيل عن مدنهم» (١). لأسباب طائفية بالدرجة الأولى، ولأسباب سياسيه بالدرجه الثانيه وذلك بانعكاس حاله الصراع بين الدوله العثمانيه والدوله الفارسيه - آنذاك - على الساحة العراقيه، فكما أن السلطه العثمانيه نصبت نفسها مدافعه عن حقوق أهل السنه فى العراق، بالمقابل نصبت الحكومه الفارسيه نفسها مدافعه عن شيعة العراق، وكان لهذين العاملين السياسيين المتصارعين، أثرهما الواضح فى إثارة الصراع على الأرض لتحقيق أغراض سياسيه، فكلما اشتدت الأزمه بين السلطان والشاه، انعكست ظلالاً قاتمته على الحياه فى العراق. مما دفع القبائل العرييه الشيعيه إلى التسلح على طول نهر الفرات لكى تحمى نفسها بنفسها، وتدافع عن قادتها الشرعيين فى النجف وكربلاء والكاظميه وسامراء، بل لتكون على أهبه الاستعداد لإعلان التمرد والعصيان والثوره - أيضاً - إذا اقتضى الأمر ضد السلطات الحاكمه. يقول (لونكريك): «إن اللوم فى الاختلاف الفكرى المميت، وفى النفور الشديد بين الأتراك ورعاياهم من الكرد والعرب لا- يقع على الحكام وحدهم، لاین هؤلاء الرعايا لم يبتعدوا عن الولاء والطاعه للأتراك لأنهم أتراك، وإنما كان ذلك ابتعاداً عن أيه حكومه كانت تصطدم نظمها ونظمهم الخاصه، وحریتهم المطلقه التى كانوا يحيون بموجبها طوال القرون السابقه. فقد كانت كل حكومه شيعيه مثلاً تلاقى حتماً بعداوات كردستان وشمالى العراق وكثير من أواسط العراق،

ص: ٩٥

كما كانت كل حكومه ستيه لابد أن تلاقى معارضه المجتهدين في كربلاء والنجف علاوه على معارضه القبائل الشيعيه» (١). والملاحظ في الخط البياني لحركه الشعب العراقي - تاريخياً أثناء الصراع بين الدولتين - أن ولاء العراقيين الشيعه كان متوجهاً للسلطه الفارسيه بشكل عام فتره الصراع بين الطرفين، والتي استمرت عده قرون من عام (١٥٠٨ حتى ١٩١٣م، ٩١٤-١٣٣١هـ-). وذلك لأسباب مذهبيه واقتصاديه وتاريخيه، فقادته المذهب الشيعي - الفقهاء المجتهدون - كانوا في المدن المقدسه بالعراق - غالباً - وكان الحكم الصّيفوي والقاجاري في إيران بحاجه إلى دعمهم المعنوي والشرعي، مقابل سعي الحكام الفرس لتلبيه متطلبات علماء الشيعه في العراق (٢). المهم أن هذا الصراع الدولي على الساحة العراقيه، زاد من تدمير ومعارضه أغلبيه الشعب العراقي للسلطات العثمانيه الحاكمه، مما نتج «انحسار ظل السلطه العثمانيه في معظم مناطق الفرات الأوسط، وتحولها إلى سلطه صوريه على الدوام، ومقتصره على الضرائب حتى نهايه الحكم العثماني، فقد أدى ذلك إلى زياده ارتباط العشائر وسكان تلك المناطق والمدن، بزعاماتهم الدينيه في النجف وكربلاء وتعميق الولاء لهم. وهذا كان يوحد بدوره من زعامه العلماء على كافه شيعه العراق، ويساهم في تكتلهم كجماعه ثقافيه وسياسيه متمايزه في وجه حملات السلطه، وإجراءاتها ضدهم» (٣). ومن العوامل المؤثره في هذا الاتجاه، هو موقف الدوله العثمانيه بعدم الاعتراف بالمذهب الجعفري أسوه بالمذاهب الأربعة. بل عدم اعتبار الشيعه في العراق كغيرهم من الطوائف الإسلاميه الأخرى.. بينما يمنح نظام (الملل) العثماني الطوائف غير الإسلاميه حقا في

ص: ٩٤

- ١- (١) لونكريك، المستر ستيفن، همسلفي: مرجع سابق، ص ٣٨٨، والجدير بالذكر أن المؤلف رجل عسكري بريطاني اشترك مع الجيش البريطاني في الحرب العالميه الثانيه برتبه آمر لواء.
- ٢- (٢) الوردى، د. علي: لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث، ج ١، ص ١١. انظر: الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، ج ١، ص ٢٨.
- ٣- (٣) الرهيمي، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ١١٢.

ففى الإطار الإسلامى «كان الولاه فى مختلف الأدوار.. يقومون بتأسيس المدارس، ويوقفون لها الأوقاف الخيرية، مستثنين من ذلك أبناء المذهب الجعفرى، الذى يحتل اتباعه جانباً كبيراً من البلاد، مما اضطرهم لإنشاء المدارس الخاصه بهم بعيدين عن تشجيع الولاه أو مساعدتهم المالىه» (٢). وهكذا «فحكومه السلطان العثمانى التى تقود المسلمين السنه، تعتبر بالنسبه للشيعه المتشددين - فى الجوهر - [المؤمنين حقاً] حكومه مغتصبه للسلطه، وفى رأى هؤلاء لم تكن هذه الحكومه تمتلك حتى مؤهلات تطبيق قوانين الإسلام، لذلك فقد كانوا يشعرون بالاعتراض عنها، وكان قليل منهم يبالى بخدمتها أو الذهاب إلى مدارسها» (٣). يقول كامل الجادرجى: «كانت الطائفه الشيعيه تعدّ فى زمن السلطان عبد الحميد وبالحقيقه فى زمن الدوله العثمانيه أقلية تنظر إليها الدوله بعين العدا، فلم تفسخ لها مجالات التقدم فى أيه ناحيه من نواحي الحياه العامه، ومن الأمثله البارزه على ذلك أنها كانت لا تقبل لها تلميذاً فى المدرسه الحربيه، ولا يقبل منها فرد فى وظائف الدوله إلا ما ندر وعند الضروره القصوى، وحتى فى مدارس الدوله القليله كانت توضع العراقيل فى دخول أبناء الطائفه فيها» (٤).

لذلك يذهب أكثر الباحثين إلى أن سياسه التمييز الطائفى للحكام الأتراك كانت وراء إثارة الفتن الطائفيه بين السنه والشيعه فى العراق، وبالفعل «تقع على الأتراك أنفسهم

ص: ٩٧

-
- ١- (١) المرجع ذاته، ص ١٠٩ - ١١٠. راجع كوثرانى، د. وجيه: الاتجاهات الاجتماعيه - السياسيه فى جبل لبنان والمشرق العربى (١٨٦٠-١٩٢٠م) معهد الإنماء العربى، بيروت ١٩٧٦م، ص ٣١-٣٧.
 - ٢- (٢) العلوى، حسن: الشيعه والدوله القوميه فى العراق، باريس ١٩٨٩م، ص ٥٠، عن: الهلالى، عبد الرزاق: تاريخ التعليم فى العراق فى العهد العثمانى، بغداد ١٩٥٩م، ص ٤٣.
 - ٣- (٣) بطاطو، حنا: المرجع السابق، الكتاب الأول، ص ٣٦.
 - ٤- (٤) العلوى، حسن: المرجع ذاته، ص ٥١، راجع: من أوراق كامل الجادرجى، طبع بيروت ١٩٧١م، ص ٦٨.

تبعه إثارة الشقاق بين الشيعة والسنة، فلم يكن لهذا الشقاق وجود بشهادة الجميع منذ ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر، حتى أن السنة والشيعة كانوا يتزاورون، ولكن الشقاق المذهبي أخذ يشتد من سنة لأخرى، منذ أن أصبح الأتراك يناصرون السنة علناً ضد الشيعة» (١). ويبدو لنا من مجمل الأحداث أن الحكام الأتراك في سياستهم الإدارية للعراق كانوا يريدون من الشعب أن يكون مسلماً بطريقتهم الخاصة ليتمكنوا منه، وأن يكون منتمياً لقوميتته ووطنيته بطريقتهم الخاصة - أيضاً - ليستوعبوا طموحه وتطلعاته، فتجاهلوا المسلمين الشيعة تماماً، وذلك باتباعهم سياسته الإقصاء والإلغاء لهم من الحياة السياسيّة والمواقع الإدارية، ومع كل ذلك لم يفلحوا في تحقيق أهدافهم، بل اصطدموا بصخور الوعي لدى المسلمين الشيعة، ومثانه تماسكهم حول قياداتهم العلمائيّة الواعيّة، وبالفعل أصبح المسلم الشيعي عصياً على دوائر التمييز الطائفي والقومي للدولة العثمانيّة.

وها هنا - بالتحديد - موضع الجرح النازف، ونحن إذ نضع الإصبع على الألم العميق نكتشف بوضوح تام جذور الحقيقة الكامنه وراء الضعف الإداري للسلطة العثمانيّة. ومن هنا نقول - بصراحة - إن العلاقة بين الدولة العثمانيّة والمسلمين الشيعة كانت تتسم بالعداء والتوتر على طول المسيره، كنتيجة طبيعيّة للسياسة الطائفيّة والتمييزيّة التي كانت تتبعها الدولة العثمانيّة ضدّهم.

ولكن، وبالرغم من كل تلك المعاناه المؤلمه، سجّل علماء المسلمين الشيعة مواقفهم المبدئيّة التي يشهد لها التاريخ، اتجاه الدولة العثمانيّة المسلمه في أحلك ظروفها، حيث وقف علماء الشيعة بكل ثقلهم وقدراتهم وامتداداتهم إلى جانب الدولة العثمانيّة في معاركها المصيريّة - كما سنرى ذلك - وإن دلّ هذا الأمر على شيء إنما يدلّ على نضوج الوعي السياسيّ لدى علماء الشيعة، المنبثق من الأصالة الإسلاميّة لديهم.

ص: ٩٨

ومعنى ذلك، أن الخلافات والأزمات ووجهات النظر بل أكثر من ذلك، أن الإشكاليات الفكرية والعملية التي دفعت الشيعة لمعارضه سياسته العثمانيين عموماً وبالذات سياسته السلطان عبد الحميد الثاني في أواخر العهد العثماني، ولمعارضه سياسته الاتحاديين بشكل أوسع.. كل ذلك يجمعه علماء الشيعة ويضعونه في المجمعده، بالرفوف العاليه، لغرض شحذ الهمم، وتركيز العزائم للوقوف إلى جانب الدوله العثمانيه التي ترفع لواء الإسلام والجهاد ضد أعداء الإسلام المعتدين، وهذا الموقف ليس خاصاً باعتدائهم على العراق فقط بل شمل البلاد الإسلاميه بشكل عام. فوقفوا إلى جانب الدوله العثمانيه في حربها ضد إيطاليا عام (١٩١١م، ١٣٢٩هـ-)، عند غزوها لليبييا، فقد أعلنوا الجهاد في حينها، وبالفعل «تشكّلت في جميع أنحاء العراق لجان للدفاع عن ليبيا وكانت تضم أشخاصاً من الطائفتين، ولعب الشيعة فيها دوراً فعالاً جداً» (١). فتأسست عده جمعيات لدعم العمل الجهادي في ليبيا، فمثلاً: «قام عدد من أعيان الشاميه بتأليف لجنه في القضاء المذكور، كان الشيخ مبدر الفرعون وأخوته من أوائل المتبرعين لها.. وفي كربلاء عقد الأهالي اجتماعاً عاماً عند ضريح الإمام الحسين وألقيت الخطب الحماسيه، ثم جرى الاكتتاب لجمع التبرعات، فجمعت ستمائه ليره في يوم واحد.. وفي يوم ١٢/ تشرين الأول/ أكتوبر تظاهر ما يقارب الألفين من الأهالي، ثم احتشدوا عند ضريح الإمام الحسين، وألقى السيد جواد (الروزخون) كلمه أثنى بها على شجاعه الطرابلسيين.. وقد شهدت مدينتنا النجف وسامراء تظاهرات مماثله خلال يومي ١١ و١٧ تشرين الأول/ أكتوبر، أقيمت خلالها الخطب الحماسيه، ودعا الخطباء إلى نبذ الخلافات الطائفيه وتوحيد الجهود» (٢). وقد

ص: ٩٩

١- (١) نظمي، د. وميض جمال: شيعة العراق وقضيه القوميه العربيه، الدور التاريخي قبل الاستقلال، الفصل السابع من كتاب (دراسات في القوميه العربيه والوحده)، إصدار مركز دراسات الوحده العربيه، سلسله كتب المستقبل العربي (٥)، بيروت ط ٢، ١٩٩٢م، ص ١٩١.

٢- (٢) الجابري، محمد هليل: الحركه القوميه العربيه في العراق بين (١٩٠٨-١٩١٤م)، رساله دكتوراه، جامعه بغداد، كليه الآداب، قسم التاريخ، ١٩٨٠، ص ٤٢٤.

«حدثت في مدن العراق الكبرى - أيضاً - فعاليات معاديه للاستعمار احتجاجاً على احتلال قوات روسيا القيصرية، وإنجلترا لإيران، وقمع حركة الشعب الإيراني الثوريه في كانون الأول ١٩١١م، فأصدر المجتهدون الشيعة في النجف فتوى دعوا فيها جميع مسلمى العراق لإسناد مطلب سحب القوات الأجنبية من إيران، وطلبوا منهم أن يضحو من أجل هذه القضية المقدسه بحياتهم وممتلكاتهم..» (١).

أما موقفهم الجهادى ضد الحلفاء المعتدين عام ١٩١٤م، فتشهد له ميادين القتال، وهذا ما سنوضحه في حديثنا عن حركة الجهاد عام (١٩١٤م، ١٣٣٢هـ-). وهكذا فإن «علماء الإسلام في النجف وكرلاء الذين رفضوا الانسياق وراء شهواتهم وطموحاتهم الخاصه.. وفضلوا التمسك بالإسلام وبالوحده (الإسلاميه)، والعض على جروحهم من أجل مجابهه العدو الخارجى.. ورفضوا كل العروض التى قدمتها بريطانيا لدعمهم، وتوفير الحمايه لهم، بل رفضوا السماح للقوى الأجنبية بأى تدخل فى الشؤون الداخليه للدوله الإسلاميه» (٢).

والحال - وعلى ضوء التحليل السياسى القائم على المصالح والمنافع - كان بإمكان علماء الشيعة وهم المضطهدون فى ظل السيطره العثمانيه، أن يمدوا جسوراً مع الدول الطامعه بل أن يستجيبوا لمحاولات تلك الدول وخصوصاً بريطانيا، وذلك لكى ينتقموا من السلطات العثمانيه المعاديه لهم، وكذلك ليضمنوا مستقبلاً حافلاً فى إداره البلاد.

إن هذا الأمر ليس بعيداً على الإطلاق عن ذهنيه علماء الشيعة ولكن الحاجز الحقيقى دون تنفيذه هو تقوى الله سبحانه. وهنا أتذكر ما نقرأه فى زياره أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى يوم الغدير حيث ورد فى وصفه عليه السلام: «وكم

ص: ١٠٠

-
- ١- (١) منتشاشفيلى، البرت. م: مرجع سابق، ص ١٠١.
 - ٢- (٢) الكاتب، أحمد: مرجع سابق، ص ١٩.

من أمر صدك عن إمضاء عزمك فيه التقى، وأتبع غيرك في مثله الهوى، فظن الجاهلون أنك عجزت عما إليه انتهى، ضلَّ والله الظان لذلك وما اهتدى، ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهم وامترى، بقولك صلى الله عليك «قد يرى الحول القلب وجه الحيله ودونها حاجز من تقوى الله فيدعها رأى العين وينتهز فرصتها من لا حريجه له في الدين، صدقت وخسر المبطلون..» (١). وبعد ذكر إمام المتقين أعود إلى مواقف علماء الشيعة، فلقد بلغ الوعي السياسى الإسلامى ذروته المبدئية لديهم، ليس فقط لرفضهم الاستجابة لإغراءات وعروض البريطانيين بل لوقوفهم ضد مشاريعهم الإستيلائيه، فقد حاربوها بكامل قوتهم وطاقاتهم. وكشاهد على هذا الرأى، ما حدث للإمام محمد حسن الشيرازى فى سامراء، قبيل الحرب العالميه الأولى من اعتداء شخصى، فأصيب بحجرٍ طائش مما دفع قنصل بريطانيا، وروسيا بالتوجه إلى سامراء مستنكرين هذا العمل الذى يحتمل انه جرى بتوجيه من أحدهما.. فرفض الإمام الشيرازى هذا التدخل الغريب فى حادثه داخله.. وحينما أُبلغ القنصل البريطانى برفض المقابله من قبل الإمام، بعث إليه أنه مستعد للاقتصاص ممن أرتكب هذا الاعتداء، ولو أدى ذلك إلى إرسال إنذار للحكومہ العثمانيه! فرفض عرضه قائلاً: «إنه لا- يعتقد بوجود عداة بينه وبين أهل سامراء، وإن ما حدث كان نتيجة الصدفة، ولا يرى حاجة لدس أنف بريطانيا فى هذا الأمر الذى لا يعنيه، لأنه والحكومہ العثمانيه على دين واحد، وقبلة واحده، وقرآن واحد». ومما يذكر أن الإمام نال شكر الحكومه العثمانيه وتقديرها (٢). وهذا العالم الكبير هو الذى قاد ثوره

ص: ١٠١

١- (١) مقطع من زياره أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام يوم الغدير، راجع نص الزياره فى كتب الأدعيه والزيارات، فستقف على معانى ودروس ودلالات هائله. راجع للمثال: الجوهري، الحاج محمد صالح: ضياء الصالحين. مطبعه الآداب النجف ط ١٢، سنه ١٣٨٩هـ-، ص ١٨٦.

٢- (٢) محمد كاظم، عباس: ثوره الخامس عشر من شعبان - ثوره العشرين (الثوره الإسلاميه الأولى فى العراق) - ط ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، سلسله نحو حضاره إسلاميه رقم ١٨ - مكان إصدار السلسله لندن، ص ٥٩. وأيضاً الكاتب، أحمد: مرجع سابق، ص ١٩.

التبناك المعروفه ضد اتفاقيه بريطانيا مع شاه إيران، بفتواه الشهيره، التي سببت إخراج الإنجليز من إيران عام (١٨٩١م، ١٣٠٩هـ-)، وسنوضح هذه المواقف من قبل العلماء المجتهدين، لاسيما الميرزا محمد حسن الشيرازي عند حديثنا عن أطروحه الإسلاميين الإصلاحيه.

ثانياً: الاصطدام بالقوميات غير التركيه عموماً، وبالقوميه العربيه على الخصوص

لقد تميزت - بوضوح - المراحل الأخيره من العهد العثماني باضطهاد القوميات غير التركيه، وعلى رأسها القوميه العربيه، وذلك نتيجة تفاعلات عديده لعوامل داخلية وخارجيه استعماريه أفرزت هذا الاتجاه في الإدارة السياسيه للسلطه العثمانيه بشكلٍ علني بعد ثوره الدستور، فمنذ استلام الاتحاديين زمام الأمور عام ١٩٠٨م، أصبحت سياسه التتريك من ابرز سمات تلك المرحله. وقد ظهرت آثار تلك السياسيه على الساحه العراقيه. وبالفعل كشفت الدوله العثمانيه عن سياستها العنصريه اتجاه القوميات غير التركيه، فكانت تعتبرها من الدرجه الثانيه، فأبناء العروبه مواطنون من الدرجه الثانيه داخل الإمبراطوريه، والذي زاد الطين بله «أن العثمانيين قد اتخذوا موقفاً شديداً به عن (الأسر) و(الدول) غير العربيه التي بسطت سلطانها على العرب من قبلهم، فتلك قد تعربت - على تفاوت في نجاحها في امتلاك القسّمات العربيه، وارتقائها وعمقها فيها - أما العثمانيون فقد شذوا عن هذا السبيل، عندما احتفظوا بتركيتهم، حتى لقد احتقروا العرب والعروبه، بل لقد راودتهم في المرحله الأخيره أحلام (تتريك) الرعيه العربيه، فكانوا البادئين لتلك المأساه التي تلقفها وزادها دعماً وبلورهً وتشيداً أعداء العروبه والإسلام، مأساه التناقض بين العروبه والإسلام» (١).

إنّ هذه التطورات دفعت ذوى الاتجاهات القوميه - وغيرهم أيضاً - إلى الاعتقاد

ص: ١٠٢

١- (١) عماره، محمد: القوميه العربيه والإسلام، بحوث ومناقشات، المرجع السابق، ص ١٤٥-١٤٦.

بأن سياسته التتريك شكّلت عاملاً مهماً من عوامل استشاره الوعي القومي العربي ونهوضه، وأواخر العهد العثماني، على عكس المراحل الأولى من العهد العثماني، فقد كان الالتزام بالشريعة الإسلامية من قبل الدولة، يفرض احترام أبناء القوميات الأخرى، ويشعرهم بالمساواة أمام القانون الإسلامي. إن هذا الاختلاف بين الموقفين المتعاكسين يدعو الباحثين إلى التفريق بين سياسته العثمانية، في بدايتها، عن سياستها أواخر عهدها، «ففي الفترات الأولى من الحكم العثماني، عومل العرب بالكثير من الاحترام، وكانت الدولة العثمانية قائمه على أسس اللامركزية، وبقيت كذلك حتى أواخر القرن الثامن عشر.. (فقد كان العثمانيون يعتبرون أنفسهم مسلمين أولاً- وقبل كل شيء، وكانوا ينظرون النظره ذاتها إلى (الدولة) بمجموعها (من حيث الحروب والمناصب)..» (1). ولكن حينما اتبعت سياسته التتريك، بدأت مطالبه العرب بالحقوق القومية ونمت شيئاً فشيئاً إلى درجة الانفصال عن الدولة العثمانية. ومن المؤكد أن المسألة ليست عبثية، حيث أوصلت الأمة الإسلامية إلى درجة التفكك والانحجار، وإنما كانت مؤامره دقيقه حيث خططها بأيدٍ صهيونية صليبية معاديه في عواصم أوروبا، حيث كانت منتشرة بكل قواها لتحطيم الدولة العثمانية، وغزو المسلمين في عقر ديارهم. وذلك عبر البعد الاستراتيجي لهم داخل المسلمين، وهم الاقليات الدينية، بالإضافة إلى الذين حملوا أفكارهم، واصبحوا جسوراً لعبور جيوش الغرب إلى مناطق المسلمين، وبالتالي ليحقق الغرب أحلامه في السيطرة واستغلال الثروات. فلذلك حرصت أوروبا وبريطانيا بالتحديد «على التعاون مع الاقليات في الدولة العثمانية، لاسيما اليهود من ذوى النفوذ، بالإضافة إلى العملاء المحليين والأجانب على السواء. ويتحدث (مصطفى كامل) - الزعيم المصري - عن هذه الحقيقه فيقول: «لقد دخل في جسم الدولة كثير من

ص: ١٠٣

١- (١) نظمي، د. وميض: الجذور السياسيه والفكرية والاجتماعيه، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.

الأجانب نساءً ورجالاً، وغيروا أسماءهم بأسماء إسلاميه، عملوا على الارتقاء في المناصب حتى وصل بعضهم إلى أسماها، وصاروا من أقرب الدخلاء في الزمن السالف، في كل فروع الدوله العليّه، حتى في الجيش نفسه، وصارت لهم سلطه عظيمه، ونفوذ كبير، وكنّت تجد من وزراء الدوله العليه من يعمل لصالح الروس مدعياً أنه روسي السياسه، ومن يعمل لصالح إنكلترا مدعياً أنه إنكليزي السياسه، ولكن ليس منهم من كان عثمانى السياسه». يضيف الدكتور حسان إلى ذلك بقوله: «إن هؤلاء الأشخاص الأجانب الذين دخلوا في جسم الدوله لعبوا دوراً بارزاً في إنهاكها وتقشير سنى حياتها» (١). وهكذا فقد «استخدمت الدول الأوروبيه مختلف الوسائل والسبل لمحاربه الدوله الإسلاميه العثمانيه، شملت غزو أجزاء منها، وبث الدسائس والفتن والأفكار العلمانيه والقوميه في أركانها، كل ذلك لإنهاء الرابطه الإسلاميه وفسخها، ومن ثم اقتطاع الأمصار الإسلاميه وتقسيمها، والقضاء على تعاليم الدين الإسلامى الحنيف. إن الركيزه الأساسيه التي اعتمدها الدوائر الغريبه في إنهاء الدوله العثمانيه هي مؤامره الحركه القوميه التركيه (الطورانيه)، واعتمدت في غرس ونشأ هذه الحركه على علماء الغرب المنتشرين في مؤسسات الأستانه من روس، وفرنسيين ويهود (الدونمه) سلانيك» (٢).

فقد جاء في أحد منشورات تركيا الفتاه «إن هذه البدعه الخياليه المخيفه، التي يسمونها الأمه الإسلاميه، التي ظلت إلى أمد طويل سداً يحول دون التقدم بوجه عام، ودون تحقيق الوحده الطورانيه بوجه خاص، هي في طريقها إلى التفكك والزوال» (٣). وعليه، فقد كانت حلقات التآمر على الدوله العثمانيه والشعوب الإسلاميه، مستمره ضمن مسلسل متكامل،

ص: ١٠٤

- ١- (١) حلاق، د. حسان: دور اليهود والقوى الدوليه.. مرجع سابق، ص ٦٣.
- ٢- (٢) الطائي، نجاح عطا: الفكر القومي إسلامياً وتاريخياً، طبع طهران (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ٢٩. الناشر: معاونيه العلاقات الدوليه في منظمه الإعلام الإسلامى - الجمهوريه الإسلاميه في إيران.
- ٣- (٣) المرجع ذاته، ص ٢٣.

حلقتة الأولى كانت يثاره القوميه التركيه بالذات، لأن الأتراك حسب الظاهر المعلن هم أصحاب السلطه الإسلاميه - آنذاك - بينما جاءت إثاره القوميه العربيه، والقوميه الكرديه فيما بعد، ضمن الحلقات الأخرى. وكان الاستعمار يستهدف الدوله العثمانيه بالدرجه الأولى، فنجاحه يثاره القوميه التركيه، كبديل عن الإسلام، للنهضة والتقدم، يضمن النجاح فى القوميات الأخرى، وعلى رأسها القوميه العربيه لما تملك من تاريخ إسلامى حافل بالمواقف، خاصه فى عصر صدر الإسلام، كما أن اللغه العربيه هى لغه القرآن الكريم، بالإضافة إلى ما تملكه بلاد العرب من خيرات وثروات. لذلك، وبعد ثوره الاتحاديين عام ١٩٠٨م «كانت كلمه (بيس عرب) (عربى قذر)، يسمعا العربى أينما سار فى الأستانه» (١). فيأذن هو مخطط يهودى دقيق غايته الانقضاض على الإسلام والمسلمين «وتبرز الوثائق المعاصره من أن أصحاب العقول المحركه لثوره الاتحاد والترقى هم اليهود الدونمه والدول الأجنبيه على حد قول: (Seton Wastson) ويؤكد لوثر (Lowther) السفير البريطانى فى الأستانه هذه الحقيقه ب- (أن جمعيه الاتحاد والترقى تبدو فى تنظيمها الداخلى تحالفاً يهودياً - تركياً مزدوجاً).. ويذكر أرنست رامزور (E.Ramzour)، ومحمد رشيد رضا، وجواد رفعت اتلخان - القائد التركى - من أن الثوره التركيه عام ١٩٠٨م، كلها تقريباً من عمل مؤامره يهوديه ماسونيه نظراً لعظم نفوذ اليهود الماسون فيها» (٢). ومعنى ذلك أن نجاح الاتحاديين سيعبّد الطريق نحو نجاح القوميه العربيه فى المسعى المشترك لتفريق الوحده الإسلاميه. ومما لا شك فيه كان لانعكاسات السياسه العنصريه والطائفيه التى مورست ضدّ العرب والقوميات الأخرى، الأثر الكبير والواضح فى إذكاء روح القوميه وتطورها لدى العرب، حيث استخدم حزب الاتحاد والترقى أساليب

ص: ١٠٥

١- (١) حلاق، د. حسان: المرجع السابق، ص ١١، من مقدمه المؤلف.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ١٠-١١ بالمقدمه.

عديده لتحقيق أهدافه، التي هي أهداف الغرب «إذ أخذ يذل المسلمين، ويقتل أحرارهم، ويتصرف معهم تصرفاً استعمارياً منفرّاً لهم، الأمر الذي أدى إلى نفره المسلمين وعلى رأسهم العرب من الحكم.. فهذا جمال باشا أحد القاده الثلاثه للجمعيه وللدوله، عمل كل ما فى وسعه من أجل إثارة النعره القوميه عند عرب سوريا بقتله وشنقه للمئات، واحتقاره لهم ولدينهم وقوميتهم! وبفعل أعماله القوميه والعنصريه تلك، نال لقب (السفاح) ومن يومها أخذ يعرف باسم جمال باشا السفاح» (١). وقد بلغ الاستياء درجه لا- تطاق، داخل القوميات غير التركيه من تلك السياسه، «ففى العام (١٩١٠م، ١٣٢٨هـ-) كان أحد نواب بغداد فى (البرلمان) العثماني قد كتب يقول: «أسلم للمرء ألف مره أن يعتمد على العشيره، من أن يعتمد على الحكومه، ففى حين أن هذه الأخيره تؤجل أو تتجاهل الإخضاع، نجد أن العشيره - ومهما كانت ضعيفه - ما أن تعلم بأن ظلماً قد وقع ضدّ أحد أعضائها حتى تعد نفسها للأخذ بثأره» (٢). وهذه العمليه كانت مقصوده ومرسوم لها سلفاً على صعيد الوضع الاجتماعى فى العاصمه، وعلى صعيد مجلس النواب، بل حتى على صعيد ساحه العمليات العسكريه، فقد «قال الجنرال الألمانى (ليمان فون ساندرز)، قائد القطاع الجنوبي التركى فى الحرب العالميه الأولى، فى (٢٥/١/١٩١٦م، ٢١/ذو الحجه / ١٣٣٤هـ-)، للجنرال لوندوروف: إن الإجراءات الصارمه القاسيه التى اتخذها جمال باشا بحق العرب جعلتهم يتخلون عن تركيا وافقدتهم كل عطف نحو الأتراك.. أن سياسيه الحكومه التركيه المؤسفه والمحزنه نحو البلدان العرييه قد جعلت من العرب أعداءاً ألداء» (٣).

ص: ١٠٦

١- (١) الطائى، نجاح عطا: المرجع السابق، ص ٤٣-٤٤.

٢- (٢) بطاطو، حنا: العراق، الطبقات الاجتماعيه والحركات الثوريه من العهد العثماني حتى قيام الجمهوريه -مرجع سابق - ج ١، ص ٤٠.

٣- (٣) الطائى، مرجع سابق، ص ٤٨.

وكذلك انعكست هذه السياسه على القوميه الكرديه أيضاً (١). كأمر طبيعي نتيجة رده الفعل على سياسه التتريك التى أنتهجها رجال السلطه فى الأستانه. وبالتتيجه يمكن القول: إن الشعوب الإسلاميه التى كانت متحده على الأسس العامه تحت لواء الدوله العثمانيه قد تمزقت وتفرقت، وكذلك ضاعت الجامعه -على علاقتها- من أيدي المسلمين. يقول (لورنس) مبعوث بريطانيا والمنفذ الحقيقى للسياسه البريطانيه فى المنطقه «لقد كنت أؤمن بالفكره العربيه أيماناً عميقاً، وكنت واثقاً قبل أن أحضر إلى الحجاز، أنها هى الفكره التى ستمزق تركيا شذراً مذبذباً» (٢).

ووقف (كرزون)، وزير خارجه بريطانيا فى مجلس العموم البريطانى مجيباً عن بعض التساؤلات حول تركيا واستقلالها.. قال: «لقد قضينا على تركيا (الدوله العثمانيه) التى لن تقوم لها قائمه بعد اليوم.. لأننا قضينا على قوتها المتمثله فى أمرين: الإسلام والخلافه» (٣).

وهكذا دخلت دول الاستكبار حرباً متعدده المراحل، ايتدأت بإضعاف الدوله العثمانيه، وقد وظفت الثوره العربيه لصالحها فى المعركه، «فهى من ناحيه رفضت تدعيم القوات العثمانيه بمزيد من الجنود العرب..، كما قامت بإبطال مفعول سلاح الجهاد الخطير.. (وأكثر من ذلك).. قامت باحتلال الأراضى والمدن العربيه كالقدس وعمان ودمشق وتسليمها لقوات الاحتلال» (٤).

ألم يخاطب فيصل بن الحسين برسالته إلى (فرانكفورت) (٥) بقوله: «..إننا نعتبر

ص: ١٠٧

١- (١) منتشاشفيلى، البرت. م: مرجع سابق، ص ١٢٢.

٢- (٢) الطائى، نجاح عطا: المرجع السابق، ص ٩١.

٣- (٣) المرجع ذاته، ص ٥٧.

٤- (٤) الكاتب، أحمد: مرجع سابق، ص ١٦.

٥- (٥) خطاب رسمى من الملك فيصل إلى (المستر فرانكفورت) القاضى والأستاذ بجامعة هارفرت، وعضو الوفد الأمريكى فى مؤتمر الصلح، والمتحدث الرسمى باسم الصهيونيه الأمريكيه وذلك فى ٣/مارس/١٩١٩م.

العرب واليهود أبناء عمومته في الجنس، وقد تعرضوا لاضطهادات مماثلة على أيدي قوى أقوى منهم.. إن وفدنا.. ليدرك المطالب التي قدمتها المنظمه الصهيونية إلى مؤتمر الصلح في الأمس تمام الإدراك.. إننا نعتبرها مطالب معتدله وصحيحة.. وسوف نعمل جهدنا، حسب طاقاتنا في تحقيقها، وأملى أن يحتل العرب في القريب مركزاً يمكنهم من رد المعروف لليهود.. فالحركة اليهودية قومية وليست استعمارية.. لكلينا مكان في سوريا.. بل اني، لا أظن أن لأى مَنّا مكاناً في النجاح بدون الآخر..» (١). وهكذا تضيع القيم الإسلامية والوطنية من خلال المنهج القومي الذي اتخذه الاتحاديون، ورجال القومية العربية.. وبالتأكيد حينما أفاقت جمعيه الاتحاد والترقي من سباتها، وجدت نفسها خسرت كل شيء بما فيها دوله أحلامهم - تركيا - وكذلك رجال القومية العربية، قد خسروا كل شيء، بما في ذلك الوعود العسليه، من الدول الاستعمارية.

ثالثاً: الاصطدام بالاقليات الأخرى

تقع الاقليات الدينيه - غالباً - في محط نظر وتأمل، من قبل عيون المخططين لمشاريع السيطرة، لإمكانية التحالف والاتفاق معها أكثر من غيرها. وذلك لتجاذب الحاجه وتبادل المنفعه بين الطرفين. وفي حاله نجاح المشروع تصل درجه التحالف والالتصاق إلى مستوى الضروره الحياتيه ذات المصيرالمشترك.

إنّ الدوله العثمانيه رسمت الخطوط الإسلاميه العريضه لغرض التعامل مع تلك الاقليات المنتشره في الأقاليم التابعه إليها، أما المعامله الميدانيه فيحددها المنهج السياسى للدوله، ومدى انسجام الاقليات معه. والمهم، لقد ساد في أوساطها شعور بضروره التكتل فيما بينها، لتبرز بصوره مقبوله للساحه الحياتيه، بشكل يرضى قسطاً من طموحها - على الأقل - فكانت تظهر بهذه الصوره من التكتل والتكاتف والتكتل لتتال بعض

ص: ١٠٨

طموحها وهي مجتمعه، وكان لابد لها من أن تمتاز بقوه مؤثره - أيضاً - لتضغط من خلالها لتثبيت وجودها، ونيل مطالبها. وهذا هو السبب الذي دعاها للتفكير بالدخول في مجالات الحياه غير السياسيه. ف-«كان غير المسلمين - اليهود والآثوريون الكلدان وغيرهم - في المدن منعزلين عن بقية المجتمع في النواحي الاجتماعيه.. ولهذا فانهم ركزوا كل طاقتهم في المجال الاقتصادي» (١).

ولقد «تركزت حركه الشراء والبيع في بغداد عام ١٨٧٩م [١٢٩٧هـ-]، في أيدي اليهود، كما أشار إلى ذلك تقرير للقنصليه البريطانيه حول حركه التجاره في بغداد، أصبحوا في عام ١٩١٥م [١٣٣٣هـ-] مسيطرين بصورة كامله على التجاره المحليه، حيث لا يستطيع المسلمون ولا المسيحيون منافستهم» (٢). وقبيل الحرب العالميه الأولى حيث توسعت حركه التجاره الخارجيه، كانت السيطره التجاريه لأوروبا، ولا- سيما إنكلترا على مجمل العمليات التجاريه. وكان عدد التجار العراقيين، ومعظمهم من اليهود والمسيحيين، قليلاً لم يتجاوز عده مئات (٣).

وهذا لا يعنى - أبداً - أن الدول الأورويه بمصالحها ومطامعها في أقاليم الدوله العثمانيه - ولا سيما العراق - قد اعتبرت هذا التوجه الاقتصادي معيقاً لطموحاتها، بل على العكس، لقد ساهمت في نمو الاقليات اقتصادياً، وفي الوقت ذاته كترست وجودها من خلال الاقليات عبر مشاريعها السياسيه. ففتحت قنوات الاتصال معها، واعتبرتها العمق الاستراتيجي لأهدافها، والجسور الطبيعيه لتدخلها في المنطقه. نظراً لفقدان الحواجز النفسيه بينها وبين الدول الأورويه، وتلاقيها في المصالح والأهداف.

ص: ١٠٩

١- (١) منتشاشفيلى، البرت. م: مرجع سابق، ص ١٢١.

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ٥٣-٥٤.

٣- (٣) Batatu H: The Old Social Classes and The Revolutionary Movement ()

.Iraq.New Jerrey. ١٩٧٨.p.٢٤٤

وهكذا بدأت عملية إيجاد موطن قدم للدول الغربية في المنطقه.

«ونتيجه للرعايه المباشره التي أولاها التجار الأوروبيون ومؤسساتهم المصرفيه، للتجار المحليين من الاقليات الدينيه، لاسيما اليهود، فقد احتلت هذه الفئات موقعاً (متقدماً)، يشارك أو يلي مباشره مواقع التجار الأوروبيين في السيطرة على تجاره العراق، وكمثال على ذلك، الموقع الذي احتلته مؤسسه (ساسون) التجاريه - الربويّه في بغداد، التي كان ممثلوها من كبار تجار (بومباي) ويملكون معامل للنسيج في (مانشستر).. هذا فضلاً عن أن غالبية تجار الأقمشه بالجمله عموماً، وكذلك تجار البصره مع الخارج، كانوا من اليهود، في حين احتكر تجاره الماعز في كردستان بضع شركات مسيحيه. أما تجاره التمور فإن سته فقط من أصل عشرين، من كبار مصدريها كانوا من العرب (تجار محليين). أما في بغداد فإن اليهود والأرمن هم الذين ازدهروا بينما كان أغلبيه تجار البصره الذين يعتمدون بالأساس على التجاره مع اليهود.. هم من عناصر غير مسلمه ومن قوميات غير عربيه (1). وزاد انتعاش الاقليات حين اتصال أوروبا بالدوله العثمانيه وتغلغلها في المنطقه على الصعيد الاقتصادي والثقافي، بالاعتماد على تلك الاقليات، فقد فتح الاتحاد الإسرائيلي (ALLIACE ISRAELITE) مدارس في الموصل والحله والبصره وخانقين والعماره، كذلك أسست البعثه التي أرسلها أسقف (كاتريري) مدرسه في (بيباير) بالقرب من العماديه، كما نشطت بعثات الكرمليين والدومنيكان الفرنسيه بين الآ-ثوريين الكلدان، والبعثه الانكليكانيه البريطانيه بين الآ-ثوريين النساطره، إضافة إلى المبشرين الأمريكيين الذين كانوا يعملون في جنوب العراق وفي بغداد والموصل. وتعود الدعايه الصهيونيّه في العراق إلى هذه الفتره - أيضاً - فقد وصلت إلى العراق من أوروبا لجنتان صهيونيتان في أوقات مختلفه لدراسه إمكانيه الهجره، وطالب كراس وزع في 1913م [1931هـ-] بفلسطين» (2).

ص: 110

1- (1) راجع الرهيمي، عبد الحليم: المرجع السابق، ص 53.

2- (2) منتشاشفيلي، البرت. م: مرجع سابق، ص 121-122.

لتكون موطناً لليهود. إنَّ مجمل هذه الإرساليات، التي سبقت أو رافقت التغلغل الاقتصادي والسياسي لبلاد المسلمين، بلورت وعباً خاصاً داخل الاقليات، مفاده تكريس العزله عن مشاريع الدوله العثمانيه من ناحيه، ومن ناحيه أخرى استثمار الطاقات والإمكانيات المتاحة لغرض النمو الذاتى على المستوى الاقتصادى، ومن ثمّ لتدخل فى سير الأحداث السياسيه بشكل مؤثر، ضمن المشروع الأوروبى الذى يناسب مع معطيات المرحله. وعليه «لم يكن السكان المسيحيون واليهود، كذلك اليزيديون يرغبون فى المشاركة بمغامرات (الدوله) العثمانيه العسكريه، وبعد إصدار قانون تطبيق الخدمه العسكريه على غير المسلمين فى ١٩٠٩م، بدأ هؤلاء يحاولون التهرب من الخدمه العسكريه. بمختلف الوسائل..» (١). إن هذه الأرضيه فى واقع الاقليات قد نضجت إلى درجه الخصوبه، مخططات أوروبا والصهيونيه بالذات، عبر تفعيل أمرها ثقافياً وسياسياً، وإبراز دورها السياسى والاقتصادى المغمور نتيجة السياسه العثمانيه. والسؤال الصعب الذى تطرحه هذه الحاله هو: هل كان بإمكان الدوله العثمانيه أن تستوعب الاقليات وتفتح أمامها آفاق العمل السياسى والإدارى داخل البلاد الإسلاميه! وبشكل يرضى طموحها الخاص، وطموح الطامعين من ورائها؟ إنها المعاناه الحقيقيه لكل نظام إسلامى تتعايش فى أوساطه أقليات بتلك الظروف الذاتيه والموضوعيه. لذلك «ومنذ أن أحرز الإنكليز تفوقاً على منافسيهم الفرنسيين فى العراق، عمل القناصل والوكلاء الإنكليز، على رسم دور سياسى واقتصادى مباشر، وآخر مستقبلى للجماعات غير المسلمه، ومن ثمّ توظيف هذا الدور فى خدمه النفوذ والتغلغل الإنكليزى، وبلاستفاده من نزعه هؤلاء للدول الأوروبيه، كمراكز تبشير، والتي نمتها الحركه التبشيره، وحيث ساهم نظام الملل العثماني فى توفير شروط مهمه لتحقيق هذا الدور، فإن تسليم هذه الجماعات قياده العمليه التجاربه، بعد التجار الإنكليز، شكّل

ص: ١١١

شروطاً مادياً آخر لربط هذه الجماعات بالمصالح الإنكليزية، والأوروبيه عموماً. وقد استكمل ذلك بمباشره الإنكليز الإفصاح عن وصايتهم على هذه الجماعات.. فضلاً عن تمويل رؤساء هذه الجماعات بالمال، علانيه..» (١).

«ففى عام ١٩١٣م [١٣٣١هـ-]، اقترح القائم بأعمال القنصل البريطانى ببغداد، بأن تقدم للمبشرين مساعده ماليه، وأن يتوجه وزير الخارجيه البريطانى (أدور كرى) إلى الجمعيه الأورويه للاستعمار باقتراح رسمى يقضى بالصراف على مدرسه، لتدريس اللغه الإنجليزيه، وأوصى فضلاً عن ذلك. بمساعده الآثوريين النساطره، ودافع عن فكره توسيع نظام الرى بإشراف الإنجليز، حيث كتب يقول: من المهم السيطرة على النظام، وتكوين دوله داخل دوله» (٢).

ص: ١١٢

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٥٩.

٢- (٢) منتشاشفيلى، البرت. م: المرجع السابق، ص ١٤٣.

أ. البعد الدولي - سبل التغلغل الأوروبي - الإنكليزي

ولعل هذه العقبة من ابرز العقبات الخارجيه، التي عرقلت مركزيه السلطه العثمانيه، فعلى أثر ظهور أعراض مرض الشيخوخه، داخل أجهزه الدوله، ازداد نشاط الأوروبيين مستغلين فرصه الضعف - هذه - فتحركوا متنافسين فيما بينهم، لوضع اليد على أجزاء من التركه الهائله، بما أوتى - كل طرفٍ منهم - من قوه وحيله وخداع، وذلك بكشف ما أمكن من خطوط الضعف داخل النظام، لغرض التمكن من كسب المبادره، ومسك أكبر قدر ممكن من أوراق الفوز فى التسابق. فصار التغلغل الأوروبى والنفوذ الأجنبى داخل الجسم الكبير للدوله، هو السمه البارزه لمعالم تلك الحقبه الزمنيه، «فقد كانت (الدوله) تسيطر على جزء كبير من البلاد فى القارات الثلاث الغتية بمواردها الزراعيه والصناعيه، كما كانت تسيطر على كثير من المواقع السوقيه، كالمضايق والجزر، فكان طبيعياً أن تكون هذه الميزات مطمح أنظار الدول الراغبه فى التوسع، كبريطانيا وروسيا وفرنسا، وقد شرعت هذه الدول فى إقامة رؤوس جسور لها فى داخل (الدوله) العثمانيه، فمنها من ادّعت حق حمايه مصالحها التجاريه، ومنها من ادّعت حق حمايه الاقليات الدينيه، ومنها من ادّعت حق حمايه الاقليات العنصريه، وهكذا أصبح لهذه الدول نفوذ وتنافس، وكانت كلُّ منها

تنتظر القضاء على الرجل المريض للاستيلاء على ميراثه» (١). بالضبط كتنافس الحيوانات الوحشية الكاسره، وهي تجتمع على فريسه ضعيفه، وقد كانت المنافسه شديده فيما بين الدول الأورويه الطامعه بثروات المسلمين، وأشدّها ضراوهً كانت بين فرنسا وبريطانيا. وهنا تظهر صدقيه الحديث النبوي الشريف، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكله على قصعتها، فقال قائل: من قلّه نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل.. ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابه منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: حبّ الدنيا وكرهيه الموت» (٢).

ولعده مبررات سياسيه واقتصاديّه، اندفعت بريطانيا نحو العراق، يقول (ويلسن) وكيل الحاكم البريطانى العام فى العراق، فى برقيه له إلى وزير الهند بتاريخ ١٠/١٢/١٩١٨م الموافق للسابع من ربيع الأول عام ١٣٣٧هـ، جاء فيها:

«إن المناطق الاستراتيجيه فى الشرق الأوسط تقع فى بغداد، وقد استطعنا باحتلالنا للعراق أن ندق إسفيناً فى العالم الإسلامى، وبذلك منعنا تجمع المسلمين ضدنا فى الشرق الأوسط» (٣).

هذا هو الهدف الرئيس الذى تسعى إليه الدول الأورويه، فبالرغم من تنافسها على الحصص، نراها متفقه تماماً فى ذلك الهدف المشترك. بالإضافة إلى أن العراق - كما هو معلوم - بلد زراعى خصب لوجود الرافدين - دجله والفرات - بالدرجه الأولى إلى جانب مياه الأمطار، وكذلك توافر الشروط المناسبه للإنتاج الزراعى والحيوانى فى

ص: ١١٤

١- (١) السعيد، نوري: مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكريه للجيش العراقى فى الحجاز وسوريا (١٩١٦-١٩١٨م)، بيروت ط ٢، ١٩٨٧م، ص ١٨-١٩.

٢- (٢) سنن أبى داود، ج ١١، ص ٣٧١، الحديث رقم ٣٧٤٥. وقريب منه فى مسند أحمد، ج ٤٥، ص ٣٧١، حديث رقم ٢١٣٦٣.

٣- (٣) رقم البرقيه (١٠٩٧٣) بتاريخ ١٠/١٢/١٩١٨م.

منطقه السهول والمناطق الجبلية، وهو يمتاز - أيضاً - بوجود الثروة المعدنية، وخاصة النفط (١)، وكذلك يتمتع العراق بموقع جغرافي استراتيجي في المنطقه، ويعتبر سوقاً للبضائع التجاريه، ونافذه لأسواق المنطقه. لذلك سعت بريطانيا بكل جهدها لتمسك بالعراق وثروته (٢)، مستوعبه كافه المستجدات السياسيه والتفاعلات الميدانيه داخل العراق إثر احتلالها، وبالفعل أصبحت بريطانيا «مسيطره سيطره تامه على الخليج..» من جانبيه العربى والإيراني، منذ مده تزيد على القرن.. اكتسبت نفوذاً سياسياً واقتصادياً كبيراً، وصار هذا النفوذ يزداد ويتقوى دون منافس ومنازع» (٣). حتى نهايه القرن التاسع عشر، فأصبح للعراق أهميه سياسيه خاصه، وذلك لاحتلاله الموقع الاستراتيجي المهم للمصالح البريطانيه، فهو الطريق المؤديه إلى المستعمرات البريطانيه وبالذات الهند، يقول عبد الرزاق الحسنى:

«توصف الهند، بأنها الدره اللامعه فى التاج البريطانى.. وأنها مصدر ربحه وسر عظمته، وحصن استعماراه فى الشرق، وأنه لولاها لما كان لهذه الإمبراطوريه هذا الشأن العظيم..»

ويضيف الحسنى إلى ذلك فيقول:

والطرق التى يحتمل أن تهاجم الهند منها، هى طرق تجاره الشرق المشهوره وهى ثلاث.. الطريق الوسطى: الطريق الذاهبه إلى الخليج العربى، جنوب العراق، وهى المعروفه بطريق

ص: ١١٥

-
- ١- (١) سليمان، حكمت سامى: نفط العراق، المرجع السابق، ص ٩٥-٩٧.
 - ٢- (٢) تعدد الأسباب الحقيقيه، لاحتلال العراق أربعة: ١- وضع العراق الجغرافى وخطوطها الجويه، ٢- نفط العراق، ٣- خصوبه أرض العراق وتبادلته التجارى، ٤- العامل التاريخى. للتفاصيل راجع: الحسنى، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسى الحديث، طبع صيدا - لبنان (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م) ج ١، ص ٥٢-٥٨.
 - ٣- (٣) سليمان، حكمت سامى: المرجع ذاته، ص ٢٧. لمعرفة تفاصيل أسباب الاحتلال راجع (أيضاً)، خدورى، مجيد: أسباب الاحتلال البريطانى للعراق، طبع بيروت ١٩٦٦.

الفرات، وهذه الطريق أقصر الثلاث مسافه، وأقلها كلفه وأكثرها أمناً» (١).

وذلك لغرض «نقل البريد من لندن إلى الهند والعكس بالعكس عبر العراق إلى البحر الأبيض المتوسط» (٢). كمهمه من المهمات الرئيسييه فى تلك المرحله، هذا وأن وجودها فى العراق يعنى تعزيز سيطرتها - أيضاً - على منابع النفط فى عبادان، وسيطرتها - أيضاً - على المنطقه المائيه الحيويه فى الخليج، وكذلك يمكن القول إن احتلال العراق من قبل بريطانيا يعنى تقويه الربط المصيرى فى التحالف البريطانى مع شيوخ وأمراء الخليج فى الصراع ضد العثمانيين، علماً بأن مناطقهم صارت مرشحه للانفصال عن الدوله العثمانيه تحت شعار الاستقلال! وبذلك يتحقق حلم الدول الاستعماريه فى تفكيك الوحده الإسلاميه وهكذا فقد سعت بريطانيا ونجحت فى سيطرتها على العراق مستبعده أقوى المنافسين لها، ألمانيا، من العراق والمنطقه، وفى الحرب العالميه الأولى عام (١٩١٤م، ١٣٣٢هـ-) وعلى أثر هزيمة الألمان استقر العراق للبريطانيين.

والحقيقه أن هذه القناعه التى ولدت لدى البريطانيين باتجاه العراق، لم تكن آنيه وليده الساعه، بل أنها جاءت نتيجة دراسات تحليليه وتجارب تاريخيه تعود إلى القرن السادس عشر، أى منذ حصول الأوروبيين على امتيازات اقتصاديه من الدوله العثمانيه، ودخولهم الولايات العثمانيه ومنها العراق، أدركوا مبكراً أهميه العراق الاستراتيجيه، فسعوا لتوسيع نفوذهم - شيئاً فشيئاً - لغرض ربطه بالعجله البريطانيه ربطاً محكماً، اقتصادياً وسياسياً. ففى أوائل القرن السابع عشر تأسست (شركه الهند الشرقيه) البريطانيه، ووضعت - هذه الشركه - العراق فى مركز استراتيجى على الطريق البرى بين الشرق والغرب، ثم انطلقت نحو تطوير العلاقات إلى مستوى موافقه

ص: ١١٤

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤.

٢- (٢) مراد، محمد عدنان: بريطانيا والعرب، تاريخ الاستعمار البريطانى فى الوطن العربى - دار طلاس - دمشق ط ١، ١٩٨٩م، ص ٢٥٤.

وهكذا أخذت تتوسع طرق التغلغل والنفوذ البريطانى فى العراق والمنطقه (١)، وكأنما وجدت بريطانيا ضالتها فى إمكانيات العراق وموقعه الجغرافى، فقد صدرت عنه مؤلفات وتقارير عن أهميه العراق، فمثلاً، كتب (جون جاكسون) عام ١٩١٥م مقالاً عن (قضايا هندسيه فى العراق وحوض الفرات)، وفى عام ١٩١٧ ظهر كتراس بقلم (مارك سايكس) عن (مستقبل العراق التجارى)، وأصدر (بارفيت) كتابه (العراق مفتاح المستقبل)، وكذلك ألقى محاضرات عديده أثناء الحرب العالميه الأولى، حول العراق جمعت بمجلد واحد صدر بعنوان (بلاد الرافدين المدهشه - أعجوبه العالم) (٢). يقول محمد عدنان مراد فى كتابه (بريطانيا والعرب): «منذ بدايه القرن التاسع عشر تغيرت نظره الإنكليز للعراق إلى حد كبير، وبخاصه، بعد ازدياد حجم التجاره البريطانيه معه زياده كبيره إثر انفراد بريطانيا بالسياده على الخليج العربى» (٣).

ومما يذكر، أنه - حينما بدأ النفوذ الألمانى فى النمو إثر توطيد العلاقات الألمانيه - العثمانيه، عبر أبرز مظاهره، وهو إنشاء سكه حديد الحجاز، تحسّست بريطانيا وروسيا من منافسه الألمان لمصالحهما فى العراق والمنطقه، وخاصه حينما نجحت ألمانيا أن تبعد بالتدريج إنكلترا وفرنسا عن الدوله العثمانيه، وقد ظهر ذلك جلياً فى الحرب العالميه الأولى (٤)، من هنا يرى بعض المحللين أن السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٤٢ -

ص: ١١٧

١- (١) صالح، د. زكى: مجمل تاريخ العراق الدولى فى العهد العثماني، محاضرات على طلبه قسم الدراسات التاريخيه والجغرافيه، معهد الدراسات العربيه العالميه، جامعه الدول العربيه، القاهره ١٩٦٦م، ص ٤٥، وما بعدها.

٢- (٢) حليم، أحمد: مرجع سابق، ص ٤٧.

٣- (٣) مراد، محمد عدنان: مرجع سابق، ص ٢٥٤.

٤- (٤) منتشاشفيلى، البرت. م: مرجع سابق، ص ١٤٠.

١٩١٨م، ١٢٥٨-١٣٣٦هـ-)، أخذ يكره بريطانيا كراهيه مقيته حينما شعر بأنها طامعه فى اقتطاع أجزاء من الدوله العثمانيه منذ قيام الأسطول الإنكليزى فى البحر الأبيض المتوسط بتوجيه مدافعه على الإسكندريه عام (١٨٨٢م، ١٢٩٩هـ-)، وكانت لهذته الكراهيه أهميه كبيره فى تغيير سياسه الدوله العثمانيه اتجاه بريطانيا، وأخذت تقترب الدوله العثمانيه، من ألمانيا، لعدم وضوح أطماعها فى تلك المرحله (١).

هذا التطور دفع بريطانيا لاستنفار طاقتها وتفعيل نفوذها، لتتشبث بمواقعها بكل جديده، فلذلك أصبح تواجد سفنها الحربيه فى مياه شط العرب بصفه دائمه، وقد تحولت إمارات الخليج إلى محميات بريطانيه، فى الكويت افتتحت قنصليه بريطانيه عام ١٩٠٤م، وتمت عدده اتفاقيات بين بريطانيا وشيوخ الكويت والبحرين وعمان وقطر وشيخ المحمره، كرسى من خلالها السيطره البريطنيانه على الموارد الطبيعيه، فلا تمنح -بموجبها- امتيازات صيد اللؤلؤ والإسفننج واستخراج النفط إلا بموافقه بريطانيا. ولا يعنى أنّ هذا التطور لنفوذ بريطانيا فى المنطقه كان يتم بمعزلٍ عن المنافسه الأوروبيه التى كانت فى حقيقتها تستبطن صراعاً حاداً بين المتنافسين، إلا أن الجامع المشترك الذى كان يوحدهم هو اشتراكهم فى محاوله إسقاط الدوله العثمانيه، وتقسيم تركتها الهائله، هذا الهدف الموحد هو الذى أخفى مظاهر الصراع ومنعها من الظهور على سطح الأحداث، وعليه سارت الأمور فى مسار الاتفاقيات السّريه من وراء الكواليس بين القوى المتنافسه، فعقدت بين إنكلترا وفرنسا فى نيسان ١٩٠٤م ثلاث اتفاقيات كانت بدايه (الوفاق الودى)، وفى ١٩٠٧م وقّع الميثاق الإنكليزى - الروسى وبموجه قسمت إيران إلى مناطق نفوذ لهما (٢)، ومن ثم دخلت بريطانيا فى مفاوضات مع ألمانيا والدوله العثمانيه حول مسأله بناء سكه حديد بغداد، فقد وافقت بريطانيا سنه ١٩٠٩م على أن

ص: ١١٨

١- (١) مراد، محمد عدنان: بريطانيا والعرب، ص ٢٥٧-٢٥٨.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث - مرجع سابق-، ج ١، ص ٤٠-٤٢.

تكون لألمانيا حريه تامه فى العمل إلى الشمال من بغداد، شريطه أن يكون لها الامتياز ذاته فى جنوب ما بين النهرين، واستمرت هذه الاتفاقيات والتنازلات المتبادل، إلا أن النتيجة النهائيه كانت فى العراق لصالح النفوذ البريطانى. وبالإضافه إلى ذلك، فقد مارست بريطانيا نشاطات خاصه فى الوسط الاجتماعى بالعراق، غرضها تسقيط الهيئه العثمانيه، وتأجيج نار العداء ضد الحكومه العثمانيه (١)، وكانت «تمارس بالسر نشاطاً تخريبياً واسعاً بين القبائل العربيه المحليه، أن الإنكليز لم يتوقفوا عن مد العرب بالأسلحه الناريه المحسنه التى كانت تنتشر فى العراق بطريق التهريب، كما أن الوكلاء السياسيين الإنكليز لم يدخلوا بالأموال لأغراض الهدايا والرشاوى، وكذلك لم يترك القناصل الإنجليز أيه فرصه إلا واستغلوها لإقامه علاقات مباشره مع الشيوخ العرب المتنفذين، مؤججين فيهم كراهيه النظام (العثماني)» (٢).

إن تلك الممارسات والمقارنات أوجدت ميداناً خصباً للصراع الفكرى بين الثقافه الغربيه بشعاراتها البراقه، وتجربتها الجديده، وبين الثقافه الإسلاميه بتجربتها العثمانيه، وتكالب الأعداء من الخارج ضدها، هذا التنافس الاستعماري اقترن مع التخلف العام فى الوعى الاستقلالى لدى الأمم - من الداخل - «ومنذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر، أخذت هذه البعثات تنشط بشكل ملحوظ فى: مجال طباعه الكتب الدينيه باللغه العربيه والكلدانيه والفرنسيه ونشرها، وكان أول مطبوع طبع فى مطبعه الدومينيكان فى الموصل هو (رياضه درب الصليب)، ثم تتابع تأسيس المطابع ونشر الكتب الدينيه وتأسيس المدارس الحديثه، وقد أسست الراهبات، المعروفات ب- (أخوات المحبه) عام (١٨٧٣م، ١٢٩١هـ-)، أول مدرسه فى الموصل للبنات المسيحيات والمسلمات على السواء» (٣). وقد أسست بإشراف الاتحاد

ص: ١١٩

١- (١) منتشاشفيلى، البرت. م: مرجع سابق، ص ١٤١-١٤٣.

٢- (٢) منتشاشفيلى، البرت. م: مرجع سابق، ص ١٣٧.

٣- (٣) الرهيمى، عبد الحلیم، مرجع سابق: ص ٨٥.

الإسرائيلي العالمي عده مدارس ابتدائية لليهود، في بغداد والبصرة والموصل والعماره وفي (١٩١٣م، ١٣٣١هـ-) أسست مدرسه خانقين، بالإضافة إلى المراكز الثقافية والصحية الهادفه ضمن التخطيط الدولي، للاستعمار.

وكان دخول البريطانيين للعراق تحت شعارات الخلاص والتحرر من الدوله العثمانيه وآثارها، وقد وُظف الإعلام في المعركه، وذلك بتضخيم أسباب الاستياء من السلطات العثمانيه لتمرير المؤامره على عموم الناس (١). من هنا ندرك أهميه استغلال العامل الثقافي والإعلامي، في تعبيد الطريق لغرض النفوذ البريطاني من تَمّ للسيطره الاقتصاديه و السياسيه.

إنّ الأمه عندما تصاب بالاهتزاز الفكري عبر التشكيك بمبادئها وقدراتها في بناء الحياه، وذلك من خلال التجربه القائمه، تعيش هزيمه نفسيه أمام بريق الشعارات الجديده من المستعمرين، وأنها - في ذلك الظرف-، تعاني من ضعف الوعي العام للتصدى عن قناعه لتلك المؤامره. وهكذا كلّمّا تأخر العلاج الجذري تنكّرس حاله الانهزاميه وعدم الثقه في النفوس، إثر تكثيف عمليه دسّ السموم المخدّره داخل الأمه، ممّا يسهّل عمليه الاختراق المعادي، وبالمقابل يكلف المهمه الإنقاذيه جهوداً مضاعفه.

ب. البعد الإقليمي

من الصعب - أحياناً - فصل المؤثرات الدوليه عن الإقليميه في المسار السياسي والاقتصادي، وذلك لكونها متداخله في الأجزاء المشتركه، فكما أن النظام الدولي يترك آثاره على العراق مباشره، فإنّه يترك آثاراً مثيله على الأقاليم المؤثره في الوضع العراقي، فهي تتلقى تأثيرات البعد الدولي بدرجه معينه، وبظروف خاصه. وهي بدورها تعكس آثارها على المنطقه بعد التلقى والتفاعل مع آثار البعد الدولي ينسب معينه.

ص: ١٢٠

فمثلاً: بدأت الحركة القومية العربية بالتحرك، داعية إلى الاستقلال والانفصال من الدولة العثمانية، وانعكست آثارها على العراق. وفي الوقت ذاته كانت التأثيرات الدولية واضحة على هذا البعد الإقليمي، منذ التأسيس والتطوير والتوسع بالدعم والتنسيق، إلى مستوى التدبير والإدارة والمتابعة، لضمان مستقبل الصراع.

ولقد كان لثوره الدستور في إيران خلال (١٩٠٥-١٩٠٦م، ١٣٢٣-١٣٢٤هـ-) تأثير مباشر على الأحداث السياسية في العراق. لأنها لا تشكل تأثيراً إقليمياً من بلد مجاور فقط، وإنما كانت مدينة النجف مقراً للمرجعية العليا للشيعة، تلعب دوراً أساسياً في تأييد أو معارضة الدستوريين، وبمعنى آخر أن القرار الصادر من العراق هو الذى يحسم الصراع الدائر على الساحة الإيرانية بين أنصار المشروطه ومعارضيه وهذا الأمر بحد ذاته يولد تطورات حركية على الساحة العراقية في أوساط العلماء والمثقفين مما يعكس آثاراً واضحة على الساحة الاجتماعية و الحركة السياسية.

فشهدت الساحة «بروز علماء الشيعة [في قمة القيادة والتوجيه كونهم] أداه حاسمه في النشاط والتحريك السياسيين، وظهر تيارين متميزين بين العلماء الشيعة أنفسهم وهما التيار.. الدستوري. يقابله، التيار المحافظ.. والذى خلق جواً جدياً تماماً في البلاد.. وفضلاً عن ذلك، فإن الحركة الدستورية أو (المشروطية) كما كانت تدعى. أثارت جدلاً واسعاً في العراق، ولم يكن هذا الجدل محصوراً بين أوساط المثقفين الضيقه، بل امتد إلى أقسام أوسع من السكان وخلق انقساماً حول المسألة. وأخذ السُّنة العراقيون بدورهم يشتركون في الجدل، وينقسمون حول المسألة» (١). وستحدث بشيء من التفصيل عن انعكاسات ثوره الدستور في إيران على الساحة العراقية وأثرها في تبلور الوعي الإسلامى والحركى فيها، عند حديثنا عن (تبلور الوعي الإسلامى وانتشاره بمظاهر حركية).

ص: ١٢١

١- (١) نظمي، وميض: شيعة العراق وقضيه القومية العربية.. مرجع سابق، ص ١٨٨-١٨٩.

وهكذا بالنسبة لثوره الدستور في تركيا (١٩٠٨-١٩٠٩م)، كان لها التأثير المهم على مجريات تطور الوضع الحركي والسياسي في العراق. وكيف لا؟ وهو ولاية من ولايات الدولة العثمانية، فالتطورات السياسيّة في العاصمة تأخذ طريقها في انعكاسات واضحة على أوضاع الولايات. وبما أن النجف تعيش صراعاً بين مؤيدي الدستور وبين معارضيّه إثر ثوره الدستور في إيران، وقد انتصر الدستوريون وأقصى الشاه المناوئ للدستور في تموز/ يوليو ١٩٠٩م، هذه الحركة الدستوريّة في النجف بزعامه آيه الله المرجع الشيخ كاظم الخراساني، هي التي حسمت الموقف في إيران، ولذلك حينما تحرك الدستوريون في تركيا، جاءهم التأييد من النجف ومن قبل الزعيم ذاته، حيث بعث برسالة مفصلة للسلطان عبد الحميد - أواخر أيامه - يطالبه بالتفاهم مع الدستوريين، وتبعه مجموعه من العلماء والمثقفين والتيار الاجتماعي، «وبالطبع فإن تأييد الحركة الدستوريّة في الأستانه، إنما كان يستند إلى الموقف المبدئي لعلماء النجف في معارضة الاستبداد، والدعوة لإقامه، أنظمه حكم في البلدان الإسلاميّة تستند إلى الأسس الدستوريّة» (١). إلا أنه حينما كشف النقاب عن سياسه الاتحاديين المعاديّه للدولة العثمانيه الإسلاميه وللمسلمين عموماً، بدأت المقاومة لهذا النهج الاستعماري من قبل رواد حركة الدستور في العراق - أولاً - ممّا عكس آثاراً جديده على الساحة الحركيه في العراق. وسنسلط الضوء على تلك الانعكاسات في حديثنا عن تبلور الوعي الإسلامي. ومن هنا يبدو جلياً، أن المخطط الصهيوني - الأوروبي كان يرمي خطوات الاتحاديين بشكل دقيق داخل الأستانه وخارجها. سعياً لتحقيق مآربه وأهدافه في الاستغلال والاستعمار للمنطقه الإسلاميه. وكان من أبرز الانعكاسات، تطور فكره القوميّ العربيّ إلى جانب ظهور القوميّ التركيّ. وتحولها إلى تشكيلات تنظيميه هادفه، حيث «امتازت الجمعيات

ص: ١٢٢

١- (١) الرهيمي، عبد الحلیم: مرجع سابق، ص ١٤٩-١٥٠.

السياسيه السريه التي تشكلت في كل من بيروت ودمشق والقاهره واسطنبول خلال الفتره ١٨٧٠-١٩٠٨م [١٢٨٨-١٣٢٦هـ-]، بدقه أكثر من سابقاتها في تجديد طلباتها، وتعيين أهدافها. وبدلاً من المطالب العامه والغامضه الداعيه إلى إصلاحات سياسيه وإداريه أكدت هذه الجمعيات رغبتها في الحكم الذاتى، ومن ثم الانفصال عن الدوله العثمانيه^(١). وقد انعكست آثار التحرك القومى على العراق وغيره، إلا- أن الأفكار الانفصاليه لم تأخذ طريقها فى الأوساط العامه، لوجود الروابط الإسلاميه بينها وبين الدوله العثمانيه، هذه الروابط المقدسه كانت هى العائق الأكبر الذى حال دون تحقيق قفزات سريعه لأفكار القوميين العرب، الداعيه للانفصال عن الدوله العثمانيه، لذلك أستخدم أسلوب وسطى مناسب لتلك المرحله، فدعا القوميون إلى (اللامركزيه فى الحكم) (كتكتيك) مرحلى مؤقت، يفتح آفاق الانفصال التام بعد تقدم الاتحاديين فى سياستهم بشكل أوسع، كمبرر لانفصالهم، وكذلك لتكتمل الخطه المرسومه فى الدوائر الغريبه من كل جوانبها، حتى تتمكّن من السيطرة على وضع القوميين العرب بشكل يدركون أن قوتهم ومصيرهم بالارتباط التام بأسيادهم الغريبين.

لذلك «نشأت ضمن إطار البيئه الإسلاميه مدرسه فكريه جديده نادت بإيجاد حل للقضيّه العربيه على أساس تكوين إقليم عربى يتمتع بالحكم الذاتى ضمن إطار (دوله) عثمانيه لا مركزيه. وقد تكونت هذه المدرسه خارج التيار الرئيس للفكر القومى العربى، وكبديل لدعوته الراميه إلى الانفصال.. إلا أنها ساهمت بصوره غير مباشره فى خدمه الحركه القوميه من خلال جذبها الغالبية العظمى من السكان الذين كانوا قد رفضوا ربط أنفسهم بالحركه القوميه الانفصاليه بسبب رابطتهم الدينيه، وقد رحب هؤلاء بالاتجاه الجديد للحركه القوميه المنادى

ص: ١٢٣

١- (١) الكبيسى، باسل: حركه القوميين العرب، تعريب نادره الخضيرى الكبيسى، الناشر: الأبحاث العربيه، الطبعة الرابعه ١٩٨٥م، بيروت، ص ٤٠.

بمبدأ العلاقات اللامركزية ضمن الإطار العام للمجتمع الإسلامي القائم» (١).

وعليه فقد انعكست تطورات الحركة القومية العربية في سوريا ومصر وبيروت، على الساحة العراقية عبر الصحف القادمة من هناك، والتطورات السياسية المشهوده أيضاً. فإذا كانت الصحف الإيرانية والهنديّة تؤثر على المسلمين الشيعة ومدنهم وكذلك بغداد أكثر من غيرها من مناطق العراق، فإن الصحف السوريّة والمصريّة مثل (العروة الوثقى) و(المقطم) و(المقتطف) و(المقتبس) كانت تؤثر على الساحة العراقيّة بشكل أوسع حيث إنها كانت تقرأ في كربلاء والنجف كما تقرأ في بغداد والموصل.

ولم تقتصر الانعكاسات على العرب في العراق، بل شملت الأكراد والقوميات الأخرى أيضاً، كنتائج طبيعيّة لردود الفعل اتجاه سياسته الاتحاديّين القوميّة. إلا أننا سنلاحظ عبر تطور الأحداث في العراق كيف تنبى رأيات الجهاد الإسلامي، ضد القوى الأجنبيّة الغازية لبلاد المسلمين، حيث سيقف العلماء المجاهدون في وجه التيارات المعارضة للإسلام، ببث الوعي الحركي والثقافه الهادفه لانتشال الأمه من قبضه المستعمرين.

ص: ١٢٤

١- (١) الكبيسي، باسل: المرجع ذاته، ص ٤١.

ونحن إذا نتناول العوامل المؤثره فى واقع الساحة العراقيه، ودرجه تأثيرها على نمو الوعي الإسلامى، وتطوره الحركى والسياسى، يلزم علينا أن نتعرف على الواقع الثقافى للفئات الاجتماعيه المختلفه، والمتعايشه على أرض العراق. ومعنى ذلك، معرفه الأسس الفكرية التى تستند شرعيه التحرك عليها، ويستلهم الحركيون روح العمل والجهاد منها، كما يستمد عموم الناس قدراتهم المعنويه بالإيمان بها، كل ذلك لغرض توظيف الطاقات والجهود المتنوعه فى مسار المعارضه والرفض، بما يتناسب مع الظروف الموضوعيه للساحه. ف-«فى مطلع القرن الحالى، لم يكن العراقيون شعباً واحداً أو جماعه سياسيه واحده. وهذا لا يعنى الإشاره فقط إلى وجود الكثير من الاقليات العرقية والدينيه فى العراق، كالأكراد والتركماني والفرس والآشوريين والأرمن والكلدانيين واليهود واليزيديين والصابئه. فالعرب أنفسهم الذين يؤلفون أكثرية سكان العراق كانوا يتشكلون، إلى حد بعيد، من جملة من المجتمعات المتميزه والمختلفه فى ما بينها والمنغلقة على الذات، بالرغم من تمتعهم بسمات مشتركه. وبدءاً، كانت هناك هوه واسعه تفصل المدن عن المناطق العشائريه. وكان العرب الحضريون وعرب العشائر ينتمون إلى عالمين يكاد أن يكونان منفصلين، باستثناء سكان المدن الواقعه فى عمق المناطق العشائريه أو رجال العشائر الذين يقطنون قرب المدن. ولقد كانت الروابط بين الطرفين

اقتصاديته بالدرجه الأولى» (١). ويستنتج حنا بطاطو من ذلك بوجود «تباعدا اجتماعي ونفسي بين العرب الحضريين والعرب العشائريين. وكان هؤلاء وأولئك يختلفون بعضهم عن بعض بطرق كثيره. فقد كانت حياه العرب الحضريين تخضع بشكل عام للقوانين الإسلاميه والعثمانيه أما حياه العرب العشائريين فكانت تخضع للعادات والتقاليد العشائريه القديمه المصبوغه بصيغه إسلاميه.. إن عرب المدن كانوا على وعي كبير بإسلامهم، بينما لم يكن شعور عرب العشائر اتجاه الإسلام بهذه الكثافه» (٢). ولكن، وبالرغم من هذه التصورات التي تبدو - أحيانا - واقعيه من خلال بعض السلوكيات، إلا أنه، ومن خلال النظره الداخليه للأوضاع الاجتماعيه والسياسيه، نلاحظ أن العامل الديني - المذهبي، والإنتي (العرقى) يشكّلان المحورين الأساسيين لتلك التجمعات الفكرية. لذلك تميزت كل طائفه مذهبيه أو عرقيه بجوامع مشتركه فيما بين أفرادها على مستوى العقيدته والثقافه والعادات، وكذلك على مستوى الأحداث التاريخيه التي كرسه تلك الحاله الفكرية، أو على الأقل جذّرت بعض أسسها الثقافيه، وبمعنى آخر، إن كل جماعه تفاعلت مع متبنياتها الفكرية ومواقفها العمليه التي سجلت من خلالهما أحداث تاريخيه لها ظروفها الخاصه والتي خلّفت قناعات خاصه أيضاً، وبذلك أنتجت تراثاً وعادات وتقاليد ميّزتها عن غيرها، ويبدو لنا - على الأغلب - إن الدين والمذهب والتاريخ واللغه، بمثابة الروافد الطبيعيه لتلك الموروثات المترسبه في لا شعور كل فئه وبمساحه واسعه، وعليه - فإننا سنشهد - ظهور وعي ثقافي متبلور لديها، بما يتناسب مع تلك الخلفيه الفكرية التي تملكها وتتفاعل معها بظروفها الحاليه، من عقائد وتاريخ وتراث وأعراف وعادات سلوكيه.

وبما أن الثقافه العامه للشعب العراقي هي ثقافه إسلاميه، فإن التطورات الحركيه

ص: ١٢٦

١- (١) بطاطو، حنا: العراق، الطبقات الاجتماعيه والحركات الثوريه، مرجع سابق، ص ٣١.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٣٢.

والسياسيه كانت منطلقاتها من الإسلام، في حين ظلت تحتفظ الاقليات الدينيه - كالتوائف المسيحيه - بدورها المحدود في إطار الساحة الحركيه والسياسيه، على المستوى الشعبي - بالذات- . وبذلك برزت القيادة العلمائيه للمسلمين الشيعه بشكل واضح - في مراحل موضوع البحث - والذي كرس موقعها القيادي، بالإضافة إلى الجانب الشرعي والمبدئي، هو وجودها الميداني المتواصل على الأرض، بل المتصدى للأحداث، والمتفاعل مع طموحات الناس، وبما تمتلك هذه القيادة من صدقيه ووعي في رؤيتها الحركيه، مدياً جعلها في الموقع القيادي المتقدم لحركه الأمه عموماً. وقد تعزز الموقع القيادي للعلماء المجتهدين أمام ارتباك القيادة الرسميه، التي كانت تسجل تقهقراً مستمراً في نفوس العراقيين.

ومع ذلك نرى «الجماعه الإسلاميه»، ورغم الوحده الثقافيه والأيدلوجيه والحضاريه التي تجسدها، توزعت إلى ثلاث جماعات، شكّل الانتماء المذهبي العامل الرئيس في تمايز جماعتين منهاهما: المسلمون الشيعه، والمسلمون السنه. بينما شكل الانتماء الأتني (العرقى)، العامل الرئيس في تمايز الجماعه الثالثه التي يمثلها الأكراد، وهم في غالبيتهم من المسلمين السنه» (1).

الوحده الإسلاميه، محور التحرك الواعي

إنّ هذه الجماعات الثلاث، بالرغم من اشتراكها بالأسس الفكرية الإسلاميه، إلا أنها تمحورت ضمن دوائرها الخاصه في حركتها ومعارضتها، وصحيح أن أدبيات المسلمين السنه كما الشيعه لم تشهد - على الأغلب - اسم الطائفه، وإنّما كانت تنطلق باسم الإسلام والمسلمين إلا أن الخصوصيه المذهبيه والخصوصيه العرقيه في الأثر العملي لا يمكن تجاوزهما تبعاً للجذور الفكرية والأبعاد التاريخيه لكل جماعه.

من هنا برز الخطاب الإسلامى الداعى إلى وحده الصف، لغرض الوقوف الموحد بوجه المؤامرات الاستعماريه على المستوى الفكرى والعسكرى. وهذا

ص: ١٢٧

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ٦٢.

الخطاب التوحيدى - بحد ذاته - يحمل دلالة واضحة على نمو الوعي الإسلامى فى الساحة العراقية، وفى الوقت الذى كان يدعو إلى وحده الصف ضمن الإطار الإسلامى العام، كان يحافظ على الخصوصيات الفقهيّة النابعه من الاجتهادات المتعدده. ومع هذا، يظهر للمتتبع للأحداث - آنذاك - تصدّر علماء المسلمين الشيعة لقياده الحاله الإسلاميه العامه فى العراق، فكرياً، وسياسياً، وجهادياً، خلال الربع الأول من القرن العشرين، خصوصاً بعد اضمحلال الدوله العثمانيه من الداخل، إثر ثوره الاتحاديين، وقد ساهمت كل الجماعات فى تطوير الحركه الإسلاميه العراقيه رغم التمايز الثقافى الناجم من الانتماء المذهبى أو العرقى، إلا أن الإسلاميين الشيعة كانوا فى المقدمه، حتى أنهم اقتحموا أوساطاً غير شيعيه، ونجحوا فى توسيع نفوذهم فيها (1). وعليه ستحظى العقائد الشيعيه، السياسيه - الفكرية، بوقفه عاجله تناسب دراستنا هذه، وذلك لمعرفة الأسس والمنطلقات الفكرية التى تشكّل المرتكزات الأساسيه لمجمل نشاطاتها الحركيه - السياسيه. وأن دراسه النتائج من خلال تلك المرتكزات، توضح المسار الطبيعى لمسيره المعتقدين بها من ناحيه، كما وتجعل - هذه الدراسه - متكامله ومترابطه منطقياً من ناحيه أخرى. بينما يلاحظ على الأدوار التغييرية للمؤسسه الدينيه السّنيه كانت محدوده سواءً لدى القياده العلمائيه أو الزعامه الاجتماعيه، بالرغم من ظهور بعض المنعطفات على الساحة السياسيه، التى رافقت عمليه التغلغل الأوروبى للبلاد الإسلاميه. هذه

ص: ١٢٨

١- (١) النفيسى، عبد الله: دور الشيعة فى تطور العراق السياسى الحديث، مرجع سابق، ص ٦٩. ومما يذكره إن «القبائل التى نزحت إلى العراق من مواطنها فى الباديه الجنوبيه، اعتنقت المذهب الشيعى بعد توطنها أمثال: الخزاعل وتميم وربيعة، وقد عزا المؤرخون العراقيون فى القرن التاسع عشر هذه الظاهره - اعتناق القبائل النازحه المذهب الشيعى - إلى الدعاه والوعاظ الشيعيين الذين كانوا يغادرون الأماكن المقدسه مثل النجف و كربلاء وسامراء للعمل التبليغى بينها..».

التطورات التي منحت القيادة الدينيه فرصاً ذهبيه للتصدي للعمل الإسلامى وتوجيهه، إلا أنه «باستثناء عدد قليل من العلماء اتخذوا مواقف انتقاديه من السلطه، وعبروا عن نزعات إصلاحيه، على صعيد الفكر الإسلامى، كأبى الثناء الآلوسى، ومحمود شكرى الآلوسى، ومحمد فيضى الزهاوى، وإبراهيم الحيدرى، فان القسم الأكبر من العلماء لم تُثر لديهم تلك التحولات والقضايا أيه تساؤلات فكريه مهمه حولها. وفي حين كان دورهم السياسى المستقل نسبياً يميل نحو التقلص التدريجى، مع ميل متنام فى ميزان القوى لصالح السلطه، لاسيما فى أواخر القرن التاسع عشر، فقد رافق تحسن أوضاعهم ومواقعهم الاقتصاديه، استتباعهم للسلطه التى عملت على توظيف نفوذهم فى تشكيل غطاء شرعى لأعمالها. لكنهم وفى سياق تكيفهم مع الأوضاع الجديده وأنماط الحياه الحديثه التى أدخلتها هذه الأوضاع، شرعوا فى نهايه القرن التاسع عشر يرسلون أبناءهم إلى المدارس المهنيه العثمانيه، ومنها إلى الخدمه المدنيه والعسكريه وميلهم لأن يصيروا جزءاً من أرسقراطيه الخدمه العثمانيه من أجل صيانه موقعهم» (١). فى حين «كانت حكومه السلطان العثماني.. تعتبر بالنسبه للشيعه المتشددين - فى الجوهر - حكومه مغتصبه للسلطه، وفى رأى هؤلاء لم تكن هذه الحكومه تملك مؤهلات تطبيق قوانين سلام..» (٢). يقول النفيسى فى هذا الصدد: «..ومن الملاحظ أن العالم الدينى السنى يعتبر الحكومه القائمه وسلطتها حكومه شرعيه، أما العالم الدينى الشيعى فإنه يعتبرها غير شرعيه فينظر إليها نظره شك وريب..» (٣). ومع كل ذلك كان سعى علماء الشيعه منصباً باتجاه الوحده السياسيه للأمم كمحور أساسى لانطلاقه التحرك الإسلامى ضد الأعداء المتربصين بالأمه - كماسنرى -.

ص: ١٢٩

١- (١) الرهيمى، المرجع السابق، ص ٦٧.

٢- (٢) بطاطو، حنا: مرجع سابق، ص ٣٦.

٣- (٣) النفيسى، عبد الله: مرجع سابق، ص ٧١.

إن الانتساب للنبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبر أحد أحفاده الكرام يضيف صفة اعتباريه متميزه في وسط المسلمين عموماً، تعبيراً عن الموده والولاء للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام فهم في منزله رفيعه من التقدير والإجلال في الأوساط الشيعيه والسنيه معاً، ولنبداً بالشُّنه فقد برزت أُسر (الأشراف) الساده عند أهل السنه ببغداد وغيرها في مواقع الصداره الدينيه والزعامه الاجتماعيه وتفاوتت في أدوارها الإصلاحيه، وقد نالت بعضها اعترافاً رسمياً من السلطه، لعوامل النسب الشريف والمكانه الاجتماعيه البارزه والثراء المالى والدور الاجتماعى، واستناداً إلى لائحته رسميه نشرت في العام (١٣١٢هـ-، ١٨٩٤م) بهدف وضع حد - على ما يبدو - للتزاعات حول الأسبقيه فى الأهميه، كانت هنالك فى بغداد آنذاك، خمس عائلات (أشراف) سُنَّه فقط، هى عائلات جميل والكيلانى والآلوسى والحيدرى، والسنوى، وكان مجموع (الأشراف) واحداً وعشرين فقط، سته عشر منهم من آل الكيلانى، وكان الكيلانيون يتزعمون الطريقه القادريه. ولسبب ما فإن آل السنوى، الذين يدعون تحدرهم من الأمويين، وبالتالي من قريش، قبيله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وليس من بيت الرسول نفسه، أُدخلوا فى اللائحته، فى حين أن آل السويدي، الذين يدعون التحدر من العباس، عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لم يدُرجوا فيها. وكذلك فقد استبعد من اللائحته آل الطبجلى، ورجب الراوى، الذين يدعون التحدر من الحسين عليه السلام، حفيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. لأنهم كانوا ينتمون إلى الطريقه الرفاعيه، وهى طريقه باطنيه تنافس طريقه الكيلانى النقيب الذى يرأس القادريه (١) أو لأنهم قريبون من الشيعه وساداتهم. أما فى الموصل،

ص: ١٣٠

١- (١) بطاوط، حنا: المرجع السابق، ص ١٨٤. ويذكر المؤلف فى الصفحه ١٨٥ جدولاً يضم اللائحته الرسميه لعائله الأشراف السُنَّه فى بغداد عام (١٣١٢هـ-، ١٨٩٤م). من عائله الكيلانى ١٦

فقد برزت عائلته الجليلي، وعائلته العمري، في الصدوره الاجتماعيه والدينيه، بالرغم من منافستهما على الزعامه، إلى جانب عائلته النقيب والعبدي والفخري، وهي أقل شهره. أما في البصره فقد اشتهرت عائلته النقيب وهي كانت تتزعم الطريقه الرفاعيه، وعائلته الباش أعيان (1).

ص: ١٣١

١- (١) لذكر الطريقه القادريه، والطريقه الرفاعيه، من المفيد أن نشير إلى أن الطريقه القادريه هي من الطرق الصوفيه، التي انتشرت في العالم الإسلامي، وهي تنتسب إلى مؤسسها الشيخ عبد القادر الكيلاني (١٠٧٧-١١٦٦م، ٤٦٩-٥٤١هـ-) الذي قدم إلى بغداد عام (١٠٩٥م، ٤٨٨هـ-) من منطقه كيلان في إيران، وأنها تعرف في بعض الأقطار الإسلاميه بالطريقه الكيلانيه. وقد توفي في بغداد وأقيم له مرقد وسط مسجد عرف باسمه. وقد أسندت أول رئاسه لحكومته عراقيه عام ١٩٢٠، إلى نقيب الكيلانيين عبد الرحمن النقيب، عرفت بالحكومته المؤقتة التي شكلها الإنكليز. أما الطريقه الرفاعيه، فهي إحدى الطرق الصوفيه التي تنتسب إلى السيد أحمد الرفاعي أبو العباس أحمد الحسيني، المتوفى سنه (٥٧٨هـ-، ١١٨٢م)، وهو صوفي من الكبار، شافعي المذهب، ولد في قريه حسن من أعمال واسط في العراق، تفقه وتأدب وتصوف، أسس الطريقه التي عرفت بالرفاعيه، فتبعه خلق كثير. توفي بقريه أم عبيده بالبطنج بين واسط والبصره، فأقيم له مرقد في مدينه الحى جنوب العراق. له تفسير (سوره القدر)، و(الطريق إلى الله)، وجمع كلامه في رساله سميت (رحيق الكوثر) وقد تفرعت عن هذه الطريقه عدده طرق سوريه مثل: الحريري والسعديه، وطرق مصريه مثل: المالكيه والحبيبيه. وقد برز في أواخر القرن التاسع عشر الشيخ أبو هدى الصيادي، كزعيم لهذه الطريقه، وكان مقرباً من السلطان العثماني عبد الحميد (١٨٤٢-١٩١٨م، ١٢٥٨-١٣٣٦هـ-) في فتره حكمه (١٨٧٦-١٩٠٩م، ١٢٩٣-١٣٢٧هـ-). راجع المنجد في الأعلام ط ١٢، ١٩٨٢م، ص ٥٤١، ص ٣٠٨-٣٠٩. ومشكور، الدكتور محمد جواد: موسوعه الفرق الإسلاميه، مجمع البحوث الإسلاميه للدراسات والنشر، بيروت (١٤١٥هـ-، ١٩٩٥م)، ص ٣٧٠ و٣٦٦. وكذلك، بطاطو، حنا: العراق، مرجع سابق، ص ٢٠٠. ومن المفيد أن نذكر معنى التصوف، فهو «منهج سلوكي يقوم على ركائز روحيه - وجدانيه تؤدي إلى صفاء القلب ونقاء السريره، وليس منهجاً مادياً أو قائماً على حاله عقليه فقط، بل يسعى

وكانت تمتاز عائلة النقيب بالسيطره على أملاك وقف واسع، فهم يعودون إلى السيد أحمد الرفاعي مؤسس الطريقه الرفاعيه. أما عائلة السعدون، فقد اشتهرت في المنتفك، حيث كان رجالها حكماً سابقين لاتحاد المنتفك العشائري.

أما في الوسط الشيعي فللساده الأشراف منزله خاصه، تتميز بالاحترام الكبير والتقدير الهائل لأنهم يحملون شرف الانتساب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام، خاصةً لو أصبح السيد عالم دين ومن رجال الإصلاح والهدى. هذه المنزله محفوظه في المدن المقدسه وفي أوساط العشائر أيضاً وربما بشكل أوضح. فانتسابهم إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عبر أحد أحفاده يمكنهم من تصدر الوجاهه الاجتماعيه، بالإضافة إلى نمو الثروه لديهم -أحياناً- ففي المدن المقدسه كانت لهم الصداره في المجتمع، وكذلك الإداره في شؤون الأوقاف، كإداره المقامات المشرفه، ومما يصطلح بالسدانه و(الكليداريه) (1) للمقامات والأضرحة الكريمه، فمنذ أيام الصفويين في القرن السادس عشر، كانت عائلة النقيب في كربلاء هي المشرفه على ضريح الإمام الحسين. وإن الرفاعيين في النجف كانت لهم السدانه لضريح الإمام علي عليه السلام (2).

ص: ١٣٢

-
- ١- (١) سادن الروضه هو لقب المحافظ على المقام، والكليدار هو اللقب الرسمي له.
- ٢- (٢) بطاطو، حنا: المرجع السابق، ص ١٨٧، ١٩١، ١٩٢. وعائلة النقيب في كربلاء تنتسب إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم وهو الإمام السابع للشيعه الإماميه. وتولت عائلة النقيب عده مناصب هامه في المدينه، كنقابه الأشراف، وسدانه الروضه الحسينيه، ورتاسه البلديه، كما وأن فيهم

ولم تنحصر ظاهره الساده في الإطار الشيعي فقط، فقد كان للسيد العالم -الشيوعي أو السني - وزنه وتقييمه الاجتماعي الإرشادي بين الناس جميعاً، وإن كانت مراتبهم غير متساوية، تخضع لعوامل ذاتية في شخصياتهم من الاتزان والحكمه والثراء، وكذلك الناحية العلمية، إلى جانب القضية الاجتماعية. فالساده الذين لهم عشائر خاصه بهم يتمتعون بمنزله أعلى من غيرهم، مثل أبو طيخ، والمكوتر، وجاف بيكراده. فمثلاً السيد عبد الرحمن النقيب، الذي كان في العام (١٩٢١م، ١٣٣٩هـ-) نقيباً للأشراف، وثرياً، ومرشداً للطريقه القادرية، ورئيساً للوزاره العراقيه فإنه يتمتع بالمكانه العزیزه والتقدير العام لعناوينه المتعدده (١). وهذا ليس معناه، أن أمثال الشيخ محمد شكرى الآلوسى، الذي لا يتمتع بثراء كبير، وليست له هذه العناوين، لا يحظى بالاحترام والتقدير، بل بالعكس، فإن عامه السكان وخاصه الطبقة المستضعفه في بغداد

ص: ١٣٣

١- (١) يذكر «أن الرفاعيين أصبحوا العائله الأغنى على الإطلاق في النجف، خلال وجودهم لمدته نصف قرن في سدانه مقام على بن أبي طالب في تلك المدينه. وفي بعض الحالات، كانت العائله التي تقوم بإداره المقام ترتبط بقراه مباشره بالعالم المدفون فيه. فنقيب بغداد. السيد عبد الرحمن الكيلاني، الذي كان مسؤولاً في العشرينات عن مقام القادرية في بغداد، الذي أنشئ في القرن الرابع عشر لتكريم عبد القادر الكيلاني، كان من أحفاد هذا الواعظ والباطني الكبير، وكانت المنح الكبيره جداً التي توهب للمقام تعتبر من بين الأوقاف الأحد عشر التي كانت مستثناه من رقابه وإشراف وزاره المالىه في (الدوله) العثمانيه. بالرغم من أن تكاليف إيواء الحجاج كانت تصل إلى مبلغ كبير في السنه، فإنه يبدو أن النقيب مثله مثل متولى الأوقاف. كان يدير العائلات بما يلائم صالحه وصالح عائلته. وكان للنقيب أيضاً عقارات خاصه قيمه حول بلده بعقوبه وعلى الفرات، وكان يعتبر قبل الحرب العالميه الأولى أغنى رجل في البلاد». بطاطو: حنا: مرجع سابق، ص ١٩١-١٩٢.

كانت تكنّ له أكبر الاحترام لفكره ومواقفه (١).

أما في الأوساط الكرديّة: فقد كان السيد العالم - أيضاً - يحتل موقعاً رياديّاً في المجتمع، خاصه إذا كان مرشداً لطريقه باطنيّه مثل: أحمد خانقّه، مرشد النقشبنديّه في كركوك، فقد كانت له منزله علياً في أوساط الأكراد (٢). وهكذا، احتلت طبقه الساده الأشراف موقعاً متميزاً في الوسط الاجتماعي العراقي، كما لسدنه الروضات المباركه، والمشرفين على الأوقاف العامه، مكانه مرموقه في الأوساط الشعبيّه. ولموقعهم المؤثر هذا، كانوا يفرضون احترامهم داخل الأوساط العلمائيه والقياديه منها أيضاً. إلا أن هذا الموقع المتميز الذي حصل عليه بعضهم عن طريق الوراثة، لم يسعوا لحفظه بالشكل الذي يمكن توظيفه في تطور الوعي الإسلامي، ليكونوا الحلقة الوسطى - إلى جانب المثقفين الإسلاميين، والخطباء ووكلاء العلماء المراجع - بين القاده وعموم الناس - كما هو الطموح - يقول: جعفر آل محبوبه: «السدانه شبه حكومه استبداديه، يتوارثها الأبناء عن الآباء، مره تضم معها النقابه، وذلك إذا كان السادن علويّاً كما وقع في أكثر العصور الغابره، ويكون النقيب السادن هو الحاكم المطلق في البلد. وآونه يتقلد النقابه، العلوى فيكون هو الحاكم في البلد، وينفرد السادن بالسدانه، كما هي على هذا السير في بعض الأزمنه فتقتصر سيطره السادن على الشؤون الخاصه الراجعه إلى الحرم.. حتى صارت النقابه من قبيل الوسام الذي تمنحه الحكومه (العثمانيه) لشريف من السادات ولم يكن في يده أقل سلطه أو زعامه» (٣).

ص: ١٣٤

١- (١) مما يذكر حول السيد محمود شكري الألوّسي، أنه كان يعيش ظروف القله. ومع ذلك حينما عرض عليه المندوب السامى البريطاني، (السيربيرسي كوكس)، ثلاثمائة دينار عبر (أنسطاس الكرملى)، فرد قائلاً: «أفضّل الموت جوعاً على أن آخذ مالاً لم أكسبه». راجع: العمرى، خيرى أمين: شخصيات عراقيه، بغداد ١٩٥٥، ص ١٢.

٢- (٢) بطاطو: حنا: مرجع سابق، ص ١٨٨،

٣- (٣) آل محبوبه، جعفر الشيخ باقر: ماضى النجف وحاضرها، ط ٢، بيروت (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ج ١، ص ٢٥٨-٢٥٩.

على ضوء ما تقدم يلاحظ في المدن الرئيسيّ الثلاث: بغداد، الموصل، البصره، أن الدور السياسي والحركي للعلماء والأعيان المسلمين السنه كان محدوداً إذا ما قيس بالإمكانيات المتاحة لديهم. والذي يذكر في هذا الصدد، أن نفوذهم الاقتصادي كان كبيراً حتى في المناطق ذات الأغلبيه الشيعيه. ففي البصره - مثلاً - كان الملاكون، وأصحاب الأراضي كلّهم من السنّه باستثناء واحد فقط من الشيعه. وكانوا هم الأ-كثر نفوذاً في البلد، بينما كان المزارعون - في أكثريتهم الساحقه - من الشيعه، وكان الاستثناء هو شيخ المحمّره. وهكذا في المناطق الجنوبيه الأخرى، كان العنصر السنّي الذي شكّل أقلية دوماً، متفوقاً اجتماعياً واقتصادياً. ففي مدينه الحله - مثلاً - كان الشيخ (هزاع بن المحميد) شيخ المعامره وهي فرع من التحالف الزبيدي سنياً مع أن مزارعيه العشائريين كانوا شيعه في أكثريتهم. وفي بغداد - أيضاً - حيث تمتعت الطائفتان بالمساواه العدديه تقريباً، كانت العائلات المسيطره اجتماعياً سنّيه مع بعض الاستثناءات، وهنا لا- بأس أن نشير إلى الجذور السياسيه العميقه لهذه السيطره الاقتصاديه والاجتماعيه للسنّه، ففي ريف المنتفك مثلاً، نجمت عن سيطره عشائر (أهل الأبل) على عشائر الفلاحين وسكان الأهوار وأهل الغنم الشيعه، كما في المدن فقد انبعثت هذه الظاهره لسيطره الدوله العثمانيه السنيه التي دعمت علماء وزعماء الطرق الصوفيه ووجهاء السنه بينما وقفت حائلاً أمام نمو الشيعه اقتصادياً (١).

ومع ذلك، كانت أدوارهم محليه محدوده. على العكس من علماء وأعيان الشيعه. ولعل من الأسباب المهمه - كما يظهر لنا - أن المواقف والنشاطات المهمه للمسلمين الشيعه، تحدّد بقرارات وتوجيهات مركزيه مستقله تصدر من القياده الإسلاميه المتمثله بالمرجع الأعلى، هذه القياده تمتاز بطريقه خاصه في إدارتها الاستيعابيه

لآلام وآمال الناس، فهي تحتضن وتوجه عموم الفعاليات الاجتماعيه والثقافيه فى مؤسسات المجتمع المدنى، ونشاطات التبليغ ونشر الثقافه الواعيه وإقامه الشعائر الإسلاميه والمطالبه بحقوق الإنسان، بل النشاطات الحركيه والسياسيه العامه فى الظروف الاعتياديه، من دون أن تسمح للسلوكيات الانفعاليه والأعمال الارتجاليه فى الساحه الحركيه، بأن تُملى عليها قراراتها، أو تفرض مواقفها. فالمرجعيه الشيعيه لها طريقتها فى التعاطى مع الأحداث المستجده وتفاعلاتها فى الساحه، حسب ما تراه مناسباً من خلال وعيها المبدئى أى ضمن الإطار الإسلامى بما يخدم المصلحه الوطنيه العامه. وهذا ما سنراه جلياً فى ثوره النجف عام ١٩١٧م، ١٣٣٥هـ.-

هذا وقد ساهمت عوامل سياسيه ومذهبيه واقتصاديّه فى نمو الروح المحليه، للعشيريه، والمدنيه أو لطرف من أطراف المدنيه الواحده، إلى مستوى من العصبيه غير الطبيعيه. فمثلاً: يتقدم عدد كبير من أعيان ووجهاء البصره باحتجاج مكتوب إلى حكومه الاتحاديين إثر تعيين أحد أبناء الموصل فى منصب قضائى فى البصره عام (١٩٠٩م، ١٣٢٧هـ-) وذلك لأنه لم يكن بصرياً! ولا من أشرف البصره (١).

وبالفعل لعبت الأسباب المذهبيه والاقتصاديّه دوراً مهماً فى نمو الظاهره المحليه، فلذلك «وجدت كل الانشقاقات الحضريه لنفسها تعبيراً فى ظاهره (المحلّه) أو الحى المدينى، وبكلمات أخرى فإن المجموعات التى كانت تنتمى فى مدن العراق إلى عقائد دينيه، أو طوائف، أو طبقات مختلفه، أو كان من أصول إتنيه (عرقيه) أو عشائريه مختلفه، كانت تميل إلى أن تعيش فى (محلات) منفصله.. والظاهره نفسها ميّزت ضواحي بغداد، فالكاظميه التى تضم ضريحى الإمامين الشيعيين السابع والتاسع [الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام، والإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام] لم تكن مسكونه إلا بالشيعه.. فى حين أن الأعظميه التى

ص: ١٣٦

تستمد وجودها من وجود ضريح (أبو حنيفه) المشرع السيدي وعالم الدين.. كانت تقتصر في سكانها على السنه.. وكذلك فقد كان أعضاء كل من الحرف المختلفه التي توزع عليها أصحاب المهن اليدويه، الذين كانوا منظمين بشكل ضعيف نسبياً ضمن تجمعات مهنيه، أو (أصناف) يميلون أيضاً إلى السكن معاً في شوارع منفرده لكل حرفه.. [وكذلك] فإن الذين كانوا يشكلون جزءاً من (جماعه دينيه) كالمسيحيين واليهود، كانوا يتمتعون باستقلاليه ذاتيه في شؤونهم الشخصيه والمليّه (الدينيه)» (١).

وهذه الحاله كانت تعبر عن الحاجه الفطريه في توفير الحمايه الأمنيه من خلال الاتفاق على أساس تلك الولاءات المصنّفه. وقد استفحلت بوضوح بعد ثوره الدستور (١٩٠٨م، ١٣٢٦هـ-)، واستلام الاتحاديين زمام الحكم. ففي عام (١٩١٠م، ١٣٢٨هـ-) - مثلاً - كتب أحد نواب بغداد في المجلس العثماني، يقول: «أسلم للمرء ألف مره أن يعتمد على العشيره من أن يعتمد على الحكومه، ففي حين أن هذه الأخيره تؤجل أو تتجاهل الإخضاع، نجد أن العشيره، ومهما كانت ضعيفه، ما أن تعلم بأن ظلماً قد وقع ضد أحد أعضائها حتى تعد نفسها للأخذ بثأره» (٢).

كما أن حاله التماسك هذه كانت ملحوظه داخل العشائر، فإنها كانت موجوده في المدن أيضاً باتجاه المحلات أي الأطراف، ومما لا يخفى إن لهذه الظاهره إيجابياتها كما أنّ عليها سلبياتها، فقد تتطور هذه الحاله إلى العصبيه والصراع بدوافع محليه، فمثلاً في بغداد جرت مظاهرات عامه في تشرين الأول ١٩١١م ضد الغزو الإيطالي لطرابلس، فتجمع الناس بحسب المحلات، واندلع شجار عنيف بين جماعه حى باب الشيخ وجماعه حى الحيدر خانة حول مسأله الأسبقيه ومن يتصدّر

ص: ١٣٧

١- (١) المرجع ذاته، ص ٣٦-٣٧.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٤٠.

المظاهره (١). إلا أن الثقافه الإسلاميه ومن خلال انتشار الوعي الحركي استطاعت أن تحدّد هذه التوجهات المحليه - بالرغم من استفحالها أحياناً - لتعيش ضمن إطارها المحدود والمسموح به شرعاً وعرفاً، على أن تصب الجهود لبناء الوطن وخدمه الأمه. لا أن تتحول الحاله إلى عصبية جاهليه منكره. وسنتلمس آثار هذا الوعي أثناء تطور الأحداث، حيث ستذعن الأمه مطيعه بكل تفاصيلها لقرارات وفتاوى القياده المرجعيه، التي تسعى لتحقيق المصلحه الوطنيه العامه، مستوعبه الخصوصيات المحليه بكل أصنافها في الإطار الطبيعي.

تمايز المسلمين الشيعة عن المسلمين السنه

يتميز المسلمون الشيعة عن إخوانهم المسلمين السنه في بعض الأسس الفكرية والمنطلقات الحركية والرؤية النقديه المسؤوله للتاريخ الإسلامى بأحداثه وأبطاله، مما يعكس وعياً متميزاً في الأوساط الشيعيه قلّما نلمسه في الأوساط السنيه. ونحن إذ نذكر هذه الحقيقه، إنما نحاول من خلالها التوصل إلى جذورها ومنطلقاتها التي سنسلط الضوء على بعضها بما يناسب المقام، وذلك لغرض دراستها بصوره موضوعيه، وتعميم فوائدها بل للاقتداء بها، إن حصلت القناعه بأهميتها.

إن المسلمين الشيعة يتميزون بالاستقلاليه في المرجعيه الدينيه والتحصيل العلمى والناحيه الماليه، والمسلم الشيعى لا بد أن يقلد المرجع الدينى في الأحكام الشرعيه ويتبنى المواقف الإسلاميه الصادره عنه، فبالقليد تتعين وظيفته الشرعيه في العباده ودفع الحقوق الماليه والاستجابه لفتوى التحرك السياسى، والجهادى بمختلف الوسائل والظروف. وهذه المسأله دقيقه ومهمه جداً، كما سنرى ذلك عملياً. بينما يلاحظ على

ص: ١٣٨

١- (١) المرجع ذاته، ص ٣٩. وللمثال راجع دستور محله البراق في النجف الأشرف عام ١٩١٥م، وفي مدينه السماوه خلال الحرب العالميه الأولى وقف الحى الشرقى إلى جانب البريطانيين بينما بقى الحى الغربى محايداً، وكان لكل حى شيخه ودستوره وتوجهاته. المرجع ذاته، ص ٣٨-٣٩.

المسلمين السُّنَّه - بشكل عام - أنهم مرتبطون بأئمة المساجد، وهم بدورهم مرتبطون بوزاره الأوقاف أى السلطات الرسميـه الحاكمه إلا ما شدّ وندر (١).

مناطق تواجدهم

يتواجد المسلمون الشيعة فى مناطقهم الأساسيه فى وسط وجنوب العراق، وقد آمتازوا بتراث إسلامى واضح، وبوعى ثقافى متميز، بالإضافة إلى التقاليد والأعراف الشعبيه التى تسود أوساطهم خاصه فى الأرياف والعشائر، وفوق هذه الحاله تبقى للمرجع الدينى الأعلى الكلمه النافذه فى الأوساط الشيعيه بشكل عام، ولوكلاء المرجع وللخطباء والمبلغين مكائنتهم المؤثره باعتبارهم القاده الميدانيين للتوجيه المباشر، وأنهم يشكلون حلقة الوصل بين القياده المرجعيه والناس. حتى أن الزعامات الاجتماعيه المحليه المتمثله بالساده الأشراف ورؤساء العشائر ووجهاء المدن تحرص فى أداء مهامها ضمن دوائرها الخاصه بشكلٍ يضمن عدم الاصطدام بالقياده الدينيه، والقياده تسعى باستمرار - أيضاً - فى استيعاب تلك الزعامات وتوظيفها فى السياق الممكن، «ويمكن القول فى سياسيه النجف، أو الموقف الذى تتخذه إزاء الساده أصحاب الامتيازات الرفيعة، أنها سياسه مبطنه يقصد بها تحاشى الاصطدام والمجاببه.. ويمكن القول أيضاً أن جماعه الساده لا تزال تتمتع باحترام العامه لها نسبه إلى حرمتها ومكائنتها من آل البيت» (٢).

ص: ١٣٩

١- (١) يقول المحامى أحمد حسين يعقوب: «أكثر المساجد فى العالم العربى (والإسلامى) ملك لوزاره الأوقاف فى كل دوله، وفى كل مسجد جهاز من الموظفين من خطيب وإمام ومؤذن وخادم ومشرف دار القرآن الكريم، تعينهم وزاره الأوقاف ويتقاضون رواتبهم منها، ويخضعون لتوجيهات تلك الوزارات، أى أن الدوله.. ضببت عمليه الدعوه إلى الإسلام وجعلتها عمليه رسميه تجرى من خلالها، وبالأسلوب الذى تعتمده، ووفق القانون النافذ الذى يحكم عمليه الدعوه..». يعقوب، المحامى أحمد حسين: مرتكزات الفكر السياسى، فى الإسلام فى الرأسماليه فى الشيوعيه. طبع الدار الإسلاميه بيروت (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) طبعه جديده، ص ٣١٩، وطالع أيضاً ص ٣٢٢.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله: دور الشيعة فى تطور العراق السياسى الحديث، مرجع سابق، ص ٧٧.

وهي الأصول العقديّة ذاتها المعروفه لدى عموم المسلمين، من الإيمان بالتوحيد والعدل والنبوه والمعاد يوم القيامه، ولكن بإضافه أصل الإمامه بعد أصل النبوه، على المستوى العقديّ المبدئيّ، ممّا يبلور المرتكزات الفكرية – السياسيّة لديهم، ويظهر كيانهم موحداً متماسكاً في منطلقاته الفكرية، ورؤاه التاريخيه، ومواقفه السياسيّه، وطاعته لقيادته الدينيه المعاصره. سنحاول أن نشير إلى أهم تلك الأسس والمرتكزات بما يتناسب مع دراستنا هذه، ونحيل القارئ الكريم إلى بعض المراجع والكتب المعنيه – إن أراد معرفه التفاصيل (١).

ص: ١٤٠

١- (١) لمعرفة تفاصيل عقائد وأفكار الشيعة الإماميه، وتاريخهم نذكر المراجع التاليه: شمس الدين، محمد جعفر: دراسات في العقيدة الإسلاميه، طبع بيروت، دار التعارف ط ٣، (١٤٠٦هـ-، ١٩٨٦م). مطهرى مرتضى: العدل الإلهي، طبع بيروت، ١٩٨١م. (مترجم). الشيخ المفيد، محمد محمد بن النعمان: الإرشاد. طبع بيروت ط ٣، (١٣٩٩هـ-، ١٩٧٩م). المظفر، محمد رضا: عقائد الإماميه. طبع بيروت (١٣٩٣هـ-، ١٩٧٣م). البهادلي، أحمد: محاضرات في العقيدة الإسلاميه، طبع بيروت ١٩٧٩م. السبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل، دراسه موضوعيه مقارنة للمذاهب الإسلاميه، الجزء السادس، يتناول تاريخ الشيعة، نشأتهم، عقائدهم، فرقهم وشخصياتهم. لجنه إداره الحوزه العلميه بقم المقدسه - إيران، طبع قم ١٤١٣هـ-، الوائلي، د. أحمد: هويه التشيع، بيروت ١٩٨٠م. الحسنی، هاشم معروف: سيره الأئمه الأثنى عشر، جزءان طبع بيروت ط ٣، ١٩٨١م. الطوسى، محمد بن الحسن: تلخيص الشافى فى الإمامه، طبع النجف، ١٩٦٣م. كاشف الغطاء، محمد حسين: أصل الشيعة وأصولها، ط ٤، بيروت ١٩٨٢م. الزين، الشيخ محمد حسين: الشيعة فى التاريخ، طبع بيروت ط ٢، ١٩٧٩. مغنيه، محمد جواد: الشيعة فى الميزان، بيروت ط ٤، (١٣٩٩هـ-، ١٩٧٩م). مغنيه، محمد جواد: الشيعة والحاكمون، بيروت ط ٥، ١٩٨١م.

إن أهم ما يميز الشيعة هو اعتقادهم بالإمامة أى الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهي - لديهم - محصوره فى قریش وبالتحديد فى أهل بيت الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعدد أئمتهم اثنا عشر، أولهم الإمام على بن أبى طالب وآخرهم الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وقد تم اختيارهم بالنص والتعيين من الله سبحانه، وبلغ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة بذلك. وهذا الأصل الجوهرى، بامتداداته القيادية يشكل الأساس العقدي - المبدئي الذى يميز الشيعة فى حركتهم الفكرية والجهادية، «وهو فرق جوهرى أصلى، وما عداه من الفروق فرعية عرضيه، كالفوارق التى تقع بين أئمة الاجتهاد» (١). فالخلافة - فى نظر الشيعة - «منصب إلهى مقرّر من قبل الله تعالى حيث اصطفى سبحانه - لمهمه الإمامه - من فيه الأهل والقدرة على تحمل مسؤوليتها» (٢). يقول الشيخ المظفر: «نعتقد أن الإمامه أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها.. كما نعتقد أنها كالنبوه لطف من الله تعالى، فلا بد أن

ص: ١٤١

١- (١) كاشف الغطاء: محمد حسين: أصل الشيعة وأصولها. ط ٤، ص ٦٥.

٢- (٢) مالك، محمد جواد: العقائد الإسلامية دراسه منهجية فى أصول الدين، ص ٣٨٩.

يكون في كل عصر إمام هادٍ يخلف النبي في وظائفه من هدايه البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشاطين، وله ما للنبي من الولايه العامه على الناس لتسيير شؤونهم ومصالحهم وإقامه العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم. وعلى هذا فالإمامه استمرار للنبوه والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.. إن الإمامه لا تكون إلا- بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس.. «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه». على ما ثبت ذلك من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالحديث المستفيض» (١). وقد ورد في صحيح البخارى بسنده عن جابر بن سمره قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يكون اثنا عشر أميراً.. كلهم من قريش» (٢). وفي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفه.. كلهم من قريش» (٣). وفي كفايه الأثر بالإسناد إلى أبي سعيد الخدرى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «معاشر أصحابي، إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينه نوح، وباب حطه في بنى إسرائيل فتمسكوا أهل بيتي بعدى والأئمه الراشدين من ذريتي فإنكم لن تضلوا أبداً. فقيل: يا رسول الله، كم الأئمه بعدك؟ قال: اثنا عشر من أهل بيتي أو قال: من عترتي». وفي ينابيع الموده للقندوزى الحنفى (الباب ٩٤) عن المناقب بسنده إلى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا جابر إن أوصيائي، وأئمه المسلمين من

ص: ١٤٢

-
- ١- (١) المظفر، محمد رضا: عقائد الإماميه، ص ٦٥-٦٦. وللعلم إن اسم الشيعة يطلق اليوم ويراد به الشيعة الإماميه أو الجعفرية نسبة للإمام السادس من أئمه أهل البيت عليهم السلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨هـ-) وكذلك يسمون بالإثني عشرية لإيمانهم بالأئمه الإثني عشر خلفاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.
- ٢- (٢) صحيح البخارى، ٧٢٩/٩. حديث ٢٠٣٤. كتاب الأحكام باب ١١٤٨.
- ٣- (٣) صحيح مسلم: ١٤٥٢/٣، ١٤٥٣، حديث ١٨٢١.

بعدي أولهم علي، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ستدرکه يا جابر فإذا لقيته فأقرأه مني السلام، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي، ثم القائم، اسمه اسمي وكنيته كنيته، محمد بن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى علي يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبه لا يثبت علي القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان» (١). ومن هنا يوسع علماء الشيعة الاماميه، السنه الشريفه - وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم - لتشمل قول المعصوم وفعله وتقريره، والنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم على رأس المعصومين الأربعة عشر فى الإسلام، وهم من بعده، آبنته فاطمه الزهراء عليها السلام، والأئمه الأثنا عشر، يقول السيد محمد تقى الحكيم: «وسَّعها الشيعة إلى ما يصدر عن أئمتهم عليهم السلام فهي عندهم كل ما يصدر عن المعصوم قولاً وفعلاً وتقريراً، ولهم استدلالاتهم من الكتاب والسنه النبويه والعقل» (٢).

الامتداد الشرعى المتواصل لقياده الإمام

الذى يهمننا فى دراستنا هذه ليس الإطار التاريخى، وإثبات السلطه الإلهيه للأئمه - عتره الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم - وإنما لتثبيت هذا الأصل العقدي الذى يميز الشيعة عن غيرهم، وما يترتب على ذلك من وعى حركى - سياسى شهده التاريخ الشيعى فى العراق - موضوع بحثنا - وتشهده أحداث الأممه حالياً من آثار مفصلية فعّاله حيث الامتدادات القيادية لمبدأ الإمامه والخلافه عبر العلماء المراجع.

ص: ١٤٣

- ١- (١) للمزيد من الاطلاع على هذه الأحاديث الشريفه - مسنده - راجع الغريفي: المرجع السابق، ص ٤٢٨-٤٥١. وغيره من الكتب التى تناولت العقيدة الإسلاميه لدى الشيعة الإماميه.
- ٢- (٢) الحكيم، محمد تقى: الأصول العامه للفقّه المقارن.. ص ١٢٢، وللوقوف على الاستدلالات وتوضيحها ومناقشتها راجع المرجع ذاته، ص ١٤٧-١٩٠.

«مراجع التقليد (لدى الشيعة) هم الامتداد الطبيعي للقيادة الشرعيه، فهم يملكون حق الولاية على المسلمين، بالنيابه العامه» (١). ومن المفيد أن نشير إلى وجوب توافر شرائط أساسيه تؤهل الفقيه القائد لهذا الدور الخطير. وبالإجمال، على المستوى الشرعي، بالإضافة إلى بلوغه درجة عاليه في إيمانه بالعقيده الإسلاميه، لا بد أن يكون فقيهاً عادلاً جامعاً لشرائط الاجتهاد. وعلى المستوى النفسى، يكون شجاعاً في تصديده لإداره أمور المسلمين، وعلى المستوى الحركى، يكون متفهماً لظروف الأمة الموضوعيه، عارفاً بإمكانياتها الذاتيه ليقودها بحكمه ودرايه بما يحقق لها العزّه والكرامه. وهكذا يبرز دور القيادة المرجعيه للأمة بالشكل الذى يواكب تطور الحياه عبر «الممارسه القياديه القادره على توجيه حركه الأمة على كافه المستويات الثقافيه والاجتماعيه والسياسيه، وعلى ترشيد المواقف فى مواجهه كل حالات التحدى» (٢). وعليه تكون قياده الفقيه جامعاً لأمر الدين والدنيا معاً، للعباده والفتاوى المستحدثه وتدريس الفقه والتفسير، بالإضافة إلى إداره الأمة فى حركتها السياسيه.

وجوب تقليد المرجع الحى

اشاره

ومن المبادئ الأساسيه للشيعة الاماميه، وجوب تقليد المجتهد الجامع للشرائط. والتقليد هو الرجوع إلى المجتهد الأعلّم فى الشؤون الدينيه والحياتيه والحركيه والجهاديه. والتقليد - لدى الشيعة الاماميه - واجب شرعى على كل مكلف لم يبلغ درجه

ص: ١٤٤

١- (١) مالك، المرجع ذاته، ص ٥٠٩. يقول المحامى أحمد حسين يعقوب: «والعترة الطاهره هم أساتذته أهل الشيعة وأساتذته أصحاب المذاهب الأربعة عند أهل السنه، فعلماء الشيعة إذا أردنا الحق وتركنا التقليد الأعمى هم المرجع بفهم الدين فى حاله غياب العترة الطاهره، والشيعة تثبت آراء العترة الطاهره طمعاً برضوان الله ورضوان رسوله وقد أمر بالتمسك بالقرآن والعترة لأنهما لا يفترقا أبداً...». يعقوب، المحامى أحمد حسين: المرجع السابق، ص ٢١٩.

٢- (٢) الغريفى، عبد الله: التشيع، نشوءه - مراحل - مقوماته، ص ٤٨٣.

الاجتهاد، لذا «يكون في جميع عباداته ومعاملاته وسائر أفعاله وتروكه مقلداً..» (١). للمرجع المعاصر، أى الحى، ويحصل المجتهد الفقيه على درجته العلميه المتقدمه عبر دراساته الفقيهه والأصوليه الوافيه، التى تؤهله - بكفاءه وقدره - على استنباط الأحكام الشرعيه من أدلتها التفصيليه، وهذه الدرجه هى التى تسمى درجه الاجتهاد، وهى «ملكه تحصيل الحجج على الأحكام الشرعيه أو الوظائف العمليه، شرعيه أو عقليه» (٢). وبالفعل «إن هذا التقليد الدينى قد أكسب النجف مزيداً من النفوذ السياسى فى أقطار نائيه مثل الباكستان والهند وأفغانستان، ناهيك عن التفاعل الحضارى الذى يتم فى النجف عندما تلتقى جماعات مختلفه جاءت لتدفن موتاهها، جماعات تنتمى إلى قوميات تتباين حضارياً، ويختلف بعضها عن بعض فى اللغه والتاريخ والذهنيه والنظريه الفلسفيه إلى الحياه..» (٣).

والأمر الجدير بالاهتمام - هنا - هو اشتراطهم فى التقليد - ابتداءً - أن يكون المجتهد حياً، فلا يجوز - لديهم - البقاء على تقليد المجتهد الميت إلا بعد إجازة من المرجع الحى، وذلك ليعود المجاز فى بقاءه على تقليد المرجع الميت إلى المرجع الحى فى المستجدات الفقيهيه والحركيه. ومعنى ذلك هو استمرار القيادة الفعلية لأتباع هذا المذهب من قبل المجتهدين - المراجع الأحياء - فى شتى الظروف والأحوال، ففى نظر الاماميه أن المجتهد هو الامتداد الشرعى لقيادة الإمام عليه السلام، الذى هو الخليفه الشرعى للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الراى عليه كالراى على الإمام، والراى على الإمام كالراى على النبى، فى قراره الدينى والسياسى، وهنا يكمن سر الطاعه والانقياد من قبل المؤمنين لعلمائهم، ومن هنا نستوضح التماسك المتين بين القيادة

ص: ١٤٥

-
- ١- (١) الخوئى، السيد أبو القاسم: منهاج الصالحين الجزء الأول، العبادات، طبع بيروت ط ٩، ص ٧.
 - ٢- (٢) الحكيم، محمد تقى: الأصول العامه للفقاه المقارن، ص ٥٦٣.
 - ٣- (٣) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق: ص ٧٩.

المرجعيه وعموم الناس. يقول الدكتور حامد حفنى، وهو فى صدد بيان أهميه فتح باب الاجتهاد عند الشيعة الاماميه: «بل يشترطون وجود (المجتهد المعاصر) بين ظهرانيهم ويوجبون على الشيعة إتباعه رأساً دون من مات من المجتهدين، ما دام هذا المجتهد المعاصر استمد مقومات اجتهاده - أصولها وفروعها - ممن سلفه من المجتهدين وورثها عن الأئمه كإبراً عن كابر.. [ويضيف] وإنما الجميل والجديد فى هذه المسأله أن الاجتهاد على هذا النحو الذى نقرأه عنهم يساير سنن الحياه وتطورها ويجعل النصوص الشرعيه حيّه متحركه، ناميه متطوره تتمشى مع نوااميس الزمان والمكان، فلا تجمد ذلك الجمود المضر الذى يباعد بين الدين والدنيا أو بين العقيدته والتطور العلمى وهو الأمر الذى نشاهده فى أكثر المذاهب التى تخالفهم» (١). ويقول السيد محمد تقى الحكيم: «إن فى تشريع جواز الرجوع إلى الأموات فى التقليد ابتداءً إمامته للحركه الفكرية التشريعيه، وتجميداً للعقول المبدعه عن الانطلاق فى آفاقها الرحبه. وقد لاحظنا هذا الواقع فى الكثير من علماء الإسلام من أهل السنه يوم سدوا على أنفسهم أبواب الاجتهاد وحصروا التقليد بخصوص أئمتهم، حيث ظلت الحركه الفكرية واقفه عند حدودها لديهم قبل قرون، وما ألقوه بعد ذلك كان يفقد فى غالبه عنصر الأصالة والإبداع» (٢). وفى اعتقادى أن غلق باب الاجتهاد يعدُّ مؤامرهً كبيرهً تستهدف الإسلام والمسلمين لغرض تجميد التطور الفقهي والحركى والجهادى لدى الطائفة السنيه، وذلك بحصر فعاليتها فى الحاله الرسميه - إن وجدت - وينسحب ذلك إلى حصر عمليه الدعوه الإسلاميه والإفتاء الشرعى، وحتى إحياء ذكريات الإسلام بالطريقه الرسميه، وليس على العلماء والشعب إلا المشاركة والتأييد فقط (٣). بينما تبقى الأمه - فى مختلف

ص: ١٤٦

١- (١) الدكتور حامد حفنى داود، أستاذ الأدب العربى بكلية الألسن بالقاهره فى مقدمته لكتاب عقائد الاماميه للشيخ محمد رضا المظفر، ص ١٧-١٨.

٢- (٢) الحكيم، محمد تقى: المرجع السابق، ص ٦٥٦.

٣- (٣) يعقوب، المحامى أحمد حسين: المرجع السابق، ص ٣٢٠.

مراحلها - تنهل باستمرار من بركات المعين الصافي، حيث الأصالة الإسلامية مباشرة، عند فتح باب الاجتهاد، ووجوب تقليد الفقيه المعاصر الأعلام، كما هو لدى الشيعة الامامية، وبهذه الطريقة ستستمر مسيره الإبداع العقلي ضمن الأطر الشرعية، وهي توابك تطورات العصر، ومستجدات الحياه العمليه، وفي اعتقادي - أيضاً - إن هذه المسأله تعتبر ضروره شرعيه وعقليه وحياتيه. فلذلك أسس العلماء مدارس دينيه وحوزات علميه بطابعها الاستقلالي التام عن السلطات الحاكمه، وذلك في مناهجها الدراسيه، وطريقه إدارتها، والمسأله الماليه. كما وثّقوا حاله الارتباط بالأمه إلى درجه كبيره وذلك عبر شبكه الوكلاء والممثلين عنهم المنتشرين في أنحاء البلاد، حتى القرى والمناطق النائيه. وكذلك يلاحظ على الحوزات العلميه، خصوصاً في مراحلها المتقدمه أنها شيدت عند مراقد الأئمه والأولياء، ففي العراق ظهرت النجف وكربلاء والكاظميه وسامراء، مراكز علميه للدراسات الإسلاميه والأديبه. وحينما يتخذ المرجع الأعلى إحدى هذه المدن مقراً له، ستتحول إلى مركز القرار القيادي للتحرك والثوره والإداره السياسيه. كما سنلاحظ ذلك بتطور الأحداث في المباحث القادمه (1).

بينما تبقى ممارسه الأدوار الثقافيه والفكريه مستمره في جميع المراكز الأخرى. وإن لم تكن مقراً للمرجع الأعلى، ولكن المواقف الحاسمه التي تتطلب الرأي المركزي القاطع تحال إلى المرجع الأعلى الذي يبتّ بها، بعد أن يدرسها مع مستشاريه مراعيّاً الظروف الذاتيه والموضوعيه للأمه. ولذلك تتطلع جميع المراكز الدينيه الأخرى، بل تتطلع الأمه لقراره العام. وبمرور الأيام أصبحت لهذه المدن المقدسه أهميه اقتصاديه واجتماعيه

ص: ١٤٧

١- (١) الحوزه العلميه هي مركز دراسات العلوم الإسلاميه الشرعيه، وهي تكون بإشراف المراجع وامتداداتهم من الوكلاء. للمزيد من الإطلاع حول الحوزات الدينيه راجع، مالك، محمد جواد: الحوزات والجامعات تقويم ومقارنه، طبع بيروت (١٤١٤هـ-١٩٩٤م). وللإطلاع على أهم مدارس الفقه الشيعي، وتنقلها من مكان لآخر عبر العصور، راجع، الآصفي، محمد مهدي: تاريخ الفقه الشيعي، تقديمه لكتاب اللمهه الدمشقيه للشهيد الأول. ط ٢، بيروت ١٤٠٣هـ-، ص ٢٦-٧٦.

بالإضافة إلى الأهمية الفكرية والسياسية. وبالفعل تحولت إلى مراكز للإشعاع الفكري والأدبي، فتكثفت فيها اللقاءات بين مختلف الطبقات الاجتماعية والثقافية، ومما زاد في كثافته حركتها وجود مواسم الزيارات المخصصة لها، فتعيش أجواءً خصبةً للتبادل الثقافي والتجاري، كل ذلك يؤدي إلى توطيد العلاقات بين مختلف المدن والأرياف والعشائر بل حتى سكان البادية مع تلك المراكز ورموزها الفكرية، والجدير بالذكر أن لوكلاء المراجع في كافة مناطق العراق الدور الواضح في توثيق تلك العلاقات. وبالفعل منذ أواخر القرن التاسع عشر شهدنا «..بلوغ النجف ذروه مكانتها مركزاً للعواصف السياسية، وبروز علماء الشيعة أداها حاسمه في النشاط والتحريك السياسيين..» (١). ومن هنا نؤكد على أن هذه الحيوية الحركية لدى علماء المسلمين الشيعة هي نتاج تلك الأسس والمرتكزات الفكرية التي يستندون عليها في انطلاقتهم نحو بناء الحياة، بالإضافة إلى الاستقلالية المالية التي يعتمدونها في إداره شؤونهم الخاصة ونشاطاتهم الدينية بشكل عام، يقول الدكتور النفيسي: «إن العامل الرئيس الذي عمق شقّه الخلاف بين علماء السُّنة وعلماء الشيعة في العراق، الأمر الذي كان له أثر فعّال في وجهتي النظر السياسية لدى الطرفين هو مصدر الدخل لدى كل طائفةٍ منهما، فإن العالم الديني السُّني في العراق يعتمد في دخله على ما تقدمه له السلطة العراقية، أي أنه كان يعتبر موظفاً حكومياً يتقاضى مرتباً، بينما كان العالم الديني الشيعي.. يرفض كل عونٍ مالي حكومي..» (٢). نعم «ولأن النجف كانت دوماً تؤكد استقلالها الذاتي فإنها أصبحت مع الأيام مركزاً سياسياً مهماً ناشطاً للشيعة في العراق» (٣).

ص: ١٤٨

١- (١) نظمي، وميض: شيعة العراق وقضيه القومية العربية: الدور التاريخي قبل الاستقلال، الفصل الرابع من كتاب (دراسات في القومية العربية والوحدة)، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي (٥). طبع بيروت ط ١، ١٩٨٤م، ص ١٨٨.

٢- (٢) النفيسي: عبد الله: المراجع السابق، ص ٧٠.

٣- (٣) المراجع ذاته، ص ٤٧.

بل أبعد من العراق «فإذا نشأت مشكله خطيره في العالم الشيعي، وليس في النجف وحده، فإنّ الناس يتطلعون صوب النجف، وينتظرون كلمه المجتهد الأ-كبر، الحكم الأول في القضايا الخطيره الذي يصدر فتوى بعد أن يكون قد تداول القضية مع مستشاريه» (١).

هذا، ومن المهم أن نشير إشاره سريعه - أيضاً - ضمن هذه الفقره من الحديث الإجمالي عن مميزات المسلمين الشيعه إلى مسألتين مهمتين بالإضافة إلى ما سبق، وأحيل القارئ الكريم لتناول التفاصيل إلى الكتب المعنيه، وهما:

أولاً: مسأله التزامهم بالتقيّه في حياتهم

وفي الحقيقه أن سلوك التقيّه مبدأ إنساني فطري، مارسه الإنسان المؤمن قبل الإسلام، كي يدفع الضرر عن نفسه وعياله. فقد قال تعالى:

وَ قَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ۚ

فإخفاء الإيمان وستره في ظروف فرعونيه قاهره هي ضروره حياتيه.

إن التقيّه أسلوب في التخفي والتستر والكتمان على الإيمان والمبدأ، حمايه للنفس والعرض والمال. ومشروعيه التقيّه نابعه من القرآن الكريم ففي قوله تعالى:

إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ .. ٣.

يبين المفسرون في أسباب نزول هذه الآيه الكريمه بأنها نزلت في الصحابي الجليل عمّار بن ياسر رضي الله تعالى عنه حينما أكره من قبل المشركين بعد أن قتلوا أمه وأباه أمامه، وعذبوه تعذيباً شديداً، أعطاهم ما أرادوا بلسانه فقال بعضهم: كفر عمّار، قال

ص: ١٤٩

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «كلاً، إن عماراً يغمره الإيمان من قرنه إلى قدمه»، ودخل عليهم عمار باكياً على ما صدر منه، فمسح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عينيه، وقال له: «إن عادوا فعدّ لهم بما قلت» (١). وهكذا «التجأ عمار إلى التظاهر بالكفر خوفاً من أعداء الإسلام» (٢). يقول أبو بكر الرازي الجصاص - من أئمة الحنفية في قوله تعالى:

إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً .. ٣.

يعنى أن تخافوا تلف النفس، أو بعض الأعضاء، فتتقوهم بإظهار الموالاه من غير اعتقاد لها». ويستمر الشيخ مغنيه في عرضه للآراء في هذا الصدد ثم يقول «وهذا الذى قاله صاحب السير الحلبيه، ونقله الجصاص عن الجمهور من أهل العلم هو بعينه ما تقوله الإماميه» (٣). وباعتبار أن المسلمين الشيعة قد تعرضوا - ولا- يزالون - إلى أنواع القهر والملاحقات والتشريد والقتل من قبل الحكام على طول التاريخ، دفعهم - أكثر من غيرهم - للتمسك بهذا المبدأ القرآنى.

ثانياً: مسأله إحياء عاشوراء، ذكرى مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه

هذه المسأله من الشعائر الدينيه المتميزه بطابعها العاطفى الشديد، وما تكتنزه من بصائر وعبر لها دلالاتها العقديّه والثقافيه، ولها آثارها التربويه والإصلاحيه، حيث ترفد الأمه درجات عاليه من الوعى الإيمانى المكثف، وتزوّد الأمه طاقات جهاديه فى أرفع مستويات العطاء والإيثار والإقدام والتضحيه فى سبيل حمايه الإسلام والكرامه الوطنيه والإنسانيه، فمن خلال عقد المجالس الحسينيه وإظهار مراسيم العزاء والبكاء والزياره

ص: ١٥٠

١- (١) مغنيه، محمد جواد: الشيعة فى الميزان، ص ٣٤٥.

٢- (٢) المظفر، محمد رضا: عقائد الإماميه، ص ٨٦.

٣- (٤) مغنيه، محمد جواد: الشيعة فى الميزان، ص ٥٠-٥١.

وكرم الضيافه من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال فى نسيج ملحمى لا مثيل له فى الدنيا، حيث تتجاوب الزفرات والدموع مع القلوب والعقول ليشهد الجميع موسماً حافلاً بالانتفاضه الحقيقيه والثوره الصادقه ضد الفساد والظلم والاستبداد فى عالم الإنسان. إنه يوم تجديد البيعه مع الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمه من آل النبي، إن إقامه المجالس والمسيرات العاشورائيه بالإضافة إلى الثواب والأجر للمساهمين والمشاركين، هى عمليه تطهيريه للذات ومراجعه الحسابات فى محاكمه واعيه غرضها طلب العفو والمغفره من الله تعالى، والتقرب إليه بالموَدّه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام. فقد قال سبحانه:

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى .. ١.

وهى فى الوقت ذاته إحياء لسنه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمه أهل البيت عليهم السلام فى إقامه مجالس الإمام الحسين عليه السلام ونشر أفكار نهضته وسيرته المباركه. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنَ بَكْتِ عَلِيِّ مَصَابِ الْحُسَيْنِ، فَإِنَّهَا ضَاكِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن لقتل الحسين حراره فى قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً».

ويقول لفضيل بن يسار:

«تجلسون وتتحدثون قال: نعم جعلت فداك، قال عليه السلام: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا»
(١).

ص: ١٥١

١- (٢) لواعج الأحزان فى مقتل الحسين، للسيد محسن العاملى، لبنان - صيدا سنة ١٣٣١هـ، ص ٣-٤. وراجع أيضاً المجالس الحسينيه فى مناقب ومصائب العتره النبويه للسيد محسن الأمين العاملى المجلد الأول ج ١، ص ٣٧-٣٨.

لذلك انتشرت مجالس الإمام الحسين وبرز الشعراء والخطباء والواعظون ليستثمروا هذا الموسم بالتوجيه والتربية والتبليغ، يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: «فليست الذكرى الحسينية مناسبة للحزن وحدها، وليست مناسبة للثقافة المجردة. الذكرى الحسينية كما أرادها أهل البيت عليهم السلام هي مناسبة للتربية ومناسبة لاحتواء المفاهيم الجديدة»، ويقول أيضاً «حفلات عاشوراء هي في مفهومنا حفلات للحرية نتعلم فيها روح الجهاد وروح الثبات والصبر» (١). وبالفعل «إن الأمة التي تملك تاريخاً صلباً تقف عليه أنها أمه تستحق الحياة وأنها ستصنع المستحيل في خضم الأحداث..» (٢). نعم بهذه النفس مطمئنة يتناول الشيعة تاريخ الإسلام بأحداثه وأبطاله، لا تأخذهم في الله لومه لائم، لينصروا الحق وأهله ويرفضوا الباطل وأهله، ومن خلال إقامه المجالس الحسينية يتوسل المؤمنون بالله تعالى ليوفقهم لأعمال الخير والصلاح، وكذلك للاستمرار على الاستقامة والهدى، بالتوكل على الله والصبر على نوائب الدهر والإقدام نحو أداء الواجبات الإسلامية. فأحياء عاشوراء إنما هو إحياء للإنسان حيث يستلهم المحيي لعاشوراء دروس بناء الحياة العزيزة والكريمة، ييقظه وأمل، فترتفع عن قلبه غشاوه الباطل، رغم إعلامه وضجيجه، فالذي يحيى عاشوراء بقلبه وعقله وعواطفه، إنما يدخل في دوره تربويه مكثفه بالوعى والبصيره والهدى، يتزود من القرآن والنبى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمه عليهم السلام بالتقوى فى النفس والطموح فى الإقتداء الميدانى حيث يستوعب فهم الحقائق، الإيمانيه والتاريخيه بثقه وشجاعه، ليتم تجنب الأخطاء أثناء الأداء الحالى، ومن ثم ليتم بناء المستقبل الواعد، على المستوى الشخصى والجمعى معا (٣).

ص: ١٥٢

- ١- (١) شمس الدين، محمد مهدي: عاشوراء، من الخطبه الثانيه ص ٢٥، والخطبه الأولى ص ١٠.
- ٢- (٢) مالک، محمد جواد: العقائد الإسلاميه، مرجع سابق، ص ٤٢١.
- ٣- (٣) يقول المحامى، أحمد حسين يعقوب، «وتبين أن السنه تنطلق من تقليد وتمجيد للواقع التاريخى، وإن الشيعة تنطلق من حقائق شرعيه داحضه، ولم أصل إلى هذه القناعه إعتباطاً وهوى». راجع المرجع السابق، ص ٢١٩.

إذا كانت الثقافيه الإسلاميه - الشيعيه-، إلى جانب اللغه والروابط الاجتماعيه والاقتصاديّه السائده في وسط وجنوب العراق، هي التي تحدّد سمه الفعاليات الفكرية، وترسم اتجاه الشعائر الدينيه، وتميّز صوره المواقف السياسيّه التي تتبعها النشاطات الجهاديه في عموم تلك المناطق - على الأغلب-، فإنّ منطقه كردستان العراق - في الشمال والشمال الشرقي منه- (١). كان العامل العرقي (الاتني) هو المميّز لتلك الجماعات القاطنه هناك، إلى جانب العامل الديني، والعامل الاقتصادي، فمن الناحيه الدينيه، فالأكثرية الساحقه من الأكراد مسلمون سُنيّه من حيث العقيدّه، وإنهم من أتباع المذهب الشافعي. وكان رؤساء الطرق الدينيه - الصوفيه يمثلون الزعامه الاجتماعيه والروحيه للسكان، مثل مشايخ البرزنجي للقادرية، ومشايخ النقشبنديه في بارزان (٢).

ص: ١٥٣

١- (١) تقع منطقه كردستان في القسم الشمالي من العراق، تحدّها شمالاً وشرقاً إيران، وشمالاً تركيا، وغرباً سوريا، ويبلغ عدد نفوسهم في العراق أكثر من ثلاثه ملايين نسمة. راجع بدر الدين، صلاح: الأكراد شعباً وقضيه. طبع بيروت - دار الكاتب ١٩٨٧م، ص ٧٢. إن أكراد العراق هم جزء من الأكراد الموزعين في عدّه أقاليم، حيث «يمتد [أقليم] كردستان من بحيره أروميه في الشمال الشرقي، إلى مالطيه في الجنوب الغربي، فيكون طولّه ٩٠٠ كم، ويتراوح عرضه بين ١٠٠ و ٢٠٠ كم، وهو قطر جبلي يقع بين الدرجه ٣٤ و ٣٩ عرضاً، وبين الدرجه ٣٧-٤٦ طولاً.. وأكثر الجهات صلاحاً للزراعه هو القسم الجنوبي والجنوب الشرقي، حيث حوض دجله والفرات وروافدهما، مثل الزاب الأكبر والأصغر ونهر الخابور». شيركوه، د. بله: ج: القضيه الكرديه (ماضى الكرد وحاضرهم)، طبع بيروت - دار الكاتب ١٩٨٦م، ص ١٩. يقول الكاتب الروسي فان مينورسكي: «إن الأكراد يعيشون في الوقت الحاضر عند حدود تركيا وفارس، من مدينه مندلي (في شرق بغداد) حتى أارات حيث تتعدى أرضهم حدودنا فتدخل في قفقاسنا». و«ينقسمون إلى قبائل الرحاله والحضر، وهم يعيشون ممتزجين بعضهم بالبعض الآخر». راجع مينورسكي، ف: الأكراد ملاحظات وانطباعات، ترجمه: د. معروف خزنه دار، طبع بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٣، ص ٤٩.

٢- (٢) الطريقه النقشبنديه: هي إحدى الطرق الصوفيه، تنتسب إلى الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندى المتوفى عام ٩٧١هـ- ١٣٨٩م، وهو صوفي من الكبار، أصله من بخارى وفيها قبره، وقد انتشرت في

وهناك الأكراد الفيليّون، وهم جزء من الأكراد، ولكنهم يتميّزون عن غيرهم من الأكراد مذهبياً، فهم من المسلمين الشيعة، أى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأنهم يقيمون شعائر عاشوراء سنوياً كغيرهم من الشيعة، بالحزن والعزاء لما جرى على أهل البيت من مظالم فى كربلاء من قبل بنى أمية، إظهاراً لمودّتهم للنبي وأهل بيته الكرام، فهم يتخذون الإمام الحسين عليه السلام عنواناً للاستقامه والتضحيه لأجل الإسلام، ورمزاً للجهاد والصبر، ونبراساً للهدى.

وقد ساهم الأكراد عموماً، والفيليه منهم (1) فى بناء حضاره وادى الرافدين، وقد أضافت مساهماتهم الفعاله الشىء الكثير إلى رصيد التاريخ الإسلامى فى الأبعاد الثقافيه والإداريه والجهاديه. وفى العصر الحديث سجل الأكراد مواقفهم الجهاديه المبدئيه بشجاعه، وذلك فى تصديهم الميدانى للغزو الأجنبى - خصوصاً البريطانى - للعراق عام (١٩١٤-١٩١٨م)، استجابته لنداء الجهاد الذى أطلقته المرجعيه الدينيه الشيعيه، دفاعاً عن بلاد المسلمين إلى جانب الدوله العثمانيه المسلمه. وهكذا اتسم الموقف العام للأكراد بالتضامن السياسى والجهادى مع المسلمين الشيعة فى تصديهم للمحتلين ومشاريعهم الاستيلانيه، وظهر ذلك جلياً فى ثوره العشرين التى فجرها علماء الشيعة ضد الاحتلال البريطانى. وستحدث عن هذا الموقف حين الحديث عن الثوره.

ص: ١٥٤

١- (١) راجع المنشور الخاص للتعرف على الأكراد الفيليين، الصادر عن الحركه الإسلاميه للأكراد الفيليين (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). (صوره منه فى الملاحق).

لكى تتكامل الرؤية عن الحركة الكرديه، سنسلط الضوء على بدايتها ثم نتبع مسارها التاريخى عبر تطور الأحداث بشكل سريع. فلقد ظهرت بعض الإمارات الكرديه شبه المستقله فى مراحل تاريخيه عديده، إلا أنها أُخمدت فى غضون النصف الأول من القرن التاسع عشر، ففى عام (١٨٣٤م، ١٢٥٠هـ-)، وبأمر من السلطان عبد الحميد الثانى، (١٧٨٤-١٨٣٩م، ١١٩٨-١٢٥٥هـ-) تم احتلال كردستان من جديد. فأصبح الأكراد فيما بعد من مواطنى الدوله العثمانيه (١). وقد «اشتركوا فى حروب تركيا فى الشرق والغرب بدمائهم وأموالهم وأسلحتهم ولا شك فى أن قبور العثمانيين المبعثره فى أفريقيا، والبلاد العربيه وأوروبا وأمام أسوار فينا بالنمسا تحتوى على الكثير من عظام الكرد» (٢). ومن الجدير بالذكر أن أغلب زعماء الأ-كرد ورؤساء الأحزاب والحركات الكرديه القوميه، هم من المسلمين المتدينين وينتمون إلى إحدى الطرق الصوفيه، إلا- أن الوعي الحركى للمسلمين لم يكن متبلوراً وناضجاً من الناحيه السياسيّه، والمسأله ليست محصوره -آنذاك - بالساحه الكرديه فقط. وأمام ضعف الوعي الحركى - السياسى للحاله الإسلاميه ظهر التيار القومى العلمانى بشكل فعال فى الساحه الكرديه. وقد شهدت سنوات (١٨٤٣-١٨٤٦م، ١٢٦٠-١٢٦٣هـ-) حركه قوميه كرديه لأول مره بقياده بدر خان باشا، تم إخمادها من قبل الجيش العثمانى. وفى (١٨٥٥م، ١٢٧١هـ-) اندلعت مره أخرى، بقياده يزدان شير من أقارب بدر خان باشا، وقد أُخمدت أيضاً. وفى (١٨٨٠م، ١٢٩٧هـ-) أنتفض الأكراد بهدف إعلان استقلال كردستان (٣). ومن ثمّ تطور

ص: ١٥٥

١- (١) مينورسكى، ف. ف الأكراد وملاحظات وانطباعات، مرجع سابق، ص ٤١.

٢- (٢) شير كوه، د. د. بله. ج: القضيّه الكرديه، مرجع سابق، ص ٤٣-٤٤.

٣- (٣) جليل، جليلى: انتفاضه الأكراد فى سنه ١٨٨٠م، أطروحه دكتوراه فى التاريخ، والمؤلف سوفيأتى كردى، وقد طبعت الأطروحه فى السنه ١٩٦٦ فى موسكو باللغه العربيه، ص ٤١. ويلاحظ على هذا الكاتب وأمثاله، أنهم يضعفون دور العامل الدينى فى الحركة الكرديه تماشياً مع الثقافه الماركسيه.

التوجه القومي لدى الأكراد بعد إعلان الدستور (١٩٠٨م، ١٣٢٦هـ-) فأُسست أول جمعيه سياسيه كرديه فى الأستانه سنه ١٩٠٨هـى (جمعيه التعاون والترقى الكرديه) (١)، وقد أصدرت جريده (الكردى) باللغتين الكرديه والتركيه فى استنبول، واعتبرت لسان حال (كرد تعاون ترقى جمعيته) وكانت أسبوعيه (٢). كما وأُسست فى التاريخ ذاته جمعيه ثقافيه باسم (جمعيه نشر المعارف الكرديه) وفتحت مدرسه كرديه لتعليم أولاد الجاليه الكرديه بالأستانه، وفى سنه (١٩١٠م، ١٣٢٨هـ-) تأسست فى الأستانه جمعيه (هيفى) الكرديه للطلبه الأكراد من الأفنديه: عمر أفندى، وقدرى آل جميل باشا من أعيان ديار بكر وغيرهما، واستمرت الجمعيه بنشاطها إلى حين دخول تركيا فى الحرب العامه. فعطلت أعمالها، وقد عادت إلى النشاط بعد الهدنه، كما أسس الأمير فريا بدر خان فى القاهره، بعد الهدنه (جمعيه الاستقلال الكردى). وتأسست مجموعه جمعيات أخرى انتشرت فروعها فى كردستان تطالب بالاستقلال (٣). ومع هذه التطورات بقيت الزعامه الدينيه المحليه فى كردستان العراق لها منزلتها الروحيه وموقعها فى الإرشاد والإصلاح بين الناس، إلا- أن الملاحظ على مجمل النشاطات الإسلاميه الكرديه أنها كانت ضعيفه التفاعل مع الحاله الإسلاميه فى بقية مناطق العراق. وبعيده عن عوامل التأثير فى الجماعات الثقافيه فى وسط وجنوب العراق (٤). ولعل السبب يعود إلى طبيعه حياتهم الجبلية التى تساعد على عزلتهم - ككيان اجتماعى - عن شركاء الوطن البعيدين عنهم، ويمكن القول بأن للموقع الجغرافى دوراً أساسياً فى تقويه نسيجهم الداخلى،

ص: ١٥٦

- ١- (١) شير كوه، د. بله. ج: القضيه الكرديه، مرجع سابق، ص ٦٢.
- ٢- (٢) جليل، جليلي: نهضة الأكراد الثقافيه والقوميه فى نهايه القرن التاسع عشر وبدايه القرن العشرين، نقله عن الروسيه: بافى نازى دمور لآثور، كدر، رابطه كاوا للثقافه الكرديه، منشورات المكتبه التقدميه رقم ٩، ط ١ بيروت ١٩٨٦، ص ٦٥-٦٦.
- ٣- (٣) شير كوه، د. بله. ج: المرجع السابق، ص ٦٣-٦٦.
- ٤- (٤) العزاوى، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد ١٩٥٥، ج ٧، ص ٢٨٥.

وتنمية أواصرهم الاجتماعيه ضمن اللغة والعادات والتقاليد والفعاليات المشتركه، كل هذه العوامل عززت في النفوس قوه الالتفاف حول المشروع القومي كطموح عام، وذلك بتشكيل كيان سياسى - إدارى موحد لهم. إلا أن عقبات متعدده حالت دون تحقيق ذلك الهدف، ولعل من أبرزها العامل الجغرافى بعينه، فى مفارقه استثنائيه، ففى الوقت الذى أشرنا إلى أهميه العامل الجغرافى فى تكتلهم وتوحيد طموحهم السياسى، شكّل - أيضاً - عاملاً أساسياً معرقلاً لمشروعهم فى إقامة دولتهم القوميه، وذلك لتداخل موقعهم الجغرافى مع أكثر من قوميه محيطه بهم، سبقتهم فى التشكيل السياسى، واعتبرت مناطقهم ضمن حدود كياناتهم السياسيه، وعليه يشكّل الأكراد عمقاً اقتصادياً واجتماعياً تابعاً لنفوذهم، وعلى أفضل تقدير يعدّونهم ضمن رعاياهم، هذه الحاله التنافسيه على مناطقهم وكيانهم الاجتماعى عسرت ولاده هدفهم المنشود.

فالأ-كراد - بخصوصيتهم القوميه - يتداخلون مع العرب فى العراق وسوريا -جغرافياً-، كذلك مع الفرس فى إيران، ومع الأ-تراك فى تركيا الجديده، مما يجعل مهمه قطع تلك الأجزاء الجغرافيه، ولملمه شمل الأكراد فى كيان سياسى مستقل من الأمور الصعبه. ومما لا يخفى أن السياسه الدوليه والإقليميه، إثر تقلبات موازين القوى وآنعكاساتها على المنطقه لعبت دوراً مهماً فى ربط القضيه الكرديه بعجله المصالح الدوليه والإقليميه معاً، ممّا دفع حكام المحيط الكردي فى ظروف معينه إلى التمسك بالقضيه الكرديه كورقه ضغط مهمه فى الصراع السياسى، والتنافس على مواقع النفوذ فى المنطقه، وذلك عبر تأييد الشعارات السياسيه للأكراد بالإعلام تارةً، وبال دعم السياسى والمادى تارةً أخرى، وبالنتيجه لاستغلال الأوضاع الداخليه للأكراد وحركتهم السياسيه، وانتفاضتهم الشعبيه ومواجهتهم الثوريه، لا حباً بهم وإنما لغايه فى نفس يعقوب! وعلى أفضل توجيه نؤيده، هو تلاقى المصالح، وفى كل الاحتمالات يكون الاكراد وقود المعركه، بينما يجنى ثمارها الحكام الماسكون بتلك الورقه، وحينما تتحقق

مصالحهم عبر الاتفاقيات والمعاهدات الدوليه تتغير بوصله الدعم للقضيه الكرديه تماماً، وفي حينها تخنق القضيه بحبال المحتضنين لها، الذين هم في واقعهم تجار سياسه. وأوضح مثل معاصر عاشته القضيه الكرديه، هو ما فعله شاه إيران لثوره الملا مصطفى البارزاني بعد اتفقيه الجزائر الشهيره عام ١٩٧٥، التي أبرمها مع صدام حسين.

ومع كل ذلك يبقى الخيار الوطنى للأكراد والقوميات الأخرى فى العراق -على ضوء الظروف الموضوعيه والخبره التجريبيه - محدداً باتجاه الاتفاق مع إخوانهم العرب فى العراق ضمن شراكه وطنيه تقوم على أساس الثقه والعدل والمساواه.

صحيح أن تجربه الحكومات العراقيه منذ تأسيس الدوله العراقيه فى آب ١٩٢١م، وحتى سقوط نظام صدام حسين، أساءت لرؤاد هذا الخيار الواقعى، إلا أن الطرق الأخرى لنيل الحقوق لم ترق إلى مستوى الطموح للشعب الكردي.

ما بين الشيعة والأكراد

الجدير بالذكر، أن الأكراد عموماً كانوا مع إخوانهم الشيعة العرب فى خندق متقارب من المعاناه القاسيه التى كانوا يتلقونها من النظم المتعاقبه على السلطه فى طول تاريخ الحكومات فى بغداد، حيث كانت تتمركز بيد السُّنه العرب، وهنا لابد من الإشاره إلى أن الأجواء الثقافيه الهادفه لا- تحيّد لغه التصنيف المذهبى والعرقى، ولكن لا- يمكن تجاوز واقع الساحه العراقيه حيث الثقافه السائده من الناحيه العقدييه، والموروث التاريخى الطويل وما يفرزه من خصوصيه فى المعاناه النفسيه والأزمات الحياتيه لكل جماعه مترابطه فيما بينها بالعيش والمصير. فالمتبع - بقراءه واعيه - للحوادث والتطورات - يكتشف بكل وضوح حقيقه التعامل التمييزى المصنّف من قبل الحكومات، خصوصاً فى الحقبه الزمنيه الأخيره أيام حكم البعثيين. فيلاحظ أن الأكراد مضطهدون قومياً من قبل الحكام العرب فى بغداد، كما يلاحظ أن المسلمين الشيعة

مضطهدون مذهبياً وطائفيًا من قبل الحكام ذاتهم، وهذا لا يعنى نفى الاضطهاد عن السنه العرب، ولكن - وعلى ضوء الحقائق والتجارب نقولها بثقه واطمئنان - على طول المراحل السابقه لم يضطهد أحدٌ من السنه العرب إلا لصفه سياسيه، أى لكونه معارضاً للحكّام، بينما يضطهد الشيعى لأنه شيعى فقط، حتى لو كان مستقلاً سياسياً، أو من علماء الدين، أو من المفكرين غير السياسيين، بل حتى لو كان عضواً فى حزب البعث الحاكم!! (١).

والذى يلاحظ - أيضاً - من خلال تطور الأحداث فى كردستان العراق أن طبيعه المناطق الجبلية منحت الأكراد متنفساً جميلاً للتعبير عن آضطهادهم والمطالبه بحقوقهم، وذلك عبر مسلسل الانتفاضات والثورات المسلحه، فلذلك أخذت معارضتهم طابع المواجهه العسكريه المعلنه فى مناطقهم، هذه الفرصه التى تعدّ ذهبيةً أحياناً لم تتوافر للعراقيين المضطهدين فى مناطق الوسط والجنوب، ومع أن هذه الظاهره حجّمت تحركهم داخل المناطق الجبلية، إلا أنها كلفتهم تضحيات هائله، مما دفعهم لفتح قنوات للتحرك السياسى باتجاه البعد الدولى فضلاً عن البعد الإقليمى، فكلما سنحت الفرصه استغلها القاده الكرد، ففتحوا آفاقاً سياسيه متعدده، سعياً منهم لتقويه وضعهم الذاتى فى مواجهه الدكتاتوريه والتسلط العنصرى والطائفى لحكّام بغداد، واستمر الأمر بين المد والجزر حتى تم تنويع المسيره الكفاحيه الطويله بالحصول على اتفاقه آذار ١٩٧٠م، إلا أن هذه الاتفاقية كذلك وضعت تحت رحمة الدكتاتوريه ومظله المصالح الدوليه معاً. وبالفعل عاش الأكراد تجاذبات سياسيه شديده إثر تناقض المصالح الدوليه

ص: ١٥٩

١- (١) راجع محاضر لجنة العمل المشترك لقوى المعارضه العراقيه بدمشق، فى تسعينيات القرن الماضى، وقد قال مثل هذا الكلام الأخ فخرى كريم، السياسى المعروف وكان ممثلاً عن الحزب الشيوعى العراقى فى بعض الاجتماعات، قال ذلك بحضور ممثلين عن الحركات الإسلاميه والوطنيه والكرديه، وممثل عن حزب البعث - قياده قطر العراق - أيضاً.

والإقليميه، كلفتهم ضرائب كبيره، من دمائه سخيه وتضحيات كبيره.

إن حركتهم السياسيه والعسكريه كانت تتناغم مع حركه الشيعه في الوسط والجنوب بشكلٍ معين في المنطلقات والمطالب، ولكن بفارق مهم وهو أن القضييه الكرديه أصبح لها بُعداً إقليمياً ودولياً، بينما حركه الشيعه امتازت بالقياده العلمائيه والحركيه الميدانيه وبالعمق الشعبى الكبير الملتف حول هذه القياده المستقله عن البعدين المذكورين.

ومع هذا الفارق المهم، تحدّد خيار التلاقى ما بين الحركات الكرديه والحركات الشيعيه ضمن حاله المعارضه الوطنيه والحركه السياسيه منطلقه من المسأله الجوهريه لهما، والتي غدت تشكل أساساً لانطلاقتهما وهى مسأله المظالم الإنسانيه الصادره بحقهما من مصدر مشترك وهو النظام الجائر.

فلذلك نقرأ للشيعه اليوم تاريخاً حركياً وجهادياً طويلاً منذ أواخر العهد العثماني، كما نقرأ للأكراد أيضاً، في تلك المراحل، وقد ظهرت أسماء لامعه في التاريخ الكردي الحديث، وكان من أبرزها الشيخ محمود البرزنجي، الملقب بالشيخ الحفيد، فقد قاد الحركه الاستقلاليه آنذاك، وهو من العوائل الدينيه المعروفه في السليمانيه، وقد قتل والده الشيخ سعيد وأخوه الشيخ أحمد، في حادثٍ مدبر في مدينه الموصل، في كانون الأول ١٩٠٨م، حيث أبعثت الأسره إليها من قبل السلطه العثمانيه، وقد أُشيع في وقتها بأن الحادث كان بسبب تحريض جمعيه الاتحاد والترقي في الآستانه. فرجع الشيخ الحفيد لواء الحركه الاستقلاليه للتخلص من حكم الأتراك، وإقامه دوله كرديه مستقله، وبالفعل توسّع أمره داخل شعبه، وبدأ بآتصالات سياسيه مع روسيا القيصريه وبريطانيا، وأعرض إمكانيه مشاركته عسكرياً ضد الدوله العثمانيه مقابل نيل الاستقلال، وأن يكون زعيماً للدوله الكرديه، وكان للقرب الجغرافي من روسيا أثره في

توطيد العلاقة معها أكثر. ولكن هذه المحاولة لم ترق إلى مستوى الاتفاق التنفيذي، إلا أن الرجل دخل اسمه في دائره الضوء لدى روسيا وبريطانيا، باعتباره زعيماً محلياً طموحاً. ويظهر لنا أن القناعه بصدق عرضه في توظيف إمكاناته العسكريه ضد الدوله العثمانيه، والقناعه بقدرته في سحب الشارع الكردي المسلم إلى محاربه الدوله العثمانيه، لم تبلغا الدرجه المطلوبه لدى الروس والإنكليز، وبالفعل لقد عبر الأكراد عن موقفهم المبدئي انطلاقاً من الإسلام وحب الوطن فاشتركوا عملياً بقياده الشيخ الحفيد في الحرب العالميه الأولى ضد الجيش الروسي الغازي، كما واشتركوا ميدانياً إلى جانب المجاهدين العرب في جنوب العراق ضد المحتلين الأجانب، استجابته لنداء الجهاد الذي أطلقه علماء كربلاء والنجف والكاظميه - سنسلط الضوء على هذه المشاركه في حينها-.

وبعد انتهاء الحرب تحرك الأكراد باتجاه العمل السياسي لنيل حقوقهم القوميه، وبالفعل استغلوا مؤتمر الصلح في باريس، فرفعوا مذكرة إلى مجلس الحلفاء في ٢٢/آب/١٩١٩م، منطلقين من مبدأ حق تقرير المصير للشعوب، الذي نادى به الرئيس الأمريكي (ويلسن) في مؤتمر (سيفر)، يطالبون فيها بحقوقهم في إقامة دوله قوميه لهم في كردستان، الممتده شرقي الفرات وجنوب غرب تركيا وشمالى الحدود التركيّه المتاخمه لسوريّه والعراق. ويرى المحللون أنها تقع ضمن تركيا الحاليه. وفي حاله حصول الاستقلال يلتحق أكراد العراق بها إن رغبوا في ذلك. إلا أن تركيا رفضت تلك المطالب بل المعاهده برمتها، في الوقت الذي دخل العراق تحت الانتداب البريطاني في نيسان ١٩٢٤م حسب اتفقيه (سايكس بيكو) السريه المعقوده بين بريطانيا وفرنسا وروسيا أثناء الحرب، مما جمّد معاهده (سيفر) وأصبحت جبراً على ورق.

هذا وقد آتخذت بريطانيا القضيه الكرديه ورقه ضغط ضد الكيانات السياسيّه التي تشكلت في المنطقه أعقاب الحرب العالميه، وعلى حكومه بغداد بالذات لتمرير

سياستها (١). خصوصاً عندما آصطدم المشروع البريطاني الرامى إلى فصل المناطق الكرديه عن بغداد بصعوبات غير متوقعه حيث «شعر [المنذوب السامى البريطانى، السير برسى كوكس] أن هذا الفصل معناه فصل متوجات كردستان عن أسواقها الطبيعيه، الأمر الذى يؤدى إلى الإضرار المباشر بالأكراد أنفسهم، وفي الوقت نفسه لاحظ أن كردستان العراقيه تكاد تكون منفصله تمام الانفصال عن بقية المناطق الكرديه الواقعه فى تركيا وإيران، حيث آندمجت حياه الأكراد الاقصاديه والاجتماعيه بحياه العرب الاقصاديه والاجتماعيه» (٢). وبالفعل تراجعت بريطانيا عن قرارها (٣). وعليه «تمّ حسم موضوع الدوله القوميه الكرديه التى وعدت بها معاهده (سيفر).. وبذلك ألغت معاهده (لوزان) الموقعه فى ٢٤ تموز ١٩٢٣ معاهده (سيفر) ولم يعد لمشروع الدوله الكرديه أى وجود» (٤). وفي الحقيقه تحوّل المشروع إلى إشاره اعتراف بخصوصيه الأكراد القوميه فى مناطقهم، وحقهم الإدارى، وذلك فى بيان بريطانى - عراقى مشترك، يقول الأستاذ صلاح الخرسان فى هذا الصدد: «وكانت تلك أول إشاره وردت حول ما أصبح يعرف لاحقاً بنظام (الحكم الذاتى) وإن لم تسمّه بعد» (٥).

وقد برزت أسره البارزانى بزعامه الشيخ عبد السلام، الأخ الأ-كبر للملاّ-مصطفى البارزانى، الذى أُعدم فى الموصل فى ١٩١٤/١١/١م، بعد فشل ثورته ضد العثمانيين. والمعروف عن هذه الأسره إنها تتبع الطريقه النقشبنديه السائده فى كردستان، وكان

ص: ١٦٢

-
- ١- (١) راجع، الطالبانى، جلال: حول القضيه الكرديه فى العراق، دار أبحاث للثقافه والنشر، بيروت ١٩٩٦م، ص ١٧ ومابعدها.
 - ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، ط ٧، بغداد ١٩٨٨م، ج ١، ص ٢٨٠.
 - ٣- (٣) المرجع ذاته، ص ٣٤-٣٥. وكذلك ص ٤٥-٥٥.
 - ٤- (٤) الخرسان، صلاح: التيارات السياسيه فى كردستان العراق، قراءه فى ملفات الحركات والأ-حزاب الكرديه فى العراق، ص ٢٥.
 - ٥- (٥) المرجع ذاته، ص ٢٦.

بروزها في مسائل النهضة القومية والحركة السياسية والتحالفات العشائرية واضحاً، حيث آنتهت الزعامه الروحيه والسياسيه إلى القائد الملا مصطفى البارزاني، وبالفعل اجتمعت تحت رايته العشائر الكرديه، وخاض معها حركته السياسيه ومواجهته العسكريه ضد السلطات الحكوميه منذ مطلع الثلاثينيات من القرن الماضي، وقد استطاع عبر الكفاح الطويل أن يحقق مطالب شعبه في الحكم الذاتي لكرديستان، وذلك في بيان ١١ آذار ١٩٧٠ (١). وبعد هذه المرحله دخلت القضيه الكرديه في معترك الصراع السياسى والتجاذبات الإقليميه، وسجلت في تلك الحقبه الزمنيه مؤامرات ودسائس ضد القضيه وزعيمها القومى بالذات، ولكن ورقه القضيه كانت بيد شاه إيران، الذى خنق القضيه الكرديه في اتفقيه الجزائر الشهيره عام ١٩٧٥م. وبعدها آنبثق الاتحاد الوطنى الكرديستانى بقياده السياسى المعروف جلال الطالبانى في ١٩٧٥م بدمشق (٢).

المسلمون التركمان

وهم يشكلون القوميه الرئيسيه الثالثه في العراق بعد العرب والأكراد من حيث الكثافه السكانيه، فعدد نفوسهم يتجاوز المليونين نسمة حالياً (٣)، وإنهم سكنوا العراق

ص: ١٦٣

- ١- (١) راجع الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه ج ٦، ص ٢٩٠-٢٩٢ و ص ٣٠١. وكذلك ج ٧، ص ١٧٥.
- ٢- (٢) مؤتمر الذكرى التسعين لميلاد البارزاني الخالد، في صلاح الدين ١٤-١٧/٩/١٩٩٣م، إعداد وإشراف: ممتاز الجبورى ونجاد عزيز سومرى. وللمزيد من الاطلاع حول (الاتحاد الوطنى الكرديستانى) منذ التأسيس راجع الخرسان، صلاح: التيارات السياسيه في كردستان العراق، مرجع سابق، الباب الثالث ص ٣١١ وما بعدها.
- ٣- (٣) عدد سكان العراق حسب إحصاء عام ١٩٥٧م بلغ ٦٣٤٠ و ٠٠٠ و ٦٣٤٠ نسمة، وعدد نفوس التركمان ٦٠٠ و ٠٠٠ و ٦٠٠ نسمة، أى بنسبه ٩٤ و ٨٪ من مجموع سكان العراق. يذكر ذلك الأستاذ حسن أوزمن، ويقول: «إننا نرى اليوم بأن عدد نفوس التركمان في العراق هو ٢٥٠ و ٠٠٠ و ٢٥٠ نسمة، أى بنسبه ١٣٪ من مجموع سكان العراق». أوزمن، حسن: التركمان في العراق وحقوق الإنسان، أنقره ٢٠٠٢م، ص ٧-٨.

منذ أكثر من ألف عام، وهم جزءٌ لا يتجزأ من شعب العراق، «تشهد لهم بذلك الوقائع التاريخيه، وحقائق الحياه اليوميه، والاندماج الاجتماعي، حيث تمازجت الدماء واختلطت الأنساب وتداخلت الأسر..» (١).

وبالفعل يحفظ لنا تاريخ العراق صفحات مشرقه عن أدوارهم الثقافيه والحركيه والسياسيه، خصوصاً من قبل الشيعه التركمان.

أصل التسميه

يتفق المؤرخون على أن التركمان فرع من الترك، ولكنهم يختلفون في سبب التسميه، والأقرب إلى الصواب هو أن أصل التسميه «يرجع إلى أنه كل من أسلم من أتراك القسم الغربى من الإمبراطوريه كان يقال له صار (ترجماناً) لكونه أصبح يجيد لغه المسلمين (العربيه) ويقوم بالترجمه بين المسلمين الفاتحين وبين بقية الأتراك، حتى صار ذلك علماً لهم، أى لمن أسلم منهم، ثم قيل بالتحريف والتخفيف (تركمان).. وهناك سبب آخر للتسميه لا يتعد كثيراً عن سبب التسميه الأول وهو أن كلمه التركمان مركبه من كلمتين هما (ترك) و(إيمان) أى الأتراك الذين أسلموا وآمنوا تمييزاً لهم عن الأتراك الوثنيين الذين بقوا على وثنتهم (إلى مرحله متأخره)، ومن ثم قيل: بالدمج فأصبح تركماناً» (٢).

أما من الناحيه الدينيه، فالتركمان فى العراق هم مسلمون قاطبه موزعون على المذهبين الرئيسيين بالتساوى تقريباً ٥٠٪ شيعه إماميه، و ٥٠٪ سنه حنفيه وشافعيه،

ص: ١٦٤

١- (١) البياتى، عباس: تقديمه لكتاب الشهداء التركمان، ص ١٦.

٢- (٢) الشهداء التركمان، صفحات من التاريخ السياسى المعاصر لتركمان العراق، ١٩٧٩-١٩٩١م، دائره حفظ وتوثيق تراث الشهداء (٧)، الاتحاد الإسلامى لتركمان العراق، دار الدليل للصحافه والنشر، (١٩٩٩م، ١٤٢٠هـ-)، ص ٣٥. للمزيد من الاطلاع راجع كتاب: التركمان فى العراق لأرشد الهرمزي، وكذلك كتاب موجز تاريخ التركمان فى العراق، لشاكر صابر ضابط. مطبعه المعارف بغداد عام ١٩٦٠م. وكذلك كتاب: قضيه التركمان فى العراق لعباس البياتى، دار الدليل ١٩٩١م.

وأن المسلمين الشيعة مرتبطون عقدياً وحرماً بالغالبية الشيعية العربية في الوسط والجنوب، ولهم علاقاتهم الطبيعية مع اخوانهم السنه التركمان من الناحية القومية والأسرية والنسبية» (١). وتشكل مناطقهم فاصلاً بشرياً وجغرافياً بين المنطقه الكرديه في الشمال والمنطقه العربية في الوسط والجنوب، وتعتبر منطقتهم داخله من حيث الجغرافيه والمناخ ضمن المنطقه الشماليه، وهم يتواجدون بكثافه في منطقته تسعين. الضاحيه الجنوبيه لمدينه كركوك، وفي قضاء تلعفر، وطوز خورماتو، وآلتون كوبرى، والبشير وكفرى ومندلى وغيرها. وبذلك يمتدون جغرافياً وبشرياً على خط منحنى، يبدأ من أطراف الموصل في الشمال حيث قضاء تلعفر على الحدود السوريه حتى الوسط عند سلسله جبال حميرين ومنصوريه الجبل وينتهى عند مدينه مندلى قرب الحدود الإيرانيه، مروراً بكر كوك وسائر المدن والمناطق الممتده على الخط المنحنى (٢).

الأصالة الإسلامية والدور الوطني الحديث للتركمان

«إن التركمان العراقيين ينتمون من حيث السلالة العرقية إلى المجموعه التي فيها الأ-تراك، ويرجع أصلهم إلى آسيا الوسطى، والتي كانت تعرف سابقاً بتركستان (اليوم جزء منها يخضع لسيطره الصين، والجزء الآخر تشكل منه الجمهوريات الإسلاميه التي استقلت حديثاً -تركمانستان، وقرغيزستان، واوزبكستان، وطاجيكستان، وداغستان.. الخ) حيث كانت لهم - للتركمان - إمبراطوريه تمتد من منغوليا إلى شمال إيران، وفي عام ٧٠٥م، وصلت جيوش الفتح الإسلامى إلى تلك البلاد.. ومنذ ذلك الحين أخذوا يفدون بكثره إلى الشرق الإسلامى حيث لم تنقطع سلسله هجراتهم» (٣).

ص: ١٦٥

- ١- (١) أوزمن، حسن: التركمان في العراق، ص ١٦.
- ٢- (٢) الشهداء التركمان، المرجع السابق، ص ٣٦.
- ٣- (٣) الشهداء التركمان، المرجع ذاته، ص ٣٥.

إن التركمان - عموماً - يتميّزون بالألفه الاجتماعيه والانسجام الخلقى مع المحيط الإنساني، فمنذ بدايات الفجر الإسلامى الذى أشرق على وادى الرافدين قبل أكثر من ثلاثه عشر قرناً، سكنوا الأمصار والثغور لحماية الخلفه الإسلاميه، وذلك لما يتميزون منذ القدم بروح الشجاعه فى القتال خصوصاً فى المناطق الوعره، لذلك تميّت الاستعانه بهم فى حمايه الثغور فى العهود الإسلاميه، كما ساهموا مع بقيه المسلمين فى النشاطات الثقافيه والجهاديه انطلاقاً من إيمانهم بالإسلام. وهكذا عندما انقسمت المنطقه إلى عدّه دول ساهموا فى بناء العراق فكرياً وعملياً، ووقفوا يدافعون عن العراق انطلاقاً من إيمانهم الوطنى ومبادئ حقوق الإنسان. وبالفعل كانوا منسجمين مع متطلبات الحاله الإسلاميه فى مراحلها المتعدده، ومع مسؤوليات المواطنه وواجب الدفاع عن الوطن إلى جانب أبنائه المخلصين، فالتركمان مسلمون من الناحيه الدينيه وعراقيون من الناحيه الوطنيه، وبالفعل كان دورهم منسجماً مع النسيج الوطنى فى العراق، فقد سجّل التاريخ لهم مواقف مبدئيه ووطنيه، سياسيه وجهاديه ضد المحتلين للبلاد. «فبعد انهيار الخلفه العثمانيه واحتلال الإنكليز للعراق وإخضاعه لانتدابهم الاستعماري، كان للتركمان مساهمه فاعله فى التصدى للغزو الأجنبي وهكذا قدموا شهداء برره وخير مثال على المشاركه التركمانيه ثوره تلعفر المشهوره ضد الإنكليز، وهكذا كان للتركمان شهداء إلى جانب سائر أبناء العراق فى الدفاع عن وطنهم ورد الاعتداء عنه وسقط منهم ضحايا كثيره، وهم يؤدون واجبه الوطنى هذه المره، باعتبارهم باتوا جزءاً من رعايا دوله جديده حددت حدودها الأطر الاستعماريه البريطانيه بعدما كانوا يقومون بواجبه الإسلامى فى عهود الخلفه الإسلاميه» (١).

إن هذه الأصاله واضحه ضمن التركيبه الإسلاميه التى انصهرت فيها القوميات المتعدده فى الإطار الإسلامى العام، مع الاحتفاظ بالخصوصيه الثقافيه فى اللغه والتقاليد

ص: ١٦٦

العرفيه والعادات الاجتماعيه التي لا تتعارض مع الشريعه الإسلاميه، وهذا الوعي المتقدم لكل قومه يمنحها عزهً وفخراً في حياتها ويورث أبناءها رصيلاً كبيراً من الكرامه والأصله، فلا داعي لنش القبور وكشف النوايا لتركيب تاريخ خاص بالترکمان، وهذه المحاوله ستؤدى إلى خدش الصفاء النفسى للمؤمنين بالإسلام، هذا الدين الذى يقلد أبناءه وسام الشرف، بمختلف قومياتهم وألوانهم. وانطلاقاً من هذا الوعي الإسلامى المتميز، وإلى جانب ما ذكرناه من الحاله النفسيه الانسجاميه عموماً للأقلية التركمانيه «تأخرت المعارضه التركمانيه فى التبلور والتشكّل والظهور على السطح السياسى فى العراق تحت عنوان حزب أو حركه سياسيه خاصه بالترکمان حتى نهايات السبعينيات [من القرن الماضى]. ولم يُعرف عن التركمان بشكلٍ عام معارضتهم للأنظمه الحاكمه فى بغداد كما هو معروف عن الأكراد فى الشمال والشيعة العرب فى الوسط والجنوب، وأن عدم وجود معارضه تركمانيه فى مراحل تاريخيه سابقه لا يعنى عدم وجود معارضين تركمان سلكوا طرقاً مختلفه فى التعبير عن معارضتهم لسياسات الأنظمه التمييزيه الطائفيه والعنصريه، وتأكيد رغبتهم فى إحداث التغيير السياسى فى العراق وتحملوا ضريبه ذلك عملاً وجهاً وعرقاً ودماً» (١).

الشيعة التركمان، ظلامه مزدوجه

«إن التركمان هم الوسط القومى الوحيد الذى تعرض إلى اضطهاد مزدوج طائفى - قومى، حيث أن العرب الشيعة فى الوسط والجنوب تعرضوا إلى الاضطهاد الطائفى البغيض، وأن الأكراد فى الشمال كان نصيبهم التمييز القومى العنصرى، ولكن التركمان ذبحوا على طريقه (المنشار) الذى يقطع ذهاباً وإياباً..» (٢). كان ذلك واضحاً من قبل البعثيين أيام حكمهم ومما يذكره المقرر الخاص السيد (ماكس فان دير شتويل) حول التركمان الشيعة فى فقره

ص: ١٦٧

١- (١) الشهداء التركمان، المرجع ذاته، ص ٦١.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٦٠.

من تقريره: «ثمه تدابير قمع أشد جسامه تمس أقلية التركمان المنتمين إلى طائفه الشيعة أيضاً»، ويعقب الأستاذ حسن أوزمن على هذا الكلام في هامش الصفحه بقوله: «يظهر غضب وانتقام النظام الحاكم من الشيعة في بعض الوثائق الرسميه، حيث يتهم الشخص بكونه تركمانياً، وكذلك شيعياً، فإن كنت تركمانياً فتلك مصيبه، وإن كنت شيعياً تركمانياً فالمصيبه أعظم» (١).

وعلى ضوء ما تقدم، تتحدد الاتجاهات السياسيه حالياً في الساحة التركمانيه في محورين أساسيين هما: «الاتجاه الإسلامى الشيعى، والاتجاه القومى العلمانى» (٢). وكانت بدايه تشكيل الحركه الإسلاميه الشيعيه في ستينيات القرن الماضى في منطقه تسعين في كركوك، «ومن هنا تعتبر الحركه الإسلاميه أقدم وجود سياسى في وسط التركمان، والتي استقطبت أكبر عدد ممكن من المعارضين التركمان، واستوعبت طاقاتهم» (٣). ومما لاشك فيه أن «الإسلام محور الهويه التركمانيه، والتي من دونه لا يمكن الحديث عن هويه تركمانيه أو جذور تاريخيه لهذه الشريحه في العراق والمنطقه» (٤). ولعل سائل يسأل عن المعارضه السنيه التركمانيه؟ وفي الحقيقه إن المشهد الذى مرّ علينا عن السنه العرب يتكرر بذاته عند السنه التركمان، وبالسبب الرئيس ذاته، الذى «يعود إلى استيعاب التركمان طائفيّاً - وهى القاعده التي تأسست عليها الدوله العراقيه - حيث إنّ السنه منهم تمّ احتسابهم إلى جانب الأنظمه والحكومات وأدمجوا في مؤسساتها وإداراتها، واما الشيعة التركمان فتعرضوا إلى الاضطهاد والقمع والتهميش في الدور، مع عموم شيعه العراق، وجرى عليهم في الشمال كما

ص: ١٦٨

١- (١) أوزمن، حسن: التركمان في العراق، ص ١٧٩.

٢- (٢) راجع النشره الموجزه الصادر عن الاتحاد الإسلامى لتركمان العراق، نسخه منها موجوده في مكتبه المرجع الروحاني، في بلده السيده زينب بدمشق.

٣- (٣) الشهداء التركمان، المرجع ذاته، ص ٦٢.

٤- (٤) الشهداء التركمان، المرجع ذاته، ص ٦٧.

جرى على أبناء الوسط والجنوب، وعلى هذا الأساس تم التعامل مع التركمان من حيث الموالاه أو المعارضه للأئظمه.. [ومع ذلك] يمكن القول: إن التركمان الشيعة والسنة.. كانوا يتمردون على هذه القاعده الطائفية ويعملون من أجل تأسيس وضع سياسى تركمانى مستقل يقوم على التحصن بالشعور القومى، والمطالبه ببعض الحقوق، وقد جوبهت تلك المحاولات بقسوه شديده من قبل الأئظمه الحاكمه، لتموت عند ولادتها، وإحياء الأسلوب الطائفي فى التعامل مع التركمان، وهكذا كان ينفرد العقد السياسى التركمانى المتشكل من الشيعة والسنة باستمرار.. من هنا أصبحت معارضه السنه التركمان استثنائيه - ذات طابع قومى -...ومعارضه التركمان الشيعة متواصله وإسلاميه ومندمجه مع التيار الإسلامى العام فى العراق وعليه لا يمكن الحديث بشكل منفصل أو مستقل عن وجود معارضه تركمانيه سياسيه صاحبه قضيه وتملك مشروعاً وتحمل هويه خاصه قبل عقدين أو أكثر..» (١).

ص: ١٦٩

١- (١) الشهداء التركمان، ص ٦٣-٦٤. لقد أُسس (الاتحاد الإسلامى لتركمان العراق) فى آذار ١٩٩١م بدمشق، من قبل بعض الكوادر الإسلاميه العراقيه، ممن كان لهم تاريخ جهادى طويل فى صفوف حزب الدعوه الإسلاميه، كما وأسس القوميون التركمان (الحزب الوطنى التركمانى فى العراق) وذلك فى تشرين الأول ١٩٩٠م فى أنقره بتركيا. وكان أول ظهور سياسى للاتحاد الإسلامى وللحزب الوطنى، فى مؤتمر بيروت فى آذار ١٩٩١م، حيث شارك ممثلون عنهما فى المؤتمر إلى جانب قوى المعارضه العراقيه، «ومن هناك انطلقت صفاره البدء، وسمع الآخرون لأول مره الصوت التركمانى المزدوج، واعلنت المعارضه التركمانيه عن نفسها، وبدأت بالانفتاح على غيرها من قوى الشعب العراقى». راجع عن الشهداء التركمان ص ٦٥. ويذكر الأستاذ حسن أوزمن عن بدايات تأسيس (الحزب الوطنى التركمانى فى العراق) وذلك فى ١٩٥٩م حيث تشكلت أول جمعيه ثقافيه اجتماعيه لتركمان العراق من قبل بعض الطلبة والدارسين التركمان فى جامعات تركيا، وقد أطلق عليها اسم (جمعيه أتراك العراق للثقافه والتعاون)، ورافقتها نشاطات سياسيه أيضاً حتى عام ١٩٨٨م، حيث تم تأسيس (الحزب الوطنى التركمانى العراقى). وهناك (نادى الإخاء التركمانى) الذى أُسس فى ١٩٦٠ للنشاط الفكرى فقط، وقد أصدر مجله (الإخاء) فى ١٩٦١م، وبعد توسع النشاطات تم إلقاء القبض على أعضائه من قبل البعثيين فى ١٩٧٩م وتم

ومن الاقليات الدينيه فى العراق النصارى، أتباع الدين المسيحى وهم منتشرون فى العاصمه بغداد وغيرها، بمختلف طوائفهم ويقيمون شعائرهم الدينيه ويحتفلون فى أعيادهم ومناسباتهم، ولهم كنائسهم ونشاطاتهم الثقافيه الخاصه.

وهناك الايزديون وهم أقلية تتواجد فى كردستان العراق، خصوصاً فى سنجار والشيخان ودهوك وزاخو، يتكلمون اللغه الكردية، ولهم امتدادات فى تركيا وسوريا وروسيا، وعدد نفوسهم بالآلاف، ودينهم «كمنهج ثنائى الاعتقاد، الخير والشر من الله، والشر هو إظهار الرغبه الحره الصادره من الله، ويعتقدون بتناسخ الأرواح، ويعبدون النار والضياء..» (١).

يختلف الباحثون عن سبب التسميه، ويبدو أنه قد يعود السبب إلى مؤسس ديانتهم (يزيد بن عنيزه) الذى يمثله الشيخ عدى بن مسافر. وقد يعود إلى عشيرتهم الأصلية (آزيدى) ثم حُرّف الاسم. وهم يتكلمون فى عبادتهم وكتابهم (الجلوه).

ويقال إنهم يعتقدون بيزيد بن معاويه لأن الشيخ عدى بن مسافر ينتهى نسبه إليه، ومما يذكر فى سيرته أنه تعرف على الشيخ عبد القادر الكيلانى وتأثر به كثيراً، وقد مات عن عمر يناهز التسعين وهو أعزب، فخلفه ابن أخيه صخر بن صخر بن مسافر المعروف باسم (أبو البركات)، ومن ثم ولده عدى بن صخر (أبو المفخر) المشهور

ص: ١٧٠

١- (١) مينورسكى، ف.ف: الأكراد ملاحظات وانطباعات، مرجع سابق، ص ٧٧.

«وهم أكراد في نطقهم، ربما في أصلهم أيضاً.. من عبده الشيطان الذي يسمونه (ملك طاووس)، لكن أصح وصف لهم أنهم ثنائيون، والثنايه في اللاهوت هي العقيدة بوجود إلهين مستقلين في الكون أحدهما للخير والآخر للشر).. ويمارسون.. طقوساً دينيه يمكن تتبعها وإرجاعها إلى عبادات الآشوريين.. مزارهم الكبير.. في الشيخ عدى الواقع في شمال الموصل» (٢).

ص: ١٧١

١- (١) أسود، العميد عبد الرزاق: المدخل إلى دراسه الأديان والمذاهب، الدار العربيه للموسوعات، مج ٣، ص ٢٦١-٢٩١.
٢- (٢) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمه جعفر الخياط، بيروت ١٩٦٣م، ص ١٥٧. ويذكر الكاتب الروسي ف.ف. مينورسكى: إنه في سنه ١٨٩٥م، استطاع أحد المبشرين الإنكليز أو. باري أن ينشر النص العربي الذي اكتشفه، وقد تضمن كتابين هما: (الجلوه) و(مصحف ره ش) أي الكتاب الأسود. حيث كان محفوظاً بعنايه في صندوق في أقبية دير في شمال سنجار. وقد استطاع (أنتاس باري) أن يستنسخ نسخه طبق الأصل من المحفوظه بشكلٍ سرى، وذلك بوضع ورقه شفافه على صفحه المخطوط ويرسم الحروف، ويذكر صعوبه العمل حيث استغرق مده سنتين، راجع مينورسكى: الأ-كراد ملاحظات وانطباعات، مرجع سابق، ص ٧٧، بالهامش.

الفصل الثالث : نمو الوعي الإسلامي في العراق ١٩٠٨-١٩١٤

اشاره

ص: ١٧٣

إشاره

ثمت عوامل عديده تفاعلت فى الساحة الإسلاميه على المستوى المحلى داخل العراق، وعلى المستوى الإسلامى العام، تركت آثارها على الساحة العراقيه بشكل معين. فتفاعلت هذه العوامل والأسباب فيما بينها، وأفرزت عده تيارات فكرية - سياسيه شقت طريقها داخل المجتمع العراقى، وبالنتيجه توزعت اهتماماته وانتماءاته نحوها فى تلك المرحله. ومن خلال استقراء الأوضاع - آنذاك - كانت أطروحه الإسلاميين الإصلاحية تقع فى موقع الصدارة، من بين التوجهات الثقافيه والتيارات السياسيه الأخرى، حيث برزت آثارها بشكل واضح، فى تلبيتها لمتطلبات المرحله وذلك على ضوء المعطيات الملموسه. وقبل الحديث عن الأطروحه الإصلاحية ورموزها وخطوطها الفكرية، ينبغى لنا أن نقف على أهم العوامل التى أدت إلى بروزها، وذلك بعد تبيان عاجل لأهم التيارات الأخرى التى انعكست آثارها فى الساحة العراقيه.

لقد واجه الإسلاميون ظروفًا عسيره بعد قيام ثوره الدستور عام ١٩٠٨م، حيث أخذ نفوذ العلماء ينحسر عن الساحة انحساراً واضحاً، وذلك لتوجه الاتحاديين نحو توطيد مركزيه السلطه عبر إضعاف السلطات الدينيه والاجتماعيه، فانكشفت هيبه التجربه الإسلاميه المتمثله فى دوله الخلفه العثمانيه، ومن ثم تزعزت ثقه الناس بها،

فظهرت فراغات واضحة في البناء الإسلامي لديهم. ومعنى ذلك، أن هذه الفراغات وفرت فرصاً متعددة، واستعدادات داخلية لتقبل دعوات وصيغ جديدة، لها بريقها وشعاراتها الهادفة، وقد تحمل مبررات موضوعية لنهاجها الحديث. في وقت بلغ تكالب الدول الأجنبية على الدولة العثمانية أوجّه، فكرياً واقتصادياً وعسكرياً، وعليه ظهرت عده اتجاهات متباينه إثر هذه التطورات. منها المدرسة التسويغيّة - كما يسميها بعض الباحثين (١) - وكانت تدعو إلى الحفاظ على المظاهر الإسلامية على حالها، من دون المساس بالقضايا الجوهرية والتفصيلية للنظام والقائمين عليه، وقد اعتبرت - هذه المدرسة - الدولة هي السلطة الشرعية التي يجب الوقوف معها والدفاع عنها، كسبيل وحيد لمقاومة الخطر الاستعماري، واستمدت هذه المدرسة خلفيتها من آراء الماوردي والجويني وابن جماعة (٢) وقد تمثلت بطبقه من المفكرين والعلماء المرتبطين بالسلطات، وكذلك الذين يواجهون مشاكل الأمم والتحديات التي تواجهها بطريقة سطحية، تعالج ظواهر الأزمات من دون الغور إلى المعالجه الجذريه. وهكذا استمر هذا النهج الفكري في الأمم بتأييد كل حاكم قائم - على علاقته - لا باعتبارات شرعية، وإنما باعتبارات واقعية، فهو السلطان القائم وولي الأمر الفعلي. إلا أن الأحداث المتعاقبه أثبتت، بأن هذا الخط الفكري قد اصطدم بصخره الواقع، وتحول إلى الزوايا الهامشيه من أحداث الأمم. وقد انجلى ذلك بوضوح حينما فرض عليه تصديق النظريات التي لا تعتمد على الشريعة الإسلامية في الحكم كالقومية والاشتراكية فيما بعد. لذلك انحسر هذا الخط الفكري ضمن حلقة علماء الأنظمة، وفي العراق بلغ الوعي الإسلامي شوطاً متقدماً

ص: ١٧٦

-
- ١- (١) الموسوي، محسن: آفاق المستقبل في العالم الإسلامي. طبع بيروت دار المنهل، ط ٢، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ، ص ١٩٣.
 - ٢- (٢) الملاحظ على رواد هذا الخط الفكري انهم استغلوا كتب وأفكار أمثال هؤلاء العلماء لغرض دعم وتسويق أفكارهم التسويغية تلك، وربما لم يكن هذا التوجيه مقصوداً في الأصل.

ممكن، من خلاله معظم الناس من تمييز الطبقة السلطانية وتجاوزها. وإلى جانب هذا الاتجاه الفكري، كانت هناك أفكار تدعو إلى العلمنة والالتحاق الكامل بالركب الغربي، وبات دعواتها، منبهرين أمام التقدم العلمي والتقني للغرب، وأضحت هذه الدعوات العلمانية مكشوفه العداء للإسلام والمسلمين، ومدفوعه من قبل الصليبيه والصهيونيه، وكان دعواتها الأوائل من الاقليات الدينيه من اليهود والنصارى (١). ولا- نجد تفسيراً لالتحاق بعض المسلمين بهم إلا- نتيجة ضعف الرؤيه وسذاجه التفكير، أو للارتباط المصلحي. المهم إن أطروحه الاتجاه العلماني ما كانت وافيه الشروط، خاصه في العراق، ويذهب بعض الباحثين في تحليل ذلك، إلى الموقع الجغرافي للعراق، البعيد نسبياً عن المؤثرات الغربيه، ورداءه وسائل المواصلات، وبعده عن سواحل البحر المتوسط، وضعف النشاطات التبشيرييه العامه، وقله المدارس التبشيرييه الخاصه في عموم العراق، حيث كانت محصوره في المدن الرئيسييه هي بغداد والموصل والبصره (٢). وكذلك إلى ضعف التوجه لدى العراقيين - بشكل عام - نحو التعليم والدراسه الحديثه. فمثلاً- «كان التعليم العالي - الحديث في العراق يختلف كثيراً عنه في مصر وسوريا، فما بين عامي ١٨٧٢-١٩١٢م [١٢٩٠-١٣٣١هـ]-، كان مجموع عدد الطلبة العراقيين في استنبول يبلغ ١٥٤٠٠ فقط، منهم ١٢٠٠ تخرجوا كضباط في الجيش العثماني، وخلال الفتره نفسها كان عدد الطلاب العراقيين في الجامعه الأمريكيه في بيروت لا يتجاوز السبعين» (٣). ويذكر عبد الرزاق الهلالي في كتابه (تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني) معلومات وافيه عن عدد المدارس في العراق - آنذاك - فمثلاً: في ولايه بغداد، كان عدد

ص: ١٧٧

١- (١) الطائي، نجاح عطا: المرجع السابق، ص ١٠٠ وما بعدها.

٢- (٢) فياض، د. عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠، ص ٨٠. راجع: P.٢٢٢، ١٩٣٧، London W.Iraq.

٣- (٣) نظمي، وميض: الجذور السياسييه والفكريه الاجتماعيه للحركه القومييه العرييه (الاستقلاليه) في العراق، مرجع سابق، ص ٧٤.

المدارس الابتدائية فيها لا يزيد عن (٣٤) مدرسه، وفي سنه (١٩١٤م، ١٣٣٢هـ-) كان عدد مدارس البنات فيها لا يزيد عن أربع مدارس، وفي العراق كله لم يكن سوى (٢٠) مدرسه رشديه (ثانويه)، عدد طلابها جميعاً (٨٤٠) طالباً وذلك عام (١٨٩٩م، ١٣١٧هـ-)، أما المدارس الابتدائية في سنه ١٩٠٨م لم تكن تزيد عن (١٣٠).

أما في ولايه الموصل، فقد أصبح عدد المدارس (٣٠) مدرسه رسميه سنه (١٩١٤م، ١٣٣٢هـ-). وأما في ولايه البصره، ففي عام (١٩٠٥م، ١٣٢٣هـ-) بلغ عدد المدارس الابتدائية في لواء البصره (١٢) مدرسه، وفي لوائي العماره والناصرية (١٥) مدرسه ابتدائيه، أما المدارس الرشديه فكان عددها أربع مدارس في العام ذاته (١). ومن المفيد أن نذكر أن الصحف العراقيه كجريده (الرقيب) ومجله (لغه العرب) وغيرهما، «كانت تتحسس سوء الأوضاع وتعمل على نقدها بصوره موضوعيه في أكثر الأحيان» (٢)، فتشير إلى حالات التخلف والأميه، وقله الخدمات الصحيه والاجتماعيه في العراق، فمثلاً: نشرت (الرقيب) في عددها السابع من السنه الأولى، مقالاً عن (التربيه والتعليم) ورد فيه «أن من يعرف القراءه والكتابه.. لا يكون إلا بنسبه واحد في المائه على جهه المبالغه، وإلا فلعله بنسبه عدد من العشائر لا يكون واحداً من ألف..» (٣). وبالنتيجه، إن هذه الأسباب مجتمعه كانت معرقله لنمو التيار الثقافى الغربى في العراق. وبمعنى آخر إن أجواء التلقى والتأثير بالأفكار المتغربه كانت غير فاعله في الوسط العراقى «ففى تلك الحقبه، لم يشهد

ص: ١٧٨

- ١- (١) للتفاصيل، راجع: الهلالى، عبد الرزاق: تاريخ التعليم في العراق في العهد العثمانى، طبع بغداد ١٩٦١م، ص ١٥٣-١٨٤.
- ٢- (٢) فياض، د. عبد الله: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٨٥.
- ٣- (٣) جريده (الرقيب) البغداديه، العدد ٧، السنه الأولى، الصادر بتاريخ ١٨ / صفر ١٣٢٧هـ-، ١١ / مارس ١٩٠٩م.

العراق وجوداً مؤثراً وذا أهميه للاتجاه الثقافى المتغرب باستثناء بعض التعبيرات المحدوده التى مَّجَّدت الثقافه والحضاره الغربيتين، ودعت للأخذ بهما، كجمعيه (مساءى التقدم) التى أنشأها مسيحيون عراقيون عام ١٨٤٧م [١٢٩١هـ-] فضلاً عن روايات حذره عن حركه تدعو إلى (الاتحاد والترقى) وعن أفكار تدعو لاستقلال العرب» (١).

أما دعوه التغيير الجذرى والثوره ضد الواقع، فإنها بقيت فى إطار الطموح للحركيين الإسلاميين لأنها كانت تشكو من الضعف العام فى مقوماتها وأساليبها، ومن هنا يمكن القول أن البذور الأوليه لمدرسه التغيير الجذرى كانت بطيئه الاستقرار والنمو فى الوسط الاجتماعى، وذلك للظروف الذاتيه والموضوعيه غير المواتيه لانتعاشها ونموها - آنذاك-، «وقد شاء الله أن يكون تقدم الأمم وانحطاطها، بشروط طبيعيه كسروط تمدد الأشياء بالحراره، وانكماشها بالبروده وانجذابها وفقاً لقانون الجاذبيه، والكهربه وفقاً لقوانين الكهربه، وهكذا فإذا حصلت الأسباب حصلت المسببات» (٢).

إذن ساعدت تلك الظروف العدو الاستعمارى - بكل قواه - ليربص بالأمه الدوائر، لغرض السيطرة على المسلمين وبلادهم، خصوصاً بعد أن اخترق الدوله العثمانيه وزعزع كيانها إثر ثوره الاتحاديين عام ١٩٠٨م. وعليه أصبحت المقاومه المطلوبه من قبل المسلمين ضد قوى الاستعمار فى المنطقه، بحاجه إلى مراحل ترويضيه لتتم عمليه تنضيج الأ-جواء النفسيه لادائها بنجاح، وكذلك لقطف ثمارها بشكل يحفظ مصلحه الإسلام والمسلمين. فأسلوب المواجهه العنيفه تعدّ مبكره، وغير متكامله الخطوات - آنذاك - حتى أن بعض الباحثين وجّه نقداً من هذه الزاويه لحركه جمال

ص: ١٧٩

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم، مرجع سابق، ص ١١٦. راجع، لونكريك: أربعه قرون من تاريخ العراق الحديث، طبع بغداد ١٩٤١، ص ٣٣٨. مترجم -.

٢- (٢) أمين، أحمد: فجر الإسلام، الناشر مؤسسه الخانجى. بمصر تاريخ المقدمه سنه ١٩٥٢م، ص ١٣٩.

الدين الأفغانى الذى كان يدعو المسلمين لتحسين أنفسهم وأداء واجبهم المشروع، يقول أحمد أمين: «غير أن طريقه السيد جمال الدين كانت قويه عنيفه، إذ كان يريد الثورة على الملوك والأمراء من الداخل، وإشعال نار الشعوب ضد الخارج» (١).

وهنا لابد من التنويه، بأننا لا نؤيد هذا التقويم العام لحركة السيد جمال الدين فى الوقت الذى نعتبره رائداً متميزاً من رواد الحركة الإصلاحية فى الأمه.

سياده الحركة الإصلاحية فى الساحة الإسلامية

إن الدعوات العنيفة ما لقيت استجابته واضحة فى أوساط الأمه، وإنما كانت تحرك الأجواء نحو ضروره الإصلاح المتجزئ غالباً، والكللى أحياناً. لذلك سادت فى العالم الإسلامى حركة إصلاحية عامه فى كل من إيران ومصر وسوريه ولبنان وتركيا، وذلك منذ النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى أى القرن التاسع عشر الميلادى، وقد برز عدد من القاده الإصلاحيين الذين نشروا الأفكار التجديديه والإصلاحية فى الأمه. وكان ظهور هذا التوجه الإصلاحى النهضوى بعد فتره من الركود الفكرى فى الساحة الإسلامية، كرد فعل للغزو الاستعمارى للبلاد الإسلامية سياسياً واقتصادياً وفكرياً (٢). فإذن عاشت الحاله الإسلامية إرهابات متعدده نتيجة تأثيرات خارجيه وداخلية أظهرت هذه الأطروحه الإصلاحية على سطح الأحداث وفى مقدمه المعالجات، حيث كانت - كما يبدو - تعيش فرصتها الذهبيه المتناسبه مع الظروف المرحليه - آنذاك - وكان لآنعكاس الأوضاع السياسيه والثقافيه إثر التطورات السياسيه فى الدوله العثمانية، وإيران، الأثر الواضح فى إيجاد الخلفيه المناسبه للإصلاحيين الإسلاميين. وبالفعل «أن ظهور الحياه الدستوريه فى البلاد العثمانية ساهم فى

ص: ١٨٠

١- (١) المرجع ذاته، ص ١٤٠.

٢- (٢) المطهرى، مرتضى: الحركات الإسلامية فى القرن الأخير، ترجمه: صادق العبادى، دار الهادى - بيروت ط ١، (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، ص ١٩.

بروز اتجاه سياسى وفكرى نشيط فى البلاد العرييه، كانت له امتدادات وانعكاسات فى الوسط العراقى، فأضيف بذلك رقم إلى حركه الوعى السياسى» (١).

ومما يذكر فى هذا الصدد عند انتخاب النّواب عن مناطق العراق، بعد ثوره الدستور، لمجلس المبعوثين أو مجلس الأمه الذى افتتح فى ٢٣ ذى القعدة سنه ١٣٢٦هـ-، ١٧ كانون الأول سنه ١٩٠٨م، فى دورته الأولى، أنه قد «تحولت إرادته المجلس لخدمه الدوله وحدها، وبرزت أوضاع تستدعى النفه منه، وقيام الشعوب للمطالبه بحقوقها والمعارضه لسلوك الدوله. ومن جهه أخرى، إن الانتخابات لم تكن حره، وإنما عينت الحكومه من رأته موافقاً لرغبتها وملائماً لسياستها.. وبعد أمد وجيز صار يميل النّواب إلى التوظف وأن يحرزوا منصباً فى الدوله أكبر راتباً من النيايه، وبهذا أهملوا النيايه وتركوا النضال والجهاد فى سبيل الإصلاح، وزال أمل أنهم يكافحون للأمه وإنهاضها، فخابت الآمال فى الكثير منهم...» (٢).

يقول الشاعر معروف الرصافى (١٨٧٥-١٩٤٥م):

يا أهل بغداد متى ينجلى هذا العمى عنكم وهذا الفتور

قد أعلن الدستور لكنكم لم تظفروا منه ولا بالقشور

يقول من شاهد مبعوثكم سبحان من يبعث من فى القبور

«ذلك لأنه لم يرههم يتكلمون ويناضلون عن حقوق الأمه فى المجلس وإنما كانوا كما وصفهم لا ينبسون بنت شفّه، وكأنهم خشبٌ مسندة» (٣).

هذا نموذج واحد يكشف عمّا وصلت إليه إداره شؤون الأمه من فساد وتقهقر، وأما ما حملته ثوره الدستور من أهداف خفيه ضد الإسلام ودوله المسلمين تحت شعار

ص: ١٨١

١- (١) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر ج ٢، مرجع سابق، ص ١٣٣.

٢- (٢) العزاوى، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٦٧.

٣- (٣) المرجع ذاته، ص ١٧٣.

الحرية والتقدم فحديثه مؤلم (١) وللتوضيح نذكر بعض المظاهر الاجتماعية التي عانى منها الإسلاميون في سبيل الإصلاح، حيث ظهر الفساد الاجتماعي عبر مظاهر متعددة، كشيوع المراقص والملاهي في البلاد، لاستقطاب طاقه الشباب في هذا الاتجاه، في وقت أصبح الاستعمار متنمراً بكلّ قواه وأساليبه للانقضاض على دولة المسلمين وثوراتهم. يقول عباس العزاوي في شأن هذه الظواهر المفسده التي شاعت في بغداد، بأنها «أضرت بالآهليين من جهة فساد الأخلاق والوقائع المؤلمة وابتزاز ثروه الآهليين، فهاج في الناس السفه، وصاروا يأؤنها بانهمالك، وكان ما ينفقه المرء في ساعه لا يستطيع أن يربحه في أيام بل في شهر، فكثرت الأسواء وزادت الموبقات.. ومن ثمّ اقتنع الناس بأن الحرية ليست إلا مجموعته من السفاهات وارتكاب الموبقات وإفساح المجال للنفس أن تنال كل ما ترغّب من أهواء، فلا- دين يردع، ولا- سيطره عامه يُفزع إليها، ولا قوه قاهره تحول دون التوغل في هذه الأمور، فأكتسبت شكل مصيبه..» (٢).

يقول الشاعر معروف الرصافي في قصيدته تحت عنوان (بغداد بعد الدستور):

أرى بغداد تسبح في الملاهي وتعبث بالأوامر والنواهي

رمت حملانها الأرباق حتى تناطحت الكباش مع الشياه

أيا بغداد أن الأمر جدّ فخلى بعض هزلك في الملاهي

وفيك معاهد الدستور تُشقى بغفله غافل وبسهو ساهي (٣)

ص: ١٨٢

١- (١) لمعرفة المزيد من الصدمه المؤلمه التي أصابت المصلحين العراقيين إثر انكشاف نوايا الاتحاديين راجع، عزالدين يوسف: تطور الفكر الحديث في العراق. بغداد ١٩٧٦م، ص ٣٨-٤٥. تحت عنوان (الاتحاديون يقبلون ظهر المجن)، يقول الرصافي: قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به وسدوا على مَنْ حولهم منيع الرزقِ أترضى بأن يختص بالحكم معشرٌ وتصبح للباقيين حبراً على رِقِّ المرجع ذاته، ص ٤٤. نقلاً عن ديوان الرصافي، ص ٣١٩-٤٠٠.

٢- (٢) العزاوي، عباس: المرجع السابق، ص ١٧١.

٣- (٣) نشرت في جريده (الرقيب) البغداديه عدد ٥٦ في ٢٩/ رمضان/ ١٣٢٧هـ-.

إذن، ضمن هذه الأجواء المتدهوره كانت الطريق معبده للأطروحه الإصلاحية لمقاومه الفساد الإداري والثقافي والاجتماعي في الإدارة القائم وفي حاله الأممه. لذلك برز «عدد من المجتهدين وعلماء الدين في العراق، تحسسوا بالظروف الاجتماعيه والسياسيه التي يعيشونها فسعوا لإحداث تغيير اجتماعي وسياسي في الوسط الإسلامي لكي يتخلص من جموده ويواكب حركة السياسه العامه وتطوراتها لا سيما وأن الاتجاه الغربي بدأ يغزو البلاد الإسلاميه ومنها العراق..» (١). وبالفعل انطلقت دعوات تجديديه إصلاحيه متوازنه كانت تسعى إلى الاستفاده من التطور العلمى الحديث ضمن الأسس الإسلاميه. ومن الطبيعي أن تصطدم هذه الدعوات بالواقع التقليدي السائد في الأممه - آنذاك - ومع وجود هذه العقبه الكأداء، فقد شقت طريقها كاستجابه طبيعيه لانعكاس التطور العام للحياه العصريه، وهكذا أثرت الأجواء الإصلاحيه على عموم الطبقة المثقفه في الأممه، فساهمت بطريقه أو بأخرى في مجال الإصلاح، ومما يذكر - كمثال على ذلك - لقد «قدم المحامي رؤوف آل كتحدا في دوره الأولى للمجلس رساله في الإصلاحات وهي لائحته أرسلها إلى النواب تحوى ٥٢ ماده.. ثم ألحقها بمواد أخرى.. ضمها إلى لائحته الإصلاحات، فأكمل المواد فبلغت ٦٨ ماده.. فكانت خير وصيه إصلاحيه للقطر العراقي وللدوله» (٢).

إلا أن علماء الدين والمثقفين الإسلاميين - في حركتهم غير الرسميه - كانت لهم رياده الأطروحه الإصلاحيه في الساحة، فمنذ نهايه القرن التاسع عشر وبدايه القرن العشرين، أثر رواد الإصلاح في العالم الإسلامي على الساحة العراقيه، أمثال السيد جمال الدين الأفغانى (٣) (١٨٣٨-١٨٩٧م)، وخلفه الشيخ محمد عبده (١٨٤٩-

ص: ١٨٣

١- (١) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٣.

٢- (٢) العزاوى، عباس: المرجع السابق، ص ١٦٨.

٣- (٣) يصف العلامه الشهيد مطهرى، السيد جمال الدين بأنه (رجل الدين والثوره)، بينما يصف تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده بأنه (رجل الفكر والاعتدال). فكان يمتاز السيد جمال الدين

١٩٠٥م) ورشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥م) وعبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩-١٩٠٢م). وبالفعل استقبلت الساحه العراقيه تلك الدعوات الإصلاحيه والأفكار التجديديه، مع الأخذ بعين الاعتبار مسأله علاقه - بعضهم على الأقل - بالجهات الأجنبيه وبالماسونيه بالتحديد، وإن كانت ميرزه من قبل المؤيدين لحركتهم ونتائج أعمالهم الإصلاحيه (١). ومما يذكر أن السلطان عبد الحميد آخذ موقفاً واضحاً باتجاه الماسونيه، فبالرغم من

ص: ١٨٤

١- (١) الماسونيه، هي مجموعه أفكار ورجال يتحركون بخفاء ودقه وسريه بإداره بريطانيه، هدفها اختراق الأمم، والأفكار، تنادى بالشعارات البراقه الخادعه إلا أنها تخفي أهدافها الحقيقيه. بمكرٍ ودهاء. فتستولى على بعض العقول الساعيه للتطور والتجديد، لتلبس الأمور على الآخريين. والدليل على كونها برعايه بريطانيه، أنه «عندما أصدر البرلمان البريطاني عام ١٧٩٨ قراره بمنع الجمعيات السريه استثنى منها الجمعيه الماسونيه. وقد دخل في الماسونيه خمسه من ملوك بريطانيا هم: جورج الرابع، ووليم الرابع وإدوارد الثامن وجورج السادس». الوردى، على: لمحات اجتماعيه - مرجع سابق - ج ٣، الملحق الثاني: ما هي الماسونيه؟ ص ٣٤٢. بل كانت الماسونيه هي التي تخطط للسياسه البريطانيه فقد «ترأس عليها سبعة عشر أميراً من بيت الملك في أوقات مختلفه، وأن الملكة فكتوريا هي ابنه ماسونى، وأن أكثر أعضاء عائلتها ماسونيون» من كلمه ألقيت في العيد الخمسينى لجلوس الملكة فكتوريا على العرش في ١٣ / حزيران ١٨٨٧م. راجع الوردى: المرجع ذاته، ص ٣٤٣.

المجاملات الكبيره من قبل المحافل الماسونيه للسلطان لكنها ما أفلحت فى التأثير على موقفه، فقد أصدر فى (١٨٩٢م-١٣١٠هـ) أمراً بإغلاق محفل (فينيقه) فى بيروت (١).

ويذكر الأستاذ الوردى، إن أول كتاب صدر فى الشام ضد الماسونيه بقلم عالم دين شيعى هو الحاج عزالدين محمد بن على الشامى العاملى فى (١٨٧٢م، ١٢٨٩هـ-) وهو (كشف الظنون عن حال الفرمسون)، وقد دعم المؤلف رأيه بأدله عقليه ونقله لصدّ شباب الإسلام عن الدخول فى المحافل الماسونيه. وصدر كتاب (السر المصون فى شيعه الفرمسون) فى بيروت عام (١٩١١م، ١٣٢٩هـ-) بقلم الأيب لويس شيخو اليسوعى هاجم فيه الماسونيه ويّين وجهها التأمري الخفى. وبالرغم من أن المحافل الماسونيه سجلت تراجعاً شعبياً واضحاً أمام هذه الإرشادات الدينيه، ولكن مع ذلك أن حالتهم تغيّرت إلى العكس بعد الانقلاب عام (١٩٠٨م، ١٣٢٦هـ-) «فقد أخذ الماسونيون يرفعون رؤوسهم فخاراً زاعمين أنهم هم الذين قاموا بالانقلاب وأن الدوله أصبحت فى يدهم» (٢). ومع كل ذلك تركت الحركه الإصلاحيه برموزها المعروفه آثاراً واضحه فى الحياه الإسلاميه فى أكثر بلاد المسلمين كمصر والعراق وإيران والهند، فكان لتلك الأفكار التى نشرت فى جريده (العروه الوثقى) أثراً فعالاً فى حياه المسلمين، فدفعت بآتجاه إعاده تنظيم مناهج التربيه والتعليم على ضوء الشريعه الإسلاميه، مع الاستفاده من التطور العلمى والتقنى الغربى (٣)، ومن ناحيه أخرى كانت الدعوه إلى

ص: ١٨٥

- ١- (١) مكارىوس، شاهين: فضائل الماسونيه، طبع القايره ١٨٩٩. و(مكارىوس) هذا «من أوائل اللبانيين الذين دخلوا الماسونيه فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، ثم هاجر إلى مصر وساهم فى الماسونيه هناك، وأصدر مجله: (اللطف)، كما وأصدر عده كتب فى الماسونيه». راجع، الوردى، على: المرجع السابق، ج ٣، الملحق الثانى، ما هى الماسونيه؟ ص ٣٢٩.
- ٢- (٢) الوردى، على: المرجع ذاته، ص ٣٧١-٣٧٢.
- ٣- (٣) للوقوف على ما جاء فى العروه الوثقى راجع، الأسد آبادى: السيد جمال الدين. وعبد، الشيخ محمد: العروه الوثقى والثوره التحريريّه الكبرى، طبع إيران، تاريخ التقديم ربيع الثانى ١٣٩٠هـ-.

الوحده الإسلاميه والجامعه الإسلاميه تشكّل محور طموحهم، يقول أحمد أمين: «وليس يقوم للعالم الإسلامى قائمه إلا بهذا التوحيد فى العقيدة والعمل، لهذا دعا كثير من المصلحين إلى الجامعه الإسلاميه، ويعنون بها الرابطه التى تربط بين المسلمين فى مختلف الأقطار من فرس وترك وعرب، وقد كانت هذه الكلمه مفرغه لأوروبا فى القرن الماضى.. وإذا كان الأوروبيون يتكثرون على الباطل لمحق المسلمين فأولى أن يتكثرت المسلمون على الحق لدفع كارثه الاستعمار، وقد كان أول من نادى بها فى العصر الحديث، السيد جمال الدين الأفغانى، وخلفه الشيخ محمد عبده، والسيد عبد الرحمن الكواكبي» (١).

وأمام هذا الاتجاه الإصلاحى كان الغرب بريقه العلمى قد اجتاز حواجز عديده داخل البلاد الإسلاميه ونفوس المسلمين، متخذاً من العوامل الاقتصاديه والسياسيه أدوات لتغلغله فى أوساط المسلمين، يقول الدكتور حسّان حلاق: «لذلك اعتمد الأفغانى تعاضد المسلمين ووحدتهم واستند على أسس إسلاميه، وعمل على الصعيد السياسى مباشره ضد النفوذ الأوروبى المتغلغل، إلى جانب الدعوه الإصلاحيه ضد المساوىء الدينيه والاجتماعيه التى دخلت المجتمعات الإسلاميه» (٢). وهكذا كانت نهضه جمال الدين «فكريه واجتماعيه معاً، (هدفها) إيجاد نهضه وصحوه فى أفكار المسلمين ونظم حياتهم» (٣). وذلك عبر مكافحه الدكتاتوريه الداخليه والاستعمار الخارجى معاً، لأنهما «من أهم وأقدم مشاكل المجتمع الإسلامى» (٤).

ص: ١٨٦

١- (١) أمين، أحمد: فجر الإسلام، مرجع سابق، ص ١٣٩-١٤٠.

٢- (٢) حلاق، د. حسان على: دور اليهود والقوى الدوليه فى خلع السلطان...، مرجع سابق، ص ٢٥.

٣- (٣) مطهرى، مرتضى: المرجع السابق، ص ٢٠-٢١.

٤- (٤) المرجع ذاته، ص ٢١.

إذن، بالوحده الإسلاميه ونبذ البدع والخرافات الطائره فى أفكار المسلمين، وبالاقْتباس من التقدم العلمى الغربى بروح إسلاميه واعيه - ترى الحركه الإصلاحيه - أن الأمه حين ذاك تستطيع أن تقاوم الدكتاتوريه فى الداخل والاستعمار الخارجى بجداره.

ومما تقدّم، فقد شهدت الساحه العراقيه، انطلاقاً من المدن المهمه: بغداد والنجف وكربلاء والكاظميه وسامراء، صراعاً بين الاتجاه الإسلامى الإصلاحى، وبين الاتجاه الثقافى المتأثر بالغرب، حيث بدأت راياته تلوح فى الآفاق - فى تلك المرحله - مما نشط الاتجاه الإصلاحى للرد على المستسلمين أمام التيار الغربى، والمنهزمين من حلبه الصراع ضده. وذلك لغرض تحصين الحاله الإسلاميه من إمكانيه الانفلات والانخراط ضمن الثقافه الغربيه التى أصابت بعض المسلمين. ومما لا يخفى، فقد كان للصحف والمجلات العربيه والأجنبيه، التأثير الفكرى والاجتماعى فى الأوساط العراقيه، كالصحف المصريه والإيرانيه، التى كان - بعضها على الأقل - بمثابة المرآه العاكسه للثقافه الأوروبيه، حيث «أصبحت مصر كأنها الواسطه الفكرية ودار التعريب بين أوروبا والبلاد العربيه، فكانت الأفكار الحضاريه الجديده تأتي إليها من أوروبا وترجمها الكتاب والمؤلفون المصريون بعد أن يضيفوا إليها طعماً عربياً، ثم ترسل بشكل صحف ومجلات وكتب إلى العراق والبلاد العربيه الأخرى عن طريق البواخر.. وأهم المجلات التى كانت ترد إلى العراق فى تلك الآونه هى: (المقتطف) و(الهلال)، وكانت النزعه الغالبه على كلتا المجلتين هى الدعوه نحو تبني الحضاره والعلوم الحديثه ونحو بناء المجتمع على أساسها» (1). يقول آلبرت حورانى: «..عندما

ص: ١٨٧

١- (١) الوردى، د. على: مرجع سابق، ص ٨ - ٩. شخّص السيد جمال الدين مشاكل المجتمع الإسلامى بـ «١- ديكتاتوريه الحكّام. ٢- الجهل واللاوعى عند المسلمين وتأخرهم عن ركب العلم والمدينه. ٣- تسرب العقائد الخرافيه إلى أفكار المسلمين وابتعادهم عن الإسلام الأصيل. ٤- التفرقه بين المسلمين باسم المذاهب الدينيه.. ٥ - سياده الاستعمار الغربى.. [ووضع أمامها الحلول المناسبه]:

وصلت الأعداد الأولى من المقتطف إلى بغداد في ١٨٧٦م، لم يرحّب بالمجله إلاّ بعض الشباب، بينما قاومها المحافظون من مختلف المذاهب السنيه والشيعيه والمسيحيه واليهوديه، لأنها كانت في نظرهم تنشر عقائد جديده وخطره، حتى أن نعمان الآلوسى نفسه (سيرد ذكره مع المصلحين العراقيين)، الذى كان زعيم حركه إصلاح إسلاميه لا تختلف عن حركه محمد عبده، قاومها هو أيضاً، وقد انقضى بعض الوقت بعد أن أخذت عقائدها فى الانتشار» (١). فهذه الصحف كرتت بل ضاعفت المسؤوليه الشرعيه على عاتق الإسلاميين الإصلاحيين، لذلك نشطوا لمناقشتها والردّ عليها، ومن ناحيه أخرى سعوا إلى ترشيد الرأى الإسلامى فى مسار ثقافى إصلاحى يواكب النهضه العصريه. فمثلاً، حينما نشرت مجله (المقتطف)، مقالات شبلى شميل، شارحاً فيها نظريه (داروين) فى النشو والارتقاء، ومبيناً أصل خلقه الإنسان فى مقالات متسلسله، كانت ماده غنيه للإسلاميين للرد عليها شرعياً وعلمياً. ومن خلال هذا التوجه كان يتم الحذر من أمثال هذه النظريات الهدّامه وذلك لأنها تستهدف العقيدته الإسلاميه، وبالتالي تثير الشكوك والتردد فى أصل الوجود وخالق الكون. وقد ردّ على تلك المقالات الشيخ آغا رضا الأصفهاني، والشيخ محمد جواد البلاغى «وألفوا فى ذلك كتباً ضخمه بأسلوبهم الجدلى، حتى أنها وصلت إلى الشميل نفسه» (٢). هذا وقد تأثر العراق بدرجه مهمه بالهند وإيران وتركيا جراء اتصالاته التقليديه بها،

ص: ١٨٨

١- (١) حورانى، البرت: الفكر العربى فى عصر النهضه، ترجمه كريم عزقول، ص ٢٩٥-٢٩٦. طبع بيروت ١٩٦٨.

٢- (٢) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ج ٣، ص ٩.

بالإضافة إلى مصر ولبنان وسوريه والبلاد العربيه الأخرى. فكان لصحف إيران التأثير البالغ على المسلمين الشيعة - بوجه خاص - وكذلك صحف الهند بدرجة أقل. ومن أبرز الصحف الإيرانية التي كان يتم تداولها في الساحة العراقية - لاسيما في الحوزات الدينيه والمدن المقدسه - هي: مجله (بهار) الطهرانيه، وجريده (كرمنشاه) التي كانت تصدر في مدينه كرمينشاه وجريده (جماليه) الهمدانيه (١). وكذلك جريده (القانون) التي كانت تطبع في لندن باللغه الفارسيه، حيث «كانت.. ترسل إلى العراق أيضاً. وكان لها قراؤها والمتأثرون بها فيه. فقد كان في العراق كثيرون يعرفون الفارسيه خاصه بين طلبه الدين وعلمائه في العتبات المقدسه، ومن الممكن القول أن هذه الجريده مهّدت الجو لحركه (المشروطيه) التي حدثت فيما بعد» (٢). أما صحف مصر وسوريا فكانت شامله التأثير على الساحة العراقيه في بدايه هذا القرن، مثل (العروه الوثقى) و(المقطم) و(الهلال) المصريه. و(العرفان) و(المقتبس) الشاميتين، فقد كانت هذه الصحف معروفه في العراق، وإن كان التأثير مقتصرأ على الطبقة المثقفه، إلا أن دورها الحركي والسياسي ما كان ضئيلاً على كافه المسلمين سنه وشيعه (٣)، فقد كان الاتجاه التجديدي لدى علماء ومثقفى المسلمين السنه كذلك متأثراً بالأفكار الإصلاحيه التي نادى بها (العروه الوثقى)، وهنا يذكر الأستاذ الوردى على سبيل المثال «أن سليمان الكيلاني وهو أحد نقباء الكيلانيين، ومفتى بغداد، الذي كان مشتركاً في (العروه الوثقى)، كان يقول: كلما وصله عدد منها واطلع عليه: أن تأثير هذا العدد من الجريده يوشك أن يوقع ثوره قبل مجيء العدد الذي يليه» (٤).

ص: ١٨٩

١- (١) فياض، د. عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠، ط ٢، مرجع سابق، ص ٩١.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٠٠.

٣- (٣) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٩٠.

٤- (٤) الوردى، المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٨٧.

إن المدرسه التجديديه في العراق كانت متأثره بتلك الصحف، وبرواد الفكر الإصلاحى - التجديدى فى العالم الإسلامى - وقد ذكرنا أبرزهم - إلا- أن التأثير المباشر كان ينبع من داخل الساحة العراقية، فقد كانت المدرسه العراقيه تستقى رؤاها، وتستمد خطوطها العريضه من مراجع المسلمين الشيعه، وخاصه أولئك الذين لعبوا أدواراً سياسيه واجتماعيه بارزه على مستوى الأطروحات الفكرية أو الممارسات الميدانيه. ويبدو لنا أن أفكار وممارسات المرجع الميرزا حسن الشيرازى (١٢٣٠-١٣١٢هـ-، ١٨١٤-١٨٩٥م) الذى كان يقيم فى سامراء، رسمت للإسلاميين خطوط التحرك الإسلامى لتلك المرحله. فهو أحد كبار المجتهدين الشيعه، برز دوره السياسى فى (١٢٨٧-١٣١٢هـ-، ١٨٧٠-١٨٩٥م) إلى جانب دوره العلمى والاجتماعى والثقافى، فقد أرسى دعائم الحاله الاستقلاليه بكامل معناها لعلماء الدين على المستوى الدراسى - التعليمى والمالى - وعلى مستوى قياده الأمم عملياً، وظهر ذلك جلياً فى موقفه المؤثر، وذلك فى بدايه بروزه القيادى حيث رفض أن يخرج لاستقبال ملك إيران ناصر الدين القاجارى، عند زيارته للنجف الأشرف عام (١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م)، واكتفى بلقائه فى الحضرة العلويه - مقام الإمام على عليه السلام - أى ضمن الاستقبال العام من دون خصوصيه لسلطانه، كما ورفض هديته الماليه. وقد شاع عنه ذلك فى الوسط الاجتماعى مما منح للمرجعيه الدينيه قوه معنويه عاليه، كما وصّدت هذه القضيه رصيده الشخصى لدى العلماء والعامه (١).

ص: ١٩٠

١- (١) راجع: الأمين، الإمام السيد محسن: أعيان الشيعه، طبع بيروت ١٤٠٣-١٩٨٣م، المجلد الخامس ص ٣٠٥. وأيضاً الطهرانى، آغا بزرك: المجدد الشيرازى، طبع النجف ص ٣٩. وقد جاء فى وصف الميرزا حسن الشيرازى، أنه «كان إماماً عالمياً فقيهاً ماهراً محققاً مدققاً رئيساً دينياً عاماً، ورعاً تقياً.. انتهت إليه رئاسه الإمامه الدينيه العامه فى عصره وطار صيته

وكان هذا السلوك المميز من قبل الميرزا الشيرازي، بحد ذاته يعدّ رساله واضحه الدلاله اتجاه الحكام المستبدين، من ناحيه، ومن ناحيه أخرى، عزّز - الميرزا الشيرازي بموقفه هذا - حركه الوعي الإسلامى داخل الأمه ورعى نموها الطبيعى بمبادرته الشجاعه والواعده - ففى نظرنا - إن انطلاقه التحرك السياسى والجهادى لدى المسلمين الشيعه فى العصر الحديث نابعه من الإمام الميرزا حسن الشيرازي (صاحب ثوره التباك)، على مستوى القيادى بالتحديد، فضلاً عن المستوى الدينى العام. فقد استطاع هذا المرجع الكبير بمواقفه التجديديه الإصلاحيه أن يواصل حلقات المسيره الإسلاميه الممتده بجذورها التاريخيه القديمه لجهاد المسلمين الشيعه إلى العصر الحديث، حيث استمرت مدرسته التجديديه فى الإصلاح والنهضه عبر تلامذته الذين حملوا أفكاره السياسيه ورؤاه الحركيه والجهاديه، فيما بعد. وسنرى ذلك فى تطور الأحداث ابتداءً من الشيخ الآخوند الخراسانى المتوفى سنه (١٣٢٩هـ - ١٩١١م)، قائد ثوره الدستور المشروطه فى إيران ١٩٠٦م، من قاعدته فى النجف الأشرف. فهو تلميذ الميرزا حسن الشيرازي (١)، وانتهاءً بالسيد أبو الحسن الأصفهانى قائد الثوره الثقافيه، من بعد ثوره

ص: ١٩١

١- (١) الأمين، الإمام السيد محسن: أعيان الشيعه، المجلد التاسع، ص ٥-٦. ولد الشيخ الخراسانى فى

العشرين حتى وفاته سنة (١٣٦٥هـ-١٩٤٥م)، وهو تلميذ الآخوند الخراساني ومن أنصار الثورة الدستورية، وسنعالج مسأله الأولويه للعمل الثقافي لدى الإمام السيد الأصفهاني - في حينها - ونبين أيضاً برنامجه السياسي والجهادي في تلك الظروف، حيث برزت عزمته الثوريه إبان ثوره العشرين، فحضر كربلاء منطلق قياده الثورة، ثم توجه إلى جبهات القتال حاملاً بسنديه، كمساهمه فعلية إلى جانب المجاهدين ضد الإنكليز المحتلين (١).

وكذلك ظهرت مواقفه الصلبه ضد الإنكليز - فيما بعد - إبان الحرب العالميه الثانيه، ومن هنا نستوضح أهدافه من الثورة الثقافيه في العراق التي أرادها بمثابه الإسناد الفكرى والروحي لمواصله طريق النهضه في الإصلاح والتغيير. ومروراً بالإمام الشيخ محمد تقى الشيرازى المتوفى في ٣ ذى الحجه سنة ١٣٣٨هـ- قائد ثوره ١٩٢٠م ضد البريطانيين، فهو تلميذ الميرزا حسن الشيرازى - أيضاً- (٢) وهكذا خليفته في قياده الثورة الشيخ فتح الله الأصفهاني (شيخ الشريعة) حتى وفاته في كانون الأول ١٩٢٠م، ومن ثم الميرزا حسين النائيني المتوفى سنة (١٣٥٥هـ-١٩٣٥م) من كبار المراجع في قياده الثورة (٣). وهو كذلك من تلاميذ الإمام الميرزا الشيرازى.

ص: ١٩٢

-
- ١- (١) سنتناول ترجمه حياه السيد أبو الحسن الأصفهاني في الباب الثالث بالفصل الثالث.
 - ٢- (٢) تتلمذ الشيخ محمد تقى الشيرازى على الميرزا محمد حسن الشيرازى في سامراء وانقطع إليه حتى صار من أكبر تلامذته. راجع، الأمين: المرجع ذاته، المجلد التاسع، ص ١٩٢.
 - ٣- (٣) للاطلاع على حياه الميرزا محمد حسن الشيرازى وآثاره وتلاميذه، راجع الأمين، المرجع ذاته، المجلد الخامس، ص ٣٠٤-٣١٠.

وللاستدلال، على ما نذهب إليه من أن طروحات المجدد (1) الميرزا الشيرازي هي التي وضعت دعائم المدرسه التجديديه - الإصلاحية في العراق، ورسمت خطوطها الحركية - السياسية ومعالمها الفكرية وآفاقها النهضوية، نستشهد بموقفين بارزين في حياته:

الموقف الأول: ممارساته السلوكية الناضجة، التي سجلها في صفحات مشرقه من حياته، وخاصة بعد أقامته في مدينة سامراء في شهر أيلول عام (1874م، 1291هـ-). كانت تبرهن عملياً على ضروره الوحده الإسلاميه بين السنه والشيعة. مما وفرت هذه التجربه الغنيه جهداً وعبره حيه للإصلاحيين في المسيره التجديديه. يقول نور الدين الشاهرودى: «نقل لى حفيده [أى حفيد المجدد] العلامة المفضل السيد رضى الشيرازى - نزيل طهران - حكايات عن بعض تصرفاته التى تنبئ عن حكمته وتبصره وحرصه على صون روح الوئام بين المسلمين [منها]: عندما شرع السيد الميرزا الشيرازى ببناء مدرسته الدينيه العلميه الكبرى فى مدينه سامراء وهى من جمله المنشآت التى أقامها فى هذه المدينه خلال سنوات إقامته فيها، تشجع المسلمون السنه بدورهم لبناء مدرسه دينيه لعلمائهم، ولكنهم لم يتمكنوا من إتمام بنائها نظراً لأنهم كانوا يفتقدون المال اللازم لها، ولم يكن أمامهم من حيله سوى الرجوع إلى السيد الشيرازى لطلب مساعده ماليه منه، وعندما التمسوا منه مثل هذه المساعده، قام على الفور بتلبيه

ص: 193

1- (1) كان يلقب الميرزا الشيرازى بالمجدد، وذلك لامتياز حركته بالشجاعه والوعى، ونهضته بالتطلعات العصريه، فأجتمعت الأمم تحت لوائه، مجدداً لها نهجاً إسلامياً عصرياً فى المعارضه والمقاومه والبناء. فلذلك «أشتهر.. بلقب كان جديراً به وأجمع المؤرخون والنسابة على هذا اللقب وبتوا يطلقونه عليه، حتى أصبح مشتهراً بهذا اللقب أكثر من اسمه الحقيقى، وهذا اللقب المشهور هو (المجدد الشيرازى) لأنه بحق جدّ رونق الدين بأعماله ومآثره ورفع من شأن ومكانه الحوزات العلميه والمؤسسات الدينيه». الشاهرودى، نور الدين: أسره المجدد الشيرازى، طبع قم ط 3، 1371هـ-، ص 46. وبالفعل أصبحت مدرسته التجديديه مفتاح الآفاق المستقبليه للإسلاميين فى العراق.

طلبهم وزودهم، بمنحه ماليه سخيه، وكانت هذه اللفتة الكريمة منه عاملاً من عوامل الانسجام والوثام بين سكان المدينه» (١). ومن أبرز مواقفه في اتجاه تحقيق الوحده الإسلاميه على الأرض، أنه رفض النزول إلى الفتنة الطائفية التي كان يخلقها البريطانيون والعملاء المحليون بشتى الوسائل والمغريات، لغرض إشعال الفتنة الداخليه بين السنه والشيعة، ومن ثم لتمتد نيرانها فيتم الاضطدام بين الدوله العثمانيه والشيعة، فيتكسر الضعف العام للمسلمين، وبالتالي ليخوض البريطانيون معركة تمهد لاحتلال العراق. حتى أنهم كانوا يحيكون مختلف المؤامرات للوصول إلى مآربهم الاستعماريه، فاستخدموا - أخيراً - مسأله الاعتداء الشخصى على الإمام الشيرازى من قبل بعض المغرضين داخل مدينه سامراء، ولكن الإمام عالجها معالجه ذكيه، وتعامل معها بروح المسؤليه الشرعيه والمصلحه الوطنيه، أى فوق الاعتبارات الذاتيه والمذهبيه، وإلا كادت أن تؤدى هذه الفتنة إلى الاقتتال الداخلى سنه (١٣١١هـ-، ١٨٩٣م)، وفى حينها أرادت بريطانيا استغلال هذا الحادث والتدخل فى شؤون البلاد، وذلك عبر إظهار التأثير على ما جرى، وعرض المساعده للمرجع فى حلّ الأزمه فى سامراء مع أهل السنه، وإنزال العقوبه بالمعتدين، فرفض الإمام مقابله قنصلها فى بغداد والذى سافر إلى سامراء لهذا الهدف، فقطع عليه الطريق بشكل تام بموقفه الحاسم، فتم إخراجه من محاوله تسعير الفتنة الطائفية بجوابه القاطع حيث قال: «إنه لا يعتقد بوجود عداة بينه وبين أهل سامراء، وأن ما حدث كان نتيجة الصدفة، ولا يرى حاجه لدس أنف بريطانيا فى هذا الأمر الذى لا يعنيه، لأنه والحكومته العثمانيه على دين واحد، وقبله واحده، وقرآن واحد» (٢). وبذلك كرس دعائم وحده الأمة الإسلاميه، أمام أعداء الإسلام معتبراً الخصوصيه المذهبيه حاله طبيعیه،

ص: ١٩٤

١- (١) الشاهرودى، نور الدين: المرجع السابق، ص ٤٠-٤١.

٢- (٢) آل بازركان، على: الوقائع الحقيقه فى الثوره العراقيه، بغداد ١٩٥٢، ص ٤. وغيره من المصادر والمراجع المعتيه.

ضمن الإطار العام، من المفروض أن تحترم وتوضع ضمن طريق بناء الوطن. ومما يذكر له في مجال الممارسات الوجدويه في سامراء التي تسكنها أغلبية سنيه، أنه قدّم مجموعه من الخدمات الاجتماعيه والعمرانيه لسكان سامراء وللوافدين إليها ولطلبه العلوم الدينيه. فقد «بنى فيها مدرسه كبيره فخمه لطلاب العلم فيها إيوان كبير وغرف جمّه ولها ساحه واسعه، وبنى سوقاً كبيراً بمال بذله بعض أغنياء الهند. ولم يكن في سامراء جسر، وكان الناس يعبرون على القفف من غربى دجله إلى الجانب الشرقى الذى فيه المدينه.. وكان أصحاب القفف يشتدون في الأجره، ويلقى منهم الزوار أذىً كبيراً فبنى جسراً محكماً على دجله من السفن بالطريقه المتبعه في العراق، تسهيلاً للعبور ورفقاً بالزوار والواردين وكانت نفقته ألف ليره عثمانيه ذهباً. ثم سلّمه للدولة تتقاضى هي أجوره رجاءً لدوامه، وبنى عده دور للمجاورين» (١). وكذلك بنى حماماً للرجال وحماماً للنساء، «حتى أصبحت [سامراء] بلده عامره، مع العلم أنها لم تكن قبل ذلك سوى قرية صغيره بيوتها من طين» (٢). وبالفعل كانت تجربه رائده في تغليب المصلحه الإسلاميه والوطنيه العامه على الاتجاه الذاتى والطائفى، وسلاحظ على هذه الأفكار الوجدويه ومشاريع الخدمه العامه، ورعايه الناس على أسس المواطنه، بأنها ستصبح متبنيات الإسلاميين من أجل بناء الدوله والوطن.

الموقف الثانى: يتجسد في الفتوى الشهيره التى أصدرها ضد التدخل الاقتصادى في إيران من قبل بريطانيا. ويعتبر موقفه الصارم هذا من أبرز مواقفه السياسيه ضد التغلغل الأوروبى في حياه المسلمين، وذلك في عام (١٣٠٩هـ-، ١٨٨٩م) فقد أصدر فتواه بحرمه استعمال التبغ، فامتنع الناس عن استعماله، وأرغمت الحكومه الإيرانيه على إلغاء امتياز الاحتكار البريطانى للتبغ الإيراني، هذانصها:

ص: ١٩٥

١- (١) الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعه، المجلد الخامس، ص ٣٠٦.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٣، ص ٩٠.

«بسم الله الرحمن الرحيم، اليوم استعمال التباك والتتن حرام بأى نحو كان، ومن استعمله كمن حارب الإمام عجل الله فرجه»
(١).

يقول الدكتور الوردى: «إن هذه الفتوى على اختصارها، كانت بمثابة القنبلة من حيث تأثيرها فى المجتمع الإيرانى، فهى حين وصلت إلى الشيخ محمد حسن الاشتياني بطهران، وكان كبير المجتهدين فيها أمر بأن تقرأ على الجمهور من على المنابر، واستنسخ منها مائه ألف نسخه، فأرسلت إلى أنحاء إيران، وقد حاولت الحكومه الإيرانيه جمع النسخ من أيدي الناس، ومنع انتشارها فلم تفلح» (٢).

وسميت فيما بعد بثوره التباك، فوقف الشعب الإيرانى متلاحماً مع علمائه المجاهدين وعلى رأسهم الميرزا وأسقطوا الاتفاقية الاستعماريه بالكامل. إن هذه الثوره الشعبيه عكست تفاعلاتها الثقافيه والسياسيه على الشعب العراقى، وخلقت جواً من العداء التام للاستعمار الغربى وأساليب تغلغه فى أوساط المسلمين، وكذلك منحت الإسلاميين قوه شرعيه للوقوف أمام الحاكم المستبد كملك إيران ناصر الدين القاجارى الذى أبرم اتفاقيه التباك مع بريطانيا، بعيداً عن موقف العلماء ورأى الشعب. هذه التطورات وفرت أجواء خصبه لنمو الوعي السياسى والحركى فى العراق، خصوصاً حينما تفاعلت الساحة الإيرانيه بالفتوى، وتم نقل الموقف الشامل من كافة الطبقات الاجتماعيه والفكريه داخل إيران إلى الساحة العراقيه. فقد «شاع - آنذاك - أن رجالات البلاط القاجارى فى إيران، امتنعوا بدورهم عن التدخين، وقيل أن زوجه السلطان ناصر الدين شاه ملك إيران فى ذلك الوقت.. امتنعت هى الأخرى عن التدخين، ولم تكتف بذلك بل بادرت

ص: ١٩٤

-
- ١- (١) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٣. وتجدها فى عموم المراجع التى تناولت هذه القضية، وبحثت فى آثارها ومدى انضباط الشعب المسلم فى إيران بتطبيقها والالتزام بها.
- ٢- (٢) الوردى، على: المرجع السابق، ج ٣، ص ٩٥.

إلى كسر وتحطيم النارجيله التي كانت تستعملها في تدخين التبغ العجمي» (١). وحينما طلب الشاه من خادمه إحضار النرجيله الجاهزه للتدخين، امتنع الخادم محتجاً بوجوب طاعه نائب الإمام الميرزا الشيرازي. وقد بلغت شموليه المقاطعه والثوره درجه كبيره، استجابته للفتوى المباركه، ومن الأمور التي تنقل في هذا الصدد أن بعض المنحرفين الذين اعتادوا على ارتكاب المنكرات، امتنعوا عن التدخين، بل وحطموا النرجيلات في المقاهي والبيوت، وحينما سألتهم بعض الناس عن ذلك «قالوا: إننا نفعل المعاصي ولنا أمل بالرسول الأكرم وآل بيته أن يشفعوا لنا إلى الله - تعالى - في غفران ذنوبنا، والميرزا اليوم هو نائبهم وحامي شرعهم ومؤديه إلى الناس، فنحن نأمل أن يشفع لنا عندهم، فإن أغضبناهم فمن الذي يشفع لنا؟ وهكذا ترك عشرون مليوناً في إيران التدخين عملاً بأمر الميرزا الشيرازي» (٢). صحيح أن القضييه ابتدأت بالتباك، ولكنها كانت أبعد منه بكثير، حيث كانت الخطه الاستعماريه متكامله لغرض السيطرة على بلاد المسلمين ونهب خيراتهم ومحاربه العقيدته الإسلاميه. هذا ما كان يعيه الميرزا المجدد والعلماء المجاهدون، لذلك جاء الموقف حاسماً وصارماً ليتم اقتلاع جذور الخطوه الأولى التي لو كانت قد ترسخت من خلالها أقدام المستعمرين فإنها ستبعتها الولايات المتعاقبه. يقول ذبيح الله المحلاتي - الكاتب الإيراني المعاصر لأحداث ثوره التباك -: «..جاء من لندن جماعه من الأجانب لا يقل عددهم عن مائه ألف نسمة بين رجال ونساء، ودخلوا طهران وشرعوا في تنفيذ مقاصدهم، وأرسلوا في كل بلد من بلاد إيران عدداً من هيئتهم، وقويت بذلك كل مله في إيران سوى مله الإسلام وكثرت الفواحش وشرب الخمر، فلم تزل كل يوم تكثر هذه الدواهي، وقد منح الأجانب المدارس لدعوه الناس إلى

ص: ١٩٧

- ١- (١) الشاهرودي، نور الدين: المرجع السابق، ص ٤٩. وينقل الخطباء والمربون عن زوجه الملك -أثناء حديثهم عن هذه القضييه - بأنها قالت لزوجها: إن الذي حللني عليك وجعلني زوجه لك، حرم علينا التدخين فلا بد من الالتزام بفتواه.
- ٢- (٢) الأمين، السيد محسن: المرجع السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧. وكذلك الشاهرودي: المرجع ذاته، ص ٥١.

مذهب المسيح، وجعلوا المبشرين (البرتستانت) في جميع المستشفيات ينفقون أموالاً جمّة على الفقراء والمساكين ويستخدمون بنات الإسلام..» (١).

ومن هنا نستوضح أن الفتوى التي فجّرت تلك الثورة الشعبية، صدرت في الوقت الذهبي لإنقاذ الأمة، حيث تمت المبادرة القيادية في وقتها، فأدت إلى لملمة شتات الأمة للوقوف صفاً واحداً تحت رايه الإسلام، ضد الحاكم المستبد، وضد التدخل الاستعماري الغربي في شؤون المسلمين.

ومن الطبيعي أن تؤدي هذه الممارسات القيادية للميرزا الشيرازي، والمنطلقة من العراق، إلى جعل المرجعية الدينية في موقع الصدارة لقيادته الأحداث السياسية في الأمة، بالإضافة إلى صدارتها المعهودة في مسائل الفقه والتشريع. وهكذا أرسيت هذه الممارسات دعائم القيادة الإسلامية في العراق، ومهدت لتبلور الحالة الإسلامية نحو وعي حركي سياسي متقدم في أوائل القرن العشرين. ومما يذكر تأييداً لما نذهب إليه، من أن أفكار الإسلاميين تستند إلى المدرسه التجديديه للميرزا الشيرازي، ما ذكره السيد محمد الطباطبائي، أحد كبار المجتهدين في طهران، في مذكراته التي كتبها عام (١٩١١م، ١٣٢٩هـ-) قال فيها: «جئت إلى طهران، عام ١٨٩٤م [١٣١٢هـ-] ومنذ دخولي إليها كنت بصدد تأسيس مشروطة في إيران، وتأليف مجلس شوري شعبي..». وكتب رساله إلى عين الدوله - رئيس الوزراء - في عهد مظفر الدين شاه، جاء فيها: «إن إصلاح جميع المفاسد يتم من خلال تأسيس مجلس، واتحاد الحكومه والشعب ورجال الدوله مع العلماء». وقد تكونت هذه الأفكار لدى السيد الطباطبائي، منذ إقامته في العراق وتلمذه على يد الميرزا الشيرازي في سامراء (٢).

ص: ١٩٨

-
- ١- (١) المحلاتي، ذبيح الله: مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ج ٢، النجف ١٣٦٨هـ-، ص ٦٥ وما بعدها.
 - ٢- (٢) شبر، المرجع السابق، ج ٢، ص ٦١. عن دواني، علي: نهضت روحانيون إيران (بالفارسيه) ج ١، ص ١١٦، وكذلك منه عن الطهراني، آغا بزرك: ميرزای شیرازی (بالفارسيه) ص ١٩٠.

هكذا عاشت الساحة العراقية حاله من التفاعل مع هذه المدرسة الإصلاحية - التجديديه في منطلقاتها الفكرية وتأثيراتها على الأوضاع العامه ومفاصل الحياه السياسيه بالذات، والتحكّم بها لضمان الخير والأمن والكرامه للعباد والبلاد. وبالفعل شهدت الساحة العراقيه تعاطياً ناضجاً مع مستجدات الأحداث من قبل العلماء المتصدين، دعاه التجديد والإصلاح، وكان من أبرزهم، العالم المجاهد السيد محمد سعيد الجبوبي (١٢٦٦-١٣٣٣هـ، ١٨٤٩-١٩١٥م)، والعلامه هبه الدين الشهرستاني (١٨٨٤-١٩٦٧م) والمجتهد الشيخ محمد حسين النائيني (١٢٧٣-١٣٥٥هـ-)، (١٨٦٠-١٩٣٦م) والشاعر عبد المحسن الكاظمي (١٨٧٠-١٩٣٥م)، والأستاذ جعفر أبو التمن (١٨٨١-١٩٤٥م) وغيرهم. وقد باشروا بمشاريعهم الثقافيه، التي تعتبر البدايه الأساسيه في طريق الإصلاح، والدعامه الرئيسيه لعملية التجديد. وكان للسيد محمد سعيد الجبوبي وهو «عالم متجدّد من علماء الشيعه» (١).

الدور الأهم في إنجاح مشروع فتح المدارس الحديثه في أوساط الشيعه في العراق حيث «كان لنفوذ الحثوبى الروحى أثر كبير في إقناع المعارضين لفكره التجديد من أبناء الجعفريه» (٢).

وبهذا «فقد استطاع أن يعطى لحرکه التجديد دفعهً قويه، وقد قويت هذه الحرکه في مجال

ص: ١٩٩

١- (١) فياض، د. عبد الله: مرجع سابق، ص ١٢١. السيد محمد سعيد الجبوبي، هو أحد كبار الفقهاء المجاهدين، وقد برز في الأوساط الأدبيه كشاعر وله ديوان مطبوع، امتاز بنظراته العصريه، فدعا لتأسيس مدارس حديثه للتعليم، وقاد المجاهدين ضد المحتلين الإنكليز في جبهه الشيعيه عام ١٩١٥م. توفي في الناصريه أثناء عودته من الجهاد. راجع الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعه، مج ٩، ص ٣٤٤.

٢- (٢) الجعفريه هم الشيعه الإماميه الأثنى عشرية، نسبه إلى الإمام جعفر الصادق، وهو الإمام السادس من أئمه أهل البيت عليهم السلام.

التعليم الحديث» (١). وبالإضافة إلى السيد الجبوبي، برز على البارزكان وجعفر أبو التمن، ومهدى الخياط، في تأسيس أول مدرسه حديثه عام ١٩٠٨م، وقد استطاعت هذه المبادره أن تحطم الطوق أمام أبناء الطائفه لخوض الميادين العلميه الحديثه، وقد تم افتتاح (مكتب الترقى الجعفري العثماني)، ببغداد في ١٧ ذى القعدة ١٣٢٦هـ-، الموافق ١٢ كانون الأول ١٩٠٨م، وعرف فيما بعد بالمدرسه الجعفريه (٢). وقد «كانت المدرسه الجعفريه تعنى بها اللغه الفرنسيه والرياضيات والعلوم المدنيه» (٣). وهكذا أُسست مدارس حديثه أخرى في عده مناطق، على غرار المدرسه الجعفريه، قد آعتنت بدراسه العلوم الحديثه واللغه الأجنبيه كالفرنسيه والإنكليزيه. وحظيت بتأييد العلماء المجتهدين أمثال: الآخوند الخراساني، وشيخ الشريعه الأصفهاني والميرزا حسين الخليلي، والشيخ عبد الله المازندراني، وقد أسست مدرستان أهليتان هما: المدرسه العلويه في النجف التي افتتحت سنه (١٣٢٦هـ- ١٩٠٨م)، والمدرسه المرتضويه (٤). وكانت المدرسه العلويه -فضلاً عن مهمتها الثقافيه - بمثابة نادى ثقافى وسياسى، اتخذهُ المشغولون بالحركه الدستوريه الإيرانيه مقراً لأعمالهم. وقد زوّدت المدرسه (المرتضويه) خاصه بقاعه للمطالعه (٥).

هذا، وكان لتأييد معظم العلماء والمراجع لفكره تأسيس المدارس الحديثه، أثره

ص: ٢٠٠

-
- ١- (١) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر - مرجع سابق - ج ٢، ص ١٣٥.
 - ٢- (٢) للتفاصيل راجع: الدراجي، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن ودوره في الحركه الوطنيه في العراق (١٩٠٨-١٩٥٤م) ص ٣٤.
 - ٣- (٣) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق ص ١٢٥.
 - ٤- (٤) المرجع ذاته، وقد أرفق الدكتور فياض في ص ١٢٢-١٢٣ صورته استنساخيه عن «قرار هيئه تأسيس المكتب الجعفري الذي يتضمن افتتاح المكتب». وذكر المرحوم فياض أن الأستاذ جعفر الخليلي أخبره بأن اسم المدرسه هو (المرتضويه) لا (الرضويه) كما جاء في كتاب (ماضى النجف وحاضرها) للشيخ جعفر محبوبه ج ١، ص ٩٩.
 - ٥- (٥) فياض، عبد الله: المرجع ذاته، ص ١٢٧.

المتميز في دفع حركة التجديد والإصلاح إلى الأمام، وخاصة في الأوساط التقليديه المحافظه فضلاً عن الأمين وعامه الناس، وقد لعبت الصحف دورها في نشر هذه الآراء المستحدثه، بين الناس وخاصة في الأوساط المثقفه، فقد نشرت جريده (الرقيب) البغداديه في ٥ نيسان عام ١٩٠٩م، بياناً موقعاً من جعفر أبو التمن - أمين صندوق المدرسه الجعفريه - تحت عنوان (جواب الاستفتاء من الجعفرين) جاء فيه: «جواز دخول أولاد الجعفريه إلى المكاتب لتعليم العلوم والمعارف والكمالات واللغات المختلفه التي تمس الحاجه إلى تعلمها وتقتضى الضروره بعدم جهلها، مع التحفظ على القواعد الإسلاميه وعقائدهم مما لا ينكر ولا قائل بعدمه، ولذا فإن أساطين العلماء الأعلام المجتهدين في النجف وكربلاء دفعاً للشبهه الواقعه في أذهان الجهله قد كتبوا لعموم الجعفريه يحثونهم ويشوقونهم إلى تأسيس وتشيد مكاتب كهذه، حاويه للشروط المتقدمه. وذكروا أن ذلك من أفضل الأعمال الخيريّه» (١). وأكثر من ذلك فقد «أجاز المجتهد الأكبر الملا كاظم الآخوند صرف الحقوق الشرعيه على أمثال هذه المدارس» (٢). وبالإضافه إلى فتح هذه المدارس، أنشأت حلقات للتعليم الحديث من قبل بعض الإسلاميين التجديديين، لغرض استقطاب الشباب المسلم وتوجيههم بالثقافه الإسلاميه المطعمه بإنجازات العلم الحديث، وذلك بطريقه توفيقه لغرض إذابه الجليد المصطنع بين الإسلام والعلم، ورفع التناقض الموهوم بينهما، ومما لا يخفى أنها ظاهره جديده تستبطن التّخدي للحاله التقليديه الجامده التي كانت سائده -آنذاك - بين الناس. فعلى سبيل المثال: «كان الشهرستاني في أوائل القرن العشرين من أكثر الناس ولعاً بالمطبوعات المصريه.. وقد اتخذ له حلقه دراسيه في جامع الطوسي في النجف الأشرف، كان يدرّس فيها بعض مبادئ العلوم الحديثه التي استمدّها من المجلّات والكتب المصريه، فأثار بذلك

ص: ٢٠١

١- (١) جريده (الرقيب) البغداديه، العدد ١١ في ٥ نيسان عام ١٩٠٩م.

٢- (٢) فياض، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٢٩.

شيئاً من الضججه، وأعتبره المتمزّتون متفرنّجاً زنديقاً» (١).

ومع وجود هذه النظرة السلبيه، استمرت الأطروحه التجديديه فى انطلاقتها الفكرية، من عده مساجد وحلقات دراسيه وكتب ومجلات وجرائد، وبذلك شكّلت تياراً فكرياً واجتماعياً متميزاً فى الأمه، هذا التيار له رموزه وطلائعه، وبالفعل لقد «خلقوا مدرسه جديده فى التفكير ما لبثت أن تحدّاهها كتاب آخرون وتعرضت للاضطهاد من جانب المؤسسات الدينيه المحافظه وكان من الطبيعى لهذا الصراع أن يتحوّل إلى جدال علنى يؤثر -ضمن حلقات واسعه - على مثقفى العراق فى تلك المرحله» (٢). وبالنتيجه كانت هذه الحاله التجديديه أبرز المعالم الفكرية الرئيسيه فى العراق - آنذاك - أدت إلى نمو وعي حركي سياسي فى الساعه.

وبالإضافه إلى المدارس وحلقات التعليم، كان للصحف والمجلات دور أساسى فى تبيان الأفكار التجديديه، فقد أصدر السيد هبه الدين الشهرستانى مجله (العلم) عام (١٩١٠م، ١٣٢٨هـ-) لتكون منبراً للأطروحه الإصلاحيه فى العمل الإسلامى، وتعتبر أول مجله فكرية باللغه العربية، ظهرت فى النجف الأشرف تنادى بالإصلاح والتجديد

ص: ٢٠٢

١- (١) الوردى، على: لمحات اجتماعيه فى تاريخ العراق الحديث ج ٣، ص ١٠. السيد هبه الدين الشهرستانى ولد بسامراء سنه ١٣٠١هـ- وتوفى ١٣٨٦هـ- ببغداد. نشأ فى كربلاء فدرس الفقه والأصول فيها ثم واصل دراسته فى النجف الأشرف، على يد الملام كاظم الخراسانى وشيخ الشريعه الأصفهانى. أصدر مجله (العلم) فى النجف فى ١٩١٠-١٩١٢م. التى امتازت بالمنهج الإصلاحي الجديد. وهو من أقطاب الحركه الدستوريه فى العراق وإيران. خرج إلى قتال الإنكليز المحتلين للعراق مع العلماء المجاهدين فى جبهه الشعيه وهو من الرجال القاده لثوره العشرين، اختير وزيراً للمعارف فى أول وزاره فى عهد الملك فيصل، ثم استقال منها وعاد إلى كربلاء. ثم اختير رئيساً لمجلس التمييز الجعفرى عند تشكيل المحاكم الشرعيه. له عده مؤلفات منها (نهضه الحسين) و(الهيئه والإسلام). راجع الأمين: السيد محسن: أعيان الشيعه، المجلد العاشر، ص ٢٦١.

٢- (٢) نظمي، وميض: الجذور السياسيه والفكرية - المرجع السابق - ص ٦٧.

وتدعو إليهما بوضوح تام، ويعتبرها بعض الباحثين «أهم المجالات التي صدرت في عهد الدستور» (١). وكانت تنطلق من فكره جوهرية وهي أنه لا تناقض بين الإسلام والعلم (٢). فنشرت في عددها الأول حديثاً مهماً تقول فيه: «إن الإسلام مع العلم الصحيح فرسا رهان ورضيعة لبان لا يفترقا حيناً من الدهر..» (٣). ويحدد محررها السيد هبة الدين الشهرستاني مهمته الصحافية فيقول في العدد ذاته: «أليست هي للأمة عيناً مراقباً، ولساناً ناطقاً، وخطيباً صادقاً، ودرعاً واقياً، ومعلماً هادياً، ومؤدباً ناجحاً، وصرافاً واضحاً، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لا- تحمي في الباطل حميماً، ولا- تهضم في الحق خصيماً..» (٤). وهكذا اتسع نفوذ مجله (العلم) حتى أضحت «من أشهر مجلات ذلك العصر، وقد بلغت من النضج والرصانة درجة لا يستهان بها» (٥). ومما يذكر أن السيد الشهرستاني ما انحصرت مهمته بحلقات التدريس الحديث وبمجله (العلم) فقط، بل واصل مهمته الإصلاحية عبر كتابه، فكان قد أصدر في هذا الاتجاه التجديدي كتاب (الهيئة والإسلام) عام (١٩٠٩م، ١٣٢٧هـ-) الذي يعتبر كتاب المرحلة، فقد أظهر الأصاله الإسلامية بلغه عصرية حديثه، فجمع بين العلوم العصرية والشريعة الإسلامية على سبيل التوافق والتكامل محذراً من مغبه الإعجاب المطلق بالتقدم العلمي الحاصل في الغرب. ففي هذا الصدد يقول: «إن الفلسفة المستحدثة والمبادئ العصرية ستفعل بالناس ما فعلته القديمة لنقص فيهم وفيها، إلا إذا تصدّى المحققون لإصلاح فاسدها، ونهضوا لدفع هذه المفاصد ببذل الجهد

ص: ٢٠٣

١- (١) الوردى، على: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٤٩.

٢- (٢) مجله (العلم)، السنة الأولى، العدد الأول، طبع النجف، ربيع الأول ١٣٢٨هـ-، ٢٩ مارس ١٩١٠م، ص ٤، ٧، ٢٢.

٣- (٣) مجله (العلم) العدد ذاته، ص ٢٢.

٤- (٤) مجله (العلم) العدد ذاته، ص ٤.

٥- (٥) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٩٤.

البلغ في ترويح العقائد [الحقّه] وتنقيحها مما علق بها أباطيل» (١).

وقد برزت - أيضاً - جهود الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، في سبيل الإصلاح في المرحلة ذاتها، فأصدر كتابه المعروف (الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية)، ويعتبر هذا الكتاب رساله وجدانيه تناشد المسلمين كافة، لتشخيص أسباب ضعف الحاله الإسلاميه في الأمه، ويضع - المؤلف - في مقدمه الأسباب مسأله التعلق بالدنيا وأطماعها، وكذلك حاله التفرقه بين المسلمين، لذلك يدعو في كتابه إلى الوحده بين السنه والشيعه، والوقوف بحزم أمام التيار الغربى الجارف. وقد خصص فصلاً منه للردّ على النظريات الغربيه كنظريه داروين في النشوء والإرتقاء (٢).

ومما يدل على كون موجه التجديد والإصلاح، قد أصبحت لغه العصر السائده في أوساط العلماء والمثقفين -آنذاك - ما نلاحظه من نشاطات بعض المجتهدين والمفكرين في هذا الاتجاه، بالرغم من اختلافهم في النهج السياسى، فمثلاً يلتقى السيد الشهرستانى مع الشيخ كاشف الغطاء في نقطه التجديد والإصلاح، مع أنهما «كانا ينتميان إلى خطين سياسيين متعارضين، فالشهرستانى كان من أنصار الآخوند الخراسانى ومن الدعاه النشيطين للمشروطه الإيرانيه وللحركه الدستوريه بشكل عام. لكنهما اشتركا في حركه التجديد الإسلامى.. وتميزت مساعيهاما بالوعى السياسى والتقدير الدقيق لطبيعته المرحله والتحديات التى تواجه المسلمين» (٣).

ص: ٢٠٤

١- (١) الشهرستانى، هبه الدين: الهيئه والإسلام. طبع بغداد (١٣٢٧هـ-، ١٩٠٩م) ص ٦.

٢- (٢) راجع: كاشف الغطاء، محمد حسين، الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية، طبع بيروت - دار المعرفه - غير مؤرخ، بجزأين. وقد طبع في بغداد عام (١٣٢٩هـ-، ١٩١١م) الجزء الأول فقط، ومنعت السلطات طبع الجزء الثانى. راجع، الطهرانى، آغا بزرك: نقيب البشر فى القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٦١٣.

٣- (٣) شبر، حسن: المرجع السابق، ص ١٣٨. والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، هو حفيد المرجع المعروف فى أوائل القرن التاسع عشر، الإمام الشيخ جعفر، صاحب كتاب (كاشف الغطاء) الذى

ومن أبرز الكتب الفكرية التي تناولت سبل التجديد الإسلامى فى تلك المرحلة هو كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملة فى وجوب المشروطه)، للشيخ محمد حسين النائينى (١٢٧٣-١٣٥٥هـ، ١٨٦٠-١٩٣٦م) يثبت فيه توافق المبادئ الدستورية مع الشريعة الإسلاميه، ويؤيد على الفقهاء والمثقفين الذين يتصورون أنها أفكار مستورده من الغرب، ويتوهمون بأنها تستهدف طمس الإسلام، وبالفعل كانت تشكل أطروحتة هذه نقله موضوعيه فى حركة الفكر الإسلامى الحركى والسياسى. «ونظراً لأهميه أطروحه الشيخ النائينى فى تقليص مبدأ (لا شرعيه الدوله) إلى الحد الأدنى الذى لا مفر منه فى ظروف الغيبه الكبرى، استحصل بحته بتعريف واجبات الدوله العصريه الداخليه منها والخارجيه، [ويقول بوضوح] إن أفضل طريقه لإبعاد السلطان عن الطغيان هى عصمه الحاكم أى تحرره من ارتكاب الخطيئه والخطأ، والخضوع لإرادته الله.. وأمامنا فى الوقت الحاضر وسيلتان:

الأولى: دستور يحدد حقوق وواجبات الدوله ويفرض إتباعها.

الثانيه: مجلس يضم الأذكياء والحكماء فى الأمة: المعروفين بحبهم للشعب ولمطالبه الخيره، ويتولون الإشراف على تطبيق الدستور، والرقابه على أعمال الحكومه شريطه ألا يتضمن الدستور أى بند يعارض أحكام الشريعة الإسلاميه» (١).

ص: ٢٠٥

١- (١) النائينى، الشيخ محمد حسين: تنبيه الأمة وتنزيه الملة، تعريب: صالح الجعفرى ص ٤٠-٤١. والكتاب منشور فى مجله الموسم، التراثيه الفصلية تحت عنوان (كتاب الموسم) العدد الخامس، المجلد ٢، (١٩٩٠م - ١٤١٠هـ) طبع بيروت ص ٣٦-١٤٢. والنائينى هو: الميرزا محمد حسين بن الشيخ عبد الرحيم الملقب بشيخ الإسلام. ولد فى بلده نائين ١٢٧٣هـ، أبوه ملقب بشيخ الإسلام فى اصفهان، كان من العلماء والأساتذه. بدأ الشيخ محمد حسين دراسته الدينيه فى اصفهان ثم

وهكذا يدعو - الشيخ - إلى تشكيل مجلس شورى، ومجالس نيابيه منتخبه فى الشؤون الإداريه والدستوريه، كما ودعا إلى مقاومه الظالمين والنظم الاستبداديه، ودعا - أيضاً - إلى الحريه الفكرية وإصدار الصحف والمنشورات. لذلك يصفه جعفر الخليلي بأنه: «المصلح المدرك الذى يفهم مقتضيات المسلم المعاصر فهماً صحيحاً» (١). أما فهمى هويدى فيقول عنه: «أهم تنظير لهذا الموقف صدر عن الشيخ محمد حسين النائيني الذى أصدر كتابه الشهير.. الذى يعدّ وثيقه نادره تعبر عن النظرية السياسيه الشيعيه» (٢). وبالإضافه إلى ذلك ضَمّن كتابه «آراء جريئه جداً بالنسبه لزمانها كتعليم المرأه وإصدار الصحف وحريه الرأى» (٣). هذا، ومن رموز الإصلاح لدى المسلمين - السُّنه فى تلك المرحله الشيخ نعمان الآلوسى، والشيخ محمود الآلوسى، والمفتى محمد فيضى الزهاوى وغيرهم. وكان

ص: ٢٠٦

-
- ١- (١) النائيني، الشيخ محمد حسين: المرجع ذاته، ص ٤٢. فى عام ١٩٢٩م نشرت مجله (العرفان) الصيداويه ترجمه الكتاب على شكل حلقات متتابعه.
 - ٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٤٥.
 - ٣- (٣) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٢٦.

هذا التيار الفكري التجديدي يوجه التيار التقليدي العام، فقد كان للشيخ نعمان التأثير على الساحة الإسلامية عبر مواقفه ومؤلفاته، فقد اعتبره البرت حوراني «زعيم حركة إصلاحية إسلامية، لا-تختلف عن حركة محمد عبده» (١). وأهم مؤلفاته التجديديه (جلاء العينين في محاكمه الأحمدين) - أحمد بن حجر وأحمد بن تيميه - وكان من المقاومين ضد مجله (المقتطف المصريه) التي نشرت رسائل خطيره من الناحية العقائديه كنظريه داروين في اصل الأشياء. هذا، وقد كانت تعقد في دور هذه الشخصيات حلقات ثقافيه وسياسيه، تبحث في القضايا المستجده على الساحة ف-«أصحاب الفكر الإسلامى والدين تجدهم في دار محمود شكرى الألوسى، ويذهب المفكرون وكتاب السياسه إلى دار فهمى المدرس كما كانت تعقد بعض الاجتماعات الفكرية في دار عطا الخطيب ومحمود صبحى الدفترى» (٢). وقد تبوأ الشيخ محمود الألوسى مكانه بارزه وشهره واسعه في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كداعيه للإصلاح والسلفيه وبتعاطفه مع الحركة الوهابيه. وأبرز كتبه (بلوغ الأرب في معرفه أحوال العرب)، وقد تولى تحرير القسم العربى من جريده (الزوراء) واشترك في الكتابه بعدد من المجلات العربيه مثل: سبيل الرشاد، المقتبس، المشرق، المجمع العلمى العربى والمنار. غير أن نشاطه المهم الآخر هو إدارته مع الشيخ محمد فيضى الزهاوى لعدد من الحلقات الثقافيه السياسيه، وتعتبر حلقة الألوسى التي كانت تناقش مسائل التجديد الإسلامى، الفكرية والسياسيه، واحده من الحلقات الثقافيه المسيسه الأربع الموزعه في دمشق وبيروت وطرابلس. وكانت لمفتى بغداد - أيضاً - الشيخ الزهاوى والذ الشاعر جميل صدقى الزهاوى حلقة ثقافيه - سياسيه نوقشت فيها قضايا الإسلام المعاصره ومسائل أدبيه ومستحدثات العلوم الأوروبيه (٣).

ص: ٢٠٧

- ١- (١) حوراني، البرت: الفكر العربى فى عصر النهضه، ترجمه كريم عزقول، ص ١٩٨.
- ٢- (٢) عزالدين، د. يوسف: تطور الفكر الحديث فى العراق، بغداد - مطبعه أسعد ١٩٧٦م، ص ٦٦.
- ٣- (٣) الرهيمى، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ١٢٢. انظر: نوار، د. عبد العزيز: مرجع سابق، ص ٤٦٢.

لقد تبنت مدرسه الإصلاحيين الإسلاميين عده ثوابت فكرية، شكّلت الهيكلية النظرية للأطروحة، والبرنامج العلمى لمسيرتهم التجديديه، والتي كانت - بدورها - ستفتح لهم السبل الموصله إلى الهدف الأسمى فى الحياه الإسلاميه، حيث سعوا جاهدين للوصول إليه، وهو بلوغ الوعى الإسلامى مبلغاً متقدماً فى الأمه يؤهلها من تحقيق طموحات المسلمين فى الإدارة الواعيه المستقله بروح عصريه. لذلك كانت أمام الإصلاحيين مهمتان رئيسيتان.

الأولى: تبيان القيم الإسلاميه الأصليه.

والثانيه: استيعاب التطور الحديث ومواكبته.

فلذلك تركز اهتمام أصحاب التجديد والإصلاح نحو إظهار القيم الذاتيه للإسلام التى تواكب مسيره التطور الإنسانى، ليس من باب الدفاع عن الإسلام، لأن هذا الدفاع قد يشتبك مع حماس العاطفه فيؤثر على القيمه الواقعيه للإسلام (١) لذلك كان لابد للإصلاحيين من الاعتماد على ثوابت فكرية قادره على استيعاب المتطلبات العصريه ضمن الإطار الإسلامى.

إن من أبرز تلك الثوابت الفكرية التى نادى بها المدرسه الإصلاحية، وقد أصبحت طموح الإنسان المسلم الواعى على مر العصور، مسأله الوحده الإسلاميه بين كافة المسلمين باختلاف طوائفهم ومذاهبهم، عبر إيجاد وعى إسلامى مكثف لمقاومه التخلف داخل الأمه، والصعود بها إلى مستويات المسؤوليه المصيريه، ونبذ الخلافات المذهبيه، لكى لا يستطيع الاستعمار من التغلغل والنفوذ داخل الأمه من خلال هذه

ص: ٢٠٨

١- (١) البهى، د. محمد: الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، ط ٨، (١٣٩٥هـ -، ١٩٧٥م)، مكتبه وهبه بالقاهره، ص ٣٦٧.

الاختلافات والفوارق (١) وحينما تستكمل شروط الوحدة، تقف الأمة في ساحات المقاومة ضد الاستعمار صفاً واحداً كالبنيان المرصوص أمام أساليب الاستعمار الخارجى وعملائه المحليين، لغرض تطهير الجو الإسلامى وتنقيته من أسباب التخلف والهزيمة. وهكذا «كان المصلحون يهدفون إلى إثارة المشاعر الدينيه كوسيله فعاله لمكافحة الاستعمار الغربى، ولم يترددوا فى إدانه الطائفية، ودعوا إلى نبذ الخلافات (الثانويه التافهه الباليه) على حد تعبيرهم بين الشيعه والسنة» (٢). ويرى بعض الباحثين أن الوحده الإسلاميه بين الطوائف والشعوب المسلمه أصبحت ناضجه لدى السلطان عبد الحميد الثانى فتره خلافته (١٨٧٦-١٩٠٩م)، (١٢٩٣-١٣٢٧هـ-)، كونها العلاج الرئيس لتقويه سلطته المركزيه، وتوجيه جهود الأمة نحو مقاومه الاستعمار، يقول الدكتور حسيان حلاق: «والجدير بالذكر أن (الجامعه الإسلاميه) كانت فى حقيقه ذاتها أداه دينيه لتقويه سلطه عبد الحميد السياسيه فى العالمين العربى والإسلامى، وبواسطتها استطاع أن يحتفظ بولاء العناصر الإسلاميه غير التركيه داخل (الإمبراطوريه) العثمانيه واستطاع أيضاً أن يكسب إلى جانبه جميع المسلمين خارج حدودها، ومن أجل ذلك - ولفتره طويله - اعتمد فى حكمه على مجموعه من المسلمين العرب وغير العرب،..[ويضيف] كان لجمال الدين الأفغانى دور مؤثر فى سياسه السلطان، فبعد أن كان خصماً عنيداً لسياسه عبد الحميد إذا به يبدل رأيه فيه ويؤيد سياسته، ثم رأى أن الإهانه التى تمس الدوله العثمانيه تنال جميع المسلمين فى الشرق والغرب..» (٣). وأمام خطر الاجتياح الأوروبى للبلاد الإسلاميه، وقفت هذه المدرسه إلى جانب ترميم النواقص داخل الدوله

ص: ٢٠٩

١- (١) المخزومى، محمد باشا: خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى، ص ١٦٨، تحت عنوان (نفور جمال الدين من قول سنى وشيعى - وأن لا- موجب لهذه التفرقه التى أحدثتها مطامع الملوک لجهل الأمة). طبع بيروت، دار الحقيقه، ط ٢، (١٩٨٠م، ١٤١٠هـ-).

٢- (٢) نظمى، د. وميض جمال: الجذور السياسيه والفكرية والاجتماعيه، مرجع سابق، ص ٦٧.

٣- (٣) حلاق، د. حسان: دور اليهود والقوى الدوليه، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥.

العثمانيه، والتصدي للمؤامرات الأجنبيه التي تستهدفها، وذلك من خلال تقويه الدوله العثمانيه، ما دامت تمثل الجانب السياسي للمسلمين، حيث «كان العراقيون يخافون على الدوله العثمانيه خوفهم على نفوسهم، لأنها تحمي مقدساتهم ودينهم وأعراضهم وأموالهم، أنها رمز الإسلام» (١). وبالمقابل كانت الدوله العثمانيه تدرك موقعها الريادي في صراعها مع الغرب، وأنها رأس الحربه الإسلاميه ضد أعداء الإسلام والمسلمين. «واستمراراً لسياسه (الجامعه الإسلاميه) بدأ السلطان بتنفيذ مشروع خط سكه حديد الحجاز في ربيع عام ١٩٠١م، وانتهى في خريف عام ١٩٠٨م، حيث أوصل القسطنطينيه بالمدينه المنوره.. وكان من ضمن الأسباب الهامه لإنشاء هذا الخط هو استماله عطف المسلمين في جميع أنحاء العالم وكسب صداقتهم، لما يترتب عنه من تيسير سبل أداء فريضه الحج» (٢). وقد عبرت المرجعيه الدينيه الشيعيه في العراق عن موافقها المبدئيه في التحامها مع السلطات العثمانيه ضد التدخلات الأجنبيه، ولقد أعلنت الجهاد المقدس في أكثر من قضيه اعتداء استعماري، - كما سنرى ذلك- وفي الوقت ذاته كان العلماء الإصلاحيون ينادون بضروره الإصلاح الدستوري داخل الدوله العثمانيه، ليتسنى لأطروحتهم أن ترى النور، وبذلك تتحقق تطلعاتهم عبر معطيات واضحه على الأرض. فكانوا يطالبون بضروره تحكيم الشورى في الإداره والحكم، بدلاً عن الحاله الفرديه، نعم «كان المصلحون دعاه متحمسين للدستور، وأعربوا مراراً عن رغبتهم في قيام حكم دستوري عادل يرأسه حاكم (إذا ما خان الدستور.. فأما أن يبقى رأسه بلا تاج أو يبقى تاجه بلا رأس) وعزوا التقدم الأوروبي إلى غياب الحكم الفردي، وأعلنوا أنه عندما تتنور الأمم بالعلم والمعرفه، يجب عليها أن تتحرر من الحكم المطلق» (٣).

ص: ٢١٠

١- (١) عزالدين، يوسف: تطور الفكر الحديث في العراق، مرجع سابق، ص ٣٤.

٢- (٢) حلاق، د. حسان: المرجع السابق، ص ٢٨.

٣- (٣) نظمي، د. وميض: الجذور السياسييه، مرجع سابق، ص ٦٨.

وبالفعل كرس الإصلاحيون جهودهم لتنقيه مناهج الدراسات الإسلامية من الشوائب العالقه بها، وكذلك للاستفاده من التطور العلمى الحديث، ففي الوقت الذى كانوا يدفعون باتجاه تعليم الفنون العصرى والعلوم الحديثه التى تشهدها المدينه الغربيه، كانوا يشترطون فى هذه الانطلاقه، التحصن التام بالمبادئ الإسلاميه الأصيله، وذلك للتخلص من التبعية الفكرية للغرب. فكانوا يحذرون المتعلمين من خطر الاستسلام أمام كل ما هو غربى، والاقتصار على أخذ العلوم التطبيقية لغرض خدمه حياه المسلمين، وربما كانوا يوجهون شباب المسلمين نحو سياسه الهجوم الفكرى بدلاً عن الدفاع الذى يعبر عن حاله الضعف، وذلك لجداره الفكر الإسلامى وهزيمه الحضاره الماديه أمام تعاليم الإسلام التربويه الخلقية والعقائديه (١).

ومما لا شك فيه، أن البناء العقائدى المتين لشباب الإسلام -آنذاك - كان يتطلب جهداً كبيراً لتحقيقه. لذلك قدمت المدرسه التجديديه معالجات ميدانيه فى هذا الاتجاه عبر توجيه الثقافه الإسلاميه المكثفه والمطعمه بالعلوم الحديثه، سواء فى تأسيس مدارس هادفه، أو إصدار صحف وكتب - كما مر معنا - وكذلك تجديد وإصلاح المناهج الدراسيه فى المعاهد الإسلاميه القائمه. على غرار دعوه الشيخ محمد عبده فى مصر، حيث كان يدعو إلى إصلاح الأزهر ويربط بين إصلاحه وإصلاح حال المسلمين، وفهم رساله الإسلام على حقيقتها، وأخيراً يربط بين هذا الإصلاح من جانب ومقاومه الاستعمار الغربى وسياده الأمه الإسلاميه على نفسها بنفسها من جانب آخر (٢).

ومن مصر انعكست بعض الدعوات التجديديه إلى وسيله تغيير فى الأمه، كالدعوه إلى إقامه (الجامعه الإسلاميه) أى الوحده الإسلاميه «التي زرع بذورها السيد جمال الدين الأفغانى، وقد نظم الشيخ محمد عبده هذه الحركه وحولها إلى برنامج ثقافى قابل

ص: ٢١١

١- (١) المخزومى، محمد باشا: خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى، ص ١٤٥-١٥٥.

٢- (٢) البهى، د. محمد: المرجع السابق، ١٠٧.

للتطبيق» (١). هذا الاتجاه الإصلاحى انعكس فى العراق، حيث، «بلغ الإعجاب درجه الرغبه فى السير على هديها الثقافى، ففى بدايه هذا القرن دعا نعمان الأعظمى (وهو من رواد الإصلاح والتجديد) اخوته العراقيين إلى إقامه جامعه كبرى كجامعه الأزهر فى مصر، كوسيله إلى نشر الثقافه فى هذه البلاد» (٢).

وما نلاحظه من التركيز على الجانب الثقافى - لدى الإصلاحيين - وخاصة فى المراحل الأولى من عملهم، فإنه يعبر عن فهم عميق للأزمه الخانقه فى حياه المسلمين، وذلك لأن الاستعمار الثقافى أبلغ أثراً فى واقع المسلمين من الاستعمار السياسى والعسكرى، فالهزيمه إنما تحصل فى الواقع النفسى - أولاً - ولم تحصل الهزيمه النفسيه إلا عندما تهتز ثقته بالثقافه الإسلاميه، وبقدرتها على استيعاب الحياه المتطوره و إدارتها.

فجاءت الاهتمامات الفكرية، ضمن هذه المحاولات الجاده، لإسكات الأبواق المحليه المنهزمه أمام الاستعمار، والتي كانت تشيع فكره مفادها، إن المسلمين فى الشرق إن أرادوا التقدم والحقق بالمديته الحديثه، لابد أن تتغير مناهج حياتهم الفكرية والسلوكية والعملية أيضاً.

بينما تذهب المدرسه الإصلاحية إلى توجيه المسلمين عقدياً وسلوكياً ونفسياً، لغرض إيقاف عمليه الاستنزاف الداخلى لرصيد الأمة الإسلاميه. بل لشحذ الهمم بالتعاون والسعى الحثيث نحو الهدف المصيرى، وهو الوقوف الجدى أمام الزحف المنسق بين الدول الاستعماريه نحو بلاد المسلمين. ومن أفكار هذه المدرسه أنها نادى بعدم الفصل بين الدين والسياسه، فالسياسه مظهر من مظاهر الإسلام المتعدده، تكون للسياسه الأولويه ضمن ظروف ومراحل معينه تحددها الشريعه برؤيه القيادة

ص: ٢١٢

١- (١) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٧٨.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٧٨.

الإسلاميه، وكانت هذه الفكره واضحه العداء لنهج الاتحاديين، الذى كان يستبطن الفكر العلمانى، لذلك أظهر المصلحون فساد التوجه العلمانى (اللاديني) فى إداره حياه المسلمين، وأنه لا يمكن أن نفهم الإسلام بشكل تام من دون إداره وسياسه.

ومن المفيد أن نذكر - هنا - إن دعاه القوميه العربيه، وتحت بريق شعاراتها المحكوميه بضغوط الساحه السياسيه فى تركيا والبلاد العربيه، استطاعوا أن يجتروا بعض الإصلاحيين التجديدين إلى إتجاههم العام، بالرغم من أن المصلحين الإسلاميين - عموماً - كانوا لا يرون فى الطرح القومى حلاً لأزمات البلاد، ومع ذلك تمكّن القوميون بنسبه معينه من إثارة أحاسيس بعض الإسلاميين اللوقوف إلى جانبهم من الزوايا المتفق عليها، كخطأ سياسه التتريك التى سنّها الاتحاديون بعد إنقلابهم عام ١٩٠٨م. وقد كان المسيحيون فى قمه دعاه القوميه العربيه، والعداء للدوله العثمانيه فهؤلاء بالتحديد «..أدركوا أنهم إذا أرادوا بلوغ هدفهم ينبغى لهم أن يتعاونوا مع المسلمين، لكى يظهروا كجبهه واحده أمام الأتراك، ولم يكن هناك من قاسم مشترك بين المسلمين والمسيحيين سوى العروبه»، وكان من أساليبهم إدخال بعض المسلمين إلى المحافل الماسونيه التى تغذى تطلعاتهم (١).

ومع ذلك، ظهرت نداءات ضمن الإصلاحيين الإسلاميين تنادى بالإصلاح الدستورى فى الدوله العثمانيه وفى الوقت ذاته تنادى بحكم ذاتى عربى ضمن الدوله الإسلاميه، ويبدو أن ذلك لم يكن فعلاً ذاتياً بقدر ما هو رده فعل عكسيه على سياسه التتريك الاتحاديه. فكانت المطالبه تتركز حول إقامه حكم ذاتى عربى ضمن إطار الدوله العثمانيه التى يجب أن تشملها الإصلاحات، على حد قول محمد رضا الشيبى (٢).

ص: ٢١٣

١- (١) الوردى، د. على، المرجع السابق، ص ١٩٩، راجع زين، نور الدين: نشوء القوميه العربيه، طبع بيروت ١٩٨٦م، ص ٦٠-٦١.

٢- (٢) نظمى، د. وميض: المرجع السابق، ص ٨٠.

فالإسلاميون في أطروحتهم الإصلاحية، لم ينادوا بالتقسيم أو الانفصال على أسس قومية للشعوب المسلمة. الذى هو هدف المستعمرين الأعداء. كما هو حال رواد القوميه من المسيحيين، بل كانوا يؤكدون على الأصالة الإسلاميه فى إطار الدوله القائمه إلى جانب رعايه الخصوصيات الواقعيه للعرب ولغيرهم أيضاً، لتتوحد الأمه فى إطار سياسى متماسك، وأكثر من ذلك كانوا ينادون بتعريب الترك رسمياً وشعبياً، لأن اللغه العربيه هى لغه القرآن منهاج المسلمين (١). «وفى الحقيقه أن هذا التفكير كان هو التيار السائد، فهم (الإسلاميون) يطالبون برفع الحيف السياسى والوظيفى والفكرى، ولم تخالط أذهانهم وتصوراتهم قضيه الانفصال عن الدوله العثمانيه، وحتى الثورات إنما كانت تعطى مثل هذه الدلاله، ومما يبرهن على عدم وجود النزعه الانفصاليه.. (مثلاً

ص: ٢١٤

١- (١) كان الأفغانى يرى أن الأتراك قد شذّوا عن القاعده، حين أعرضوا عن تعريبهم، كما تعربت قبلهم الدوله الأيوبيه، والمملوكيه والبويهيه وآل محمد على وغيرهم. وهنا سجل الأفغانى موقفه حينما أعرض السلطان عبد الحميد عن هذه الفكره بقوله: «لقد أهمل الأتراك أمراً عظيماً.. وهو اتخاذ اللسان العربى لساناً للدوله، ولو أن الدوله اتخذت اللسان العربى لساناً رسمياً، وسعت لتعريب الأتراك لكانت فى أمنع قوه.. ولكنها فعلت العكس، إذ فكرت فى تترك العرب. وما أسفها سياسه وأسقمه من رأى! أنها لو تعربت لانتفت من بين الأمتين النعره القوميه وزال النفور والانقسام، وصاروا أمه عربيه بكل ما فى اللسان من معنى، وفى الدين الإسلامى من عدل، وفى مسيره أفاضل العرب من أخلاق، وفى مكارمهم من عادات.. [إلى أن يقول] إننى أحن وأتأثر كلما فكرت بما ارتكبه من الخطأ من عدم قبولهم استبدال اللسان العربى، لسان الدين الطاهر، والأدب الباهر، وديوان الفضائل والمفاخر باللسان التركى.. ذلك اللسان الذى لو تجرد من الكلمات العربيه والفارسيه لكان أفقر لسان على وجه الأرض ولعجز عن القيام بحاجات أمه بدويه..». وعلى ما تقدم نفهم أن طموح الأفغانى، بل سعى المدرسه الإصلاحيه كان متوجهاً نحو تعريب الأتراك لا مجرد المساواه بين الأتراك والعرب. راجع، عماره، د. محمد: القوميه العربيه والإسلام، ص ١٥٥. وكذلك عماره، د. محمد: الأعمال الكامله لجمال الدين الأفغانى، القاهره دار الكتاب العربى للطباعه والنشر ١٩٦٨م، ص ٢٣٦-٢٣٧. وكذلك، عماره، د. محمد: الأعمال الكامله لعبد الرحمن الكواكبي، ط ٢ بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر ١٩٧٥. ص ٣٢٣.

يقول) الزعيم مصطفى كامل (١٨٧٤-١٩٠٨م، ١٣٩١-١٣٢٦هـ): «بالرغم من أن المصريين يعرفون وطناً واحداً وهو مصر، إلا أنهم بطبيعته الحال لا بد أن يؤيدوا دوله الخلافه» (١).

إن هذه المسأله مع وضوحها تصطدم بمحاوله اقتناص لفظى بما يخدم المشروع الانفصالى، وفى الحقيقه أن الاقتران أو التساوى بين الطرح الإسلامى الإصلاحى والطرح القومى العلمانى، له خطورته التاريخيه، حيث يحاول بعض الباحثين دمجهما فى مسارٍ واحد، ليضفى أصاله تاريخيه للطرح القومى، وكأن القوميه العربيه دين مقابل الإسلام!!، ومن هنا، أقول لأستاذى المرحوم الدكتور فياض (٢) ولأمثاله، إن هذا الاقتران وبهذه السذاجه يسىء إلى الإسلاميين التجديدين، بقدر ما يخدم تطلعات الاستعمار. وفى هذه الثغره، وجد بعض الباحثين القوميين ضالتهنم، فلكى يؤرخ للقوميه العربيه، بدايتها ويرسم حدود انطلاقته التاريخيه، حمّل الوقائع التاريخيه تفسيراً لا تطيقه الأحداث، كى يتخذ منها -موطأ قدم له - لتثبيت أوليات تحركه فى العراق. يقول الدكتور وميض: «خلق المصلحون معضله عويصه.. فهم مجّدوا الإسلام وفضحوا استبداديه وجود الحكم العثمانى، ومع ذلك فلقد دعوا إلى الحفاظ على (الإمبراطوريه) الإسلاميه العثمانيه، مثل هذا التناقض! سبب الكثير من العذاب الفكرى للمثقفين الذين قبلوا أو شاركوا بهذا التوجه، بمن فيهم المثقفون العراقيون. إن هذه الازدواجيه السياسيه تفسر أمرين: فعندما حلّت اللحظه الحاسمه فى عام ١٩١٤م، لم يكن المثقفون العرب مهئين لوضع خطه مشتركه

ص: ٢١٥

- ١- (١) الشابندر، غالب: التحولات الفكرية والسياسيه فى العراق خلال القرنين الأخيرين، مجله الفكر الجديد، السنه الأولى، العدد الأول، كانون الثانى ١٩٩٢م. رجب ١٤١٢هـ-، ص ١٨٨. وهى مجله فصليه تصدر عن دار الإسلام للدراسات والنشر فى لندن.
- ٢- (٢) الدكتور عبد الله فياض، أستاذ التاريخ الإسلامى فى جامعه بغداد - كلية الآداب وكذلك أستاذ التاريخ الإسلامى فى كلية الفقه بالنجف الأشرف. وقد تتلمذنا على يديه فى السنه الثالثه والرابعه. وهو صاحب كتاب الثوره العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠م، وله مؤلفات متعدده.

للعمل السياسي، بل وقعوا في انقسامات سياسيه واضطراب فكري. ومع ذلك فعندما طمس التناقض بين الإسلام والعروبه بفعل الاحتلال البريطاني، كان سهلاً على القوميين والإسلاميين العراقيين أن يوحدوا صفوفهم لمجابهه التحدي الجديد.. [يقدم مثلاً بقوله]: أن رشيد الذي مارس تأثيراً على العراقيين من خلال صحيفه (المنار) وحزب اللامركزيه والذي اعتبر خلال زيارته لبغداد عام ١٩١٢م، رائداً للقوميه العربيه! كان مثلاً واضحاً لهذا القلق الفكري، ففي عام ١٨٩٧م قال بصراحه: أن مستقبلنا يعتمد على رفض مبدأ القوميه الأوروي، وفي عام ١٩٠٠م حذر من تجزئه المسلمين إلى أجناس وأمم، وفي عام ١٩٠٤م.. قال: نريد وحده مع الأتراك ولكن على أساس العدل والمساواه.. وفي مقال (العرب والأتراك) وقف إلى جانب الشخصيه العربيه والثقافه العربيه.. إلا أنه أدان القوميين العرب في مصر والقوميين الأتراك على السواء، لأنهم يهددون الوحده الإسلاميه.. وفي ١٩١٣م كانت معظم صفحات (المنار) مكرسه لهجوم عنيف على الاتحاديين وسياستهم العنصريه..» (١). والحق أن هذا المثل لا يدل على صحه استنتاج الباحثين أمثال الدكتور وميض - لما قدمناه - والمسأله خاضعه لتطورات الحياه السياسيه، فالوحده مع الدوله الإسلاميه. كانت مطلباً مشروعاً قبل صعود الاتحاديين للحكم، وإنما يأتي التهجم على الاتحاديين لسياستهم العنصريه، وهو أمر مشروع - أيضاً - لا يناقض ما قبله، خاصه لو عرفنا أن الاتحاديين هم الذين اتبعوا السياسه العلمانيه والقوميه، وقد أشاعوها في البلاد وشجعوا روح الانفصال، فلا يفهم التناقض الذي يبنى - أمثال هؤلاء الباحثين القوميين - تنظيرهم عليه.

والآن - وحينما نحلل مهام الأطروحه نستوعب أهدافها بشكل اعتيادي، بعيداً عن التناقض المزعوم. وباختصار أن الإصلاحيين وجهوا انتقادات بناءً للحكم العثماني فقد طالبوا بالإصلاحات القانونيه والدستوريه، وهذه هي رساله مدرستهم - مبدئياً -

ص: ٢١٦

وبناءً على ذلك، تم توجيه الطاقات في ساعه الخطر لإنقاذ مصير الدوله من محاولات الغزو الاستعماري. فهل من الحكمة أن نعتبر هذا التوجه المتوازن نوعاً من التناقض؟!، وأن السقوط في حبال اللعبة الاستعماريه ومهما بلغ الثمن، وذلك لمجرد القضاء على الدوله العثمانيه (١) وتحقيق طموحات ذاتيه على حساب المبادئ الإسلاميه، هل نصف ذلك بالنضال والتقدميه؟. وإذا كانت المقاييس مقلوبه لدى بعض الباحثين، فأنا لا نستطيع أن نردها إلا، (بالحكمه والموعظه الحسنه)، في سبيل رفع الغشاوه عن عيون المتأثرين بهم. فالإصلاحيون الإسلاميون ينشدون الإصلاح الداخلي للدوله العثمانيه ويقفون إلى جانبها، باعتبارها التجربه الإسلاميه القائمه على الأرض، والتي تعتبر العقبه الكأداء أمام مشاريع السيطره الاستعماريه. وعليه فقد أولدت الأطروحه الإصلاحيه وعياً سياسياً وثقافياً متميزاً حتى في أوساط عموم الأمم، بينما بدأت الطبقة الطموحه بالتغيير تبحث عن أدوار سياسيه وإداريه مناسبه لها، ولما كانت الآفاق غير مفتوحه على مستوى الطموح الذي يرضيها آثرت أن تنادي - أحياناً - باستقلاله العرب واستقلال إداره العراق ضمن إطار الدوله العثمانيه. وكانّ الشاعر عبد المحسن الكاظمي (١٨٧٠-١٩٣٥م) يعبر عن حالتها، فقد نادى باستقلاله محدوده ضمن الدوله العثمانيه، ودافع عنها حينما تعرضت للتهديد خلال حربي البلقان وليبيا، محذراً من النوايا الخفيه للاستعمار الغربي، وانقلب ضد حركه الشريف (١٩١٦م، ١٣٣٤هـ-) بسبب تحالفها مع الإنكليز (٢).

ص: ٢١٧

- ١- (١) يقول الدكتور عبد العزيز نوار في كتابه (تاريخ العراق الحديث) ص ٤٦٢: «إن زعماء الحركه العربيه كانوا قد تفاهموا مع الإنكليز على إعلان الثوره ضد السلطان العثماني».
- ٢- (٢) نظمي، د. وميض: المرجع السابق، ص ٧٨. يذكر الدكتور فياض حول الشاعر الكاظمي لما وفد مصر أنه «استعان حزب الاتحاد السوري بشعره في بث مبادئه القوميه». راجع: فياض، عبد الله: المرجع السابق، ص ٧٩-٨٠. وللتفاصيل راجع: بطي، روفائيل، مقدمه ديوان الكاظمي، المطبوع بالقاهره سنه ١٩٤٨م، ص ٥.

يذهب أغلب الباحثين إلى أن الأطروحة الإصلاحية كانت في وقتها العلاج الأنسب لأزمة المسلمين - الدوله والقوميات المتعدده - وذلك لأنها كانت تمثل الحاله التوافقية بين الدوله العثمانيه وطموحات المعارضه الإسلاميه، وحقوق القوميه العربيه. فإن نهج المدرسه الإصلاحية «قدم أصح الصيغ الفكرية التي نفت التناقض بين العروبه والإسلام، وذلك عندما تصدّت إلى يقظه إسلاميه وتضامن إسلامي وحدود فكريه ونضاليه للمله الإسلاميه يقودها العرب.. فهذا التيار تبني مصطلح (القوميه الإسلاميه) انطلاقاً من مضمون مصطلحات (القوميه) و(الأمة) في تراثنا الحضاري، لا- من مضامين هذه المصطلحات في التراث القومي الأوروبي، وتلك قضيه يغفل عنها الكثيرون.. فجماعه المسلمين هم إذاً (القوميه) الإسلاميه، و(الأمة) الإسلاميه دون أن تعنى ذلك توافر قسامات الأمة أو القوميه - كما هو حالها في الفكر القومي الأوروبي - في جماعه المسلمين، ودون أن يعنى هذا الاستخدام لمصطلحات (القوميه الإسلاميه) و(الأمة الإسلاميه) إنكار تمايز العرب كقوميه وأمه في المحيط الإسلامى الكبير» (1). (ومعلوم للكافه أن الأفغانى و تيار (الجماعه الإسلاميه) إنما كان يناضل لتحرير هذه القوميات المسلمه من الاستبداد» (2)، «فالأفغانى ومحمد عبده وجدا في الإسلام الحقيقى حلاً لهذا الصراع» (3). فقد كان يرى محمد عبده، أن السبب الرئيس في انحطاط المسلمين يعود إلى عاملين هما: جمود الفكر وتحوله على أيدي المشايخ إلى ثقافه سلبيه راكمه لا حياه فيها ولا طعم، وكذلك ضعف مستوى الوعي والفهم الصحيح للإسلام، وكان يرى الحل

ص: ٢١٨

-
- ١- (١) عماره، د. محمد: القوميه العربيه والإسلام، مرجع سابق، ص ١٥١.
 - ٢- (٢) المرجع ذاته، ص ١٥٢. للمزيد من الإطلاع راجع: عماره، د. محمد: الأعمال الكامله لجمال الدين الأفغانى، مرجع سابق، ص ٢٣٢. وكذلك، عماره، د. محمد: الأعمال الكامله لعبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق ص ٣٢٣.
 - ٣- (٣) عماره، د. محمد: القوميه العربيه والإسلام، المرجع ذاته، ص ٦٩.

فى خطوتين مهمتين الأولى: تجديد الفكر الإسلامى وإحياء التراث الأصيل، وبالفعل قام بشرح (نهج البلاغه) للإمام على عليه السلام، وكتاب البصائر النصيرية فى المنطق. والثانية: هى نقل الثقافه الإسلاميه الأصيله والصابيه إلى الناس عبر أساليب تربويه مشروعه، لذلك نادى بإصلاح الأزهر ليصبح قادراً على أداء المهام الإسلاميه المطلوبه. إذن كان المصلحون فى هذه المهمه التجديديه يعيشون تحديات حقيقه، وبالفعل «..إنهم رفضوا كلاً- من السلفيه اللامنطقيه وكذلك التقليد الأعمى للغرب ولقد أحيوا بعض القيم الإسلاميه التى كانت ضروريه جداً للحياه فى العالم الحديث، مثل الفاعليه واستخدام العقل البشرى بمزيد من الحره، والسعى إلى تحقيق القوه السياسيه والعسكريه وعن طريق البحث عن هذه القيم فى التقاليد بدلاً من الاستعاره المباشره من الغرب» (١).

أما بالنسبه للملاحظات النقديه على الأطروحه الإصلاحيه فيمكن القول أنها عاشت الهَمَّ الإقليمى والوطنى والقومى - أحياناً - وذلك لظروف موضوعيه وذاتيه ضاغظه - أكثر من الهَمَّ الإسلامى العام، ومن هنا أُدخل - فيما بعد - المصلح الإسلامى العالم الشاعر محمد سعيد الجوبى، ضمن تصنيف القوميين العرب، والأخوان محمد رضا ومحمد باقر الشيبى وكذلك على الشرقى وجعفر أبو التَّمن (٢). إن هذا التصنيف غير دقيق - فى نظرنا - لما قدمناه، فمن الصعوبه بمكان أن نفهم لتلك المرحله فى العراق توجهات قوميه علمانيه بحثه على الطريقه الأوروبيه فى التحرك القومى. ومثل آخر على توجهات بعض الباحثين التى تبدو من المتشابهات غير النافعه للبحث العلمى ما نلاحظه لدى الأستاذ الوردى، فانه حينما يتناول رؤاد التجديد والإصلاح يقدم نموذجين: أحدهما: الشاعر جميل صدقى الزهاوى فى بغداد (١٨٦٣-١٩٣٦م)، والآخر: العالم المصلح السيد هبه الدين الشهرستانى فى النجف (١٨٨٤-).

ص: ٢١٩

١- (١) المرجع ذاته، ص ٧٠.

٢- (٢) نظمى، د. وميض: المرجع السابق، ص ٨٧.

١٩٦٧م)، ويعلل اختلافهما بسبب اختلاف البيئه الاجتماعيه والفكريه بين بغداد والنجف، فيقول: «كان كل من الزهاوى والشهرستاني يسير في تجديده الفكرى على طريقه ثلاثم البيئه الاجتماعيه التى عاش فيها، فالزهاوى كان شديد الإعجاب بالعلوم الحديثه، ويريد من الدين أن يلحق بها ويتفق معها. أما الشهرستاني فكان على النقيض من ذلك، شديد التمسك بالدين ويريد من العلوم الحديثه أن تلحق به وتواكبه وتتفق معه، ولهذا رأيناه فى جميع كتبه ومقالاته يحاول أن يبرهن للقراء أن الدين الإسلامى قد سبق العلوم الحديثه بنظرياته، وأن تلك العلوم لم تأت بما يناقض الإسلام أبداً، أما إذا ظهر بينهما شىء من التناقض فمرّد ذلك إلى سوء الفهم وقلة الإطلاع» (١). بينما النظره التقويميه للمنهجين تدعونا إلى أن نعالج الموضوع بدقه أكثر، فهناك فرق جوهري بين المنهجين، إلا أن منهج الاسترخاء لدى الأستاذ الوردى يجعله ينظر بضبابيه قاتله للظواهر، فلا يقترب إلى العمق كى يضبط نبض المنطلقين الفكريين، فمن الظلم أن نعتد الزهاوى كظاهرة تمثل البيئه البغداديه، كما أنه من الظلم أن نعتبر الشهرستاني ظاهره عامه فى النجف، فمن المفروض أن نجعل للبيئه العامه دوراً محدّداً، والمسأله تعود إلى درجه الإيمان بالإسلام ونوعيه الإيمان أيضاً، فمنهم من ينظر إلى الإسلام نظره هامشيه، تسلبه قدره استيعاب التطور العلمى فيستسلم أمام البريق الغربى، ومنهم من يدعو الأمه للمزيد من الوعى الإسلامى الذى تكمن فيه أسرار القوه والتقدم. فالأستاذ لا يفرّق كثيراً بين المنهجين المتناقضين، والمهم لديه النمو والقفزه سواء تم ذلك فى منحى البناء الإيجابى لحياه المسلمين، أو فى منحى الهدم السلبى فى حياتهم، وهذا الأمر إن دلّ على شىء فإنه يدل على ضعف الرساله الهادفه للأستاذ الوردى، ومن هنا يقول: «فى عام ١٩١٠م، نادى الزهاوى بتحرير المرأه ورفع الحجاب عنها.. [ويوجه منهجيه الزهاوى بقوله].. فالزهاوى يريد أن يقفز بالمجتمع

ص: ٢٢٠

١- (١) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه، مرجع سابق، الجزء الثالث، بالمقدمه، ص ١١.

العراقي إلى الحياه الحديثه دون مبالاه بالدين والتقاليد، بينما كان الشهرستاني يريد عوده المجتمع إلى حضيره الدين بعد تنقيته من الأدران التي لحقت به في العهود المتأخره» (١). وشتان بين التوجهين، توجه الزهاوى الذى يصب نحو تفكيك أواصر المجتمع ياشاعه الفساد والميوعة وبالتالي تحقيق الأهداف الاستعماريه، وتوجه الشهرستاني الداعى إلى الأصالة الإسلاميه من ناحيه، وإلى التماسك والوحده لمقاومه المستعمرين من ناحيه أخرى. لذلك لا نستبعد من طريقته لمعالجه الموضوع، على النتيجة التي يترنم عليها. وذلك لوصول المجتمع إليها، حيث يقول: «نجحت دعوه الزهاوى أخيراً، بينما أخفقت دعوه الشهرستاني.. ما نلاحظه في أبناء الجيل الجديد، إذ هم تركوا الدين وراء ظهورهم» (٢).

وهنا، لا يسعنا إلا أن نؤكد على أن هذا الرأى غير طبيعى يصدر من (أستاذ متمرس) (٣)، فالدنيا لم تنته بتكالب أعداء الإسلام على الأمة الإسلاميه فى حين غفله من المصلحين الواعين، والحال إن للإسلاميين الهادفين جولات وصولات ستشهد الهزيمة فيها لدعاه التفكك السلوكى، فالمعركة لم تنته فصولها بعد، ولن تنته.

نعم، إن المؤاخذات على الأطروحه الإصلاحيه، تتمركز حول فكره مفادها، أنها ترميميه فى المبادره الإصلاحيه، وليست كليه شامله، فكانت تبدو فى بعض أفكارها ورؤاها السياسيه، غير متكامله، وربما متضاربه، والواقع أنها كانت أسيره الظروف المحيطه بها فمن خلال قاعده تقديم الأهم قبل المهم اختلطت الرؤيه أمام الإصلاحيين ما بين المصلحه الإسلاميه العامه وبين التوجهات المرحليه الخاصه. فكانت «الأفكار التي اتخذها رجال المدرسه الإصلاحيه مستوحاه من الظروف التي يعيشونها، ومستلهمه من معاناه الأمة يومذاك، وإذا لاحظنا أن هناك نقصاً فى هذه الأفكار فإن هذه الملاحظه ناتجه من الموقف

ص: ٢٢١

١- (١) المرجع ذاته، ص ١١.

٢- (٢) المرجع نفسه، ص ١١.

٣- (٣) هكذا مكتوب تحت اسمه، على غلاف كتابه الموسوعى (لمحات اجتماعيه).

ومع هذا يمكن القول، أن غياب الصيغه الواضحه لتحرك الإسلاميين على المستوى السياسى بالتحديد فى تلك المرحله (١٩٠٨-١٩١٤ م، ١٣٢٤-١٣٣٢هـ-)، وعدم تبلور الأطروحه الإصلاحيه منذ بدايتها عملياً، بل وسياده الحاله النقديه فى الشارع العراقى للتجربه الإسلاميه القائمه، المتمثله بالدوله العثمانيه، كل ذلك وفرّ مناخاً خاصاً لدى بعض المفكرين والمثقفين والشعراء على السلوك المتأرجح بين التوجه العلمانى والتوجه الإصلاحى الإسلامى، فى حين كان التوجه العلمانى يستمد قوته من مثله الأعلى المتجسد بالتطور العلمى و(التكنولوجيا) فى الغرب، بينما كان الإصلاحيون الإسلاميون يشتركون مع التوجهات القوميه والعلمانيه فى نقطه النقد ويختلفون معهم فى تفاصيلها وطرق معالجتها، فكان الإصلاحيون الإسلاميون يطالبون بالإصلاحات الدستوريه للنظام القائم فى تلك المرحله، كما كانوا يستمدون قوتهم من تاريخ المسلمين الأوائل.

وهنا لابد من الإشاره إلى أن الشعراء بشكل عام، تتحكم فى أحاسيسهم المرهفه أوضاع الساحة والانعكاسات السياسيه التفصيليه، وربما الاصطدامات الشخصيه ببعض الوقائع الخاصه، فلا يمكن الاعتماد عليها مطلقاً فى التوجه الفكرى. وللتوضيح نذكر، الشاعر معروف الرصافى (١٨٧٥-١٩٤٥م) كمثال على هذه الحقيقه، فهو يذهب مره إلى أن الدين ليس هو الوحي الإلهى المنزل، بل هو ابتداء من عقلاء ودهاه البشر يقول:

ولست من الذين يرون خيراً بإبقاء الحقيقه فى الخفاء

ولا ممن يرى الأديان قامت بوحي، منزلٍ للأنبياء

ولكن هُنَّ وضعٌ وابتداءٌ من العقلاء أرباب الدهاء (٢)

ص: ٢٢٢

١- (١) الموسوى، محسن: آفاق المستقبل فى العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص ٢٢.

٢- (٢) شراره، عبد اللطيف: الرصافى دراسه تحليليه، من سلسله شعراؤنا رقم ٢، طبع بيروت (غير مؤرخ) ص ٢٠.

وعلى ضوء فكره هذه الآيات وأمثالها للشاعر الرصافي يمكننا التنبيه إلى خطوره عقيدته القائمه على الجحود والنكران لله تعالى وللوحى والرسالات الإلهيه المنزله على الأنبياء لهدايه البشر، ومن هنا لا نستغرب من دعوته إلى نفس قيم الإيمان والالتزام السلوكى. ولكن مع ذلك نراه يمتدح الإسلام والمسلمين الأوائل بقوله:

يقولون فى الإسلام ظلماً بأنه يصدُّ ذويه عن طريق التقدمِ

فإن كان ذا حقاً فكيف تقدّمت أوائله فى عهدهما المتقدّم؟

وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل مسلم (1)

وفى عام (١٩١٤م، ١٣٣٢هـ-) دعا الرصافي إلى الجهاد دفاعاً عن الوطن. إذن، وبغض النظر عن تحولات وتقلبات عواطف الشعراء، فهم كما يصفهم القرآن الكريم فى الآيه المباركه:

وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .. ٢.

مع كل ذلك، أثرت الأطروحه الإصلاحيه تأثيراً بالغاً على الساحة العراقيه وجعلت الإسلاميين فى موقع المسؤوليّه، والذى يمكن أن نستنتجه من أحداث تلك المرحله، هو أن التغيير أو التجديد أو الإصلاح لابد أن يكون نابعاً من صميم وعى الأمه، مراعيّاً ظروفها الذاتيه والموضوعيه، بعيداً كل البعد عن التأثيرات الأجنبيّه، فالاستقلال الثقافى التام فى المجتمع الإسلامى يمنح الأطروحه فرص النجاح على المستوى الفكرى والسياسى، ويوفر للإسلاميين قدره المواكبه للتطورات العلميه، والاستيعاب للمتغيرات الطارئه على الساحة السياسيه، بل القدره على قيادتها وتوجيهها إسلامياً.

ص: ٢٢٣

إشاره

صحيح أن تبلور الوعي في الساحة العراقية - في مرحله موضوع البحث - يعود غالباً لعوامل انعكاس التطورات السياسيه والثقافيه التي حصلت في إيران وتركيا. وصحيح أيضاً أن الإسلاميين الإصلاحيين تركوا آثارهم التجديديه على العراق. ولكن من الصحيح - كذلك - أن نجعل للخصوصيه العراقيه، من الناحيه الثقافيه والتراثيه، والتقاليد والعادات، مكانه مهمه، وذلك لأنها كانت تتميز بقدرات وقابليات خاصه مكنتها من التعاطي مع التيارات القادمه من الخارج والمنعكسه على ساحتها، سواء أكان التعاطي بالتفاعل الإيجابي أم على مستوى الرد السلبي. وبذلك أفرزت الساحة العراقيه وعياً له خصوصيته، كما أفرزت العديد من القاده الإصلاحيين والحركيين، فسجلت حضوراً فاعلاً في توجيه وقياده أحداث الساحة الداخليه، بل وتجاوزت - أحياناً - إقليمها الخاص لتتحمّل هموم الساحة الإسلاميه العامه. وكانت الصداره ظاهرهً بوضوح لدى علماء المسلمين الشيعه، فقد «شكل المسلمون الشيعه وعبر التفاعل مع خصائص الجماعات الأخرى، تاريخهم وتكوينهم الثقافى والتراثى المتميز على قاعده المبادئ الإسلاميه، وعقائد الشيعه الإماميه، وقد حمل هذا التكوين أيضاً بعض الخصائص التي تمايزوا بها من الشيعه في بلدان العالم الإسلامى الأخرى. فثمه خصائص نجمت عن وجود المدن والعتبات

المقدسه، وعن وجود مقر المرجعيه العليا للمسلمين الشيعه في العالم. فالقيمه المعنويه التي حملتها هذه العوامل لشيعه العراق تمثلت فيما تعنيه هذه الرموز، من حضور يومي في الضمير الشيعي، والتي تزيد من تماسكهم وتنمي الشعور لديهم بأنهم أكثر من غيرهم حراس وسدانه العتبات المقدسه، والأكثر تبركاً بها، وبأنهم كذلك الحاضنون للمركز القيادي للشيعه الإماميه، والحافظون لعقائدها وتراثها.. وثمه خصائص أخرى أنتجت عن السمه القبليه الغالبه التي أتسم بها التركيب الاجتماعى لشيعه العراق. حيث شكّلت العشائر النسبه الأ-كبر في هذا التركيب» (١). فإذن هنالك تنام ذاتى فى وعى المجتمع العراقى، له خصوصيته الذاتيه، ولما كانت لغه التفاهم ضعيفه ما بين المجتمع بكل طبقاته وبين السلطه الإداريه، تركزت حاله النمو الداخلى باتجاه توطيد العلاقه بين القيادة الدينيه وبين القاعده الشعبيه، فبات اللجوء إلى ظل المرجعيه الدينيه الشيعيه، يضمن الحقوق والواجبات الدينيه والسياسيه ضمن الإطار الشرعى، كما أن اللجوء إلى ظل العشيره يحفظ الحقوق الشخصيه والاجتماعيه للفرد والجماعه معاً. وعليه فقد تعمق الولاء للزعامه الدينيه فى النجف وكربلاء، كما كرس حضور القيادة المرجعيه فى الأوساط الشعبيه، فتلاحمت القواعد الاجتماعيه والثقافيه مع القيادة المرجعيه، وبذلك برزت الطائفه بثقافتها وممارساتها ومواقفها السياسيه كجماعه متميزه عن غيرها، لها أهميتها وقوتها على الساحه العراقيه، فمن وراء المجتهد القائد، هنالك العمق الشعبى الكبير فى العشائر والمدن. وبمعنى آخر، توافر العالم المجتهد وهو رجل القرار المطاع من قبل شعبٍ شجاع، منضبط أمام قرارات وفتاوى القائد المجتهد، الذى يفكر بوعى وبصيره لإنقاذ شعبه وبلاده. ومما لا يخفى على الباحثين استمرار العلاقه غير الطبيعيه بين الدوله العثمانيه والشيعه على المستوى السياسى والإدارى فضلاً عن القضيه الشرعيه وهى الأهم، حيث كان السائد عدم الاعتراف

ص: ٢٢٥

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: تاريخ الحركه الإسلاميه فى العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخى، ص ١٠٥.

المتبادل بين الطرفين، فلا السلطات العثمانية شرعية بالمعنى الدقيق في نظر علماء الشيعة، ولا المذهب الشيعي معترف به من قبل العثمانيين أسوة بالمذاهب الإسلامية الأخرى. ولا بد أن نشير إلى أن للسيد جمال الدين والمدرسة الإصلاحية محاولات جادة للتقريب بين السلطنة العثمانية والمرجع الشيعي بما يحقق المصلحة العامة للعباد والبلاد.

أثر حركتي الدستور، الإيرانية والتركية

إن حركة المطالبة بالدستور (المشروطية) (1) في إيران خلال (١٩٠٥-١٩٠٦م)، أظهرت تيارين متعارضين بين علماء المسلمين الشيعة، هما: التيار المنادي بالدستور المقيّد لسلطة الحاكم، يقابله التيار المؤيد للحاكم بسلطته المطلقة. وكان محور الأزمه بين التيارين ينطلق من اختلاف وجهات نظر العلماء المجتهدين اتجاه طريقه الحكم، فهل تتطابق النظرية القائمه - حيث الحكم المطلق للسلطان - مع الشريعة الإسلامية، وتحقق مصالح المسلمين، أو الحكم الدستوري النيابي حيث يتقيد الحاكم بالقوانين؟ واشتد الخلاف بين أنصار الاتجاهين حتى صار «البحث والجدل بين العلماء والأدباء والطلبة والشعب في النجف نهايه في العنف والقسوه، وتمخض الجدل فأولد الانقسام إلى طبقتين: أحرار ومستبدين، ولكن الأكثرية من المجتهدين أفتوا بالحرية وبوجوب

ص: ٢٢٦

١- (١) «المشروطية هي حركة المطالبة بالدستور التي ظهرت في تركيا وإيران، وهي إنما سميت بهذا الاسم لأن القائمين بها اعتبروا مواد الدستور بمثابة (الشروط) التي يجب أن يتقيد بها الملك في حكم رعيته». الوردى، على: المرجع السابق، ص ١٠٣. لمعرفة التفاصيل حول حركة الدستور الإيرانية - جذورها وآثارها - راجع الوردى، المرجع ذاته، الفصل الرابع: المشروطية الإيرانية وأثرها في العراق ص ١٠٣-١٢٧. ويذكر السيد شبر بعض المراجع باللغة الفارسية منها: ١- ملك زاده، مهدي: (تاريخ انقلاب مشروطيت إيران)، ٦ مجلدات، طبع طهران ١٣٣٠-١٣٣٠-١٣٣٠، كفاي، عبد الحسين مجيد: حركتي در نور، زندكاني آخوند خراساني، طهران. أما حول حركة الدستور التركية، أحداثها وتفصيلها راجع: Birae: JK. Aguideto Turkish Area Study. Washngton, ١٩٤٩.

الأخذ بنظريه الملكيه المشروطه بالدستور و(الديمقراطيه)» (١).

يقول د. عبد الله فياض: «لقد ساهم الإيرانيون بما فيهم بعض العلماء الساكنون في العتبات المقدسه العراقيه، بحركه بلادهم الدستوريه. فكان لوجودهم بين طهرانينا أثر مهم في تنبيه العراقيين وخاصه سكان الأماكن المقدسه منهم، لأضرار الاستبداد ولأهميه الحكم الدستوري في حياه السكان. ومع هذا فان تأثير عامه الإيرانيين محدود. ولكن تأييد العلماء ذوى الكلمه العليا في حياه معظم العراقيين والإيرانيين في ذلك العهد للحركه الدستوريه، أكسبها قوهً وقبولاً، لا في الأوساط الإيرانيه فحسب، بل في الأوساط العراقيه أيضاً. وكان النجف الأشرف مركز هذه الحركه» (٢). وشهدت الساحه العراقيه تفاعلات متعدده مع فتاوى العلماء التي ورّعت بكتافه بين الناس «وعمّ النقاش والجدل معظم أنحاء العراق بين مقلدى أولئك المجتهدين، فكانت مدرسه شعبيه كبرى استعرضت جميع النظريات في شكل الحكم وأنتجت وعياً عاماً في العراق» (٣). ولم يكن الجدل محصوراً بين علماء الشيعه ومقلديهم فحسب، وإنما «أخذ السُّنه العراقيون بدورهم يشتركون في الجدل وينقسمون حول المسأله.. ووجد الدستوريون العراقيون سواء كانوا شيعه أم سنه، قضيه مشتركه يدافعون عنها» (٤). وعليه، فإن الدستوريين في تبيّهم للمشروطيه، وحرکتهم نحوها، توجوا أطروحه الإسلاميين الإصلاحيه سياسياً، فتركوا آثاراً ملحوظة على المستوى الثقافى والاجتماعى في الساحه العراقيه، حيث «كانوا يدعون إلى تأسيس المدارس الحديثه، وتعلم اللغات والعلوم الأوروبيه، ومطالعه

ص: ٢٢٧

١- (١) كمال الدين، محمد على: التطور الفكرى في العراق، بغداد ١٩٦٠م، ص ٢٣.

٢- (٢) فياض، د. عبد الله: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ١٣٤.

٣- (٣) كمال الدين: محمد على، المرجع السابق، ص ٢٧.

٤- (٤) نظمي، وميض: شيعه العراق وقضيه القوميه العريه: الدور التاريخى قبل الاستقلال، الفصل السابع من كتاب (دراسات في القوميه العريه والوحده). إصدار مركز دراسات الوحده العريه، سلسله كتب المستقبل العربى (٥)، طبع بيروت ط ١، ١٩٨٤م، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ١٨٨.

الجرائد والمجلات» (١). وهكذا «شكّل قيام الثورة الدستورية (المشروطه) الأولى في إيران (١٩٠٥-١٩٠٦م) المظهر السياسي الأول لنشوء الحركة الإسلامية في العراق، ولا يعود السبب في ذلك إلى انعكاس أحداثها وتأثيرها بشكل واسع على الرأي العام في معظم مناطق العراق، ولا سيما المدن والمناطق الشيعية فحسب، وإنما أيضاً دور علماء النجف في الإعداد لهذه الثورة وقيادتها» (٢). وقد تمت صياغة الدستور من قبل لجنة خاصة انبثقت من المجلس الذي افتتح بطهران في ٧ تشرين الأول من عام ١٩٠٦م، وقد حضر مظفر الدين - ملك إيران - حفله الافتتاح، وقد نص الدستور على:

«المادة الأولى: الدين الرسمي للدولة هو المذهب الجعفري الاثنى عشرى الحق من الإسلام..»

المادة الثانية: إن المجلس.. لا يجوز له أبداً أن يسنّ أى قانون مناقض لشرائع الإسلام المقدسه.. فالواجب رسمياً.. أن تكون فيه لجنة مؤلفة من خمسة أشخاص هم من المجتهدين الفقهاء والعارفين أيضاً لحاجات العصر ومقتضياته..» (٣). وكان محور الحركة هو الإمام الشيخ محمد كاظم الخراساني (الآخوند)، المتوفى سنة (١٣٢٩هـ-١٩١١م)، الذي أقرّ بنود مجلس الشورى في إيران وقد أصدر جواباً على الاستفتاء الذى قُدم إليه، بفتوى صريحه جاء فيها: «..إن الإقدام على مقاومه المجلس العالى، بمنزله الإقدام على مقاومه أحكام الدين الحنيف..». ومما يذكر أن توقيع

ص: ٢٢٨

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٢٥.

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ١٤٤. يذكر فى الهامش، أن الإمام الخمينى أشار فى الخطاب الذى ألقاه فى النجف إثر اغتيال نجله (مصطفى) عام ١٣٩٧هـ، أنه أشاد بالحركة الدستورية التى وجهت ضد الدكتاتوريه، أنها بدأت من علماء النجف ومن وحي فكرهم المستقل. أنظر: مغنيه، أحمد: الخمينى أقواله وأفعاله، المكتبة الحديثه، بيروت ١٩٧٩م، ط ٢، ص ١٠٧.

٣- (٣) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه.. المرجع السابق، ص ٥٧-٥٨.

الخراساني كان بتوكيل وقرار من المجتهدين الأعلام عدا السيد كاظم اليزدي (١). وعلى ضوء بنود الدستور برزت أهميه العلماء المجتهدين، وعلى رأسهم المرجع الأعلى كحماء واقعيين للدستور، وخاصة في المادة التي يتم فيها تعطيل شرعيه القوانين إلا بموافقه مجلس الفقهاء المشرف على سن القوانين.

وقد بلغ الصراع أوجه بين أنصار المشروطيه بزعامه الشيخ كاظم الخراساني، وأنصار المستبده بزعامه السيد كاظم اليزدي (٢). وكان الدستوريون ينشرون أفكارهم وخطبهم في مجلتي فارسيتين هما: (دره النجف) و(حبل المتين)، بينما كانت الصحف

ص: ٢٢٩

١- (١) نص الاستفتاء والجواب الكامل تجده لدى: كمال الدين، محمد علي: المرجع السابق ص ٢٣-٢٤. وقد أورد - كمال الدين - قائمه بأسماء المجتهدين المؤيدين للشيخ كاظم الخراساني، منهم: الشيخ محمد تقى الشيرازي، الشيخ عبد الله المازندراني، ميرزا حسين الشيخ خليل، شيخ الشريعة الأصفهاني، السيد مصطفى الكاشاني وغيرهم، تجد تراجم معظمهم في: الأمين، أعيان الشيعة، مرجع سابق، كذلك محبوبه، جعفر: ماضي النجف وحاضرها ج ١، مرجع سابق. والجدير بالذكر إن ملك إيران - آنذاك - (محمد شاه القاجاري) الذي خالف العلماء المطالبين بإقرار الدستور المشروط، اضطرت بالموافقه على الدستور وإعلانه، «وقد تضمن الدستور في مادته الثانيه نصاً يلزم موافقه وتصديق خمسه من المجتهدين الذين يختارهم مرجع التقليد الإسلامي لأى قانون يصدر في مجلس النواب». آل ضياء الدين، السيد ضياء: المرجعيه العامله، دراسه تحليليه لحياه المرجع الديني الأعلى.. السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني، كتاب مخطوط ص ٣٩. نسخه كامله مصوره عنه موجوده في مكتبه الحوزه العلميه الزينيه بدمشق - السيده زينب (عليها السلام).

٢- (٢) ولد المرجع الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي في إحدى قرى يزد بإيران سنه ١٢٤٧هـ، وتوفي في النجف في ٢٨/ رجب/ ١٣٣٧هـ - ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قرأ المبادئ في يزد ثم اصفهان ثم النجف الأشرف حيث أخذ من كبار الفقهاء. من أهم مصنفاته (العروه الوثقى) رساله وافية في الفقه الإسلامي. أما من الناحيه السياسيه فهو لم يؤيد المشروطيه أى الحركه الدستوريه، على العكس من الشيخ الآخوند الخراساني. أصبح المرجع الأعلى بعد وفاه الميرزا حسن الشيرازي إلى جانب الفقهاء الآخرين. الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة، المرجع السابق، المجلد العاشر، ص ٤٣.

العراقية حاضره بتفاعل مع أحداث إيران، مثل جريده (الرقيب) البغدادي، فقد كانت تنشر أخبار أحرار إيران تحت عنوان (حوادث إيران)، كما وكانت تنشر مراسلاتهم إلى علماء النجف وأجوبه العلماء إليهم (١). فقد نشرت في عددها رقم ١١ من السنه الأولى مقالاً تحت عنوان (ما كربلاء؟ وما بغداد؟) جاء فيه: «إن السيد أكبر شاه الإيراني - المعين لحزب الاستبداد - الذي كان مبعداً من إيران وجاء للعتبات الشريفه، وسكن كربلاء، وبناءً على خطبه ووعظه ضد المشروطيه.. أُخرج من كربلاء.. وجاء إلى الكاظميه.. ولا ندري هل ما لا يجوز التفوه به في كربلاء، يجوز إعلانه في الكاظميه؟» (٢). وقد أخذ الصراع طابعاً شعبياً، فانقسم المجتمع إلى فريقين متصارعين، فريق يؤيد المشروطيه وفريق يعارضها، يذكر السيد هبه الدين الشهرستاني، بأن نشاطات (هيئه العلماء) المؤيده للمشروطيه كانت تعقد سراً في سراديب النجف، في اجتماعات سرّيه، خشيه العوام من أنصار السيد اليزدي، وكان ذلك أيام الشاه محمد علي بن مظفر الدين، لأنه كان معارضاً للحركه الدستوريه تلك، وازداد الصراع بين الفريقين بعد المعاهده الروسيه - البريطانيه في آب ١٩٠٧م، جمادى الثانيه ١٣٢٥هـ، ففي هذه المعاهده اقتسمت الدولتان النفوذ في إيران حيث حصلت روسيا على القسم الشمالي. بينما حصلت بريطانيا على القسم الجنوبي. فكانت ضربه قاسيه لأنصار المشروطيه، فتمادى الشاه في نزعه الاستبداديه، فأعلن الأحكام العرفيه وأنهى دور المجلس النيابي الدستوري عملياً في حزيران ١٩٠٨م، جمادى الأولى ١٣٢٦هـ، فانطلقت المظاهرات وتتابعت الاحتجاجات حتى انتصرت المشروطيه في حزيران ١٩٠٩م جمادى

ص: ٢٣٠

١- (١) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ١٣٨. ويضيف بعض الباحثين، صدور مجلتين أخرتين في النجف بالفارسيه وهما: مجله (الغرى) أسسها الشيخ أغا محمد المحلّاتي، وجريده (نجف) أسسها السيد مسلم زوين. راجع: الأسدي حسن: مرجع سابق، ص ٤٠.

٢- (٢) جريده (الرقيب) البغداديه العدد (١١)، السنه الأولى، ١٤ ربيع الأول سنه ١٣٢٧هـ، ٥ نيسان ١٩٠٩م.

«إن أخطر نقطه وصلت إليها الأحداث (وانعكست بوضوح في الأوساط العراقية) هي محاولات اغتيال كبار العلماء، فقد تعرض الشيخ فضل الله نوري في طهران إلى محاوله اغتيال من قبل رجل من أنصار المشروطيه. حيث أطلق عليه النار لكن الشيخ نجا من المحاوله، كما حاول محمد علي شاه اغتيال الشيخ الخراساني (في النجف) حيث أرسل إليه دواء لعينه، وكان الشيخ يشكو من مرض فيها، غير أن والده الشاه كانت من مقلديه، أرسلت إليه تحذره من الدواء. كما كاد أن يتعرض السيد اليزدي لمحاوله اغتيال وسط الأجواء المضطربه لتلك الفتره، أُشيع ذات يوم أن السيد اليزدي سيتعرض إلى اعتداء..» (٢).

وكانت الصحف المحليه تلعب دورها في تبيان الأحداث. يقول السيد هبه الدين الشهرستاني: «وكانت جريده (حبل المتين) تأخذ هذه الأخبار وتنشرها بصورة مكبره ضد السيد اليزدي وجماعته..» (٣). وهكذا «لقد كان لحركه المشروطه تأثير كبير على المجتمع العراقي، حيث أن الاهتمام بها لم يكن في مناطق العتبات المقدسه فقط، بل أن بغداد أيضاً كانت تتابع عبر صحافتها وباهتمام ملحوظ أحداث الحركه [كما يتنا أنفاً]، وكان أكبر صدقيه لتأثير الشعب العراقي بأحداث المشروطه، استجابته العشائر العراقيه وسكان العديد من المدن لفتوى الجهاد التي أصدرها الخراساني» (٤). وذلك لمقاومه القوات الروسيه الغازيه لإيران، وقد استجابت لهذه الدعوه مدن النجف و كربلاء والكاظميه وبغداد وغيرها من مدن العراق، وقد خرجت العشائر العراقيه من أطراف

ص: ٢٣١

١- (١) الوردى، على: المرجع السابق، ص ١١٢-١١٥.

٢- (٢) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٣.

٣- (٣) المرجع ذاته، ص ٨٤.

٤- (٤) شبر، حسن: المرجع ذاته، ص ١٠٣.

الكاظميه، إلا- أن الذي أوقف المسيره الجهاديه الزاحفه هو دخول أنصار المشروطيه إلى طهران في ١٢/تموز ١٩٠٩م، ٢٤/جمادى الثانيه ١٣٢٧هـ-، وقد خلعوا محمد على شاه الذي لاذ بالسفاره الروسيه، وتمّ انسحاب القوات الروسيه من إيران. إن مسأله استجابته العشائر العراقيه وأبناء مدن العراق لفتوى الخراساني بالتحرك والجهاد ضد الاحتلال الروسي وضد محمد على شاه «هى مسأله ذات دلالات كبيره لأنها أثبتت قوه الارتباط المبدئي للأمه في العراق، بموقف المرجعيه الدينيه وتجاوزها للمسأله الإقليميه والقوميه بشكل واضح وهو موقف يكشف عن عمق في الوعي الإسلامى» (١). وبالرغم من هذا التفاعل الإيجابى مع تحرك المجتهدين، إلا- أن المجتمع العراقى كان منقسماً إلى قسمين تبعاً لانقسام العلماء في النجف الأشرف، - وكما قلنا قبل قليل - إن الصراع أخذ طابعاً جدلياً شعبياً ظهر في الأسواق والشوارع إلى جانب صراع الطبقات المثقفه وعلماء الدين. فكانت «المناظرات المفتوحه والمناقشات الصريحه في الجوامع والمدارس في النجف وغيرها أولدت وعياً عاماً في العراق.. وبذلك بدأ الوعي السياسى والممارسه السياسيه يحلّان محل السلبيه السياسيه.. ولم يكن هذا الجدل محصوراً بين أوساط المثقفين الضيقه، بل امتد إلى أقسام أوسع من السكان وخلق انقساماً حول المسأله» (٢). وللطريفه ننقل ما ذكره الدكتور الوردى من بعض السلوكيات المحليه التى كانت شائعه آنذاك، والتى كانت تعكس حاله الصراع المحتمله بين أنصار المشروطيه وأنصار المستبده حيث يقول: «حدّثنى الكتبى النجفى عبد الحميد زاهد: إنه كان فى تلك الأيام صبيّاً مع أقرانه فى الأزقه، فكان الصبيان عند اللعب يقسمون أنفسهم إلى فى فريقين: مستبده ومشروطه، ثم تنشب المعارك بينهم تقليداً لما يقع بين الكبار، و[يضيف] من النوادر الأديه التى تروى، عن تلك الفتره أن أحد علماء الكاظميه وهو

ص: ٢٣٢

١- (١) المرجع ذاته، ص ١٠٣-١٠٤.

٢- (٢) نظمى، د. وميض: شيعه العراق وقضيه القوميه، المرجع السابق، ص ١٨٩.

السيد محمد مهدي الصدر نظم بيتين من الشعر في ذم الاستبداديين، فانبرى الشيخ عبد الحسين الاسدي يردّ عليه حيث قام بتشطير البيتين مما أدى إلى قلب معناه إلى النقيض منه. ننقل فيما يلي البيتين مع تشطيرهما وقد وضعنا التشطير بين قوسين تمييزاً له عن الأصل:

المستبدون قد تاهوا بغيئهم لم يجعل الله في أبصارهم نورا

لو كان يمكنهم أن ينسخوا نسخوا من الكتاب عناداً آيه الشورى

وكان الرد:

المستبدون قد تاهوا بغيئهم (بذاك قد قال قوم وافتروا زورا)

(صمّ وبكمّم فهم لا يعقلون كما) لم يجعل الله في أبصارهم نوراً

لو كان يمكنهم أن ينسخوا نسخوا (من الكتاب في لوجه المحفوظ مسطورا)

(مالوا لشورى الألى قد حرفوا علناً) من الكتاب عناداً آيه الشورى (١)

أما تأثير الدستور عام ١٩٠٨م في تركيا على العراق فقد «كان عميقاً ومباشراً» (٢). كما يذهب إلى ذلك معظم الباحثين، فقد ظهر تطور واضح في حركة الصحافة إثر إعلان الدستور، وفي تأسيس مجموعه من الجمعيات والأحزاب السياسيّة، حيث «اتسعت الحركة (حركة التطور الفكري في العراق) إتساعاً واضحاً، وأخذت تؤثر تأثيراً عميقاً عندما بدأت الآثار الأدبية المصرية تصل العراق، وقويت بعد مرحلة إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م بوجه خاص» (٣). وهكذا برز تأثير الثورتين الدستوريتين - الإيرانية والتركيه - على نمو عدد الجرائد والمجلات فقد «بلغ عدد الجرائد والمجلات في العراق سنة ١٩١٢م ستاً وأربعين، ولم يبق منها مستمراً غير (الزوراء

ص: ٢٣٣

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١١٧-١١٨.

٢- (٢) عز الدين، يوسف: تطور الفكر الحديث في العراق، مرجع سابق، ص ٢٠.

٣- (٣) فياض، عبد الله: الثورة العراقية الكبرى، مرجع سابق، ص ١٣٩.

والزهور والرياض والمصباح وصدى بابل، والنوادر) من الجرائد. و(العلم والحياه ولغه العرب) من المجلات» (١). يقول عبد الرزاق الحسنى: «بلغ عدد المجلات التي صدرت في العراق قبل الحرب العالميه الأولى ٢٠ مجله.. [بينما] بلغ عدد الصحف التي صدرت في العراق قبل الحرب العالميه الأولى وفي أثنائها ٦٩ جريده، بين أديبه وسياسيه وهزليه وانتقاديه» (٢).

وهنالک مظهر آخر من مظاهر التطور الفكري والسياسي برز في الواقع العراقي وهو دخول عدد من العراقيين، كنواب في «مجلس المبعوثان» (٣). وكذلك في الجيش العثماني كضباط. وبالإضافة إلى ذلك فقد تطورت اتصالات العراقيين بالخارج عبر المطبوعات والسفر والتعامل الاجتماعي والثقافي يقول الدكتور فياض: «إن تأثير الحركتين الدستورييتين الإيرانيه والعثمانيه قد أخذ يتغلغل في أوساط جماهير المدن الرئيسييه في العراق كبغداد والبصره والعتبات المقدسه، ولعل تبني [علماء] الدين لحركه الدستور في هذا الدور من تاريخ العراق كان السبب الأول في ذلك» (٤). إلا أن هذا الاستنتاج - في نظرنا - يقترب من خلط الأوراق بعضها فوق بعض ودمج النتائج من دون التثبت في الأمور المفصليه لتأثير الحركتين الدستورييتين على الساحة العراقيه. والحال أن فارقاً جوهرياً بينهما، من حيث المنطلقات الأساسيه وكذلك الأغراض

ص: ٢٣٤

-
- ١- (١) فياض، المرجع ذاته، ص ٣٠، وللوقوف على تفاصيل الصحف والمجلات راجع المرجع نفسه ص ٢٨-٣١.
 - ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الصحافه العراقيه، ج ١، طبع صيدا لبنان (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) ط ٣، ص ٢. وللمزيد من الإطلاع على أسماء الصحف والمجلات التي صدرت في تلك المرحله، مع بيان أغراضها، راجع: المرجع ذاته، ص ٢٩-٣٥.
 - ٣- (٣) لمعرفه تفاصيل قانون انتخاب النواب لمجلس المبعوثان العثماني راجع، الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي العراقي ج ١، ط ٢، بغداد ١٩٨٩، وزاره الثقافه والإعلام، الملحق رقم (١)، ص ٢١٩-٢٤٢. (مترجم عن اللغه التركيه).
 - ٤- (٤) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ١٤٠.

والطموحات. فالمشروطية الإيرانية قامت بزعامه مجتهدين كبار وعلى رأسهم الشيخ الخراساني في النجف الأشرف بالعراق، فتحرك الشعب المسلم، على ضوء فتوى العلماء المراجع باتجاه تحقيقها، في إقامة الحكم الإسلامي العادل. بينما المشروطية التركية قادتها جمعيه الاتحاد والترقي التي أسست في اسطنبول عام ١٨٨٩م باسم (تركيا الفتاه)، وكانت في بدايتها سرّيه تستمد أفكارها ورؤاها من أوروبا وبالتحديد من فرنسا وبريطانيا، تحت شعار (الحريه والأخوه والمساواه) وهو شعار مستمد من مبادئ الماسونيه. وكانت حركه المشروطه التركيه تستهدف ضرب أسس الإسلام، وتفكيك المجتمع الإسلامي (١)، ولا علاقه للعلماء المجتهدين في العراق بها، بل كان موقفهم سلبياً منها لمعرفةهم بحقيقتها.

ومن هنا نلاحظ المشروطية الإيرانية قد دخلت بتفاصيل حركتها وتموجاتها وصراعاتها في صميم الساحه العراقيه، بينما المشروطية التركيه لم تدخل بتفاعلاتها التفصيليه في الساحه العراقيه فكأنها غريبه عن العراقيين - عموماً-. إلا أن أهميتها تركزت في اتجاه حسم الصراع بين أنصار الدستور بزعامه الشيخ الخراساني، وأنصار الحكم المطلق بزعامه السيد اليزدي، فقد وفر انتصارها في تركيا مجالاً واسعاً للعلماء والمثقفين الإسلاميين لمواصله المسيره الدستوريه في المنحى الإيجابي، لغرض بناء الدوله على أسس دستوريه. ومن هنا نلاحظ - أيضاً - أن مظاهر الفرح والابتهاج كانت محدوده في العراق بانتصار الدستوريين في تركيا، على العكس من البلدان الأخرى، ويقدم الدكتور الوردى، تعليلاً لهذه الظاهره فيقول: «إن البلاد الأخرى كانت تتميز بالصراع الطائفي العنيف بين المسلمين وغير المسلمين، ولهذا رأيناهم يظهرن الفرح بالدستور لكي يدلّوا به على أنهم إخواناً. أما في العراق فقد كان الصراع الطائفي محصوراً بين المسلمين أنفسهم، وهم لذلك لم يجدوا في إعلان الدستور ما يخفف من داء

ص: ٢٣٥

١- (١) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه.. المرجع السابق، ص ١٢٩-١٣٠.

الطائفية فيهم إلا- قليلاً» (١). إلا- أن هذا التوجيه، وإن كانت له صدقيه جزئية، إلا- أننا لا نراه دقيقاً، لأن الإسلاميين العراقيين، وبالذات القادة العلماء مراجع المسلمين الشيعة، لم يطرحوا مشاريع للطائفه، بل كانت مشاريعهم لعموم الصالح الإسلامي. فكانوا يدعون للوحده بين المسلمين دوماً. والحقيقه إن سبب الموقف المتحفظ للمرجعيه الدينيه الشيعيه في العراق اتجاه ثوره الدستور في تركيا، يعود إلى أن العلماء لم يقودوا الثوره، ولم يشتركوا في توجيهها، وبالتالي لم يرسموا أهدافها، فوقفوا منها موقفاً سلبياً حينما عرفوا أهدافها الهدامة، على العكس من ثوره الدستور في إيران. نعم لقد شدّ عن هذا الموقف السلبي العام - في بدايه الثوره - الشيخ الخراساني وذلك لاعتبارات سياسيه محدده بضروره التزام الحاكم بالدستور لغرض تخليص الأمة من حاله الاستبداد. ومع ذلك بقي الموقف السلبي للمرجعيه الشيعيه إتجاهها هو السائد، وقد انعكس على الأمة بشكل عام، وعلى الشيعة خصوصاً لالتزامهم برأى المرجعيه الدينيه. لذلك يعتبر الأستاذ حسن شبّر هذا الواقع السلبي «هو نتيجة رده الفعل الباردة للمرجعيه الدينيه اتجاه الدستور العثماني، حيث لم يعرب أغلب المجتهدين والمراجع عن تأييدهم للانتصار الدستوري، إنما تعاملوا معه بتحفظ، وإذا استثنينا موقف الشيخ محمد كاظم الخراساني المؤيد، فإن ذلك لم يؤثر آنذاك على الموقف الإسلامي العام» (٢).

وبالرغم من هذا البون الشاسع في موقع النجف بالنسبه للحركتين المشروطيتين في إيران و تركيا، إلا أن الدور القيادي للعلماء المجتهدين في النجف، عبر التوجيه المباشر للمشروطيه الإيرانيه، و صدور التأييد الحذر والمحدود في البدايه إلى جانب سياده الموقف السلبي العام، كما ذكرنا - إتجاه الثوره الدستوريه التركيّه يشكّلان أبرز العوامل المؤثره في التحرك السياسي الإسلامي في العراق، وذلك لكون الموقف المبدئي للعلماء المراجع يستند إلى الشريعه

ص: ٢٣٦

١- (١) الوردى، المرجع ذاته، ص ١٦٢.

٢- (٢) شبّر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٢.

الإسلاميه، وعليه حينما آصطدمت الأمه بالسياسيه العلمانيه التي انتهجها الاتحاديون وبسياسه التتريك، تبلور الوعي الإسلامى لدى العلماء والمثقفين وأبرز تجمعات حركيه سياسيه وثقافه معارضه، ويرى الأستاذ حسان حلاق، فى سياسه الاتحاديين الهادفه إلى زعزعه كيان الإسلام والمسلمين، السبب الرئيس لنشأه الجمعيات المعارضه (١). وهكذا نشطت الساعه الإسلاميه فى معارضتها لسياسه الاتحاديين فى تلك المرحله فقد «شرع غالبية العلماء والأعيان والوجهاء لا- سيما فى بغداد، بمعارضه الاتحاديين ومقاومتهم، وقد عكست هذه المعارضه وأشكالها وتقلباتها حتى عام ١٩١٤م ما يمكن اعتباره اتجاهاً فكرياً سياسياً تجلّت معالمه بمظاهر وتيارات جسيدها مواقف ونشاطات العلماء والأعيان والملاكين المتنفذين فى بغداد والموصل والبصره» (٢). بينما «فى مطلع القرن العشرين أخذت تتشكل فى العراق حركه إسلاميه تركّزت بشكل أساسى فى المدن الشيعيه المقدسه وخاصه فى النجف و كربلاء، حيث مثّلت امتداداً وتواصلاً للنهضه الثقافيه الفكرية - السياسيه التي ظهرت فى تلك المدن خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد عبّرت هذه الحركه عن نفسها بما هى عمل إسلامى حركى يتجاوز مفهوم حصر الإسلام فى الإطار الدينى العبادى فقط. بمظاهر وتيارات فكرية وسياسيه مختلفه اتخذت فى أحيان كثيره أشكالاً تنظيميه ملائمه لأوضاعها ونشاطها» (٣). ويبدو أن إعلان الدستور فى الدوله العثمانيه ١٩٠٨م، هو المفصل الزمنى الذى تحول من بعده العمل الحركى والسياسى التيارى العام إلى عمل حزبى منظم (٤).

ص: ٢٣٧

- ١- (١) انظر، حلاق، د. حسان: موقف الدوله العثمانيه من الحركه الصهيونيه (١٨٩٧-١٩٠٩م)، طبع بيروت الدار الجامعيه (١٩٨٠-١٩٨٠م) ط ٢، ص ٣٢١.
- ٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ١٤٠.
- ٣- (٣) المرجع نفسه، ص ١٣٥.
- ٤- (٤) انظر عطيه، غسان: التنظيم الحزبى فى العراق قبل الحرب العالميه الأولى - مجله دراسات عربيه، العدد ١٢، السنه الثانيه بيروت ١٩٧٢م.

لقد كانت الحقبه الزمنيه ما بين (١٩٠٨-١٩١٤م) فى عموم البلاد الإسلاميه مرحله «ناشطه فى تأسيس الأحزاب والجمعيات السريه منها والعلنيه، وذلك فى معظم العواصم العربيه، فى القاهره وبيروت ودمشق والحجاز واليمن وبغداد، كما أن بعض هذه الأحزاب تم إنشاؤها فى باريس والآستانه، وللعراقيين مساهمه جدّيه فى تكوينها وصيرورتها..» (١). فأُسِّست خلال تلك المرحله اثنتا عشره جمعيه مع نادٍ أدبى - سياسى دينى (٢)، وكانت بعض الجمعيات والأحزاب امتدادات فرعيه لما تشكل فى الآستانه وبيروت ودمشق وباريس (٣). سنذكر أهم هذه الجمعيات والنوادي، مع شىء من التوضيح للجمعيات التى تفاعلت ميدانياً مع تطور الوضع السياسى فى العراق:

ص: ٢٣٨

- ١- (١) الشابندر، غالب: المرجع السابق، ص ١٨٣.
- ٢- (٢) الجبورى، عبد الجبار حسن: الأحزاب والجمعيات السياسيه فى القطر العراقى (١٩٠٨-١٩٥٨م) طبع بغداد ١٩٧٧ ص ٣١.
- ٣- (٣) «تشكلت بين إعلان الدستور العثمانى ١٩٠٨م وبين إعلان الحرب العامه (١٠) جمعيات سياسيه فى الأقطار العربيه، أربع منها فى الآستانه وهى: ١ - جمعيه الإخاء العربى تشكلت سنه ١٩٠٩م والمشكّل لها شفيق بك المؤيدوزملاؤه. ٢ - المنتدى الإدارى فى سنه ١٩٠٩م أسسه عبد الحميد الزهراوى وعبد الكريم الخليل وزملاؤهما. ٣- الجمعيه القحطانيه، تشكلت سنه ١٩٠٩م، شكّلها خليل حماده باشا وعبد الحميد الزهراوى وسليم النجار وزملاؤهم. ٤- جمعيه العهد: وهى جمعيه ضبّاط عرب، أسسها عزيز بك على المصرى كشعبه من الجمعيه القحطانيه. واثنتان فى مصر.. واثنتان فى سوريا.. واثنتان فى العراق..».
- ٤- للتفاصيل راجع الكرباسى، موسى: موسوعه الشيخ على الشرقى الثريه، القسم الأول: الألواح التاريخيه، طبع بغداد ١٩٨٨م، ص ٢٦ وما بعدها. يقول الدكتور فاروق: «وقد كانت جمعيه الفتاه وجمعيه اللامركزيه العثمانيه الإداريه، وجمعيه العهد من أكبر الجمعيات التى اشترك فيها العراقيون. وقد جمع أكثرهم بين العربيه الفتاه والعهد، وذلك للتقارب فى الأهداف ومناذاتها بالاستقلال والوحده». العمر، د. فاروق: الأحزاب السياسيه فى العراق (١٩٢١-١٩٣٢م)، طبع بغداد ١٩٧٨م، منشورات مركز دراسات الخليج العربى (١٨)، ص ٢٢.

١- جمعیه الاتحاد والترقی

تم افتتاح أول فرع للجمعیه فی بغداد عام ١٩٠٨م، كما وافتتحت عده فروع لها فی البصره والموصل والنجف وکربلاء والحله.. ومركزها الرئيس - كما هو معروف - فی تركيا، وقد شجعت الحكومه وجهاء المجتمع ورؤساء العشائر بالانضمام إليها (١). وقد أصدر - هذا الفرع - جریده بغداد، وعهد بإداره سیاستها إلى (مراد بك سليمان)، وكان رئيس تحرير القسم العربی فیها الشاعر (معروف الرصافی)، وقد ظهر أول عدد منها فی ٦ آب ١٩٠٨، وقد توقفت عن الصدور فی السنه الثانيه (٢)، ومما يذكر أن هذا الحزب قد ضم فی عضویته عدد من موظفین كبار، وضباط الجيش، وبعض اليهود. إلا أن هذا الفرع سرعان ما انفرد عقده، وذلك لأن ولادته لم تكن طبعیه، وهو انعكاس للمركز الرئيسی للجمعیه.

٢- الحزب الحر المعتدل

أسس فی اسطنبول عام ١٩٠٩م، وهو أول حزب معارض فی عهد الاتحادیین، عمل فیہ طالب النقیب وفتح له فرعاً فی البصره بالتعاون مع الأتراك الذین واجهوا الاتحادیین، وضم بعض العلماء والأعیان، أمثال: الشیخ جواد الجواهری، وبعض شیوخ العشائر أمثال: علوان الیاسری، مبدر الفرعون، عطیه أبو کلل وكذلك وجوه اجتماعیه بارزه مثل: یوسف السویدی، الحاج نجم البدرای، عبد القاسم السعدون (٣). ویبدو أن تشکیل هذا الحزب جاء كرد فعل مباشر علی السياسه القومیه

ص: ٢٣٩

-
- ١- (١) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ١، ص ١٣. أيضاً، الوردی المرجع السابق، ج ٣، ص ١٦٣-١٦٤.
 - ٢- (٢) الهلالی، عبد الرزاق: معجم العراق، ج ٢، طبع دار الکشاف، بیروت (١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م)، ص ١٩٩. وقد أورد (١٣) اسماً من أسماء الجرائد والصحف العراقیه التي صدرت بعد ثوره الدستور ١٩٠٨م، فی ص ١٩٨-٢٠١.
 - ٣- (٣) الشابندر، غالب: مرجع سابق، ص ١٨٤.

للاتحاديين والتوجه العلماني المعارض للشريعة الإسلاميه الذي بدأ يظهر في آراء وممارسات الاتحاديين، وتبلورت ردود الفعل على سياسه الاتحاديين تلك، في الساحة العربيّه فضلاً عن الساحة العراقيّه «عند قاده العرب حيث أخذوا يفكرون في مستقبل أوطانهم العربيّه بالأسلوب ذاته، وقد أسفر الأمر عن تأسيس عدد من الجمعيات العربيّه والأحزاب السياسيّه للدفاع عن قضايا العرب وحقوقهم، فكانت جمعيات ونوادٍ علنيّه أول الأمر بعد صدور الدستور وإعلان الفرحه، وسريّه بعد أن كشفت حكومه الانقلاب عن وجهها العنصري» (١). ففي العراق عام ١٩١١م، «أخذت حركه العمل الحزبي تتوسع بعض الشيء، وذلك عندما أسس طالب النقيب (أول وزير داخلية عراقى). وسليمان فيضى، فرعاً لحزب (الحر المعتدل) في مدينه البصره.. ومن خلال طريقه تأسيسه ومحاولات توسيع نطاق عمله، فإن هذا الحزب كان حزباً معارضاً علنياً، أعطته ظروف الحياه السياسيّه آنذاك، هذا النمط من العمل السياسي العلنى.. فهو لا يختلف عن جمعيه الاتحاد والترقى في طريقه التنظيم، لكنه يختلف عنها في المرتكز السياسي، ففي حين كانت الجمعيه المذكوره تقوم على أساس التمييز القومى بين الأتراك وغيرهم من القوميات، فإن الحزب الحر انطلق من مخاطر هذا التوجه القومى على كيان الدوله العثمانيه والذى أدى إلى تشنج العلاقه بين الأتراك والعرب بالدرجه الأولى، ولم يستمر هذا الحزب في العمل على الساحة أكثر من ثلاثه أشهر حيث انخرط كافه أعضائه في حزب الحريه والائتلاف، حينما أعلن تأسيسه في ٨ تشرين الثانى ١٩١١م، [١٧ ذو القعدّه ١٣٢٩هـ-] فى اسطنبول، ولم يبذل النقيب جهداً فى إبدال انتمائه الحزبي فقد غيّر اسم حزبه فى البصره إلى حزب الحريه والائتلاف الذى تبني معارضه الاتحاديين كذلك» (٢).

ص: ٢٤٠

١- (١) العمر، د. فاروق صالح: المرجع ذاته، ص ٢١.

٢- (٢) شبر حسن، المرجع السابق، ج ١، ص ١٥ وما بعدها.

أسس في تشرين الثاني عام ١٩١١م، في اسطنبول وافتتح الحزب فرعاً له في البصره بجهود طالب النقيب، وقد انتقل إليه معظم أعضاء الحر المعتدل، وفي مجال التقييم لهذا الحزب يمكن القول بأنه استقطب القوميات غير التركيه إلى جانبه، وأنه كان يتبنى مبدأ اللامركزيه في الارتباط بمركز السلطنه، وهذا يعنى منح كل إقليم استقلالاً إدارياً ضمن الدوله العثمانيه، وهذا يحد ذاته يشكل طموحاً كبيراً عند الشعوب العربيه بشكل خاص ومنها شعب العراق، «ومن الجدير بالذكر أن في هذا الدور من تاريخ العرب لا توجد قضايا إقليمية تخص كل قطر على حده، بل كانت الجمعيات التي تأسست قبل الحرب العالميه الأولى تسير على خطط مختلفه ومناهج متعدده ولكنها تعمل لغايه واحده وهي إنعاش القضيه العربيه.. وعلى هذا لم تكن قضيته عراقيه باديء بدء وإنما كانت قضيته عربيه والعراق مركز من مراكزها وفيه طرف من أطرافها» (١).

لقد كانت الساحة العراقيه كالشاشه المرهفه تتلقى حاله التنافس بين الاتحاديين والائتلافيين على السلطه، وكانت الحياه الحزبيه تتبع - غالباً - توجهات الوالى الحاكم، فحينما تُعَيّن السلطه والياً اتحادياً يقوى نشاط جمعيه الاتحاد والترقي في العراق، ويقف الائتلافيون معارضين، وينعكس موقع المعارضه عند مجيء والى من الائتلافيين، فتنتعش حركه حزب الحريه والائتلاف في العراق. وإلى جانب أهميه توجهات الوالى كان للمتصدّين في واجهه العمل الحزبي تأثير شخصى على الساحة الاجتماعيه والسياسيه، ففي انتخابات مجلس (المبعوثان العثماني) التي جرت في ربيع ١٩١٢م، فاز مرشحو جمعيه الاتحاد والترقي في كافه مناطق العراق عدا مدينتى البصره والعماره، حيث فاز فيها مرشحو حزب الحريه والائتلاف، والسبب في ذلك يعود لوجود طالب النقيب،

ص: ٢٤١

الشخص المؤثر في البصره، وتعدّ هذه العمليه أول تجربه للعمل الحزبي على صعيد الانتخابات في العراق. وحينما تصاعدت حده الأزمه بين الاتحاديين والائتلافيين في استنبول إلى درجه كبيره، اندفع الاتحاديون لحسم الصراع لصالحهم إثر اغتيال المصدر الأعظم (محمود شوكت باشا) في ١١ حزيران ١٩١٣م، الموافق ٧ رجب ١٣٣١هـ. وقد حملوا الائتلافيين مسؤوليه الحادث فراحوا يطاردون أعضاءهم ومراكزهم، وبذلك انتفى دور حزب الحريه والائتلاف (١).

٤- جمعيه الإخاء العربى

تشكلت في سنه ١٩٠٩م، من شفيق بك المؤيد وزملاؤه، في الآستانه.

٥- المنتدى الأدبى

أسسه عبد الحميد الزهراوى ورفاقه سنه ١٩٠٩م، في الآستانه أيضاً.

٦- الجمعيات القحطانيه

تشكلت في سنه ١٩٠٩، أسسها خليل حماده باشا وصحبه في الآستانه، وكانت سريه، واستوعبت الضباط العرب، وبقيت متماسكه حتى الحرب العالميه الأولى ١٩١٤م.

٧- جمعيه العهد

أسسها عزيز بك على المصرى (من أصل عراقى)، في الآستانه (٢)، «وكان

ص: ٢٤٢

١- (١) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥-٢٠. ومما يذكر أن مقتل محمود شوكت باشا، كان من تدبير الاتحاديين، أو على الأقل كان الأمر بعلمهم، وقد استفاد الاتحاديون من مقتله كثيراً لدعم وضعهم. راجع: الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٥٧.

٢- (٢) راجع: الشرقى، الشيخ على: (النوادى العراقيه). وجريده (النهضة العراقيه) السنه ١، العدد ٢٥، للتفاصيل راجع فيضى، سليمان: في غمره النضال بغداد، ١٩٥٢م، ص ٢٨٥-٢٨٦.

الضباط العراقيون من أكثر المنتمين إلى جمعيه العهد مثل (نورى السعيد) الذى يعتبر من المؤسسين لها هو و(عزيز على المصرى) و(سليم الجزائرى) و(جعفر العسكرى) و(عبد الله الأملوجى) و(جميل المدفعى) و(تحسين العسكرى) و(عاصم الحلبي) و(على جودت الأيوبى) و(ياسين الهاشمى) وغيرهم.. وكانت جمعيه العهد فى اول تكوينها تركز على العنصر العسكرى، غير أنها بعد انقسامها إلى: عهد عراقى وعهد سورى، سمحت بإشراك المدنيين فيها» (١). ويبدو أن الأسباب الأمنية فى مرحله التكوين لهذه الجمعيه هى التى حصرت أعضائها فى العسكرىين وخاصه لو عرفنا أن «الجمعيه سريره، وكانت لها صلته ب- (العربيه الفتاه) التى تأسست بإشراف سوريين مدنيين، وقد لعب ضباط العهد الدور الأكبر فى سياسه العراق حتى ١٩٥٨م، [١٣٧٧هـ-]» (٢). هذا «وقد أسست جمعيه العهد فروعاً فى كل من ولايه بغداد والبصره والموصل وحلب الشام، وكان على رأس الحركه فى بغداد حمدى الباججى، وفى البصره طالب النقيب، أما فى الموصل فلم يكن آنذاك عميد للجمعيه، بل بضعه أشخاص أمثال: مولود مخلص، وعلى جودت الأيوبى، وشريف الفاروقى» (٣). وقد جاء فى منهاج الحزب: «أن جمعيه العهد السياسيه سريره أنشأت فى الآستانه غايتها السعى وراء الاستقلال الداخلى للبلاد العربيه على أن تكون متّحده مع حكومه الآستانه اتحاد المجر بالنمسا» (٤). يقول نوري السعيد: «وكان هدف الجمعيه منحصرأً فى إصلاح الحال على أساس النظام الاتحادى (فيدراسيون)، ولم يفكر أحد منا فى الانفصال عن (الإمبراطوريه) العثمانيه، وإنما كان تفكيرنا منصباً على الحصول على إداره عربيه محليه، ولغّه عربيه رسميه على أن نشترك والعنصر التركى فى

ص: ٢٤٣

- ١- (١) العمر، فاروق: الأحزاب السياسيه فى العراق، ص ٢٣-٢٤.
- ٢- (٢) الشابندر، غالب: مرجع سابق، ص ١٨٦.
- ٣- (٣) العمر، د. فاروق: المرجع ذاته، ص ٢٤-٢٥.
- ٤- (٤) للمزيد من التعرف على جمعيه العهد راجع: شبر: مرجع سابق، ج ١، ص ٤١-٥٢.

إداره سياسه الدوله العامه» (١). ولكن الدكتور البصير يرى الأهداف الحقيقيه لحزب العهد أعمق مما ورد في تلك الماده وهذا التصريح، وذلك لأنه كان يسعى إلى الانفصال عن الدوله العثمانيه، ويستدل بذلك على اشتراك كثير من رموزه في الثوره العربيه في الحجاز (٢).

وبالفعل، سعت الجمعيه لتحقيق استقلال العراق ضمن الوحده العربيه طالبه المساعده الفنيه والاقتصاديه من بريطانيا!! على ألا يؤثر ذلك على الاستقلال التام للعراق!! وهى التى نادى بالأمير عبد الله بن الحسين ملكاً على العراق (٣). بينما يقيم الأستاذ شبر هذه الجمعيه بقوله: «إن جمعيه العهد تشكل نقله مهمه فى مستوى العمل الحزبى العراقى، وذلك من خلال المؤشرات التاليه:

ص: ٢٤٤

١- (١) السعيد، نورى: مذكرات نورى السعيد عن الحركات العسكريه فى الحجاز وسوريه ١٩١٦-١٩١٨. بيروت ط ٢، ١٩٨٧ ص ٢٠. «ترى جمعيه العهد ضروره بقاء الخلافه الإسلاميه وديعه مقدسه بأيدى ملوك آل عثمان». الشابندر، غالب: مرجع سابق، ص ١٨٨.

٢- (٢) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، بغداد. ١٩٢٤، ج ١، ص ٢٦ وما بعدها. يذكر فيها المؤلف تفاصيل عن نشاطات الحزب. ويذكر الدكتور فاروق عن معظم الضباط العراقيين داخل حزب العهد بأنهم كانوا يعيشون القلق بين تأييد الاحتلال البريطانى أو معارضته، «قبل أن يحتل البريطانيون مدينه سوق الشيوخ ببضع ساعات أبرق الضابط (مولود مخلص) إلى القائد العثماني فى الكوت - نورالدين بك - يخبره بعزمه على الانفصال عن الجيش العثماني لا- خيانه منه بل خدمه لقومه العرب. فانفصل فعلاً- وذهب إلى البصره ولحق به الضابطان على جودت الأيوبي، وعبد الله الدليمي، فوقعوا فى يد السلطات البريطانيه التى عرضت عليهم وظائف كثيره رفضوها وحبذوا الالتحاق بالثوره العربيه فى الحجاز فنقلوا إلى هناك، وكان نورى السعيد الذى كان قائداً فى الجيش العربى بانتظارهم». العمر، د. فاروق: المرجع نفسه، ص ٣٣. ومن حقنا أن نتساءل، لماذا عرض البريطانيون عليهم المناصب حينما القوا القبض عليهم؟ ومن الذى نقلهم إلى الحجاز والثوره العربيه لم تعلن بعد؟ حيث أعلنت فى ١٠/حزيران ١٩١٦ كما هو معلوم.

٣- (٣) للتفاصيل راجع: الكيالى، د. عبد الوهاب: الموسوعه السياسيه، ط ١، ١٩٧٨، بيروت المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، ج ٢. ص ٨٨.

أولاً: كان للشخصيات العراقية دور التأسيس والمساهمة الفعلية في عمل الحزب ونشاطه، وهي خطوه مستقله في التفكير الحزبي.

ثانياً: شكلت هذه التجربه أول ممارسه حزبيه سرّيه في العراق.

ثالثاً: هي أول تنظيم سياسي للضباط العراقيين (١).

ومما يذكر، أن الجمعيه أصدرت مجله (اللسان) للتعبير عن آرائها (٢).

٨- جمعيه اللامركزيه الإداريه العثمانيه

وكانت هذه الجمعيه سياسيه علنيه وأصبحت فيما بعد أفضل منظمه ذات سلطه تتكلم بلسان العرب، و تفصح عن أمانيتهم. وهذا الحزب «أنشأه السوريون المهاجرون إلى القاهره بتاريخ ١٩١٣/٩/٢م. ودعا إلى المؤتمر العربي في باريس ١٩١٣م» (٣). ويعتبر هذا المؤتمر «خطوه إلى الأمام في العمل الحزبي، و صيغه جبهويه قامت على اشتراك عده أحزاب ومنظمات في عمل موحد» (٤). وكانت نتائج المؤتمر تدور حول إعطاء العرب الحكم الذاتى ضمن الدوله العثمانيه، وقد أعلن الاتحاديون استجابتهم لمطالب المؤتمر،

ص: ٢٤٥

١- (١) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥-٢٦.

٢- (٢) الكيالي، د. عبد الوهاب: المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٨.

٣- (٣) الشابندر، غالب: مرجع سابق، ص ١٨٥.

٤- (٤) العمر، د. فاروق: المرجع السابق، ص ٢٧. عن: سهيله الريماوى: الحياه الحزبيه في سوريا، رساله ماجستير غير مطبوعه، من جامعه عين شمس ص ٢٦٢. ويذكر الدكتور فاروق إن مبادره عقد المؤتمر العربي في باريس سنه ١٩١٣ جاءت من جمعيه العربيه الفتاه ويقول أيضاً «كانت نتائج المؤتمر أقرب إلى مبادئ حزب اللامركزيه العثمانيه إلى مبادئ حزب العربيه الفتاه الداعى إلى المؤتمر في إعطاء العرب الحكم الذاتى ضمن الدوله العثمانيه..». المرجع ذاته ص ٢٨. وقد حضر المؤتمر من العراقيين توفيق السويدي عندما كان يدرس في باريس، وسليمان عنبر وهو تاجر عراقى مقيم في باريس. راجع: المؤتمر العربي الأول: اللجنه العليا لحزب اللامركزيه. بمصر - القاهره (١٣٣١هـ - ١٩١٣م)، ص ١٤-١٥.

وحصل ما يشبه المصالحة بين العرب والأتراك، وهذا الأمر عزز الفكره الحزبيه فى العراق، حيث أصبح السلوك الحزبى بحد ذاته، يمتلك قيمه سياسيه مؤثره (١). يقول توفيق السويدي فى مذكراته: «وقد كان لهذا الاتصال فوائد جمّه ظهرت آثارها فى المؤتمر العربى الأول المنعقد فى باريس ١٩١٣م، حيث برز صوت العرب مدوياً، ومطالباً بحقوقهم.. ولم تكن آمال العرب فى تلك الفتره متجهه نحو الاستقلال المطلق، بل كانت ترمى إلى إنهاء القوميه العربيه، وتركيز كيانها على أسس حديثه تمكّنها من إفهام الترك بأن فى (الإمبراطوريه) العثمانيه عنصراً يجب احترام رغائبه، وتمكينه من التمتع بحقوقه المشروعه كعثماني» (٢).

٩- جمعيه العربيه الفتاه

تعتبر هذه الجمعيه من أخطر الجمعيات العربيه السريه، فقد أسست عام ١٩٠٨م فى باريس على يد طلاب عرب، منهم: أحمد قدرى، ورستم حيدر، ثم انتقل مقرها إلى سوريا عام ١٩١٢م، ثم اتخذت من بيروت مقراً لها، وبعد إعلان الحرب انخرط فى صفوفها ياسين الهاشمى، وفيصل بن الشريف حسين، كما أن لتوفيق السويدي علاقته بها منذ تأسيسها بباريس (٣). وقد «كانت جمعيه الفتاه وجمعيه اللامركزيه الإداريه العثمانيه، وجمعيه العهد من أكثر الجمعيات التى اشترك فيها العراقيون، وقد جمع أكثرهم بين العربيه الفتاه والعهد، وذلك للتقارب فى الأهداف، والمناداه بالاستقلال

ص: ٢٤٦

-
- ١- (١) شبر، حسن: مرجع سابق، ج ١، (العمل الحزبى فى العراق ١٩٠٨-١٩٥٨) ص ٢٤. ويذكر المؤلف، أن توفيق السويدي وسليمان عنبر كانا طالبين يدرسان فى باريس، وإن المؤتمر العربى الأول جاء بمبادره من حزب اللامركزيه الإداريه.
 - ٢- (٢) السويدي، توفيق: مذكراتى، نصف قرن من تاريخ العراق والقضيه العربيه، ص ٢١. دار الكاتب العربى، بيروت ط ١٩٦٩، م١.
 - ٣- (٣) الشابندر، غالب: مرجع سابق، ص ٢١.

والوحده. وقد كانت جمعيه العرييه الفتاه فى غايه السريه، وقد قيل عنها، ليس هناك جمعيه اخرى لعبت دوراً حاسماً فى تاريخ الحركه الوطنيه كجمعيه الفتاه» (١).

١٠- الجمعيه الإصلاحيه فى البصره

«أسسها السيد طالب النقيب فى ٢٨ شباط ١٩١٣م، وقد انضم إليها أكثر الضباط العرب فى البصره. وكانت تطالب الحكومه بالنظام اللامركزى، وقد اتسع نفوذ السيد طالب حتى أصبح الولاة يتملقونه والقواد يطلبون رضاه» (٢). يقول الدكتور فاروق العمر: «تم تأسيس جمعيه البصره الإصلاحيه عام ١٩١٢م، وكان رئيسها (طالب النقيب)، ومعتمدها (سليمان فيضى) وقد أصدرت الجمعيه جريده (الدستور) الناطقه باسمها، فلما عطلتها السلطه تحدى (طالب النقيب) السلطه العثمانيه ودستورها، وأصدر بدون موافقتها جريده (صدى الدستور)، وكان مؤيدوها يرسلون برفيات إلى استنبول العاصمه تطالب بالحكم الذاتى للعرب» (٣). وكانت هذه الجمعيه تنتهج أفكار حزب اللامركزيه، وأغلب الظن أنها لم تكن فرعاً لحزب اللامركزيه، وإنما مرتبطه به، تستمد من رؤاه وأفكاره، كما يؤكد ذلك معتمدها سليمان فيضى (٤). «لذلك كان تقديم مضبطه تحمل (٣٠٠) توقيع من وجوه البصره تتضمن طلب استقلال العراق عن الدوله العثمانيه، من أهم الأعمال التى أسفرت عنها حركه جماعه السيد طالب فى ولايه البصره. يضاف إلى ما سبق أن مؤتمراً عقد فى المحمّره حضره شيخا المحمّره والكويت والسيد طالب نفسه، كانت غايته المداوله فى مستقبل العراق السياسى..»

ص: ٢٤٧

١- (١) العمر، د. فاروق: مرجع سابق، ص ٢٢.

٢- (٢) فياض، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٠٨. راجع فيضى، سليمان: فى غمره النضال، (مذكرات)، بغداد ١٩٥٢، ص ١٣٠.

٣- (٣) العمر، د. فاروق: المرجع ذاته، ص ٢٦.

٤- (٤) فيضى، سليمان: المرجع السابق، ص ١٣٠.

١١- النادي الوطني العلمى فى بغداد

(٢)

أسس عام ١٩١٢م، على يد مجموعه من العراقيين أبرزهم مزاحم الباججى، وحمدي الباججى، وبهجت زينل، ويوسف عزالدين، وإبراهيم حلمى عمر، ومحمد رضا الشيبى، ومحمد باقر الشيبى، وتحسين العسكرى وعبد المجيد كنه. وكانت تعقد الاجتماعات السريه فى النادي، ومما يذكر أن طالب النقيب كان يمدّه بالمال، وقد أصدر النادي جريده (النهضة) الناطقه باسمه، إلا أن السلطه العثمانيه أوقفت صدورها بعد مده وجيزه، فلجأ مزاحم الباججى عند طالب النقيب فى البصره (٣). ويذكر البصير أنه قد صدر من جريده النهضه اثنا عشر عدداً فقط (٤).

إن هذه الجمعيات والنوادي وغيرها - أيضاً (٥) - قد ذكرت بالتفصيل فى الكتب المعنيه، وما أوردناه هو أهم الجمعيات والنوادي لتلك المرحله - وهى من دون شك - تعكس الصوره الحركيه والسياسيه لما أصاب الأمه إثر الهزه التى أولدتها ثوره الدستور فى

ص: ٢٤٨

١- (١) فياض، عبد الله: المرجع السابق ص ١١٠. وللاطلاع على تفاصيل أعمال الجمعيه الإصلاحيه، ووقوفها ضد السلطه، وتحالف طالب النقيب مع الشيخ خزعل أمير المحمره والشيخ مبارك أمير الكويت راجع: فيضى، سليمان: المرجع ذاته ص ١٠٨ وما بعدها.

٢- (٢) يذكر الدكتور فياض فى كتابه اسماً آخر لهذا النادي وهو (النادى الأدبى)، والإسمان يدلان على التجمع السياسى ذاته وكانت أفكاره تنشر بجريده (النهضه). راجع، فياض: المرجع ذاته، ص ١٠٧.

٣- (٣) العمر، فاروق المرجع السابق، ص ٢٦-٢٧. ويذكر فى هامش ص ٢٧ «لقد تأسس فى العراق فرعان لحزب اللامركزيه الإداريه العثمانيه وهما يختلفان فى الاسم، ففى بغداد (النادى الوطنى العلمى) وفى البصره (الجمعيه الإصلاحيه)» راجع: ميدانى، فؤاد: مجله الأسرار، لصاحبها كرم ملحم، العدد ٢، السنه الأولى ١٩٣٨ بيروت.

٤- (٤) البصير، محمد مهدي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١.

٥- (٥) من الجمعيات الأخرى التى أسست فى الآستانه: الكتله البرلمانيه، جمعيه العَلَم الأخضر. جمعيه اليد السوداء. راجع الجبورى، عبد الجبار حسن: مرجع سابق، ص ٤، وما بعدها.

تركيا عام ١٩٠٨م. والجدير بالذكر، إننا سنتناول - فيما بعد - التطورات الحركية والحزبية الإسلامية التي ستشهد الساحة العراقية ولاداتها وفعاليتها المهمة. وذلك في السنوات التي تلت حركة الجهاد الإسلامي مثل (جمعيه النهضه الإسلاميه) عام ١٩١٧م، وغيرها في النجف وكربلاء والكاظمية وبغداد. وذلك في الباب الثاني من الكتاب.

تقويم الجمعيات والنوادي

والذي يبدو لنا، من خلال دراستنا التقويمية لهذه الجمعيات والنوادي، بأن نشأتها كانت في أجواء غير طبيعيه، لذلك جاء نموها مرتبكاً، بل كانت تتعثر وتصطدم بصخور الساحة الإسلامية بالرغم من بريقها الصارخ. والسبب يعود إلى كونها غريبه وليست بنت ساحتها وظروفها، فهي قد استوردت مناهجها الحركية من الخارج بشكل أو بآخر، وهذا الأمر يبعدها عن الأصالة الإسلامية المتجذره في الواقع العراقي، في وقت كانت الأنظار بل القلوب مشدوده إلى النشاطات الإسلامية الشيعيه وكذلك السنيه، باعتبار علمائها ومراجعها هم طليعه المتصدين للعمل السياسي والفكري في الساحة. وعليه لم يُكتب لهذه الجمعيات التوسع والانتشار، لأنها كانت كالجنين خارج الرحم. لذلك قُزرت إخفاء أهدافها الحقيقيه ضمن مناهجها الحزبيه كما لاحظنا ذلك في منهاج حزب العهد - قبل قليل -. وبالإضافه إلى ذلك يمكن تسجيل ملاحظه عامه تشمل الحياه الحزبيه في تلك المرحله ولعلها تمتد حتى عام ١٩٣٥م، وهي أن تلك الجمعيات والأحزاب السياسيه كانت تتشكل من قبل رؤساء الوزارات والمسؤولين في الدوله، أي أنها إفراز المصالح السياسيه للحاكمين، وتموت عند تحقيق تلك المصالح، بينما الحركات الأصيله تنبع من صميم الأمه، وتنشأ في رحم مبادئها ومعاناتها، فتنتلق بمشروعها النهضوي لبناء الوطن وسعاده الأمه. يقول المحامي حسين جميل: «إن كل واحد من

زعماء العراق أُلّف حزباً بعد تأليفه الوزاره من نواب المجلس ليسندوا وزارته وهو فى الحكم [ويذكر أمثله منها] حزب العهد الذى أُلّفه نورى السعيد ليسنده فى التصديق على معاهده ١٩٣٠م، وانتهى وجوده بعد سقوط نورى السعيد فى سنة ١٩٣٢م.. إن الأحزاب السياسيه.. أنبعثت عن حكومات، والمفروض فى الأنظمه البرلمانيه أن يكون الأمر على العكس من ذلك» (١). وبالفعل «هى أحزاب سريعه فى الظهور والاختفاء وهى قد تظهر لأجل قضيه سياسيه معينه وتختفى بعد إنجازها» (٢).

والسبب فى ذلك - كما أشرنا آنفاً - هو يعود إلى ضياع المبدئيه الإسلاميه فيها والروح الوطنيه، يقول سليمان فيضى، حينما بعثته الجمعيه الإصلاحيه إلى الموصل عام ١٩١٣م: «إن المؤمنين بالقضيه العربيه قلائل، وإن المشتغلين فيها أقل، وإن النزعه الدينيه التى يتميز بها أهل الموصل تقف حائلاً بينهم وبين التمرد على الدوله العثمانيه ذات الصبغه الإسلاميه والخلافه المقدسه..» (٣). وكانت هذه الحاله - عامه تقريباً - فى بقية مدن العراق وخصوصاً فى المدن الشيعيه، لذلك لم تجذب هذه الجمعيات أنصاراً ومؤيدين من الناس بكثره، أى لم تخلق تياراً سياسياً فى العراق، بل كانت محصوره فى إطار بعض المعنيين كأشخاص. أما بالنسبه لمعظم العراقيين العاملين فى المؤسسات السياسيه خارج العراق كانوا من ضباط الجيش العثماني، قد التحقوا بالشريف حسين ثم بالملك فيصل بسوريه، فكان دورهم محدوداً قبل وأثناء ثوره العشرين، وأنهم دخلوا العراق بعد تكوين الحكومه العراقيه عام (١٩٢١م - ١٣٣٩هـ) (٤). والذى يمكن قوله - أيضاً - إن شعارات وأهداف هذه الجمعيات والنوادى كانت تلتقى مع بعضها فى

ص: ٢٥٠

-
- ١- (١) جميل، الأستاذ حسين: فى تقديمه لكتاب الأحزاب السياسيه فى العراق، مرجع سابق، ص ٨-٩.
 - ٢- (٢) العمر، د. فاروق: المرجع ذاته، فى مقدمه المؤلف، ص ١٣.
 - ٣- (٣) فيضى، سليمان: المرجع ذاته، ص ١٢١.
 - ٤- (٤) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ١٠٤.

الإصلاح والاستقلال الإداري وحقوق العرب السياسيه والثقافيه، وهي تجسّد حالات ردود الفعل لسياسه الاتحاديين العنصريه من جهه، وتبين مدى احتكاكهم بالتوجّهات الثقافيه الأوروبيه، التي عكستها على الساحه العراقيه مجمل الجمعيات العربيه التي تشكلت في تركيا ومصر وسوريا وبيروت من جهه أخرى. بل أكثر من ذلك فقد وجد بعض السياسيين ضالته حينما ارتبط بالقوى الأجنبيه لتحقيق مآربه الشخصيه، فمثلاً طالب النقيب وأغلب التجار والأعيان الذين كانوا معه في الجمعيه الإصلاحيه، كانت لهم ارتباطات تجاريه مع بريطانيا، وحينما شهدت الساحه تطوراً على الصعيد السياسى، أوصلتهم إلى مستوى قبول المساومه مع البريطانيين أثناء الاحتلال البريطانى للعراق عام ١٩١٤م، بل واندفع بعضهم لمحاربه الدوله العثمانيه بالتعاون مع الإنكليز، ومن ثم الاندماج بالمشروع الشريفى - البريطانى، الذى حملهم في فتره لاحقه، على جناح السرعة إلى مواقع سياسيه مهمه داخل سلطه الانتداب (١).

وهكذا اتسمت مرحله إعلان الثوره العربيه ضد الدوله العثمانيه في ١٠ حزيران ١٩١٦م، بالارتباط والتنسيق مع الدول الأوروبيه الطامعه، «فقد كان أوضح معالم هذه المرحله - بالنسبه للحركه العربيه - التعاون بين العرب القوميين والدول الأوروبيه، فكان اتصال الجمعيات العربيه في بلاد الشام بالقنصل الفرنسى (بيكو) في بيروت، كما كان اتصال اللامركزيه الإداريه العثمانيه بالمعتمد البريطانى (كتشنر) في مصر» (٢). وكان تحقيق الطموح السياسى الشخصى لرموز تلك الجمعيات والنوادى في مقدمه الأهداف لديها، ولو على حساب القيم الوطنيه والارتباط المبدئى بالقياده الإسلاميه الواعيه، وذلك تحت ستار القوميه والاستقلاليه والتحرر! وهكذا سقطت في أحضان الاستعمار، إن لم تكن هي وليدته. حيث «وجدت أوروبا بأن الطريق الأمثل لمحاربه الوحده

ص: ٢٥١

١- (١) البصير، محمد مهدي: المصدر السابق، ص ٣٧ ومابعدها.

٢- (٢) العمر، د. فاروق: مرجع سابق، ص ٢٩.

الإسلاميه يتمثل في إيجاد البديل لها.. وأن البديل الأفضل يتمثل في الوحدة القوميـه والرابطه القوميـه..» (١). و«أن الحركه العربيه المعاديه للإسلام لا- تختلف عن أختها الطورانيه في تركيا، فمسأله القوميات هذه أريد بها ضرب الإسلام وإحلال العقيدـه الطورانيه أو العقائد الغريبه محل العقيدـه الإسلاميه» (٢).

والواقع أن الكثير من السياسيين العرب أيدوا ثوره الاتحاديين باعتبارها ستؤدى إلى تحقيق مطالبهم، بل يلاحظ هذا الموقف لدى معظم الزعامات المنتميه للعائلات المعروفه في البلاد من المسلمين والمسيحين، و«قد عبّروا بطرق مختلفه وبمناسبات عدّه عن شكرهم لهذه الثوره، إلا أن أملهم كان هو ألا تنحرف إلى النقطه التي كانوا يشكون منها في الآبق. ولكن التأييد الصهيونى للثوره كان على شكل يثير القلق والشكوك العربيه، فقد رفع الصهيوونيون في كافه أنحاء المستعمرات - لاسيما في يافا - علماً أزرق وأبيض هو علم الصهيوونيه، ورفعوا إلى جانبه علم الاتحاديين الأحمر والأبيض، ورفعوا نداءات مؤيده للأخوه الاتحاديـه - الصهيوونيه» (٣).

وإلى جانب هذه الجمعيات والنوادى التي تبنت التوجّه القومى والعلمانى، برزت المعارضه الإسلاميه بأبعادها الفكرية والشعبية إلى موقع الصداره فى الأمه، وسجّلت صفحات مشرقه من النهوض والوعى والجهد، خلال (١٩٠٨-١٩١٤م). وقد تجلّت مواقفها الثقافيه والسياسيه والجهديه إبان الحركه الدستوريه فى طرح مشاريع النهضه

ص: ٢٥٢

- ١- (١) الطائى، نجاح عطا: الفكر القومى إسلامياً وتاريخياً، مرجع سابق، ص ٢٠.
- ٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٣٠. ومما يذكر أن (كرزون) وزير خارجيه إنكلترا، وقف فى مجلس العموم البريطانى يستعرض خطوات السياسه البريطانيه حول ما جرى فى تركيا فأحتج بعض النواب على اعتراف إنكلترا باستقلال تركيا، فأجاب بقوله: «لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمه بعد اليوم.. لأننا قضينا على قوتها المتمثله فى أمرين: الإسلام والخلافه»، فصفّق النواب الإنكليز كلهم وانتهت المعارضه. الطائى، نجاح عطا: المرجع ذاته ص ٥٧.
- ٣- (٣) حلاق، د. حسان: موقف الدوله العثمانيه من الحركه الصهيوونيه، مرجع سابق، ص ٢٥٩-٢٦٠.

الثقافيه من فتح المدارس الحديثه وإصدار المجلات والكتب التي مر ذكرها. وبذلك خلقوا تياراً إسلامياً عاماً قاد نهضه الشارع العراقي. وستناول مواقف المسلمين الشيعة بالتفصيل في فقره مستقله.

أما مواقف المسلمين السُّننه فقد تكثفت نشاطات علمائهم وأعيانهم بعد انكشاف أمر الاتحاديين وسياستهم العدوانيه ضد الشريعه الإسلاميه، فظهرت معارضتهم للاتحاديين في البصره والموصل عبر القواعد الاجتماعيه العريضه التي كانت تحت نفوذهم، بينما امتازت معارضتهم في بغداد بقوه مؤثره، فقد ساهموا مساهمه فعاله في خلق رأى شعبي عام معارض للسلطه الجديده ومؤيد للسلطان عبد الحميد الذي يعتبرونه خليفه على المسلمين. فشهدت صلوات الجمععه في المساجد، وبعض الندوات الثقافيه هذا التوجه العلني، كما وشكّلوا (لجنه المشوره) وهي جمعيه أسسها مجموعه من أشرف بغداد وأعيانها، للوقوف في الصف المعارض للاتحاديين، وتشكلت هذه الجمعيه من: عبد الرحمن النقيب (أول رئيس وزراء عراقي) وعيسى أفندي الجميل، وعبد الرحمن الحيدري، ومحمد فاضل باشا الداغستاني، وكاظم باشا، وجميل أفندي - أمين الإداره - والملا نجم الدين الواعظ، والشيخ عبد الوهاب النائب، والشيخ سعيد النقشبندی، والشيخ مصطفى الشهرباني..، وغيرهم (١). «وكان من أبرز نشاطات اللجنه التحريض على التظاهر في شوارع بغداد تحت شعار (إعاده حكم الشريعه) (٢). ويبدو أن هذه اللجنه كانت فرعاً لـ (الجمعيه المحمديه) التي تأسست في اسطنبول لمعارضه الاتحاديين وقوامها العلماء والعامه» (٣).

ص: ٢٥٣

١- (١) الوردی، علی: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٦٣.

٢- (٢) قامت مظاهرات صاحبه في بغداد في ١٧ رمضان ١٣٢٦هـ، ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٨م، ونادى المتظاهرون بإعاده الشريعه التي سلبها ونهبها الإتحاديون. حلاق: د. حسان: المرجع ذاته، ص ٢٦٠.

٣- (٣) الرهيمي، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ١٤١.

وقد بلغ الخصام بين (الاتحاديين) و(المشوريين) أشده، وكان يدور حول الموقف من العقيدة الإسلامية، فبينما كان (الاتحاديون) يعلنون آراءهم العلمانية المخالفة للشريعة، فإن (المشوريين) كانوا يهاجمون هذا الاتجاه العلماني بقوه. ولكن - كما يبدو في سبيل التقويم لهذه الجمعية (اللجنة) - أنها كانت تشكو من ضعف الفكر الحركي لدى أعضائها، ومن النظره الفوقيه الطبقيه لبعض رموزها مثل: عبد الرحمن النقيب، الذي لم تكن له قناعه إلا- بالوجهاء والمرموقين، فمن هنا فانت على الجمعيه الفرصه الذهبيه للمساهمه الجاده فى توجيه وقياده الشارع العراقى المعارض للاتحاديين والمؤيد للقيم الإسلاميه (١).

وبالرغم من أن نشاطات (لجنة المشوره) والمواقف المعارضه من بعض الجمعيات والنوادي، التى شكلت اتجاهاً فكرياً سياسياً إسلامياً محافظاً، إلا- أنه أنصب الاهتمام نحو معارضه الاتحاديين، من دون تناول القضايا الأساسيه التى كانت مطروحه على الساحة - آنذاك - كالغزو الأوروبى للشعوب الإسلاميه، ثقافياً واقتصادياً وسياسياً. أو معالجه استبداد السلطه القائمه، بطريقه تضمن إصلاح أزمه التفكك والانهيال للدوله العثمانيه، وعلى ضوء ما تقدم، فقد بقيت معارضتهم محدوده فى برامجها وغير متكامله فى أطروحتها.

المرجعيه الدينيه الشيعيه، مواقف مبدئيه

لقد تجسد تحرك المرجعيه الدينيه فى المواقف الواضحه للعلماء المراجع، والتى بدورها رسمت للإسلاميين - عموماً - مواقفهم السياسيه وخطواتهم الجهاديه - وقد مر معنا - الموقف القيادى الحاسم الذى آتخذه الشيخ الخراسانى لتحقيق الحياه الدستوريه فى إيران، وأوضحنا خطوط المعارضه لها. وكذلك الموقف التوجيهى للشيخ الخراسانى من

ص: ٢٥٤

ثوره الدستور العثمانيه، الذي يدل على حرص هذه المرجعيه القياديه على مستقبل الدوله الإسلاميه. فقد بعث برقيه مفصله إلى السلطان عبد الحميد قبيل ثوره الدستور تتضمن إرشادات ونذر إلى جانب الدعوه الملحه للاستجابه للحياه الدستوريه في البلاد، وأكثر من ذلك، لقد بعث الشيخ الخراساني رساله شديده اللهجه إلى السلطان عبد الحميد، في أيامه الأخيره، يطالبه بمعالجه الموقف وإقرار الحياه الدستوريه، وتفويت الفرصه على الاتحاديين في ثورتهم ممّا أثار بعض العلماء ضده، خوفاً من انتقام السلطان من المرجعيه الدينيه الشيعيه وعموم الشيعه، إلا- أنه طمأنهم بقوله: «لا تخافوا ولا تلوموني فقد استخرت الله فخار لي ذلك، وأنه معنا وسنصرنا على القوم الكافرين» (١). ومن ثم أبدت المرجعيه الشيعيه وتيارها في الساحه، مواقف معارضه للاتحاديين بكل ثقه وصلابه. هذا، وقد حملت المرجعيه لواء الجهاد دفاعاً عن حرمه الإسلام والمسلمين، بغض النظر عن الولاءات المذهبيه والحدود الإقليميه والانتماءات العرقيه، فحينما تم الاحتلال الإيطالي لليبيا عام ١٩١١م، وقفت القياده الدينيه - الشيعيه بكل إمكانياتها إلى جانب الدوله العثمانيه في سبيل الدفاع عن ليبيا (٢) «فقد أصدر الشيخ الخراساني فتوى للجهاد والدفاع عن ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي لها، وقد أكد هذه الفتوى بعد وفاته، اثنان من كبار المجتهدين هما: السيد محمد سعيد الحويبي، والشيخ محمد (صاحب الجواهر)، وقد أرسلت (الهيئه العلميه) إثنين من أعضائها إلى ليبيا لغرض الاستطلاع، ودرس إمكانيه الاشتراك في حركه الجهاد هما: السيد مسلم زوين وعزيز بك، قائممقام النجف المستقيل عن الاتحاد والترقي، فسافرا إلى طرابلس

ص: ٢٥٥

١- (١) شبر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٩٢. عن، قوجاني، آغا نجفي: سياحت شرق بازند كينامه آغا نجفي قوجاني (باللغه الفارسيه)، ص ٤٧٦.

٢- (٢) انظر: الطريحي، محمد سعيد: المرجعيه الشيعيه وقضايا العالم الإسلامى، الغزو الإيطالي للقطر الليبي وحرب طرابلس سنه ١٩١١م. وفتوى المرجعيه فى النجف الأشرف بإعلان الجهاد المقدس ضد الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب. (مجله الموسم)، العدد ٢، ص ٣٧٧-٣٨٢.

ومنها إلى الآستانه» (١). «وتتابعت فتاوى الجهاد من العلماء السُّنة والشيعة لمقاومه الاحتلال الإيطالي، وعلى أثرها تشكلت - فى جميع أنحاء العراق - لجان للدفاع عن ليبيا من السنه والشيعة، ولعب الشيعة فيها دوراً مميزاً رغم أن المعامله التى كانوا يتلقونها من السلطه العثمانية سيئه.. وفى كربلاء عقد الأهالى اجتماعاً عاماً عند ضريح الإمام الحسين، وألقيت الخطب الحماسيه، ثم جرى جمع التبرعات، وفى ١٢ تشرين الأول ١٩١١م، تظاهر ما يقارب الألفين من الأهالى.. وشهدت مدينتنا النجف وسامراء تظاهرات مماثله خلال يومى ١٧، ١١ تشرين الأول، وألقيت فيها الخطب الحماسيه، ودعا الخطباء إلى نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود» (٢).

وانعكس ذلك فى مهرجانات الأدب والشعر، التى كانت تلهب أحاسيس الناس وتدفعها للجهاد، نذكر - للإطلاع - شيئاً من قصيده (يا بلادى) للشيخ على الشرقى التى مطلعها:

كيف أصبحت فأفصحى يا بلادى فيك ما يعقد الرطاب الفصاحا

إن دعونا أرائك الجور طاحت يا دم الأبرياء كنت المطاحا

ما لروما فلا استوى عرش روما فتلت ذيلها وعجت نباحا

جنبت عن نضال كل قوئى فأغارث على الزوايا اكتساحاً

نطحت برقه، وبرقه واحات من النخل ما عرفن النطاحا (٣)

ويقول الشيخ محمد باقر الشيبى فى قصيدته - ايتاليا وإعلان الحرب:

فيا ايتاليا اعتقدى بأنا سننشرها بأجنحه الظلام

ونضرب بالسيوف لكم رقاباً ونحمى بالدفاع حمى الحریم

ص: ٢٥٦

١- (١) الرهيمى، عبد الحلیم: مرجع سابق، ص ١٥١.

٢- (٢) شبر، حسن: مرجع سابق، ج ٢، ص ١١٠-١١١.

٣- (٣) الحاقانى، على: شعراء الغرى أو النجفيات، طبع النجف ١٣٦٥هـ -، ح ٧، ص ٣٤، نظمت القصيده عام ١٩١١م.

سلوا إن شتم اليونان عنا وإن شتم سلوا حرب الصريم

نصول بكل هذار هزبر إذا اشتد الوغى اسد هجوم

نذب عن الحقيقه فى حماها ونحمى حوزه الوطن القديم (١)

وللشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قصيده نهضويه هادفه بعنوان (حرب الطليان والبلقان) يقول فيها:

أيها المسلمون هتوا فليس ال- موت إلا حياتكم بهوان

قد دهاكم ويل فماذا التمادى وأتاكم سيل، فماذا التوانى

جاء كم جارف من الغرب تيار يهد البناء رأس المبانى

يستغيث الإسلام فيكم فيلقى عنه منكم تصامم الآذان

صارخاً فيكم فهل من سميع صرخات الإسلام والقرآن

أفیرجو الإسلام لقيان سلم (بعد حرب الطليان والبلقان) (٢)

إلا أن ظروف التحدى كانت كبيره للدوله العثمانيه، فاضطرت لعقد الصلح مع إيطاليا فى تشرين الأول ١٩١٢م، لتفرغ لحرب دول البلقان التى أعلنتها بعد يوم واحد من التوقيع على معاهده الصلح هذه، فشرعت جيوش بلغاريا واليونان وصربيا والجبل الأسود، تهاجم الحدود العثمانيه من عدّه جهات حسب خطه مدبره. وتجلى الموقف الجهادى - مره أخرى - أمام محاولات الاعتداء على إيران من قبل روسيا عام ١٩١١م، هذا وأن الحكومه الروسيه تدرك من تجربه حيه، تأثيرات الفتاوى الصادره من علماء الشيعه فى النجف وكربلاء وسامراء والكاظميه فهى التى أنهت عهد محمد على شاه المتحالف معها - من عهد قريب - وأجبرت روسيا على الانسحاب من إيران، ولكنها فى هذه المره، كانت تقدّم حججاً حول مصالحها الاقتصاديه فى إيران، إلا أنه

ص: ٢٥٧

١- (١) الحاقانى، على: المرجع ذاته، ج ١، ص ٤٣٠.

٢- (٢) المرجع نفسه، ج ٨، ص ١٧٩.

يمكن القول، بأن الروس استغلوا حاله الخلفيه المتجذره بين أنصار المشروطيه وأنصار المستبده. وراهنوا على عدم تفاعل الساحة مع الفتوى الجهاديه.

لذلك احتلوا شمال إيران في كانون الأول ١٩١١م. وعلى الأثر أبرق رئيس مجلس الشورى الإيراني في ٥ كانون الأول ١٩١١م، ببرقيه إلى العلماء في العراق، تتضمن طلب التدخل على ضوء الموازين الشرعيه، لردّ التهديدات الروسيه واحتلال مدينه قزوین. وقد تحولت الحوزات الدينيه والمجالس الشعبيه إلى اجتماعات احتجاجيه تعبويه إلى مستوى الانفجار، وذلك لعمق الإحساس بالمسؤوليه الدينيه اتجاه المسلمين في إيران. وتحوّل بيت المرجع الشيخ الخراساني إلى ملتقى عام لدرس الأوضاع، وقد أفرزت هذه الاجتماعات المتواصله عدّه قرارات من أهمها التحرك للجهاد من قبل العلماء وطلبه العلوم الدينيه والعشائر العراقيه وكافه أصناف المجتمع.

ومن المقررات المهمه - أيضاً-، التحرك السياسي في بغداد، بإعلام ممثلي الدول بظلامه الشعب الإيراني وفضح جرائم الروس. وعندما وصلت برقيه القنصل الروسي في بغداد إلى الإمام الخراساني يوضّح له بأنّ روسيا ليست لها أطماع في إيران، وإنها ستسحب عند قبول الحكومه الإيرانيه بالشروط الروسيه، رد الشيخ على تلك البرقيه، رافضاً قبول التبريرات ومهدداً بإعلان الجهاد الدفاعي لكافه مسلمي العالم، فأصدر فتوى للمسلمين بضروره تعليم فنون القتال والتدريب على السلاح، وكذلك أصدر فتوى بحرمة التعامل مع البضائع الروسيه. وكانت الحكومه الروسيه تعتني كثيراً بهذه الفتاوى، لأنها تمثل البدايات الحاسمه للصراع معها، فدفعت قنصلها في بغداد أن يلقي الشيخ الخراساني، ويقنعه بعدم إصدار فتوى الجهاد، إلا- أن الشيخ رفض استقباله، حيث قال لوكيله أبي القاسم الشيرازي: «أخبر القنصل بأنّي لا أملك وقتاً للإجتماع به، وإذا أراد شيئاً فليكتب».

والجدير بالذكر أن هذا الموقف المبدئي ضد الأعداء المحتلين، لم يتخذ بمعزل عن الدولة العثمانية، بالرغم من عدم وجود التنسيق المطلوب إلا- أن الجامع المشترك كان يدعو علماء الشيعة إلى تحمّل المسؤولية الشرعية، فقد بعث العلماء برقيه إلى السلطان العثماني محمد الخامس جاء فيها: إن العالم الإسلامي يعمه الاضطراب والتأثر البالغ نتيجة الهجوم الشامل الذي يتعرض له الإسلام من كل الجهات، وأنا بصفتنا تمثل الزعامه الدينيه لثمانين مليون مسلم جعفرى يقطنون فى إيران والهند وباقي البلدان، أجمعنا على وجوب الهجوم الجهادى والدفاعى، وحكمنا بذلك. ويعتبر من واجب جميع المسلمين صد وتشتيت مسيبي إراقه دماء المسلمين وصيانه دين محمد (صلوات الله عليه)، وهو واجب عينى، وأنا نعلن لجلالتكم.. الحامل للأمانه المقدسه.. ونرجو أن لا تبخلوا بإعطاء لواء الحمد النبوى (صلى الله عليه وآله) للمسلمين الذين سيحتشدون من شتى أقطار العالم بهدف الدفاع..». وقد وقع على هذه الوثيقه كل من الشيخ الآخوند الخراسانى، وعبد الله المازندراني، ومحمد حسين الحائرى، وإسماعيل صدر الدين العاملى (١).

هذا، وقد التحق سائر العلماء الآخرين بهذه الحركة الجهاديه، وعلى رأسهم السيد اليزدى تأييداً منه للموقف الجهادى العام، خلافاً لما يذهب إليه الدكتور على الوردى بأن السيد كاظم اليزدى لم يحرك ساكناً (٢)! فقد أصدر فتواه الجهاديه ضد روسيا وبريطانيا وإيطاليا، فى أواخر تشرين الثانى ١٩١١م، جاء فيها: «اليوم هجمت الدول الأوروبيه على الممالك الإسلاميه من كل جهه، فمن جهه هجمت إيطاليا على طرابلس الغرب، ومن جهه أخرى روسيا على شمالى إيران، وإنكلترا على جنوبها،

ص: ٢٥٩

١- (١) شبر، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٩-١٢٠، عن كفائى، عبد الحسين. مركى در نور، زندكانى آخوند خراسانى، طبع طهران (باللغه الفارسيه) ص ٢٥٨.

٢- (٢) الوردى، على: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٢٥.

وهذا يهدد باضمحلال الإسلام. لذا يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم أن يهيؤوا أنفسهم للدفاع عن البلاد الإسلامية ضد الكفر، وأن لا يقصّروا ولا يبخلوا في بذل أنفسهم وأموالهم في تقديم الأسباب التي يمكن من خلالها إخراج جيش إيطاليا من طرابلس الغرب، وجيش روسيا والإنكليز من شمالي وجنوبي إيران، وهذا من أهم الفرائض الإسلامية، حتى تبقى المملكتان العثمانية والإيرانية مصونتين محفوظتين بعون الله تعالى من هجوم الصليبيين». حرر يوم الاثنين خامس ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٩هـ- الموافق للسادس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩١١م. أما بيان الشيخ الخراساني، والسيد إسماعيل الصدر، والشيخ عبد الله المازندراني، وشيخ الشريعة الاصفهاني قد جاء فيه.. «إن هجوم روسيا على إيران، وإيطاليا على طرابلس الغرب، موجب لذهاب الإسلام، وضمحلال الشريعة الطاهرة والقرآن، فيجب على كافة المسلمين أن يجتمعوا ويطالبوا من دولهم المتبوعه رفع هذه التعدييات غير القانونيه من روسيا وإيطاليا.. جهاداً في سبيل الله كالجهاد في بدر وحنين» (١). وقد أكد هذه الفتوى بفتاوى مماثله، بعد الوفاء المفاجئه للخراساني، إثنان من كبار المجتهدين هما: الشيخ محمد تقى الشيرازي، والشيخ مهدي الخالصى (٢).

إلا- أن الوفاء المفاجئه للخراساني، عرقلت قرار العلماء في النجف و كربلاء والكاظميه وسامراء، بتوجيه المجاهدين نحو إيران لحرب الروس، وتلكأت حركة الجهاد من التوجه إلى ميادين القتال وتحولت الجهود والاهتمامات بالحدث المؤلم نحو إقامة مجالس العزاء والفواتح على روح المرجع القائد الشيخ الخراساني، وجرى فيها تذكير الناس بالاعتداءات الأجنبييه على بلاد المسلمين.

ومع ذلك فقد تمّ تشكيل مجلس تنفيذى يتولى مهام الإعداد والتخطيط

ص: ٢٤٠

١- (١) شبر، حسن: المرجع ذاته، ج ٢، ص ١٢٢-١٢٣.

٢- (٢) الرهيمي، عبد الحلیم: المرجع السابق، ص ١٥١.

للمجاهدين ضمّ ثلاثة عشر عضواً هم (السيد مصطفى الكاشاني، السيد حسن صدر الدين، شيخ العراقيين، الميرزا محمد حسين النائيني، الميرزا مهدي بن الآخوند الخراساني، الشيخ جواد الجواهري، السيد أبو الحسن الاصفهاني، الشيخ إسحاق الرشتي، نجل السيد صدر الدين، الشيخ عبد الحسين الرشتي، الشيخ محمد رضا بن شيخ العراقيين، السيد عبد الله الاصفهاني، السيد محمد رضا أروميه). ووضع لهذا المجلس مجموعه قواعد تنظيميه ترعى التحرك الجهادي. وبالفعل تحرك المجاهدون بزعامه العلماء من النجف إلى كربلاء وإلى بغداد، ثم إلى الكاظميه. إلا أن الحكومه الإيرانيه طالبت العلماء المجاهدين بالتريث في الحركه الجهاديه، وأخبرتهم بأنها في طريقها لحل الأزمه مع روسيا عبر المفاوضات السلميه، وأن القوات الروسيه انسحبت من بعض مناطق إيران.

وفي أواخر آذار ١٩١٢م، أي أواسط ربيع الثاني ١٣٣٠هـ، وصل إلى العراق خبر قصف مقام الإمام الرضا عليه السلام بالمدافع الروسيه، وقتل وجرح عدد من الزائرين، فاجتمع العلماء في الكاظميه منهم: السيد مهدي الحيدري، الشيخ مهدي الخالصى، السيد إسماعيل الصدر، الشيخ عبد الله المازندراني، شيخ الشريعه الاصفهاني، الشيخ محمد حسين القمشئي، السيد علي الداماد، السيد مصطفى الكاشاني. وأعلنوا الجهاد ضد روسيا، وقد غاب عن الاجتماع المرجعان الكبيران الميرزا محمد تقى الشيرازي في سامراء، والسيد كاظم اليزدي في النجف، وتقرر أن يتصل بهما الشيخ الخالصى لينضمما مع العلماء في إعلان الجهاد، ولم يجد صعوبه بإقناع الميرزا الشيرازي (١)، وبالفعل حضر إلى الكاظميه، وبعد اجتماعات طويله توصل العلماء إلى أن الحل السلمى عبر المفاوضات السياسيه لهذه الأزمه، وهو ما تفعله الحكومه الإيرانيه هو الحل الأفضل. وعلى ضوء ما تقدم، فإن الوضع في العراق قد تبلور في الوعي الإسلامى إلى المستوى

ص: ٢٤١

الحركى والجهادى إثر عوامل ذاتيه كامنه فيه، من خصوصياته وتاريخه القيادى، إلى جانب ظهور طبقه من العلماء المصلحين والمثقفين الناضجين وعلى رأسهم القيادة المرجعيه الواعيه التي واكبت الأحداث بجداره وهي تنطلق من الأصاله المبدئيه فى التعامل السياسى، مستمده قوتها من الفكر الإسلامى والأمة المسلمه. وكانت للحركه الدستوريه فى إيران، الأثر الأكبر فى نمو الوعى الثقافى والجهادى على الساحة العراقيه، وذلك لطبيعته التداخل بين الشعيين المسلمين، وللوجود الشخصى للمرجع القائد فى النجف، كما كان للحركه الدستوريه العثمانيه ١٩٠٨م تأثيرها فى تطور الوعى الإسلامى فى العراق.

وكذلك ظهرت لتطورات سياسه الاتحاديين انعكاسات مضاده داخل الساحة العراقيه، أدت بالنتيجه إلى تنضيج وبلوره الوعى إلى مستويات متقدمه فى حركه الأمة على المستوى الثقافى والسياسى.

ص: ٢٤٢

الباب الثاني: العراقيون في مواجهه الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢٠ صراع من أجل الحريه

اشاره

ص: ٢٤٣

الفصل الأول : حركة الجهاد الإسلامي ضد الغزو البريطاني ١٩١٤-١٩١٧

اشاره

ص: ٢٤٥

منذ الاعتداءات المتكرره على بلاد المسلمين، فى أوائل القرن العشرين، شهدت الساحة العراقيه تفاعلات حركيه سريعه النمو. وذلك للأجواء الجهاديه التى عكستها ظروف تلك الاعتداءات. فتجسدت المواقف المبدئيه لعلماء الإسلام، عبر فتاوى مشايخ الإسلام فى الآستانه، وعلماء الدين فى العراق - خصوصاً الشيعة - وبذلك يمكن أن نؤرخ للمرحله الجهاديه الحديثه فى العراق، إبتداءً من هذه النشاطات التى توجتها حركه الجهاد الإسلامى ضد الغزو البريطانى عام (١٩١٤م، ١٣٣٢هـ-) فقد سجّل الإسلاميون العراقيون مواقف مبدئيه ثابتة ضد الاعتداءات الأجنبيه على بلاد المسلمين، لا- على مستوى الفتاوى، والاستنكارات النظرية فحسب، وإنما شهدت الساحة عملياً، مظاهر حيّه داعمه لجهاد المسلمين فى العالم، نابضه بروح التعاون والمسؤوليه اتجاه الشعوب الإسلاميه المتعرضه لمحاولات الاعتداء الاستعماري، وقد مرّ الحديث عن موقف علماء الدين المسلمين - السنه والشيعة - الذين أفتوا بوجوب الجهاد ضد إيطاليا المعتديه على ليبيا عام (١٩١١م، ١٣٢٩هـ-) وفى حينها تشكلت لجان عمل لغرض الدعم والمساهمه، كما شهدت الساحة تظاهرات تنديديه للغزو الإيطالى وذلك فى كربلاء والنجف وغيرهما، وقد «تشكلت فى جميع أنحاء العراق لجان هذا الغرض ولعب الشيعة فيها دوراً فعالاً جداً»^(١)، «وكان أحد الشعارات الأكثر شيوعاً بين عامه بغداد هو: الدين.. يا

ص: ٢٤٧

١- (١) نظمى، د. وميض: الجذور السياسيه والفكرية والاجتماعيه للحركه القوميه العربيه (الاستقلاليه) فى العراق مرجع سابق ص ١٢٢. للمزيد من الإطلاع، راجع: الوائلى، إبراهيم: الشعر العراقي وحرب طرابلس، بغداد ١٩٦٤م.

محمد» (١). وكذلك سجّل الإسلاميون العراقيون موقفاً مماثلاً، إثر اعتداء روسيا على إيران في كانون الأول ١٩١١م، ذى الحجه ١٣٢٩هـ- بقياده علماء الدين وعلى رأسهم الإمام الآخوند الخراساني الذي رفع رايه مقاومه المعتدين الروس (٢)، وحينما تدخّل القنصل الروسى مباشرةً لتهديته العلماء، وبعث للإمام الخراساني رساله في هذا الشأن، ردّ عليه بالتهديد في إعلان فتوى الجهاد ضدّ تواجدهم في بلاد المسلمين، وأكثر من ذلك أبدى استعداداه مع العلماء الآخرين للمشاركة في المعركه مباشره (٣). هذا وبالرغم من اختلاف مواقف العلماء - حينذاك - إلا أن الساحة شهدت فتاوى جهاديه أوجبت الجهاد ضد الروس المعتدين، مما عكست في الأوساط الشعبيه، والثقافيه وعياً حركياً ملحوظاً. باتت تتفاعل فيه الحاله الجهاديه في الساحة العراقيه، منطلقه من مبادئ

ص: ٢٤٨

١- (١) بطاطو، حنا: العراق، الطبقات الاجتماعيه والحركات الثوريه من العهد العثماني حتى قيام الجمهوريه، الكتاب الأول مرجع سابق، ص ٣٢. ويوضح في الهامش معنى الشعار وهو «لنصرنّ الدين يا محمد» وهو شعار التظاهرات في بغداد يوم ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١١، ضد الغزو الإيطالي لطرابلس.

٢- (٢) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٧. عن زينوف، اينوان الكسيفنح: انقلاب مشروطيت إيران، (مترجم عن الفارسيه، ترجمه أبو القاسم اعتصامي) ص ١٥٧.

٣- (٣) على ضوء التطورات الحاصله في إيران، اجتمع علماء الإسلام في النجف الأشرف، عده اجتماعات مكثفه لغرض اتخاذ القرار المناسب ضد روسيا. وعلى أثرها تدخّل القنصل الروسى ببغداد، لتهديته الوضع المتصاعد لدى العلماء، فبعث رساله للإمام الآخوند الخراساني، يشرح فيها أسباب التدخل العسكري الروسى لإيران، مؤكداً له أن روسيا غير طامعه في الاحتلال، وأنها تريد تنفيذ شروطها، فانبرى له الآخوند الخراساني برساله جوابيه مهدده، طالب فيها الانسحاب الفوري من إيران ثم تسويه الأزمه عبر القوانين المتفق عليها، وهدد - في الوقت ذاته - بإعلان الجهاد لغرض الدفاع عن بلاد المسلمين، إن لم تستجب روسيا لهذه المطالب فوراً وقال أيضاً: «لقد نفذ صبر المسلمين، وما دامت بين المسلمين ورقه واحده من القرآن الكريم، فإنهم لا يمكن أن يُهزموا. إننا نحن المجتهدين مستعدون لبذل آخر قطره من دمائنا في سبيل حفظ الدوله والشعب الإيراني». شبر، حسن: مرجع سابق ص ١١٧-١٢٠. عن: كفائي، عبد الحسين مجيد: مركى در نور، زندگانی آخوند خراساني ص ٢٥٤-٢٥٧ (بالفارسيه).

الإسلام. التي تأتي رضوخ المسلمين للمعتدين الأجانب.

والمهم، إن هذه الأجواء الحركية المتصاعده إزاء تلك التطورات، وفّرت مناخاً حياً لاستقطاب جهود المسلمين، وتوجيهها نحو فريضة الجهاد ضد المعتدين.

وعليه، فقد تكثّف هذا الحس الجهادي المرهف، بشكل ملموس في الساحة العراقية عام ١٩١٤م، إثر الاعتداء البريطاني على العراق. وبالفعل أن وُصُول أقدام المعتدين لاحتلال العراق، أدى إلى تفجير الوضع المختزن بالوعي الحركي والجهادي، وهكذا شهدت الساحة بدايه واعدته للتحرك الميداني في المواجهه المسلحه على الأرض، وخاصه لو أدركنا أن المحاولات الجهاديه السابقه، بالرغم من جدّيتها وفعاليتها الحركيه، إلا أنّها لم تنفّذ على الأرض بالمواجهه القتاليه بين المجاهدين وجيش المعتدين، فمثلاً- حينما اجتمعت فرق المجاهدين إثر فتاوى العلماء، لحرب الروس في إيران، تعرقلت انطلاقتهم لوفاه الإمام الخراساني في ذي الحجه ١٣٢٩هـ- الموافق كانون الأول ١٩١١، الذي كان يتهياً لقياده الجموع المجاهده ميدانياً، فغيابه عن موقعه أحدث فراغاً قيادياً للمسيره الجهاديه، كما واستغرق إملاء هذا الفراغ وقتاً معيناً لغرض ترتيبه، بينما وصلت برقيات مُطمئنه من الحكومه الإيرانيه، تتحدث عن تطور المباحثات مع الروس، وعليه فالأزمه في طريقها للحل الدبلوماسي، وذكرت بأن القوات الروسيه، قد انسحبت من بعض المواقع.

نعم، هذا نموذج حي للتحرك الجهادي على الساحة العراقيه، ولكن - كما قلنا - إنها تجربه لم تكتمل حلقاتها بعد، في ميادين القتال، ونستطيع القول، بأن الخبره التجريبيه للمجاهدين ما نُفِذت عملياً عبر تلك التجارب، إلا أنّها حافظت على تنضيج الوعي الجهادي في الأمه، فأخترنت الطاقات الكامنه والجهود المتراكمه، على شكل استعدادات نفسيه لاقتحام ظروف الإقدام المباشر ضد الغزو البريطاني للعراق.

قبل الخوض في أبعاد حركه الجهاد الإسلامي عام ١٩١٤م، لا بد أن نقف وقفه عاجله، على عوامل نهوض هذه الحركه الجهاديه، التي احتلت العنوان الأبرز لتلك المرحله في العراق، بل أصبحت عنوان تلك الحقبة الزمنيه. ويمكن تقسيم تلك العوامل إلى خارجيه وداخليه. أما العوامل الخارجيه، فتتلخص بالتدخل الأجنبي في العراق، وهو - بدوره - يتطلب معرفه السبب المباشر للغزو البريطاني للعراق، فبالإضافه إلى الأسباب الاقتصاديه والسياسيه التي دفعت بريطانيا لوضع العراق نصب أهدافها الاستراتيجيه، إلا أن السبب المباشر هو وصول حاله التنافس إلى القمه بين الدول الطامعه وبالتحديد بين روسيا وبريطانيا على العراق (١).

فبعد إعلان روسيا الحرب على تركيا في ١٤ ذى الحجه ١٣٣٢هـ-، ٢ تشرين الثاني ١٩١٤م، شعر الإنكليز بأن روسيا توجهت أنظارها نحو العراق، باعتباره رأس الخليج، والطريق السالكه إلى الهند، الدره اللامعه في التاج البريطاني - كما كانت توصف (٢)- فعجلت هذه الرغبه الروسيه بتنفيذ بريطانيا مشروعها في احتلال العراق (٣).

ص: ٢٧٠

١- (١) لمعرفه تفاصيل حاله التنافس بين بريطانيا والروس راجع: مراد، محمد عدنان: بريطانيا والعرب، مرجع سابق ص ٢٦٢-٢٦٦.

٢- (٢) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسي الحديث، طبع صيدا، ١٩٤٨م-١٣٦٧هـ-، ج ١، ص ٤١.

٣- (٣) الحسنی، عبد الرزاق: المرجع ذاته، ص ٥١. يستعرض المؤلف مدرستی الهند والقاهره البريطانيتين في ص ٤٤-٤٦، ثم يشير إلى الفوارق «بين مدرستی الهند والقاهره» في اتخاذ القرار، وكيف أن مدرسه القاهره رجحت نظريتها على مدرسه الهند في العراق، وذلك لانخزال الجيش البريطاني في (كوت العماره). راجع: المرجع ذاته: ص ٥١.

وقد كان مشروع الاحتلال - هذا - جاهزاً لدى الإنكليز، إلا أن التنفيذ كان خاضعاً للتوقيت المناسب، فقد «وضعت الخرائط الدقيقة لسواحلها (دجله والفرات) فكان عملها هذا عملاً فريداً في بابه وقتئذٍ، بحيث اتخذت خرائطها من جملة الخرائط التي أُعدت أساساً لاحتلال العراق في عام ١٩١٤م» (١).

هذا وكانت معطيات الأحداث تشير إلى أن تركيا ستدخل الحرب إلى جانب ألمانيا، ضد الإنكليز وحلفائها. ففي ٦ ذى القعدة ١٣٣٢هـ، ٢٦ أيلول ١٩١٤م، كتب (السيرادمونديبارو Barrow). الأمين العام للشؤون العسكرية في مكتب الهند الذي قد أرسل ليحتل ميناء البصرة، مذكراً جاء في آخرها: «يبدو لي أن اللحظة المناسبة نفسياً للقيام بعمل حاسم قد حانت الآن، وإذا ضربنا ضربه مفاجئ الآن، فإن أثرها في النفوس سيكون عميقاً، كما أنها ستفاجئ الناس بشيء من الدهول»، «وكان (بارو) يظن أن ضربه مفاجئ كمثل الضربة التي اقترحها، من شأنها أن تحبط المؤامرات التركية، وفي الوقت نفسه تظهر قدره الإنكليز على إنزال الضربة التي ومتى يشاءون. كما أن من شأنها أن تشجع العرب على أخذ جانب الإنكليز، وأن تعزز من معنويات شيوخ المحمرة والكويت، الذين كانوا موالين للإنكليز، كما أن إجراء حربياً مفاجئاً من شأنه المحافظه على القطر المصري وعلى المنشآت النفطية في عبادان» (٢).

وبالفعل، ففي السابع من تشرين الثاني عام ١٩١٤م، ١٩ ذى الحجة ١٣٣٢هـ، احتلت القوات البريطانية ميناء الفاو بقيادة اللواء (دلامين ٣) (W.S.Delamein). وهكذا

ص: ٢٧١

١- (١) الحسنى، المرجع ذاته: ص ٣٩.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله فهد: دور الشيعة في تطور العراق السياسى الحديث، دار النهار بيروت ١٩٧٣م، ص ٨٣.

٣- (٣) العمر، فاروق صالح: حول السياسة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١. «دراسه وثائقيه» طبع بغداد ١٩٧٧، ص ١٢.

سجلت بريطانيا سبق في الاحتلال، وبذلك فرضت سياسته الأمر الواقع، فقطعت الطريق أمام الروس والمنافسين الآخرين -أيضاً-

وفي ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٤م، ٦ محرم ١٣٣٣هـ-، تم احتلال البصرة، وفي اليوم ذاته جرى في البصرة استعراض عسكري للقوات البريطانية، ورفع العلم البريطاني محل العلم العثماني، كما وانشأ الإنكليز معسكراً لهم شمالي البصرة على بعد خمسة أميال، وقد استفادوا كثيراً من أجزاء السكة الحديدية وموادها، التابعة لمشروع الألمان. وبعد ذلك تم إرسال قوات إنكليزية إلى الشعبه والمحمره لحراسه مداخل البصره.

أما ألمانيا فما عادت المنافس القوى لبريطانيا في المنطقه بالرغم من مشروع سكه حديد بغداد - المار الذكر (١)- . فبعد الاحتلال تم اعتقال القنصل الألماني في البصرة، وخمسه من الألمان، حيث نقلوا أسرى إلى الهند (٢).

أما العوامل الداخليه فتتركز حول الضعف العام الذي بدأ يسرى في بنية الدوله العثمانيه وتماسكها، إثر تنامي سياسته الاتحاد والترقي بعد أن أحكم الاتحاديون سيطرتهم على مفاصل الدوله، وكما هو معلوم ان خطه الاتحاديين ترمى إلى تحطيم الوحده الإسلاميه، وبناء تركيا الحديثه على أسس علمانيه.

وعليه لقد دخلت الدوله العثمانيه الحرب إلى جانب ألمانيا، بينما كانت على الحياد حين اندلاعها في النصف الثاني من عام ١٩١٤م. ويبدو أنه «كان من الأفضل.. الوقوف على الحياد، فحتى لو انتصرت دول الوسط، ألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا في بادئ الأمر، فلن تترك الدوله العثمانيه هادئه بل هناك مطامع كبيره في الأراضي التركيّه.. وبخاصه النمسا والمجر وإيطاليا، وكان بإمكانها أن تقوم بإصلاحات كثيره من

ص: ٢٧٢

١- (١) كنه، خليل: العراق أمسه وغده، مرجع سابق، ص ٩. لتفاصيل التنافس والاتفاقيات بين بريطانيا وألمانيا بشأن العراق، راجع:

مراد، محمد عدنان: مرجع سابق، ص ٢٦٦-٢٦٧.

٢- (٢) النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ٨٤.

الناحية الدستورية والاجتماعية خلال الحرب، ولكن جماعه الاتحاد والترقي كانوا في وادٍ آخر» (١). بينما كانت بريطانيا تسعى بشتى الطرق لابقاء الدوله العثمانيه على الحياد خشيه إثاره الرأى الإسلامى العام وبذلك تنجح خطه ألمانيا فى زجّ البريطانيين فى مشاكل كبيره (٢).

«ويقال إن ألمانيا لم تكن فى بدايه الحرب ترغب فى دخول تركيا إلى جانبها فى الحرب، إذ هى كانت تأمل أن تنال نصراً سريعاً على الحلفاء بمفردها دون معونه أحد، ولم تحب أن تشاركها تركيا فى ثمرات النصر، ولكن ألمانيا غيرت رأيها على أثر فشلها فى معركه المارن التى وقعت فى ١٩ أيلول ١٩١٤م، [٢٩ شوال ١٣٣٢هـ-]، فقد أرسل (غليوم) عندئذ إلى سفيره فى اسطنبول، يأمره بأن يبذل جهده لإدخال تركيا فى الحرب عاجلاً» (٣).

ومما يذكر «أن الدوله العثمانيه كانت قبيل الاندلاع الحرب تحت سيطره الاتحاديين.. فكان أنور باشا وزير الحربيه، أعظم رجال الدوله نفوذاً، وأقواهم شخصيه، حتى أطلق بعض المؤرخين عليه لقب (دكتاتور الحرب). ويليهِ فى النفوذ طلعت باشا وزير الداخليه، الذى صار فيما بعد رئيس الوزراء، ثم يأتى فى الدرجه الثالثه جمال باشا وزير البحريه.. أما رئيس الوزراء سعيد حليم باشا، والوزراء الآخرون فكانوا أمام هؤلاء الثلاثه ضعافاً ليس لهم القوه والنفوذ إلا قليلاً، يقول القائد التركى على قواد بك، فى مذكراته: كانت المملكه العثمانيه فى قبضه الاتحاديين، وكان الاتحاديون فى قبضه المركز العام، وكان المركز العام فى قبضه الحكام الثلاثه، وكان

ص: ٢٧٣

١- (١) مراد، محمد عدنان: مرجع سابق، ص ٢٦٧.

٢- (٢) نديم، العميد الركن شكرى محمود: حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨م دراسه علميه ط ٨، بغداد ١٩٧٤م، ص ٩.

٣- (٣) الوردى، د. على: مرجع سابق، ج ٤، ص ١٠.

الثلاثه فى قبضه أنور، يسوقهم سوقاً عنيفاً، أما مقام السلطنه، والقوه التشريعيه، وحزب الاتحاد والترقى، والحكومه الرسميه، والمطبوعات، والرأى العام، فلم تكن إلا أشباحاً ماثله وخيالات متصوره» (١).

وكان أنور باشا والاتحاديون بشكل عام مندفعين لزج قدرات الدوله العثمانيه فى الحرب إلى جانب ألمانيا. ويبدو أن هذا التوجه، هو جزء من الخطه لاستكمال أدوارهم المرسومه ضد الوحده الإسلاميه والدوله العثمانيه المسلمه. كما حصلت الرغبه من ألمانيا فى زج الدوله العثمانيه فى الحرب إلى جانبها، لا من منطلق الاستفاده من القوات العثمانيه، وإنما من سلاح الجهاد، الذى باستخدامه سير بك الحلفاء فى مواقعهم، يروى (مورغنتو): ان السفير الألمانى (فون ونغنهايم) ذكر له بصراحه، الهدف من إدخال تركيا إلى جانب ألمانيا فى الحرب، حيث قال: «إن ألمانيا كانت ترمى إلى إثارة العالم الإسلامى على المسيحيين، أى إنها كانت تنوى تسعير حرب دينيه، للقضاء على سلطه إنكلترا وفرنسا فى مستعمراتها الإسلاميه كالهند ومصر والجزائر وغيرها، أما تركيا بحد ذاتها، فليست شيئاً مهماً، جيشها صغير ضعيف، ولا ننتظر منه أعمالاً مجيده فى ساحات القتال، ولكننا نحن لا نرى فى تركيا إلا العالم الإسلامى، فإذا تمكنا من إثارة الرأى الإسلامى العام ضد انكلترا وفرنسا وروسيا، نكون قد أرغمناهم على طلب الصلح فى وقت قريب» (٢). وبالفعل دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، فى أوائل تشرين الثانى ١٩١٤م، واستخدمت سلاح الجهاد المقدس (٣).

ص: ٢٧٤

-
- ١- (١) الوردى، المرجع ذاته، ص ٧، عن: على، فؤاد: كيف غزونا مصر؟ ترجمه نجيب الأرمنازى. ص ٣١.
 - ٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ٢٠. نقلاً عن: هنرى، مورغنتو: مذكرات سفير أمريكا فى الآستانه، ترجمه فؤاد صروف، القاهره ١٩٢٣.
 - ٣- (٣) لمعرفه تفاصيل الموقف العسكري بين الطرفين راجع: نديم، العميد الركن شكرى محمود: حرب العراق - المرجع السابق - فهو دراسه للتاريخ العسكري اعتمدها المؤلف فى تدريسه فى كليه الأركان العراقيه طيله أربع سنوات.

بالرغم من التأثير المتواضع لفتاوى الجهاد الصادره من الآستانه على البلدان الإسلاميه، إلا أنه في العراق، توافقت دعوه الجهاد - هذه - مع تطلعات العلماء المجتهدين الشيعه، التواقين لتطبيق فرض الجهاد كواجب شرعى مقدس، بهدف حفظ العراق - البلد المسلم - من الاعتداءات الخارجيه، وبالفعل أن «استجابته الناس للجهاد لم تكن للدعوه التي وجهت من قبل شيخ الإسلام في اسطنبول، وإنما لفتاوى التي أصدرها العلماء في النجف والكاظميه وكربلاء وسامراء، والتي أوجبت الجهاد على المسلمين ومقاتله الكفار والذين هم الإنكليز» (١).

ولذلك كانت عوامل نهوض حركة الجهاد في العراق تتركز حول الاستجابته لفرض الجهاد الإسلامى ضد المحتلين الكافرين، فبعد أن صدرت دعوه الجهاد عن شيخ الإسلام - مفتى الدوله العثمانيه - في السابع من تشرين الثانى عام ١٩١٤م، ١٩ ذى الحجه ١٣٣٢هـ، أى بعد يوم واحد من غزو ميناء الفاو، بدء الاحتلال للعراق، حيث اعتبر الجهاد واجباً عينياً على كافه المسلمين في أرجاء العالم. تصدى للعمل الجهادى كبار علماء المسلمين الشيعه بمبادره واعيه منهم بعد ما تمّ تشخيص التكليف الشرعى -

ص: ٢٧٥

١- (١) أنظر: شبر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٤٨. وقد آعتبر المؤلف أن دعوه الجهاد قد فشلت في ولايات الدوله العثمانيه والمناطق الإسلاميه الخارجيه عن إرادتها. وانظر - أيضاً-: الوردى: المرجع السابق، ج ٤، ص ٤١. فإنه يعتبر أثرها ضعيفاً إلى حد كبير.

حينذاك - فى تطبيق فرض الجهاد لصدّ العدوان، وهنا - وبالفعل - تبرز عظمه المجتهدين المراجع واتباعهم الذين حملوا رايه الجهاد بجداره، وسجّلوا صفحات مشرقه فى التاريخ، بالرغم ممّا كانوا يعانونه من قساوه وشده ونكران من قبل سياسه الدوله العثمانيه على طول تاريخها، وبالفعل لقد أسدل علماء الشيعة الستار على كل معاناتهم وآلامهم ووقفوا فى الصفوف الأولى للمقاومه، فأصدروا فتاواهم الجهاديه، ودعوا إلى رصّ الصفوف، والوقوف إلى جانب الدوله الإسلاميه العثمانيه لردء الاحتلال البريطانى ومقاومته. يقول عبد الرزاق الحسنى: «إن العلماء رأوا مخاطر استيلاء القوات الإنكليزيه على البصره باعتبارها مدخلاً للسيطره على العراق. وبما أن هذه المخاطر لا يمكن إنكارها فان تعزيز موقف العثمانيين المسلمين أمر لا مناص منه، حسب ما تقتضيه أحكام الشريعه الإسلاميه لذلك أفتوا بالجهاد» (١).

«ومع أن انطلاق حركه الجهاد، واتساع نطاقها قد تمّ بفعل العلماء الشيعه، التى صدرت فى الأغلب بمبادره منهم، فان تحسن العلاقات العثمانيه - الشيعيه، قد منحها

ص: ٢٧٦

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب، طبع صيدا - لبنان ١٩٣٥م، ج ١، ص ١٦. يذكر المؤلف السيد الحسنى فى كتابه الآخر (تاريخ العراق السياسى الحديث) حينما ظهرت بوادر الحرب العالميه الأولى عام ١٩١٤، رأت بريطانيا أن تضع فى حسابها حمايه مؤسسات النفط فى عبادان - على الخليج - وذلك خوفاً من احتمال هجوم الأتراك عليها إذا دخلوا الحرب ضد الإنكليز. ويشير إلى أن هذا الموقف فى حقيقته يعود إلى دور شيخى الكويت والمحمره اللذين يؤلفان الجناحين لتلك المؤسسات حيث طلبا النجده لغرض إعلاء شأن النفوذ البريطانى فى المنطقه «ولفت نظر السلطات العثمانيه إلى أن بريطانيا مهتمه بأمر العرب وموقفهم من الحرب، فلا تتعب نفسها بدعوتهم للقتال باسم الدين فى صفوف الترك». وفى الصفحه ذاتها يذكر فى الهامش نقلاً عن مذكرات أحمد باشا القائد التركى ص ٣٤٤-٣٤٥ حول اتصاله بـ «أرباب الحثيات فى بغداد وكربلاء والنجف وعدد من مشايخ العراق». لصدّ الإنكليز كما ويذكر مدى إخلاص هؤلاء وصدق ولائهم للدوله الإسلاميه. راجع الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث ج ١، طبع صيدا ١٩٤٨م، ص ٤٧. وفى الطبعة الثالثه، بيروت، دار الكتب، ص ٥٢.

زخماً كبيراً، مكن العلماء من القيام بدور حاسم في حشد عدد ضخم من المجاهدين كقوات شبه نظاميه، قدمت مساعده فعلية للجيش العثماني. وقد حظى الدور الذي قام به العلماء يا كبار القاده العثمانيين» (١).

فاذن، كانت هذه الفتاوى مشفوعه بالعمل التعبوى فى معظم مدن وأرياف وعشائر العراق، لذلك تشكلت فرق منتظمه من المتطوعين للجهاد، يذكر جعفر محبوبه عن السيد محمد سعيد الحبوبى - أحد العلماء المجاهدين - بأنه «قاد جيشاً جرّاراً إلى جبهه الشعيه منظماً من مجاهدين متطوعين» (٢).

وكانت الانطلاقه فى التاسع من تشرين الثانى ١٩١٤م، ٢١ ذى الحجه ١٣٣٢هـ-، عندما أرسل عدد من علماء ووجهاء البصره، برقيات الاستغاثة إلى كبار العلماء والمجتهدين فى النجف و كربلاء والكاظميه، يطلبون تعجيل حركتهم بإثاره العشائر، ضد الجيش البريطانى الزاحف. وقد نصّت إحدى البرقيات على ما يلى: «نغر البصره، الكفمار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقى بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع» (٣).

ص: ٢٧٧

- ١- (١) الرهيمى، عبد الحلیم: المرجع السابق، ص ١٧٣-١٧٤. يذکر فى الهامش بأن (الحسنى) يذکر هذا الرأى باعتبار أنه مبنى على الوثائق العثمانيه، لكنه لم يشر إليها. راجع: الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب ج ١، ص ١٧.
- ٢- (٢) المحبوه، جعفر الشيخ باقر: ماضى النجف وحاضرها، ج ١، بيروت ط ٢، (١٤٠٦هـ-، ١٩٨٦م)، ص ٣٤١. والسيد محمد سعيد بن السيد محمود الحبوبى، المتوفى فى أوائل شعبان ١٣٣٣هـ-، ١٩١٥م، بمركز الناصريه أثناء رجوعه من جبهه الشعيه، حيث خرج مجاهداً يقود المجاهدين فى هذه الجبهه ضد الإنكليز المحتلين. وهو عالم جليل وشاعر معروف له ديوان مطبوع واشعاره فى الوصف والاجتماع و السياسه. راجع الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة، مرجع سابق، المجلد التاسع، ص ٣٤٤-٣٤٦.
- ٣- (٣) الوردى، د. على: مرجع سابق: ج ٤، ص ١٢٧. وكذلك الحسينى، السيد أحمد: الإمام الثائر السيد مهدى الحيدرى، ص ٤٣-٤٤.

وكان لهذه البرقيه أثر كبير فى إلهاب المشاعر الإسلاميه فى نفوس الناس، وخاصة لو أدركنا دقه استخدامهما من قبل العلماء لهذا الغرض، فقد تليت من على المنابر فى المساجد والحسينيات، والساحات العامه فى النجف وكربلاء والكاظمية، فكانت أصداؤها تظهر عملياً على الأرض، وذلك فى الانتماء السريع من قبل الناس إلى قوافل المتطوعين للجهاد، ومن ثم التوجه المتفانى إلى جبهات القتال لإنقاذ اخوتهم وبلادهم (١).

ومما لا يخفى أن التطور الحاصل لحركه الجهاد إلى درجه المقاومه المسلحه، كان يعود للأثر الواسع والأهم لفتوى الجهاد التى أصدرها المرجع الأعلى الإمام محمد كاظم اليزدى، وعلاوه على فتواه، بعث نجله محمد ليمثله فى قوافل المجاهدين المتوجهه إلى الجبهات. لذلك «أخذت حركه الجهاد، طابع النفير العام فى المدن الشيعيه المقدسه، وبغداد، ومعظم مدن ومناطق العشائر فى الفرات الأوسط والجنوبى. وخلال ذلك برز عدد من كبار المجتهدين و(علماء) الدين الآخرين الذين قاموا بأدوار قياديه بارزه فى حركه الجهاد. سواء فى تصدريهم الدعوه أو فى إشرافهم على تطوع، وتجنيد المجاهدين، ومن ثم مشاركتهم العمليه فى القتال» (٢).

ففى مدينه النجف الأشرف، برز المجتهد السيد محمد سعيد الحبوبى فى موقع قيادى مهم للحركه، حيث انطلق مع مجموعه من العلماء إلى أوساط الناس، فتوقف قليلاً فى الشاميه، وغمّاس، والشنّافيه، والسيد راضى، والسماوه، والخضر، والناصرية، وبنى سعد، فكان يرتقى المنبر ليخطب الجماهير، ويحثهم على الجهاد، ويذكرهم بمعارك الإسلام والمسلمين ضد الكفر والكافرين، فاستطاع أن يجنّد مئات المجاهدين من كل مدينه أو عشيره وقف بها، إلى جانب جمع الأسلحه والذخيره (٣). فتوجّه بهم إلى الجبهات

ص: ٢٧٨

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ٨٥.

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ١٦٥.

٣- (٣) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ٨٦. وانظر: محبوبه، جعفر الشيخ باقر. المرجع السابق، ص ٣١٤.

فى البصره، وقد أدى عدد من العلماء دوراً أساسياً فى تعبئه، وقياده المجاهدين فى المدن، والعشائر. من أمثال: الشيخ عبد الكرىم الجزائرى، الشيخ جواد صاحب الجواهر، السيد محسن الحكيم (١)، الشيخ محمد باقر الشببى.. وغيرهم.

هذا وقد خطب المرجع الأعلى السيد اليزدى فى الصحن الحيدرى فى ٦ كانون الأول ١٩١٤م، ١٩ محرم ١٣٣٣هـ، خطاباً عاماً، أكد فتواه الجهاديه، ودفع القادرين على الجهاد لأداء واجبهم الشرعى، وفرض على العاجز بدنياً تجهيز الفقير القوى بعده القتال. وكان لهذه الخطبه الأثر المباشر فى النفوس.

وكذلك شهدت الكاظميه، ظهوراً للحركه الجهاديه، وقد برز فيها عالمان كبيران هما: السيد مهدي الحيدرى، والشيخ مهدي الخالصى. وقد أصدر الشيخ الخالصى رساله بعنوان «الحسام البتار فى جهاد الكفار» تحدث فيها عن فريضه الجهاد فى الإسلام، وقد أفتى بوجوب صرف الأموال والحقوق الشرعيه فى الجهاد، حتى تزول غائله الكفار، ومن امتنع عن بذل ماله وجب أخذه منه كرهاً.

أما السيد الحيدرى - وكان له من العمر ثمانون سنه - فقد تحرك على محورين، فى المحور الأول تمّ اتصاله بكبار العلماء والمجاهدين فى النجف، وكربلاء، وسامراء عبر البرقيات، باحثاً معهم مسأله احتلال الفاو، والأوضاع الخطيره المحيطة بالبلاذ، مبيناً رأيه وعزمه فى جهاد المعتدين، ومما يذكر أن ثلاثه من المجتهدين توجهوا إلى الكاظميه، استجابته لرغبته وهم: شيخ الشريعه الاصفهانى، والسيد مصطفى الكاشانى، والسيد على الداماد، وقد استقبلهم أهالى الكاظميه بحفاوه وتكريم، وهم يرددون شعار الجهاد: الله أكبر. أما بقيه العلماء فكتبوا للسيد الحيدرى بأنهم فى طريقهم للالتحاق بالسيد الحبوبى فى جبهه الشعيه (٢).

ص: ٢٧٩

١- (١) المجتهد الإمام السيد محسن الحكيم، أصبح المرجع الأعلى للمسلمين الشيعه، منذ بدايه الخمسينيات حتى وفاته عام ١٩٧٠.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله، المرجع نفسه، ص ٨٦.

وكان المحور الثاني لنشاطات السيد الحيدري، هو لقاءه بالناس من على منبر الصحن الكاظمي، وقد كان يحثهم - من خلال ذلك - على أداء فريضة الجهاد.

وفي كربلاء شهدت الساحه تحركاً جهادياً متنامياً، حيث برزت حركة التطوع بين الناس، وقد سار العلماء والأشراف والأهالي بمسيره عامه إلى الصحن الحسيني، يتقدمهم السيد إسماعيل الصدر، ثم تناول سيفاً مرصعاً محفوظاً في القبه المباركه، وقدمه إلى القائد العثماني العام نور الدين بيك، هذا، وقد انضم بعض العلماء، أمثال السيد علي التبريزي، والميرزا مهدي الخراساني وغيرهما إلى علماء النجف المتوجهين إلى الكاظميه، استجابة لنداء السيد مهدي الحيدري، فانطلقوا معهم إلى ساحات القتال (١).

أما في سامراء فقد تصدى المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي للجهاد بفتواه، وقد بعث نجله الشيخ محمد رضا إلى الكاظميه، للانضمام إلى صفوف المجاهدين وأمره بالانضواء تحت رايه السيد مهدي الحيدري والانطلاق معه إلى جبهات القتال. كما وأبرق إلى جميع أنحاء العراق بوجوب التضامن مع العلماء ووجوب الدفاع عن حرمت الإسلام (٢).

وفي بغداد، انطلق الناس للانتماء إلى صفوف المجاهدين، إثر تلك الفتاوى الجهاديه للعلماء المراجع. وقد برز من الوجهاء الحاج داوود أبو التمن في تنظيم صفوف المتطوعين للجهاد.

وهكذا توسعت الحركة لتشمل معظم المدن والعشائر. والمهم، تحرك السيد محمد سعيد الجبوبي من النجف الأشرف في ٢٥ ذي الحجه ١٣٣٢هـ، الموافق ١٥ تشرين

ص: ٢٨٠

١- (١) الفياض، عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى لسنة ١٩٢٠م، مرجع سابق، ص ١١١. راجع جريده (صدي الإسلام) البغداديه في عددها الصادر في ١٧ ذي القعدة عام ١٣٣٣هـ. في وصف مسيره التأييد لحركة الجهاد والاحتفال في الصحن الحسيني الشريف بكربلاء.

٢- (٢) الحسيني، السيد أحمد: الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري، ص ٤٥-٤٦.

الثاني ١٩١٤م، باتجاه الناصريه، مع مجموعه من العلماء وقوافل المتطوعين، ووصلوا جبهه الشعبيه أواخر شباط ١٩١٥م أى أواسط ربيع الثاني ١٣٣٣هـ. وفي ٢٧ ذى الحجه تحرك السيد عبد الرزاق الحلو، وفي ٧ محرم تحرك من بغداد شيخ الشريعه الأصفهاني والسيد على الداماد، والسيد مصطفى الكاشاني، ووفد المرجع الأعلى السيد اليزدي، المؤلف من نجله السيد محمد، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد إسماعيل اليزدي، وعدد من طلبه العلوم الإسلاميه. وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٤ الموافق ١٣ محرم ١٣٣٣هـ، انطلقت سفن المجاهدين من شواطئ دجله فى بغداد بزعامه السيد مهدي الحيدري، وفي ٤ صفر تحرك الشيخ صفر الشيخ عبد الحسين، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ حسين الحلبي، والشيخ حسين الواسطي، وكثير من العلماء وطلبه العلوم الدينيه إلى جبهات القتال، وكان فيهم عدد من الطلبة الفرس. وفي ٢٤ شباط ١٩١٥م الموافق ١٠ ربيع الثاني ١٣٣٣هـ، تحرك حوالى ستمائه فارس من المجاهدين الأكراد إلى الشعبيه، بعد أن زاروا مرقد الإمام على عليه السلام بالنجف الأشرف.

وقد اختلفت الإحصائيات فى تقدير عدد المجاهدين، فقد ذكر بعضهم، إن الذين اشتركوا فى الجبهات الثلاث، بلغ ثمانيه عشر ألف مجاهد، إضافه إلى ثلاثه آلاف مجاهد من قبائل عربستان (الأحواز) (١). بينما يذكر السيد عبد الرزاق الحسنى، أن عددهم فى الشعبيه بلغ ١٣ ألف مجاهد، بضمنهم ١٥٠٠ كردى (٢) فى حين يذكر حسن الأسدى، وهو من المعاصرين للأحداث، أن الذين التحقوا بالسيد الجبوبي بلغ عددهم ثلاثين ألف راجل، وعشره آلاف فارس (٣).

ص: ٢٨١

١- (١) الرهيمى، عبد الحلیم: المرجع السابق، ص ١٧٢.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب ج ١، مرجع سابق، ص ١٦-١٧.

٣- (٣) الأسدى، حسن: ثوره النجف ضد الإنكليز، بغداد ١٩٧٤م، ص ٩١.

وقد بلغ عدد القوات العثمانية في هذه الجبهه، نحو سبعة آلاف وستمائيه حسب التقديرات العثمانية الرسميه، هذا فضلاً عن عشرات الآلاف من المتطوعين الذين سجلوا أسماءهم في النجف وكربلاء، والكاظميه، وبغداد، كاحتياطيين بسبب قله السلاح (١). يذكر عبد العزيز القصاب في ذكرياته، إنه وصلت قوافل المجاهدين العرب إلى السماوه إلى جانب قوافل المجاهدين الأكراد برئاسة الشيخ كاكا أحمد، ووصل السيد هادي مكوثر ومجموعه من المجاهدين. وشكل أهل السماوه سريه من المجاهدين برئاسة الشيخ بروتى السلطان وكانت هوسه (انشوده) أهل السماوه المشهوره هي: «ثلثين الجنه الهادينا - وثلث لكاكا أحمد وأصحابه - واشوى اشوى البروتى» (٢).

هذا، وقد توسع تأثير فتاوى الجهاد، إلى خارج العراق أيضاً، فانتشرت بين عشائر إمارتى الكويت، وعربستان (الأحواز)، فتحررت العشائر - هناك - للجهاد، كقبيلتى الباوى وكعب، أما أمير المحمره الشيخ خزعل فلم يتحرك في هذا الاتجاه، لارتباطه ببريطانيا عبر معاهدات ومواثيق (٣). بالرغم من أن المرجع الأعلى السيد اليزدى، وكذلك مجموعته من العلماء، منهم شيخ الشريعة الاصفهاني، بعثا له رسالتين يطلبان منه مسانده المجاهدين، ومحاربه الإنكليز، إلا أنه لم يستجب لهذا الطلب (٤). وكذلك أمير الكويت مبارك الصباح، فإنه حاول إرسال قوه لإستناد خزعل ضد العشائر المناديه بالجهاد، جنباً لجنب مع القوات العثمانية ضد البريطانيين الغزاه، ولكنه جوبه بحاله تنذر بالتمرد والعصيان فى عشائره المنذده بتعاونه مع الإنكليز (٥).

ص: ٢٨٢

-
- ١- (١) النفيسى، عبد الله، المرجع نفسه، ص ٨٩.
 - ٢- (٢) القصاب، عبد العزيز: من ذكرياتى، طبع بيروت ١٩٦٢، ص ١٠٨ ومابعدها.
 - ٣- (٣) النفيسى، المرجع ذاته: ص ٨٣، الهامش رقم ٣. لتفاصيل راجع: وثائق وزاره الخارجيه البريطانيه. (٤٤/٤٦٤٩٠/٤٤٩٢٣)
 - ٤- (٤) راجع النص الكامل للرسالتين فى المحلقين الثالث والرابع.
 - ٥- (٥) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ١٦٩.

P.R.O.F.O ٣٧١/٢١٣٩

ويبدو أن محاوله إستماله أمير المحمره، وأمير الكويت، كانت نابعه عن أهميه موقعهما الإستراتيجى. وأن موقفهما السلبي اتجاه حركه الجهاد، كان معروفاً لدى العلماء والمراجع. وما هاتان الرسالتان إلاّ إتماماً للحجّه، وتعريه لموقفهما المتخاذل. والمسأله واضحه من الأساس، وإلاّ ما معنى أن يبعث المرجع الأعلى رساله خاصه إلى هكذا نماذج! وإن كانت تحتسب المحاوله الأخيره لحملهما على الاستقامه والإصلاح! إلاّ أنه من المفترض عليهما وعلى سائر المؤمنين، أن يستجيبوا لأمر الجهاد كواجب شرعى، سواء أكانوا من رؤساء العشائر، أم من أعيان المدن، أم من عامه الناس. ومما يلاحظ على نصّ الرسالتين المهمتين، أنهما كانتا تعالجان انحرافاً خطيراً فى الخط الفكرى لدى أمير الكويت وأمير المحمره. ففى رساله المرجع اليزدى لأمر المحمره تأكيد على حرمة التعاون مع الكفار الإنكليز، وتذكير صريح بخطأ ولائهم للإنكليز، فقد جاء فيها «..وأنت فى ثغر مهم من تلك الثغور، فالواجب حفظ ذلك الثغر عن هجوم الكفار بكل ما تتمكن.. كما أنه يحرم على كل مسلم معاونه الإنكليز ومعاضدتهم على محاربه المسلمين، والأمل بهمتك وغيرتك، أن تبذل تمام جهدك فى دفع الكافرين..».

أما رساله الثانيه، فقد أكدت على وجوب الجهاد على جميع المسلمين، بلا فرق بين الإيراني والعثماني، فان الحكم الإسلامى عام وشامل للجميع، وجاء هذا التأكيد لكى لا يتخلف عن الجهاد بحجه تبعيته للدوله الإيرانيه، ومما جاء فيها «باسم الشريعه المحمديه، يجب عليك النهوض، والقيام، واتفاقكم مع المسلمين فى مدافعه الكفار عن ثغر البصره.. وهذا حكم دينى لا يفرق بين إيراني وعثماني..» (١).

ص: ٢٨٣

١- (١) شبر، حسن: مرجع سابق، ج ٢، ص ١٥٣. ومما يذكر أن الشيخ خزعل، كانت له علاقته وثيقه مع أستاذه فى النجف الشيخ عبد الكريم الجزائرى، وكان من مقلديه. فكتب له الشيخ الجزائرى بضروره الوقوف إلى جانب الدوله العثمانيه فى هذه الحرب، فاعتذر خزعل عن ذلك، فقطع الجزائرى علاقته معه، وكلمما حاول خزعل إعادتها بعد الحرب، فلم يوافق الجزائرى، قائلاً له: «فرّق ما بينى وبينك الإسلام». الوردى، على: المرجع السابق، ج ٤، ص ١٤٠-١٤١.

ابتدأت حركة الجهاد الإسلامي من انطلاقه قوافل المجاهدين، من بغداد والكاظميه و كربلاء والنجف وغيرها، على شكل مواكب مهيبه، ضمن أهازيج وأناشيد استنهاضيه، مقتبسه من روح الإسلام في مقاومه الكافرين. فمثلاً كان يهتف أهالي بغداد، ضمن الموكب الجهادي المحفوف بالسيد مهدي الحيدري، وعلى طريقتهم «سيد مهدي ركن الدين، نمشي للجهاد اوياه.. واندوس العده بحداه». أي نسير معه للجهاد، ونسحق العدو بحدائه. وكانت قد انطلقت المسيره الجهاديه لأهالي الكاظميه باتجاه بغداد في الثاني عشر من شهر محرم ١٣٣٣هـ-، ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٤م. بقياده السيد الحيدري وثلثه من العلماء وجموع من المجاهدين في طليعتهم الشيخ عبد الحميد الكلدار وكانت الجموع الثائره تهتف للسيد الحيدري: «حجه الإسلام طالع للجهاد، امحصن بموسى بن جعفر والجواد». أي أن السيد الحيدري في طريقه لتنفيذ فريضه الجهاد، وهو محصن بالامامين موسى الكاظم عليه السلام، ومحمد الجواد عليه السلام، وهما الإمامان السابع والتاسع من أئمه أهل البيت عليهم السلام، المدفونان في مدينه الكاظميه، ببغداد (١).

وكان السيد الحيدري في طريقه إلى جنوب العراق، كلما وصل بلدًا صلّى بالناس وخطب بهم وحثهم على المقاومه والجهاد، وقد التقى بالقائد العسكري العثماني

ص: ٢٨٤

(جاويد باشا) في منطقه (العزير) وتفاوض معه حول الحرب والقتال (١). وحتى وصل موكب المجاهدين إلى القرنه - ملتقى النهرين - توزع العلماء والمجاهدون على ثلاث جهات، تبعاً لتقسيم القيادة العثمانيه لمحاور القتال (٢). جبهه القرنه، وكان على رأس المجاهدين السيد مهدي الحيدري، وشيخ الشريعه الاصفهاني، والسيد علي الداماد، والسيد مصطفى الكاشاني، ومعهم جموع غفيره من المجاهدين - أبناء المدن والعشائر - «وقد قدرّ البعض عددهم بأربعين ألفاً» (٣). وكانت لهم مواقف بطوليه مشهوده.

وجبهه الحويه، وكان من أبرز العلماء فيها: الشيخ مهدي الخالصي، ونجله الشيخ محمد، والسيد محمد نجل المرجع الأعلى اليزدي، والشيخ جعفر راضي، والسيد كمال الحلّي.

أما جبهه الشعبيه، فكان على رأسهم: السيد محمد سعيد الحوي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ عبد الرضا راضي، والسيد محسن الحكيم، والشيخ أحمد تامر، والشيخ رحوم الظالمي، والشيخ باقر حيدر، والسيد سعيد كمال الدين (٤).

وكان المجاهدون يقومون باستعراض عسكري في مواقعهم، ويتحدّون القوات البريطانيه بمناوشات شجاعه. قبل اندلاع المعارك، وهذه الظاهره إنّ دلت على شيءٍ فإنها تدل على قوه المعنويات لدى المجاهدين، ومدى تحديهم للغزاه المعتدين، وكانت القرنه، أول الأهداف للجيش البريطاني، وذلك لمنافعها العسكريه والاستراتيجيه، فهي ملتقى دجله والفرات، ولموقعها أهميه عسكريه خاصه.

ص: ٢٨٥

-
- ١- (١) المرجع ذاته، ص ٤٨.
 - ٢- (٢) الحسنی، عبد الرزاق: العراق في دورى الاحتلال والانتداب، مرجع سابق، ص ١٧.
 - ٣- (٣) الحسيني، السيد أحمد: المرجع ذاته، ص ٥١.
 - ٤- (٤) للتفاصيل راجع: الفياض، عبد الله: مرجع سابق، ص ٢١١. والنفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ٨٦. والياسري، عبد الشهيد: البطوله في ثوره العشرين، طبع النجف ١٩٦٦، ص ٧٦، ومحبوبه، جعفر الشيخ باقر: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٤٦. والأسدي، حسن: المرجع السابق، ص ٩٠.

ففى التاسع من شهر كانون الأول عام ١٩١٤م، وبعد سلسله من المناورات والمناوشات الحاده الخاطفه سقطت القرنه بيد القوات البريطانيه (١). وفيها فقد الجيش العثماني ألف جندي، وأحرقت السفينه التركيّه (مرمريس)، وتم أسر صبحى بيك القائد العثماني. وبناء على هذه التطورات عزلت الحكومه العثمانيه فى الآستانه جاويد باشا القائد العام للجيش فى العراق، وعيّنت محله سليمان عسكري بيك، الذى حاول إقناع العراقيين بأن الحرب مع الإنكليز هي حريهم (٢).

ومما يذكر بعد سقوط القرنه بيد العدو، وانسحاب الجيش العثماني إلى العماره «أشار بعضهم إلى السيد [الحيدري] بالرجوع إلى العماره لأنها مركز القوه وموطن العشائر فوافق على ذلك.. فلما وصل إليها بلغه أن القائد العسكري يريد إخلاء العماره والانسحاب منها أيضاً، فأبى السيد ذلك وأصر على البقاء وقال كلمته الخالده «أما أنا فلا أتحرك من هذا المكان وأحاربهم هنا حتى أقتل أو أنتصر»، فلما بلغت هذه الكلمه مسامع القائد بعثت فيه روح القوه والعزم.. وعدل عن رأيه فى الانسحاب، وصمم على الثبات مهما كلف الأمر. ويذكر أن القائد سليمان عسكري بك زار سماحه السيد وبقية العلماء فى العماره، وعرض عليه تقديم بعض المؤن والأموال للمجاهدين فرفض السيد ذلك، قائلاً له: «إننا مستغنون عن مساعدتكم، ولو تمكنا نحن على مدكم بالمال والطعام لفعلنا»، فشكره القائد وقبّل يديه (٣).

وعلى ما تقدم، فقد تركزت المعارك على الجبهتين الأخرتين: القسم الغربى، وكانت الشعبيه، هي قاعده الأعمال الحربيه فى هذا القسم بقياده سليمان عسكري

ص: ٢٨٤

-
- ١- (١) بعث (السير برسى كوكس) برقيه إلى سملا فى الهند، يوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الثانى سنه ١٩١٤، لاقناع قياده البريطانيه بأهميه احتلال القرنه. راجع: النفسى، عبد الله، المرجع السابق، ص ٨٧.
 - ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق، العراق فى دورى الاحتلال والانتداب صيدا ١٩٣٥، ج ١، ص ١٦.
 - ٣- (٣) الحسينى، السيد أحمد: الإمام الثائر، ص ٤٩، ٥٠.

بيك. والقسم الشرقي، وكان تمركز الجيش في الروطه وصخريجه، أما مهماته العسكريه فهي من ناحيتين: القرنه على دجله، والاحواز في عربستان (١).

وقد دارت فيهما معارك شديده بين المجاهدين إلى جانب القوات العثمانيه، وبين القوات البريطانيه، واشد تلك المعارك ضراوه، وأكثرها حسماً للموقف، تلك التي وقعت في جبهه الشعيه بين ١١-١٤ نيسان ١٩١٥م، ٢٧-٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٣هـ- حيث أسفرت عن سقوط عن سقوت ثلاثة آلاف شهيد من المجاهدين (٢).

وقد أدى العلماء دوراً أساسياً مميزاً في القتال، بزعامه السيد الحبوبي، يقول عبد الله النفيسي: «.. يحسن بنا أن نذكر أن سليمان عسكري بيك، قام بهجومه في ١١ نيسان ١٩١٥، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣٣هـ-، على الإنكليز، وكان معظم قواته المهاجمه من محاربي القبائل الشيعيه في المنتفق» (٣).

ص: ٢٨٧

١- (١) النفيسي، المرجع ذاته، ص ٨٨.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٤، ص ١٤٨.

٣- (٣) النفيسي، عبد الله: المرجع ذاته، ص ٨٩، ٨٨.

مع أن المعنويات لدى الجانب الجهادي كانت عاليه جداً، فإن الحرب كانت شبه متكافئه، بل كانت لدى الجانب الإسلامي، قوات عسكريه أقوى مما كان لدى الإنكليز في الشعيبه والأحواز، فقد كان لدى البريطانيين على الجبهات الثلاث ١٤٠٠ و١٤٠٠ جندي وأربعون مدفعاً. بينما كانت القوه العثمانيه في الشعيبه حوالي ٧٦٠٠ مقاتل من الجيش النظامي التركي، و١٨ ألف مقاتل عربي شيعي، من المجاهدين، ومدفعين - حسب التقارير التركيّه الرسميه - إلا أن التقنيه الحديثه لدى القوات البريطانيه، وخط المواصلات بين القرنه والبصره كان حسناً ومؤمناً، على العكس من خط المواصلات للجيش العثماني، وقد أدى ذلك إلى تصدّع القوات العثمانيه، واندحارها أمام القوات البريطانيه (١)، حدث هذا الاندحار بعد واقعه الأربعاء (معركه الروطه)، حيث بقي المجاهدون صامدين لعدّه أشهر في مواقعهم، ولكن الإنجليز عدّوا العدّه وهجموا مره أخرى، وكان المجاهدون العراقيون بقياده علماء الدين لهم بالمرصاد، واستمرت مقاومتهم للهجوم عدّه أيام، إلا أن انكسار الجيش العثماني في جبهه الشعيبه فاجأ

ص: ٢٨٨

القائد (سليمان بك) وعلى أثر الهزيمة آنتحر هذا القائد، وعين محله (نور الدين بك)، وكان لهذا الحدث الأثر البالغ على معنويات الجيش، حيث تلاحقت حاله الانكسار والانسحاب للجيش في جبهه الحويزه رغم بساله المجاهدين، وهكذا في القرنه، حيث احتدم القتال وصمد الجيش مع المقاومه في البدايه ولكن سرعان ما دبّ الانهيار في صفوف الجيش فقررت قيادته الانسحاب، وهنا حاول السيد الحيدري وكبار المجاهدين معه إقناع قائد الجيش (عبد الحلیم بك) بضروره الصبر والثبات ودوام التوكل على الله ولكن دون جدوى، وأخبرهم بأن القرار من القائد العام (نور الدين)، وبانسحاب الجيش من الجبهات اضطر المجاهدون بقياده العلماء إلى العوده إلى ديارهم وبالفعل عاد السيد الحيدري والعلماء والمجاهدون إلى مدنهم متأسفين على ضعف الجيش العثماني، وقد استقبلوا استقبال الأبطال (١).

وهكذا توقفت الأعمال الحربيه في جبهات البصره في ١٤ آب ١٩١٥م الموافق ٤ شوال ١٣٣٣هـ. وبذلك تعتبر تلك المعركه الحاسمه، هي مفصل مهم في حركه الإسلاميين العراقيين، ونقله نوعيه في تطور الحاله الجهاديه لديهم، فقد زوّدتهم دروساً مهمه في الإقدام والتضحيه، حيث قدّر عدد الشهداء والأسرى من المجاهدين بالآلاف - كما ذكرنا آنفاً - وكان من بينهم عدد من العلماء، منهم: الشيخ باقر حيدر، والشيخ عيسى مال الله، والسيد محمد نجل المرجع الأعلى السيد اليزدي.

وهكذا شكّلت هذه المواجهه بدايه حقيقه للتصدي الفعلي ضد الاحتلال البريطاني للعراق، وبذلك تنتهي المرحله الأولى لحركه الجهاد الإسلامي التي آتسمت بالتعاون الوثيق بين الإسلاميين المجاهدين بقياده العلماء والمراجع، وبين القوات العثمانيه (٢).

ص: ٢٨٩

١- (١) للتفاصيل راجع الحسيني، السيد أحمد: الإمام الثائر ص ٥٩-٧٢.

٢- (٢) الرهيمي، عبد الحلیم: المرجع السابق، ص ١٧١، ١٧٢.

وأمام تضحيات المجاهدين والجيش العثماني، خسر الإنكليز في الأيام الأربعة ١٢٩٧ عسكرياً، بين قتيل وجريح، أما الجيش العثماني النظامي، فكانت خسارته ضعفي خساره الإنكليز.

أما في جبهه الأحواز، فقد ساعد الجيش العثماني والمجاهدين، تحرك قبائل عربستان في حركتهم الجهاديه، بدعوه كبير علماء عربستان السيد عيسى كمال الدين، متجاوزين الشيخ خزعل في ذلك. ففي ٥ شباط ١٩١٥م الموافق ٢١ ربيع الأول ١٣٣٣هـ، بادرت بقطع أنابيب النفط، واستولت على مخازن شركة النفط البريطانيه، مما أقلق الإنكليز، وسبب لهم متاعب جمّه (١). إلا أن هذه الجبهه كانت تتأثر بتطورات جبهه الشعبيه.

ص: ٢٩٠

١- (١) النفيسي، عبد الله: المرجع ذاته، ص ٨٨.

وهنا، وبعد الانحسار الميداني لحركة الجهاد في جبهات البصرة، إثر انسحاب القوات العثمانية، برزت أمام الإسلاميين مسؤوليتان جسيمتان، تتلخص المسؤولية الأولى في مواجهه الزحف البريطاني المتقدم نحو بغداد وهي مسؤوليه شرعيه ووطنيه ثابتة. أما المسؤولية الثانيه فكانت تتمحور حول معالجه حملات البطش والتنكيل، التي بدأ شعب العراق يتعرض لها بقسوه، من قبل السلطه العثمانية المحليه، لا سيما سكان بعض المدن وعشائر الفرات، حيث حملت السلطه المحليه مسؤوليه الهزيمه في قاطع الشعبه على المجاهدين والمؤيدين لهم من الناس. ويمكن القول إنه من غير المستبعد أن تكون هذه السلوكيه العدوانيّه ضد العراقيين من قبل السلطه، موجهه توجيهاً خاصاً من قبل الإداره المركزيه للاتحاديين في الآستانه في إطار المخطط المعادي للإسلام والمسلمين الذي ينتهجونه. يذكر الشيخ محمد رضا الشيببي في مذكراته، أن القائد التركي حسين رؤوف، كان على رأس قوات عثمانيه أثناء الحرب، يهاجم القرى في مناطق الفرات الأوسط، ويقتل الناس ويسلبهم، فقتل في تلك الغارات بعض طلبه العلوم الدينيه، الذين كانوا يدعون الناس للجهاد إلى جانب الأتراك، وكان ممن قتل الشيخ جعفر بن الشيخ محمد تقى، وسلب منه (٧٠٠) ليره ذهب، كانت لغرض تغطيه

ومما يذكر - أيضاً - عن القائد التركي أحمد بيك أوراق، قوله لشيوخ القبائل التي جاءت لنصرتة: «إننا لو فتحنا الشعيه، والبصره، يبقى علينا واجب ثان، هو فتح العراق وخاصه الفرات أولاً، وعشائر دجله ثانياً.. لأنهم خونہ» (٢). ومن هنا يمكن أن نستنتج بوضوح، أن معظم أسباب عدم التماسك الفعلي بين القوات النظاميه العثمانيه، والقوات الشعيه العراقيه، يقع على عاتق بعض القاده النظاميين للجيش العثماني، وذلك لعجزهم عن الاستفاده من شجاعه المجاهدين، ومن الروح الجهاديه والحركيه التي بثها علماء الدين في الساحه ضد الغزاه الإنكليز. وبشهاده حيّه من قبل بعض العسكريين الأتراك - كما ينقل المؤرخون بعد انتهاء معركه الروطه - كانوا يقولون: «إننا لما اشتد الضغط علينا من العدو، هممنا بالانسحاب، ولكننا كنا ننظر إلى خيام السيد [الحيدري] قائمه بمكانها تقوى عزيمتنا ويشتد بأسنا ونستحي من الانسحاب، ونقول في أنفسنا: كيف ينسحب الجيش، والسيد وأصحابه المجاهدون في الميدان؟!» (٣). وبالرغم من هذه الاعترافات، إلا أن التعامل السلبي من العثمانيين اتجاه المجاهدين وعموم الناس أخذ يتزايد بشكل ملحوظ. لذلك باشر الإسلاميون، وعلى رأسهم مراجع الدين - الشيعه - في لملمه صفوفهم، وتضميد جراحهم، وسدل الستار أمام رده الفعل الشعيه التي حصلت من جراء تلك السلوكيات الحاده للسلطات المحليه، وذلك لتوحيد الجهود، وزجّها لمواصله الجهاد المقدس، بأساليب وطرق أكثر ملائمته مع الظروف الموضوعيه المستجده. وبالفعل تعالى العلماء والمجاهدون عن جراحهم فأنقذوا

ص: ٢٩٢

-
- ١- (١) العلوي، حسن: المرجع السابق، ص ٧٠ وما بعدها. ويذكر المؤلف تفاصيل مذبحه الحله، على يد القائد العثماني (عاكف بك)، وعن سلوكيات (بييج) قائم مقام النجف، وحملته العشوائيه على أهالي النجف في مايس عام ١٩١٥م.
 - ٢- (٢) محمد كاظم، عباس: ثوره الخامس عشر من شعبان، ثوره العشرين، ص ٧١.
 - ٣- (٣) الحسيني، السيد أحمد: الإمام الثائر، ص ٥٧.

الأمة من فتنه الفوضى والاحتراب ضد السلطنة العثمانية، ووجهوا طاقة الجهاد إلى جانب العثمانيين ضد المحتلين، وبذلك سجلوا عملياً الموقف الإسلامى المبدئى فى أحلك الظروف.

ولابد أن نشير إلى تلك السياسة الاستفزازية التى وَّجَّهت الاتهام للناس -كنوع من ظاهره الإسقاط النفسى - لرمى المسئولية على الآخرين، بدلاً من اقتسام أسباب الهزيمة، بشكلٍ منصف. والحال يرى بعض الباحثين أن «السبب الرئيس لذلك، انتحار سليمان عسكرى بيك» (١).

وفى هذا الصدد، يذكر المؤرخون بأن المعركة التى دارت فى يومها الثالث والأخير، بالسلاح الأبيض، كادت أن تحسم لصالح المجاهدين، والجيش العثمانى، فقد «قرر الإنكليز الانسحاب، فطلب قائد الجيش الجنرال (مليس) أن تأتى سرية النقل بسرعه، لنقل الجرحى قبل انسحاب قواته، غير أن الأتراك ظنوا إن سرية النقل، هى إمدادات جديده للقوات البريطانية، فقرروا الانسحاب بسرعه، وانتهت معركة الشعبه لصالح الإنكليز» (٢).

فبدلاً عن استيعاب الشعب الذى أفرز قوافل من المجاهدين، وضحى بخيره أبنائه، وعلمائيه فى الجبهات، وإن كان ذلك أداءً للواجب الشرعى، إلا أنه كان من المفروض على السلطنة العثمانية، إكبار تلك الروح، واستيعاب هذه الأزمه، لغرض توظيف طاقة الجهاد فى أحداث مقبله - على الأقل - ولكنها عجزت «عن الاستفادة من قوه الجهاد.. فان الذنب كان ذنب الأتراك الذين لم يكونوا مهيين للحوادث والتحدى الذى جابههم، شأنهم فى ذلك شأن من تستبقه الحوادث، فيظل متسكعاً يحاول التقدم فلا يستطيعه» (٣).

ص: ٢٩٣

١- (١) النفيسى، عبد الله: مرجع سابق، ص ٩٠.

٢- (٢) شبر، حسن: مرجع سابق، ص ١٥٨.

٣- (٣) النفيسى، مرجع سابق، ص ٨٩. ويذكر فى الصفحه ذاتها بأن بعض رجال القبائل قد باعوا متاعهم وأثاثهم، مع فقرهم ليشتروا بثمانه سلاحاً ويلحقوا بصفوف المحاربيين استجابه لفتوى العلماء المجتهدين، كل ذلك من دون أجر ولا مرتب لهم ولعيالهم بعد الشهاده إن حصلت.

لقد اهتزت الثقه بين الناس والسلطات مجدداً إثر «قيام السلطات العثمانيه المحليه بجمله من الاستفزازات ضد سكان بعض المدن والعشائر والتنكيل بهم» (١).

فجاءت رده الفعل على هذه السياسه الاستفزازيه فى أكثر من موقع. ففى طريق العوده من الشعيه - مثلاً - انقضت بعض قبائل المنتفك على فلول الجيش المهزوم فى (هور الحمار) قرب الناصريه، وأعملت فيهم السيف والنهب فتحصنوا فى سراى الناصريه (٢).

واستمرت هذه التطورات نحو التصعيد فى المواجهه بين الأهالى بشكلٍ عام وبين السلطات العثمانيه، خصوصاً فى النجف وكربلاء وتبعته مناطق أخرى.

ص: ٢٩٤

١- (١) الرهيمى، المرجع السابق، ص ١٧٤.

٢- (٢) النفيسى، المرجع ذاته، ص ٩٠.

إن المسؤولين فى الدوله العثمانيه وإن كانوا يتميزون مذهبياً وقومياً، إلا أنه كان من المفروض أن يتعاملوا مع عموم المسلمين فى دولتهم الواسعه بشكلٍ متساوٍ وعادل، باعتبارهم ساسه البلاد وزعماء لكل الأمه سياسياً وإدارياً.

فالرعايه الأبويه واحترام الآراء المتعدده فى المذاهب الإسلاميه من قبل الحاكمين يمنح فرص النجاح والتطور والانسجام بدرجة كبيره تحت الرايه العامه. وهذه المسأله حساسه لا تتم معالجتها بالشعارات العامه والكلام الفوقى فقط، وإنما تحتاج إلى معالجه فعليته تظهر فى مشاريع ميدانيه، تبرهن على وجود الوعى الإنسانى لدى القياده الحاكمه، وتثبت صحه تلك الادعاءات و الشعارات.

وهنا بالتحديد، ينقدح فى ذهنى تساؤل قديم حديث عن مدى الإعجاب المتنامى لعموم البشرىه لشخص الإمام على عليه السلام وحكومته الإنسانيه العادله. إنه باختصار امترك سر النجاح فى إدارته وسياسته وهو الاحترام للإنسان بل للناس عمومًا، بغض النظر عن دينهم وقوميتهم وقناعاتهم الفكرىه التى يؤمنون بها وتوجهاتهم السياسيه التى يسلكونها، فلذلك يسمّى جورج جرداق كتابه القيم «الإمام على صوت العداله الإنسانيه».

وبين يدي قصيده للأستاذ جوزيف الهاشم المسيحي اللبناني المعروف ألقاها بمناسبة ذكرى ولاده الإمام على عليه السلام يقول فيها:

تجسدت كل أوصاف الكمال به في ومض ساعده الاعصار والعطب

الصفح والعفو بعض من شمائله وبعضه البربل من بعضه الأدب

محجبه الناس أفضاهم وأعدلهم أدق أنصف أدعى فوق ما يجب (١)

نعم إنه صوت العدالة الإنسانية، لنستمع إلى كلمه الإمام على عليه السلام في هذا الصدد، وحقاً هي تجسيد واعٍ للنهج الإنساني في الإسلام حيث يقول (عليه السلام):

«لو ثنيت لي الوساده [أى لو أصبحت الحاكم العام لجميع الأمم]، لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم حتى ينطق كل واحد ويقول: قد قضى عليّ في بما أنزل» (٢).

ولكن أين نحن من المنهج الإنساني في الإدارة والسياسه ذلك المنهج التويم الذي جاء به الإسلام وطبقه النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام (عليهم السلام).

وللأسف حينما يجلس على كرسي الخلافة والإمامه من لا شرعيه وأهليه له، حينذاك تتحكم الأهواء والعواطف في أمور المسلمين وعاده تدفع الأمة ضرائب باهضة نتيجة أخطاء حكامها وزعمائها، وهذا هو المحذور الذي وقع فيه الحكم العثماني لتوجهاته الطائفية الضيقه ولصراعاته السياسيه على ضوء تلك التوجهات أيضاً. يقول

ص: ٢٩٤

١- (١) الهاشم، جوزيف: من قصيده له ألقاها في دمشق - بالحوزه الزينيه في السيده زينب عليها السلام، بمناسبة ميلاد الإمام على عليه السلام، في شهر رجب ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢- (٢) التستري، العلامة المحقق الشيخ محمد تقى، قضاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، الطبعة العاشره، بيروت مؤسسه الأعلمي، ص ٣.

الدكتور بابا خان: «انعكس الصراع الطائفي بين الدولتين العثمانيه والصفويه على الشيعة في ولايه البصره وبغداد والموصل، فقد طبقت الدوله بحقهم سياسه العداه الطائفي وأبعدتهم عن المناصب الرئيسيه وعن السلوك الإداري» (١).

ولولا استقلال المسلمين الشيعة مالياً وفقهياً وفكرياً لقضى عليهم منذ زمن بعيد، بينما «كان استقلالهم المالى فى المدن المقدسه عاملاً مشجعاً على إتباع سياسه الاعتماد على النفس وتكوين مؤسساتهم الخاصه، كالمحاكم الشرعيه الدينيه، بالرغم من عدم اعتراف الحكومه (العثمانيه) بالمذهب الجعفرى كمذهب رسمى فى البلاد، وفشلت الحكومه فى القضاء على هذه المؤسسات والمدارس الدينيه الشيعيه فى كربلاء وغيرها» (٢).

إذن كانت الدوله العثمانيه - وللأسف - تتميز بالتوجهات الطائفيه المقيته ضد المسلمين الشيعه، وكانت هذه السياسه واضحه المعالم فى بعض مراحلها بالتحديد، وبالرغم من الطاقات الجهاديه والكفاحيه الهائله التى يتميز بها المسلمون الشيعه - كما هو معروف - وقد عبّر القاده الترك عن إعجابهم وانبهارهم لما قدّمه المجاهدون الشيعه من توضيحات جسيمه على مستوى العلماء والوجهاء والشباب، فى حركه الجهاد إلى جانب الجيش العثماني، ضد الغزاه الإنكليز عام ١٩١٤م من دون شكر ولا جزاء حتى من دون المصروف الشخصى لهم (٣)، كل ذلك فى عين الله وفى سبيل الإسلام.

فكانت المساهمه الفعاله من قبل علماء النجف وكربلاء والكاظميه وعموم رجال

ص: ٢٩٧

١- (١) بابا خان، د. على: لمحات من تاريخ كربلاء المعاصر، مقاله فى كتاب دراسات حول كربلاء ودورها الحضارى، وقائع ندوه لندن، ص ٥٣٧.

٢- (٢) بابا خان، د. على: المرجع ذاته، ص ٥٣٧.

٣- (٣) راجع الفصل الأول من الباب الثانى، حركه الجهاد الإسلامى ضد الغزو البريطانى، وبالذات تقويم حركه الجهاد الإسلامى.

الشيعة فعلى مستوى كربلاء مثلاً يقول الدكتور بابا خان «سأهت مدينه كربلاء فى هذا الجهاد سواء عن طريق الأموال أو إرسال أبنائها وعلمائها إلى مواكب الجهاد المتجهه نحو ساحه المعركه» (١). وهكذا بقيه مدن ونواحي العراق.

والسؤال هل استطاعت الدوله العثمانيه أن تعيد حساباتها بعد ذلك لتكون عادله فى تعاملها مع الشيعة؟ هل استطاعت أن توظف الطاقات الجهاديه لدى الشيعة - على الأقل - لحماية الدوله؟

ص: ٢٩٨

١- (١) بابا خان، د. على: المرجع ذاته، ص ٥٣٨.

وهنا لابد أن نشير إلى دور مراجع المسلمين الشيعه في قياده الجهاد والكفاح، وبالفعل كان هؤلاء المراجع ينظرون إلى الدوله العثمانيه باعتبارها تحمل لواء الإسلام فمن الناحيه الشرعيه كان لابد من الوقوف إلى جانبها لحمايتها من المعتدين بالرغم من كل الظلمات والمآسى التي تشكل معاناه حقيقيه للشيعه آنذاك، لكنهم وقفوا وجاهدوا في أكثر من موقف، مدافعين عن الدوله العثمانيه، متناسين آلامهم ومظلوميتهم ومشاعر عموم الشيعه ومعاناتهم جراء سياستها الطائفية. وهذه قدره كبيره لدى العلماء في تجميد الخلافات وترويض النفوس وتناسي الآلام، مبتعدين تماماً عن حاله استغلال الظروف الطارئه من التدخل الأجنبي وذلك بالاصطفاف إلى جانبه والانعراض على الدوله تشفياً من الإدارة المخطئه بحقهم، بل جندوا الطاقات وخرجوا بشجاعه نادره إلى ساحات القتال وضخّوا بأغلى ما يملكه الإنسان في سبيل هذه الدوله التي ظلمتهم في أيام طويله!! إنه الموقف المبدئي الذي لا يصدر إلا عن أولئك المراجع العظام الذين هم في قمه الوعي والإيثار والتضحيه وبعْدالنظر.

ونحن حينما نقول إن الجراحات بالغه في نفوس الشيعه إنما نعني ما نقول ويكفي أن يقرأ الإنسان - للمثال فقط - مأساه الوالي العثماني محمد نجيب باشا في كربلاء وما

أحدثته تلك الواقعة من آلام وجرائم، تلك الواقعة المشهوره بإسم واقعه غدِير دم وذلك في الثامن عشر من ذى الحجه سنه ١٢٥٨هـ- الموافق للعاشر من يناير ١٨٤٢م حيث بلغ عدد القتلى من الكربلائيين والزائرين لقبر الإمام الحسين عليه السلام أكثر من عشرين ألف نسمة، وتم دفنهم في مقابر جماعيه بلا- غسل ولا كفن (١). وكذلك حرب سليم باشا في النجف الأشرف سنه (١٢٦٨هـ - ١٨٥٢م) وما رافقها من آلام ومآسى وجرائم (٢). نعم إنها قدره من العلماء في السيطرة على التيار الشيعي العام وتوجيهه نحو هموم الأمة بعيداً عن حالات الثأر والانتقام. فلا بد أن نكبر فيهم هذه الروح النبيله والساميه. وحقاً إن الفقهاء هم ضمانه الاستقامه في حياه المؤمنين سابقاً وحالياً ولاحقاً إنشاء الله، بل ضمانه صادقاً لبناء الوطن. وهذا التوجه المبدئي من أوضح الأدله على أن الشيعة - حتى في أحلك ظروفهم وأشد مصائبهم - ينادون بتوحيد صفوف المسلمين ضد أعداء الأمة الإسلاميه وينفذون ذلك بالتضحيات.

ولكن حينما تتواتر الضغوط والآلام من كل جانب على المسلمين الشيعة بالرغم من مواقفهم السياسيه والميدانيه الإيجابيه، يُتضح جلياً إنه كلما قدم علماء الشيعة تنازلات وتضحيات من أجل توحيد كلمه المسلمين وحفظ كيانهم السياسى المتمثل آنذاك بالدوله العثمانيه، فإنهم لم يلمسوا تغييراً في السياسه الحاكمه اتجاههم مما يزيد في احتقان الشارع الشيعي، وتبدو المظلوميه في أقسى صورها، وهنا من الطبيعي أن يحدث تطور داخل التيار الشيعي على المستوى الشعبى العام، هذا التطور يعدّ تنفيساً اجتماعياً ناتجاً عن السياسه التعسفيه للدوله العثمانيه، وحينها لا تنفع دعوات ضبط النفس والتحلّى بالصبر لكونها ماضييه في مسلسل الفعل وردّ الفعل، وبالاثناء تنصدر

ص: ٣٠٠

١- (١) راجع آل طعمه، السيد محسن الكليدار: مدينه الحسين، السلسه الرابعه، ص ١٤٩-٢٠٨. وفيه رد شديد ومناسب على تحليلات الدكتور الوردى حول أسباب الواقعه الداميه وتنازلاتها.

٢- (٢) النفيسى، د. عبد الله: مرجع سابق، ص ٨٢.

حاله قياديه شعييه لآ- تخلو من توجهات ذاتيه وثاربه خاصه تناسب مع تيار اجتماعي غاضب يدعو إلى تصعيد هذا النوع من المواجهه التي تعتبر هي الأنسب في مقابل الحكم الطائفي.

هذا ومن الممكن جداً أن تندفع هذه التوجهات نحو أنفاق مظلمه تحسبها وقتيه عابره ظناً من الثائرين بأن طريق الوصول إلى نور الفجر لا بد أن يمرّ عبر هذه الأنفاق، وأن إنجازاتهم المرتقبه ستغفر لهم مطبات الطريق. يقول الأستاذ النفيسي: «أما أسلوب الحكم الذي كان الأتراك يمارسونه فقد كان أسلوباً يميّز إلى حد بعيد بالتعصب ضد الشيعه، ولهذا فإن الشيعه كانت تتحين الفرص دوماً للخروج على طاعتهم وللثوره ضد حكمهم» (١).

ص: ٣٠١

١- (١) النفيسي: د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٨١.

بعد معركة الشعيبة مرّت بالفرات الأوسط حقبه زمنيّه بحدود السنتين تقريباً مليئه بالانتفاضات والحركات أو حركات العصيان (١)- كما يسميها بعض المؤرخين - فقد تميزت تلك المرحله بإعلان العصيان ضد الحكومه في المدن الرئيسيّه وقد تشكلت - بالفعل - إدارات محليه بواسطه رؤسائها المحليين على الطريقه العشائريه والأعراف العامه. فكانت هذه الحاله بمثابة بدايات الغليان الثوري في كلّ من النجف و كربلاء، وذلك لحصول الفراغ الأمني والإداري من قبل الحكومه في هاتين المنطقتين وغيرهما من جنوب ووسط العراق بعد سحب الجنود المتواجدين في الفرات الأوسط وإرسالهم لمواجهة الإنكليز في معارك دجله. كما وأن الكثيرين من الجنود العراقيين فرّوا من القوات العثمانيه والتجأوا إلى المدن المقدسه (٢)، كل ذلك تزامن مع بروز الطموحات الإداريه والسياسيه للزعماء المحليين في تلك المناطق.

ففي مدينه النجف، ساد التمرد في المدينه إثر ضغط السلطه، وذلك باتخاذ عده من الإجراءات المتشدده ضدّ الأهالي، وفرض غرامات ماليه، وإنزال قوه عسكريه

ص: ٣٠٢

١- (١) لما كان موقف علماء المسلمين الشيعه مؤيداً ومسانداً للحكومه العثمانيه ضد الكافرين المعتدين، فإن هذه الحركات الشعبيه في الأوساط الشيعيه كانت تشكو من فقدان الغطاء الشرعي، وعليه تعتبر هذه الحركات نوعاً من التمرد والعصيان مهما كانت المسوغات والتبريرات.

٢- (٢) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه. (عصيان النجف)، ج ٤. ص ١٨٨-١٩٢.

مضاعفه لإرهاب المدينة، بلغت حوالى ألف جندي من المشاه والفرسان (١). على رأسها عزّت بيك، وذلك في الثامن من رجب ١٣٣٣هـ-، ٢١ أيار ١٩١٥م. وقد تصاعدت حاله الاستفزازيه في إجراءات السلطه حتى وصلت إلى درجه عاليه أفقدتها صوابها، فداهمت البيوت وفتشت النساء بشكل عشوائي، بحجه ملاحقه الهاربين من الخدمه الإلزاميه، ومن الطريف ما يذكر في هذا الصدد، بأن عدد الفارين من الخدمه العسكريه لا يتجاوز الخمسين أو أكثر بقليل (٢).

المهم أن هذه الأجراء المثيره من قبل السلطه، أدت إلى توتر الأوضاع إلى درجه شديده، وبالنتيجه اصطدم الجيش بالأهالي، فأطلق النار على السكان، وعطبوا إحدى مآذن الحرم العلوي، مما دفع العلماء لإصدار منشور هام، موقع من مائتي عالم دين، يستنكرون هذا العمل، وكان المرجع اليزدي قد بعث إلى اسطنبول برقيه احتجاج على هذه الانتهاكات (٣).

وحيثما تطورت الأحداث إلى الاصطدام المسلح، اندلعت حركه مسلحه ليله ٢٢ مايس ١٩١٥م، استمرت ثلاثه أيام ضد السلطه الحاكمه في النجف، اسفرت عن هزيمه رجال السلطه، وتمكّن الأهالي من السيطرة على المدينه، فطردوا الموظفين الحكوميين منها، واقامت سلطه محليه مستقله يديرها الزعماء المحليون الأربعة للمدينه (٤). «وترأس السلطه في المدينه المجتهد الأكبر الذي أدار دقّه الحكم قرابه سنتين» (٥)، فاستمرت حتى قيام ثوره النجف ضد الإنكليز في آذار ١٩١٨م، جمادى الثانيه ١٣٣٦هـ-.

ص: ٣٠٣

١- (١) محبوبه، جعفر الشيخ باقر: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٤٦.

٢- (٢) الاسدي، حسن: مرجع سابق، ص ٩٣.

٣- (٣) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ٩١.

٤- (٤) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٤، ص ١٩٠. أنظر - أيضاً - شبر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٦١.

٥- (٥) النفيسي، المرجع السابق، ص ٩١.

وفى كربلاء انتهب الجنود الفارّون فرصه الزياره الشعبانيه ليعلنوا انفجارهم ضد السياسه القائمه، على غرار ما وقع فى النجف، ففى ٢٧ حزيران ١٩١٥م الموافق لمنتصف شعبان ١٣٣٣هـ - - حيث الزياره المخصوصه للإمام الحسين عليه السلام ليله ميلاد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف -، فقاموا بمهاجمه الحاميه العسكريه وإداره السلطه، وقد آستسلم الجنود لهم، ثم هاجموا مقر البلديه ودائره البريد والبرق والمدارس الرسميه، وسائر مراكز الحكومه، فنهبوا وأضرموا فيها النيران، وفتحوا أبواب السجون فخرج من كان فيها من السجناء، وطرّدوا الموظفين العثمانيين وتمّ الاستيلاء على المدينه (١).

أما زعامه هذه الحركه فكانت بيد الشيخين الأخوين محمد على وفخرى كمونه، يقول الدكتور الوردى: «كان الشيخ محمد على كمونه وأخوه الأصغر فخرى كمونه هما اللذان تزعما حركه العصيان فى كربلاء، فكان محمد على العقل المدبر للحركه بينما كان فخرى قائدها العسكري.

وقد ارتأت الحكومه أن تعالج عصيان كربلاء بالحكمه على منوال ما عالجت به عصيان النجف، وتوسط العلماء والوجهاء بين الحكومه وآل كمونه، وقام مبعوث كربلاء الحاج عبد المهدي الحافظ بدور مهم فى الوساطه بين الفريقين. وقد أرسلت الحكومه بعد إتمام المصالحه متصرفاً جديداً إلى كربلاء واسمه حمزه بك. وجرى له احتفال عظيم فى كربلاء، اجتمع فيه الساده والعلماء والموظفون وأهالى كربلاء يتقدمهم صدر العلماء السيد إسماعيل من العلماء المجتهدين. إلا أن الإنكليز بعثوا بعمالئهم إلى كربلاء لبت التفرقه وترغيبهم بالاتصال بالإنكليز.

تقول المس بيل: أن رئيس كربلاء الشيخ محمد على كمونه اتصل سراً بالسير برسى كوكس منذ تشرين الأول ١٩١٥م، طالباً من الإنكليز أن يتعهدوا له بتنصيبه

ص: ٣٠٤

١- (١) راجع الياسرى، عبد الشهيد: البطوله فى ثوره العشرين ص ٨٦ وما بعدها، طبع النجف ١٩٦٦.

حاكماً وراثياً مستقلاً في ولايه مقدسه تمتد من سامراء إلى النجف وكانت القوات الإنكليزيه حينذاك مشغوله بالزحف نحو بغداد فأرسل كوكس إليه رداً ودياً لا- لون له مع هديه ماليه صغيره أثارت إمتنانه. ثم ترك الأمر على هذه الحاله مؤقتاً، لان إنسحاب القوات الإنكليزيه من سلمان باك بَدَل الموقف السياسي بأجمعه، ولكن الإنكليز ظلوا على إتصال بالشيخ محمد علي كموونه وواصلوا إرسال المال إليه من وقت لآخر ليساعده على الاحتفاظ باتباعه والتمسك بموقفه في كربلاء» (١).

وهكذا ظهرت هذه الحركات في فترات لاحقه بالحله والسماوه وكذلك الكوفه والشاميه وطويريج.

ويذكر الكليدار، حينما سقطت الحكومه التركيه في كربلاء شكل مجلس حكم إئتلافي محلي برأسه السيد عبد الحسين بن السيد علي سادن الروضه الحسينيه - آل طعمه - وعضويه الساده: ١- الحاج عبد المهدي الحافظ ٢- السيد محمد مهدي بحر العلوم ٣- السيد محسن بن السيد علي الطويل آل نصر الله ٤- السيد سعيد السيد مصطفى الشروفي ٥- السيد عبد الوهاب آل طعمه ٦- السيد جواد الصافي ٧- كمال الدين السيد جعفر آل ثابت ٨- السيد محسن بن السيد عباس النقيب آل دراج ٩- السيد يوسف بن السيد علي الرئيس آل وهاب ١٠- الشيخ محمد علي كموونه ١١- الحاج حسن شهيب آل معله ١٢- مسربت جار الله رئيس بني سعد ١٣- رشيد المسرهه رئيس القوام من المسعود ١٤- السيد قاسم السيد أحمد الرشدي. ويذكر أيضاً بأن هذه اللجنه عينت الشيخ طليفع الحسون رئيس النصاروه من (آل عباده) آمر الانضباط في المدينه (٢).

ص: ٣٠٥

١- (١) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه ج ٤، ص ١٩٥-١٩٦. راجع المس بيل: فصول من تاريخ العراق، مصدر سابق، ص ٩٦.

٢- (٢) الكليدار، السيد محمد حسن: مدينه الحسين، ص ٦٦-٦٧.

وعلى كل حال لم يدم هذا الصلح طويلاً فقد انفجرت القلاقل مره أخرى فى كربلاء فى شهر أيار ١٩١٦ وكان سببها الشيخ فخرى كموه حيث اصطدم بآمر الدررك (على أفندى) وأدى هذا الاصطدام إلى منازعات وفتن راح ضحيتها الكثير من الأهالى وجنود الحكومه.

وهنا أيضاً تدخل العلماء والأشراف والوجهاء لغرض إبرام عقد الصلح بين الكربلايين والحكومه العثمانيه، وما هدأت الأمور إلا بتدخل كبير المجتهدين السيد كاظم اليزدى فبعث برقيه إلى أنور باشا وزير الحربيه بهذا الصدد، كما فعل ذلك لأهل النجف أيضاً. فأجابه أنور باشا ببرقيه نورد نصها الأهميتها:

«إداره تلغراف الحله ترسله إلى السيد كاظم الطباطبائى نجيبكم على تلغرافكم المرسل إلينا بأن أهالى النجف وكربلاء خرجوا على الحكومه وإنهم عاملون مخالفه لرضا الله ورسوله، ونظراً لحرصنا على الحاله الإسلاميه وحققن الدماء، واحترامنا للمجاهدين وعلماء الدين ورأفه الحكومه لفقراء المحلئين وشفقتنا عليهم أمرنا لدوله والى الولايه وقائد جيشها بتمام الرفق عند التعقيب وترتيب المجازاه.

التوقيع: صهر السلطنه ووكيل الخليفه الأعظم فى قياده الجيوش الإسلاميه ناظر الحربيه أنور» (١).

ومع كل ذلك بقيت حركه الأمه فى حاله ترقب وانتظار لما تسفر عنه تطورات الأحداث فى الحرب المستمره بين القوات البريطانيه والقوات العثمانيه. وبالفعل آستمرت هذه الحاله حتى تم احتلال بغداد فى ١١ آذار ١٩١٧م المصادف ١٥ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ- من قبل الإنكليز، فأنعكست آثار الاحتلال على عموم مناطق العراق، ففى كربلاء وبعد أن غادرها أسعد رؤف بيك المتصرف العثماني استلم زعماء كربلاء

ص: ٣٠٦

١- (١) بابا خان، د. على: مرجع سابق، ص ٥٤٠-٥٤١. تجد نص البرقيه عند الوردى، د. على: لمحات.. مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٩١.

ورؤساء أطرافها وشيوخ عشائرها من الوجهاء والساده الأشراف إداره البلده برئاسة الشيخ محمد على كموئه (١).

وفى حينها دخلوا إلى دوائر الحكومه واستولوا على مخازن الأسلحه وتم توزيع البنادق والخرطيش على العشائر، وشكلوا لجان أمنيه للمحافظه على استقرار المدينه وعينوا موظفين إداريين وجباه للضرائب الماليه، وعندما أعلن (مود) بيانه الشهير فى بغداد بعد الاحتلال فرح الناس وعمّ السرور لتلك الشعارات البراقه التى وردت فى البيان، وبات الناس يحلمون بتشكيل حكومه عادله للعهد الجديد ظناً منهم بحسن نوايا بريطانيا، بينما ظل أغلب الناس فى شك وريب فيما بعد، يقول الأستاذ سلمان آل طعمه «وخلال هذا الوقت قررت السلطه نقل الشيخ محمد على كموئه من كربلاء إلى المسيب ليعاون حاكمها السياسى ويستعين به فى حفظ الأمن والاستقرار وتهده العشائر فيها، واعطت زمام السلطه إلى أخيه الشيخ فخرى كموئه الذى يختلف عن أخيه فى الحنكه والصبر، وإنما كان فخرى يتصف بالجده وحب الأمن والتملك فأراد فخرى أن ينفرد بالسلطه ويبعد عنه الآخرين من رؤساء البلده ويقرب أنصاره وأعوانه الملتفين حوله.. ولم يمر وقت طويل حتى وقع المحذور وظهر إلى العيان المستور بسبب حصول مشاجره فى مقر البلديه بين الشيخ فخرى والشيخ عبد الرحمن آل عواد حول الضرائب وتوزيعها وصرفها» (٢).

وعلى ضوء نمو حاله الصراع انقسم الكربلايون إلى قسمين رئيسين. قسم يديره آل كموئه وأعوانهم من العشائر وقسم يديره آل عواد وأعوانهم من العشائر، ووصل الصراع إلى مستويات خطيره بعد التهديد والوعيد، إلا أن الأشراف والأعيان فى البلده

ص: ٣٠٧

١- (١) يذكر الكليدار أن الشيخ محمد على كموئه تولى السلطه التشريعيه بينما الشيخ عبد الرحمن العواد تولى السلطه التنفيذيه. راجع مدينه الحسين، المرجع السابق، ص ٦٩.

٢- (٢) آل طعمه، سلمان هادى: كربلاء فى ثوره العشرين، ص ٤٢.

تدخلوا بإلحاح لفض النزاع وبالفعل تم ذلك على أن تقسم الوردات إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول لآل كمونه، والقسم الثاني لآل عواد، والقسم الثالث لعمران الحاج سعدون رئيس بني حسن (١).

إلا أن السلطة البريطانية المحتلة بعدما استقرت أمورها نسبياً قررت إنهاء هذا الوضع فوجهت اتهامات إلى الشيخ فخرى بالتعاون مع أعدائها فبعثت عليه إلى بغداد للمحاسبه ثم نفته إلى هنجام في الهند بعد أن جردته من موقعه السياسي.

وبعد أيام بعثت السلطات على أخيه الشيخ محمد علي ورشيد المسرهد من رؤساء المسعود وشعلان العيفان رئيس عشيره القوام بالحسينيه وإبراهيم أبو والده ونفتهم إلى الهند أيضاً.

جرى كل ذلك عندما أرسلت السلطات المحتلة حاكماً سياسياً إلى كربلاء هو (الميجر بولي) في ١٥ أيلول ١٩١٧ (٢).

وبقى الأمر هكذا حتى ١٦ / رمضان ١٣٣٧هـ - المصادف ١٥ / حزيران ١٩١٨م حيث نقل من كربلاء وخلفه الكابتن (براي) ثم الكابتن (بوفل).. وبمعنى آخر بقي المحتلون يديرون كربلاء مباشرة إلا أن حاله الثوريه أبت إلا أن تشق طريقها نحو التكامل للتصدي والثوره. وبالفعل تم ذلك منذ قدوم الإمام الشيخ الشيرازي إلى كربلاء ومباشرة مع ولده المجاهد الشيخ محمد رضا بتشكيل الجمعيه الإسلاميه في ١٣٣٦هـ - حيث تطورت الأحداث حتى إعلان الثوره الشامله.

يقول عدنان عليان: «ورغم أن حاله التصدي لدى النخبه من أبناء مدينه كربلاء كانت موجوده، بدليل أن مدينه كربلاء تعدّ من أوائل المدن العراقيه التي انتفضت ضد

ص: ٣٠٨

١- (١) راجع الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٤١-٣٤٢.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٤٢. ويذكر الكليدار أن الإنكليز عينوا الميجر بولي بإسم (معاون حاكم سياسي في كربلاء) المرجع السابق، ص ٦٩.

ظلم وجور المهيمين الأتراك في عام ١٩١٦م، والتي قاد زمامها النخبه من الواعين فيها إلا أن دخول هذه المدينة العمل السياسي الوطني المنظم حصل بوجود المرجعيه الشيرازيه الرائدة..» (١).

وفي مدينة الحله، تصاعدت حركه المعارضه ضد السلطه المحليه، إلا أن السلطه أرسلت فرقاً عسكريه بقياده الفريق عاكف، فأوقع في شوال سنه ١٣٣٣هـ، آب ١٩١٥م مذبحه كبيره في الأهالي (٢).

هذا وقد انعكست هذه الظاهره بوضوح في مواقف بعض شيوخ العشائر، فمثلاً يوجه بدر الرميض رئيس قبيله بنى مالك كلاماً قاسياً لأحمد أوراق أحد قادة الجيش العثماني، وذلك بعد معركة الشعبيه قائلاً له: «إنكم أولى بالحرب والقتال ممن نحارب، ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها» (٣).

ص: ٣٠٩

١- (١) عليان، عدنان: الدور الريادي لمدينة كربلاء في ثوره العشرين، من كتاب (دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري) وقائع الندوه العلميه التي عقدت في لندن، ص ٤٧٥-٤٧٦.

٢- (٢) الياسري، عبد الشهيد: مرجع سابق، ص ٨٧. وأيضاً: العمر، فاروق صالح: الأحزاب السياسيه في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، ص ٣٥. وكذلك، آل بازركان، علي: الوقائع الحقيقه في الثوره العراقيه، بغداد ١٩٥٤، ص ٥٨.

٣- (٣) الفرعون، فريق المزهر: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٠.

بالرغم من كل هذه التطورات وقف الإسلاميون بزعامه مراجع المسلمين الشيعة، وهم يعالجون الأزمه المتفاقمه بدقه وحذر، خوفاً من السقوط فى وحل الصراع الداخلى النازف الذى لا يجنى ثماره إلا العدو المتربص بالمسلمين الدوائر، وحين حدوث الوقيعه الداخليه بين المسلمين بالحجم المأساوى - لا سمح الله - سوف لا يدفع الضريبه المضاعفه إلا المسلمون أنفسهم، فلذلك اعتبر علماء الشيعة هذه الصراعات بالرغم من جهل وحماقه السلطات العثمانيه بطريقه الإداره والتعاطى مع متطلبات الحاله الجهاديه من ناحيه، وكذلك بالرغم من قساوه وآلام المحن الناجمه من حماقه العثمانيين - تلك - من ناحيه اخرى، اعتبرت لدى العلماء القاده من القضايا الداخليه، وضمن الإطار الموضوعى، فلا بد من استيعابها وتجاوزها، ليتسنى للجميع الوقوف أمام الخطر الأكبر المتمثل بالغزو البريطانى. وعليه فقد اخمدت الفتنة بفضل توجيه العلماء ووظفت طاقات الأمة نحو جهاد الكافرين المعتدين، وهكذا استمرت الحركه الجهاديه فى مقاومتها، إثر تقدم الجيش البريطانى لاستكمال احتلاله للعراق، فاتخذت اشكالاً غير نظاميه، وبالتعاون مع العثمانيين - أيضاً - ومن صور هذا التعاون ما قدّمته عشائر الفرات الأوسط، ودجله، وسكان المدن المحتله، من مساعدات ماديه ومعلومات أمنيه مهمه للجيش العثمانى خلال

الستين اللتين استغرقهما تقدم القوات الإنكليزية لاحتلال بغداد، وذلك «انطلاقاً من الالتزام بفتوى الجهاد، وقد اتخذت هذه المساعدة على الصعيد العسكري اشكالاً عدة، كما وشه المجاهدين من العشائر للقوات الإنكليزية، وضرب طرق الإمداد، أو في الاشتراك المباشر مع القوات العثمانية في معارك نظاميه. وقد كانت لهذه المشاركة من قبل المجاهدين مع الجيش العثماني أهميه كبيره في عرقلة تقدم القوات الإنكليزية، في كثير من المواقع، وفي إلحاق الخسائر الفادحة بها» (١).

ففي يوم ١١ محرم ١٣٣٤هـ-، ١٩ تشرين الثاني ١٩١٥م، رُفِع العَلَم الحيدري من فوق ضريح الإمام على عليه السلام، وخرج المجاهدون خلفه في موكب كبير يتقدمهم العلماء منهم: شيخ الشريعة الاصفهاني، والسيد على التبريزي، والسيد مصطفى الكاشاني، والشيخ باقر القمي، والشيخ محمد حسين القمشي، والسيد عبد الرزاق الحلو، والميرزا مهدي الملا كاظم الخراساني، والسيد على نجل السيد محمد سعيد الجبوبي، والشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي، والسيد محمد على بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري، والسيد هبه الدين الشهرستاني، والشيخ عبد الكريم الجزائري، وغيرهم (٢).

وكان للقبائل الشيعيه المستجيبه لنداء الجهاد دور بارز في الهجمات على المعسكرات البريطانيه، مما أدخل الرعب في الجيش البريطاني، سواء في المدائن قرب بغداد، أو عند الانسحاب إلى مدينه الكوت، أو في أثناء المحاصره داخل الكوت.

ففي المدائن، كانت القوات البريطانيه بزعامه (تونزند) تقدر ب- ١٧ ألف جندي، قد أنزلت القوات العثمانية و فرق المجاهدين، بها ضربات قاسيه، «فكانت خسائر

ص: ٣١١

١- (١) الرهيمي، عبد الحلیم: المرجع السابق، ص ١٧٨.

٢- (٢) الوردی، د. علی: المرجع السابق، ص ٢٣٧-٢٣٨.

الإنكليز ٤٤٩٠ رجلاً بين قتيل وجريح، ومن مجموع الضباط البالغ عددهم ٣١٧ فقد الإنكليز ١٣٠ ضابطاً بين قتيل وجريح، ومن مجموع ضباط الهنود البالغ عددهم ٢٣٥ ضابطاً، بقي ١١١ ضابطاً على قيد الحياة. وكانت خسائر العثمانيين ٩٦٠٠ رجل بين قتيل وجريح، وأسر منهم ١٢٠٠ جندي» (١).

أما سبب تراجع القوات الإنكليزية هو توقع وصول الإمدادات العثمانية، ومعنى ذلك زيادة الخسائر والهزيمة التامة لهم، وبالفعل أثناء الانسحاب (التاكتيكي) واصلت القوات العثمانية زحفها لملاحقة القوات البريطانية حتى وصلت إلى مدينه الكوت، وتقدر خسائر الإنكليز أثناء الانسحاب خمسمائه رجل (٢).

وفي أثناء الحصار أيضاً، حينما أحكم على القوات البريطانية، لعبت قوات المجاهدين دوراً مهماً في مساعدته القوات العثمانية، مما أدى إلى إنهاك القوات البريطانية، فقتلوا منهم، ونهبوا أسلحتهم، وذخائرهم، بالإضافة إلى أنهم كشفوا مواقعهم وأسرارهم العسكرية للجيش العثماني، فقد «كان القادة العسكريون البريطانيون كثيرى الشكوى ممن يسمونهم (الجواسيس الشيعة) الذين يساندون الجيش التركي» (٣).

فقد بدأ الحصار من يوم الرابع من شهر كانون الأول سنة ١٩١٥م الموافق للسابع والعشرين من شهر محرم ١٣٣٤هـ، وانهى إلى استسلام القائد البريطاني (تونزند) مع جيشه البالغ قوامه ٣٠٩ و١٣ من الضباط والجنود، وذلك فى يوم ١٩ نيسان ١٩١٦م، ١٦ جمادى الثانية ١٣٣٤هـ. وكان الجيش السادس العثماني بقيادة المارشال الألماني (فون درغولتس) هو المنفذ لعملية الحصار، وقد أحكم الحصار بشده

ص: ٣١٢

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ٩٦.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: المرجع السابق، ص ٥٧.

٣- (٣) العلوى، حسن: الشيعة والدوله القومييه فى العراق، باريس ١٩٨٩، مرجع سابق، ص ٥٤.

على الجيش البريطاني، بحيث فشلت كل محاولات القائد البريطاني لفك الحصار عن جيشه، بما في ذلك ضغطه على حكومته، للموافقة على طلب العون والمساعدة من الروس، ليتم تدخلهم عسكرياً في العراق لمصلحه البريطانيين، غير أن نائب الملك في الهند كان يخشى من التعاون الروسي الذي سينتهي في حاله نجاحه إلى تثبيت امتيازات لهم في العراق. وبالتالي سيلحق الضرر بالمصالح البريطانيه. ومما يذكر في محاوله فك الحصار، إنه تم إرسال قوه بريطانيه قوامها ٩ آلاف جندي، بقيادة الجنرال (ايلمر Aylmer) في السابع عشر من شهر كانون الأول، ولكنها عجزت عن انجاز مهمتها الصعبه بعد أن أصيب حوالي ٧ آلاف إصابه بين قتيل وجريح، وفي هذه الوقعه لعبت قوات المجاهدين من أبناء العشائر دوراً بارزاً في محاربه المد البريطاني (١).

إلا- أن هذا الانتصار للقوات العثمانيه و فرق المجاهدين كان مؤقتاً، أشبه ما يكون بشهر العسل، الذي أعاد الثقة بنسبه معينه للمجاهدين، ومن ثم انتهت نشوه الانتصار بتراجع القوات العثمانيه و فرق المجاهدين أمام التقدم البريطاني. وتتمحور مجمل الأسباب في ذلك حول ضعف الإدارة العثمانيه في توظيف تلك الروح الثوريه المتصاعده، التي انتعشت بعد الانتصار في الكوت. فالمفروض أن تحتضن لغرض الاستمرار في الجهاد وملاحقه المعتدين المنهزمين، لكن أشيعت في الساحة حاله التمجيد بالانتصار والتعنى بمواقف الشجاعه والفوز، وكأن المعركه قد آنتهت! وبالفعل ما استمرت القوات العثمانيه والجهاديه في ملاحقه الأعداء وطردهم من آخر معاقلهم في البصره، كما كان يريد ذلك الجنرال الألماني (فون درغولتس)، وهذه السلوكيه من قبل الجيش العثماني، تعزز رأينا بخطه الاتحاديين، التي هي من ضمن المؤامره الاستعماريه، الراميه لانهاك العالم الإسلامي، وزعزعه الوحده الإسلاميه وإسقاط الدوله العثمانيه المسلمه.

ص: ٣١٣

ومن هنا لا نستغرب من تمادى القائد التركي خليل باشا في غيه، وفساد خلفه بعد انتصاره في الكوت، بينما الإنكليز أخذوا درساً قاسياً من تلك التجربه المره، فأعادوا تنظيم صفوفهم، وحسّنا سبل التموين والمواصلات، ورتبوا العنايه الصحيه، وقرروا احتلال بغداد، وبالفعل تم ذلك بقياده الجنرال (مس. مود moude) في ١١ آذار ١٩١٧ - ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ.

وعندها تقدمت الأقلية اليهوديه لتبارك للبريطانيين انتصارهم. و«قد ذكر ساسون سلمون زعيم الطائفة اليهوديه في (سورا بايا) وممثليها، أمام (مود) أن استيلاءه على بغداد جاء بمشابه خلاص للأمة اليهوديه بأسرها». وأشادت الجاليه اليهوديه المقيمه في العراق، بهذا الانتصار، وسعت لمد يد العون والمساعده لقوات الاحتلال، فمثلاً وضع (ايلى خدورى) - وهو يهودى بغدادى معروف - إمكانياته في خدمه جيش الاحتلال، فقدم بيته الفخم لخدمه مؤسساتهم، كما وقدم مشروع إقامه مشفى للجيش البريطانى والجاليات الأجنبية في بغداد، على أن يتعاون ويساهم في تنفيذه (١). هذا، ويضيف الدكتور فاروق الأقلية المسيحيه - أيضاً - بقوله: «فقد ناصرَت الطوائف المسيحيه واليهوديه الاحتلال بصوره واضحه» (٢).

وهكذا تطوّرت تفاعلات الساحة العراقيه جهادياً بتطور الأحداث، حتى إنها تبلورت بفاعليه أكبر بعد احتلال بغداد عام ١٩١٧م، على شكل مواجهه مسلحه تمثلت في ثوره النجف، في آذار - نيسان ١٩١٨ الموافق لجمادى الأولى والثانيه ١٣٣٥هـ، وبالتعاون مع العثمانيين. ثم استمرت حاله النضوج الثورى في الساحة بنمو متزايد، مكّنت الإسلاميين من تفجير ثوره العشرين، بشكلٍ مستقل عن العثمانيين، في قمه الأحداث التي سجلها الإسلاميون آنذاك ضد الاحتلال البريطانى - وسيأتى الحديث عنها.

ص: ٣١٤

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٠٩-١١٠.

٢- (٢) العمر، د. فاروق صالح: الأحزاب السياسيه في العراق ١٩٢١-١٩٣٢ مرجع سابق، ص ٣٣.

هذا التفاعل الجدّي من قبل العلماء المسلمين الشيعة، لم يظهر بدرجة المتقدمه لدى العلماء المسلمين السنه، «بل ان العلماء السنه الذين يحملون صفه رسميه فى الدوله العثمانيه، تقاعسوا عن حركه الجهاد، والأكثر من ذلك ان علماء بغداد عقدوا فى أواخر عام ١٩١٥م - ذى الحجه ١٣٣٣هـ-، اجتماعاً فى منزل عبد الرحمن [النقيب] الكيلانى ضم كلاً من موسى الباججى، وجميل زاده عبد الرحمن، ويوسف السويدي، ويوسف الباججى، وعبد اللطيف ثيان، ورشيد الهاشمى، قرروا فيه تأييد الإنكليز، وعرض إمكانياتهم على تقديم مساعدتهم للقوات البريطانيه، وقد وافق المجتمعون، باستثناء عبد الرحمن النقيب الكيلانى» (١). وهذا الاستثناء يعدّ غريباً فى إخراجهم من قبل السيد النقيب، ولكنه جاء استجابته لتحقيق أغراض إعلاميه وسياسيه معروفه والحال ان الاجتماع عقد فى داره وبتخطيط مسبق. من هنا نكتشف مدى صدقيه علماء المسلمين الشيعة مع مبدئهم وأهدافهم، بالرغم من انهم لم يعاملوا بإحسان من قبل السلطات العثمانيه، ولم تعترف الدوله العثمانيه - يوماً - بالمذهب الشيعى كسائر المذاهب الأخرى (٢).

ص: ٣١٥

- ١- (١) شبر، حسن: مرجع سابق، ص ١٦٣-١٦٤.
- ٢- (٢) يذكر الأستاذ حسن العلوى، ان الدوله العثمانيه لم تعترف بالمذهب الشيعى بل تعرّض الشيعة للاضطهاد المذهبى الواضح من قبل السلطه، ومع ذلك وقف علماء الشيعة بقواتهم وعشائهم إلى جانب الجيش العثمانى المسلم ضد المحتلين البريطانيين ومما يذكر ان أعداد المجاهدين فى بعض الجبهات كان يفوق أعداد الجنود النظاميين فى الجيش العثمانى، هذا وعلى العكس من هذا الموقف المبدئى لعلماء الشيعة ما نلاحظه من مواقف منهزمه لمشيخه الإسلام الرسمى فى بغداد أمثال عبد الرحمن النقيب، ومحمد سعيد النقشبندى، وعلى الآلوسى.. ويصفهم الأستاذ العلوى بانهم علماء المؤسسه الحاكمه لم يكتفوا بالعود عن الجهاد وإنما اتصلوا برجال الاحتلال البريطانى، عارضين عليهم تأييدهم للإنكليز واستعدادهم لتقديم المساعدات للقوات البريطانيه المحتله. انظر، العلوى، حسن: الشيعة والدوله القوميه فى العراق، مرجع سابق، ص ٥٤ وما بعدها.

لقد أصبحت حركة الجهاد الإسلامي مَفْصَلاً مهماً في تاريخ العمل السياسي الإسلامي في العراق، حيث آتضح فيها مدى التلاحم والانسجام بين القيادة المرجعية والناس على كافة المستويات، وكان اشتراك العلماء وأبنائهم في صفوف المقاتلين في ساحات القتال من السمات البارزة لتلك الحركة الجهادية. وقد كانت تدور أحداث هذا المفصل التاريخي المهم ضمن تقدير المصلحة الإسلامية العليا، ورجحانها على الميول المحلية ورده الفعل الموضوعية، من جراء سوء إدارة العثمانيين. ولهذا تعتبر حركة الجهاد نابعه من صميم المبادئ الإسلامية التي تحتم مقاومة الكافرين المعتدين، يقول السيد محمد باقر الحكيم: «إن الشيعة وفيهم المرجعية الدينية في العراق، كانوا يعيشون عزله سياسيه تكاد أن تكون شامله في العهد العثماني، لأنهم أقلية مضطهده، وكان دخولهم في حركة الجهاد ضد الغزو الإنجليزي استجابةً للتكليف الشرعي» (١).

أما على ضوء المكتسبات السياسي والإدارية، فإن الشيعة العراقيين كانوا هم المرشحون للاتفاق مع الإنكليز، بل لاستقبالهم في العراق وذلك للتخلص من

ص: ٣١٦

١- (١) مقطع من جواب السيد محمد باقر الحكيم، رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، على سؤالنا الثاني الذي وجهناه لسماحته، بتاريخ ١٠/١/١٤١٨هـ، ١٢/أيلول/١٩٩٧م سنبت نص الرسالة الجوابية في ملاحق الكتاب.

الاضطهاد التركي من جهه ومن جهه أخرى للحصول على مكتسبات خاصه من الوضع الجديد. بينما جرت الأحداث على عكس هذه التوقعات ومن المؤكد كانت صدمه البريطانيين كبيره حينما شاهدوا قوافل الجهاد من عشائر الشيعة ورجال المدن الشيعيه تحت قياده علمائهم فى مواجهتهم بساحات القتال. نعم والذى حدث هو أن المستفيدين من العهد العثماني سياسياً وإدارياً هم الذين عرضوا إمكانياتهم وخدماتهم للمحتلين ليستفيدوا كذلك من الوضع الجديد، ومن أبرز الأمثله على ذلك هو عبد الرحمن الكيلاني النقيب بينما وقف علماء المسلمين الشيعه مع امتداداتهم الشعيه يسطرون بمواقفهم وإمكانياتهم ودمائهم أروع صور الاستقامه والمبدئه والتضحيه، وبالفعل قدّموا صوراً من التضحيات الجسيمه التي حفرت لها مواقع مشرقه فى عمق الذاكره والتاريخ، تتناقلها الأجيال، جيل بعد جيل.

فمثلاً كان ينفق السيد محمد سعيد الحوبى من أمواله الخاصه على المجاهدين فى الجبهه، وحينما عرض عليه القاده العثمانيون مبلغاً رفض استلامه قائلاً لهم: «إنى مكلف بالتضحيه فى مالى ونفسى، فإذا نفذ المال بقيت نوبه النفس، اعتبرونى جندياً من الجند، آكل مما يأكلون، وأشرب مما يشربون، وجهاد النفس أفضل، لا، لأقبل درهماً واحداً، وقائد الجيش أعرف بمواقع الصرف، ولا أسمح لكل أحد أن يفاتحنى بهذا الشأن» (١).

وهكذا كانت مواقف أبناء العشائر، فإنهم اعتمدوا على وضعهم الخاص فى سبيل المقاومه. «وكان بعض رجال القبائل يبيعون ما لديهم من متاع وأثاث.. لكى يبتاعوا بثمانه سلاحاً، إطاعه للفتوى التى أصدرها المجتهد الأكبر، ولم تكن الحرب آنذاك حرباً دوافعها قضايا قبلية، بل كانت حرباً دوافعها دينيه، كانت حرباً واجبه» (٢).

ص: ٣١٧

١- (١) الفرعون، فريق المزهري: الحقائق الناصعه فى الثوره العراقيه سنه ١٩٢٠، ج ١، ص ٣٩.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ٨٩.

وفى معركة الروطه شمالي القرنه، كان السيد مهدي الحيدري، البالغ من العمر ثمانين سنه، قد نصب خيامه فى الخطوط الأماميه للجبهه، وعندما تكثف الهجوم الإنكليزى على المنطقه فى ٢٠ كانون الثانى ١٩١٥م الموافق للخامس من ربيع الأول ١٣٣٣هـ، رفض السيد الحيدري الانسحاب حفظاً على معنويات الجيش والمقاومه الإسلاميه، وقد كانت مراكزهم (خيامهم) متقدمه على مواقع الجيش العثمانى، لشده عزمهم وعمق إيمانهم وصدق نواياهم فى مواجهه العدو المحتل، ونصره منهم للجيش العثمانى. حيث قال: «إن معنويات الجيش كله ستنكسر إذا قوضتم خيامنا، وربما ظنوا بأننا قد انسحبنا عن مراكزنا، فتضعف عزيمتهم، وتنهار قدرتهم، بل يجب أن تبقى خيامنا قوه للجيش، ورايه للإسلام، وهيبه للمسلمين، ورهبه للكافرين». وتقدم نحو العدو يقود المجاهدين مع شيخوخته، حاملاً سيفه بيد، والقرآن الكريم بيده الأخرى، محرصاً على الأقدام والاستبسال فى سبيل الله. وكان يدعو الله سبحانه أن تكون نيران قذائف العدو برداً وسلاماً على المجاهدين وبالفعل لم تمض ساعات إلا وقد اندحر العدو اندحاراً فضيعاً، وتكبد خسائر جسيمه بالأرواح والمعدات. وقتل من العدو ما يناهز الألف أو أكثر ومن جانب المجاهدين فقد سقط أربعة عشر شهيداً وجرح ما يقارب الخمسين! والعجيب فى هذه المعركة العنيفه سلم الله السيد وأصحابه جميعاً، وقد عدّ

الناس هذا الانتصار كرامه عظيمه للسيد. وقد عرفت هذه الوقعه بواقعه يوم الأربعاء لأنها صادفت يوم الأربعاء ٥ ربيع الأول ١٣٣٣هـ-، ٢٠ كانون الثاني ١٩١٥م، وتعرف أيضاً بمعركة الروطه لأنها كانت قريه من نهر الروطه (١). ويذكر في هذه الوقعه أن القائد العثماني (سليمان عسكري بيك) قد جرح ونقل إلى بغداد للمعالجه، وحينما زاره أحد العلماء الموظفين لدى الحكومه، وكان القائد راقداً في مشفى بغداد إثر جرحه في الجبهه. قال له: «أنت ها هنا ترفل بالراحه والطمأنينه والنعيم، مع أنك تتقاضى راتباً ضخماً من الدوله طيله عمرك، وان الإمام السيد محمد الحيدري يحارب الإنكليز بنفسه، على شيخوخته وعظمته، وهو الآن فى الصفوف الأولى مع أنه لم يقبل من أموال الدوله قليلاً ولا كثيراً طيله عمره» (٢).

ومما يذكر فى مرحله انسحاب العلماء والمجاهدين من الجبهه، كانت تواجههم -وخاصه كبار السن - أخطار الغرق والموت، فمثلاً- حينما «خرجوا من الماء قبيل المغرب، ومشوا قليلاً، رأى السيد راضى أحد أبناء الإمام [الحيدري]، شيخاً تتقاذفه أمواج النهر، فألقى بنفسه إلى الماء، واستنقذ الشيخ، فكان هو العلامه شيخ الشريعه، الذى كتب له فيما بعد أن يقود ثوره العشرين ضد الإنكليز، بعد رحيل الإمام محمد تقى الشيرازى، وكان الشيخ يلقب السيد راضى بعد هذه الحادثه، بمحى الشريعه» (٣).

والآن وقبل أن نختم الفصل نتساءل، هل حققت حركه الجهاد أهدافها المرجوّه؟ وكيف نقيم هذه التجربه الجهاديه فى انطلاقتها الأولى؟.

صحيح أن الحسابات تختلف باختلاف المنطلقات الفكرية التى يستند عليها

ص: ٣١٩

-
- ١- (١) راجع الحسينى، السيد أحمد: الإمام الثائر، ص ٥٣-٥٩. راجع فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ١١٢.
 - ٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٣٧-١٣٩.
 - ٣- (٣) العلوى، حسن: الشيعة والدوله القوميه فى العراق، ص ٦٨.

المحللون في نظرتهم وتقييمهم، وقد تجد هذه الحسابات في التحليل السياسي مجالاً كبيراً للاعتقاد بأن الشيعة بسطاء ومثاليون، ربطوا مصيرهم بمصير دولة منزهة عسكرياً وسياسياً، وبالنسبة إليهم بالذات أصبحوا مثلاً لمصادره الرأي وقبول الاستبداد، وانهم عاطفيون بدرجة كبيرة وقفوا إلى جانب دوله تحمل شعار الإسلام - فقط - أمام جيش غير مسلم. وربما كان بإمكانهم أن يخدموا البلاد والعباد، في ظل حكم أجنبي أكثر مما هم عليه في ظل حكم مستبد قاهر، إلا أن الروح الموضوعية تضعنا في إطار التقييم المنصف، رغم الملابسات المتعددة في مجمل الأحداث، وذلك بعد عرض سريع لمجمل الآراء.

فبعد تراجع الإسلاميين في الشعيه «أدر ك (ولسن، نائب الحاكم المدني العام في العراق)، ان الجهاد في العراق قد أخفق في تحقيق أغراضه» (١).

بينما يرى الدكتور عبد الله الفياض، إن حركة الجهاد حققت بعض النجاح (٢) ويذهب على الوردى إلى فشل حركة الجهاد بقوله: «وربما صح القول إن دعوه الجهاد كانت حركة فاشله» (٣).

ولكن الدكتور عبد الله النفيسى يرى «أن الجهاد نجح في تحقيق غايته، بدليل أن كل مجتهد التحق بالمجاهدين أو اشترك معهم في ساحه القتال، لا لأن الأتراك كانوا يحاربون الإنكليز، بل لأن علماء المسلمين كافة أفتوا بضروره الجهاد في ذلك الظرف، وأمروا بأن ينضموا إلى صفوف المحاربين» (٤).

ويبالغ أحد الباحثين في نظرتة غير الواقعيه بقوله: «أما حركة الجهاد، فقد نجحت

ص: ٣٢٠

١- (١) النفيسى، المرجع السابق، ص ٨٩.

٢- (٢) الفياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ١٠٥.

٣- (٣) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٤، ص ٢١.

٤- (٤) النفيسى، المرجع السابق، ص ٨٩.

نجاحاً كبيراً، بل إنه لولا (الجيش العثماني) لكان المجاهدون قادرين وحدهم على مقاومه الإنكليز» (١).

وأمام هذه التقييمات المتنوعه، لو ألقينا نظره -عبر المنظار الموضوعي - للأحداث، وللوضع التاريخي للعراق، لتوصلنا إلى حقيقه واضحه وهى، ان ركاماً تاريخياً متكلساً، قد تساقط عن جسم الأمة الإسلاميه فى العراق، بواسطه هذه التجربه الميدانيه التى ترجمت الوعى الثقافى، والتراث الفكرى فى حاله جهاديه ساخنه، نضجت خلالها الرؤى الثوريه، واعادت الثقه إلى النفوس بفريضه الجهاد، ووضعت الجميع - من قياده إلى القاعده - فى خطوه الانطلاقه الصحيحه بالمسار الصحيح. فجعلتهم يعيشون الثوره الحيّه دون تردّد أو تلكؤ. فهبّ الناس لاداء هذا الفرض المقدس، وانطلقت قوافل المجاهدين إلى ساحات القتال لتسجل أروع صفحات التاريخ المشرق، وبالفعل زينتها بصور آلاف الشهداء و المجاهدين.

فإذن، فى مجال التربيه النفسيه عاشت الأمه ترويضاً فاعلاً، وميداناً تجريبياً حياً، نزت فيه الدماء والدموع، والآهات والزفرات، ذاقت خلالها حلاوه الجهاد والصبر والانضباط والشهاده، إلى جانب علمائها الكبار، مما بلور لعموم الأمه، وعياً جهادياً عميقاً، يعتبر امتداداً حياً للتراث الجهادى الكبير الذى تحمله بعزه وفخار. ففى نظرنا، كانت هذه التجربه الحيه بمثابة دوره تدريبيّه لكفاح الأمه، تهيأت من خلالها للقيام بأدوارها المطلوبه، فى فترات لاحقه، بصوره مستقله أو أكثر استقلاليه، هذه الحاله - بحد ذاتها - هى الحياه بالنسبه للإسلاميين، فى ظروف الاعتداء الأجنبي والاحتلال الكافر، وهذه النتيجة من أبرز نتائج حركه الجهاد الإسلامى. «وإن مجرد نجاح الدعوه فى العراق، حمل فضلاً عن النجاحات المهمه التى تحققت على الصعيد العسكرى، دلالات

ص: ٣٢١

فكريه وسياسيه كبيره الأهميه» (١). بلورت الاندفاع الديني، والوعي الجهادي، بعيداً عن الأطماع والمرتببات الشخصيه، فلم ينتظر المجاهدون عطاءً أو مكسباً مادياً إزاء جهادهم، سواء كان ذلك لأنفسهم أو لزوجاتهم وأولادهم بعد شهادتهم. فكانت استجابته نداء الجهاد نابعه من الدفاع عن الإسلام، وعن الدوله القائمه على إسم الإسلام، باعتبارها الكيان السياسي للمسلمين - آنذاك - هذه الدوله التي بان ضعفها أمام قوى الاستعمار المعتديه. يقول الدكتور عبد الله النفيسي: «وقد سألتنا السيد صكبان العوادى - وكان أبوه قد سقط شهيداً فى معركة الشعيه - عن المخاطر التي يتعرض لها المحارب غير المجهز بالسلاح الحديث، وغير المدرب على الحرب النظاميه، عندما يجابه جيشاً كالجيش الإنكليزى بسلاحه الحديث الفتاك، وإدارته المحكمه. فأجاب: إننا لم نحجم ولم نتردد على الرغم من الفارق الذى تشير إليه، وأضاف.. أن أباه يؤمن إيماناً راسخاً بالله تعالى، لا يقل رسوخاً عن إيمان الإنكليزى بماله وأساطيله وقوته الماديه.. إن أباه كان يؤثر دخول الجنه باستشهاده على ساحه المعركه فى حرب مقدسه فلا يستسلم للقوم الكفار» (٢).

وصحيح ان التضحيات بالأنفس تؤثر على سير الحركه الجهاديه إلا أنها فى الوقت ذاته، تولد عمقاً فكرياً متجذراً، يصعب على العدو انتشاله، وهذا ما يفسر اندفاع بريطانيا لتفعيل رايه الجهاد الإسلامى على يد الشريف حسين أثناء إعلان ثورته، وذلك لتحطيم الهيئه العثمانيه، والقيمه الأساسيه لحركه الجهاد الإسلامى. ولكن بالرغم من أن بريق الثوره العربيه بزعامه الشريف حسين لم يترك وقعاً بليغاً فى نفوس العراقيين، إلا أنّ توجه بريطانيا لدعم الثوره بهذا الأسلوب له دلالاته الواضحه.

ص: ٣٢٢

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: مرجع السابق، ص ١٨١.

٢- (٢) النفيسي، عبد الله: ص ٨٩-٩٠. ومقابل هذه الحاله المتقدمه فى الوعي الإسلامى نجد لدى العراقيين عموماً إنهم قد تلقوا خبر نشوب الثوره الشريفيه العربيه بشيء من الفتور واللامبالاه. المرجع ذاته، ص ١٨٥.

يقول الجنرال (كلايتون) في رسالته المؤرخه في ١٧ أيار ١٩١٦م الموافق للخامس عشر من رجب ١٣٣٤هـ، إلى مدير الاستخبارات العسكريه في وزاره الحربيه، جاء فيها: «.. فان إعلان الشريف جهاراً ثورته، سيكون ضربه خطيره لهيبه الأتراك في العالم الإسلامي» (١).

ولابد أن نشير إلى أن بعض القوميين العرب، يقتنص ألفاظاً داله على الشعور القومي، متسربه من أفواه وبيانات العلماء، ومن بعض آراء وسلوكيات رؤساء العشائر، ليتخذ منها ذرائع لفظيه، مؤيده وداعمه لتحليله، المنطلق من الفكر القومي لحركه الجهاد الإسلامي، فمثلاً، حينما يتناول تشكيل الحكومه المحليه في النجف و كربلاء بعد الهزيمه في الشعبيه، يصفها بأنها معاديه للأتراك، وقدمت العون والمساعده للإنكليز، ثم يعمم ذلك إلى زعماء العشائر في الفرات ليجعلها ظاهره عامه منطلقه من التوجه القومي العربي، فيصف موقف زعماء العشائر في الفرات بقوله: «فقد وقف معظمهم موقف المتفرج، صحيح أنهم انضموا إلى حركه الجهاد، [لاحظ المغالطه] إلا أنهم فعلوا ذلك بدون حماس! وتحت ضغط علمائهم، وقد انتهزوا أول فرصه سنحت لهم للتخلي عن الأتراك» (٢). وحينما يذكر رواد حركه الجهاد يقول: «وكلهم من العرب» (٣). سعيماً منه لدعم الموقف القومي الذي يتبناه في تفسيره لحركه الجهاد في العراق. ولا أريد الدخول في الجدل العقيم، ولربما نعطي بعض الحق لهكذا مفكرين، يُنتظر من دراساتهم

ص: ٣٢٣

١- (١) موسى، سليمان: الحركه العرييه - المرحله الأولى للنهضه العرييه ١٩٢٤ ١٩٠٨، بيروت ١٩٧٧. ص ٢٦٤. نقلاً عن: وثائق الخارجيه البريطانيه. ٨٨٢/١٩٠. P.R.O.F.O.

٢- (٢) نظمي، وميض: الجذور السياسيه والفكريه والاجتماعيه للحركه القوميه العرييه (الاستقلاليه) في العراق، ص ١٣٠.
٣- (٣) نظمي، وميض: المرجع ذاته، ص ١٢٥. ولا أرى من الضروره التدقيق في هذه العبارة «وكلهم من العرب»، لأنها خارجه عن إطار البحث الإسلامي. ونكتفي بهذه الإشاره، وهي: ان الذي يعيش أحداث حركه الجهاد، وثورته العشرين، ويتعرف على قيادتها وبعض رموزها، من الصعوبه عليه أن ينطق بهذه العبارة بشكل مطلق. وحينها لا- نسلم من الوقوع في وحل العصبيه الجاهليه. والإسلام فوق العواطف والميول المحليه والإقليميه والقوميه - كما هو معروف في أصوله ومنطلقاته-.

الهادفه، دعم النظرية القوميہ فی تحليل الأحداث التاريخيه، بكافه السبل والوسائل، سواء أكانت طرقهم هذه ضمن القناعات الشخصيه، أم ضمن القرارات المفروضه عليهم، في كتابه التاريخ الحديث.

ومن هنا نقول: ان الأحداث أثبتت بأن الساحة العراقيه - آنذاك - كانت تتحرك لغرض تطبيق الإسلام، الذي يشكل قمه الطموح الحركي، وغايه الأهداف الثوريه، وبتطبيق الشريعه الإسلاميه يسود العدل والمساواه بين الناس أمام القانون. ومعنى ذلك، أن العلماء والمثقفين الإسلاميين كانوا في سعي حثيث، لفصل الإسلام عمّا يجرى في الإداره المحليه من سلبيات في السلوك والتصرف، الذي يعتبر انعكاساً مباشراً لسياسه الاتحاديين.

ولنا إلتفاتة أخيره، لدعاه القوميہ العربيه، ندعوهم - أديباً - ألاّ يحملوا أحداث التاريخ أكثر ممّا تتحمل، فان التفسير التحميلي القاسى يسىء لهم أكثر ممّا ينفعمهم. فالأحداث، هي اللسان المعبر عن خلفياتها الفكرية، و منطلقاتها الحركية.

ان العروبه، والعشائريه، والإقليميه، والمحليه، كلّها قيم اجتماعيه لها احترامها في حدودها المشروعه، إلاّ أن تصل الحاله إلى مستوى المزايدات، والمهاترات بينها وبين الإسلام! حينذاك ستعزّز مفاهيم الجاهليه بعينها - فعلاً - بينما العزّه الحقيقيه هي لله ولرسوله وللمؤمنين، فلا تتحقق العزّه والوحده والكرامه لشعب العراق والأمه العربيه إلاّ من خلال تطبيق الإسلام بوعى عصرى.

أما أن يتم تفسير مسيره التاريخ الجهادى في العراق على أساس القوميہ العربيه، بتفريغ روح الإسلام منها، إنّه - بالتأكيد - توجه بعيد عن المنطق، والأصول العلميه، لأننا نؤمن بأنّ الإسلام هو الوعاء المقدس الذي يحتوى الجميع دون فرق، ويتم التمييز والتفاضل على أسس التقوى والعمل الصالح، ومقدار التضحيه من أجل مبادئ

الإسلام، وهذه هي المنطلقات الإسلاميه لحركه الجهاد الإسلامى فى العراق - آنذاك-.

وعلى ما تقدم، فإن حركه الجهاد الإسلامى، تعدّ تجربه واعيه، أكتسب الإسلاميون فيها خبره عسكريه ميدانيه، إلى جانب القوات العثمانيه، ممّا شجّعهم لكسر حواجز الخوف والتردد فى الاعتماد على الذات فى مواجهه العدو المحتل فى المرحله المقبله.

وقد زوّدت الإسلاميين خبره تنظيميه - أيضاً - شخّصت مواطن القوه فى القياده المرجعيه. التى دفعت الناس للتلاحم المصيرى معها، ويمكن أن نستنتج من العلاقه المتينه بين القياده وعموم الأمه فى حركه الجهاد، إن الدور الكبير يعود للرباط بين القمه والقاعده، فإنه من العوامل الرئيسيّه لعمق العلاقه والارتباط بالمرجع القائد. وبمعنى آخر، أن النسخ الصاعد والنازل، بين الطرفين كان قوياً محكماً، وغير مخترق. لذا وظّفت الطاقات العامه فى سبيل التنفيذ المخلص للفتاوى عبر الرباط، فمثلاً كان السيد الحبوبى «العنصر الأكثر نشاطاً فى حركه الجهاد» (١).

يقول النفيسى: «إن إعلان الجهاد وفرّ للأتراك تجنيد ١٨ ألف عربى من الفرات، وثلاثة آلاف رجل من الأحواز، هذا إلى جانب عشرات الآلاف من الذين سجلوا أسماءهم فى النجف وكربلاء والكاظمين وبغداد كجنود احتياطيين وذلك لقله السلاح» (٢).

فإذن، نجاح القائد المرجع، بالإضافة إلى وعيه الشخصى وقدرته الإداريه، يعود إلى قوه كوادره، ومساعديه، ووكلائه الذين يوصلون المرجع القائد عبر لغه مشتركه متفاعله بين الطرفين، وبالفعل جاءت الفتاوى الشرعيه التى هى بمثابة القرارات القياديّه متناسبه مع تطلعات الأمه وطموحاتها، هذا من جانب ومن جانب آخر كانت الأمه تتلقى تلك الفتاوى بمزيد من الثقه والإيمان لأجل تنفيذها على الأرض مهما كانت تستوجب توضيحات جسيمه وعطاءات هائله.

ص: ٣٢٥

١- (١) نظمى، وميض: المرجع نفسه، ص ١٢٥.

٢- (٢) النفيسى، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٨٩.

الفصل الثاني : التصدي السياسي للمرجعية الدينية الشيعيه، وظهور الجمعيات والأحزاب السياسيه المعارضه ١٩١٧-١٩٢٠

اشاره

ص:٣٢٧

إن الاحتلال البريطاني لبغداد في ١١ آذار ١٩١٧ - ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ، أضحى مفصلاً مهماً في السياسة البريطانية، وسياسة الدول الأوروبية اتجاه مستقبل العراق والمنطقه، فقد اختلفت توجهات السياسة البريطانيه بعد احتلال بغداد عمّا كانت عليها قبل الاحتلال - كما سنبين ذلك-، وبالمقابل شكّل احتلال بغداد - بعد إفراغ الساحة من رجال الدوله العثمانيه - تحوّلاً رئيسياً في مهام ومسؤوليات السياسيين الإسلاميين، اتجاه شعبهم ووطنهم، حيث انتهت مرحله الإدارة المستقله في النجف وكربلاء. أو شبه المستقله كما لدى بعض العشائر الفراتيه، وبدأت مرحله جديده تمتاز بالمواجهه الجديّه ضدّ قوات الاحتلال البريطاني، ومشاريع الإدارة البريطانيه للسيطره على العراق، وما ينطوي تحت هذه الإدارة من توجهات وارتباطات ومواقف.

والذي يذكّر، ان الدوائر البريطانيه، بعد أن اكتمل احتلال البصره في آب ١٩١٥ - رمضان ١٣٣٣هـ، كان مشروعها المطروح، يرمى إلى جعل العراق محميّه بريطانيه تحت سيطره الإدارة في الهند، وهذا ما كان يسمى بمشروع التهنيدي، أي إلحاق البصره وبغداد بالإداره البريطانيه في الهند. وكان (ارنولد ولسن) نائب الحاكم المدني العام في العراق من المؤيدين والداعين لهذا المشروع.

أما الموقف الدولي، فما كان يرى ضيراً في هذا التوجّه البريطاني، وذلك لاقتسام الأدوار والحصص في المنطقه عبر اتفقيه (سايس بيكو) السريّه التي عقدت في ١٩١٦م، ١٣٣٤هـ- بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. فأخذ كل طرفٍ حصته حسب الاتفاق، وكانت

حصه بريطانيا، العراق - ما عدا الموصل. وكانت المراسلات بين الشريف حسين والسير هنرى مكماهون، نائب ملك بريطانيا فى مصر، التى عرفت بـ«مراسلات حسين - مكماهون»، داعمه -أيضاً - هذا التوجه البريطانى فى جعل العراق محمية تابعه لبريطانيا.

أما بعد الاحتلال البريطانى لبغداد، فقد دخلت السياسه البريطانيه فى مجال التردد، والانقسام فى الرؤيه والتوجهات، خاصه بعد توقف الحرب العالميه إثر إعلان هدنه (مودروس Mudros) فى ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨، ٢٥ محرم ١٣٣٧هـ. فكانت اللجنه التابعه لوزاره الخارجيه البريطانيه، هى المخوّله فى وضع الترتيبات السياسيه اللازمه لكيفيه إداره المناطق التى ستبقى تحت الاحتلال البريطانى (١).

وكان سبب هذا الارتباك السياسى، هو انعكاس حاله السياسه الدوليه، حيث تمثلت بتيارات متناقضه، تعالج الأحداث بتوجهات مختلفه، مما كرس هذه الأزمه داخل اللجنه المشتركه برئاسه (اللورد كرزن). ف- «جميع التناقضات التى وقعت فيها سياسه الحلفاء فى الشرق الأوسط، ظهرت جليه واضحه المعالم فى العراق، وعلى حساب مستقبل العراق. فإن مبدأ تقرير المصير الذى نادى به الرئيس الأمريكى (ولسن)، كانت له مفاهيم مختلفه لدى الشعوب المختلفه. فقد كان مفهومه لدى البعض، (إقامه حكومه وطنيه منبثقه من الانتخاب الحر الذى يقوم به الشعب)، ولكن فى مفهوم (ولسن) نائب الحاكم المدنى فى العراق، كان مبدأ تقرير المصير يعنى (عمليه مستمره متطوره، وليس اختياراً أرعن بين خطط ومشاريع مبهمه غير مدروسه درساً كافياً). هذا بينما كان الشعب العراقى يفهم مبدأ تقرير المصير، على أنه يعنى.. الاستقلال الناجز التام من دون حمايه بريطانيه لهذا الاستقلال» (٢).

ص: ٣٣٠

-
- ١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: مرجع السابق، ص ١٨٦. وللعلم لقد تمّ احتلال الموصل من قبل القوات البريطانيه فى ١٣/١١/١٩١٨، بينما هدنه (مودروس) أعلنت فى ٣٠/١٠/١٩١٨.
 - ٢- (٢) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١١٤.

كانت أمام اللجنة المختصة، مهمه صعبه، لوضع الصوره السياسيه، لطريقه الحكم فى العراق. ومع ذلك اجتمعت التوجهات المتعدده على محورين متضادين، هما: الإدارة البريطانيه المباشره فى حكم العراق، أو الإدارة البريطانيه غيرالمباشره.

واستمرت حاله التردد - هذه - دون حسم واضح حتى إعلان الانتداب البريطانى الرسمى للعراق، من قبل الحلفاء، فى مؤتمر «سان ريمو» فى ٢٥ نيسان ١٩٢٠ الموافق للسابع من صفر ١٣٣٨هـ. وقد أعلنت بريطانيا فى ٣ أيار، موافقتها الرسمىه على الانتداب، وعندها استقرت سياسه الانتداب البريطانى على العراق (١).

ومما يذكر، إن الذى ساهم فى زياده ارتباك السياسه البريطانيه فى العراق، آنذاك، هو البيان الذى نشره (الجنرال مود) قائد القوات البريطانيه فى العراق، إلى أهالى بغداد فى ١٩ آذار ١٩١٧م - ٢٦ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ. والذى هو فى الحقيقه صادر عن الحكومه البريطانيه فى لندن، وكان من صياغه (السر مارك سايكس) وهو من أعضاء المكتب العربى بالقاهره. وقد نشر باللغتين العربيه والإنكليزيه (٢). وقد جاء فيه: «إننا جئناكم محرّرين، لافاتحين، وقد طرد العرب من الحجاز الأتراك والجرمان الذين بغوا عليهم، ونادوا بعظمه الشريف حسين ملكاً عليهم، وهو متحالف معنا كما تحالف

ص: ٣٣١

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ط ٤، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٠٠.

٢- (٢) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه عن تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٦١.

أشرف العرب وأحرار نجد والكويت وعسير، فيا أهل بغداد، هيا للتعاون معنا لتحقيق اطمأحنم القوميه..» (١).

وقد «اشتهر هذا البيان باسم (بيان مود) لانه كان مذيلاً بتوقيعه، ولكن الواقع أن (مود) لم يكن راضياً عنه، بل هو أصدره مرغماً، وكان رأيه، أن البيان غير ضروري، وليس في أوانه، وهو سيثير في السكان آمالهم واطماعهم في الوقت الذي يجب فيه أن تبقى سلطه الجيش هي السائده لا ينازعها أحد» (٢). إلا أن الحكومه البريطانيه بدأت تتوجه في حسم رأيها بالعراق، باتجاه تبني أفكار مدرسه القاهره، مبتعده عن مدرسه الهند. لذلك بدأ التمجيد للثوره العربيه، وقائدها الشريف حسين من قبل (كوكس) وأعوانه، وبدأ البريد العسكري يوزع جريده «القبله» الناطقه بلسان الثوره العربيه، وجريدتي «المقطم» و«الكواكب» اللتين كانتا تصدران باشراف المكتب العربي في القاهره، وهما تدعمان خط الثوره العربيه، وكذلك وزعت السلطه في العراق كتاب (ثوره العرب) لأسعد داغر، على وجهاء المدن ورؤساء العشائر.

وهذا الاختلاف في الرأي، ما انتهى بعد نشر (بيان مود)، بل تفاقت الخلافات بين (الجنرال مود) و(السير برسي كوكس)، فنشطت الاتصالات بلندن، إثر محاوله تقديم (كوكس) لاستقالته، أن بقيت الأمور على حالها. ولكن انتهت الأزمه بمنح (كوكس) الصلاحيات التي طلبها، بالتنسيق العام مع (مود) (٣).

وقد أكد (الجنرال وليم مارشال)، خلف (الجنرال مود) في قياده القوات البريطانيه في العراق، على وعود (مود) بالاستقلال الوطني، وذلك في خطبته أمام حشد من

ص: ٣٣٢

-
- ١- (١) للاطلاع على النص الكامل للبيان راجع، الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث: ج ١، طبع صيدا ١٩٤٨، ص ٨٦-٨٨. وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٢٢-٢٥.
 - ٢- (٢) الوردى، د. على: مرجع سابق، ص ٣٦٢. راجع: آيرلند، فيليب: العراق، دراسه في تطوره السياسى. ترجمه: جعفر الخياط، بيروت ١٩٤٩م، ص ٦٦.
 - ٣- (٣) الوردى، د. على: المرجع ذاته، ص ٣٦٢-٣٦٤.

وجهاء بغداد، في ٢ تشرين الثاني ١٩١٨ - ٢٨ محرم ١٣٣٧هـ-. ويعتبر تأكيده هذا تعهداً رسمياً لتلك الوعود، وقد تضمنت الخطبه: - أيضاً - وعداً خاصاً باطلاق سراح الأسرى، بمن فيهم ١٠٧ من المنفيين الشيعة من النجف إلى الهند، ووعداً برفع القيود عن التجاره، والسماح بزياره الأماكن المقدسه في العراق، وكذلك دفن الموتى في النجف و كربلاء. وجاء في ختام خطبته، قوله: «أطلب إليكم أن تدركوا أن الإزعاج الذي يسببه وجود جيش في بلادكم، أمر لم نقصده ولا نريده، وإنما ضرورات الحرب أملته علينا، وأعدكم باسم جلاله الملك الإمبراطور، بأني سأسعى في أقصى سرعه، لأن أزيل كل ما من شأنه أن يحملكم على الشكوى والتملل». هذا «وبالفعل، فان السنه التاليه لهذه الخطبه كانت سنه أمل وتطلع» (١). على الأقل في مجال التصريحات والشعارات. وكانت أهم تلك الوعود، هو التصريح الإنكليزي - الفرنسي المشترك، الذي أعلن في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨م - ٣ صفر ١٣٣٧هـ، والذي ينص على تعهد الدولتين بتأليف حكومات وطنيه حرة، نابعه من الشعب في سوريا والعراق (٢).

وقد جاء في هذا الإعلان المشترك: «إن الهدف النهائي لدى كل من فرنسا وبريطانيا العظمى، هو التحرير الكامل الناجز، لجميع الشعوب التي خضعت طويلاً للجزور التركي، وإقامه حكومات وإدارات وطنيه تستمد سلطتها ومبادرتها من الممثلين الشرعيين الذين ينتخبهم الشعب» (٣).

كما وكان لمبادئ الرئيس الأمريكي (ولسن)، التي تأخر نشرها في العراق، إلى الحادي عشر من تشرين الأول ١٩١٩ - محرم ١٣٣٨هـ، أثر واضح في تصعيد الطلبات

ص: ٣٣٣

-
- ١- (١) النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.
 - ٢- (٢) الحسنی، عبد الرزاق: العراق في دورى الاحتلال والانتداب، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩-٦١.
 - ٣- (٣) النفيسي، المرجع ذاته، ص ١١٢. عن: Foster.Henry. The making of modren Iraq, ٦٨. راجع الحسنی، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٢٨-٢٩.

نحو الاستقلال، وخاصة النقطة المتعلقة بحق الأمم في تقرير مصائرهما، ولا سيما تلك التي كانت في ظل الدولة العثمانية.

هذا الوجه الظاهري المعسول للبيانات والوعود البرّاقه، الصادره من المستعمرين، ولكن كان من وراء ذلك الوجه الناعم الصوره الحقيقيه للمحتلين وهي صوره الوحوش الكاسره والذئاب المفترسه وقد كشرت عن أنيابها ودبرت مؤامرتها في ظلام الليل على عده مخططات ومشاريع وكان «أبرز المشاريع التي جرى تداولها سرّاً، خلال تلك الفتره، والمناقضه للوعود، والتعهدات التي قطعت: المشروع الذي اقترحتّه وزاره الحرب الهنديه - البريطانيه، وأرسلته في ٢٩ آذار ١٩١٧م [٦ جمادى الثانيه ١٣٣٥هـ-] إلى سكرتير الشؤون الخارجيه في «سملا» مقر نائب الملك في الهند، وإلى الدوائر العسكريه والملكيه البريطانيه في بغداد، وتضمن أسساً لتشكيل إدارات محليه «بواجهات عربيّه». وقد نصّت الفقره السابعه مثلاً في هذا المشروع، على أن تكون من العتبات المقدسه، وحده منفصله، تكون تحت الإداره البريطانيه، وان لا تضم أي منطقه زراعيه مهمه إليها. أما المشروع الآخر فهو الذي قدّمه «الكولونيل لورنس» في ٤ تشرين الثاني ١٩١٨م [٣٠ محرم ١٣٣٧هـ-] إلى وزاره الحرب، واقترح فيه، تشكيل ثلاث دول منفصله، ومستقله، الأولى في سوريه، والثانيه في شمال العراق وعاصمتها الموصل، والثالثه في جنوب العراق وعاصمتها بغداد» (١).

لذلك كانت أوساط القاده البريطانيين في العراق، غير راضيه بالبلاغ الإنجليزي، الفرنسي المشترك، فقد اعتبر (ولسن) الحاكم الملكي العام في العراق، أن البلاغ سيورطهم في مشاكل جسيمه، ووصفه بأنه نوع من الدجل السياسي، وأنه يناقض وعد بلفور في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٧م الموافق للثاني عشر من صفر ١٣٣٦هـ-، الذي يهدف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان لا يرى ضروره لمثل هذا البلاغ في

ص: ٣٣٤

١- (١) الرهيمي، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ١٨٧.

الظروف السياسيّه التي تشهد نمواً في الوعي التحرري في سوريا والعراق. أما (المس بيل) فكتبت في مذكره عنوانها «تقرير المصير في العراق» إن البلاغ كان «ضروره يؤسف لها» (١). وكتبت في مذكره لها نشرها ولسن الحاكم الملكي في كتابه، ومن جمله ما قالت في مذكرتها: «وكان أهل العراق قبل أن ينشر فيهم هذا التصريح قد أيقنوا، بعد الذي رأوه من نجاحنا في إنهاء الحرب، أن البلاد ستبقى تحت السلطه البريطانيه، وأن عليهم أن يرضوا بما يمليه السيف، ولكن هذا التصريح فتح لهم أبواباً جديده للأمل» (٢).

وقد ثارت مخاوف اليهود والمسيحيين بسبب البلاغ المشترك، فتقدم اليهود بطلبات التجنّس بالجنسيه البريطانيه، في حال إنشاء دوله مستقله عربيه في العراق (٣).

إذن «لقد كانت المنافسه بين الفريقين، من مخططي السياسيه البريطانيه، شديد حاده، وكانت الخصومه بينهما عنيفه، بحيث تعذّر على اللجنه أن تصل إلى قرار في ما يتعلق بالسياسه التي ينبغي إتباعها في العراق. في تلك الآونه كانوا يشيرون إلى «لورنس» بقولهم أنه «وحش ولسن الأسود» (٤).

إلاّ أنه إلى جانب هذه التوجهات السياسيه المختلفه لدى البريطانيين في إداره شؤون العراق، والتي كانت تؤثر في مسارها تطورات الحرب العالميه، ظهرت عليها - بوضوح - تأثيرات العوامل الداخليه المتجسده في تطورات الساحة الحركيه داخل العراق، فقد نضجت إلى مستوى التكتلات السريه، والمواجهه المسلحه ضد الاحتلال، ممّا أضفت للمعارضه الإسلاميه طابعاً حركياً متقدماً، أدخلها في حسابان الإنكليز من

ص: ٣٣٥

١- (١) ويقول لونكريك في كتابه: العراق ١٩٠٠-١٩٥٠ «لما تسلّم ولسن التصريح البريطاني - الفرنسي في تشرين الثاني ١٩١٨م، أصابه الذعر منه، واعتبره أساساً غير صالح للحكم في العراق».

٢- (٢) الحسنی، عبد الرزاق: الثورة العراقيه، ص ٣١ عن: Sir, A.T.Wilson, Loyalties Mesopotam: ap.٣٣٠.

٣- (٣) النفيسي، المرجع ذاته، ص ١١٣.

٤- (٤) النفيسي، المرجع ذاته، ص ١١٥.

أوسع الأبواب، فأرتبكت المعادله السياسيه لدى البريطانيين بشكل كبير.

وعلى ما تقدم، شهدت الساحة لقاءات مكثفه بين عدد من العلماء فى كربلاء والنجف، ورؤساء العشائر فى الشاميه والناصرية، وغيرهما من مناطق الفرات الأوسط، للبحث فى القضايا المستجده فى سبيل الإعداد لمقاومه الاحتلال البريطانى والثوره عليه (١). شملت هذه النشاطات معظم مناطق العراق من ١٩١٧-١٩٢٠م، وكان أكثرها تركيزاً، تلك التى ظهرت فى وسط وجنوب العراق، حيث الأكثرية من المسلمين الشيعه، وكذلك بغداد. وقد حصلت حركات عسكريه موضعيه فى شمال الموصل، وفى آب ١٩١٩، ذى القعدة ١٣٣٩هـ، حصلت واقعه (الكوبان)، وواقعه (العماديه) فى الشهر نفسه، وواقعه (القعر) فى الشمال أيضاً فى تشرين الثانى ١٩١٩، صفر ١٣٣٨هـ، وكذلك ظهرت نشاطات الأ-كراد بقيادة الشيخ محمود البارزانى. والأمر الأهم هو ظهور نشاطات سياسيه - حركيه منظمه على الساحة العراقيه، فقد تأسس حزب «حرس الاستقلال» فى بغداد خلال عامى ١٩١٩ و١٩٢٠، وغيره من التكتلات الإسلاميه السريه التى سنسلط الأضواء على أدوارها المهمه على المستوى الحركى والسياسى (٢)، وكان أهمها، فى مستوى المواجهه العسكريه، نشوب ثوره النجف خلال آذار ونيسان ١٩١٨، جمادى الثانيه ورجب ١٣٣٦هـ، والتطورات الحركيه التى حصلت فى كربلاء والكاظميه وبغداد - كماسنرى-.

أما المواجهه السياسيه فتجسدت فى عمليه الاستفتاء الشعبى، لاختيار نوع الحكم فى العراق الذى أجرته الإدارة البريطانيه أواخر ١٩١٨ وأوائل ١٩١٩. وهكذا تمّ تنويع هذه المواجهات العسكريه والنشاطات السياسيه والحركيه فى إعلان ثوره العشرين الشامله فى ٣٠ حزيران ١٩٢٠ لغايه تشرين الثانى ١٩٢٠.

ص: ٣٣٦

١- (١) الأسدى، حسن: ثوره النجف ضد الإنكليز، مصدر سابق، ص ٢١٨.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، الفصل الرابع: الجمعيات السريه وأثرها فى الثوره العراقيه الكبرى، ص ٦٥-١٠٩.

لما انتهت مرحله الجهاد الإسلامي، التي لعبت مدينه النجف دوراً أساسياً فيها، اصطدمت بالسلطه القائميه، التي أدت بالنتيجه إلى تكوين إداره محليه - كما ذكرنا ذلك-، وكان الإنكليز يفكرون بإداره النجف، من دون إثارة لوضعها، وخاصه علماء الدين، إلا أن الأوضاع، سرعان ما تصاعدت إلى مستوى المواجهه العسكريه، لعدده أسباب منها: إنشاء حاميه عسكريه للجيش البريطاني في الكوفه، وذلك في مطلع عام ١٩١٨ أى ربيع ١٣٣٦هـ-، وهو عمل استفزازى واضح، والذي زاد في الطين بله، هو استفزاز الدوريات العسكريه حول سور النجف لأوضاع الأهالي. وبالمناسبه يعترف (السر برسي كوكس) بخطأ ذلك، فيقول: «إن قيامنا بوضع جيوش في الأماكن المقدسه نفسها، كان مناقضاً لتصريحاتنا السابقه، وهذا مما زاد الصعوبات في إيجاد سيطره تامه لنا في النجف» (١).

ويبدو أن العامل المباشر لتفجير الأوضاع في النجف، هو دعم السلطات البريطانيه لحليفها فهد الهذال، رئيس قبيله عنزه (٢) للدخول إلى النجف، وذلك للحصول

ص: ٣٣٧

-
- ١- (١) العمر، فاروق صالح: الأحزاب السياسيه في العراق ١٩٢١-١٩٣٢ مرجع سابق، ص ٣٦-٣٧. عن: (برسي كوكس) مذكره تكوين الحكم الوطني في العراق، ص ٢٧.
 - ٢- (٢) وقّعت السلطات الإنكليزيه اتفاقاً مع ابن الهذال بعد الاحتلال بشهرين، أو أكثر، ودفعت الإنكليز له معونه ماليه. انظر النفيسى، المرجع السابق، ص ٦٥. وكذلك: العلوى، حسن: الشيعه والدوله القوميه في العراق، مرجع سابق، ص ٨٥-٨٦.

على كميته كبيره من الحبوب، لمعالجه وضع القبيله، وبالفعل قدم النجف فى تشرين الأول ١٩١٧ أى فى ذى الحجه ١٣٣٥هـ، ويبيده رساله من (الكولونيل ليشمان) موجهه إلى حميد خان معاون الحاكم السياسى فى النجف، يأمره بمساعدته القبيله فى الحصول على الحبوب، فارتفعت أسعارها ارتفاعاً كبيراً، فى وقت كانت النجف تعاني من قلة الحبوب، إثر القيود التجاريه التى فرضتها الحرب، والتى ما زالت قائمه بين الإنكليز والقوات العثمانيه (١). فأذى ذلك إلى الاصطدام بين قبيله عنزه والأهالى، وخرجت مظاهره شعبيه اشتركت فيها النساء، وهن يصرخن بالشكوى من ارتفاع الأسعار (٢).

وبالتالى تم الاصطدام بين الأهالى ورجال القبيله (٣) وقد تدخلت السلطه إلى جانب ابن هذال، والذى عقّد الأزمه بصوره أشد، إنها تمّت فى عهد الحاكم (الكابتن مارشال) المعروف بشدته وقساوته فى معاملته أهالى النجف (٤).

وأظهرت هذه الحادته بوضوح «أن الإنكليز لا يبالون ولا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصه أولاً، وبمصالح حلفائهم ثانياً» (٥).

وهكذا شكّلت هذه الأسباب مجتمعه، إثارة واضحه لدى العلماء والرأى العام، فأصبحت بمثابة الانطلاقه المستقله للمعارضه التى تعتمد مبدأ الاكتفاء الذاتى، لغرض مواصلة المقاومه والانتقام من رجال الإداره البريطانيه، «بطريقه منظّمه، تستطيع أن

ص: ٣٣٨

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ٥٤.
٢- (٢) لتفاصيل الحادث راجع: الوردى، د. على: المرجع ذاته، ج ٥، ص ٢٠٩. ويذكر الوردى فى الصفحه ذاتها، فى ٢٨ تموز ١٩١٧، عيّن الكابتن بلفور حاكماً سياسياً لمنطقه النجف والشاميه. كما عين فى ١ آب حميد خان معاوناً له فى النجف، وهو من عائله معروفه تسكن النجف.

٣- (٣) الاسدى، حسن: المصدر السابق، ص ٢٢٤.

٤- (٤) العمر، فاروق صالح: المرجع ذاته، ص ٣٧.

٥- (٥) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ٥٥.

تحقق أغراض عمل ثوري كبير، يقود إلى تشكيل حكومه إسلاميه، كهدف نهائي» (١)، ولو على مستوى الشعار كطموح مبدئي.

هذا، وقد شهدت فتره الحكم المحلي للمدينه، التي سبقت هذه المرحله، توثيق الصلات بين العلماء والزعماء في النجف، مع العشائر خارج النجف، بل مع العالم الخارجى أيضاً (٢). ممّا ساهم في تنضيج الحاله الحركيه لدى بعض العلماء، وقد كان وضع النجف في تلك المرحله غير مستقر على رأى واضح، اتجاء هذه التطورات، حتى لدى قياده الدينيه، فقد التزم المرجع السيد اليزدى بالصمت، إثر تلك المستجدات، وكانت تفسّر السلطات البريطانيه هذا الموقف لصالحها، فقد زار الحاكم المدني العام (السير برسى كوكس) السيد اليزدى، في مقر إقامته بالكوفه. أما الشيخ محمد تقى الشيرازى، والشيخ فتح الله الاصفهاني شيخ الشريعه، فلم يتخذوا موقفاً صريحاً بهذا الاتجاه.

أما موقف عامه الناس فكان مع الزعماء المحليين المتحمسين للاصطدام بسلطات الاحتلال وسلاحظ عبر تطور الأحداث تبلور الموقف العدائى الصريح ضد المحتلين البريطانيين (٣).

ص: ٣٣٩

١- (١) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، الجزء الثانى، المرجع السابق، ص ١٦٥.

٢- (٢) الفياض، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٨٩.

٣- (٣) للتفاصيل راجع الأسدى: المصدر السابق ص ٢١٨-٢٣٨. وكذلك الفياض: المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٣. وللعلم أن هناك محاولات عديده للنيل من مواقف السيد اليزدى اتجاه الإنكليز، لدرجه انها تجعله متعاطفاً ومتعاوناً مع الإدارة البريطانيه. وأن بموته فقدت سلطات الاحتلال سنداً قوياً لها تستعين به على العوام البسطاء الذين وجدوا فيه الإمام المطاع، فموته خساره جدّيه لهم. راجع العلوى، حسن: الشيعه والدوله القوميّه.. مرجع سابق، ص ٩٤-٩٨. - ويبدو لنا - ان هذه المحاولات مقصوده، وهى تستهدف المرجعيه الدينيه كموقع قيادى للأممه لا فقط السيد اليزدى، هذه المحاولات إبتدأت من المسؤولين البريطانيين أولاً ثم نزلت في كتاباتهم ومن ثم

كما وشهدت تلك الحقبة الزمنية نشاطاً ثقافياً - سياسياً هادفاً في أوساط العلماء والمثقفين الإسلاميين في النجف، على شكل ندوات، منها «ندوة الشيخين، جواد الجزائري وعبد الكريم الجزائري، وندوة آل شبيب، ويديرها الشيخان، محمد رضا ومحمد باقر الشيبى، وندوة السادة آل كمال الدين، ويديرها محمد سعيد، ومحمد علي، وندوة آل الصافي، ويديرها السيدان، محمد رضا وأحمد الصافي النجفي - الشاعر المعروف-» (١).

ص: ٣٤٠

١- (١) الرهيمي، المرجع السابق، ص ١٩١-١٩٢.

(جمعية النهضة الإسلامية) والتطورات الحركية في النجف الأشرف

ان التطور الأهم على الصعيد الحركي - آنذاك - هو تأسيس (جمعية النهضة الإسلامية) في النجف، وذلك في تشرين الثاني ١٩١٧م - اذى الحجه ١٣٣٥هـ-، وهي جمعيه سريره، أسسها السيد محمد على بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري، بالإضافة إلى عدد من علماء الدين، والمثقفين الإسلاميين، والزعماء المحليين، وكانوا بمثابة اللجنه القياديه للجمعيه (١).

كما «أنضم إلى الجمعيه بعض رؤساء العشائر، كمرزوق العواد رئيس العوابد، ورايح العطييه رئيس الحميدات، ووّدای العلي رئيس آل علي، وسلمان الفاضل رئيس الحواتم وغيرهم» (٢).

«وتعتبر الجمعيه أول تنظيم سياسى - إسلامى، تأسس في العراق إبان الحرب، بعد أن انفرط عقد الجمعيات والأحزاب الإصلاحية والاستقلالية القومية، والإسلامية المحافظه، التي ظهرت قبل الحرب» (٣) وكان منهاجها مؤلفاً من إحدى وعشرين ماده،

ص: ٣٤١

١- (١) العمر، فاروق صالح: المرجع السابق، ص ٣٧. يذكر قوامها: السيد محمد على بحر العلوم، نائباً للرئيس، الشيخ محمد جواد الجزائري - رئيساً-، عباس الخليلي، سكرتير، محمد على الدمشقي، سكرتير ثان، عباس الرماحي - عضو - عبد الرزاق عدوه - عضو - كاظم الصبي - عضو-.

٢- (٢) الوردى، د. علي: المرجع السابق، ج ٥، ص ٢١٤.

٣- (٣) الرهيمي، المرجع السابق، ص ١٩٣.

نقل منه المادة الثانيه فقط (١)، لتعرف على أهم الأهداف الرئيسه للجمعيه، حيث ورد نصّها بالشكل التالي:

«السعى لإعلاء كلمه الإسلام، وسعادته، وترقيته، ومراعاة القانون الأعظم في ذلك، ألا وهو الشرع الشريف المحمّدى، والعمل به طبقاً لقوله تعالى:

وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۚ

ونبذ التقاليد الإفرنجيه الذميه ورفضها، مع مباراه الأمم المتمدنه، ومجاراتها في المزايا الجميله، ودرس الأحوال السياسيه، والعمل بما ينفع به المسلمون ويعلو به الإسلام» (٢).

ومما يذكر للجمعيه في مجال النشاط الإعلامى أنها كانت تصدّر نشره دوريه، تكتب باليد، وتوزع على الناس، وتلصق على الجدران، وأبواب الصحن الحيدرى (٣). وفي مجال عملها السياسى، يقول الدكتور على الوردى: «وأخذت الجمعيه تتصل سرّاً بالأتراك، الذين كانت جيوشهم ما زالت في الرمادى على الفرات، [ويضيف قائلاً] حدثنى السيد عبد الوهاب الصافى، فقال: إنه كان يشهد بعض أعضاء الجمعيه يجتمعون سرّاً في بيت خاله الشيخ عبد الكريم الجزائرى، ويكتبون الرسائل إلى الأتراك» (٤). وذلك لتقويه جانبهم، لغرض الوصول إلى أهدافهم الكبيره في تحرير العراق من المحتلين، وفي

ص: ٣٤٢

١- (١) للتفاصيل راجع: شبر، حسن: المرجع السابق، الجزء الأول: العمل الحربى في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، ص ٣٦-٤١. وغيره من المراجع المعتيه.

٢- (٣) الوردى، د. على: المرجع ذاته، ج ٥، ص ٢١٤. راجع، كمال الدين، محمد على: ثوره العشرين في ذكراها الخمسين - معلومات ومشاهدات - ص ٢٥. وشبر، حسن: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٨.

٣- (٤) الاسدى، حسن: المصدر السابق، ص ١٦٩.

٤- (٥) الوردى، المرجع السابق، ج ٥، ص ٢١٤-٢١٥.

هذا الصدد يذكر الشيخ محمد الخالصى فى مذكراته المخطوطه، وكان فى الموصل يومذاك، فىقول: «إن رسولين جاءا (١) وأخبرا بتشكيل جمعيه فى النجف، من أهل النجف وغيرهم، غرضها إنقاذ العراق من الإنكليز، لأن أهل العراق سأموا من ظلم الإنكليز واعتسافهم، وهم مستعدون لتنفيذ أى أمر يصدر من القياده العثمانيه، ونامون أشد الندم على ما كان منهم.. فأخذت لهما من القياده ما يلزم لإعاشتهما من القوت والمال، وخلعت عليهما القياده خلعاً نفيسه، وخصصت لهما داراً إلى جنب دارنا، وبعد أيام حدث نزاع بينهما وصار يسعى كل بالآخر، فمنعتهما من ذلك وفرقت بينهما..» (٢).

من هذه الاتصالات وما وقع بأيدي الإنكليز من وثائق فى مخلفات الجيش الألماني فى المنطقه الغربيه من العراق، استنتج الإنكليز، ان هذه الجمعيه تابعه للسلطه العثمانيه والألمان. والواقع إن هذه الجمعيه بعد تأسيسها طلبت النجده من الأتراك لغرض مدها بالسلاح لتمكن من مقاومه المحتلين البريطانيين، كما تشير الوقائع التاريخيه (٣).

ص: ٣٤٣

١- (١) وهما الحاج عباس بن الحاج نجم البقال، والآخر هو أحمد والده مدير دائره البرق فى النجف.

٢- (٢) مذكرات الشيخ محمد الخالصى المخطوطه، نقلاً عن الوردى، المرجع ذاته ٢١٧.

٣- (٣) تقول (المس بيل): «عندما استولت الفرقة الخامسه عشر، على (هيت) (الواقع شمالي الرمادى على الفرات)، وقع فى يدها ضابط ألماني، ومعه جميع أوراقه، وقد دلت بعض المستندات، على وجود لجنه للثوره الإسلاميه فى النجف. كانت غايتها جعل النجف، مركزاً لخلق الاضطرابات بين العشائر، وكان مائه أو أكثر، من (علماء) المدين متورطين فيها، والرئيس من أسره بحر العلوم» المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب - مصدر سابق - ص ٥٠. ولذلك، «تدعى المصادر الإنكليزيه، ان الجمعيه إنما تأسست بإيعاز من الأتراك، والألمان، وإنها تسلمت منهم مالاً وثيراً - يستند الإنكليز بذلك، على الذى عثروا عليه، كما فى روايه (المس بيل) - ولكن الشيخ جواد الجزائرى، يُكذّب إدعاء الإنكليز - هذا - فهو يقول ما مفاده: إنه بعد تأسيس الجمعيه، وبعد أن يئس من استنفار العشائر القريبه، لدعم الحركه، أرسل إلى الأتراك، رسولاً ومعه رسائل، عسى أن يمدّوه بالسلاح والعتاد. وعند وصول الرسول إلى القائد التركى، ترجمت رسالته

أما فى مجال التشكيل الداخلى للجمعيه، فقد تشكل تنظيمها من جناحين، الأول: سياسى، والثانى: عسكرى، وعلى رأس هذين الجناحين عضو ارتباط يشرف عليهما. وكان الجناح السياسى مهتم بالتوغل فى الأوساط الاجتماعيه، بحثاً عن الانصار والدعم، وبالفعل أوجدت الجمعيه قاعده كبيره تؤيدها. وكان الجناح العسكرى مكوناً من مائتى عنصر تقريباً، وأبرز الوجوه القياديه لهذا الجناح هم: الحاج نجم البقال وكاظم صبى، وعباس على الرماحى، وكريم الحاج سعد الحاج راضى (١).

وقد غادر النجف أبرز تلك الوجوه عطيه أبو كليل إلى الباديه بعيداً عن أنظار الإنكليز الذين أخذوا يسحبون تأييدهم منه ويضيقون عليه تلك الصلاحيات والإمكانات التى منحوها إليه سابقاً لأسباب أمنيّه وسياسيه (٢).

ص: ٣٤٤

١- (١) الأسدى، حسن: المصدر السابق ص ١٦٩. وكذلك شبر، حسن، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٧.
٢- (٢) يذكر الدكتور الوردى تفاصيل جديره بالاطلاع عن المواقف المصلحيه المتقلبه لأبرز المتصدين للحاله الثوريه، مثل عطيه أبو كليل الذى تحوّل هو وجماعته وامتداداته فى الوسط الاجتماعى إلى مواقع الصداره فى المواجهه، فتارةً يتمرّد على العثمانيين متفقاً مع الإنكليز وتارةً أخرى يثور ضد الإنكليز ويمدّ خطوطه نحو الأتراك كل ذلك بدوافع مصلحيه. ففى أوائل عام ١٩١٤ أتهم هو وجماعته بسرقة أموال الحكومه فأعتقلوا فى بغداد وعدّبوا، وبعد إعلان الجهاد ساوم الأتراك عطيه على أن يطلقوا سراجه لقاء انضمامه إلى المجاهدين وبالفعل شارك فى جبهه الشعيه، ولما عاد إلى النجف ساهم فى العصيان ضد الترك، وحينما سقطت بغداد فى ١١ آذار ١٩١٧ ذهب وجماعته إلى السير برسى كوكس مهنتاً بانتصار الإنكليز، وقد أغدق الإنكليز عليه أموالاً كثيره ومنحوه سلطه إعطاء الرخصه لنقل المواد الغذائيه والبضائع من وإلى النجف وصارت تعرف بين الناس (باص عطيه) وقد جنى من ذلك ثروه طائله. وبالفعل أصبح رئيساً للنجف بدعم الإنكليز، ولما وصلت الإخباريات إلى

ونحن - من هنا - إذ نُجاري المحللين للأحداث في هذا التقييم إلا- أننا في الوقت ذاته لا- نؤمن به على إطلاقه العام، وذلك للحقيقه التي نعيها وهي أن الدوافع الإسلاميه الوطنيه كانت وراء المؤسسين والموجهين للجمعيه من العلماء الأفاضل بينما الحاله الشعبيه ما كانت تمتاز بالدوافع الالتزاميه ذاتها، بقدر ما كانت دوافع ذاتيه وحماسيه، مما أفقد العلماء والقاده سيطرتهم عليها، فمن هنا نؤكد بأن هذه الجمعيه ما كانت على استعداد لاستيعاب الحاله الشعبيه العامه التي غالباً ما تمتاز بالانفعالات والارتجاليات وردودالفعل.

على كل حال، لقد توسع الحجم المؤيد للجمعيه بانتماء الزعماء المحليين لها. ولكن هذا التوسع الأفقى فى التنظيم، خَلَقَ بوناً شاسعاً بين أعضائها فى طريقه التفكير، وأسلوب التنفيذ، والتوقيت، فسرعان ما توزعت قوتها على جناحين متقابلين فى طريقه العمل. أحدهما يدعو إلى دراسه الأوضاع، ومعالجتها بترو وامعان، والثانى يحمل رايه

السرعة والتعجيل في تنفيذ المهام وإعلان الثورة (١). وهذه الحالة من أكبر المصائب على الحركة في طورها السري، وذلك لأن اصطدام القناعتين سيولد انفجاراً ثورياً غير مدروس، ومعنى ذلك تضائل احتمالات النجاح.

والمهم، كان على رأس الجناح المستعجل، الحاج نجم البقال، الذي استطاع أن يجمع ما يقارب الأربعين متطوعاً من أعضاء الجمعية، في محور سري ضمن الجمعية لتنفيذ هجوم مسلح على مركز السلطة البريطاني في النجف. وقد تمّ هذا الاتفاق بين أعضاء هذا الجناح، من دون استشارته تذكر لرأي الجناح السياسي في الجمعية، وحتى اللجنة القيادية الموجهة فيها. وبالفعل كان عملاً ارتجالياً تسبق عاطفته حكمته (٢).

ص: ٣٤٦

١- (١) للاطلاع على تفاصيل الخلفيات الثقافية والتوجهات الاجتماعية لزعماء ثورة النجف، راجع: الجبوري، كامل سلمان: النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال، طبع بيروت دار القارئ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢- (٢) العمر، فاروق صالح: المرجع السابق، ص ٣٨، وأيضاً شبر، حسن: المرجع السابق الجزء الأول ص ٣٩. ويذكر عبد الله النفيسي في كتابه، انه «في التاسع عشر من شهر آذار، عقدت جمعية النهضة الإسلامية اجتماعاً في أحد بيوت حي الحويش في النجف. أجمعت فيه غالبية الحضور على أن الظرف مؤاتٍ لقيام الثورة العامة. واتفقوا في الرأي على أن اغتيال الضابط (مارشال) سيكون بمثابة إشارة تعطى للقبائل حوالى النجف، لبيدؤوا مناوشة المكاتب البريطانية الحكومية، التي استحدثت في تلك المنطقة، فأصدرت اللجنة التنفيذية إلى جماعه منهم، قوامها حوالى عشرين رجلاً ليغتالوا (مارشال)، وليخلقوا حالة من الاضطراب والفوضى في النجف إعتقاداً من اللجنة، ان هذا سيعقبه قيام ثورة عامه في الفرات الأوسط». النفيسي، المرجع السابق، ص ٥٦-٥٧. ويذكر أيضاً - أن الخاقاني، الكاتب الشيوعي المرموق في النجف، صاحب كتاب (شعراء الغرى) قد التقاه في بغداد، وفي شهر آب ١٩٦٨، وكان يقيم بالنجف طوال السنه التي حوصرت فيها المدينة. هو الذي أكد له ذلك. ولكن هذا التوجه غير وارد في أغلب كتب المحللين لأحداث النجف، والمشهور، ان تصرّف هذا الجناح كان ارتجالياً. لم يأت بقرار مركزى من الجمعية.

أما كبار العلماء فقد وجدوا «أن الأحداث إنما يصنعها رؤساء النجف وليس لهم تأثير عليهم.. وإنهم يسيرون بمعزل عن آراء العلماء ومراجع الدين وإنهم يتصرفون وفق إدارتهم الخاصه» (١).

وبالفعل، قامت مجموعه قوامها عشرون مسلحاً، بتنفيذ عمليه قتل الحاكم السياسى فى النجف (وليم مارشال) بنجاح فى ١٩ آذار ١٩١٨م - ٦ جمادى الثانيه ١٣٣٦هـ-. مما أثار الحماس فى نفوس الأهالى فهجموا على السراى ونهبوا الأسلحه والأثاث وأشعلوا فيه النار، وهكذا «انتشرت صيحه الثوره فى مختلف أنحاء النجف.. لم يبق مُنكمشاً عن الثوره سوى قليلين» (٢).

وعند هذه الحادثه اشتدّ غضب الإنكليز وأصدر (الجنرال مارشال) قائد القوات البريطانيه فى العراق - وهو غير (الكابتن مارشال)-، أوامره بمحاصره المدينه.

وقد اتبع الإنكليز سياسه (فَرَقْ تَسِد) كعادتهم وللأسف كانت هنالك استعدادات ذاتيه داخل المجتمع النجفى لقبول هذه السياسه، يقول الأستاذ الوردى: «فقد كان الإنكليز يعلمون ما كان بين رؤساء النجف من تنافس وتحاسد.. لابد أن ينقسموا إلى فريقين متنازعين أحدهما موافق والآخر مخالف» (٣).

مما شدّد عمليه الحصار على المدينه، وهكذا استمر الحصار على الأهالى لأكثر من أربعين يوماً.

فأصبحت حاله الناس يرثى لها، فاضطروا إلى شرب مياه الآبار المالحة، وارتفعت أسعار المواد الغذائيه ارتفاعاً فاحشاً، وانتشرت بين الناس هذه الأزوجه «راس البصل

ص: ٣٤٧

-
- ١- (١) شبر، حسن: مرجع سابق، ص ١٦٩.
 - ٢- (٢) د. الوردى: المرجع السابق، ص ٢٢٣. يذكر منهم «مهدى السيد سلمان، وسلمان أبو شيع، وحسون شربه، وعنيدان عدوه من محله الحويش، وآل جريو وآل الشمرتى من محله البراق».
 - ٣- (٣) د. الوردى: المرجع ذاته، ص ٢٢٤.

بقران ترضَ يا ربى» (١). وقد بيع لحم الحمير في السوق علانيةً، ويحدثنا محمد على كمال الدين ممّا شاهده بنفسه، فيقول: «وقد شاهدت القطط وهي تأكل التمر، مع أنها لم تكن معتاده على أكله في النجف.. وكنت أتألم كثيراً لمرأى هذه الحيوانات الوديعه وهي تعالج سكرات الموت جوعاً» (٢). إن هذه الأسباب الإنسانيه دفعت العلماء بما فيهم المرجع الأعلى لمناشده الإنكليز لرفع الحصار عن النجف. يقول الدكتور على الوردى: «تشير بعض القرائن إلى أن كبار الملائيه (علماء الدين)، وفي مقدمتهم السيد كاظم اليزدى، كانوا في أعماق قلوبهم يستنكرون الثوره، وربما اعتبرها بعضهم فتنهً وعملاً من أعمال الأشقياء، وهنا يكمن الفرق الأساسى بين ثوره النجف، وثوره العشرين». [ويضيف أيضاً]: «يمكن القول، على أى حال، إن كبار الملائيه، كانوا باتجاه ثوره النجف في موقف حرج، ففي الوقت الذى كان فيه معظمهم يستنكرون الثوره قليلاً، كانوا يشعرون بالألم لما أصاب الفقراء والضعفاء منها من ويلات الحصار» (٣).

على كل حال، اجتمع عدد كبير من علماء وأعيان النجف في دار الكليدار في اليوم الرابع من الثوره أى في ٢٢ آذار ١٩١٨م، وذلك لاختيار أعضاء وفد لمقابله الإنكليز، وبالفعل تشكل الوفد من «السيد عباس الكليدار، وعمه السيد هادى ومحمود

ص: ٣٤٨

١- (١) القران: اسم لعمله معدنيه معروفه في العراق، كانت تقدر - آنذاك - بعشرين فلساً وفي حينها كانت لها قيمه شرائيه جيده.

٢- (٢) كمال الدين، محمد على: ثوره العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات: بغداد ١٩٧١، ص ٤١. للتفاصيل راجع، الشيبى، محمد رضا: (ثوره النجف) في مجله (الثقافه الجديده) في عددها الخاص الصادر في تموز ١٩٦٩. ص ٢٩٨-٣٠٢.

٣- (٣) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٣٢-٢٣٣. ويذكر المؤلف في صفحات لاحقه مجموعه من الرسائل المتبادله بين العلماء والقائد البريطانى العام، يطلب العلماء فيها الرأفه بالأهالى. وحول رسائل العلماء كلام خصوصاً في حاله زج اسم المرجع الأعلى فيها. راجع النفيسى، مرجع سابق، ص ٥٩.

آغا الهندي، والشيخ جواد الجواهري، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ جعفر الشيخ راضى ومهدى السيد سلمان، وقد عارض الحاج نجم البقال وأعوانه اختيار مهدى السيد سلمان بالوفد [من دون فائده]» (١).

استقبل (بلفور) الوفد فى خان عطيه مرحباً بهم مطالباً إياهم بتسليم القاتلين، ومن ثمَّ طرح الشروط التاليه، التى فرضتها القوات البريطانيه وهى:

«أولاً: تسليم بعض الأشخاص، الذين عرف عنهم إنهم يتزعمون الثوره من دون قيد أو شرط.

ثانياً: دفع غرامه بالبنادق، قدرها ألف بندقيه.

ثالثاً: دفع غرامه ماليه قدرها، خمسون ألف ليره إنكليزيه ذهبيه.

رابعاً: نفي ألف رجل إلى الهند، كأسرى حرب.

خامساً: تبقى النجف، محاصره، ويمنع عنها الماء والطعام إلى أن تنفذ الشروط السابقه» (٢).

وبالنتيجه اضطر الأهالى إلى قبول تلك الشروط القاسيه ليتم رفع الحصار. ففي ٨ نيسان ١٩١٨ «خرج جماعه من رؤساء النجف ووجهائها كان منهم السيد مهدى وعبد المحسن شلاش والسيد عباس الكلدار والسيد هادى الرفيعى والسيد على جريو وعبد الله الرويشدى، بغيه مقابله (بلفور) وقابلوه فى موضع يدعى (الرحى)..أكد عليهم بلفور أن يعودوا إلى البلده ويبحثوا عن الثوار فى كل مكان.. أخذ الكثير من الثوار يتبرؤن من الثوره» (٣). وبالفعل بدأ العدّ التنازلى للثوره وسادت الحاله الانهزاميه

ص: ٣٤٩

١- (١) الوردى، د. على: المرجع ذاته، ص ٢٢٤.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله: المرجع نفسه، ص ٥٧. وقد استمر الحصار ستَّه وأربعين يوماً.

٣- (٣) الوردى، د. على: مرجع سابق، ص ٢٤١.

والنفاقية، يقول الشيخ محمد رضا الشيبى: «..أما سائر من حمل السلاح وأطلق النيران على الإنكليز.. فقد ألقوا سلاحهم واحداً بعد الآخر، وشهروا ظاهراً في وجوه رفاقهم اليوم سلاحهم الذى شهروه بالأمس فى وجوه الإنكليز..» (١). ويقول جعفر الخليلي: «..وتولى آل السيد سلمان زعامه المدينه كلها والبحث عن العاملين فى الثوره، ومال إليهم عدد غير قليل ممن أسهم فى الثوره وكانوا من المعتمد عليهم فى الجمعيه التنفيذيه، وانقلبوا يبحثون عن الثوار. ويخرجونهم من مخابئهم ويسلمونهم إلى الإنكليز.. وكانوا يسوقون المقبوض عليهم تحت الضرب والركل والصفح بالنعال على رؤوسهم ويسلمونهم بهذه الكيفيه للإنكليز خارج سور النجف فيتسلمهم أولئك مكبلين ويشدونهم بالحبال إلى الخيول التى كانت تسحب الأثقال والعربات فيهرولون خلف الخيل لاهئين وهم مكتوفو الأيدي ليقطعوا عشره كيلومترات على هذه الصوره حيث الكوفه التى تقيم فيها القيادة العسكريه الإنكليزيه..» (٢).

وقد كتبت المس بيل فى رساله إلى أبيها مؤرخه فى ٢٤ نيسان ١٩١٨ تقول فيها: «..ان قضيه النجف انتهت بانتصار لنا، فإن التعفن ظهر بين الثوار أنفسهم وازدادت شجاعه أصدقائنا بينهم. فألقى القبض على عدد غير قليل من قتله مارشال وسلّموا لنا» (٣). وهكذا تم إلقاء القبض على الثوار مثل الحاج نجم البقال، أو سلّم نفسه بشجاعه اضطراباً، مثل سعد الحاج راضى وعباس الرماحي وهكذا بلغ عدد المعتقلين فى الكوفه مائه واثنين، وقد عوملوا معامله قاسيه. وبعد إجراء التحقيقات سقّر منهم إلى الهند ٦٥ رجلاً وذلك فى ٢ أيار ١٩١٨. كما وأصدرت المحكمه حكم الإعدام شنقاً

ص: ٣٥٠

١- (١) الشيبى، محمد رضا: ثوره النجف، دراسه نشرت فى مجله (الثقافه الجديده) عددها الخاص فى تموز ١٩٦٩م، ص ٢٨٧-٢٨٨.

٢- (٢) الخليلي، جعفر: هكذا عرفتهم طبع بغداد ١٩٦٢م، ج ٤، ص ٦٥-٩٦.

٣- (٣) (١) P.٨٤.٢.Vo١-١٩٦١ London (Gertrude Bell) Burgoyne.

بحق أحد عشر رجلاً- هم: كاظم صبي، نجم البقال، عباس الرماحي، علوان الرماحي، محسن أبو غنيم، جودي ناجي، مجيد دعييل، كريم وأحمد ومحسن أولاد سعد الحاج راضي وصاحبهم سعيد.

وحكمت المحكمة على الآخرين بالسجن لمدد تتراوح بين الست سنوات والمؤبد ونفوا إلى الهند لقضاء مدة السجن فيها. هذا وقد نفذ حكم الإعدام في الكوفة صباح يوم ٣٠ أيار ١٩١٨ الموافق للتاسع عشر من شعبان ١٣٣٦هـ- وكان الإنكليز قد أجبروا لحضور الإعدام عدداً من النجفيين وبعض رؤساء العشائر القريبه لإشاعه الرعب والخوف في النفوس (١).

والملفت للنظر بحرقه وألم، أنه أقيم حفل كبير في عصر يوم الاعدامات ٣٠ أيار في دار السيد عباس الكليدار في النجف تكريماً لبلفور حضره من بغداد (ويلسون) وبعض الوجوه والأعيان وقدّموا هديه إلى الإنجليز سيف شرف إلى (بلفور) وخاتماً ذهبياً ضخماً إلى (ويلسون)، وشكر (بلفور) الحضور باللغه العربيه فيما (ويلسون) شكرهم باللغه الفارسيه (٢).

أما زعيما الجمعيه وهما: الشيخ محمد جواد الجزائري، والسيد محمد علي بحر العلوم، فقد استبدل حكم إعدامهما إلى النفي خارج العراق، بعد توسط الإمام الشيخ محمد تقى الشيرازي، وشيخ المحمّره خزعل (٣).

ص: ٣٥١

١- (١) النفيسي، عبد الله: المرجع ذاته، ص ٦٢. للتفاصيل راجع: الوردى، المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٢٤ وما بعدها. وكذلك الأسدي، حسن: مصدر سابق ص ٣٤٢. وفي الطبعة الثانيه ص ٢٥٤، وما بعدها.

٢- (٢) راجع Wilson (OP.CIT) vol.٢,P.٧٦ وكذلك محمد رضا الشبيبي، المصدر السابق ص ٣٣٩-٣٤٠.

٣- (٣) الأسدي، حسن: المصدر نفسه، ص ٢٤٨، ويذكر النفيسي في ص ٦٢، إن توسط المجتهد الأكبر اليزدي، هو الذى أبدل حكم الإعدام بالنفي بحق بحر العلوم.

وهنا يمكننا أن نتساءل هل كان في استطاعه الإنكليز أن يتفادوا حادثه حصار النجف؟ وهل عرفوا إلى أين سيجرهم هذا الحصار؟ ومن هم الأشخاص الذين كانوا يُسدون لهم المشوره والنصح في طريقه معاملتهم مع أهل النجف؟ يقول النفيسى: «نحن نعتقد، أنه كان في إمكان السلطه البريطانيه أن تتفادى حصار النجف المفجع، لو انه قِيض لها أن تتصل بمستشارين يعرفون العقليه الشيعيه[1]»، وأنهم كانوا حسنى الإطلاع على النجف، وطبيعه أهلها، ولكن كان مستشارهم وناصحهم السيد مهدي سلمان، والسيد محمد المحيسين، وهما من زعماء تجار الاحتكار، ولم يكن رفع الحصار، أو تشديده يعينان شيئاً بالنسبه إليهما، إلا بقدر ما كانا يدركان لهما من ربح في بيع تمور البصره، أو حنطه الحله التي كانت تتكدس في عنابرهم (مخازنهم). فانه عندما فرغت عنابر السيد مهدي سلمان، مما تكسب فيها من طعام، أظهر ميلاً إلى الاستسلام إلى الإنكليز، ورفع الحصار.. كذلك السيد محمد المحيسين فانه أقنع (ليشمان)، بأنه إذا عضدته الحكومه البريطانيه بالمال، فإنه يستطيع أن يدخل النجف على رأس جماعه من أعوانه، بدعوى انه قادم إليها لمعاوضه النجفيين ومساندتهم في مقاومتهم، ولكن الغرض الحقيقي من خديعته هذه، هو تنظيم حركه مقاومه، مناوئه للحركه النجفيه. وعندما اتصل (ليشمان بلفور)، ونقل إليه اقتراح محمد المحيسين، ارتاح إلى الفكره ووافق عليها، فانه إذا وضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ، لكانت وقعت داخل النجف حرب أهليه داميه، وإذا اضطر الإنكليز إلى قمعها، فإنه يتوجب عليهم أن يتشدّدوا في اجراءاتهم الحريه، وفي إحكام الحصار، مما يعود على المحيسين بالأرباح الطائله نسبه إلى ما كان عنده من الطعام المحتكر..» (1). إذن هنالك خلل في تصورات الإداره البريطانيه، وربما يكون متعمداً، لإحكام سيطرتهم عبر البندقيه والمدفع. ففي مثل حادثه قبيله عنزه وقضيه الحبوب يمكن القول «إن حسن العلاقات بين بريطانيا والشيعه، أهم بكثير من

ص: ٣٥٢

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع نفسه، ص ٦٦.

إقامه علاقات حسنه مع قبيله عنزه، ذلك بأنه لم يكن لابن هذال كلمه مسموعه لدى بعض القبائل التي تشكل قبيله عنزه، كقبيله العمارات مثلاً. ولكن المجتهد الأكبر فى النجف، ولعلماء النجف وأعيانها سلطه نفوذ لدى أكثر من نصف أهل العراق جميعاً. هؤلاء هم الذين فى يدهم حفظ الأمن، وإشاعه الاستقرار. ولكن الموظفين البريطانيين فى الفرات الأوسط، فى تلك الفتره، أظهروا إنهم دوماً على استعداد لتكدير العلاقات الوديه مع النجف، ولاستفزازها فى الوقت الذى كانت فيه النجف مركزاً للنفوذ السياسى والدينى فى المنطقه بأسرها» (١).

تقول (المس بيل) السكرتيره الشرقيه، الناشطه فى الاستخبارات البريطانيه (٢): «ليس هناك شك، بأن العشائر كلها ترمق النجف باهتمام، وإن أى تدابير فعّاله كانت ستتخذ ضد البلده المقدسه - كما كان يأمل الترك - كانت ستثير شيئاً لا يستهان به، من الشعور بالتعصب. لكن الخطر الرئيس ينطوى على عكس ذلك، لأن التقصير فى الاقتصاص من قتله ضابط بريطانى، كان سيضع أرواح جميع زملائه تحت رحمة الأراذل..» (٣).

وبالرغم ممياً تقدم، فإن ثوره النجف تركت آثاراً واسعاً على شعبى العراق وإيران، فى معارضه الاحتلال البريطانى، وحتى حكومه الهند، ومكتب الهند، أعربا عن قلقهما إزاء أحداث النجف (٤).

ص: ٣٥٣

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع نفسه، ص ٦٦.

٢- (٢) (المس بيل) السكرتيره الشرقيه، سكرتيره المعتمد البريطانى فى العراق، يسميها بعض الباحثين الجاسوسه البريطانيه أو رئيسه الاستخبارات فى القوات البريطانيه فى العراق، وإن رسائلها المعنونه إلى والدها هى فى الحقيقه إلى مسؤوليها و حكومتها.

٣- (٣) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، ص ١٢٥.

٤- (٤) النفيسى، المرجع نفسه، ص ٥٨. عن مذكرات (ولسن) الحاكم المدنى العام ببغداد، و كاله. Wilson (Loyalties).

هذا، وقد تأسس في ٣ تموز ١٩١٨م - ٢٤ رمضان ١٣٣٦هـ، حزباً سرياً - كما قيل - في النجف الأشرف باسم (حزب النجف السرى) بمبادره من الشيخ الجزائري، والشيخ محمد رضا الشيبى، وقد ضمّ الحزب أبرز المثقفين الإسلاميين، ومعظم زعماء عشائر الفرات الأوسط، أمثال: عبد الواحد الحاج سكر، علوان الياصرى، كاظم العوادى، وكذلك السيد هادى زوين، ومحمد أبو شع. ومما يذكر حول هذا التنظيم إنه أصبح فى موقع الاعتماد لدى المرجعيه الثائره، و«لقد وجد الميرزا الشيرازى فى هذا الحزب ذراعاً فاعله تستطيع أن تدفع الأمه بالاتجاه الذى تريده المرجعيه» (١).

بينما «الملاحظ على هذا الحزب، أن بعض أعضائه كان ضمن أحزاب سياسيه أُخرى، ولعل عدم توضيح أسسه التنظيميه، هى التى كانت وراء هذه الظاهره، فهو قد اتخذ شكل التنسيق أكثر من الانتماء الحزبى، مع عدد كبير من الأشخاص. أو أنهم كانوا يريدون أن يعملوا مع أيه جهه عامله لغرض إنجاز الهدف الكبير، وهو خروج الإنكليز واستقلال بلادهم» (٢).

كما وأسس شيخ الشريعه الاصفهانى، فى أواخر ١٩١٨ جمعيه (الهيئه العلميه)، وكانت أهدافها تتمحور حول استقلال العراق، وسبل تنضيج الظروف السياسيه المطلبيه، وتوحيد الكلمه فى المقاومه المسلحه ضد الإنكليز (٣).

ص: ٣٥٤

-
- ١- (١) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ١، العمل الحزبى فى العراق، ص ٧٤.
 - ٢- (٢) شبر، حسن: المرجع السابق، ص ٧٤.
 - ٣- (٣) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ١٩٩. راجع: الجبورى، عبد الجبار حسن: الأحزاب والجمعيات السياسيه فى القطر العراقى (١٩٥٨-١٩٠٨)، بغداد ١٩٧٧، ص ٤٧، ٤٨، ٥٣. وأيضاً: شبر، حسن: المرجع ذاته، ص ٧٣.

والآن، وبعد هذا العرض لجمعية النهضة الإسلامية، ونشاطاتها وبالذات الجانب العسكري فيها، ولثوره النجف وآثارها. لنا تقييمان متداخلان للجمعية، وللثوره ولنبتدأ بالجمعية.

إن التقييم الموضوعي لجمعية النهضة الإسلامية، يقتضى أن نضعها في ميزان المناقب والمثالب، فنقطه قوتها في منهجها الحركي والتربوي، الذي ينطلق من الفكر الإسلامي الجهادي، أي المعادي لسيطره الكافرين على المسلمين، والساعي لإقامه الحكم الإسلامي في العراق كهدف استراتيجي. فلو أمعنا النظر في قصيده الشيخ محمد جواد الجزائري، المؤلفه من خمسه وعشرين بيتاً، والتي نظمها أثناء فتره اعتقاله ببغداد وبعد أن حكم عليه بالإعدام. لعرفنا بوضوح منطلقات وأهداف الجمعية. فلنقرأ بعض الآيات من قصيدته حيث يقول:

مددنا بصائرنا، لا العيوننا وفزنا غداه عشقنا المنونا

رعينا بها سنه الهاشمي نبي الهدى، والكتاب المينا

وصننا كرامه شعب العراق وكنا لعلياه حصناً مصوناً

وحضنا المعامع وهي الحمام ندافع عن حوزة المسلمينا

وجحفل أعدائنا الإنكليز يملأ سهل الفلا، والحزونا

وما ضامننا الأسر في موقفٍ أطعنا عليه الرسول الأميناً (١).

والجمعيه هي بمثابة تجمع حركي، منظم، يقف في وجه سلطات الاحتلال هذا بالأصل، بينما الذي حدث على الأرض من التوسع والتنوع، يدفعنا للقول بأن هذا التجمع ليس حزباً منظماً كما يفهم اليوم، بل هو تنظيم تجريبي أقرب إلى أسلوب التعاون والمشاورة بين الوجهاء والمثقفين. لذلك نرى إن قياده الجمعيه، ما استطاعت أن تضبط تنظيمها بالقرارات المركزيه، النازله من القمه للقاعده. ومن المعلوم إن هذا الانضباط أمام القرارات المركزيه هو سرّ التماسك والاستمرار في النشاط، وخاصه في تلك الظروف الحسياسه التي سبقت العواصف الهوجاء. والذي حدث أن التنظيم السري الخاص، تحوّل إلى تيار اجتماعي شعبي متحمّس، وبمعنى أدق غير منضبط أمام القياده، ممّا أدى إلى ضعف، أو انعدام قوه القرار المركزي في توجيه الأوامر، وعليه «أن الظروف القاسيه، واللامركزيه في التنظيم، والتخطيط، أدت بها إلى الفشل» (٢).

ثمه التفاتة خطيرة أخرى في مسار هذه الجمعيه، لا بد من الإشارة إليها، وهي إن القياده المرجعيه، وبالذات شخص المرجع الأعلى في النجف، لم يكن في صوره توجهات الجمعيه، ولا- الثوره - أيضاً - بالشكل الذي يتبنى تحركها، ويتحمّل نتائج أعمالها، بالرغم من وجود علماء أفاضل في قيادتها، إلا أنّ المرجعيه العليا - كما هو معروف - غير مستعدة للمغامره في خطّه لم تشارك في إعدادها، ولم تكن في موقع القياده والتوجيه لها، ويبدو أن هذه المسأله لم تدرس دراسه وافيّه في قياده التنظيم، لتحدّد العلاقه المشروعه بين التنظيم والمرجعيه العليا المتمثله بالمرجع الفقيه (٣). ممّا جعل

ص: ٣٥٦

١- (١) الأسدى، حسن: مصدر سابق، ص ٣٤٩-٣٥١. الشيخ محمد جواد الجزائري أحد المؤسسين والقياديين للجمعيه.

٢- (٢) العمر، فاروق صالح، الأحزاب السياسيه، مرجع سابق، ص ٣٩.

٣- (٣) من هنا يمكن أن نفرّق بين المجتهد المفتي، والمجتهد الحاكم، فالمجتهد المفتي هو الذي يرجع إليه

رجال الجمعيه، يعتمدون على البعد الشعبى -الاجتماعى أكثر من البعد المرجعى - الشرعى. صحيح أن خلفيه الثوره انطلقت من الموقف العام للمرجعيه، إزاء الاحتلال البريطانى، إلا- أن الحاله اختلفت عن مرحله حركه الجهاد الإسلامى، ففى مرحله ثوره النجف، ما كانت للعلماء الكبار علاقته واضحه مع الجمعيه، التى تعتبر هى محور أحداث النجف. بينما فى حركه الجهاد، كانت لهم الصداره والقياده على مستوى فتاوى الجهاد المقرونه بالمساهمه الميدانيه الفعلية -كما مر معنا-، ومع ذلك يرى بعض الباحثين، إنه حينما التهب الساحه ثوره ضد القوات البريطانيه، كان لزاماً على العلماء والمراجع مساندها، فمثلاً يقول السيد حسن شبر: «فإن اندلاع ثوره النجف، كان يحتم على العلماء مؤازره الثوره خصوصاً، وأنها تسعى لتحريك عشائر الفرات الأوسط ضد الإنكليز فى ثوره شعبيه كبيره.. وكانت الثوره بحاجه إلى فتوى دينيه، تؤكد الجهاد ضد الإنكليز، على أقل تقدير، إن لم تصدر فتاوى خاصه بشأن المأزق الذى تعانیه. [ثم يتساءل]: لماذا غابت الفتوى؟» (١).

يبدو لنا أن السبب الذى ذكرناه قبل قليل، هو الأساس فى ذلك. وتبقى الجدليه قائمه بين القياده المرجعيه، وقاده التنظيم الإسلامى، وأن هذه الجدليه لا زالت قائمه حتى الآن. فرجال التنظيم الحزبى يعيشون حاله من المعاناه نتيجته المباشره الدقيقه فى التأثيرات، والممارسات الميدانيه، فتترتب عليها مواقف متشده أحياناً، إلا- أن المرجعيه الدينيه، غير قادره على مسيره هذا التطورات بحذافيرها التى يتوصل إليها رجال الحزب

ص: ٣٥٧

والتنظيم. وبمعنى آخر، يبقى السؤال قائماً، منذ بدايه تشكيل التنظيمات الإسلاميه فى العراق وإلى اليوم. من يقود الحاله الجهاديه؟ المرجعيه أم قياده الحزب، أو قياده جناح من أجنحه التنظيم كما حدث فى ثوره النجف.

وللعلم إن القياده المرجعيه - بحد ذاتها - كيان له خصوصيته القياديه، فلا تُملى عليه المواقف والفتاوى، حتى وان أشعل التنظيم فتيل الاصطدام والعنف، لان ذلك يعتبر محاوله لجرّ القياده المرجعيه، وامتداداتها الشعبيه إلى ميدان المعركه من دون مشاورتها - على الأقل - فى التخطيط والتحرك. والذى كان يبدو فى وضع النجف، هو أن الزعماء المحليين الذين دخلوا الجمعيه، واصبحوا فى موقع قيادى فى الجناح العسكري، اظهروا «اتجاهاً مستقلاً عن موقف المرجعيه، ورغبات علماء الدين.. بل أنهم ساروا فى طريق معاكس لتوجيهاتهم.. [التي] بدت للوهله الأولى، إرتجاليه منفصله عن العلماء وآرائهم، [ويؤكد الأستاذ شبر على ذلك بقوله] لم يقع فى أيدينا ما يشير إلى تحرك قائدى الجمعيه، السيد محمد على بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري، فى الأوساط العلميه، ومحاوله كسب تأييد المرجعيه، ولعل الأحداث قد فاجأتها أيضاً، لان العمليه لم تتم بعلمهما» (١).

هذه المسأله تأكدت فى اليوم الحادى والعشرين من آذار عام ١٩١٨ الموافق للثامن من جمادى الثانيه ١٣٣٦هـ-، وهو اليوم الثالث لثوره، حيث عقد السيد اليزدى اجتماعاً موسعاً، فى مدرسته، للعلماء والزعماء المحليين، لتداول الأوضاع المستجده فى النجف، وكيفيه الخلاص من هذه الأزمه الخانقه، إلا أن الاجتماع انفضّ دون نتيجه (٢).

«ومن حسن طالع الإنكليز، أنه لم تقم فى النجف فئه تستطيع أن توفّق بين هذه التيارات المختلفه فى صفوف النجفيين. إذ أن [ساحه] النجف كانت مسرحاً تلتقى فيها

ص: ٣٥٨

١- (١) شبر، حسن: المرجع السابق، ص ١٦٨-١٦٩.

٢- (٢) شبر، حسن: المرجع ذاته، ص ١٦٩-١٧٠.

مختلف الفئات البشرية: الثوار، والمحتكرون، والانهزاميون، والفئات الفقيرة المعدمه، والمساكين الضعفاء، والجياع. كان لدى النجفيين جميع إمكانيات المقاومة، إنما كان يعوزهم التعاون، والتعاطف في ما بينهم، وهذا كان سبباً من أسباب رضوخهم آخر الأمر، واستسلامهم للسلطة» (١).

ويبدو لنا إن سرّ النجاح في العمل الجهادي والثوري وفي الساحة الشيعيه بالخصوص يكمن في وجود الارتباط الوثيق بالمرجعيه الدينيه أولاً، ثم الانسجام الداخلي في صفوف المجاهدين ثانياً، والدعم العام من الناس المتماسكين حولهم ثالثاً، هذه العوامل الثلاثه ما كانت متوافره في ثوره النجف. فالمرجعيه غير متصدّره لها، ومعنى ذلك إن الثوره لا تمتلك غطاءً شرعياً، كما أن الانسجام الحركي داخل أعضاء الجمعيه غير متوافر أيضاً بالشكل المطلوب، والأدهى من ذلك عدم التعاون والتماسك بين النجفيين أنفسهم، ليسندوا التأثيرين عموماً، ولعل السبب يعود إلى ضعف الرؤيه الجديه لديهم وعدم إيمانهم بأن هذه الأحداث ستحدّد مصير الأمة. ومن هنا نقول: لا غرابه في النتيجة الاستسلاميه التي وصلت إليها الحاله في النجف. بينما سنلاحظ في ثوره العشرين توافر هذه العوامل الأساسيه الثلاثه بدرجة كبيره، واختلاف النتائج فيهما، يعدّ أمراً طبيعياً يتبع إختلاف المقدمات.

ومع كل الذي حدث، تبقى الأحداث المتصاعده هي سيده الموقف المعارض للسلطات، «فقد اعترفت السلطه المحتله، بأن كربلاء والنجف معاً، بقيتا قبله مزدوجه للفوران السياسي، الذي كانت تسهل إثارته برد الفعل للحوادث في أنحاء العراق» (٢).

هذا، وقد اعتبرت (المس بيل)، أن هذا الحدث قد أوقع الإنكليز في «أدق موقف»

ص: ٣٥٩

١- (١) النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ٦١.

٢- (٢) العمر، فاروق صالح: المرجع السابق، ص ٣٩، راجع: المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، المصدر السابق، ص ٥٢.

منذ احتلال بغداد. أما نائب الحاكم الملكي (ويلسن)، فقد اعتبره «أخطر لحظه» في تاريخ الإدارة الإنكليزية، بعد احتلال بغداد. وخطورتها تكمن في كونها، مظهراً أساسياً من مظاهر حركة المعارضة الإسلامية، في وجه مشاريع السيطرة الإنكليزية، وبالإضافة لذلك ان ثوره النجف، وما حملته من أحداث وتطورات «عزّزت سلطه المجتهد الأكبر، الروحيه والسياسيه، لأن السلطه السياسيه، عند الشيعه تصدر عن السلطه الروحيه» (1). كما وأخذت الروح الجهاديه في نفوس المؤمنين تأخذ طريقها في النمو والتكامل مستفيدين من التجارب الميدانيه، وبالفعل لعل أهميتها الاجتماعيه والحركيه أكبر من أهميتها التاريخيه.

ص: ٣٦٠

١- (١) النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ٦٧.

كانت حسابات سلطه الاحتلال - بالرغم من إخفاق ثوره النجف - تشير إلى أن الأحداث تتسارع في الساحة السياسيه والجهاديه لصالح المعارضه الإسلاميه في العراق، وان الزمن ليس في صالح المحتلين، فهناك ثمه معطيات واضحه، بعد ثوره النجف التي تعدّ معلماً ميدانياً مهماً لتلك المرحله، برزت تحمل دلالات القوه الكامنه في تحرك الإسلاميين للتصدى والمقاومه في المدن المقدسه والعشائر المرتبطه بها. وقد شهدت الساحة تطوراً ملحوظاً للحركه الإسلاميه في كربلاء، وخاصه بعد استقرار الإمام الشيخ محمد تقى الشيرازى فيها، وتزعمه للعمل السياسى والجهادى من هناك.

وبالفعل نشطت عمليات الاتصال والتنسيق بين علماء كربلاء والنجف وبين العشائر، وذلك لتلافي الأخطاء المحتمله اثر التحرك الميدانى، فأصبح الاهتمام كبيراً بالعمل السرى المنظم، لغرض الإعداد الفعلى للمقاومه المسلحه - التي باتت وشيكه الانطلاق-. وكانت للإمام الشيرازى مبادرته الحركيه والقياديه في الساحة، فمن جانبٍ شكّل بإشرافه تحركاً ميدانياً هادفاً، ومن جانبٍ آخر أعلن عن مساندته بالتأييد والدعم للتحرك العام، وبذلك أنضوت الأمه تحت رايته.

هذه الرعايه الناضجه من قبل المرجع هيأت الأجواء المناسبه للإعداد الثورى. فيذكر أنه قد أسست جمعيه سريره في أوائل تشرين الثانى ١٩١٨م الموافق لشهر صفر

١٣٣٧هـ-، باسم (الجمعيه الإسلاميه) في كربلاء، ضمت العديد من علماء الدين والشخصيات الاجتماعيه في المدينه منهم: السيد حسين القزويني، والسيد عبد الوهاب الوهاب، ومحمد علي أبو الحب والسيد هبه الدين الحسيني الشهرستاني، والشيخ محمد حسن أبو المحاسن، وعبد الكريم العواد، وعمر العلوان، وعثمان العلوان، وطليفح الحسون، وعبد المهدي القنبر وغيرهم.

وكان محور أهدافها العمل ضد الاحتلال البريطاني، وقد أشرف عليها الشيخ الشيرازي بذاته، وكانت برئاسه نجله الشيخ محمد رضا. كما ترأس الإمام الشيرازي جمعيه سريره أخرى، وبالاسم ذاته، ضمنت عدداً آخر من العلماء والمثقفين الإسلاميين، وكان أبرز مهامها إلى جانب العمل الإعلامى والتحريسى، التنسيق بين رؤساء العشائر في الفرات الأوسط (١).

وقد بادر شيخ الشريعه الاصفهاني (٢)، والشيخ الجزائري وبتأييد من الإمام الشيرازي، في التحرك ضمن أوساط العشائر، وذلك لغرض تنضيج الوعي الحركي،

ص: ٣٤٢

١- (١) الرهيمي، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ١٩٩-٢٠٠. وكذلك الطعمه، سلمان هادي: كربلاء في الذاكره، مطبعه العاني - بغداد ١٩٨٨، ص ٣٨٧-٢٨٩. ويسمى الجمعيه باسم (الجمعيه الوطنيه الإسلاميه)، كما ويذكر المؤلف (سلمان الطعمه) إنه قد أسس في سنه ١٩٠٨ في كربلاء، فرع جمعيه مكافحه الاستبداد، لغرض مكافحه استبداد الحاكم. وكان الاسم الحقيقي لهذا الفرع، (جمعيه الأحرار) وموقعه في محله العباسيه الغريه. كما وأسس فرع (جمعيه الاتحاد والترقي) سنه ١٩٠٨ في كربلاء بهدف مكافحه استبداد السلطان العثماني والمطالبه بالدستور وكان المركز في محله باب الطاق. إلا أن العلماء والمثقفين الإسلاميين لم يتفاعلوا مع الاتحاديين، وذلك لآن أمرهم كان مريباً في نظر العلماء منذ البدايه. راجع، الطعمه، سلمان هادي: المرجع ذاته، ص ٣٨٧-٣٨٩.

٢- (٢) شيخ الشريعه، هو الشيخ فتح الله الاصفهاني، من كبار العلماء المجتهدين في النجف، كان تلميذاً للمرجع الشيخ كاظم الخراساني (الآخوند) اشترك في حركه الجهاد عام ١٩١٤-١٩١٥م في جبهه القرنه، وقد خلف الإمام الشيرازي في المرجعيه وقياده ثوره العشرين.

وتقويه المعنويات لديهم، وكذلك لربطهم بالقيادة المرجعيه عبر قنوات أمينه و متمكنه.

هذا، وقد أدت الجمعیه الإسلامیه فی كربلاء، دوراً مهماً فی تعمیم توجيهات وتطلعات القیاده المرجعيه، وعموم الرموز الدينيه إلى أوساط المجتمع العراقی. یقول السيد الحسنی: «وكانت لهذه الجمعیه صلات بحرس الاستقلال فی بغداد، كما كان لها أثر بارز فی إشعال نار الثوره» (١).

وهكذا أصبحت كربلاء فی قمه نشاطاتها السیاسیه والحركیه، خصوصاً قبیل اندلاع ثوره عام ١٩٢٠م، منمكّه فی الإداره والتخطيط لشؤون الساحة العراقیه عمومًا، تؤسس جمعيات إسلامیه أو تؤيد مبادرات حركیه وتمنحها صفه الشرعيه لنشاطاتها، وحقاً لقد بلغت الذروه فی تماسكها ونشاطها بتوجيه المرجع الأعلى الشيخ الحائري الشيرازي، فكانت تبعث المعتمدين إلى مدن ونواحي العراق لتهيأتها للثوره فمثلاً «أرسل [الشيخ على] الشرقي إلى منطقه الشطره والغزاف للتمهيد للثوره، من قبل مخططي الثوره فی مدينه كربلاء، ولتأسيس فرع الجامعه الإسلامیه - التي تأسست فی كربلاء لإداره شؤون الثوره بقياده الشيخ محمد تقی الشيرازي، فی الشطره.. وقد ساهم الشرقي فی أحداث الثوره بحوادث كادت تقضي عليه» (٢).

إن هذه التطورات، تشير إلى تبلور ناضج للرؤيه الحركيه الواعيه داخل الساحة الإسلاميه، ومن المؤكد أن تنامي هذا الوضع سيؤثر على مستقبل الإداره البريطانيه فی العراق، بشكل مباشر. لذلك، أدركت السلطات البريطانيه وبوضوح، أنه لا خيار لها

ص: ٣٤٣

١- (١) الحسنی، عبد الرزاق: الثوره العراقیه الكبرى، ص ١٢٢.

٢- (٢) عواد، عبد الحسين مهدي: الشيخ على الشرقي حياته وأدبه، دار الرشيد للنشر ١٩٨١، طبع بغداد، ص ٣٧. والشيخ الشرقي واكب مسيره الجهاد ضد الإنكليز سنه ١٩١٥ أيضاً. للمزيد من الاطلاع راجع: الكرباسی، موسى: موسوعه على الشرقي النثريه. الألواح التاريخيه، القسم الأول. وكذلك القسم الثاني النوادي العراقیه. وكلاهما طبع بغداد.

أمام هذه التطورات إلا أسلوب الترويض للتيار الإسلامي، بالترهيب والترغيب. وستشهد الساحه - كما سنرى - اعتقالات ونفى من البلاد، كما تشهد إلى جانب ذلك وعوداً عسليه، تتوَّجها عمليه الاستفتاء الشعبى. وقد تمّ التصدى للاستفتاء بصوره واضحه.

وكان لابد لهذه التطورات الحركيه والسياسيه، من التصدى الواعى والشجاع من قبل القياده المرجعيه. لذلك حثمت على الإسلاميين التوجه بجديده تامه للبحث عن القائد المناسب للمرحله الدقيقه التى يمر بها العراق. وهذه عمليه شاقه وحساسه بدرجة كبيره، كان لزاماً عليها أن تتم فى جو هادئ من دون توجيه أية إثارة للناس فى الساحه العامه، لأنهم ينظرون إلى المرجع الأعلى السيد اليزدى بأنه يمثل الزعامه الشرعيه، وأمره هو المطاع، وأنه ملاذ عموم الأمه، ورأيه بالأحداث هو الأصلح.

المهم، فى هذه المرحله، نشطت واجهات إسلاميه أمثال (جمعيه النهضه الإسلاميه) وغيرها فى إقناع الشيخ الشيرازى، باتخاذ موقع غير سامراء، البعيده عن ساحات التوتر العالى.

فاستقر رأيه باختيار كربلاء موقعاً له. وذلك لأن الساحه فى كربلاء، لم تصل - بعد - إلى مستوى الصراع الداخلى، المفترق بين قرار المرجعيه، وقرار الزعامات المحليه، الذى وصلت إليه النجف أثناء ثورتها. فكربلاء فى تماسكها حول المرجع بقيت مقفله وعصيه أمام التوجهات المحليه والميول الشخصيه لرؤسائها المحليين بنسبه مرضيه، كما وعززت ممانعتها - المبدئيه والأخلاقيه - من الدخول فى صراعات خاصه ضد توجهات المرجع اليزدى، من المحتمل إثارتها من قبل الحواشى السدج أو المدفوعين لتفريق كلمه المراجع القاده. لذلك كان على العلماء والمثقفين الإسلاميين، أن يفتحوا آفاقاً حركيه، عاليه المضامين، للمرجع المرتقب وذلك لتثبيت كفاءته القياديه، وأهليته فى التصدى لشؤون العراقيين.

وبالفعل، اتجهت أنظار وجهود الإسلاميين، والزعامات الاجتماعيه، اتجاه الشيخ محمد تقى الشيرازى، الذى واكب مسيره حركه الجهاد، ولم يدخل فى تفاصيل الاختلافات مع زعامات محليه كما حدث للسيد اليزدى فى ثوره النجف.

وكانت مهمه الشيخ الشيرازى فى البدايه - وخاصة بعد وفاه السيد اليزدى، وانتقال المرجعيه العليا إليه فى أيار ١٩١٩م الموافق لشعبان ١٣٣٧هـ - تتمحور حول لملمه ساحه الأمه بكل طبقاتها، لغرض توجيه حركتها السياسيه، وتوحيد موقفها الجهادى، وذلك بربط وتفعيل المقومات الرئيسيه الثلاثه لحركه الأمه، بدءاً من العلماء المجتهدين، ومروراً بوكلاء المرجعيه ورؤساء العشائر والزعماء المحليين والمثقفين الإسلاميين وانتهاءً بالقاعده الشعبيه العامه فى المدن والعشائر. وقد أولى لحلقه الوصل بينه وبين الناس أهميه كبيره، وبالفعل لقد «شكل تولى الإمام الشيرازى للمرجعيه العليا، بذاته، حلاً لمسأله غياب الزعامه الدينيه السياسيه القويه، والقادره على أن تكون عامل جذب وتوجيه، خاصه بين المرجعيه والمجتهدين الآخرين» (١).

ويجدد بنا، أن نقف عند هذه النقطه بشىء من التنظير، ففى التحرك الإسلامى، على المستوى الثقافى والسياسى تتضافر الجهود وتتكامل فيما بينها، من المرجعيه، والعلماء المجتهدين، والمثقفين الإسلاميين، ورؤساء العشائر، فى سبيل توضيح رؤيه الساحه، والاسهام فى التصحيح الثقافى والسياسى، وقد يبرز الكادر الوسط على المنبر الخطابى أو الصحافى أكثر من المرجع الأعلى، ولكن يبقى ذلك الجهد فى حدوده التفصيليه، بينما يكون للمرجع القائد، الدور الأساس والحاسم، فى دعم هذا التوجه أو الإعراض عنه وإفشاله.

أما فى العمل الحركى والجهادى، فالممارسات المؤيده للحاله الحركيه الجهاديه على الأرض، من قبل المرجع القائد، توفر على الإسلاميين جهوداً كبيره، وفرصاً ذهبيه،

ص: ٣٦٥

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

تدفعهم لتكريس توجّهم نحو الأمة، لغرض تنظيمها وتعبئتها باتجاه الالتزام بالفتاوى الجهادية الصادره من المرجع. باعتباره القائد الديني والسياسي لتلك المرحلة.

وأما في حاله عدم قناعه المرجع الأعلى في أداء هذه المهام الحركية والجهادية لمسوغاته الموضوعية، وأسبابه الذاتية، تجعله يعزف عن اتخاذ المواقف الصعبة، وهذه الحاله تنعكس بآثارها على خارطة العمل السياسي بشكل كبير، فتتصدع وحده الموقف في ظل المرجعية، ممّا يدفع بعض المجتهدين - الأقل رتبةً من المرجع الأعلى - إلى المبادرة لقياده الساحة سياسياً، وتحمل مسؤوليه حركه الأمة جهادياً، امتثالاً للواجب الشرعي. وفي هذه الحاله تتوزع طاقه الإسلاميين إلى اتجاهين متعاكسين، اتجاه المرجع الأعلى لاقتناعه بضروره التحرك، واتجاه عموم الناس لاقتناعهم أيضاً، ممّا يضعف قدره التركيز في عمل الإسلاميين.

وفي هذا الصدد يذكر (ولسن) وكيل الحاكم الملكي العام، إنه بالرغم من الصمت الذي كان يلتزم به السيد اليزدي، فإن المجتهدين الذين هم دونه مرتبه، كانوا قد انفقوا وقاده الحركه الشعبيه في تحريض الأهالي والتأثير عليهم (1).

إلا- أنه، حينما برزت قياده الشيخ الشيرازي على ساحه الحركه السياسيه في العراق، باعتباره المرجع الأعلى وفرت للإسلاميين جهوداً كبيره، وظروفاً مساعدته لنجاح مهمه الارتباط في اتجاه التنظيم والتعبئه والإداره. ولولا هذا التطور لانصرفت معظم تلك الجهود في سبيل إقناع المرجعية وأطراف المؤسسه الدينيه بضروره اتخاذ القرار القيادي المناسب. ومن الصعوبه بمكان التكهن بنجاح تلك الجهود، وخاصه لو عرفنا، أنها ستصطدم بعقليات غير واعيه لهموم الإسلام والأمة، محيطه بالمرجع قد تعرقل نجاح هذه المهمه الحساسه - في بعض الأحيان - حيث تعكس حاله من الفوضى الشعبيه لتناقض الآراء وتصادم التوجهات. بين كوادر الإسلاميين من جهة والمرجع الأعلى من جهة ثانيه.

ص: ٣٤٤

وهنا لابد أن نُعطي الحق لعامة الناس، في حالة عدم تسليم مصيرها لقيادة حركيه سرية، لا تشعر بالارتباط الشرعي بها، وخاصة في حالة وجود مرجعيه عليا غير مقتنعه بها. وبالتالي ستصل الحاله إلى بعثه وحده المقاومه، فضلاً عن الإحباط النفسى الذى سيصيب المجاهدين.

وعليه، فالإمام الشيرازى برز في موقعه القيادى فى الوقت المناسب، فمسك زمام الساحة الحركيه، فى ظل تلك الظروف العصييه. وأدت جهوده إلى حلحلة الأزمات، وتوحيد الرؤى الحركيه لدى الإسلاميين فى المدن والعشائر المنتشره فى البلاد، والتي تعتبر العمق الاستراتيجى للحركه الإسلاميه، وذلك لكثافتها البشريه ولنفوذها الواسع فى معظم أنحاء العراق. كما «ساهم الشيرازى نفسه فى حل مسأله مهمه كانت تواجه حركه المقاومه الإسلاميه، وهى إنهاء أو الحد من الصراع والتناحر بين العشائر» (١).

ومجمل هذه النشاطات، أثارت مخاوف سلطات الاحتلال، فكانوا يرون أن المعارضه تسير بشكل منظم ومدروس، فأقدمت فى ٢ آب ١٩١٩م، ذى القعدة ١٣٣٧هـ، على اعتقال سته من رموز الجمعيه الإسلاميه فى كربلاء، باعتبارهم الأداة الفاعله لأعمال الإمام الشيرازى، وهم: عمر العلوان، عبد الكريم العواد، طليح الحسون، محمد على أبو الحب، السيد مهدي المولوى، والسيد محمد على الطباطبائى.

ولما كانت المرحله - مرحله صراع سياسى - لذلك أعلن المرجع الشيرازى قراره بالهجره إلى إيران، لإعلان الجهاد من هناك. فثارت عواطف الناس، وضجت الساحة لهذا الموقف. ولما انتشر الخبر بين الناس، جاءت إليه رسائل عديده من علماء وشخصيات العراق خصوصاً من النجف والكاظميه، ينددون بأعمال السلطه ويعزمون على السفر معه. ومما جاء فى إحدى تلك الرسائل:

ص: ٣٦٧

«يا آية الله الكبرى إن حادث كربلاء المقدسه أقام قيامه العلماء وكدّر خواطر الفقهاء، أدمى القلوب وأبكى العيون. كيف لا وإنه إعتداء على مقام الإسلام.. وتحقير الشيعه. يا حجه الإسلام لم يبلغنا خبر هجرتكم إلّا- وصمّنا على إتباعكم والسير على منهاجكم فلا تطيب لنا بعدكم دار، ولا يكون لكافه أهل العلم قرار. فأمرونا فإننا ممثلون طوع أمركم ورهن إشارتكم».

التواقيع: سعيد كمال الدين، محمد باقر الشيبى، محمد الشيخ يوسف، وغيرهم.

هذه الضغوطات دفعت الإنكليز لإطلاق سراحهم والتخلص من خطوره الموقف، وذلك فى مطلع سنه ١٩٢٠ أى بعد خمسسه شهور تقريباً من الإبعاد، وقد أرسل (ويلسون) مبلغاً كبيراً إلى الميرزا الشيرازى إرضاءً له بيد محمد حسين خان الكابولى، وقد رفض الشيرازى استلام المبلغ وردّ عليه برساله مجامله. وحينما وصل الأحرار إلى كربلاء استقبلوا الأبطال، وذلك فى اليوم التاسع من شهر ربيع الأول ١٣٣٨هـ-، ومن ثم اشتعلت الساحه مره أخرى. تقول المس بيل «ولكن أولئك المشبوهين أطلق سراحهم بكفاله الميرزا محمد تقى نفسه، فعادوا فى الحال إلى سيرتهم الأولى وبذا فقد شجع الحادث حبيك الدسائس بدلاً من إيقافها عند حدّها» (١).

وبالفعل استمرت الجمعيه فى عملها الحركى والسياسى ونشاطها الإعلامى، ضد سلطه الاحتلال فتعرقل مشروع السلطه وارتبك أدائها، فقررت اعتقال رئيس الجمعيه الشيخ محمد رضا نجل المرجع الشيرازى ونفيه إلى الخارج (٢).

إن هذه التطورات فى الساحه، كرس قياده الشيرازى سياسياً، ودفعت الشارع العراقى، بطبقاته المختلفه، إلى التمحور حول قيادته، الداعيه بالمطالبه الفعلية لاستقلال العراق، واقامه الحكم الإسلامى فيه.

ص: ٣٦٨

١- (١) المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب ص ٤٤١. طبع بيروت ١٩٧١.

٢- (٢) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٥-٧٦. انظر: الحسنى، عبد الرزاق. العراق فى دورى الاحتلال والانتداب، ج ١، ص ٧٦. وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ١٢٥.

على ضوء تطورات السياسيه الدوليه، بعد توقف الحرب العالميه الأولى، وإعلان الهدنه (1)، انعكست البيانات والتصريحات على الساحة العراقيه بتطور ملحوظ، ابتداءً من مبادئ الرئيس الأمريكى (ولسن) التى منحت حق تقرير المصير للشعوب، وإلى التصريح الإنكليزى الفرنسى المشترك الذى حدّد الغايه من دخول الحرب فى تحرير الشعوب، بالإضافة إلى الوعود التى أعلنها قاده الاحتلال البريطانى فى العراق، بالتححرر والاستقلال - كما مضى سابقاً - فلقد بعثت الإدارة السياسيه فى مكتب الهند، رساله بتاريخ ٣٠ كانون الثانى ١٩١٨م، ١٧ ربيع الثانى ١٣٣٦هـ، إلى لجنه الإدارة البريطانيه فى العراق، فيها إشاره إلى «حاكم وطنى أو حكومه وطنيه، ولكن فى حمايه الإنكليز، فى كل شارده ووارده إلا فى الاسم»، فان الاسم سيظل حكماً وطنياً، وإنما السلطه تبقى فى يد الإنكليز، وفى ٣٠ تشرين الثانى، تلقى نائب الحاكم الممدنى العام فى العراق (ارنولد ولسن): تعليمات من مكتب الهند، ورد فيها تفويض له، بإجراء استفتاء عام فى العراق، على أن يبعث النتائج الموثوقه للقياده هناك، لمعرفة آراء الشعب العراقى فى نوعيه الحكم الذى يرغبه لبلاده. وقد حدد موعد الاستفتاء فى شهرى كانون الأول ١٩١٨م، وكانون الثانى ١٩١٩، ربيع الأول والثانى ١٣٣٧هـ، وتمّ حصره بالأسئله التاليه:

ص: ٣٦٩

١- (١) عقدت هدنه (مود روس) فى ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨. والتى أنهت العمليات العسكريه بين تركيا وبريطانيا. (ومود روس) هو ميناء جزيره (ليمنوس) على بحرايجه.

- هل ترغبون بحكومه عربيه مستقله تحت الوصايه الإنكليزيه، يمتد نفوذها من أعالي شمال الموصل إلى الخليج؟

- هل ترغبون في أن يرأس هذه الحكومه أميرعربي؟

- من يكون ذلك الأمير الذي تختارونه؟

واختتمت التعليمات بأهميه النتائج وضروره ممارسه هذا الحق، وذلك لتشتد عنايه الناس بحقهم في تقرير مصيرهم، وقالوا ليكن «تقريراً نستطيع نشره على الملأ ونقول عنه إنه تعبير محايد لشعب العراق.. ومن هنا كانت بدايه مسرحيه الاستفتاء الهزليه المضحكه» (١). التي تحولت إلى ماده جيده لأدباء وشعراء العراق، لوصفها وبيان ثغراتها (٢).

المهم بعث (ولسن) نائب الحاكم المدني في العراق، بنسخه من تلك البرقيات إلى جميع ضباط الارتباط، مرفقه بتعليماته الخاصه، عن كيفيه إجراء الاستفتاء. وتعليماته هذه تدور حول فرض رأيه الخاص مسبقاً، فمثلاً يقول: «لا تقبل سوى الأجوبه المرضيه، والملائمه بالنسبه لنا». فكان إذا اطمأن الضباط، بتوفر هذه الأجوبه لديهم، فإنهم يعقدون اجتماعاً، ويلخصون الأجوبه ويدونونها في مضابط موقعه من قبل أكبر عدد ممكن من الشخصيات، وإذا لم يحصل مثل هذا الاطمئنان، تتم معالجه هذا الموقف حسب إرشادات (ولسن) حيث يقول في تعليماته «ولكن إذا استشعرتم، أن الرأي العام منقسم في صورته جليه، أو إذا استشعرتم أن الرأي العام لا يميل إلى جانبنا، أو أنه غير مرضٍ لدينا، فعليكم أن تؤجلوا عقد مثل هذا الاجتماع، وتخبروني بالأمر، كي ابعث إليكم بتعليماتي..». يقول عبد الله النفيسي: «ومعنى قوله «أجوبه مرضيه»، هو دعوه إلى تأييد استمرار الوجود البريطاني في

ص: ٣٧٠

١- (١) النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ١١٦-١١٧.

٢- (٢) الفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعه في الثوره العراقيه، مصدر سابق، ص ٦٩. وأيضاً: الحسنی، عبد الرزاق: العراق في دورى الاحتلال والانتداب، ج ١، ص ١٠٥.

العراق [ويضيف] إن كل من يقرأ تاريخ العراق السياسى المعاصر، لا يستطيع أن يفهم نتیجه الاستفتاء، وما أسفر عنه من أحكام، ما لم يمعن النظر فى التعليمات التى أصدرها (ولسن) لضباط الارتباط السياسيين فى مختلف ألويه العراق» (١).

وفعلاً، كانت هذه التعليمات مقيّده لعملية الاستفتاء، لذلك من الصعوبه بمكان، ان يتيقّن الباحث، بحقيقه الموقف المعلن، حيث «أن الوثائق التاريخيه، لا تستطيع رسم الصوره الحقيقيه حول هذه المسأله، لأنّ الإجابات غير المرضيه رفضت فى أكثرها. ومن هنا لا يمكن ان تمثل النتائج المعلنه وثيقه معتمده فى التاريخ العراقى» (٢).

وبالرغم من أن أسئله الاستفتاء، لا تشكل الطموح الوطنى لدى الإسلاميين بل عموم الناس، فالسؤال الأول يحدّد إقامه الدوله بإشراف بريطانى، بينما الطموح يقتضى انتزاع الاستقلال التام من المحتلين. إلا أنه فى الوقت ذاته، لا تشكل الطموح البريطانى أيضاً، على الأقل لدى أجنحه معينه فى الإداره البريطانيه، فى الهند مثلاً. لأن طموح هذا الجناح يتلخص فى أن يختار شعب العراق التبعية المطلقه لبريطانيا، وعليه يتحول العراق إلى محميّه بريطانيه بإرادته العراقيين انفسهم، فلذلك أصبحت سمه تلك المرحله هى الصراع ما بين النظريتين، الأولى تدعو للحكم البريطانى المباشر، والثانيه تدعو للحكم غير المباشر عبر واجهات محليه من العراقيين ينفّذون الإراده البريطانيه بحذافيرها.

ومهما تكن الملايسات فى إداره هذه العمليه الاستفتائيه، فإنها اسفرت عن تقديم مضابط موقعه بالإكراه، تؤيد الوصايه والانتداب البريطانى، بينما أسقطت مضابط أخرى لم تؤيد مطالب إداره الاحتلال، فى حين قدّمت مضابط أخرى موقعه من قبل كبار التجار والملاكين وبعض شيوخ العشائر وممثلى الاقليات الدينيه تؤيد فيها الوصايه

ص: ٣٧١

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع ذاته، ص ١١٨.

٢- (٢) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٧٧.

والانتداب على العراق (١). حيث قدّم اليهود المقيمون في العراق عريضه خاصه بهم، التمسوا فيها بقاء الإدارة البريطانيه المباشره، وكذلك طالب المسيحيون - أيضاً - بعد أن رفض ممثلوا الاقليات التوقيع على مضبطه المسلمين (٢).

إلا أن سير الاستفتاء في معظم مناطق الفرات الأوسط، ولا سيما في المدن المقدسه، النجف، و كربلاء، والكاظميه، وحتى بغداد. لم يكن بالأمر اليسير، وبذلك تعتبر مواقف الحركه الإسلاميه إثر عمليه الاستفتاء، مرحله من مراحل المواجهه السياسيه الساخنه، التي نصّجت العمليه الثوريه التي انتهت باشتعال نيران الثوره سنه ١٩٢٠ (٣). فلقد شهدت هذه المدن المهمه، والمناطق العشائريه المجاوره لها، لا سيما الشاميه و ابى صخير، شجاعه كافيّه في إبداء آرائهم بالاستفتاء، حيث طالبت مضابطهم بالاستقلال التام، بزعامه أمير عربي مسلم. وكانت سلطات الاحتلال تعاني من هذه المضابط، ممّا دفعها للاحتيال والمكر لتزوير الحقائق، يذكر الشيخ محمد رضا الشبيبي نموذجاً من عمليه إجراء الاستفتاء في الديوانيه، والتدخل السافر من قبل الحاكم السياسى للمنطقه، وكان شاباً إنكليزياً يعترض الناس بسوطه، فجمع شيوخ العشائر، وطلب أختامهم منهم، فختم أوراقاً لا يعلمون منها شيئاً (٤).

هذا الاستغلال لطيب شيوخ العشائر وبساطتهم، يدل على الهزيمه الداخليه لسلطات الاحتلال التي كانت لهم معاناه فعليّه أمام توجهات الإسلاميين الوطنيه، وأن توسع هذه المعارضه يدلّ بوضوح على تطور الوعي الحركى والسياسى في تلك المناطق، وعلى مدى عمق العلاقات بين المرجعيه والناس خصوصاً العشائر في تنضيج الرؤيه السياسيه وطرحها أثناء عمليه الاستفتاء.

ص: ٣٧٢

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ١٩٧-١٩٨.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٢٦.

٣- (٣) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى ص ٤٨.

٤- (٤) الدراجى، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن ودوره في الحركه الوطنيه في العراق ص ٦٧.

في البدايه وقع اختيار (ولسن) الحاكم العام في العراق، على مدينه النجف، وذلك لأهميتها الاستراتيجيه من الناحيه الدينيه والقياديه، ففيها مقر المرجع الأعلى للمسلمين الشيعه في العالم، ويعني ذلك إنها مصدر الحراك السياسى، ومركز قرار التصدى والثوره ضد المحتلين في العراق، وأن نجاح الاستفتاء فيها، يعنى نجاح السيطره على بقية المناطق. بالإضافة إلى كونها متعبه، إثر أحداث ثوره النجف في ١٩١٨، فمعارضتها ستكون ضعيفه - حسب تقدير سلطات الاحتلال - لذلك حضر (ولسن) للنجف شخصياً، في ١١ كانون الأول ١٩١٨ الموافق للثامن من ربيع الأول ١٣٣٧هـ-، والتقى عدداً من العلماء، والوجهاء فيها، كما التقى المرجع الأعلى السيد اليزدى، ثم عقد اجتماعاً في اليوم الثانى، بمقر الحاكم العسكري بالنجف، حضره عدد من العلماء والتجار والوجهاء، ومعظم زعماء العشائر، وكان من الحاضرين السيد هادى الرفيعى النقيب (١).

ص: ٣٧٣

١- (١) ومما يذكر حول السيد هادى الرفيعى بأنه كان «رئيس نقابه الأشراف السُّنه فى النجف». راجع الرهيمى: المرجع السابق، ص ٢٠١. ويذكر النفيسى عن مزهر الفرعون - وهو من الحاضرين فى هذا الاجتماع - بأن الحاضرين بالإجماع أكدوا على الاستقلال كمطلب دينى ووطنى، إلا أنّ الرجل الوحيد الذى لم يوافق على هذا الأمر كان السُّنى الوحيد، السيد هادى النقيب، كما أن السيد عبد الرزاق الحسنى يذكر وقائع الاجتماع تماماً كما ذكرها الفرعون.

تحدث (ولسن) عن الاستفتاء وضرورته والمسؤولية اتجاهه، بعد ذلك طالبه الحاضرون بالاستقلال التام، ما عدا السيد الرفيعي الذي طالب باستمرار الحكم البريطاني بقوله: «لا نريد غير الإنكليز»، فوقف كل من عبد الواحد سكر، ومحمد رضا الشيبلي، ليقولا: إنهما يبغيان إنشاء حكم عربي مستقل، فانبرى في الاجتماع، نور الياسري، طالباً تأجيل الاجتماع عدة أيام للتداول فوافق (ولسن) (١).

ص: ٣٧٤

١- (١) الحسنی، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، ص ٥٦، لتفاصيل اجتماع (ولسن) بالنجف وبالأسماء راجع: الفرعون ص ٧٥ وما بعدها. وللعلم أن وقائع هذا الاجتماع، نقلت بعده صور، غير صحيحة، من قبل (المس بيل) في مقالها «مذكره حول تقرير المصير»، وكذلك (ايرلند) في كتابه

وردّاً على قول (المس بيل) و(ايرلند)، حول أعيان الشيعة، بأنهم وقّعوا مضبطه بالموافقه على الحكم الإنكليزي المباشر في العراق، من دون أمير عربي، يقول عبد الله النفيسي: «أستطيع الآن أن أقول، بعد المقابلات التي أجريتها في صيف ١٩٦٨م [١٣٨٨هـ-] في النجف مع المجتهد الأكبر، ومع بعض أعيان المدينة، أنه لم تكن عريضه وقّع عليها في ذلك الاجتماع (مضبطه، كما كانوا يسمونها)، إلا بعد يومين، عندما قدم مدينة النجف السيد جعفر أبو التمن.. قد أبدى نشاطاً ملحوظاً في الكاظميه وبغداد، وفي سعيه لتوحيد وجهتي النظر لدى السنة والشيعة في العراق» (١). أي لتوحيد القرار السياسي والجهادي.

هذا وبالإضافه إلى إدعاء (المس بيل) و(ايرلند)، يستنتج (ولسن) بعد لقائه بالسيد اليزدي، بأنه متعاطف مع البريطانيين، وينقل عنه قوله: «إن تنصيب الموظفين

ص: ٣٧٥

١- (١) النفيسي: عبد الله، المرجع ذاته، ص ١٢٠.

العرب، سيؤدى إلى الفوضى، انهم لم يتعلموا بعد معنى الاستقامه، وإلى أن يتعلموا ذلك، فيجب بقاءهم تحت أوامر الحكومه» (١). بينما ينكر هذه الروايه، جملهً وتفصيلاً، السيد اليزدى، ويؤكد على أنه لم يتحدث معه بهذه الصراحه (٢).

وهكذا نستنتج من هذه الادعاءات، الصادره عن شخصيات سلطه الاحتلال تناسق الأدوار فيما بينهم فى اتجاه الهجمه الفكرية المركزه، الغرض منها طمس الحقائق، وتزوير الوقائع، لإظهار ما يتمونه بأسلوب إعلامى. وبالرغم من ذلك، اجتمع العلماء والوجهاء ورؤساء العشائر الذين حضروا اجتماع (ولسن)، إلى المرجع الأعلى السيد اليزدى، يطلبون رأيه وتوجيهاته، فأجابهم: «إن القضية مهمه، ويجب أن تعقدوا اجتماعاً عاماً يحضره الجميع، من جميع الطبقات، وأن لكل فرد الحق فى إبداء الرأى، سواء أكان تاجراً أم بقالاً، زعيماً أم حمّالاً»، وبعد اجتماعات عديده، ومشاورات عادوا إلى السيد اليزدى، فأجابهم بأنه «رجل دين، لا دخل له بالسياسه مطلقاً، فاختاروا ما هو أصلح للمسلمين» (٣).

وبالفعل عقدوا عده اجتماعات واتفقوا فيها على: «أن يكون للعراق الممتده حدوده من شمالى الموصل إلى خليج فارس، حكومه عربيه إسلاميه يرأسها ملك عربي مسلم، هو أحد أنجال الملك حسين على أن يكون مقيداً بمجلس تشريعى» (٤). ويذكر حسن الأسدى - وهو من المعاصرين للأحداث - إن الصيغه التى أتفق عليها لدى الناس المجتمعين، هى المطالبه «بالاستقلال التام الناجز أو الثوره»، دون ذكرٍ لأحد أنجال الشريف حسين لتولى الحكم، وإنما المضبطه التى وُقِّعت وفيها هذا الطرح، إنما تمت

ص: ٣٧٦

- ١- (١) وقائع الاجتماع على روايه (ولسن) راجع: العطيه، غسان: نشأه الدوله العراقيه ص ٣٥٥.
- ٢- (٢) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٨٥.
- ٣- (٣) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٥٨.
- ٤- (٤) الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب مرجع سابق، ج ١، ص ٧١.

بإشاره السيد اليزدى كحل وسط (١).

ولا نريد أن نسوِّغ للمرجع رأيه، وإنما قد يكون ذلك، نوع من الاستجابة للضرورة المرحليه، التي أملت عليه هذا الرأى، خوفاً من ضياع الفرصه، والانتقال إلى مرحله أشد خطوره. ويبدو أن الآراء كانت متباينه، ومقلقه للأوضاع المستقبلية، فحسبت بإشاره السيد اليزدى! والحقيقه أن هذا الموقف للسيد اليزدى هو موقف التيار الإسلامى عمومًا والشيعى بالتحديد وبمعنى آخر لقد حصل شبه إجماع عام على فيصل نجل الشريف ليكون رئيساً للعراق، وذلك لأسباب ضاغطة عاشتها الأمه آنذاك، سنشير إليها فيما بعد. ومهما كان التحليل المبرر لهذه الإشاره، فإنها هفوه سياسيه، وإداريه أيضاً فى منظرنا الحالى. فمن الناحيه السياسيه، هل يمكن نسيان دور الشريف حسين وحركته فى محاربه الدوله العثمانيه: إلى جانب الإنكليز، وهو أمر مخالف لموقف العلماء فى العراق، حيث وقفوا بكامل ثقلهم إلى جانب الدوله العثمانيه ضد الإنكليز.

أما من الناحيه الإداريه، فإن هذا الترشيح يدل على عدم قناعه السيد اليزدى بقياده الساحه سياسياً، وذلك لعدم تمكنه من ترشيح أحدٍ من جانبه لهذا الموقع تجتمع عليه الأمه، مما ترك فراغاً واضحاً، ولم تفرز الأحداث فى وعى الناس رمزاً سياسياً وطنياً يجمع أطراف الساحه، وبالنتيجه ملأه هذا الفراغ رجل بريطانيا فيصل، بطريقه مدبره، وبالفعل «مكّن [هذا الموقف السلبي] إداره الاحتلال من توظيفه لصالحها» (٢).

أما الاستفتاء فى كربلاء، فانه آتخذ سيلاً أشد وأعنف من الأماكن الأخرى. يقول الأستاذ حسن شبر: «الانتكاسه الثانيه التى واجهت الإداره البريطانيه فى عمليه

ص: ٣٧٧

١- (١) الأسدى، حسن: ثوره النجف ضد الإنكليز. مصدر سابق، ص ٣٦٦-٣٦٧.

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٢٠٣.

الاستفتاء، التي حدثت في كربلاء، وهي انتكاسه أكثر شدة مما حدث في النجف الأشرف، والذي ساهم في ذلك، أن الحركة الإسلامية في كربلاء، كانت قوية في الفترة القصيره التي سبقت الاستفتاء» (١).

وقد ذكر الحاكم المدني العام (ويلسن) في كتابه (ثوره العشرين) حجم تهديدات وأساليب المعارضه خصوصاً في كربلاء، مؤكداً على أن «تهديدات الوطنيين الذين كانوا أقوى في كربلاء منهم في النجف، كما كانت أساليبهم على جانب كبير من الدهاء والمكر وكانت المطبعه دائمه الانشغال بأعمالهم» (٢).

والمهم لقد اتفق العلماء والأشراف ووجهاء كربلاء ورؤساء العشائر، على مضبطه وردفيها:

«اجتمعنا نحن أهالي كربلاء امتثالاً لأمركم، وبعد مداولة الآراء، وملاحظه الأصول الإسلامية، وطبقاً لها، تقرر رأينا على أن نستظل بظل رايه عربيه إسلاميه، فانتخبنا أحد أنجال سيدنا الشريف، ليكون أميراً علينا مقيداً بمجلس منتخب من أهالي العراق..».

١٥/ ربيع الأول ١٣٣٧هـ، ١٨/١٢/١٩١٨ (٣).

وفي الكاظميه، جرى الاستفتاء في ٥ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ، الموافق ٨ كانون الثاني ١٩١٩م. واتفق العلماء والوجهاء والأشراف على مضبطه وردفيها:

«إننا ممثلو جمهور كبير من الأممه العربيه العراقيه المسلمه، نطالب أن يكون للعراق الممتده أراضييه، من شمالي الموصل إلى خليج فارس، حكومه عربيه إسلاميه، يرأسها ملك عربي مسلم،

ص: ٣٧٨

١- (١) شبر، حسن: المرجع ذاته، الجزء الثاني، ص ١٨٧. وكذلك الفرعون، فرق المزهر: الحقائق الناصعه. مصدر سابق. ص ٨١.

٢- (٢) ويلسون: المرجع السابق، ص ١٣٩.

٣- (٣) الحسنی، عبد الرزاق: العراق في دورى الاحتلال والانتداب، ج ١، ص ٧٢. وكذلك الحسنی، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٤٧.

هو أحد أنجال.. الملك حسين، على أن يكون مقيداً بمجلس تشريعي وطني» (١).

وفي بغداد، كان الأهالي يتمتعون بوعي سياسي معين، وكانت (بغداد) تعيش ظروفًا خاصة في التعددية الفكرية، لذلك اقترح الحاكم المدني العام (ولسن) تشكيل لجنة قوامها، ٢٥ عضواً سنياً، يختارهم القاضي السني، ولجنة أخرى قوامها ٢٥ عضواً شيعياً، يختارهم القاضي الشيعي. أما النصارى واليهود في بغداد، فترك أمرهما لزعمائهم ليختاروا ممثلين عنهم.

واتفق القاضيان الشرعيان - السني والشيعي - على عقد اجتماع عام للمسلمين في بغداد، يضم الطرفين ليختاروا ممثلين عنهم، وبالفعل فاز في الانتخاب، أعداء سلطه الاحتلال. وحينما التقى وفدهم مع (ولسن) قَدّم ثلاثة اقتراحات، لضمان إجراء الاستفتاء الصحيح وهي:

«١- إنشاء مجلس تمثيلي وطني يمثل العراق بكامله، بغية التداول في مستقبل العلاقات العراقية البريطانية.

٢- وجوب ضمان حرية الصحافة.

٣- إلغاء جميع القيود المفروضة على تنقل الأشخاص داخل العراق، والسماح للعراقيين بالسفر إلى البلدان العربية المجاورة» (٢).

«وكانت هناك ثلاث هيئات سياسية تبدى اهتماماً خاصاً بنتائج الاستفتاء، وهي: الوزارة البريطانية في لندن، والإدارة البريطانية في بغداد، وشعب العراق.

ص: ٣٧٩

-
- ١- (١) الحسنی، عبد الرزاق: العراق في دورى الاحتلال والانتداب، ج ١، ص ٧٢، ٧٣. وللاطلاع على صور المضابط الصادره عن كربلاء، والموصل، والحله، والكاظميه، وبغداد، والنجف. راجع الحسنی، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٤٥-٥٩.
- ٢- (٢) راجع، البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق، ص ١٦٠.

أما الوزاره البريطانيه فإنها كانت تعتمد على الإدارة البريطانيه في بغداد، لتوفر لها المعلومات الصحيحه الموثوق بها، عن الرأى العراقى العام.. أما الهيئه الثانيه، الإدارة البريطانيه في بغداد، فقد كان همها أن تعد العراق ليقبل بإقامه حكم بريطانى في العراق. وأما الهيئه الثالثه، الشعب العراقى، فقد كان في حيره من أمره، إزاء الجهود التي كان يبذلها نائب الحاكم المدني، في فرض وجهه نظره، وهى إقامه حكم بريطانى مباشر في البلاد، الأمر الذى كان العراقيون يعتبرونه أمراً على غايه الخطوره، إذ من شأنه أن يشجع على نشوء اضطرابات سياسيه» (١).

في هذا الصدد، يذكر السيد على البازركان، الذى كان مندوباً ستيّاً في اجتماع بغداد، في كتابه «الوقائع الحقيقه»، بعض ما جاء في خطاب ألقاه المستشار البريطاني، (مارغوليوث)، وكان حاضراً الاجتماع هذا، أكد المستشار، بأن العراق بلد اعتاد الحكم الأجنبى الغريب عنه، وإنه لا يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه، لذلك وجب على العراقيين أن يختاروا الإنكليز، ليكونوا عليهم أولياء وأوصياء (٢).

ضمن هذه الأجواء التأمريه، يجتمع في بغداد ممثلوا السنه والشيعه، من العلماء والأعيان والوجهاء، على تقديم مضبطه موقعه من قبلهم، جاء فيها:

«إننا ممثلو الإسلام، من السنه والشيعه من سكان بغداد وضواحيها، بما أننا أمه عربيه وإسلاميه، فقد اخترنا أن يكون لبلاد العراق الممتده من شمال الموصل إلى خليج العجم، دوله

ص: ٣٨٠

- ١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٢٦. وللانصاف نقول إن الحكم البريطاني غير المباشر، هو أكثر خطوره من الحكم البريطاني المباشر، وذلك لأن الحكم المباشر يدعم باستمرار عمليه إيقاظ الأمه، فوجوده العلنى المباشر يدفعها نحو بلوغ درجه متطوره من الوعى الوطنى وبه تتوافر أسباب الثوره وتتفاعل عوامل نجاحها. وبالمقابل يمكن القول، بأن البريطانيين شددوا على الحكم المباشر للوهله الأولى، ليتمكنوا من فرض عملائهم في خطوه ثانيه يطالب بها الناس، وهى أقل كلفه وخسارة لهم.
- ٢- (٢) راجع البازركان، على: الوقائع الحقيقه، مصدر سابق، ص ٦٦-٦٧.

واحد عربيه يرأسها ملك عربي مسلم، وهو أحد أنجال.. الشريف حسين، مقيد بمجلس تشريعي وطني».

١٩ ربيع الآخر ١٣٣٧ هـ - الموافق ٢٢ كانون الثاني ١٩١٩ م (١).

وبالنتيجة، انتهى الاستفتاء في بغداد، أيضاً بالفشل، حيث لم تحصل إداره الاحتلال على مؤيدى الحكم البريطانى المباشر الذى يرضيهم. ولما أحست السلطات بخطوره الموقف المعارض لطموحاتها، استخدمت عدة أساليب لعرقله النتائج غير المرضيه لها، منها قررت اعتقال مجموعه من العاملين الناشطين: منهم: الشيخ سعيد النقشبندى، وعبد الوهاب النائب، وحمدي الباججى، وجعفر أبو التمن، لكن النقيب عبد الرحمن الكيلانى، تدخل ونصح السلطات بعدم اعتقال الأولين لمركزهما الدينى وقد نفى أحد عشر شخصاً إلى الخارج (٢).

والملاحظ على هذه المضابط التى قدمت لإداره الاحتلال، إنها كانت متفقه على المطالبه بالاستقلال، وعلى الأمير العربى المسلم، أحد أنجال الشريف حسين ليكون ملكاً على العراق، مقيداً بمجلس تشريعي وطني، إلا أن مضبطه بغداد، طالبت بدوله عربيه واحده، بينما مضابط المدن المقدسه، طالبت بدوله عربيه إسلاميه.

هذا، وقد استخدمت السلطات أساليب عديده لتضيق حقائق الاستفتاء، منها دفعت لتشكيل مضابط موازيه لتلك المضابط غير المرضيه، تطالب بالحكم الإنجليزى المباشر للعراق، وضغطت بهذا الاتجاه، وبالفعل نُظمت مضابط مفرده من معظم أنحاء

ص: ٣٨١

١- (١) للاطلاع على النصوص الكامله للمضابط راجع: الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب ج ١، ص ٧٢-٧٤. وللاطلاع على قائمه الموقعين بالأسماء على المضبطه الشيعيه - السنيه المشتركه فى كانون الثاني ١٩١٩ ببغداد، راجع: العطيه، غسان: نشأه الدوله العراقيه، ص ٤٩٣-٤٩٥.

٢- (٢) راجع الدراجى، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن ودوره فى الحركه الوطنيه فى العراق. ص ٧٤.

العراق، تؤيد حكمها المباشر، وعمدت لتحريك خيوطها لغرض نسج مضابط عنكبوتيه تنافس المضابط الأصلية (١). إن هذا الإجراء، بالإضافة إلى أنه إجراء وقائي عنيف، فقد جسّد رفض السلطات للمضابط غير المرضيه، في جميع أنحاء العراق.

وبالفعل تساقطت بعض الشخصيات أمام هذا الإجراء وسحبت توقيعها من المضابط الأصلية. وأبدت استعدادها للتوقيع على مضابط مرضيه لسلطه الاحتلال، ففي بغداد نظم عدد من وجهائها مضبطه مخالفه للمضبطه الأولى، وتم التوقيع عليها من قبل كل من: عبد الرحمن جميل زاده، فخرى جميل، صالح الملى، جميل صدقى الزهاوى، عبد الكريم الجبلى، موسى الباججى، وعبد المجيد الشاوى.

وقد تقدمت شخصيات اجتماعيه ثانويه فى مناطق أخرى من العراق بمضابط ترضى السلطه، فمثلاً تقدم السيد هادى الرفيعى، وعشرون تاجراً من النجف بمضبطه يطالبون فيها، «الحكم البريطانى المباشر» (٢).

كما وتقدمت شخصيات مغموره تطالب سلطات الاحتلال بالبقاء فتره زمنيه.

أما فى الكاظميه، فقد سحب رئيس البلديه جعفر عطيفه، وأحد رؤساء عشيره بنى تميم، وعبد الحسين الصراف توقيعهم من المضبطه الأولى، ووقعوا تحت مضبطه ثانيه، تطالب باستمرار الحكم البريطانى المباشر، كما وقع عليها بعض رعايا الإنكليز من الهنود (٣). وكان (ولسن) حريصاً على الاقليات المواليه للحكم البريطانى، كالكلدانيين والكاثوليك، واليزيديه، «الذين لو جمعت أعدادهم كلها، لما شكلوا ربع عدد الشيعه،

ص: ٣٨٢

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب، مرجع سابق، ص ٧٧.

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ٢٠٢-٢٠٣، عن: Atiyah Ghassan: Iraq ١٩٠٨-١٩٢١. Apolitical Study Berirut. ١٩٧٣. p. ٢٧٣. وكذلك البصير، محمد مهدى: تاريخ القضيه العراقيه، ج ٢، ص ٨٣.

٣- (٣) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٤٨-٥١.

وبعد ذلك طلبت الحكومه البريطانيه، من (ولسن) إرسال مخطط تمهيدى لدستور دوله عربيه على أساس أن يكون زمام الحكم بيدالبريطانيين.

ولكى نكون واقعين أكثر، فان مقترحات (ولسن) التى وافقت عليها الحكومه البريطانيه فى ١٩ أيار ١٩١٩ الموافق ل- ١٩ شعبان ١٣٣٧هـ، كانت ضمن اللغه الإداريه المدبره، هدفها استبعاد الشعب عن طموحاته فى الاستقلال، وإبقاء الاحتلال، فأنصبَّ جهودها فى اتجاه عرقله المشروع الوطنى، أقل ما يقال عنه إنه سيؤدى إلى ترويض الإسلاميين، وإدخال الساحه إلى المنازعات الداخليه، وسينبرى الموالمون لبريطانيا فى حركه معاديه لطموحات الشعب، وهذا يعنى توقف الإسلاميين عن المبادرات السياسيه، وذلك بعدم فسح المجال أمامهم لتنضيج مستلزمات التحدى للمشروع البريطانى، وعلى الأقل لسحب الصاعق عن فتيل المعارضه، وإفشالها - ولو وقتياً-. وستكون النتيجة لصالح مدبرى سياسه الترويض. وهذا هو الهدف الذى كانت تسعى إليه الدوائر الإنكليزيه وذلك لتحقيق النفوذ السياسى التام لها فى العراق، بمسك مصالح البلاد عن طريق عملائهم المحليين.

ص: ٣٨٣

تظافرت محاولات القيادة المرجعية لإنقاذ الموقف، وجاءت فتوى الإمام الشيرازي، تتويجاً لنشاطات الإسلاميين التي أوقفت محاولات سلطات الاحتلال، في الاستمرار في سياسته الالتفافية والتزوير على نتائج الاستفتاء.

ولولا هذه النشاطات، والفتوى الحاسمه. لكانت النتائج خطيره جداً في تلك المرحلة، وما يليها من المراحل، لأنها كانت ستمنع إداره الاحتلال شرعيه البقاء والاستمرار في الحكم. ولما رأى المخلصون من أبناء العراق تساقط بعض الشخصيات والوجهات الاجتماعيه أمام اغراءات السلطه المحتله، ونجاح بعض ضغوطاتها وأساليبها - كما لاحظنا ذلك - زاد قلق الإسلاميين والقاده الوطنيين وزعماء العشائر في كربلاء والنجف - بالذات - على نتائج الاستفتاء، وخاصه في ظرف كان المرجع الأعلى السيد اليزدي، في أواخر أيامه متردداً في اتخاذ قرارات صعبه ربما تكلف الأمه كثيراً، وقد «شعر الوطنيون أن هنالك روحاً خبيثه دبت في البلاد، وأن مساعى تبذل تحت الخفاء لتجىء الأ-جوبه مطابقه لرغبه السلطه، كأن ينتخب (السير برسى كوكس) رئيساً للحكومه المنوى تأليفها في العراق»^(١). في تلك الظروف الحساسه، كانت زعامه الشيخ

ص: ٣٨٤

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٤٦. وكان (ولسن) قد أبرق إلى حكومته البريطانيه عن نتائج الاستفتاء مدعيًا: «إن الأ-كثريه في العراق لا- ترغب في تبديل الحكم القائم، وأن الأ-قليه ترغب في أمير عربي تحت الهيمنه الإنكليزيه..». راجع تحت عنوان (ولسن يشوه الحقائق) لدى الحسنى: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٦١.

الشيرازى قد أخذت موقعها القيادى فى كربلاء، فاتجهت الأمه صوبه، تنتظر رأيه، بفارغ من الصبر، فبادر عدد من العلماء وزعماء العشائر بتكليف أحد فتيان المدينه بتوجيه سؤال الاستفتاء إليه بعد مقدمه مدروسه، فى ختامها الاستفتاء التالى: «هل يجوز لنا انتخاب غير المسلم للاماره والسلطه علينا، أم يجب علينا اختيار المسلم؟».

فأجابهم بالفتوى التالىه وذلك فى ٢٠ ربيع الثانى ١٣٣٧هـ-، الموافق ١٩١٩/١/٢٣م.

«ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب، ويختار غير المسلم للاماره، والسلطه على المسلمين» (١).

وعلى أثرها، صدرت فتاوى عديده من علماء كربلاء، والكاظميه، تؤيد هذه الفتوى، وتدفع باتجاه السير خلف قيادته الحكيمه، وأن مخالفتها خروج عن تعاليم الإسلام. وبالفعل، يعتبر هذا التصدى من قبل الميرزا الشيخ الشيرازى، وتأييدات المجتهدين والعلماء، وعموم الناس له، بمثابة ترشيحه الفعلى للقياده المرجعيه العليا، وحصل ذلك عملياً عند وفاه السيد اليزدى فى ٣٠ نيسان سنه ١٩١٩ - ٣٠ رجب ١٣٣٧هـ.

وكانت «أهميه فتوى الشيرازى، تكمن فى كونها تحديداً لحرية المسلم. عند اتخاذه قرارات مصيريه» (٢). وبالفعل أوقفت هذه الفتوى عمليه اللهاث وراء المشروع البريطانى من قبل أنصار البريطانيين أو من قبل المستعدين للالتحاق بهم، ففى كربلاء لم تَوَقَّع مضبطه واحده تأييداً للبريطانيين، ولو كانت هامشيه ومن أشخاص مغمورين، وكذلك فى الكاظميه حتى أن السلطات آنزعت من مضبطه كربلاء ورفضت إدراجها فى النشره

ص: ٣٨٥

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب مرجع سابق. ج ١، ص ٧٤.

٢- (٢) النفيسى، مرجع سابق: ص ١٢٤.

الرسميه لنتائج الاستفتاء (١). وبذلك تعرقلت جهود سلطه الاحتلال، فى تزوير النتائج، أو فى تميع المضابط الأصلية، بخلق مضابط جانبية تنافسها، وأن هذه النتائج تعزّزت بالفتوى، وفى الحقيقه أنها -تعدّ - عرقله واضحه لمشروع الحكم البريطانى. ويذكر الحسنى، أن (المس بيل) أبدت امتعاضها لما يجرى فى كربلاء، إثر هذه الفتوى، وذلك فى مذكره رفعتها إلى حكومتها فى شباط ١٩١٩م - جمادى الأولى ١٣٣٧هـ-. وقد انتشرت هذه الفتوى فى معظم مدن العراق، لا سيما بين عشائر الفرات الأوسط والأسفل (٢).

«ولقد كانت فتوى الميرزا الشيرازى، تبنياً قوياً لحركه المعارضه الإسلاميه فى العراق بأسره، ولذلك انتشرت فى مناطق العراق، كموقف إسلامى عام» (٣). وقد شكّلت هذه الفتوى، بدايه لمرحله جديده من مراحل المواجهه السياسيه ضد الاحتلال، وأظهرت الشيرازى قائداً وموجهاً لحركه المعارضه الإسلاميه والوطنيه (٤).

يقول الدكتور الوردى: «من الممكن القول إن فتوى الشيرازى كانت عاملاً مهماً فى تطوير الوعي السياسى فى العراق، فهى قد جعلت الدين والوطنيه فى إطار واحد

ص: ٣٨٤

١- (١) راجع، نظمى، د. وميض: الجذور السياسيه، مرجع سابق، ص ٣٠٨-٣١٠.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب مرجع سابق. ص ٧٤.

٣- (٣) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨٩.

٤- (٤) إن مضبطه كربلاء، التى ذكرناها، صدرت بتاريخ ١٥/ربيع الأول/١٣٣٧هـ-، بينما صدرت فتوى الشيرازى بتاريخ ٢٠/ربيع الأول/١٣٣٧هـ- - الموافق ٢٣/١/١٩١٩م. ولعل هذا التأخير، من باب الالتزام الأدبى من قبل الشيرازى، اتجاه المرجع اليزدى، لعلّه يحسم الموقف بفتوى مناسبه، لذلك جاءت الفتوى متأخره، وفى الأيام الأخيره. كما ويفهم أيضاً إن مضبطه كربلاء كانت تعبر عن رأى الإمام الشيرازى المبدئى ضد الكافرين المعتدين. وقد كانت أجواء كربلاء واضحه التأثير برأى الشيرازى قبل صدور الفتوى -، المهم جاءت الفتوى متأخره، لا كما يراها الدكتور على الوردى، بأنها صدرت بعد انتهاء الاستفتاء. راجع، الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه عن تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، الجزء الخامس، القسم الأول ص ٧٥-٧٦.

وهذا أمر جديد لم يكن الناس يألفونه من قبل. وبذا أصبح الوطني متدينًا والمتدين وطيئًا. وانتشر بين الناس الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو (حب الوطن من الإيمان) وصار شعاراً للحركة الوطنية الجديدة» (١).

وهكذا استمر الشيخ القائد، انطلاقاً من وعيه الإسلامي - الوطني في دعمه ورعايته لطموحات الشعب العراقي في نيل الاستقلال التام، ومما يذكر، إنه خاطب وفد جمعيه حرس الاستقلال - ستحدث عن الجمعيه ونشاطاتها في بغداد لاحقاً - بقوله: «إن حركتكم الإسلاميه في بغداد، أفعمت قلوبنا غبطه.. إننا نضم أصواتنا إليكم في الهتاف، نطالب الاستقلال التام، بدون تدخل أجنبي» (٢) وهذا يعنى تصديه للعمل الحركى في عموم الساحه العراقيه، لا سيما بغداد.

ولم يكتف الشيخ الشيرازى بالعمل الداخلى، وإنما شرع في مناشدات جدّيه خارج العراق، على المستوى العربى والدولى، لغرض ترسيخ الاستقلال للعراق، وفضح أساليب سلطات الاحتلال (٣).

فبعد مشاوراته مع علماء كربلاء، وأعيانها، أرسل مذكره إلى الشريف حسين، بواسطه رسوله الشخصى، الشيخ محمد رضا الشيبى، فحملها إليه، يخبره عن أوضاع العراق، ويطلب منه التدخل فى الأمر، لإيقاف ضغوط السلطه فى تزوير الحقائق. ومما يذكر إن المذكره كتبت بإشراف الشيخ الشيرازى، والشيخ عبد الكريم الجزائرى، وكتب نصها الشيبى. ولكى يضع رموز الساحه فى الأجواء الحركيه، وزعت سرّاً على قبائل

ص: ٣٨٧

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج٥، القسم الأول، ص١٠٤.

٢- (٢) نظمى، وميض، الجذور السياسيه والفكرية والاجتماعيه للحركه القوميه العربيه (الاستقلاليه) فى العراق، ص٣٥٣.

٣- (٣) من المعلوم أن الوضع العربى والدولى - آنذاك - كان برعايه الدول الاستعماريه، إلا أن مناشده المرجع الدينى لهما تعدّ ضمن نشاطات التحرك السياسى، وذلك لإيضاح الموقف فى العراق، وبذلك يتم تفويت الفرصه على السلطه الحاكمه فى تضييع حقوق الشعب العراقي المسلم.

الفرات الأوسط (١). وقد رد الشريف حسين على مذكرة الإمام الشيرازي، مؤكداً دعمه لما ورد فيها.

كما وجه الشيخ الشيرازي رساله أخرى إلى الأمير فيصل بدمشق، طالباً إياه دعم استقلال العراق، وكشف مظالم الاحتلال في المحافل الدوليه والصحافه العالميه، كما وبعث نجله الشيخ محمد رضا رساله إلى ولي عهد أمير الحجاز، الأمير علي بن الحسين، بهذا الاتجاه.

وبعث الإمام الشيرازي، وشيخ الشريعة الاصفهاني، رسالتين، إلى الرئيس الأمريكي (ولسن)، أعربا له في الأولى، عن مساندتهما لتشكيل دوله عربيه إسلاميه في العراق، وللأمير فيصل الذي كان يفاوض في مؤتمر باريس. وقد تم إرسالها سراً إلى إيران، وقدمت إلى الوزير المفوض الأمريكي بطهران، ولأهميتها نذكر أهم ما ورد فيها:

«..نظراً إلى ما أملتة حكومه الولايات المتحده من الشروط المعروفه التي قدمها رئيس جمهوريتها لإحقاق الحقوق، وتقرير المصائر، قد رأينا أن نراجع حكومه الولايات المتحده بتوسطكم ونستعين بها في تأييد حقوقنا في تشكيل دوله عربيه.. لذلك رأى الشعب أن يستعين بحكومه الولايات المتحده على المطالبه بحقوقه وإنجازها».

١٢/ جمادى الأولى سنة ١٣٣٧هـ، ١٣ شباط ١٩١٩م.

وفى الرساله الثانيه: عبّرا فيها عن رغبه العراقيين، كأمه مسلمه، في اختيار دوله عربيه إسلاميه، وملك مقيد بمجلس وطني. فقد ورد فيها:

«..بما أنكم كنتم صاحب المبدأ في هذا المشروع، مشروع السعاده والسلام العام، فلا بد أن تكونوا الملجأ في رفع الموانع عنه.. فرغبه العراقيين جميعهم والرأى السائد بما أنهم أمه

ص: ٣٨٨

١- (١) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٢٢.

مسلمه.. اختيار دوله جديده عربيه مستقله اسلاميه وملك مسلم مقيد بمجلس وطني. وأما الكلام في أمر الحمايه فإن رفضها أو الموافقه عليها يعود إلى رأى المجلس الوطنى بعد الانتهاء من مؤتمر الصلح..» (١).

وبهذه النشاطات، تركزت قياده الإمام الشيرازى فى الساحة الحركيه والشعبيه، وبقي فى تعامله الحذر، واليقظ مع سلطات الاحتلال، فقد رفض الشيرازى طلب وكيل الحاكم العام (ولسن) الذى زاره فى حزيران ١٩١٩م - رمضان ١٣٣٧هـ، بإصدار فتوى تنقض فتوى الجهاد، وذلك لايقاف حركه الجهاد فى جنوب إيران ضد القوات البريطانيه (٢). وكان - بالفعل - موقفاً صلباً شجع كافه طبقات الشعب العراقى على معارضه سلطات الاحتلال، والالتفاف المصيرى حول قيادته ومرجعيتيه. وهذه الصلابه ستتوّج فى فتواه الجهاديه، وقيادته لثوره العشرين - كماسنرى -.

ص: ٣٨٩

-
- ١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٥، القسم الأول، ص ١٠٤-١٠٥.
 - ٢- (٢) الوردى، على: المرجع ذاته، ج ٥، ص ٦٥. سنثبت فى الملاحق، نصوص الرسائل الصادره عن الشيرازى إلى الشريف حسين، مع إجابتها، وكذلك إلى الملك فيصل، وإلى ولسن الرئيس الأمريكى - آنذاك-.

أما التطورات الحركية لدى الإسلاميين في بغداد، فقد أدت - في تلك المرحله - إلى تأسيس حزب جديد سمّوه (حرس الاستقلال) من السنه والشيعه، وهذا التنوع الطائفي بحدّ ذاته يشكل نضوجاً واعياً لتحمل المسؤوليه الوطنيه العامه، ويقطع الطريق أمام المراهنين على تفرقه كلمه المسلمين (1). وكان من المؤسسين لهذا الحزب الشيخ محمد باقر الشيبى، ومحي الدين السهروردى وعلى أفندى البازركان، وجلال بابان، وشاكر بيك محمود. وقد بينت الماده الثانيه من دستور الحزب: إن غايه الحزب القصى هي نيل الاستقلال التام الناجز.

والماده الثالثه نصّت على:

إن الحزب هو الذى سيرشح أحد أبناء الشريف حسين ملكاً على العراق. فيما أكدت الماده الرابعه، والخامسه، والسابعه، على ضروره الوحده الوطنيه العراقيه، بغض النظر عن اختلاف الأديان والطوائف. وقد انتمى إلى الحزب شخصيات

ص: ٣٩٠

١- (١) تحركت الجمعيه في تقريب وجهات النظر الشيعيه - السنيه في بغداد، فأقامت مهرجانات سياسيه عامه، في جوامع بغداد، للمولد النبوى الشريف ولذكر مصيبيه الحسين عليه السلام في آن معاً. وكان لها أثر حسن في النفوس، وقد أثارت مخاوف السلطات البريطانيه، وحاولوا الالتفاف عليها. راجع: شبر، حسن: المرجع السابق، ج ١، ص ٦٦-٦٨.

سياسيه بارزه منهم: السيد محمد الصدر، - العالم الشيعي المعروف الذي صار رئيساً للحزب - ويوسف السويدي، ومحمد جعفر أبو التمن، وعبد الغفور البدرى، وقد عمل الحزب على تنسيق الجهود بين بغداد ومنطقه الفرات الأوسط، لغرض توحيد الموقف الشعبي أمام ضغوطات الإدارة البريطانيه، - وكما ذكرنا - كان الشيخ الشيرازى مسانداً لهذا الحزب، ومؤيداً لنشاطاته ضمن خطه السياسى العام. وكانت اجتماعات الحزب تعقد فى الكاظميه برئاسه السيد محمد الصدر، أما فى بغداد فكانت تعقد برئاسه جعفر أبو التمن، وكان الهدف المحورى للحزب، هو نيل استقلال العراق - كما لاحظنا ذلك فى الماده الثانيه من دستور الحزب - وذلك عبر العمل السياسى، والمطالبه السلميه للوصول إلى الاستقلال. وقد نجحت جمعيه حرس الاستقلال أكثر من حزب العهد، لأنها قطريه تحمل همّ العراق، وقراراتها سريعه لأن لجنتها المركزيه فى العراق، على العكس من العهد، فانه فرع يتبع المركز العام فى الشام (1).

وكانت نشاطات جمعيه حرس الاستقلال، منطلقه من مساجد بغداد، واستمر التصعيد فى الخطابات، والمهرجانات التى نظمتها فى المساجد، وقد حاولت (المس بيل) عرقلتها، وذلك بإقامه ندوه مفتوحه لها فى الأوقات ذاتها (ليله الجمععه) وذلك لتسحب الشباب من المساجد، ولكن دون جدوى لقوه التيار الإسلامى المتفاعل مع برنامج الجمعيه.

ففى احتفالها ليله السادس من شهر رمضان فى جامع الحيدر خانه ببغداد، هذا الجامع الذى أصبح مركزاً عاماً للاحتفالات واللقاءات، ألقى عيسى أفندى، أحد

ص: ٣٩١

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٢٦-١٢٧. للاطلاع على ظروف التأسيس ومنهج الحزب راجع، الأحزاب السياسيه فى العراق ١٩٢١-١٩٣٢، ص ٤٨-٥٥. وأيضاً شير: حسن: المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٥٢-٧٢.

الموظفين في الأوقاف قصيده حماسيه، اعتقلته على أثرها السلطات ونفته إلى البصره، وقد وصل الخبر للجنه التنفيذيه للحزب، وهم مجتمعون في بيت جعفر أبو التمن، فقرروا الاحتجاج عبر مظاهره سلميه، أمام المسجد، وبالفعل نظمت تظاهره جماهيريه كبيره، احتجاجاً على إجراء السلطه، وخطب جعفر أبو التمن، ومحمود رامز، وعلى البازركان فيها، وطلبوا تفويض خمسه عشر مندوباً، لمفاوضه السلطات الإنكليزيه حول مطالب الأمه، وقد تمّ انتخابهم، وكان منهم: السيد محمد الصدر، على البازركان، السيد أبو القاسم الكاشاني، جعفر أبو التمن، يوسف السويدي، الشيخ سعيد النقشبندی، رفعت الجادرجي. وفي حينها، اجتمع الوفد، وتوزعت الأعمال، فانتدب جعفر أبو التمن للسفر إلى كربلاء، ولقاء الإمام الشيرازي ومفاتحته بالتطورات الحركيه والسياسيه في بغداد. وبالفعل عاد إلى بغداد ومعه رساله من الشيرازي، موجهه إلى كافه العراقيين جاء فيها:

«..فإن إخوانكم في بغداد والكاظميه والنجف وكربلاء، وغيرها من أنحاء العراق، قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع، والقيام بمظاهرات سلميه، وقد قامت جماعه كبيره بتلك المظاهرات مع المحافظه على الأمن، طالبين حقوقهم المشروعه المنتجه لاستقلال العراق، إن شاء الله بحكومته إسلاميه، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحيه إلى عاصمه العراق بغداد، وفدلاً للمطالبه بحقه، متفقاً مع الذين يتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد. الواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم في هذا المبدأ الشريف..». ١٠/٩ رمضان ١٣٣٨هـ - ٢٦ أيار ١٩٢٠ (١).

هذا، وشهدت الساحه نشاطات سياسيه للجمعيه، فالتقى وفدها بالحاكم الملكي العام في بغداد في ٢ حزيران ١٩٢٠م الموافق ل- ١٦ رمضان ١٣٣٨هـ، وطرح ثلاثه

ص: ٣٩٢

مطالب هي:

١- الإسراع في تأليف مؤتمر يمثل الأمة في العراق، ليعين مصيرها، فيقرر شكل إدارتها في الداخل ونوع علاقاتها في الخارج.

٢- منح الحرية للمطبوعات..

٣- رفع الحواجز الموضوعه في طريق البريد والبرق في أنحاء القطر أولاً، وبينه وبين الأقطار المجاوره له ثانياً.. فأوعدهم الحاكم البريطاني في مده شهرين لإصدار الموافقه على المطالب.

وفي إبان ثوره العشرين تعرض أعضاء الجمعيه للاعتقال، فمنهم أُعتقل، ومنهم التحق بالثوار (١).

جمعيه الشبيبه الجعفرية

تأسست جمعيه الشبيبه الجعفرية في عام (١٩١٩م، ١٣٣٧هـ-)، بعد تأسيس حزب الاستقلال، وكانت علاقتها جيده مع الحرسين، ومن رموزها سامى خونده، محمد حسن كبه، صادق البصام، صادق الشهر بانللى، سليم الحريرى، وقد انضمت هذه الجمعيه إلى جمعيه حرس الاستقلال فيما بعد (٢).

الجمعيه الإسلاميه فى الكاظميه المقدسه

أما فى مدينه الكاظميه، فقد برزت مظاهر العداة للإنكليز، قبيل الاستفتاء الشعبى، بصوره واضحه، إلا أنها لم تشهد قيام منظمات سرية إسلاميه سياسيه على غرار النجف و كربلاء، كما يرى بعض الباحثين (٣).

ص: ٣٩٣

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٠.

٢- (٢) شبر، حسن: المرجع ذاته، ص ٥٩-٦٠.

٣- (٣) الرهيمى، المرجع نفسه، ص ٢٠٠.

إلا أنه، قد أسس السيد أبو القاسم الكاشاني (الجمعيه الإسلاميه) عند قدومه من كربلاء إلى الكاظميه. وقد تواصلت النشاطات الحركيه لهذه الجمعيه، وبذلت سعيًا لتوثيق العلاقات ما بين علماء الكاظميه، والأسر العلميه هناك: آل الخالصى، وآل ياسين، وآل الصدر، وآل الحيدري، وآل الأعرجي، وآل أسد الله. وقد طلب الكاشاني من الشيخ الخالصى، القدوم إلى الكاظميه، بعد أن كان في ذلك الوقت في كربلاء، لقياده المواكب الحسينيه، التي تعدّ من أبرز الواجهات الدينيه والاجتماعيه. وقد كانت للجمعيه نشاطات إعلاميه واسعه، فقد كانت توزع منشوراتها في العديد من مناطق العراق. بالإضافة إلى النشاطات الحركيه الأخرى، وكانت تحظى بدعم وتأيد شيخ الشريعه الاصفهاني. مما دفع السلطات لبذل الجهود في المراقبه والوقوف أمام تحركها السياسى المعادى لسلطه الاحتلال (١).

وهكذا نرى بالرغم من قساوه الظروف وسيطره المندوب السامى على مصير البلاد، كانت النشاطات الحركيه والسياسيه للأحزاب المعارضه ماضيه في أداء رسالتها، وقد «اعترفت السلطه المحليه [آنذاك] بأن كربلاء والنجف معاً بقيتا قبله مزدوجاً للفوران السياسى الذى كانت تسهل إثارته برّد الفعل للحوادث في أنحاء العراق» (٢).

ص: ٣٩٤

١- (١) شبر، حسن: المرجع ذاته، ج ١، ص ٧٦-٧٩.

٢- (٢) العمر، د. فاروق صالح: الأحزاب السياسيه في العراق، ص ٣٩. راجع المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب، ص ٥٢.

الفصل الثالث : الثورة العراقيه الشامله عام ١٩٢٠

اشاره

ص: ٣٩٥

شهدت الساحة العراقيه تطورات سياسيه وجهاديه ضد سلطات الاحتلال، إثر محاولات ترسيخ دعائم الاستعمار البريطاني في العراق، وعدم الاستجابه لمطالب العراقيين المشروعه في الاستقلال السياسى.

وعلى ضوء ذلك، أخذت تتصاعد مواقف القياده الإسلاميه، التى وجهت عموم الشعب المؤيد لتطلعاتها المستقبلية، عبر مراحل التعبئه العامه لغرض المواجهه السياسيه والإعلاميه حتى الوصول إلى المقاومه والثوره المسلحه. وذلك ابتداءً من المظاهرات الاحتجاجيه والمنشورات الإعلاميه فى بغداد وكربلاء والنجف وغيرها من مدن العراق، مروراً بفترة الإعداد الثورى لخوض المواجهه المسلحه، ووصولاً إلى تفجير الثوره فى ٣٠ حزيران ١٩٢٠م - ١٤ شوال ١٣٣٨هـ.

وتعتبر الميزه الرئيسيه لهذا التحرك العراقى الشامل، هى الصداره التامه للزعامه الدينيه، فقد اجتمعت خطوط المعارضه العراقيه الإسلاميه والوطنيه، الشيعيه والسنيه

ص: ٣٩٧

١- (١) أحصت السلطه البريطانيه عدد نفوس العراق أوائل عام ١٩٢٠م، وكانت نتيجه إحصائها ٢٨٢ و٨٤٩ و٢ نسمة. وقد اشتركت أغلب مناطق العراق بالثوره خصوصاً كربلاء والحله والديوانيه والناصرية وبعقوبه. الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ١٨٣، راجع تقويم العراق ص ٢٠٥.

تحت زعامه الإمام الشيخ محمد تقى الحائرى الشيرازى (المتوفى فى ٣ ذى الحجه ١٣٣٨هـ - ١٧ آب ١٩٢٠م) الذى أفتى بالجهاد والثوره ضد المحتلين (١) - كما سنرى - وعندها تزلزلت الأرض تحت أقدام الجيوش البريطانيه المحتله فى معظم مناطق العراق، لاسيما الفرات الأوسط، فى ثوره شامله (٢). إن هذا الحدث التاريخى الكبير، يشكّل

ص: ٣٩٨

١- (١) الإمام الميرزا محمد تقى الحائرى الشيرازى (المتوفى فى ٣ ذى الحجه ١٣٣٨هـ - ١٧ آب ١٩٢٠م) بكربلاء. من عائله معروفه بالعلم والأدب والحكمه حضر على الميرزا محمد حسن الشيرازى فى سامراء وصار من أبرز تلامذته. ومن ثم أصبح من كبار المجتهدين المقلّدين. وبعد وفاه أستاذه الميرزا محمد حسن، قائد ثوره التباك الشهيره ووفاه السيد محمد كاظم اليزدى انتقلت الزعامه الدينيه إليه. استقر فى كربلاء، ومنها أعلن بفتواه الشهيره الثوره ضد الإنكليز المحتلين للعراق سنه ١٩٢٠. توفى والثوره لا زالت مستمره. راجع الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعه، مرجع سابق، المجلد التاسع ص ١٩٢، لُقّب الميرزا الشيرازى ب- (الحائرى) بعد انتقاله إلى كربلاء، قبل ثوره العشرين، نسبة إلى الحائر الحسينى الشريف، والحائر هى الأرض المنخفضه التى تضم قبر الإمام الحسين عليه السلام. وذلك حينما حاول المتوكل العباسى عام ٢٣٦هـ - هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وطمس معالمه وتضيع أثره، خشيه من إنتشار الروح الثوريه والجهاديه وحاله الاستقامه فى حياه الزائرين. هذه القيم الإيمانيه الرفيعه التى تمنحها زياره الإمام الحسين عليه السلام لزواره، فأقدم على حرث وادى كربلاء وسلط المياه على موضع قبر الإمام الحسين عليه السلام لكن الماء حار حول الوادى دون أن يخرقه فسمى المكان الذى حار فيه الماء حول القبر بالحائر ومنه لقب الحائرى. راجع، الطعمه، سلمان هادى: تراث كربلاء ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م بيروت، مؤسسه الأعلمى للمطبوعات ص ٢٠.

٢- (٢) لشموليتها سميت ثوره العراق الكبرى أنظر عناوين الكتب التاليه: الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠م، طبع صيدا ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، ط ٤، بيروت ١٩٧٨. فياض، دكتور عبد الله: الثوره العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠، ط ٢، بغداد ١٩٧٥. فراتى، على هامش الثوره العراقيه الكبرى، بغداد ١٩٥٢م. وسميت بثوره العشرين لاندلاعها عام ١٩٢٠م، أنظر: الوردى، على: لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس القسم الأول - حول ثوره العشرين، لندن ط ١٩٩٢، م٢.

مفصلاً مهماً في تاريخ العراق الحديث ومعبراً مصيرياً لمستقبل العراق والمنطقه، لم تكن أهميته تاريخيه فحسب، وإنما يعدّ هذا الحدث تجربيه غثيه من تجارب الإسلاميين في إداره الصراع السياسى ومباشره عمليات المقاومه العسكريه، حتى أن بعض تفاصيل أحداثها لا زال مخزوناً في أذهان الشعب، تتوارثه الأجيال المتعاقبه، كدروسٍ في الشجاعه والفخر والكرامه، وعبرٍ في الصبر والتحمل والاقدام تضيء الحياه للمعتبرين.

وبالفعل عبّرت تلك النشاطات عن مرحله مهمه من مراحل التحدى والمواجهه لأعتى قوه استعماريه (1) - في حينها-. وهى اليوم تزوّد الإسلاميين المجاهدين بمختلف

ص: ٣٩٩

١- (١) عند نشوب الثوره كان عدد الجنود البريطانيين بلغ ٧٢٠٠ بريطانى و ٥٣٠٠٠٠ هندى تقريباً، أى مجموعهم بلغ حوالى ٦٠٢٠٠ عدا التابعين من الهنود ما يقارب هذا العدد، بالإضافة إلى السيارات المسلحه وسلاح القوه الجويه. بينما يقدر عدد القوات الوطنيه الإسلاميه حسب الجنرال

أصنافهم وحركاتهم دروساً حركيه وجهاديه، بل تزوّد عموم الحركيين من الوطنيين الأحرار فى الساحه، أساليب المقاومه والثوره ضد مشاريع السيطره الاستعماريه على البلاد والعباد - إن درست دراسه موضوعيه واعيه-. وعليه سنسلط الأضواء على أسباب الثوره وظروفها وأهدافها وقيادتها، ثم نبين خلاصه أحداثها ووقائعها لتكتمل الصوره الجهاديه الحيه لهذا الشعب، ولنا وقفه مع نتائجها الإيجابيه من الناحيه السياسيه، فى وحده الصف والعداء التام للاستعمار، وكذلك سنوضح نقاط ضعفها إثر هزيمتها العسكريه فى تشرين الثانى عام ١٩٢٠م الموافق لربيع الأول ١٣٣٩هـ-.

ص:٤٠٠

إن انفجار الثورة لأيه أمه لا- يأتي من فراغ - كما هو معلوم - وإنما هنالك أسباب وعوامل تعيشها الأمة لفترات زمنية معينه تتلخص بالقهر والاضطهاد ومصادره الحريات، من خلالها تتراكم حالات التدمير شيئاً فشيئاً وتنمو في أجواء التعسف السلطوي، ومتى ما تلاقحت مع الشراره المباشرة في الأحداث والمواقف، والأمة متوحده في ظل قياده موحده وواعيه، تندلع الثورة وتتوسع. وعندها يجد المظلومون والمقهورون فرصتهم للتعبير عن الذات والأهداف.

ومن هنا يمكن تقسيم أسباب الثورة إلى أسباب مباشره وأخرى غير مباشره، أما الأسباب غير المباشره، فتتلخص في التراكمات المتناميه التي حصلت من جراء اصطدام العراقيين بسياسه العثمانيين بشكل عام والاتحاديين بشكل خاص من جهه، وبالاستعمار الغربى والبريطانى بالتحديد من جهه أخرى، وكلاهما - الاتحاديون العثمانيون والبريطانيون - شكلاً كماًشتين متقابلتين لغرض واحد وهو استعباد واستغلال العراق، وغيره من البلادالإسلاميه.

لقد انكشفت أغراض المستعمرين بصوره تامه، وذلك بعد الحرب العالميه الأولى وتقطيع أوصال الدوله العثمانيه، وبالفعل «ها هو الاستعمار يكشّر عن أنيابه، ويظهر بطانته الباليه السوداء، فيضرب بوعوده التي قطعها للعرب بالحرية والاستقلال عرض

الحائط، غير مبالٍ بالدماء التي سفكت في سبيل قضيته، ولا- مكثرث بتلك النفوس التي زهقت من أجله» (١). هذه التجربه الميريه كان لها تقييمها المشروع لدى العلماء المتصدين للحاله الثوريه، فقد استطاعت أن تكشف عمليات الخداع والمراوغه التي استخدمها البريطانيون ضد استقلال العراق، وتبين إشكاليه الممارسه الإداريه لسلطات الاحتلال التي تنطلق من كونها عسكريه النهج (٢)، فمن الطبيعي أن تكون استفزازيه وعنيفه في الإداره المدنيه، مما وضع إداره الاحتلال، بل الاستعمار البريطاني ككل في زاويه العدااء الاستراتيجي لعلماء الإسلام، كنتيجه طبيعيه لمجمل التطورات. فالعهد البريطانيه للشعب العراقي تحولت إلى سراب خادع، بل ذهبت أدراج الرياح، من وعود (الجنرال مود) قائد جيش الاحتلال في العراق، التي اعلنها صباح اليوم الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧- ١٨ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ- عندما تم احتلال بغداد، حيث جاء في بيانه «..ان جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بصفتهم قاهرين، أو أعداء بل بصفتهم محررين.. لقد كانت أراضيكم خصبه، وكان العالم يتغذى بألبان آداب أجدادكم وعلومهم وصناعاتهم، وقت كانت بغداد إحدى غرائب الدنيا.. فقد تبادل تجار بغداد وتجار بريطانيا من فتره مائه سنه، المنفعه والصداقه، أما الألمان والأتراك الذين نهوكم - انتم وذويكم - فقد اتخذوا بغداد مده عشرين سنه مركزاً يهجمون منه على ثغور البريطانيين وحلفائهم في إيران والبلاد العربيه، [إلى أن يقول].. لقد طرد العرب في الحجاز الترك والألمان الذين بغوا عليهم، ونادوا بعظمه الشريف حسين ملكاً عليهم، وعظمته يحكم مستقلاً حراً [!] وهو متحالف مع الأمم التي تحارب دولتي تركيه وألمانيا، وهذا شأن

ص: ٤٠٢

-
- ١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، المرجع السابق، ص ٨.
- ٢- (٢) كانت الإداره البريطانيه عسكريه بالدرجه الأولى، أما الإداره المدنيه فقد كانت تحت إشراف السلطات العسكريه، فياض، عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ١٦٦-١٦٩. راجع التقرير الإداري لولايه بغداد سنه ١٩١٧: Adminisuration Report Of The Baghdad Wilayat. ١٩١٧p. ١- ٢

أشراف العرب وأمراء نجد، والكويت وعسير. ويجب عليكم يا أهل بغداد، يا من جئنا نحميكم من الظلم والغزو، وتضمن حريه تجارتكم، ويا من ستنالون ما يستوجب أدق اهتمام الحكومه البريطانيه أن تعلموا أن هذه الحكومه لن تفرض عليكم أنظمه أجنبيه عنكم، فأمنيتها الوحيدده أن تحقق ما تطمح إليه نفوس فلاسفتكم وكتّابكم.. وأنا مأمور بأن أدعوكم بواسطه أشرافكم وشيوخكم إلى الاشتراك في إداره مصالحكم الملكيه لمعاوضده ممثلى بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش، كى تنضموا إلى ذوى رحمكم شمالاً وشرقاً وجنوباً وغرباً، فى تحقيق مطامحكم القوميه» (١). يلاحظ - هنا - بوضوح مدى الابتعاد الجذر فى لغه هذا البيان وأمثاله من ذكر الإسلام والقيم الإسلاميه، مقابل التركيز على ذكر العروبه والقوميه العربيه، بل وعلى إثارة الحسّ العشائرى والمناطقى، وهذه المسأله بحدّ ذاتها تحمل دلالات استعماريه هدفها تجزأه الأممه وتفكيك قوه وحدتها الإسلاميه وبالتالي إبطال مفعول الجهاد ضد المستعمرين. وهكذا وباللغه ذاتها أكد الفريق الأول (السير وليم مارشال) قائد جيش الاحتلال فى العراق بيان سلفه (مود)، بأن عليه إتمام البناء الذى وضع حجر أساسه (مود).

وقد تأكد بيان تحرير الشعوب ومنها شعب العراق، فى رساله القائد العام التى جاءت رداً على زياره وفد علماء النجف للحاكم السياسى فى ٣ تشرين الثانى ١٩١٨م - ٢٩ محرم ١٣٣٧هـ، مهناً انتصار الحلفاء فى سوريا والبلقان! (٢).

ص: ٤٠٣

-
- ١- (١) فياض، د. عبد الله، المرجع السابق، ص ١٨٣-١٨٥. كان البيان قد صدر عن مركز رئاسه الجيش البريطانى ببغداد، فى ٢٤ جمادى الأولى سنه ١٣٣٥هـ، الموافق ١٧ مارس سنه ١٩١٧م. ويبدو لى أن الترجمه التى اعتمدها الدكتور فياض هى الأفضل بالمقارنه مع الترجمات الأخرى المعتمده من قبل الأساتذه الآخرين. راجع: الحسينى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ١٤-١٦. وكذلك: الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب ج ١، مرجع سابق، ص ٥٧-٥٨.
- ٢- (٢) رساله القائد العام للجيش البريطانى فى العراق، الموجهه إلى العلماء، تجدها عند فياض، عبد الله: المرجع ذاته: ص ١٨٦.

كما كان للتصريح البريطاني - الفرنسي الذي صدر في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ م - ٣ صفر ١٣٣٧ هـ، أى بعد انتهاء الحرب بفترة قصيرة، أثر واضح في تكريس العهود السابقه. ومما جاء فيه «ان الغايه التي ترمى إليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق.. هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت أعباء استعباد الأتراك تحريراً نهائياً، وتأسيس حكومات وإدارات وطنيه تستمد سلطتها من رغبه السكان الأصليين» (١).

تقول المس بيل - في هذا الصدد - : «كان نشر التصريح الإنكليزي - الفرنسي، في العراق ضروره يؤسف لها، مهما كانت أهميته السياسيه في الجهات الأخرى من العالم. فمع أن هذا التصريح جاء مكرراً للنوايا التي كانت قد أذيعت على العراقيين عند احتلال بغداد، قد صدر في وقت كانت فيه مصائر الحرب محفوفه بالشك والريبه، وبذا كان يعتبر ضروره عسكريه، بينما نشر التصريح الإنكليزي - الفرنسي بعد انتصار الحلفاء قوبل والحاله هذه بالتصديق» (٢).

وضمن هذا التوجه يظهر بأن البريطانيين لم يكونوا جادّين في منح العراق استقلاله، في حين أنهم أسرفوا في قطع العهود والمواثيق للعراقيين بمنحهم الاستقلال (٣)، وظهر ذلك في أقوال بعض المسؤولين البريطانيين بشكل واضح، بأن

ص: ٤٠٤

١- (١) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه، المرجع السابق، ص ٤١، وتم نشره في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨ من قبل سلطات الاحتلال في العراق. تجد النص الكامل وبترجمه أخرى في، فياض: المرجع السابق، ص ١٨٦-١٨٧. وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: العراق في دورى الاحتلال والانتداب، ج ٢، ص ٦١.

٢- (٢) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، ترجمه الخياطص ١٦٦.

٣- (٣) فياض، د. عبد الله: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ١٨٩، ويورد أدله تاريخيه داعمه لرأيه جديره بالاطلاع، ويذكر برقيه وزير الهند في لندن بتاريخ ٢٩ آذار ١٩١٧ في شأن مصير العراق. كما وتجد نص الوعود البريطانيه الرسميه لدى فياض: المرجع ذاته، ص ١٨٣-١٩٢. وكذلك: الوردى، على: المرجع السابق، ص ٤١-٤٣. «تأثير الوعود البريطانيه».

بريطانيا لا- تنوى التخلي عن العراق، فهي باقية فيه إما بطريقة الحكم المباشر أو عن طريق الانتداب على الأقل (١). وإن كان بعض المسؤولين البريطانيين قد أبدى تفهماً للساحة العراقية - منذ البدايه - إلا أن أصحاب هذا الرأي لم ينجحوا في تثبيت آرائهم، التي كانت تدعو إلى إيجاد صيغه من التفاهم مع العراقيين لإرضاء طموحهم السياسى. تقول (المس بيل) فى إحدى رسائلها «أبتهل إلى الله أن يهدى قاده الرأي فى وطننا، ويجعلهم يفهمون، بأن الأفضل أن نعترف بطموح العراقيين السياسى منذ البدايه، وألا نحاول أن نضغط على السكان» (٢)، والذي حصل بالفعل على العكس من هذا الابتهاج والاقتراح واتبعت سياسه مضاده لمعالجه الموقف مهّدت للعنف والثوره. فمثلاً فى ١٩١٧ «كان العراق مقسّمًا إلى وحدات إداريه تتألف من ١٤ منطقه، كل واحده منها تحت إمره ضابط سياسى، ولم يكن بين هؤلاء أى عربى، وكانت هذه المناطق بدورها مقسّمه إلى وحدات إداريه أصغر، يديرها معاونو ضباط سياسيين، ومن مجموع (٩٠) معاون ضابط سياسى تقريباً كان هناك أربعة فقط من أصل محلى وكان البقيه من البريطانيين.. وفى الأول من نيسان ١٩٢٠ كان ملاك السكك الحديديه فى جميع الدرجات يبلغ ٩٢٨ و٢٤. وكان الهنود يؤلفون ٨٠ بالمائه والبريطانيون ٣ بالمائه والعراقيون (عرباً وأكراداً ويهوداً) ما لا يزيد عن ١٧ بالمائه»، «وما بين ١٩١٦ و١٩١٨ عينت الإداره ٢٨٢ مستخدماً فى بغداد وكان ١٧ منهم فقط مسلمين..» (٣)، وهكذا.

هذه مجمل العوامل التى مهّدت للثوره بشكل غير مباشر، أما الأسباب المؤثره فى اندلاع الثوره بشكل مباشر، فهى على اتجاهين: عوامل خارجيه وعوامل داخلية.

ص: ٤٠٥

١- (١) فياض: المرجع ذاته، ص ٢٤٦.

٢- (٢) () P.٣٨٨ Vol ١١ Bell, The Letter Of G.Bell,

٣- (٣) نظمي، د. وميض: الجذور السياسيه..، مرجع سابق، ص ٢٠٥-٢٠٧.

وهي تتلخص بانعكاسات الثورة الحجازيه التي أعلنها الشريف حسين في التاسع من شعبان سنة ١٣٤٤هـ-، الموافق للعاشر من حزيران سنة ١٩١٦ (١). وكذلك لتطورات الثورة المصريه ضد الاستعمار البريطاني في جمادى الثانيه سنة ١٣٣٧هـ-، آذار ١٩١٩م وقيام الحكومه الفيصليه بالشام، قبيل نهايه الحرب العالميه الأولى، ولقد كان للضباط العراقيين المقيمين في سوريا حضوراً فاعلاً في الساحة السياسيه، وكانوا بدورهم ينقلون أخباراً إلى داخل العراق، مفادها أن الثورة العربيه تمتلك جيوشاً قويه قادره على إخراج الإنكليز من العراق ليحصل شعب العراق على استقلاله، ومما يذكر ان جريده (العقاب) التي كان يصدرها حزب العهد في سوريا، قد احتلت - بأسلوبها الحماسي المثير - موقعاً مهماً في تزويد الساحة الحركيه - السياسيه في العراق بالأخبار والتحليلات الاستنهاضيه. وكانت تنقل - أيضاً - أخبار الثورة المصريه في آذار ١٩١٩م، جمادى الثانيه ١٣٣٧هـ- بزعامه سعد زغلول، ويذكر أن العراقيين قد تأثروا بصور الكفاح والجهاد في الساحة المصريه التي نقلتها هذه الجريده، مثل تخريب سكك الحديد، ومهاجمه المدافع الإنكليزيه بالعصا والحجاره، مما دفع الناس للتوثب والاستنفار لتنفيذ مثل هذه العمليات. لذلك أصبحت أخبار الثورة الحجازيه والمصريه وأخبار الحكومه العربيه في سوريا هي حديث الساحة العراقيه، وقد بلغت الدعايه المؤثره ذروتها بعد مبايعه فيصل ملكاً على سوريا في ٨ آذار ١٩٢٠، ١٨ جمادى الثانيه ١٣٣٨هـ- (٢).

ص: ٤٠٦

-
- ١- (١) لتفاصيل المراسلات والمفاوضات بين الشريف حسين والسير مكماهون التي عرفت فيما بعد بمراسلات (حسين - مكماهون). راجع: انطونيوس، جورج: يقظه العرب، بيروت ١٩٦٢، ص ٢٥١ وما بعدها.
 - ٢- (٢) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق ص ٧٧. راجع: الوردى: المرجع السابق، ج ٥، ص ٤٥-٥٤. الفصل الرابع (دعايات من الخارج)، الدعايه من سوريا، الدعايه من تركيا، الدعايه من إيران، الدعايه البلشفيه، وكان أهمها تأثيراً هي التي تقدم من سوريا، وذلك

وكذلك كان لأحداث دير الزور وواقعه تلغفر أثرهما في الساحة العراقية، ففي دير الزور، وبعد الهدنه في ٣١ تشرين الأول ١٩١٨م، ٢٦ محرم ١٣٣٧هـ-، وانسحاب العثمانيين منها، نشأت سلطه محليه تحكم البلد بالاعراف العشائريه، ثم قررت هذه السلطه الانضمام إلى الحكومه العربيه بدمشق، واستجابت الحكومه لهذا الطلب، ولكن لضعف الإداره وللتقهقر الاقتصادي اجتمع رؤساء البلد سرّاً ونظموا مضبطه يطالبون فيها سلطات الاحتلال البريطاني بالانضمام إلى إدارتهم، وبعثوا بها إلى الحاكم السياسي في (عانه) (١). بالعراق، راجين احتلال بلدتهم، وبالفعل تم ذلك بسهولة. إلا أنه تمّ - بعد ذلك - استرجاع دير الزور في كانون الأول ١٩١٩م، بقوه عشائريه نظمها رمضان شلاش الحاكم العسكري في (الرقه). فأعيدت للحكومه العربيه بدمشق.

وكان لهذا الاسترجاع، وللغارات على طريق الموصل، الأثر الاستنهاضي الواضح في عموم الرأي العام العراقي وخصوصاً في الموصل وبغداد والفرات الأوسط. وقد لعبت جريده (العقاب) دوراً مهماً في نقل تلك الأخبار (٢).

أما بعد تتويج الملك فيصل في دمشق في ٨ آذار ١٩٢٠م، ١٨ جمادى الثانيه ١٣٣٨هـ-، تشخص الطريق أمام العراقيين الموجودين في الشام باتجاه المقاومه المسلحه لتحرير العراق، وبالفعل تجمع العراقيون في دير الزور، ثم انطلقوا في حمله عسكريه نحو تلغفر (٣)، واستطاعوا الاستيلاء عليها أوائل حزيران ١٩٢٠م، فانتشرت أخبار هذا

ص: ٤٠٧

١- (١) عانه: قضاء تابع إلى محافظه الأنبار، ومركزها (الرمادي).

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٥، القسم الأول ص ١٣٠-١٤٨ (أحداث دير الزور).

٣- (٣) تلغفر، قضاء تابع إلى محافظه نينوى ومركزها (الموصل) شمالي العراق، وفيه بقايا قلعه عربيه.

الانتصار، ودفع الحماس بأولئك المنتصرين من أهالي مدينه تلعفر والعشائر المحيطة بها، وبعض العسكريين من جيش الشريف الذين التحقوا بالمهاجمين، أن يواصلوا زحفهم إلى الموصل، والجدير بالذكر أن الزعماء الدينيين كان لهم الدور الكبير في استنهاض الناس والوقوف إلى جانب الثوار، فإذن كانت الدوافع إسلاميه هدفها التخلص من المحتلين الكافرين. كما فعل عالم تلعفر محمد سعيد أفندي ولنا أكثر من شاهد على هذا الرأي، فمثلاً حينما جاءت الإمدادات البريطانيه بالسيارات، كان الثوار يهاجمونها بالخناجر والمسدسات، وكانت النساء يضربن بالأحجار تلك السيارات، ويصحن «لقد ظهر دين محمد»، ويذكر المؤرخون إنه لم ينج من جنود تلك القافله سوى اثنين كانا من المسلمين الهنود وكانا يصرخان «دخيل دخيل، مسلمان مسلمان» (١).

ولكن تزايدت الإمدادات العسكريه البريطانيه بعد ذلك، وأدركت حركه الثوار قبيل وصولهم إلى الموصل، وكانت هائله بالنسبه لإمكانيات الثوار، قتمت هزيمة العشائر، وعاد أهالي تلعفر من المواجهه وهجروا بلدتهم خوفاً من اقتحامها من قبل الجيش البريطاني، وبالفعل دخل الجيش المحتل إلى تلعفر في ٩ حزيران وعاث في الأرض خراباً وفساداً. أما الموصل فبدأت سلطات الاحتلال بالتشديد على الأهالي فيها، ولكن الاضطرابات عادت إليها بحمله أخرى أواسط تموز ١٩٢٠ أواخر شوال ١٣٣٨هـ - (٢).

ويبدو أن للموصل خصوصيه جغرافيه وسكانيه - آنذاك - ساعدتها على تقبل المؤثرات الإعلاميه القادمه من الخارج، «ويمكن القول.. إن الموصل كانت في تلك الآونه ملتقى لثلاثه أنواع من الدعايه، هي الدعايات التركيه، والعربيه، والبلشفيه، وقد أخذت هذه الدعايات تتعاون فيما بينها لمحاربه العدو المشترك» (٣).

ص: ٤٠٨

١- (١) للتفاصيل راجع: التلعفري، قحطان أحمد عبوش: ثوره تلعفر، طبع بغداد ١٩٦٦.

٢- (٢) التلعفري: المرجع ذاته، تجد تفاصيل تلك الأحداث. وكذلك الوردى: المرجع السابق، ص ١٤٨-١٧٢ (واقعه تلعفر).

٣- (٣) الوردى: المرجع ذاته، ص ٥٣-٥٤.

ومن هنا تشير (المس بيل) إلى تصاعد أعمال المعارضة في الموصل وتحدد ذلك بقولها: «في ٢١ نيسان [١٩٢٠م، ٣ شعبان ١٣٣٨هـ-] وصلت إلى الموصل عن طريق دير الزور أول قافلة [عراقيه] من حلب، فدشن وصولها حلول فتره جديده مليئه بالشغب والفتن [!] في الموصل نفسها فقد عقدت الاجتماعات الوطنيه، وعلقت على الجدران في الليل الإعلانات المناوئه للبريطانيين وهي تحمل ختم جمعيه العهد العراقيه كما ازدادت الغارات على خطوط مواصلتنا» (١).

كانت هذه الأخبار تنعكس في بغداد والفرات الأوسط - مهد الثورة - بشكل مؤثر. إلى جانب الضججه الإعلاميه حول دور (ويلسون) الرئيس الأمريكى على مساعده العرب أثناء مؤتمر الصلح، لذلك نشطت حركه سريه في العراق نظمت من خلالها مضابط تخوّل الملك فيصل بصلاحيه المطالبه بحقوق العراقيين في مؤتمر الصلح في فرساي (٢).

وكان إلى جانب هذا النشاط الاستنهاضى على المستوى الثورى والسياسى داخل العراق، ظهور نشاط سياسى وإعلامى مؤثر خارج العراق. فقد أعلن العراقيون الموجودون في سوريا - بعد مبايعه فيصل ملكاً على سوريا - استقلال العراق، وبايعوا الملك عبد الله بن الشريف ملكاً على العراق. وأوصلوا نداءهم هذا إلى الداخل لاسيما إلى علماء الدين ورؤساء العشائر في الفرات الأوسط. وهذه التطورات السياسيه لم تكن في غفله عن السياسيه البريطانيه، وبالتحديد عن الضباط الإنكليز المتواجدين في سوريا «أولئك الذين كانوا ناقلين على إخوانهم في العراق في إداره شؤون البلاد، [وهذا شاهد على ارتباك الإداره الهنديه]، فالضباط العراقيون إذن، والموظفون الإنكليز في الشام شجعوا العراقيين في نهضتهم.. ان الحكومه السوريه التي كانت تستمد قوتها الماليه

ص: ٤٠٩

١- (١) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، ص ٤١٨.

٢- (٢) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق، ص ٧٦.

من لندن أمدت الوطنيين العراقيين بالمال» (١). ومن المعروف أن إعلان ثورة الشريف حسين ضد الدولة العثمانية في التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤هـ، الموافق للعاشر من حزيران سنة ١٩١٦م، كان ضمن الخطة الاستعمارية، حيث «عمل الإنكليز على دعم ثورته كثيراً، فقد أمدوه بالمال والسلاح والعتاد، ومهدوا لأسرى العرب الذين كانوا يقاتلونهم في صفوف الجيش العثماني لالتحاق بالثورة المذكورة، وقاموا بدعايه واسعه النطاق لتغيير العرب من الترك.. ولما كان معظم الضباط والجنود الذين التحقوا بثورة الحسين من العراقيين، كان من الطبيعي أن تنتشر أخبار هذه الثورة في العراق» (٢). هذا، ويمكن احتساب أثر الحكومه الكماليه فى تركيا ضمن المؤثرات الخارجيه للثوره، خاصه على المنطقه الشماليه من العراق، القريبه من تركيا (٣).

وفى تقديرنا، إن قيام الحكومه الكماليه بنهجها العلماني، كرس جهود الإسلاميين - لاسيما العلماء - لقياده الحاله الجهاديه من ناحيه، ومن ناحيه أخرى ألهب حاله الغليان الثورى العام فى الساحه، وفى مناطق التوتر بالذات. فقد أصبح سعيهم منصباً نحو إقامه تجربه سياسيه إسلاميه، بعد انهيار التجربه الإسلاميه العثمانيه. وبالفعل استنفر الإسلاميون قواهم بهذا الاتجاه، «وكان هدف الحركه تأسيس دوله إسلاميه..» (٤)، وتحدث (المس بيل) عن أهداف الثوره وطريقه التمهيدي لها، بقولها: «فوصلت إلى القبائل وسكان المدن كتب لا يحصى عددها مذيله بتوقيع الميرزا محمد تقى [الحائرى الشيرازى قائد الثوره]، تنبؤهم بأن الوقت قد حان للقيام بحركه متناسقه تسير على الخطوط الدستوريه لتأسيس حكومه إسلاميه» (٥)، - كما سنوضح ذلك فيما

ص: ٤١٠

-
- ١- (١) الريحاني، أمين: فيصل الأول، طبع بيروت ١٩٥٨م، ص ٧٣.
 - ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، مرجع سابق، ص ٧٢.
 - ٣- (٣) فياض، د. عبد الله: الثورة العراقية الكبرى، مرجع سابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.
 - ٤- (٤) بيل، المس: المصدر السابق، ص ٤٣٩.
 - ٥- (٥) المصدر ذاته، ص ٤٤١-٤٤٢.

بعد-. وقد اشدت هذا التوجيه المركز نحو الثورة إثر إعلان نقض العهد من قبل سلطات الاحتلال في العراق، حيث «أعلن في يوم ١٤ شعبان و٣ أيار قرار (مؤتمر سان ريمو) القاضي بفرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين. وفرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، بناءً على ما جاء في المادة ٩٤ من معاهدة سيفر» (١).

العوامل الداخليه

تتداخل العوامل الداخليه المباشره للثوره فيما بينها، وتتمحور حول فكره تعميق الاستياء التام مما وصلت إليه التطورات السياسيه، وتصعيد المواجهه من درجه التدمير والاستنكار إلى حاله التحدى والثوره. وقد استطاعت القياده الإسلاميه توجيه الطاقات الشعبيه المعارضه نحو الهدف المركزي الجامع لطموحاتها، وهو طرد الاستعمار البريطاني من العراق. وستشهد الساعه بروز الدور القيادي للمرجعيه الدينيه الشيعيه، بل تصدّى هذه المرجعيه لقياده الأمم، وبالفعل ستكون سيده الموقف الحاسم في المعركه - سياسياً وعسكرياً-، كما سنرى ذلك بعد عرض سريع لمجمل الوضع الإداري لسلطات الاحتلال، الذي كرس لجوء الأمم إلى الحل الفعلي بالانضواء التام تحت لواء المرجعيه العليا للإمام الشيخ الشيرازي. فمنذ بدايه التدخل الأجنبي في المنطقه الإسلاميه كانت البيانات المعسوله والأوضاع الإداريه المحليه تسير باتجاه «الفتّ في عضد الوحدہ الإسلاميه، وإثاره النفرة بين العراقيين والحكومه العثمانيه، جرياً على قاعده (فُزق تسد) وهي السياسه التي تتمسك بها الحكومه البريطانيه في مختلف الظروف والأحوال» (٢). فما بين سنه ١٩١٨-١٩٢٠ حكمت بريطانيا العراق حكماً مباشراً، وكانت السلطه «موزعه بين وزير الخارجه ووزير الشؤون الهنديه في الحكومه البريطانيه.

ص: ٤١١

١- (١) الحسنی، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى - المرجع السابق - ص ٥٧. راجع نص المادة ٩٤ من معاهدة سيفر في هامش الصفحه ذاتها.

٢- (٢) الحسنی، المرجع ذاته، ص ٧٣.

وقد أنطت حكومه الهند إلى ضابط من ضباطها وظيفه الحاكم العام Civilcomissioner [سيفل كومسينير] وجعلته مسؤولاً عن الإدارة المدنية، ولكنها جعلته خاضعاً لسلطه القائد العام للقوات المسلحة. ويختار الحاكم الملكي العام بدوره الموظفين الإداريين وهم مسؤولون أمامه.

وقد قسم العراق إلى مناطق إدارية، يحكمها الموظفون الإداريون تحت اسم حكام سياسيين يعاونهم في كل منطقه إداريه عدد من المعاونين حسب الحاجه وأهميه المنطقه. وكان معظم هؤلاء الحكام السياسيين من ضباط الجيش الذين لم يألفوا الإدارة المدنية..» (١)، «فساروا في الناس سيره خشنه وساقوهم سوقاً عنيفاً وصبوا التكاليف الثقيله دفعه واحده..» (٢).

وبناءً على هذه الممارسات الاستيلائييه في الإدارة، كان من الوهم أن تصور نشوء علاقات وديه بين جيش الاحتلال وشعب العراق، بالرغم من التصريحات المهدئه للأوضاع والهدايا الثمينه التي كانت تقدمها بسخاء تلکم السلطات إلى رموز المجتمع وخاصه الفراتيين منهم (٣). بل تحكمت بين الطرفين - كما كان متوقعاً ومنذ البدايه - علاقات ميدانيه غير طبيعيه، هي في الحقيقه علاقته جيش محتل لشعب يقع تحت وطأته. فكانت قياده الجيش وعناصره تحاول وبكل ما أوتيت من قوه وحيله، امتصاص خيرات البلاد لسد حاجاتهم الحياتيه، وكذلك لغرض إذلال الشعب أمام السطوه العسكريه. فصارت هذه الحاله شديده الوطأه على الناس عموماً، وعلى المتصددين لهم خصوصاً. فكانت «السخره وجمع الطعام، وأشغال القطارات ببدلات ضئيله جداً،

ص: ٤١٢

-
- ١- (١) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٥٥-٢٥٦.
 - ٢- (٢) الشرقى، الشيخ على: النوادي العراقيه، مقال نشر في جريده (النهضه العراقيه)، السنه الأولى العدد ٢٥ بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٩٢٧م، ٨ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ.
 - ٣- (٣) سعيد، أمين: الثورة العربيه الكبرى، القاهره ١٩٣٥-١٩٣٦م، ص ٢٥ وما بعدها.

واستخدام وسائل النقل، وتقييد التجوال والأسفار، وعدم السماح بنقل الجنائز إلى المراقد المقدسه. كل هذه الحالات لم يألّفها الناس.. وقد زاد في الطين بله، إن الذين عهد إليهم إداره المناطق المحليه، كانوا يجهلون نفسيات العرب عامه، والعراقيين خاصه، بل الظاهر أنهم حسبوا العراقيين هنوداً، فأسمعوهم قارص القول، وعودوا متشرديهم على امتهان الكرامات، ومس العواطف، وكلم الصدور، فهيمنت على البلاد جيوش الفوضى والإرهاب والرشوه» (١). «وقد كتب حاكم الشنّافيه يقول: لقد استخدم عدد من العرب في بناء سكه الحديد، وكنا نلجأ إلى جمع العمال بالقوه في حالات كثيره» (٢).

يروى في هذا الصدد - طالب مشتاق في مذكراته - فيقول: «إن أحد شيوخ العشائر كان جالساً ذات يوم عند الحاكم السياسى في بعقوبه، وبينما كانا يتجادبان أطراف الحديث دخل كلب الحاكم إلى الغرفه، واقترب من الشيخ وأخذ يتشمم طرف عباءته، فوثب الشيخ مذعوراً وصاح: «عوذه، عوذه»، فاستغرب الحاكم من ذلك وسأل الشيخ: ماذا جرى؟ لماذا جفلت؟ إنه كلب مؤدب لا يؤذى أحداً بحضورى. فأجابه الشيخ: أنا لست بخائف منه، ولكنه نجس.

فآزداد استغراب الحاكم، وصاح في وجه الشيخ لا، لا هذا ليس بنجس إنه أنظف منك» (٣)! ومن المفيد ها هنا أن أنقل تعليق الأستاذ الوردى على هذه القصة وأمثالها، حيث يقول: «يبدو أن بعض الحكام البريطانيين لم يكونوا يدركون مغبه بعض العبارات التى يخاطبون بها شيوخ العشائر، أو لعلهم كانوا لطيشهم لا يهتمون بذلك، فالكلب لديهم حيوان عزيز مدلل، وهم لا يدرون أن من أبشع الشتائم التى توجه إلى

ص: ٤١٣

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه، مرجع سابق، ص ٧٥. ويورد الحسنى شهاده عمليه فى هذا الاتجاه لقائد القوات البريطانيه. ص ٧٥-٧٦.

٢- (٢) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ١٧٦.

٣- (٣) مشتاق، طالب: أوراق أيامى، طبع بيروت دار الطليعه - ط ١، ١٩٦٨م، ج ١، ص ٩١.

الفرد العراقي أن يقال له (كلب) أو (ابن كلب)» (١).

ويبدو أن الروايات كثيرة في هذا الاتجاه، عكست روح الاستعلاء على شعب العراق مما أثار النفوس نحو التمرد والثورة، فمثلاً «عندما عينت حكومه الاحتلال الكابتن (كرين هاوس) (F.S. Green house) حاكماً على النجف، أساء السيره حتى أنه إذا مرّ بشارع جعل أمامه من يستعمل السوط، ليفسح الطريق للحاكم المذكور» (٢). هذه الحاله وأمثالها من الممارسات الاستفزازيه، اخترنت في نفوس الناس، وأخذت تتراكم بعضها على بعض، حتى يحين وقت تفجيرها - فيما بعد - ثأراً للكرامه المهذوره، وما ألحقت بهم سياسه الإذلال - تلك-.

أما طريقه امتصاص الخيرات لسد احتياجاتهم الاستهلاكيه فكانت غير مألوفه، مما أثار حفيظه المجتمع - أيضاً- فقد «احتكروا الأقوات وابتاعوها بأبخس الأثمان، ثم باعوها بأثمان غاليه جداً، الأمر الذي أدى إلى حدوث مجاعه عامه» (٣).

ص: ٤١٤

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، الجزء الخامس، القسم الأول، ص ٢٨. ويروى فريق المزهري آل فرعون عن حاكم الديوانيه (الميجرد يلي)، أكثر من موقف له وهو يوجه إهانات مباشره إلى رؤساء وأبناء العشائر. راجع: آل فرعون، فريق المزهري: الحقائق الناصعه، مصدر سابق، ص ٤٥٥. ولذلك تعترف (المس بيل) بان سلوكه الفظ ساعد على اشعال الثورة. راجع الوردى: المرجع السابق، ص ١٢٩، وفي ص ٣٢، ينقل الوردى بروايه (المس بيل) عن صديقها (فتوح) -عراقي سائق عربيه خيل - قصصاً من هذا النوع عن (الكولونيل ليجمن) حاكم الموصل ومن ثم أصبح حاكم الرمادي، حيث وجه إهانات مباشره إلى الشيخ ضاري شيخ زوبع، وإلى الشيخ عجيل ضاري شيخ شمّر. للتفاصيل راجع أيضاً: الريحاني، أمين: ملوك العرب، طبع بيروت ١٩٥١ ج ٢، ص ٢٧٠.

٢- (٢) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ١٧٥، ويذكر في هامش الصفحه ذاتها، بأنه نقل إليه «شاهد عيان، إن الناس قد ضجوا من صاحب السوط، فشكوا الأمر للشيخ عبد الكريم الجزائري، وصادف أن أجمع الشيخ والحاكم في أحد البيوت، وقبل دخول الحاكم شهد الشيخ فعله صاحب السوط مع الناس. فما لبث الشيخ أن صفعه، ولم يقل الحاكم شيئاً احتراماً للشيخ».

٣- (٣) الحسني، عبد الرزاق: الثورة العراقيه، مرجع سابق، ص ٧٦.

يقول الأستاذ الوردى: «حدثنى أحد شيوخ المشخاب، إن طغار الشلب كان سعره فى العهد التركى يتراوح بين الليره الواحد والخمس ليرات، وصار فى عهد الاحتلال يتراوح بين ٣٥ و ٥٠ ليره» (١)، واستتبع ذلك ازدياد الضرائب، وقد زاد محصول الضرائب فى عهد الاحتلال ثلاثه أضعاف عما كان عليه فى عهد الدوله العثمانيه، «وهناك ناحيه أخرى من التضخم أدت إلى التذمر بين الناس، هى أن التضخم أغرى التجار أن يزيدوا من استيراد البضائع الأجنبيه زياده مفرطه» (٢).

ووصل الحرص المادى إلى درجه كبيره، فوضعت ضرائب متعدده، حتى شملت الموتى والمقابر، فأخذت رسوم، سميت (ضريبه الدفنيه) تؤخذ من ذوى الموتى لغرض دفنهم فى مقبره النجف، ممن بلغ ثلاث سنوات من عمره فصاعداً، «يصف (المستر وينگت Wingate) حاكم النجف هذه الضريبه بأنها مريحه، وإن حصيلتها فى سنه ١٩١٨ كانت (٤٨ و ٠٠٠) روبيه، وينبأ أن يكون دخلها فى العام المقبل (١٠٢٠٠ و ٠٠٠) روبيه، وذلك بعد أن ترفع القيود عن نقل الجنائز. وهناك ضريبه أخرى متممه للضريبه سالفه الذكر وتسمى ضريبه الحجر الصحى (الكرتنيه).. وقد بلغت حصيلتها فى سنه ١٩١٨ (٥٣ و ٠٠٠) روبيه، وتأمل السلطات المحليه أن تبلغ حصيلتها فى السنه القادمه (١٠٢٠٠ و ٠٠٠) روبيه» (٣)، «وعندما يقارن حاكم سامراء بين حصيله ضريبه الأرض فى سامراء فى سنه ١٩١٧-١٩١٨، وفى ١٩١٨-١٩١٩،

ص: ٤١٥

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٥، ص ٢١. (الطغار) مصطلح عراقى فى الأوزان، يعادل عشر وزنات، والوزنه تعادل مائه كيلو غرام، فالطغار يعادل ألف كيلو غرام، والشلب هو الرز. هذا المقدار حسب معلوماتى وما أجبني عليه بعض العارفين العراقيين، بينما يذكر حنا بطاطو فى كتابه، إن الطغار يعادل ألفين كيلو. راجع بطاطو، حنا، مرجع سابق ص ٩٩ بالهامش. أى طنين، وكذلك ص ١٧٢ بالهامش أيضاً.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ١٢٣.

٣- (٣) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ١٧٣-١٧٤.

يقول: إنها ارتفعت من ٢٩٧٤٥ و٢٩٧٤٥ روبيه في سنة ١٩١٨، إلى ١٦٥ و٤٤٩ روبيه في السنة التي تلتها» (١).

وبكلمه موجزه، لقد «تفتن البريطانيون في فرض الضرائب وأسلوب جمعها، فأنهم سلبوا (الحب حتى من منقار الطائر)، واستخرجوا (المخ من العظم) حسب تعبير لسان حال ثوار العشرين، ولم يتورعوا عن إكساء الهارب عن دفع الضريبه ملابس حمراء والطواف به في سوق المدينه.. ووضعوا قواعد محدده رسمياً للجلد بالنسبه للمخالفين» (٢).

بالإضافه إلى ذلك، كان على الشعب أن يدفع تبرعات شبيهه بالإجباريه - كمصدر تمويلى آخر - مثلاً كانت تجمع تبرعات باسم (الصليب الأحمر)، وتبرعات لجمعيه بناء الملاجئ للجنود البريطانيين، وتبرعات لتشيد بناء أثرى للقائد (مود)، وهكذا، وعلى هذا المنوال مما أربك الوضع الاقتصادى فى العراق (٣). ومع ذلك، وبالرغم من قساوه هذه الأوضاع الاقتصاديه التى يمكن تحملها إلى حين، كان الأمر الأدهى والأصعب على العراقيين، الذى استنفر قوى العلماء والشعب للتخلص من السيطره الأجنبيه، هو أن البريطانيين فى العراق عمدوا على ممارسه عاداتهم الاجتماعيه

ص: ٤١٦

-
- ١- (١) المرجع ذاته، ص ٢٧٠. ويذكر المؤلف ارتفاع ضرائب أشجار النخيل فى الشاميه وغيرها أيضاً.
 - ٢- (٢) التكريتى، د. عبد المجيد كامل: الملك فيصل الأول ودوره فى تأسيس الدوله العراقيه الحديثه ١٩٢١-١٩٣٣. وزاره الثقافه والإعلام، دار الشؤون الثقافيه العامه (آفاق عريبه) ط ١، بغداد ١٤١١هـ-، ١٩٩١م، ص ٧٧. عن: جريده (الفرات) فى النجف، العدد الخامس، محرم ١٣٣٩هـ-، ١٥ أيلول ١٩٢٠م.
 - ٣- (٣) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ١٧٢-١٧٣. وللمزيد من معرفه آثار الاحتلال البريطانى وسياسته الإداريه (فرق تسد) وفرض الضرائب الجديده راجع، التكريتى، د. عبد المجيد كامل: المرجع السابق، ص ٦٩-٨٧.

وتقاليدهم الخلقية غير الطبيعيه أمام الرأى العام. تنفيساً عن حالهم، وإرضاءً لغرورهم بالانتصار، فقد مارسوا سلوكيات غير اعتيادية، اصطدمت بالواقع الإسلامى والأعراف العربيه فى البلاد، فأثارت جانب الغيره الإسلاميه والشهامه العربيه فى النفوس لطلب الثأر والانتقام (١).

وهكذا «أقاموا فى دوائرهم موظفين من أراذل النصارى واليهود، وحتى المسلمين، فكانوا عوناً على هتك حرمت الأعراس، وازعجوا العقائل فى خدورهن، وابتزوا الأموال وفعلوا المنكرات.. وفى الواقع أنّ الإنكليز أرادوا أن يحكموا البلاد حكماً مباشراً، فازدروا الناس واحتقروهم.. ولم يكتفوا بذلك بل اصطنعوا طائفه ممن لا خلاق لهم، فقربوهم وأدنوهم حتى جعلوهم أخلص مستشاريهم إمعاناً فى الإرهاق وتنكياً بأهل البلاد الشرعيين لان السياسه البريطانيه كانت تستهدف سحق العنصر الإسلامى» (٢).

وظهر ذلك جلياً فى البصره لابتعادها عن خطوط النار. يقول سليمان فيضى -وهو رجل معاصر للأحداث-: «أدى انتقال الحكم من أيدي العثمانيين إلى الإنكليز، إلى حدوث تبدلات جوهرية فى حياه الناس، وفى القيم الاجتماعيه والسياسيه للأفراد.. فبرزت إلى الميدان طبقه جديده من التجار والمتعهدين والوجهاء بالغت فى الترحيب

ص: ٤١٧

١- (١) ينقل الدكتور الوردى فى كتابه، أنه فى أثناء زيارته لظهران فى صيف ١٩٥٧، التقى السيد أبو القاسم الكاشانى - من علماء الثوره - فكان يحدثه عن طريقته الاستنهاضيه للعشائر، لغرض الالتحاق بثوره العشرين، فكان يدخل على شيخ العشيره فى مضيئه، فيشير نخوته على الطريقه البدويه، وغيرته على الإسلام والأعراس، وكان يوجه كلامه المباشر إلى شيوخ العشائر بأن الإنكليز سيعتدون على أعراسكم إن لم تقاوموهم وتطردوهم من بلادكم - وحينها - ترتفع رايه الجهاد وتنطلق (الهوسات) والأهازيج الثوريه دون تراجع. أنظر: الوردى: المرجع السابق، ص ٢٦٢.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٧٦.

بالمحتلين الجدد، وربطت مصالحها بمصالحهم» (١). أما في بغداد، فاشتدت الأزمة الاقتصادية بعد الاحتلال، فارتفعت الأسعار ارتفاعاً كبيراً، بينما افتقدت المواد الغذائية، فكان يتم توزيع المواد الضرورية كالحنطة والشعير والطحين على شكل بطاقات تموينية على الناس (٢).

ومما يذكر عن إنتاج الحبوب فقد انخفض في سنة ١٩١٨ إلى ربع ما كان عليه في ١٩١٣م، وفي أواخر ١٩١٧ حذر المندوب المدني في العراق من أن المجاعة تهدد السكان، هذه الحالة أدت إلى ارتفاع كبير في أسعار المواد الغذائية ففي الفترة ما بين ١٩١٣-١٩١٨ ارتفع سعر الأرز بنسبه ١٥٠ بالمائه وتضاعف سعر الشاي ثلاث مرات وسعر السكر خمس مرات (٣).

ومن المفيد أن نشير إلى أن بعض الأزمات الاقتصادية، يمكن اعتبارها ضمن التركات الماضيه إلا- أنها استفحلت في عهد الاحتلال، للظروف المستجده وقد شملت المدن والأرياف. ومن أهم المشاكل كانت مشكله الملاكين الغائبين (٤).

ص: ٤١٨

١- (١) فيضى، سليمان: في غمره النضال (مذكرات)، طبع بغداد ١٩٥٢، ص ٢٠٢. راجع: العمرى، محمد طاهر: مقدرات العراق السياسيه، (ثلاثه أجزاء). طبع بغداد ١٩٢٤م، ج ٣، ص ٣-٧. يورد مشاهد عن هذا الانقلاب في الحياه الاجتماعيه للناس، وسلوكيه الإداريين أيضاً.

٢- (٢) البازركان، على: الوقائع الحقيقيه في الثوره العراقيه، مصدر سابق، طبع بغداد، ١٩٥٤، ص ١٥.

٣- (٣) نظمي، د. وميض: الجذور السياسيه، مرجع سابق، ص ٢٤٩-٢٥٠.

٤- (٤) للتفاصيل راجع، فياض، عبد الله: مشكله الأراضى فى لواء المنتفك (الناصرية)، طبع بغداد ١٩٥٦م، وقد أشرنا إلى هذه المشكله أثناء الحديث عن العشائر ومشكله الأراض، فى الفصل الأول من الباب الأول.

إن وعى القيادة المرجعيه على مجريات الأحداث التفصيليه التي يعانى منها شعب العراق، وتصدى المرجع الأعلى - بالذات - لقياده وإداره التحرك السياسى والثورى للأمه من أبرز الأسباب المؤديه للثوره. فقد أصبحت الظاهره الاستيعابيه التي أبداهها القاده الإسلاميون، لمختلف شكواى الناس من سوء السياسه الإداريه لسلطات الاحتلال، هي السمه الأساسيه لتلك المرحله، حيث مهّدت السبيل لتقويه لغه التفاهم المصيريه بين المرجعيه والناس بدرجة عاليه، بحيث أصبحت الأمه في المدن كما في الأرياف، وفي أوساط المجتمع بالعاصمه والمدن المهمه كما في أوساط العشائر، فالأمه بكل تفاصيلها تنتظر الموقف القيادى الصادر من المرجع الأعلى، لغرض تنفيذه مباشره، وبذلك حلت الثقة المطلقه.. [لتشكل]، بين القائد والناس، مما أدى إلى تكامل أسس المواجهه والثوره. «فجاءت فتاوى العلماء.. محفّزاً لهممهم، ومهيّجاً لشعورهم، ولا غرو في ذلك فقد قاد [علماء] الدين الرأى العام في أيام الانقلاب الدستورى، وفي أثناء الحرب العامه، فكانوا من أصدق القواد المتفانين في سبيل مبادئهم، ومن أخلص الزعماء المؤمنين بعقائدهم» (١).

وعليه، فإن الدور القيادى للعلماء الإسلاميين، في الساحه العراقيه، على المستوى الفكرى والسياسى والعسكرى يحدد هويه الثوره، ومنطلقاتها، كما يحدد الهدف

ص: ٤١٩

الرئيس لها وهو إقامه حكومه إسلاميه مستقلة (١).

يقول الدكتور فياض: «يعدّ العامل الديني أهم العوامل وأبعدها أثراً في تحريض العراقيين على الثوره ضد سلطات الاحتلال البريطاني سنة ١٩٢٠م. وقد قام المجتهدون من علماء الشيعة الإماميه، والساكنون في العتبات المقدسه في العراق بدور فعّال في حشد المسلمين العراقيين على قتال الإنكليز، إذ امتنعوا عن التسليم بحقوق العراقيين المشروعه بالاستقلال. وكان هؤلاء العلماء يتمتعون بنفوذ كبير على الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي. ويعتقد الشيعة أن علماءهم نواب أئمتهم فلا يخالفون لهم أمراً ولا فتوى ولا حكماً من الأحكام الشرعيه» (٢).

هذا، وقد استثمرت مسأله ضروره الدفاع عن النفس باستخدام السلاح في أوساط القبائل، باعتبارها مسأله موروثه من أيام العثمانيين ودعت إليها ضروره في أثناء الحرب، وذلك باتجاه الإعداد للمواجهه العسكريه والثوره، وبالفعل لقد شجّع الإسلاميون عموم الناس وخصوصاً أبناء العشائر لشراء العتاد والسلاح، وحثّوهم على حسن التعليم والتدريب. وقد كانت الظروف الماليه مشجعه - قبيل الثوره - لغرض اقتناء هذه الأسلحه، لتطور حركه السوق المحليه - كما أسلفنا - لذلك «عندما احتل الإنكليز العراق، لم يستطيعوا تجريد القبائل من السلاح، بالرغم من الجهود التي بذلوها في هذا الشأن» (٣)، علماً بأن توجه الإسلاميين، هذا - كما يبدو لنا - جاء في الوقت المناسب، حيث أخذ البناء العشائري يتعرّض لاهتزازات واضحه جزاء سياسه

ص: ٤٢٠

-
- ١- (١) ورد في بيان الإمام الحائري الشيرازي في ١٠ رمضان ١٣٣٨هـ. قوله: «وقد قامت جماعه كبيره بتلك المظاهرات مع المحافظه على الأمن طالبين حقوقهم المشروعه لانتجه لاستقلال العراق إن شاء الله بحكومه إسلاميه». راجع بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، ص ٤٤١، بالهامش رقم ٢.
 - ٢- (٢) فياض، د. عبد الله: الثوره العراقيه الكبرى، المرجع السابق، ص ٢٧٢.
 - ٣- (٣) المرجع ذاته، ص ٢٥٨.

سلطات الاحتلال، فقد منح الإنكليز، الدعم المعنوي والمادي لشيخ معين دون غيره في القبائل والمناطق الكبيرة، على أساس تبادل المنفعة، فالشيخ يحفظ الأمن والنظام فيها، مقابل دعمهم الشخصي له، وهذه السياسة «وطلبت سيطرتهم على الريف العراقي، وزادت من الإنتاج الزراعي، إنما هي من الناحية الأخرى جعلتهم مكروهين من قبل عدد كبير من شيوخ العشائر، فهم قد أرضوا بهذه السياسة شيخاً واحداً في كل منطقته، بينما هم أغضبوا الكثيرين فيها» (١).

فكان في تصورهم أن شيوخ العشائر، وأصحاب الأراضي يستغلون الطبقات العاملة والفقيرة في العشيرة، فاتجهوا نحو قبول شكاوى الفلاحين، وأبناء العشائر ضد أسيادهم. وكانوا «يظنون أن هذه السياسة تؤدي إلى زيادة حب الناس لهم، وما دروا أنها قد تؤدي أحياناً إلى عكس ما يظنون. وقد أدرك الأتراك ذلك منذ زمن قديم، فكانوا يتحيزون في أحكامهم نحو رئيس العشيرة لأنهم يعلمون أن رضا رئيس العشيرة عنهم أنفع من رضا أفرادها الصغار» (٢). وإن كان الإنكليز ضمن توجهاتهم الخاصة عملوا على توثيق علاقاتهم مع بعض رؤساء العشائر، فاستمالوهم إلى جانبهم في فترة الاحتلال والثورة فمثلاً «كانت عشيرة البدير برئاسة الشيخ شعلان الشهد تساعد الإنكليز» (٣). وتؤكد (المس بيل) في روايتها عن أحداث الثورة، بأن «شيوخ عفج وآل بدير قرنوا الأقوال بالأفعال. فقد وقفوا بجانب معاون الحاكم السياسي [الكابتن ويب، الذي عين في ١٩١٩/٤/١ م، ارجب ١٣٣٧هـ-]، إلى حين انسحاب القوات البريطانية

ص: ٤٢١

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، الجزء الخامس، القسم الأول، ص ٢٤. للتفاصيل راجع: صالح، زكي: مقدمه في دراسته العراق المعاصر، بغداد ١٩٥٣، ص ١٥ وما بعدها.

٢- (٢) الوردى: المرجع ذاته، ص ٢٦. راجع: العمري، محمد طاهر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦-٧.

٣- (٣) فياض، د. عبد الله: الثورة العراقية، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

من الديوانيه، [وتضيف]: حتى أن أبرز شيوخ آل بدير [وهو الشيخ صكبان] رافق الرتل الإنكليزي إلى الحله» (١).

يقول الدكتور فياض:

«ومن القبائل التي اشتهرت لا بتأييدها للإنكليز فحسب، بل كانت تقاتل الثائرين ضدهم، هي قبيله عنزه، ورئيسها فهد بن هذال.. وكانت قبيله ابو عيسى برئاسة الشيخ على الحسين الكريّم من أكثر القبائل تأييداً للإنكليز في منطقه سامراء.. أما تأييد قبائل الدليم للحكومته الإنكليزيه فهو مشهور» (٢).

وحيثما تتحدث المس بيل عن واقعه مقتل (الكولونيل ليجمن) (٣)، في ١٢ / آب / ١٩٢٠، تصبّ غضبها على الثائرين، وعندها تكشف أمراً مهماً في هذا الصدد فنقول: «لكن عشائر الدليم برئاسة الشيخ على السليمان وعنزه برئاسة فهد بك وابن محروث، الذين تمكّن (الكولونيل ليجمن) بواسطتهم من السيطرة على منطقه الفرات من الفلوجه إلى عان، ظلّوا مواليين للحكومته التي كان يمثلها هو» (٤).

ومع كل ذلك، فإنهم كانوا يسيرون ضد التيار العام - في الوسط العراقي عموماً والعشائري خصوصاً - الذي أوجدته الحاله الإسلاميه بقياده العلماء المجاهدين، لذلك رفعت العشائر - بشكل عام - مضابط موقعه من قبل رؤسائهم تنادي بالاستقلال وإطاعه العلماء المجتهدين. وذلك في صيف ١٩٢٠م، شوال ١٣٣٨هـ، بعد انعقاد أكثر

ص: ٤٢٢

١- (١) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، المصدر السابق، ص ٤٤٧. ويشير المترجم في هامش الصفحه ذاتها إلى الشيخ صكبان، بأنه هو المقصود.

٢- (٢) فياض: المرجع ذاته، ص ٢٦٤-٢٦٥.

٣- (٣) لتفاصيل مقتل (ليجمن) من قبل الشيخ ضاري المحمود شيخ قبيله زوبع، راجع: العلوجي، عبد الحميد والحجيه، عزيز: الشيخ ضاري قاتل الكولونيل ليجمن في خان النقطه، طبع بغداد، ١٩٦٨م، ص ٤٩-٥٥، وستتحدث عن هذه الوقعه فيما بعد.

٤- (٤) بيل، المس: المصدر السابق، ص ٤٥٣.

من مؤتمر واجتماع للعشائر (١) وكان للعلماء الدور الأبرز في تلك الاجتماعات، يقول (الجنرال هالدين): «شهدت أشهر صيف سنة ١٩٢٠م نوعاً من اليقظه في الشعور الوطنى الذى كان راقداً فيما سبق، فى نفوس أبناء القبائل العراقيه. وقد وجدت الدعاه الدينيه، ودعاوه شرفاء مكه آذاناً صاغيه فى تلك القبائل، فأسفرت جهود الدعاه عن قيام عدد ضخم من الثوار المسلحين ضد قواتنا» (٢) .

ومن هنا يستنتج الدكتور فياض - فى دراسته - هذه الحقيقه، فيقول (٣): «يلوح لى، أن العامل الدينى هو الأول فى إثارة القبائل ضد الإنكليز، وقد ظهر أثر هذا العامل واضحاً فى الشعر الشعبى الذى كان يترنم به أفراد القبائل أثناء القتال مع الإنكليز، فقال أحدهم وهو يعاتب الشيخ خيُون العبيد، رئيس العبوده فى قضاء الشطره، لتقاعسه عن قتال الإنكليز، بالرغم من أن الواجب الدينى، وهو الجهاد، يفرض عليه قتالهم:

ص: ٤٢٣

١- (١) يورد الدكتور فياض نماذج من هذه المضابط فى كتابه: الثورة العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٢٦٥-٢٦٧.

٢- (٢) Halddan, A.L, The Insurrection in Mesopotamia. ١٩٢٠, Edinburgh, ١٩٢٢. P. ٢٨()

٣- (٣) فياض، المرجع السابق، ص ٢٥٩. وللعلم أن خيُون قاتل الإنكليز عند دخولهم العراق إلا أنه سالمهم فيما بعد ولم يشترك فى ثوره العشرين. راجع كتاب (الكويت وجاراتها) لديكسن. يبدو أن هذا الرجل خير نموذج للشخصيه المتقلبه فى الموقف على ضوء المصالح والعواطف، يذكره الأستاذ الوردى فى لمحاته بقوله: «..ومن الجدير بالذكر هنا أن هذا الرجل تقلب عدة مرات خلال الحرب، فكان مع الإنكليز تارةً، ومع الأتراك تارة أخرى»، شارك مع عشائر الشطره فى معركة الشعبيه، وحينما حلت الهزيمه بالأتراك فى تلك المعركه قام خيُون بحمايه السيد محمد سعيد الجوبى بعد إنسحابه إلى الناصريه. وحين بدت بوادر انتصار الإنكليز وقد سقطت الكوت، ذهب إلى الناصريه وقابل حاكمها السياسى (الميجر هاملتون) واستقبله بتكريم بالغ، وكلفه بإداره الشطره نيابه عن السلطه البريطانيه، ولم تدم هذه الحاله طويلاً، حيث انقلب ضد الإنكليز حين هزيمتهم فى سلمان باك. والحكومته التركيه عينته قائممقام الشطره براتب شهرى، وعند احتلال بغداد فى آذار ١٩١٧م ضاقت به الأرض ولكن الإنكليز أغروه فصار صديقهم وخدمهم أثناء ثوره العشرين. الوردى، لمحات اجتماعيه، ج ٤، ص ٢٤٦-٢٥١.

يا خيَّونَ سنهوَ (١) المانعك لليم تندله (٢)، فرض مثل الصلاه والصوم

أظن إبليس غشك بالطمع والنوم سو جته عاد اسكن بيها.. (٣)

ظل خيَّون جاعد (٤) سنهوَ المعطله يكثر للدنيا أو دينه امبطله (٥)

اگصور يريد فضه يو ذهب حطله (٦) ايكنزه وبه ايجونه (٧)

وفي قضاء الرميته بدايه الثوره، صرخت إحدى النساء بأهزوجه جهاديه (هوسه) أى أنشوده للتحريض على قتال الإنكليز، فقالت:
«حل فرض الخامس كموله» (٨).

ومن هذه الأمثله والنماذج الشعبيه، يتبين عمق الشعور الإسلامى إلى مستوى الجهاد والتضحيه لدى الناس بشكل عام، هذه الحقيقه لا بد أن تبقى ماثله أمام المحللين السياسيين لتأريخنا، إلى جانب الشعور الإسلامى المكثف لدى رؤساء العشائر وأعيان

ص: ٢٢٤

١- (١) سنهوَ، بمعنى ماهو؟

٢- (٢) تندله: باللهجه العراقيه بمعنى، أنت تعرف الجهاد فرض واجب كفرضى الصلاه والصوم.

٣- (٣) سو جته: بمعنى، اتعب وشيد جته عاد واسكنها لوحذك. لهجه واضحه بالتهكم والازدراء.

٤- (٤) جاعد: بمعنى قاعد أى متقاعد عن الجهاد والالتحاق بالثوار.

٥- (٥) بمعنى، انه منغمس نحو حب الدنيا منشغل فيها، وتارك أوامر الدين بالجهاد والثوره.

٦- (٦) اگصور، بمعنى قصور. يو، بمعنى أو، حطله أى حط له وأعطيه.

٧- (٧) ايجونه: أى يحرقونه بالذهب والفضه حين يكثرهما. وفي ذلك اقتباس واضح من الآيه الكريمه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصِيدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ سورة التوبه ٩، آيه ٣٤-٣٥.

٨- (٨) أى حان وقت الفرض الخامس من فروع الدين وهو الجهاد ضد الكافرين، فقوموا لأداء هذا الفرض الإلهى. للوقوف على نماذج من أمثال هذه الهوسات والأهازيج الشعبيه، المليئه بمفاهيم الجهاد الإسلامى. راجع د. فياض: المرجع السابق، ص ٢٥٩-

٢٤٥.

المدن، الدافع للارتباط المصيري بالقرار الجهادي للمرجع الأعلى. هاتان الحقيقتان - كعالمين شاخصين للتحرك الإسلامي آنذاك - فرضتا على القيادة الإسلامية خيار التوجه الفعلي لقيادة الحالة الجهادية، لا من خلال إصدار الفتاوى فحسب، وإنما بتثبيت خطه ميدانيه متكامله، تتوجه من خلالها طاقات الأمة نحو الهدف المحدد. وها هنا نشير إلى أن الخطه القياديه التي ارتكزت على الشعب المنفذ للفتاوى بشكل مباشر. لم تتجاوز دور الكادر الوسط - الديني والثقافي - في الساحه. فمع شدة التماسك بين المرجع والناس، كان للطبقة العلمائيه الوسطى كالخطباء ووكلاء المراجع وأساتذه الحوزات وطلبه العلوم الدينيه، وكذلك الطبقة المثقفه من الأساتذه والمؤلفين، الدور الأهم في استشارات المرجع الأعلى، وإيصال المعلومات التامه عن الساحه، وكذلك نقل توجهات المرجع والقياده الإسلاميه إلى القواعد الشعبيه. وقد حصل تعاون وثيق داخل الطبقة الوسطى بين المحورين، الديني والثقافي، يقول الوردى: «حصل في عهد الاحتلال تعاون وثيق بين الأفنديه والملائييه، وكان لهذا التعاون أثره الكبير في التقارب الطائفي الذي ظهر بوضوح في أيام الثوره.. إن الأفنديه أدركوا ما للملائييه من نفوذ قوى وكلمه مسموعه في أوساط العامه..» (١).

لذلك شخصت سلطات الاحتلال هذه الخطوره من النفوذ الكبير لعلماء الدين منذ بدايه الاحتلال، تقول (المس بيل)، في إحدى رسائلها بعد إعلان الهدنه في تشرين الثاني ١٩١٨م، محرم ١٣٣٧هـ: «لست أدري، ماذا يفكر أصدقائي المسلمون بعد انتصارنا على الأتراك.. أما علماء الدين فلا بد أنهم يشعرون بالمراره لما أصاب سيف الإسلام من إنكسار، ولكن الجميع يشاركون في الأمل بأننا سوف نعطيهم الرفاه في

ص: ٤٢٥

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ٣٩. الجزء الخامس. القسم الأول. وكذلك راجع: البازركان، على: الوقائع الحقيقيه، مصدر سابق، ص ٧٧-٧٨. وهو من الأفنديه المعاصرين للأحداث وكانت علاقته بالعلماء وثيقه وتعاونه معهم كان جيداً ومهماً في بغداد والكاظميه و سامراء.

المستقبل» (١)، وتقول أيضاً: «إن المشكله عندنا هي كيف نستطيع أن نتفاهم مع الشيعة. وإنى لا أقصد سكان الريف حيث أن صلتنا بهم جيدة، وإنما أقصد سكان العتبات المقدسه المتدينين، وخاصة زعماء الدين، أى المجتهدين الذين بيدهم الحل والعقد» (٢).

ولابد أن نشير هنا، إلى أن البريطانيين أثاروا الحساسيات الطائفية من جانب، والتفرقه الدينيه من جانب آخر، خدمه لأهدافهم التسليطيه، يقول الدكتور عبد المجيد كامل التكريتي: «فحسبما يبدو من التقرير الإدارى عن شهر تشرين الأول سنة ١٩١٨، أن البريطانيين كانوا ينوون تعيين قاض سنى فى النجف، كما أصدرت تعليمات غريبه تقضى بأن يرتدى العمال زياً موحداً حسب إنتمائهم القومى والطائفى. فقد أصبح لزاماً على العمال العرب من السنه العاملين فى مشاريعهم أن يرتدوا كوفيه حمراء وعقالاً أسود، فيما كان على إختوتهم من عمال الشيعة أن يرتدوا كوفيه زرقاء وعقالاً أبيض. وحاولوا أيضاً دغدغه عواطف المسيحيين الدينيه وربطهم بهم بوشائج قويه.. [وقد] وردت إشارات صريحه فى التقارير البريطانيه الخاصه التى تعود إلى تلك السنوات، إلى تعلق آمال المسيحيين بالبريطانيين» (٣).

وبالرغم من ذلك استطاعت القيادة الإسلاميه المتمثله بمراجع الدين أن يحبطوا تلك المحاولات بالتمسك بالوحده الإسلاميه لضمان وحده المسلمين بمختلف مذاهبهم وقومياتهم، وبالوحده الوطنيه لضمان وحده العراقيين بمختلف أديانهم وطوائفهم. فقد أصدر الشيخ محمد تقى الشيرازى - المرجع الأعلى - فى أواخر ١٣٣٧هـ - صيف عام ١٩١٩م توجيهاته إلى العراقيين الشيعة بحضور مساجد السنه، وتابعه فى ذلك الشيخ

ص: ٤٢٤

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ٢٢، عن: ١٠٠، p. ١٩٦١، London، Gertrude Bell، vol. ٢.

٢- (٢) فياض: المرجع السابق، ص ٢٣٠. بالهامش عن: Bell، The Letters of Gertrude Bell، vo ١. ٢، London ١٩٤٧، p. ٢٩٣.

٣- (٣) التكريتي، د. عبد المجيد كامل: مرجع سابق، ص ٧٤-٧٥.

مهدي الخالصي في الكاظميه (١٢٧٦-١٣٤٣هـ، ١٨٥٩-١٩٢٥م) بتوجيهات مماثله.

وبالفعل فقد زار جمع من العلماء الشيعة منطقه الاعظميه ببغداد للتشاور مع علماء السُّننه فيها. ويعلق الشيخ محمد رضا الشيبى على هذه الزياره بقوله «لقد كانت زياره اعلام الشيعة هذه للأعظميه وانبرأؤهم فيها لتأليف القلوب، أول زياره فى التاريخ وقعت من نوعها بين الفريقين» (١).

هذا وستوضح خطه الإعداد الثورى أثناء حديثنا عن الإمام الشيرازى مفجر الثورة ضد المحتلين، وعن كيفية توظيف الإساءه العامه من سياسه المحتلين باتجاه الثورة، وكذلك كيفية استثمار طاقات المثقفين نحو شحذ الهمم، حيث رعيت الاجتماعات المكثفه من قبل الإمام وابنه الميرزا محمد رضا الذى كان فاعلاً بدرجة عاليه لغرض التصعيد إلى مستوى المواجهه السياسيه فى بغداد وغيرها ومن ثم المقاومه العسكريه المسلحه. يقول الدكتور الوردى: «إن بوادر الحركه الوطنيه ظهرت فى بدايه الأمر فى بغداد وكربلاء، أولاهما بتأثير الأفنديه [أغلب الموظفين والضباط فى العهد العثمانى]، والثانيه بتأثير الشيرازى وحاشيته ولا سيما ابنه الميرزا محمد رضا، ثم سرت عدوى الحركه بعدئذٍ إلى المدن والمناطق الأخرى» (٢). فجاءت حلقات الخطه متلاحقه زمنياً يكمل بعضها بعضاً، فالقياده الدينيه سعت إلى التركيز على توظيف طاقات الأئمه الفكرية والماليه والجهاديه، وعلى استيعاب وتوجيه تطورات الساحه الإسلاميه والوطنيه فى بغداد، وعلى رعايه الاجتماع المركزى فى كربلاء الذى ضمّ العلماء ورؤساء العشائر ووجهاء المدن، إلى صدور فتوى الجهاد المقدس، وإلى تفجير الثورة فى الرميته، وانتشارها فى معظم مناطق العراق. كل هذه التطورات الحركيه والسياسيه على ساحه العراق سنتدرج معها بتطور الأحداث وتلاحقها فيما يأتى من دراستنا.

ص: ٤٢٧

-
- ١- (١) نقلاً عن الميلاد، زكى: خطاب الوحده الإسلاميه - مساهمات الفكر الإصلاحى الشيعى، دار الصفوه، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. ص ١٠٧-١٠٨.
 - ٢- (٢) الوردى: المرجع السابق، ص ٩٢.

انتقل الإمام الحائري من سامراء إلى كربلاء في ٢٣ شباط ١٩١٨م، ٢ جمادى الأولى ١٣٣٦هـ، وكان يوم وصوله إلى كربلاء يوماً مشهوداً، فخرجت الجماهير نساءً ورجالاً لاستقباله (١). وكانت الأجواء العامه في الساحة الدينيه والسياسيه تشير إلى أنه خليفه المرجع الأعلى السيداليزدي.

وبالفعل، بعد وفاه السيد محمد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩م، ٣٠ رجب ١٣٣٧هـ، أصبح الشيخ الحائري الشيرازي المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة، وسلاحظ انضواء العراقيين بشكل عام تحت لوائه.

وكانت قد شخّصت دوائر الاحتلال مؤهلات الشيرازي القياديه منذ البدايه، فأولته اهتمامها الكبير بعد رحيل سلفه السيد اليزدي، ففي ٥ أيار أي بعد خمسه أيام من وفاه اليزدي، كتب نائب (ويلسن) (الكولونيل هاول) رساله إلى الإمام الشيرازي يعزیه بوفاه الإمام اليزدي، ذاكرأ فيها إشارات خاصه، يمتدح فيها سلفه، وهي تحمل دلالات واضحه لرسم النهج ذاته، في التزام جانب الهدوء والسكينه، بالرغم من تطور الظروف وتصاعد الأزمه، فكانت رساله تعزیه ولكنها لا تخلو من محاوله تلقين

ص: ٤٢٨

١- (١) الوهاب، عبد الرزاق: كربلاء في التاريخ، طبع بغداد ١٩٣٥، ج٣، ص٢٤.

إملاءاتهم المطلوبه (١). ومن ثمّ قام (ويلسون) بزيارته في حزيران ١٩١٩، إلى بيته في كربلاء. ومما يذكر أنه طرح عليه في بدايه حديثه إلتزام الإشراف على مقام الإمامين العسكريين في سامراء، ليستدر عواطفه بهذه الإثارة التي تنفعه طائفيّاً، ولتكن بدايه لاستدراجه واحتوائه من قبل سلطات الاحتلال، وبالفعل طلب (ويلسون) من الشيرازي ترشيح رجل من الشيعة ليحل محل سادن الروضه الحالي وهو سني المذهب، ولكن خاب ظنه حينما أجابه الإمام بقوله: «لا فرق عندي بين السني والشيعي، أن (الكليدار) (٢) الموجود رجل طيب، ولا أوافق على عزله» (٣). ولما فشل (ويلسون) في محاولته هذه، عرض عليه استعداداته لتنفيذ أوامره، فأستثمر الإمام هذا العرض مباشرة، فطلب منه التعجيل بالرحيل عن البلاد وتنفيذ العهود البريطانيه بشأن استقلال العراق، موضعاً له بأن هذا هو طلبه الوحيد (٤). ومن الطبيعي كان لهذا الموقف أثره السلبي لدى المحتلين ترجم بالخيبه وإعاده الحسابات، بينما آنعكس في نفوس العراقيين بالعزّه والصلابه والالتفاف الفعلي حول الشيخ القائد، وذلك لأنه ركّز على الهدف

ص: ٤٢٩

١- (١) مما جاء في رساله: «كان [السيد اليزدي] تقياً وورعاً، عالماً علامه. محباً للخير والوطن، عاملاً على تسكين الخواطر، ناصحاً عاملاً، رشيداً حكيماً، حازماً هماماً، محرصاً للناس على التزام جانب السكينه، هادياً لهم إلى طريق الخير والصلاح، ناهياً لهم عن ارتكاب الهفوات والغلطات..». هذه اللغه واضحه الدلاله من باب (إياك أعني وآسمعي يا جاره). للاطلاع على نص الرساله راجع: الوهاب، عبد الرزاق: المصدر ذاته، ص ٥٧-٥٨.

٢- (٢) (الكليدار) هو سادن روضه الإمامين، علي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري (عليهما السلام)، وهما الإمامان العاشر والحادي عشر - من أئمه المسلمين الشيعة - الاثني عشر.

٣- (٣) الوهاب، عبد الرزاق: المصدر نفسه، ص ٥٩-٦٠. يبدو أن مستشاري (ويلسون) كانوا على خطأ كبير في إثارة مراجع الشيعة ضد إخوانهم السُنة. وفاتهم أن يدركوا أن إثارة القلاقل والفتن الطائفيه هي من صنع العملاء أو الجهله بتدبير من الاستعمار. وهذا الأمر لا يخفى على المسلم الواعي فكيف بالمرجع الديني.

٤- (٤) محمد كاظم، عباس: ثوره الخامس عشر من شعبان، مرجع سابق، ص ١٧٦.

الرئيس الذى تجتمع عليه الأمة، سنه وشيعه، ومما يذكر فى هذا المقام أن الإمام نجح فى مسعاه لتوحيد جهود الطائفتين للعمل من أجل إنقاذ العراق (١)، وقد ظهر ذلك جلياً فى بغداد خلال شهر رمضان (١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م)، ومن هذا المنطق بدأت تتحرك المسيره التحريريّه نحو ساعه التفجير الثورى، كما كانت تشير تطورات الأحداث، فالمرجع الأعلى متوثب فى الميدان، وبقية المجتهدين والحوزه الدينيه والسياسيين الوطنيين بل وعموم العراقيين، مع كل خطواته فى التصدى والجهاد. وسنلاحظ توحيد الطاقات الحركيه المنطلقه من عده توجهات شعبيه ومحليه ضمن نطاق العمل الوطنى، وهى متمحوره حول الهدف المركزى الموحد الذى كرسه الإمام الحائرى فى الأمة، والذى عزز موقعه القيادى فى الأوساط العراقيه بشكل عام، فهو بالإضافة إلى مكانته العلميه - الدينيه، كان يتمتع بكفاءات شخصيه نادره، يقول السيد محمد على بحر العلوم فى حديثه مع على البازركان: «إن الميرزا الشيرازى له مكانه كبيره.. وهو ذو جرأه وحزم وإقدام لا تصدّه إذا أندفع إليه قوه» (٢)، لذلك اجتمعت كلمه المسلمين تحت رايته، واستوعب تحرك الوطنيين ضمن خطته العامه، يقول الدكتور فياض: «يظهر أن الإمام الشيرازى كان يعتقد أن مسانده الحركه الوطنيه أمر يمليه عليه الواجب الدينى، وأن نجاح هذه الحركه يعنى زوال حكم غير إسلامى، وإحلال حكم إسلامى محله» (٣). وبذلك

ص: ٤٣٠

- ١- (١) البصير، محمد مهدى: تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٠.
- ٢- (٢) البازركان، على: الوقائع الحقيقيه فى الثوره العراقيه، مصدر سابق، ص ٧٨.
- ٣- (٣) فياض، المرجع السابق، ص ٢٧٣. والملاحظ على الحركات والأحزاب الوطنيه والسياسيه التى أنشأت فى تلك المرحله، أنها لم تكن علمانيه المنهج، خارجه عن الإطار الإسلامى العام، وإنما «اعتمدت الأوساط السياسيه العمل الحزبى كأسلوب فى العمل من أجل استقلال العراق، وقد جاءت المبادرات اللاحقه على أيدي علماء الدين بالدرجه الأولى، وعلى أيدي الشخصيات الإسلاميه، أو ذات الميول الإسلاميه بالدرجه الثانيه. حيث نلاحظ أن غالبية الأحزاب كانت تضم فى قياداتها علماء دين.. ووفرت هذه الصفه المشتركه أرضيه للتقاء والتفاهم بين الأحزاب السياسيه التى شهدت تنسيقاً جيداً فيما بينها فى العمل السياسى المعارض، رغم التفاوت بينها

تحقق الربط الفعلى بين عموم الناس والقياده فى المسيره الجهاديه، ضمن خطه الإعداد الثورى التى بلورت هذا التماسك المصيرى مع المرجع القائد. ويمكننا أن نقول: إن هذه المسيره امتلكت مقومات النجاح، لوجود القائد الواحد، يعنى توافر وحده القياده، ووحده صفوف المعارضه، ووحده الأهداف العامه. بالإضافة إلى العمق الشعبى الكبير لشخصيه الإمام حيث أصبح الرمز القيادى لجميع المسلمين بكل طوائفهم، بل لكل العراقيين بكل أطرافهم الحركيه والثقافيه والسياسيه.

ولقد كانت خطوات الإعداد تتركز حول تنظيم إداره الوضع الحركى والسياسى للمعارضه العامه، ومباشره الأعمال السياسيه والإعلاميه، وكذلك التحرك نحو التعبئة العامه للأمة، لغرض مواجهه السلميه، فإن حصلت بواسطتها الأهداف المرجوه فيها، وإلا- فإلى مواجهه المسلحه ضد قوات الاحتلال. ضمن هذه الخطوط العريضه تحركت مسيره التحرير، بتوجيهات القياده الميدانيه، وعلى رأسها الإمام الشيخ الحائرى الشيرازى.

ففى المجال الإدارى، أنصبت الجهود نحو لملمه القيادات الدينيه الثانويه إلى جانب

زعماء العشائر، ووجهاء المدن، خصوصاً في مناطق التوتر السياسي - الفرات الأوسط -، وربطها بالإمام القائد. وفي هذا الصدد تم تأسيس (الجمعيه الإسلاميه) في كربلاء وهي جمعيه سرية تعني بشؤون التحرك والثوره وذلك في تشرين الثاني ١٩١٨م، محرم ١٣٣٧هـ - (١) برئاسه نجل الإمام الشيخ محمد رضا، وكان في عضويتها: السيد هبه الدين الشهرستاني، والسيد حسين القزويني، والسيد عبد الوهاب آل طعمه، وعبد الكريم العواد، وعمر العلوان، وعثمان العلوان، والشيخ محمد حسن أبو المحاسن، وظيفح الحسون، وعبد المهدي القنبر، ومحمد علي أبو الحب (٢). وكان هدفها توحيد الكلمه في مواجهه الاحتلال البريطاني، والسعي للحصول على استقلال العراق بزعامه ملك مسلم (٣). كما - أشرنا إلى ذلك سابقاً - كما وأسس الإمام الشيرازي جمعيه أخرى هي (الجمعيه الوطنيه الإسلاميه) ضمت: عبد الحسين المنديلاوي، ومهدي المولوي، ويحيى الزرندي وغيرهم. وقد أسس السيد أبو القاسم الكاشاني في الكاظميه جمعيه سرية هي (الجمعيه الإسلاميه) كان يدعمها شيخ الشريعه الاصفهاني. وأيضاً أسس الحزب النجفي السري في تموز ١٩١٨م، ١٣٣٦هـ - ضم عدداً من علماء الدين في النجف، من أبرزهم: الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ جواد الجواهري، السيد محمد سعيد كمال الدين، الشيخ حسين العلي، الشيخ عبد الحسين مطر، والشيخ محمد علي القسام، بالإضافة إلى بعض رؤساء العشائر ورموز المجتمع، أمثال: السيد علوان الياسري، السيد كاظم العوادى، محسن شلاش، هادي زوين،

ص: ٤٣٢

- ١- (١) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسي المعاصر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٠٩.
- ٢- (٢) الوهاب، عبد الرزاق: كربلاء في التاريخ، ج ٣، ص ٢٥. وكذلك طعمه، سلمان هادي: كربلاء في ثوره العشرين، ص ٤٤. ويطلق المؤلف إسم (الحزب الوطني الإسلامى) على هذه الحركه.
- ٣- (٣) للتفاصيل راجع: الوردى، د. علي: المرجع السابق، ج ٥، القسم الأول، الفصل الثامن، بعنوان: نشأه الحركه الوطنيه في كربلاء، ص ١٠٣-١١٢.

ولهذه التطورات والمواقف العمليه للشيخ المرجع على المستوى الحركي والتنظيمي، أصبح بمنزله القطب من رحي الحركة العراقية، وبالفعل التفّ السياسيون الوطنيون حول شخصيته بأعتباره القائد المنقذ للعباد والبلاد، وذلك لما عرفوه من تمتعه برؤيه سياسيه ناضجه، وحس وطني إسلامي مستقل، وقرارات ثوريه حاسمه، «وقد لعب الميرزا محمد رضا، نجل الإمام الشيرازي، دوراً رئيسياً في العمل للحركة الوطنيّه، وفي توثيق الصله بين أبيه الإمام الشيرازي وبين قاده الحركة السياسيين» (٢).

وظهرت آثار هذه الإداره بشكلٍ جلي في أيام الثورة وما بعدها، حيث تشكّل مجلس لقياده الثورة في كربلاء بزعامه الإمام الحائري ضم عدداً كبيراً من علماء الدين، بالإضافة إلى رؤساء العشائر وزعماء المجتمع، لغرض الإعداد للثوره المسلحه وتوجيهها ميدانياً. وبالفعل لقد «أظهرت الشهور الأربعة التي سبقت قيام الثورة، الدور القيادي الحاسم للعلماء في الدعوه والتحصير لها. أما بعد قيام الثورة فقد تمثل هذا الدور في الإشراف العام، الديني والسياسي، على الشؤون العسكريه والسياسيه والإداريه، عبر قياده وتوجيه الهيئات والمؤسسات التي أنشأت إبان الثورة، بشكلٍ مباشر..» (٣). ومما

ص: ٤٣٣

١- (١) شبر، حسن: المرجع ذاته ص ٢٠٩-٢١٠. الشيخ عبد الكريم الجزائري، هو عالم جليل، وأديب كبير، وسياسي مجاهد. ولد في النجف ١٢٨٩ وتوفي سنة ١٣٨٢هـ-، درس على يد كبار المجتهدين أمثال: الآخوند الخراساني والسيد اليزدي وشيخ الشريعه الاصفهاني - شارك في الجهاد ضد الإنكليز سنة ١٩١٥م في جبهه القرنه بالجنوب إلى جانب العلامة السيد علي الداماد. وكان من مستشاري الشيخ الشيرازي - قائد ثوره العشرين - ومن رجال الثورة المميزين. كما وأصبح المستشار الأول للمرجع الأعلى السيد أبو الحسن الاصفهاني - فيما بعد - للتفاصيل راجع، آل سميمس النجفي، الشيخ محمد حسن: سحر البيان وسمر الجنان - لبنان - بيروت دار البيان العربي، ط ١، ١٤١٤هـ-، ١٩٩٣م، ص ٣٦٨-٣٦٩.

٢- (٢) فياض، عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

٣- (٣) الرهيمي، عبد الحلیم، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

يذكر حول نشاطات نجل الإمام الحائري، بالإضافة إلى ما أسلفنا من نشاطه في توثيق العلائق بين أبيه والقاده السياسيين. فقد كان نشيطاً جداً في فعالياته وتحركاته بين القبائل والمدن لغرض توحيد صفوفها وتنظيم جهودها، للوقوف وقفه رجل واحد ضد سلطات الاحتلال. وكان يعدّ هو وجهازه الحركي منبع الحركات المناوئه في الفرات الأوسط، ورد ذلك في تقييم السلطات - أيضاً- (١).

أما في إطار العمل السياسي والإعلامي، فقد تكثفت النشاطات السياسي والإعلاميه من قبل القيادات الدينيه والسياسيه، وعلى رأسها نشاطات الإمام الحائري في هذا الاتجاه. فقد مارس ضغوطاً دوليه على بريطانيا، فقدم رساله إلى الوزير المفوض الأمريكي بطهران - سرّاً - يوضح فيها تعسف سلطات الاحتلال البريطاني في العراق، وذلك في ١٣ شباط ١٩١٩م، ١٢ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ- مستعيناً في حجته بحق تقرير المصير الذي أعلنه الرئيس الأمريكي (ويلسون). وكانت الرساله واضحه المطالب، وقد ختمها بتوقيعه وتوقيع الشيخ فتح الله الأصفهاني - الذي يليه في المرتبه القياديه.

ومما ورد فيها:

«..وبما أنكم كنتم صاحب المبدأ في هذا المشروع، مشروع السعاده والسلام العام، فلا بد أن تكونوا الملجأ في رفع الموانع عنه، وحيث وجد مانع قوى يمنع من إظهار رغائب كثير من العراقيين على حقيقتها بالرغم مما أظهرته الدوله البريطانيه من رغبتها في إبداء آرائهم، فرغبه العراقيين جميعهم والرأى السائد، بما أنهم أمه مسلمه أن تكون حريه قانونيه واختيار دوله جديده عربيه مستقله إسلاميه، وملك مسلم مقيد بمجلس وطني. وأما الكلام في أمر الحمايه فإنّ

ص: ٤٣٤

١- (١) راجع للتفاصيل، الوردى: د. على: المرجع السابق، الفصل الثالث عشر (نشاط ابن الشيرازي ونفيه) ص ١٩٧-٢١٥. ويورد رساله من أحد رؤساء الغراف إلى نجل الإمام كدليل على محوريته في الإدارة، ورسائل أخرى صادره عنه تدل أيضاً على أهميته المميزه في دوره القيادى. ولأهميته قررت سلطه الاحتلال اعتقاله ونفيه.

رفضها أو الموافقه عليها يعود إلى رأى المجلس الوطنى بعد الانتهاء من مؤتمر الصلح..» (١).

هذا وقد نشطت الحركة السياسيه داخل الأوساط العراقيه، فنظمت مضابط توكيل فى معظم مناطق العراق بعثت إلى الحكومه الشريفيه فى الحجاز وسوريه، كوسيله من وسائل المواجهه السياسيه، لغرض تمثيل العراق فى المؤتمرات الدوليه، ومؤتمر الصلح فى باريس - بالذات - (٢). «وكانت المضابط التوكيليه التى أرسلها الشيخ محمد رضا الشيبى فى أواخر حزيران ١٩١٩ [أواخر رمضان ١٣٣٧هـ-]، من العراق إلى الشريف حسين فى الحجاز أكثر المضابط التى نظمت فى هذا الخصوص أهميه لكثيره الموقعين عليها ولأهميتهم الدينيه والسياسيه» (٣). ومما يذكر فى المجال الإعلامى، أن مضابط المطالبه بالاستقلال التى نظمت فى بغداد بعثت إلى سوريا بغيه نشرها فى الصحف الأجنبيه، وكذلك ليطلع عليها فيصل وأعضاء الحكومه، وكما قدمت نسخ منها إلى القنصليات: الأمريكيه والفرنسيه والإيرانيه فى بغداد (٤). وكان لرساله الإمام الحائرى للشريف حسين، أثرها المميز. حيث أجابه الشريف فى ٢٤ ذى الحجه ١٣٣٧هـ-، ١٩ أيلول ١٩١٩م برساله خاصه يتعهد من خلالها ببذل الجهد لتحقيق الأهداف المرجوه، ويطمئنه على ذلك. وقد أرسل المضابط إلى ابنه فيصل الذى كان فى باريس لغرض الحضور فى مؤتمر الصلح، طالباً منه الدفاع عن حقوق العراقيين (٥).

ص: ٤٣٥

١- (١) نص الرساله، تجدها عند الوردى: المرجع السابق، ص ١٠٤-١٠٥. وسنذكرها فى الملاحق.

٢- (٢) بعثت هذه المضابط من بغداد وكربلاء والنجف والموصل وبقية مناطق العراق.

٣- (٣) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٣٢، ويورد الحسنى نص إحدى هذه المضابط ويشير إلى الصعوبات التى اعترضت الشيبى فى طريق الوصول إلى الشريف حسين وخاصه محاولات إلقاء القبض عليه فى البصره. راجع الحسنى: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٨٤-٨٥، وكذلك الوردى فى المرجع ذاته، ص ١٢٢-١٢٥. تحت عنوان (إيفاد الشيبى).

٤- (٤) البازرگان، على: الوقائع الحقيقه - المصدر السابق - ص ٨٦-٨٧.

٥- (٥) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٢٣، نص رساله الشريف إلى الإمام الحائرى تجدها لدى: الوهاب: المصدر السابق، ص ٧٥.

وعلى العموم، فإن هذا التصعيد السياسي والإعلامي للمعارضه العراقيه أربك السلطه المحتله، ودفعها لاعتقال سته أشخاص من أهالي كربلاء هم أعوان الميرزا محمد رضا نجل الإمام، كأسلوب وقائي، وذلك في ٢ آب ١٩١٩م، ٦ ذى القعدة ١٣٣٧هـ، وتمّ ترحيلهم إلى بغداد بغية نفيهم إلى الهند، وهم: عمر العلوان، وعبد الكريم العواد، وطليفح الحسون ومحمد علي أبو الحب والسيد محمد مهدي المولوي والسيد محمد علي الطباطبائي.

وعلى أثرها بعث الإمام رساله إلى (ويلسون) في ٥ آب ١٩١٩م، ٩ ذى القعدة ١٣٣٧هـ، يحتج فيها على تسفيرهم ويطلب إخلاء سبيلهم، ودافع عن طريقتهم السلميه في المطالبه بحقوقهم المشروعه. فأجابه (ويلسون) برساله مفصله، يدافع من خلالها عن الأجراء الوقائي، ولكن نزولاً لرغبه الإمام سيتم تسريح السيد الطباطبائي وإرساله إلى سامراء تحت الرقابه العامه، وفي حاله عدم التزامه يتم اعتقاله ونفيه، أما السيد المولوي فسينفى إلى الهند بلده الأصلي، وأما الأربعة من أهالي كربلاء فإنهم ينشرون الإشاعات الكاذبه ضد الإنكليز ويشوشون أذهان الناس (١) وكان هذا الجواب مؤلماً للإمام الحائري، وعلى أثره استخدم تكتيكاً ذكياً أدى إلى إطلاق سراحهم. حيث أعلن عن عزمه للهجره إلى إيران وقياده الجهاد ضد الإنكليز من هنا. فتوالت عليه الرسائل من العلماء ورؤساء العشائر وأعيان المدن، فتألب الرأي العام ضد اعتقالهم، وضد رساله (ويلسون) أيضاً. ومما جاء في إحدى الرسائل - كمثل:- «..إن حادث كربلاء المقدسه أقام قيامه العلماء وكدرّ خواطر الفقهاء، أدمى القلوب وأبكى العيون، كيف لا، وأنه اعتداء على مقام الإسلام، وتوهين بمنازل العلماء الأعلام.. يا حجه الإسلام، لم يبلغنا خبر هجرتكم إلا وصمّنا على اتباعكم والسير على منهاجكم فلا

ص: ٤٣٦

١- (١) نص الرساله، لدى الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٩٠-٩٢ وكذلك الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٠٦-١٠٨.

تطيب لنا بعدكم دار، ولا يكون لكافه أهل العلم قرار، فأمرونا فإننا ممثلون طوع أمركم، ورهن إشارتكم..» (١).

فما وجد (ويلسون) خياراً أمامه سوى استرضاء الإمام الحائري، وتراجعته عن رسالته غير الحكيمه، فأمر بإعادتهم بعد مضي أربعة شهور من إبعادهم، فعادوا إلى كربلاء في ٢ كانون الأول ١٩١٩م، فاستقبلوا استقبال الأبطال المجاهدين، كما وأرسل (ويلسون) مبلغاً من المال إلى الإمام عن طريق معتمده محمد حسين خان الكابولي في محاوله استرضائه أخرى، عسى أن تمهّد خطوته هذه لخطواتٍ أخرى للتقرب والانفتاح ومن ثم التأثير المباشر على الشيخ القائد، ولكن الإمام كان حكيماً وواعياً فصدمه برفضه القاطع (٢) وأغلق الطريق عليه تماماً. وبالمقابل لقد أصبح إطلاق سراح المعتقلين انتصاراً للإمام الحائري، حيث تم ذلك بكفالتة، وتؤكد (المس بيل) بان هذا الحادث شجع الناس على المقاومة وحبك الدسائس بدلاً من إيقافها (٣).

وتطورت الأحداث نحو التعبئه العامه، للوقوف أمام سلطات الاحتلال، فكانت بدايه المواجهه السياسيه التي تلت تلك التطورات، لغرض تحصين الناس من التأثير بأساليب المحتلين وقطع خطوط الاتصال بها، ففي أوائل آذار ١٩٢٠م الموافق لأواسط جمادى الثانيه ١٣٣٨هـ، أصدر الإمام الحائري فتوى تحريم العمل الوظيفي في إداريات سلطه الاحتلال البريطاني (٤). وقد انتشرت هذه الفتوى بين الناس كالنار في الهشيم،

ص: ٤٣٧

- ١- (١) كانت هذه الرساله بتوقيع: سعيد كمال الدين، محمد باقر الشيببي، محمد الشيخ يوسف، سيد حسين كمال الدين، عبد الرضا السوداني، سيد أحمد الصافي، سيد سعيد جريو، للاطلاع على نص الرساله راجع: الوهاب: المصدر السابق ج ٣، ص ٨٥.
- ٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٠٩.
- ٣- (٣) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، طبع ١٩٧١، ص ٤٤١.
- ٤- (٤) المصدر ذاته، ص ٤٤١. تقول المس بيل «في أوائل آذار ١٩٢٠ قيل إن الميرزا محمد تقى الشيرازي، أصدر فتوى يحرم فيها توظيف المسلمين في الإدارة البريطانيه.. وان الاستقلالات من خدمه الحكومه تزداد يوماً بعد يوم..».

أدت إلى حملة واسعة من الاستقلالات. إن هذه الخطوه - بحد ذاتها - من الإمام، وما تبعها من الالتزام والطاعة من قبل عموم الناس، وضعت النقاط على الحروف في مسأله الترابط المصيرى ما بين القيادة والقواعد الشعبيه مروراً بالكادر الإسلامى الوسط، يقول النفيسى: «فى مطلع شهر آذار اصدر المجتهد الأ-كبر فى كربلاء فتوى جاء فيها: إن قبول وظيفه حكوميه فى إداره البريطانيين، أمر تحرمه الشريعه الإسلاميه، فطغت موجه من الاستقلالات فى منطقه الفرات الأوسط، والأسفل» (1). فكانت هذه المبادره القياديه بمثابه بالون اختبار لقدره الاستجابه لدى الأمه. وبها آكتشف القائد حجم المسؤوليه الدينيه والوطنيه، الملقاه على عاتقه، فى قياده الناس، وهم يستجيبون لفتواه، بترك مصدر رزقهم ومعيشتهم. وعلى ضوء هذه النتيجه بنى القائد انطلاقته فى مواكبه الأحداث لغايه الوصول إلى قمتها التى أعلن الإمام فيها فريضه الجهاد ضد العدو المحتل بالمقاومه والثوره. وبالفعل حينما تزداد أواصر الثقه المتبادله بين القائد والأمه تكون ظروف الإجراءات الثوريه الحاسمه أكثر ملائمه.

ص: ٤٣٨

١- (١) النفيسى، د. عبد الله: دور الشيعه، ص ١٣٣-١٣٤.

بعد تلك الخطوه التعبويه، تبلور أسلوب المطالبه السلميه بالحقوق المشروعه، وذلك إثر الاجتماعات المكثفه التي حصلت في النجف وكربلاء، ففي ٢٧ رجب ١٣٣٨هـ- ذكرى المبعث النبوي الشريف الموافق ليوم ١٦ نيسان ١٩٢٠م، دعا السيد علوان الياسرى إلى اجتماع سرى في داره بالنجف الأشرف، حضره عدد من علماء الدين ورؤساء العشائر ووجهاء المدن بحضور الميرزا محمد رضا نجل الإمام الحائري، تناولوا فيه فكره القيام بالثوره المسلحه ضد الإنكليز، فاختلف المجتمعون حولها، وكان من أبرز المعارضين لها هو ختيون العبيد - المار الذكر - ومع ذلك فقد تقرر في الاجتماع ضروره التوعيه الدينيه لتهيئه أجواء الثوره. وقد أنتدب بعض الخطباء والموجهين لهذه المهمه. ويذكر الشيخ على الشرقي وهو أحد الحاضرين في هذا الاجتماع، إن الحاضرين اتفقوا على ما يشبه حركه العصيان المدني وقرروا:

«أولاً: تأسيس جمعيه باسم الجامعه الإسلاميه، مركزها كربلاء ولها فروع في كل العراق ويرأسها الميرزا محمد تقى الشيرازي.

ثانياً: توزيع منشور بتوقيع الشيرازي يأمر بالوحده وجمع الشمل والتساند في كل المهام.

ثالثاً: جعل يوم الجمعة يوم الشعب، تعطل فيه المكاسب ويترك البيع والشراء، وتنصب

المنابر في الساحة العامه لتيبارى الخطباء فوقها بما يستلزم الإثارة والتحضير» (١).

ويعدّ هذا الاجتماع بمثابة مقدمه للاجتماع الأهم الذي عقد في دار أبو القاسم الكاشاني في ليله النصف من شعبان ١٣٣٨هـ، الموافق ٤ أيار ١٩٢٠، في كربلاء، حيث زياره الإمام الحسين عليه السلام المخصوصه في ذكرى ميلاد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، والتي تعدّ من الزيارات المهمه في كربلاء. حضر الاجتماع السرى السيد نور الياسرى، وجعفر أبو التمن كمنسوب عن الحركة في بغداد، والشيخ عبد الكريم الجزائرى، والسيد علوان الياسرى، وكاطع العوادى، والسيد محسن أبو طيخ، والسيد هادى زوين، والسيد محمد رضا الصافى، وعبد الواحد الحاج سكر، وشعلان أبو الجون، وغيث الحرجان، ومجبل الفرعون، وعبادى الحسين ومرزوق العواد وشعلان العطيه وسعدون الرسن وعلوان الحاج سعدون وهبه الدين الشهرستانى، وعبد الوهاب آل طعمه، والسيد حسين القزوينى وعمر الحاج العلوان وعبد المهدي القنبر وظيفح الحسون ورشيد المسره وعبد الكريم العواد وغيرهم. وكان محور البحث مسأله إعلان الثورة المسلحه، فقرروا الاجتماع بالإمام الحائرى ومفاتيحه بضروره الثورة المسلحه، ويذكر السيد الحسنى الاجتماع الذي عقد ليله النصف من شعبان ١٣٣٨هـ، كان «في دار السيد نور السيد عزيز، حضره لفييف من رؤساء المشخاب والشاميه والرميئه وغيرها.. وترأس الاجتماع الشيخ محمد رضا

ص: ٤٤٠

١- (١) الشرقى، على: الأحلام، طبع بغداد، ١٩٦٣، ص ١٠٨. راجع الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٢٥-١٢٦. ويذكر السيد الحسنى: «في أواخر شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣٨هـ- عقد اجتماع سرى في مدينه النجف الأشرف حضره لفييف من العلماء والزعماء والأحرار.. فتقرر نشر دعوه واسعه النطاق ولا سيما بين رؤساء القبائل، لبند الخصومات، وتوحيد الكلمه والاستعداد لمجابهه طواغيت الاحتلال بكل الطرق الممكنه...». الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، طبع صيدا ١٣٧١هـ، ص ٨٧.

نجل الإمام الشيخ محمد تقى الحائرى الشيرازى وقد تداول المجتمعون فى الوضع الراهن، وأقسموا يمين الإخلاص لكل حركة تستهدف تحرير العراق وتخليصه من براثن الاستعمار والاحتلال» (١). وهكذا توالى سلسله من اللقاءات والمشاورات تعتبر تمهيديه، لغرض عقد الاجتماع المركزى مع الإمام الشيخ الحائرى. وقد تم الاجتماع فعلاً معه فى الخامس عشر من شعبان ١٣٣٨هـ - ٥ أيار ١٩٢٠م، وصار حوه بقدراتهم القتاليه وتمكنهم من خوض المعركه بنجاح. وكان هذا الاجتماع بمثابة الاجتماع التأسيسى لتنظيم مسيره الثوره ضم الرموز الاجتماعيه الأولى للعشائر والمدن، يصفه السيد الحسنى بأنه سرى للغايه حيث عقد «فى دار الإمام الحائرى وتحت رآسته مباشره، حضره العلامة الشيخ عبد الكريم الجزائرى، والزعيم البغدادى الحاج محمد جعفر أبو التمن كما حضره من الساده: السيد نور السيد عزيز، والسيد علوان السيد عباس، والسيد هادى آل زوين، ومن الرؤساء شيخا الطوالم: شعلان أبو الجون، وغيث الحرجان، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر والشيخ شعلان الجبر. فدارت بين المجتمعين مداوله ترمى إلى إصلاح الحاله العامه وتعرض بعضهم إلى موضوع الثوره فانتبه رئيس المؤتمر العلامة الحائرى فقال: «إن الحمل لثقيل، وأخشى أن لا- تكون للعشائر قابليه المحاربه، مع الجيوش المحتله». فأيقنه الزعماء أن فيهم الكفاءه التامه لهذا العمل الخطير، وأن الثوره أمر لا بد منه وإن كانوا لا- يرون الحرب ولا- يرغبون فيها. ولكنه تردد فى إعطاء الجواب الحاسم، اعتقاداً منه أن الحمل ثقيل فأجابهم بقوله: «أخشى أن يختل النظام ويفقد الأمن فتكون البلاد فى فوضى، وأنتم تعلمون أن حفظ الأمن أهم من الثوره، بل وأوجب منها»، فأجابه الحضار إن قابليتهم على حفظ الأمن والنظام يجب أن لا يرتقى الشك إليها، وأنه لا مناص من إعلان الثوره، وأكدوا له أنهم سيبدلون كل ما فى وسعهم لحفظ النظام واستتباب

ص: ٤٤١

راحه العموم. فلما رأى الإمام أن الرؤساء قد ضايقوه من كل جانب لم يَزْ يُيداً من القول: «إذا كانت هذه نواياكم، وهذه تعهداتكم فالله في عونكم» (١).

وفى اليوم التالى تم الاجتماع الثالث فى دار السيد نور الياسرى فى محله باب السالمة حضره المشاركون فى الاجتماع الأول وأبلغوا بقرار المطالبه السلميه عبر الاحتجاجات والمظاهرات أولاً، فإن لم تنفع فإلى الثورة المسلحه، وبعد الاجتماع ذهبوا إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام وعند الضريح أقسموا بالقرآن الكريم واحداً واحداً، على إنجاز القرارات (٢). ويعتبر بعض الباحثين، ان هذا الاجتماع المركزى بالإمام الحائرى، هو اجتماع قرار الثورة. فلذلك يسمونها ثورة الخامس عشر من شعبان (٣). وفى روايه الدكتور عبد الله فياض، بعد لقائه شخصياً بنجل الإمام الحائرى الميرزا محمد رضا بطهران سنه ١٩٥٤م، ١٣٧٣هـ، حديث واضح عن مجمل أسرار الثورة (٤) ونشاطات والده السياسيه والحركيه، وفى هذا الصدد يقول نجل الإمام: «كتب المرحوم والدى إلى أهالى بغداد كتاباً يدعوهم فيه للقيام بالمظاهرات والمطالبه بحقوقهم بصورة سلميه.. [ويضيف].. ان الإنكليز تأثروا من دعوته والدى إلى قيام المآتم الحسينيه فى رمضان، وكانت هذه المآتم عامه وحتى شيوخ العشائر اشتركوا بها..» (٥).

ص: ٤٤٢

-
- ١- (١) الحسنى، المرجع ذاته، ص ٨٩-٩٠. راجع أيضاً فياض، د. عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٢٧٩.
 - ٢- (٢) الوهاب، عبد الرزاق: المصدر السابق، ص ١٠٢. راجع مجله (رساله الشرق) الكربلائييه - فى العدد الصادر فى رجب ١٣٧٣هـ. وكذلك الوردى: المرجع السابق، ص ١٢٧-١٣٠.
 - ٣- (٣) محمد كاظم، عباس: ثورة الخامس عشر من شعبان - ثورة العشرين - (اسم الكتاب).
 - ٤- (٤) يفند مزاعم (المس بيل) التى تتهمه بالاتصال بالبلاشفه الشيوعيين، وينفى حوادث السلب والنهب أثناء المطالبه السلميه.
 - ٥- (٥) فياض، د. عبد الله: المرجع ذاته، ص ٢٨٦.

هذا، وبعد عوده جعفر أبو التمن من اجتماعات كربلاء إلى بغداد، كان قد أعلن الانتداب في بغداد (١)، حيث وصلت مقررات (سان ريمو) إلى (ويلسون) في الأول من أيار، فتم نشرها بأمره، مرفقه ببلاغ هام يوضح معنى الانتداب ويجعله أمراً إنسانياً محبباً، ومما جاء في بلاغ (ويلسون): «..يترتب على الدولة الوصية أن تجعل نفسها ذلك الحارس العاقل النبيه، البعيد النظر، الساهر على مصلحة البلاد، فيأخذ بيد شعبها ويسير به نحو الرقى، ويدربه تدريباً يجعله صالحاً للجلوس في مصاف شعوب العالم.. وكما يستبشر الوصى ويفرح بنمو القاصر الموصى به حين يبلغ سن الرشد ويصبح رجلاً حراً مستقلاً، كذلك تستبشر الدولة الوصية وتبتهج عندما ترى المعاهد السياسيه آخذة بالرقى والتقدم حتى تصبح حرة مستقلة قويه الدعائم ثابتة الأركان..» (٢).

وحيثما نشر إعلان الانتداب على العراق، مع بلاغ (ويلسون)، التهبت الأوضاع في الساحة العراقيه، وساد الاحتجاج والتذمر بين الناس، وتيقنوا بأن الأساليب الدبلوماسية، والطرق السلميه لمطالبه حقوق الشعب في نيل الاستقلال لا تجدى نفعاً، وبالفعل لقد «ذهب الأمل في إنشاء دوله عراقيه مستقلة أدراج الرياح» (٣). بينما أخذ «الناس يعلنون تذمرهم واستياءهم من الانتداب قائلين: «هل نحن أطفال، لكي نحتاج إلى وصى يرعى شؤوننا». وانتشر بين التلاميذ في المدارس نشيد يتضمن البيتين التاليين:

الحمايه والوصايه كلها معنى الأسر

وعلى العيش بذلُّ أبدأ لا نصطبر (٤)

ص: ٤٤٣

- ١- (١) مقررات (سان ريمو) أعلنت في أوروبا في ٢٥ نيسان ١٩٢٠م، التي قضت بأن يكون العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.
- ٢- (٢) نشرت جريده (العرب) في عددها الصادر في ١٣ أيار ١٩٢٠م، نص بلاغ (ويلسون) حول الانتداب.
- ٣- (٣) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٣٤.
- ٤- (٤) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٠٢.

يقول الأستاذ النفيسى: «كان النبا بمثابه ضربه قاضيه. وجاء هذا النبا المشؤوم مصدقاً لما كان قد شاع بين الناس، من أن الإنكليز إنما هم في العراق ليقوا في العراق» (١).

ومن الجدير بالذكر، حول خطط الإمام الحائري، إنه أكد على ضروره توسيع إطار المعارضه والمواجهه ضد المحتلين، وعلى توحيد الجهود في المدن المقدسه والفرات الأوسط والتحرك في بغداد وسائر مناطق العراق، لتأخذ طابع الشمولي التامه، وأوصى بالمحافظه على الأمن والنظام ورعايه الناس والأقليات، مؤكداً على الوحده المصيريه في هذا الوطن، بين المسلمين السنه والشيعه وبين العرب والأكراد والتركماني والأقليات الأخرى (٢). وكان شعار الوحده وهو شعار المرحله، منطلقاً من القرآن الكريم حيث قال تعالى:

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ۃ

فانصبت جهود الإسلاميين نحو إداره وحمايه الثوره، وذلك بالمحافظه على سخونتها، وتوسيع رقعتها لتشمل كافه أنحاء العراق. وفي توحيد جهود الأمه في مسار الثوره المتصاعده، وبذلك سيبقى لهيب الثوره مستمراً، بالخصوص في العاصمه بغداد مركز سلطه الاحتلال. وهكذا حينما يتم تصعيد رياح الثوره من المناطق المقدسه والجنوب وبغداد والشمال باتجاه الهدف المشترك، حينها يتم إنفاذ الثوره من وحل الأطر الموضوعيه التي يسهل تطويقها وإخماد لهيبها كما حدث لثوره النجف عام ١٩١٨م.

لذلك ظهرت صلات وديه بين علماء الشيعه والسنه، وأظهرت الأمه وحدتها السياسييه في ظل القيادة الواعيه، وهكذا فلتت الفرصه من أيدي سلطه الاحتلال للعب في الورقه الطائفية، بإشعال الفتنة الداخليه، وبالتالي تفتتت القوه الشعبيه المتلاحمه لاستجابته وتنفيذ القرار الإسلامي الجهادي، وبالفعل نجح الشيخ القائد في مسعاه

ص: ٤٤٤

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٣٤.

٢- (٢) الرهيمي، عبد الحليم، المرجع السابق، ص ١١٢.

لتحقيق الوحدة بين السنة والشيعة والعرب والكرد والترکمان وبقية الاقليات بل بين مختلف الطاقات والجهود، ومما يذكر في هذا الاتجاه مراسلات الإمام مع القيادات الميدانية المختلفه فمثلاً: بعث الإمام الحائري رساله إلى جعفر أبو التمن بتاريخ ٣/رجب/١٣٣٨هـ-، ٢٢ آذار ١٩٢٠م، جاء فيها:

«.. سَرَرْنَا اتحاد كلمه الأُمه البغداديه، واندفاع علمائها ووجوهها وأعيانها إلى المطالبه بحقوق الأُمه المشروعه ومقاصدها المقدسه..».

وجاء في رسالته إلى الشيخ أحمد الداود - أحد علماء السُّننه ببغداد - قوله:

«..هذا ما أعتقده في عامه المسلمين أن يكونوا على مبدأ القرآن الكريم ومنهج الحق وقول الصدق، فكيف بمن رُبِّي في حجر القلم ورضع درّ الإيمان، أباً عن جد.. يسرنى أن أرى مثلك في رأس قاده المسلمين إلى الحق داعياً، وإلى الضالين هادياً، بحيث يسترشد بك المسترشدون وينهض بأمرك القاعدون..».

وجاء في رسالته إلى الشيخ موحان الخير الله - أحد رؤساء عشائر المنتفك - في ٣ رجب قوله:

«.. ان جميع المسلمين إخوان تجمعهم كلمه الإسلام، ورايه القرآن الكريم، والنبي الأكرم - صلى الله عليه وآله وصحبه -، فالواجب علينا جميعاً الاتفاق والاتحاد والتواصل والوداد وترك الاختلاف..» (١).

وقد «شكلت الرسالتان الجوابيتان اللتان بعث بهما باسم الحركة الوطنيّه - الإسلاميّه في بغداد، كل من الشيخ أحمد الداود.. وجعفر أبو التمن.. إلى الإمام الشيرازي واجابته عليهما، فاتحه حقه من التعاون والتنسيق وتوسيع نطاق حركه

ص: ٤٤٥

١- (١) كمال الدين، محمد علي: معلومات ومشاهدات ص ١٨٩.

المقاومه للاحتلال، وكذلك فاتحه حقه جديده فى تطور العلاقات الشيعيه - السنيه» (1). بالإضافة إلى انضمام التوجيهات الوطنيه ضمن الإطار الإسلامى العام بتنسيق وتعاون مع القيادات الإسلاميه، ويبدو أن السياسيين الوطنيين أدركوا حقيقه الشعب العراقى المسلم، وسرّ قوته هو بالتزامه بالإسلام والقياده الإسلاميه.

وهذه حقيقه واضحه يدركها السياسيون فى الساحة العراقيه حتى يومنا هذا، يقول الدكتور فياض: «إن المشتغلين بالسياسه من المثقفين ببغداد وغيرها من مراكز الحركه الوطنيه فى العراق، رأوا أن الوسائل الاعتياديه للعمل السياسى، كالانخراط فى الأحزاب وغيرها، لا- تزل غير كافيه لإيصال أهدافهم إلى الجمهور، وبالتالي فأن وسائل الدعوه للحركه الوطنيه رغم ما أحرزته من تقدم واضح فى بعض الأوساط الشعبيه. غير كفيله بكسب تأييد الجمهور لهذه الحركه.

وفى ضوء ما تقدم رأى العاملون فى الحركه الوطنيه أن يوثقوا صلتهم [بعلماء]

ص: ٤٤٤

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٢٣١، ٢١٤. تقول (المس بيل) فى معرض حديثها عن الحركه فى بغداد: «لأجل تقريب دعوه المطالبه بالاستقلال التام الناجز إلى أفهام الرأى العام الجاهل، وجد من الضرورى الالتجاء إلى التعصب الدينى. وقد وضحتُ للوطنيين، خلال مدته من الزمن، الحاجه إلى تكوين جبهه متحده من الطائفتين الإسلاميتين فتغلبت المساعى بصوره مؤقتة على التعصب الشديد الذى يفرق بين الطائفتين السنيه والشيعيه، ووقعت أول أعراض هذا التقارب فى صيف ١٩١٩، عندما حضر السنه اجتماعين دينيين عقدا لتأبين المجتهد السيد محمد كاظم اليزدى. لكن الأهميه السياسيه لهذا التقارب لم تظهر بصوره جليه إلا فى شهر رمضان الذى بدأ فى ١٩ مايس ١٩٢٠م. حيث أخذت حفلات المولد التى تقام احتفاءً بولاده النبى صلى الله عليه وآله وسلم تقام فى الجوامع السنيه والشيعيه بالتناوب..». بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب ص ٤٢٤-٤٢٥. ويقول عبد الرزاق الحسنى: «.. رأى الستيون أن يشاطروا إخوانهم فى مصابهم، فأقاموا للفقيد العظيم [اليزدى] الحفلات التأبينيه الكبرى، فكانت هذه الوفاه سبباً مباشراً لتقارب المسلمين فى العراق.. وقد استغل المفكرون السياسيون هذه القوه وراحوا يدعمونها ويستعينون بها فى القضايا الوطنيه الكبرى..». الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، المرجع السابق، ص ٥٤.

الدين أكثر فأكثر فيستفيدوا من تأثيرهم في نفوس الجمهور» (١). وفي تقديري أن هذا التوجه من السياسيين جيد بشرط استكمالهم للمسيرة النهضويه دون نفاق، وذلك لأنهم يستغلون طيب العلماء ويستفيدون من عباءه المرجعيه الدينيه، وفي الوقت ذاته يتفوقون - سرّاً - مع سلطه الاحتلال بغيه تحقيق مصالحهم الشخصيه والحزبيه، وهذه الحاله يتناولها سماحه علامه المجاهد السيد محمد باقر الحكيم بشجاعه نادره، وذلك في أثناء تقييمه لتلك المرحله، حيث يقول: «إن المرجعيه كانت فاعله في عمليه التحرير الوطنيه، ولكنها لم تكن منظمه ولا- واعيه لكل أبعاد العمليه السياسيه، وكان الوطنيون [للأسف] يقومون بدور نفاقي ويحاولون أن يستفيدوا من قوه المرجعيه ونفوذها من جانب، ويتعاملون مع السلطات الإنجليزيه ويحاولونها وصولاً إلى أهدافهم الخاصه من جانب آخر» (٢).

والمهم في تلك الحقبه الزمنيه، جاء التصعيد السياسى والثورى لدى الإمام الحائرى وبقية الزعامات الدينيه والاجتماعيه والعشائريه مترامناً مع نشر إعلان الانتداب، فتبلور الرأى لدى جعفر أبو التمن وبقية القاده السياسيين فى بغداد باتخاذ الإجراءات المناسبه، ففي ١٠ أيار عقدت الهيئه التنفيذيه لحزب حرس الاستقلال اجتماعاً مهماً، قررت فيه القيام بتظاهرات سياسيه أثناء الحفلات الدينيه أيام شهر رمضان (٣). وأقيمت مراسيم المجلس الأول يوم الجمعه (٤) ١٤ أيار قبيل شهر رمضان،

ص: ٤٤٧

١- (١) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

٢- (٢) مقطع من الرساله الجوابيه - الماره الذكر - للسيد محمد باقر الحكيم.

٣- (٣) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق، ص ١٤٢-١٤٤.

٤- (٤) فى ١ أيار ١٩٢٠ طالب الخطيب الحسينى السيد صالح الحلّى فى اجتماع عام عقده بالكاظميه، بالتمسك بتعطيل يوم الجمعه، وكانت خطبته مؤثره، فانتقد أهالى بغداد على تعطيلهم يوم السبت مع اليهود فقال: إنّ هذا عار عليهم ذاكراً فضائل يوم الجمعه حسب أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذت الأسواق تعطل فى يوم الجمعه. «والمظنون أن هذه الدعوه كانت من العوامل

واتخذت طابع (المولد التعزیه) كما يسميها الدكتور الوردی (١) على نحو الجمع بين المولد النبوی الذي يقيمه المسلمون السنه، وبين التعزیه الحسينیه التي يقيمها المسلمون الشيعه، وذلك في مساجد السنه والشيعه على التعاقب، وكانت هذه الاحتفالات الدينیه هی المصدر الرئيس للتوعیه السياسیه والتعبئه العامه ضد سلطات الاحتلال. وقد برز الخطيب الحسيني السيد صالح الحلبي والشيخ كاظم الدجيلي والشيخ مهدي البصير، وغيرهم كخطباء للمقاومه والثوره، في دور كبير لتوجيه هذه المهرجانات الهادفه، وكانت الأمم من الطائفتين تجتمع بكثافه هائله لم يشهد لها مثيل في بغداد من قبل، مما دفع السلطات إلى إيجاد عقبات فعليه لتخفيف التوجه المكثف على تلك المجالس ولكن دون جدوى (٢).

ولمّا رأى العلماء والقاده أهميه مواصله انعقاد تلك المجالس حتى في شهر رمضان المبارك، فقرروا إقامتها في المساء، وبالفعل أقيمت أول حفله رمضانیه في مساء الخميس

ص: ٤٤٨

١- (١) الوردی، على: المرجع السابق، ص ١٧٣، عنوان جانبي (المولد التعزیه)، ويذكر المبدع لها هو السيد صالح الحلبي حسب رأى الشيخ كاظم الدجيلي، والشيخ مهدي البصير على روايتين متكاملتين.

٢- (٢) من تلك المحاولات، دعوه الشبان إلى حفلات (المس بيل) التي كانت تقيمها في بيتها في الأوقات نفسها لغرض اشغالهم عن الحضور في تلك المجالس. راجع: فياض، عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٣٨. ويذكر - أيضاً - الأثر الكبير لهذه الحفلات الجامعه بين المولد النبوی والمآتم الحسيني، وللخطباء البارعين في إدارتها. أمثال: السيد صالح الحلبي، والشيخ محمد علي الجسمام، والشيخ محسن أبو الحب والشيخ باقر الحلبي، ولعل أشهرهم الشيخ محمد مهدي البصير. ويصفهم بخطباء الثوره. راجع فياض: المرجع ذاته، ص ٢٨٠. ويذكر طالب مشتاق في مذكراته (أوراق أيامي): إن «من حق التاريخ عليّ أن أذكر في هذه المناسبه، أن الدكتور الشيخ مهدي البصير كان (ميرابو) الثوره بلا منازع وكانت خطبه الثوريه وقصائده الناريه تلهب مشاعرنا وتغمرنا بفيض من الحماسه وتدفعنا نحو الأهداف الوطنيه بشكلٍ عجيب». مشتاق، طالب: أوراق أيامي، مصدر سابق ط ٢، بغداد ١٩٨٩، ص ٧٩-٨٠.

٢٠ أيار ١٩٢٠م في جامع الميدان (١). وكان الحضور الجماهيري فاعلاً من الطائفتين، وتناول الخطباء جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومقتل الحسين عليه السلام ودعوه المسلمين لوحده الكلمه، وتخللت تلك الخطب قصائد حماسيه (٢).

وكان الاحتفال الثالث في جامع الحيدر خانة مساء الأحد ٢٣ أيار ١٩٢٠م ليله السادس من رمضان ١٣٣٨هـ. وهو الاحتفال المهم الذي دخل في تاريخ التحرك الإسلامي من البوابه السياسيه، حيث خطب عدد من الخطباء من السنه والشيعة، ثم ألقى عيسى عبد القادر - موظف في دائره الأوقاف - قصيده مؤثره جاء في ختامها:

وبعدُ أقول للجاسوس مَنّا تجسّس ما آستطعت الحاضرينا

وبلّغ من تريد فقد بنينا لاستقلالنا الأُسّ المتينا (٣)

ويبدو أن السلطات ما استطاعت أن تستوعب هذا التصعيد فاعتقلت الشاب عيسى، وعلى أثر اعتقاله اجتمع الناس بعلمائهم ومثقفهم في الجامع وجاءت وفود من المحلات البعيده بطولها تنشد (الدين يا محمد والموت بالجهنم) فأزدحم الجامع والطرق، وتدخلت السلطات بسياراتها العسكريه لإرهاب المواطنين، إلا أنهم كانوا يضربون العسكريين وسيارتهم بالعصى والحجاره. فأشتعلت المواجهه في معركة مكشوفه بين طرفين غير متكافئين، فالناس عزّل عن السلاح يواجهون جيشاً بترسانته العسكريه وسطبغداد.

ص: ٤٤٩

١- (١) كانت جوامع بغداد الرئيسيّه كجامع الحيدر خانة وجامع الأحمديه وصحن الكاظميه ومرقد الكيلاني مراكز تجمع الناس لإلقاء الخطب وانطلاق المظاهرات. مشتاق: المصدر ذاته، ص ٨٠.

٢- (٢) من المفيد أن ننقل صورته عن بطاقات الدعوه لهذه الاحتفالات، لما فيها من أبعاد اجتماعيه ومغزى وحدوى، فكانت بطاقه هذا المجلس في جامع الميدان بالشكل التالي: «إن أهالي محلّه الميدان يتقدمون إلى حضرتكم بالدعوه للحضور في الحفله التي يقيمونها ليله الجمعه في جامع الميدان. للتبرك بتلاوه منقبه المولد النبوي الكريم، مشفوعه بذكرى مقتل سيدنا الحسين (عليه السلام)». راجع: البصير، محمد مهدي: المصدر السابق، ص ٢٤٧.

٣- (٣) العمرى، محمد طاهر: مقدرات العراق السياسيه، ج ٣، ص ٤٢٣-٤٢٤.

إن تلك المظاهر الاحتجاجية الوطنية ضد الوجود البريطاني المحتل، شكّلت صورته التحدى الوطنى العام، فقد اشترك فيها الكبير والصغير، المثقف والعامل، من كل مكونات شعب العراق، وقدم المتظاهرون درساً مهماً لسلطه الاحتلال، فى أن مشروع بناء الوطن المستقل ليس شعاراً لفظياً فقط، وإنما هو هدف العراقيين وطموحهم الذى يفدونه بالروح والدم. وبالفعل حينما تطورت الاحتجاجات إلى مصادمات بالأيدى والأكف، أنبرى المواطن الكربلائي النجار بفأسه ليحطم جبروت المحتلين فهجم على إحدى سياراتهم العسكرية، وضربها فأصطدم بها فسقط ينزف دمه وهو يهتف بشعار الاستقلال، وهكذا قدم نفسه أول شهيد فى مواجهه الوطنيه لتتعثر سيارات ومصفحات المستعمرين بجسده وتبقى أرضه طاهره من المعتدين المحتلين يقول عباس النصراوى فى مذكراته: «حدثت مصادمه عنيفه ذهب ضحيتها رجل أخرس من أهالى كربلاء، يمتن النجاره واسمه عبد على عبد الرحيم الكعبى، هجم على السياره المدرّعه بفأسه، وقد دهسته السياره فمات شهيداً.. صار عنواناً للجهاد والاستشهاد فى سبيل الوطن» (1). ويقول السيد الحسنى: إن هذا الرجل الكربلائي أصيب «بطلق نارى..

ص: ٤٥٠

١- (١) طعمه، سلمان: كربلاء فى ثوره العشرين ص ١٦١، نقلاً عن مذكرات عباس المجاهد النصراوى. راجع كذلك طعمه، سلمان: تراث كربلاء، ص ٣٩٧، طبع بيروت ١٩٨٣م.

وقيل بل دهسته إحدى المصفّحتين، فأكبر الأهلون موته، وشيّعوه إلى مرقده في اليوم التالي بمظاهره وطنيه كبرى تحدّوا فيها السلطه.. (شهيد الوطن الأول) كما سمي الأخرس» (١).

ولذلك آجتمعت الناس في جامع الحيدر خانة، وارتقى المنبر على البازرگان، طالباً من الناس موقفهم في انتخاب خمسه عشر مندوباً يتحدث باسمهم للسعى لاطلاق سراح (عيسى)، فتمت الموافقه عليهم (٢).

وبدأت سلسله من التظاهرات والاضطرابات في شوارع بغداد، وضربت سيارات الجيش وأصيب (الكولونيل بلفور) حاكم بغداد العسكري بحجاره في وجهه وسال دمه (٣).

«ويظهر أن مظاهرات شبيهه بالتي جرت في بغداد حصلت بكربلاء، لاسيما أن الإمام محمد تقى الشيرازى أصدر منشوراً يدعو الناس فيه إلى التظاهر. فخرجت في كربلاء مظاهره سلميه صاحبه فاهتمت الحكومه بالأمر ونفت قاده الحركه إلى هنجام. وقد تأثرت النجف وجميع الفرات الأوسط بمنشور الإمام الشيرازى فعقدت عدّه اجتماعات اشتركت بها وفود رؤساء القبائل في الشاميه» (٤).

ص: ٤٥١

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٨٩.

٢- (٢) وهم: «السيد محمد الصدر، ويوسف السويدي وأبو القاسم الكاشانى وعبد الوهاب النائب وسعيد النقشبندى وعبد الكريم الحيدرى ومحمد مصطفى الخليل، وعبد الرحمن الحيدرى، وفؤاد الدفتري، ورفعت الجاردي، وأحمد الشيخ داود، وياسين الخضيرى، وأحمد الظاهر، وجعفر أبو التمن، وعلى البازرگان».

٣- (٣) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٧٥-١٧٨. ويذكر طالب مشتاق في مذكراته (أوراق أيامى) بأن التظاهره الكبيره التي انطلقت في بغداد كانت بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٢٠م. وتم انتخاب المندوبين لتقديم المطالب للسلطات. راجع مشتاق: المصدر السابق ص ٨٢.

٤- (٤) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٣٩.

وبهذه التطورات دخلت الساحة العراقيه فى مرحله المواجهه السياسيه. المدعومه بالبعد الشعبى فى أشد حالات غليانه وخاصه حينما تم تشيع (شهيد الوطن) - الأخرس - فى بغداد وسط عاصفه من الجماهير الغاضبه فى صباح اليوم التالى من الحادث - أى فى ٢٤ أيار حيث كان الناس يلطمون على صدورهم فى التشيع ويهزجون قائلين: «ماج عرش الله وتزلزل، على الشهيد الما تغسل». وداروا بالشهيد فى شوارع بغداد حتى مقبره الشيخ جنيد، حيث دفن فيها (١). وفى عصر يوم التشيع، اجتمع (بلفور) بجعفر أبو التمن وأحمد الشيخ داود وعلى البازركان ومهدى البصير مهدداً لهم، مستاءاً من سلوكهم (٢)، وبعد الاجتماع كتب أبو التمن رساله إلى الإمام الشيرازى، يطلعه على آخر الأحداث ويستنجد به للتدخل إثر هذه التطورات، وكانت رساله مؤرخه فى ٧ رمضان ١٣٣٨هـ، ٢٤ أيار ١٩٢٠ (٣) أجابه الإمام الحائرى بالتأييد والدعم المعنوى (٤). ثم أصدر الإمام الشيرازى بياناً تم نشره إلى كافه العراقيين فى مختلف

ص: ٤٥٢

-
- ١- (١) للتفاصيل راجع: الدجيلى، كاظم: أحداث ثورة العشرين، طبع بغداد ١٩٧٣، ص ٦ وما بعدها.
 - ٢- (٢) لمعرفه وقائع هذا الاجتماع التهديدى راجع: البازركان، على: الوقائع الحقيقه، مصدر سابق، ص ١١٥-١١٦. وحين مطالعتها يتضح للقارئ مدى تخلخل توازن السلطه إثر ذلك التصعيد.
 - ٣- (٣) للاطلاع على نص رساله جعفر أبو التمن التى أوصلها للإمام الحائرى بيد باقر الشيبى، راجع: الفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعه، مصدر سابق، ص ١٤٤-١٤٥.
 - ٤- (٤) رساله الإمام الحائرى الجوابيه، راجعها لدى: الوهاب، عبد الرزاق: كربلاء فى التاريخ، طبع بغداد

مناطقهم، لمباشره المظاهرات الاحتجاجيه كعمل سياسى مشروع للمطالبه بالحقوق المشروعه. هذانصه:

«إلى إخوانى العراقيين، السلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

أما بعد، فإن إخوانكم فى بغداد والكاظميه قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلميه، وقد قامت جماعه كبيره بتلك المظاهرات مع المحافظه على الأمن، طالبين حقوقهم المشروعه المنتجه لاستقلال العراق - إن شاء الله - بحكومته إسلاميه، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحيه إلى عاصمه العراق بغداد وفداً للمطالبه بحقه، متفقاً مع الذين يتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد. فالواجب عليكم، بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم فى هذا المبدأ الشريف، وإياكم بالاخلال بالأمن والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض، فإن ذلك مضرٌ بمقاصدكم ومضيقٌ لحقوقكم التى صار الآن أوان حصولها بأيديكم. وأوصيكم بالمحافظه على جميع الملل والنحل التى فى بلادكم، فى نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولا تنالوا أحداً منهم بسوءٍ أبداً. وفقكم الله لما يرضيه. والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

١٠ / رمضان ١٣٣٨هـ - [٢٧ أيار ١٩٢٠م]

الأحقر محمد تقى الحائرى الشيرازى (١)

وقد «طبع حزب الحرس من الرساله العامه نسخاً كثيره، ووزعها فى بغداد والكاظميه ومختلف أنحاء العراق» (٢)، وقرأت فى الصحن الكاظمى (٣). وقد شهدت

ص: ٤٥٣

١- (١) البازركان، على: المصدر السابق، ص ١١٠-١١١.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٨٤.

٣- (٣) ومما يذكر، أن وفداً يمثل اليهود والنصارى من بغداد، قابل علماء الكاظميه فى اليوم التالى من

كربلاء والنجف حاله من الاحتجاجات والتظاهرات وإلقاء الخطب الحماسيه. وفي الحله، أقيمت رساله الإمام الحائري في اجتماع دُعي له في الجامع الكبير، وذلك في عيد الفطر بدياه شوال ١٣٣٨هـ - الموافق ١٩ حزيران ١٩٢٠م (١)، وفي الموصل أيضاً خرجت مظاهرات صاحبه تطالب بالحرية والاستقلال (٢). إلا أنه كان محور العمل السياسي المهم يجرى في بغداد، وبالفعل تمت مقابله المندوبين الخمسه عشر كمثلين عن بغداد، مع (ويلسون) نائب الحاكم المدني العام في العراق في ٢ حزيران ١٩٢٠م، بالإضافة إلى واحدٍ وعشرين وجيهاً بغدادياً أعدهم (ويلسون) وهم من المشهورين بالموالاه للسلطه، وذلك لتتم الموازنه في المطالب، إلا أن المندوبين عقدوا اجتماعاً مع الواحد والعشرين شخصاً الآخرين بطريقه ذكيه، حيث وجهوا دعوات شخصيه لعدد من الوجهاء شملت أولئك المعنيين (٣)، وهكذا جعلوهم في صوره المطالب المشروعه، وكانت كالتالي:

«أولاً: الإسراع في تأليف مؤتمر يمثل (الأمة العراقيه) ليعين مصيرها فيقرر شكل إدارتها في الداخل ونوع علاقاتها في الخارج.

ثانياً: منح الحرية للمطبوعات ليتمكن الشعب من الإفصاح عن رغائبه وأفكاره.

ثالثاً: رفع الحواجز الموضوعه على البريد والبرق بين أنحاء القطر أولاً، وبينه وبين

ص: ٤٥٤

١- (١) الحلبي، يوسف كركوش: تاريخ الحله، طبع النجف ١٩٦٥، ج ١، ص ١٧٤.

٢- (٢) البصير، محمد مهدي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٧-١٥٨.

٣- (٣) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٤١، عن الحسنی: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٥٩. يقول الأستاذ النفيسي: «لكنه احتياطاً وحذراً من مغبه هذا الاجتماع، تم توجيه الدعوه الشخصيه إلى قرابه أربعين رجلاً من الأعيان، معظمهم من اليهود والنصارى الذين كانوا موالين للعهد البريطاني في العراق». النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٣٥.

الأقطار الأخرى ثانياً، ليتمكن الناس من التفاهم مع بعضهم ومن الإطلاع على سير السياسة الراهنه فى العالم» (١). والمهم تمّ الاجتماع وقد افتتح (ويلسون) الجلسة بكلمه متشعبه لا تخلو من مجاملات لفظيه، وتأكيدات على الوعود البريطانيه السابقه، وفيها تهديد صريح لمخالفى السياسه البريطانيه الحاليه، ملوحاً بالعصا العسكريه عند الضروره، وبعد كلمته التى ألقىت بالنيابه عنه باللغه العربيه، جرت مناقشه بين الطرفين وكان أبرز المناقشين من طرف المندوبين السيد محمد الصدر ويوسف السويدي. وقد أكد السيد الصدر على أنّ المطالب سلميّه وهدفها واضح بإقامه حكومه وطنيه حسب وعود الحلفاء وتصريحاتهم المتكرره (٢).

إن أهميه هذا اللقاء يكمن فى كونه يقطع شوطاً طويلاً فى مرحله المواجهه السياسيه، وذلك لأنه كشف عن المرونه الخادعه لسلطه الاحتلال، التى تستبطن نوايا الانتداب والاستعمار للعراق، وبالفعل تبين للمندوبين عدم جدوائيه المطالبه السلميه، وهكذا توجّهت المساعى للتوسل بالقوه.

وفى ٣ حزيران ١٩٢٠م، الموافق ١٦ رمضان ١٣٣٨هـ، اجتمع عدد كبير من وجهاء كربلاء واختاروا سبعة مندوبين لمقابله السلطه وهم: الميرزا عبد الحسين الشيرازى، الشيخ محمد الخالصى، والسيد محمد على الطباطبائى والشيخ صدر الدين المازندراني، والسيد عبد الوهاب آل طعمه، والشيخ محمد حسن أبو المحاسن، وعمر العلوان، بتأييد من الإمام الحائرى. وفى ٥ حزيران عقد اجتماع مثله فى النجف، وتم

ص: ٤٥٥

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٨٥.

٢- (٢) المحضر الكامل للجلسه تم نشره فى جريده (العراق)، السنه الأولى، العدد ٤٣، بتاريخ ٤،٣ حزيران ١٩٢٠-١٦ رمضان ١٣٣٨هـ. راجع: البصير، محمد المهدي: المصدر السابق، ص ١٧١-١٧٢. «كما احتج الصدر على صاحب (جريده العراق) لأنه أثبت فى خطابه الإشاده إلى مؤتمر (سان ريمو) مع أنه لم يذكر هذه الكلمه فى الخطاب». فياض: المرجع السابق، ص ٢٤٣.

اختيار سته مندوبين وهم: الشيخ جواد الجواهري، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والسيد نور الياسري، والسيد علوان الياسري، ومحسن شلاش. وبتأييد من الإمام الحائري أيضاً (١).

والملاحظ على هذه النشاطات السياسيه أنها كانت تلتقى في النتيجة بضروره تصعيد العمل المسلح ضد المحتلين. ففي كربلاء، عقد اجتماع كبير في حرم الإمام الحسين عليه السلام، ألقى الشيخ محسن أبو الحب قصيده الشاعر محمد حسن أبو المحاسن، هيج العواطف نحو المقاومه، وأعقبه عمر العلوان بخطاب حماسي مثير، وفي مساء اليوم التالي ألقى الشيخ محمد الخالصي خطاباً مثيراً في حرم العباس عليه السلام، تحدى السلطات، وأثار الهمم نحو الثورة والشهاده في ساحات الكرام.

يقول الشيخ محمد الخالصي في مذكراته: «إن الحماس اشتد بالحاضرين، وكثر البكاء بينهم وعلت الضجه وقطع بعض الرؤساء رباط عقالهم بسيفه إيداناً بأنه مستميت في سبيل الدفاع عن العراق» (٢). وفي بغداد بعد مقتل الأخرس، وقرار (ويلسون) الحاكم المدني بالسماح بإقامه الاحتفالات الدينيه، نشطت مجالس -مولد التعزیه - وكان لحزب حرس الاستقلال دور الاشراف عليها وتنظيمها. فجسدت الوحده الإسلاميه، وانطلقت نداءات الخطباء والشعراء عبر المنابر تحرض على مقاومه مشاريع السيطره البريطانيه، وللمثال نذكر شيئاً من قصيده السيد حبيب العبيدي الموصلي حيث يقول:

أيها الغرب جئت شيئاً فرياً وما علمنا غير الوصيِّ وصيِّا

قسماً بالقرآن والانجيل أو تسيل الدماء مثل السيول

ص: ٤٥٦

-
- ١- (١) الوردی، د. علی: المرجع السابق، ص ٢٠٣. للاطلاع على تأييدات الإمام الحائري الشيرازي لهؤلاء المندوبين راجع: الياسري، عبد الشهيد: البطوله في ثوره العشرين، طبع النجف ١٩٦٦، ص ١٤٤-١٤٦.
- ٢- (٢) راجع الوردی: المرجع السابق، ص ٢٠٧. عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطه.

ليس نرضى وصايه لقبيل أfbعد الوصي زوج البتول

نحن نرضى بالإنكليز وصيا (١) يا محبي آل النبي الكرام

أ يكون العراق ملك اللثام وهو ميراث آل خير الأنام

أfbعد الأئمه الأعلام نحن نرضى بالإنكليز وصيا

وفي هذا الصدد يقول طالب مشتاق في مذكراته (أوراق أيامي): «لم يبق أى اختلاف بين سنى وشيعى، والكل مواطنون عرب قد تشابكت أيديهم واتفقت كلمتهم وساروا جنبا إلى جنب يكافحون الأجنبى ويطالبونه بالحقوق الطبيعىه المغتصبه منهم، ألا وهى الاستقلال التام الناجز، التى لا تشوبه شائبه من شوائب الحمايه أو الانتداب.

فألسنى كان يحضر مجلس عزاء الحسين عليه السلام، والشيعى يحضر مجالس المولد النبوى.. وهذا يصلى فى مسجد ذاك وذاك يصلى فى مسجد هذا، وكلهم إخوان مؤمنون بالله، ينطقون بشهاده واحده ويؤمنون برساله سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويتمسكون بكتاب الله الذى هو مرشدهم ورائدهم نحو نور الهدايه وسبيل الرشاد..» (٢).

تقول المس بيل، فى رسالتها الموجهه إلى أبيها بتاريخ ١ حزيران ١٩٢٠م:

«..إن المتطرفين اتخذوا خطه من الصعب مقاومتها، وهى الاتحاد بين الشيعة والسنة، أى وحده الإسلام.. إنها فى الواقع سياسيه وليست دينيه.. وكلها تدور حول فكره العداة للكفار..» (٣).

ص: ٤٥٧

١- (١) القصيده طويله تجدها فى كتاب: العمرى، محمد طاهر: مقدرات العراق السياسيه - مصدر سابق، بغداد ١٩٢٥، ج ٣، ص ٢١٩-٢٢٢. وقد أصبحت لهذه القصيده أهميه كبيره فى الأوساط الشيعيه بالذات.

٢- (٢) مشتاق، طالب: أوراق أيامي، المصدر السابق، ص ٨٢-٨٣.

٣- (٣) () (٣) (١٣٧، p. ٢، vol. ١٩٦١ London) Gertrude Bell (Durgoyne) نقلاً عن الوردى: المرجع السابق، ص ١٩٥.

كانت الساحة السياسيّه ساخنه في حركتها السلميّه، إلا أن المتصدين للعمل السياسي تيقنوا بأن المحتلين غير جادين للاستماع إلى مطالبهم وتنفيذ وعودهم المعلنه، وقد أُشيع خبر عدم استقبال حاكم النجف لوفد العلماء والوجهاء من النجف، والشاميه، في محاوله من السلطه المحتله لتضييع مطالب الرأي العام. ففي حينها «ارتأى الشيخ محمد رضا الحائري، كبير أنجال الإمام الحائري أن يقوم بعمل حاسم يعيد إلى الناس حماسهم، وإلى السلطه رشدًا، فأمر بإقامه مظاهرات صاحبه في صحنى الإمامين الحسين والعباس عليهما السلام في مساء اليوم الرابع من شهر شوال سنه ١٣٣٨ والحادى والعشرين من حزيران ١٩٢٠.. فأقيمت المظاهره وخطب فيها لفييف من الوطنيين..» (١). وهذه الحركه التصعيديه في كربلاء أغاضت السلطه المركزيه في بغداد، وقد تيقن (ويلسون) أن نجل الإمام الحائري، هو محور هذا النشاط في الفرات الأوسط، فأصدر أوامره إلى (الميجر بولى) الحاكم السياسي في الحلّه لتنفيذ أمر اعتقاله، وبالفعل تمّ اقتحام مدينه كربلاء في ٢١ حزيران، بقوه عسكريه كبيره لغرض تنفيذ الاعتقال. ووجه حاكم الحلّه السياسي كتاباً إلى الإمام الحائري يطمئنه من هذه الخطوه، وإنما يقصد منها

ص: ٤٥٨

القبض على عدد من الأشرار! فأجابه الإمام برسالة مهمة أظهرت قوة التحدى لديه، معارضاً طريقه استخدامهم القوة ضد مطالب الأمة، مهدداً إياهم بالرد المناسب من قبل الأمة. هذا، وكان قد عقد الإمام القائد اجتماعاً خاصاً مع مستشاريه (١). وفي الأثناء وصلت أوراق استدعاء من (الميجر بولى) يطلب فيها حضور الشيخ محمد رضا نجل الإمام مع بضعة عشر رجلاً من أعوانه، فاستقر الرأي بالذهاب إليه، فتم اعتقاله مع أعوانه (٢)، وهم رموز التحرك الإسلامى، وتم نفيهم إلى جزيرة هنجام (٣). وهكذا أصبح «نفى ابن الشيرازى وأصحابه من أهم العوامل فى اندلاع الثورة» (٤)، كما وتم نفي مجموعه من الإسلاميين الحركيين فى الحلّه وغيرها من المناطق (٥). وحينذاك نشطت حملته الاحتجاجات المباشرة من قبل العلماء ووجهاء المدن ورؤساء العشائر ضد إجراءات السلطه، إلا أن الأخيره أصرت على موقفها، ظناً منها بأن هذا الاجراء سينهى حاله الثورة. وقد دعا (الميجر نوربرى) حاكم الشاميه والنجف، إلى اجتماع

ص: ٤٥٩

- ١- (١) هيئه مدرسه الخالصى: زعيم الإسلام الإمام الخالصى، طبع بغداد، ١٩٥٠، ص ٢١-٢٢. وكان الشيخ الخالصى من المستشارين المعتمدين لدى الإمام الحائرى. تجد نص رساله (الميجر بولى) ورد الإمام الحائرى عليها فى: الوردى: المرجع السابق، ص ٢٠٩-٢١٠. وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ١٤٤-١٤٥.
- ٢- (٢) وهم بالإضافة إلى نجل الإمام: الشيخ هادى كمونه، محمد شاه الهندى، عمر العلوان، عثمان العلوان، عبد الكريم عواد، أحمد قنبر، عبد المهدي قنبر، محمد على الطباطبائى، الشيخ كاظم أبو إذان، إبراهيم أبو والده، والسيد أحمد البيير. راجع الحسنى، المرجع ذاته، ص ١٤٥.
- ٣- (٣) جزيرة هنجام، هى جزيرة مقفره، صخريه، موحشه فى الخليج، مناخها شديد الحراره صيفاً، بالإضافة إلى ارتفاع نسبه الرطوبه فيها، وتواجد الذباب والحشرات المختلفه بكميات هائله فيها.
- ٤- (٤) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ٢١١. ويذكر النفيسى انه فى الأسبوع الثالث من شهر حزيران، جرت سلسله من الاعتقالات فى كربلاء والحله. ويذكر اعتقال الميرزا محمد رضا، إلا أنه ينسبه إلى المجتهد الأكبر محمد كاظم اليزدى، وفيه اشتباه واضح، وهو غير مقصود. راجع النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٥٦.
- ٥- (٥) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٧٨.

حضره بعض العلماء، وذلك قبيل اندلاع الثورة بأيام، قال فيه: «طلبت الاجتماع بكم، راجياً أن تهوّنوا على حضره الشيخ الشيرازى مصيبتة بنفى ولده». فرد عليه الشيخ عبد الكريم الجزائرى بقوله: «أى ولد تعنى من أولاد الشيخ، فأحرار العراق المنفيون وغيرهم كلهم أولاده، واعلم أن منزله الشيخ، ومكانته لم ترتفع إلى هذه الدرجة إلا- لأنه كان ينظر إلى العراقيين جميعاً بهذه النظرة الأبويه» (١).

وبالمقابل عقد اجتماع عشائرى فى مضيف الشيخ عبد الكاظم الحاج سكر فى المشخاب، بتاريخ ١١ شوال ١٣٣٨هـ-، الموافق ٢٨ حزيران ١٩٢٠م، حضره كبار رؤساء العشائر، ووجهوا رساله إلى (الميجر نوربرى) يحتجون فيها على اعتقال نجل الإمام الحائرى واخوانه، وفيها تهديد واضح فى حاله عدم إطلاق سراحه، تنتهى مرحله المطالبه السلميه، وتبدأ مرحله العسكريه (٢).

وجرت محاولات من قبل رجال السلطه مثل (نوربرى) لاحتواء الأزمه باستماله بعض رؤساء القبائل. ولكن دون جدوى. ففى اجتماع دعا إليه (نوربرى) فى ١ تموز ١٩٢٠ حضره عدد من رؤساء العشائر، أراد استماله الشيخ مجبل الفرعون وغيره، إلا أن الشيخ عبد الواحد الحاج سكر ردّ عليه بطلب الاستقلال، فأجابه (نوربرى) دبلوماسياً بضرورة التدريب تدريجياً على المهام الإداريه، فرد عليه عبد الواحد: هل التدريب هو نفى العلماء والزعماء، فإن كنتم صادقين فى قولكم، فأطلقوا سراح الميرزا

ص: ٤٤٠

١- (١) الشيبى، الشيخ محمد رضا: فقيدنا الكبير، جريده (الأيام)، السنه الأولى، العدد ١٢٤ صادر بتاريخ ١٠ ربيع الثانى ١٣٨٢، ١٠ أيلول ١٩٦٢.

٢- (٢) حضر الاجتماع، علوان الياسرى، وعبد الواحد الحاج سكر، ومحسن أبو طيخ، وعبد زيد، ومحمد العبطان، وهنين الحنون، وهادى المكوטר، وعلوان الحاج سعدون وشعلان الجبر، وهادى زوين، ومرزوق العواد، وودّاي العطيّه، وسلمان الظاهر، ولفته الشمخى، ومجبل الفرعون، وجرى المريخ، وغيرهم، كما حضره عبد الرحمن خضر من بغداد، والسيد محمد الباقر من الحله. لتفاصيل الاجتماع راجع: الياسرى، عبد الشهيد: البطوله فى ثوره العشرين، ص ١٧٠ ومابعدها.

محمد رضا نجل آيه الله الشيرازى والآخرين من أحرار كربلاء، وثانياً إجّلوا الحكام السياسيين عن الفرات وأجمعوهم فى بغداد، ونحن نرسل مندوبين عنا للمفاوضه معكم، وعند ذلك نصدق بوعودكم. وانفضّ الاجتماع دون نتيجته (١).

ص: ٤٦١

١- (١) الفرعون، فريق المزهر: المصدر السابق، ص ١٦٣-١٦٤. ويذكر أن فشل هذه المحاوله الاحتوائيه من قبل سلطه الاحتلال يعود إلى وعى رؤساء العشائر، وقد برز الشيخ مجبل الفرعون فى موقفه الوطنى، وبذلك أدخل البهجه إلى عشيرته، فأنطلق أبناؤها يهتفون على الطريقه العراقيه (الهوسات الشعبيه)، مثل: «عراق البابك فكينا». أى يا عراق فتحنا بابك بالموقف الصارم الذى سيتبعه التحرير.

لقد وصلت المطالبة السلميه إلى طريق مسدود مع سلطات الاحتلال، وكان آخرها - كما يبدو - محاولة الإمام الحائري بذاته، حيث تم بعد المشاوره مع المعنيين بشؤون الثورة حول إرسال وفد إلى (ويلسون) لمحاورته سياسياً. وبالفعل تم اختيار السيد هبه الدين الشهرستاني والميرزا أحمد الخراساني، ليحملا رساله الإمام إليه، ويعرضاً عليه شروطاً لإيقاف القتال الذي اندلع في الرميته -شراره الثورة، كما سنرى - والشروط تتلخص بانسحاب القوات البريطانيه من منطقه القتال وإعلان العفو العام، وإعادة المنفيين من الخارج. ولكن (ويلسون) رفض مقابتهما، وأعلن عدم موافقته على إطلاق سراح ابن الإمام، وبذلك فشلت الطرق السلميه برمتها (1). حينذاك استفتى جماعه من العلماء والزعماء والرؤساء الإمام الحائري، - ويبدو لي أنها كانت ضمن خطه الإعداد للثوره كما نؤهننا لذلك سابقاً - في جواز القيام بالثوره المسلحه لتحصيل الحقوق المشروعه. وبمعنى آخر طالبوه بالموقف الشرعي في تلك المرحله. فأعلن وجوب الجهاد دفاعاً عن حقوق الشعب المسلم بفتواه الشهيره، هذانصّها:

ص: ٤٤٢

١- (١) الفرعون، فريق المزهري: المصدر السابق، ص ٣٤٧. ويورد الحسنى، عبد الزاق في كتابه: الثورة العراقيه الكبرى طبع صيدا ١٩٧٢م، ص ١١٢-١١٣. محاولات شيخ الشريعه الاصفهاني، عبر رساله مطوله وجهها إلى (ويلسون) الحاكم المدنى ببغداد، ولكن الأخير آمتنع عن الإجابة عليها.

«مطالبه الحقوق واجبه على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبهم رعايه السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوه الدفاعيه إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم».

الاحقر محمد تقى الحائرى الشيرازى

فأصبح نداء الثورة نداءً شرعياً لا مناص من تطبيقه من قبل المكلفين العراقيين (١).

يقول الدكتور الوردى: «يرجح في ظنى أن الشيرازى أصدر فتواه بعدما اشتدت المعارك في الرميته وفشلت محاولته في المفاوضات مع (ويلسون). فقد أدرك حينذاك أن الإفتاء بالثوره المسلحه ضرورى لتشجيع العشائر على مساعده عشائر الرميته في القتال» (٢). وبالفعل أصبحت الفتوى محور انطلاقه الثوره، ومصدر المعنويات العاليه للثوار، ومنبع الاستلهام في التحدى والجهاد في شتى أنحاء العراق.

ولما كان بعض رؤساء العشائر، يفضل عدم الانضمام للثوره، لأسباب سياسيه أو مصلحيه خاصه، كان التيار العام للثوره يُنهى هذه الاحباطات، فيضطر المملوكى في المسيره أن يجارى التيار الثورى العام، خوفاً من عجلات الثوره التى تهدده بالسحق والاندثار في حاله التوقف. كما حدث مع عمران الحاج سعدون، رئيس بنى حسن قرب طويريج (٣)، فبالرغم من تصميمه الأولى بالابتعاد عن الثوره بخلاف أخيه الشيخ علوان الذى ذهب محتجاً إلى الإمام الحائرى في كربلاء، وبعث رسولاً من قبله إلى عبد الواحد

ص: ٤٤٣

١- (١) البصير، محمد مهدي: المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٠، نص الفتوى في أغلب الكتب المعنيه في تاريخ العراق في تلك المرحله. منها فياض: المرجع السابق، ص ٢٧٤. والوردى: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

٣- (٣) طويريج، قضاء الهنديه تابع إلى محافظه كربلاء.

سكر مهدياً، وممانعاً وصول لهيب الثورة إلى منطقته عشيرته وذلك في ٢٢ تموز. فأجابه عبد الواحد قائلاً: إننا نحارب الإنكليز استناداً على فتوى العلماء.

وقدم له صورته من الفتوى لكي يحملها إلى عمران، ثم قال: إذا كان عمران مسلماً شيعياً فهذه الفتوى أمامه، ومن الواجب عليه طاعتها. ثم هدده بأن المعركة مستمرة ضد القوات البريطانية ومن يقف معها (١).

وبالمقابل لم تقف سلطات الاحتلال مكتوفة الأيدي أمام انتشار الفتوى، فلقد كرست جهودها واستثمرت علاقاتها، في محاولات منها بهدف عرقلة الوحدة العشائرية وشمولية الثورة، ولكنها بالرغم من أهميتها إلا أنها لم تغير المسير العام للثورة، ولنا في محاولات (الكابتن مان) حاكم الشاميه، خير شاهد على ذلك (٢). وكان السبب الرئيس لإفشال هذه المحاولات، بالرغم من مشوقاتها المادية، والوعود المستقبلية، هو الالتزام الديني، ولنا في اجتماع الشاميه خير دليل، حيث وزع (الكابتن مان) أموالاً على بعض رؤساء العشائر فثبط عزائمهم باتجاه الثورة وذلك في ١٣ تموز ١٩٢٠م - ٢٧ شوال ١٣٣٨هـ، فأرسل عبادي الحسين رئيس آل فتله إلى عبد الواحد الحاج سكر والسيد علوان الياسري يخبرهما بمحاولة (مان)، وعلى أثر ذلك عقد اجتماع في التاجيه جنوبي الشاميه (أم البعور)، الشيخ عبد الواحد والسيد علوان ومعظم عشائر الشاميه وحينما احتدم الجدل إثر تزعر قرار الجهاد والثورة لدى

ص: ٤٤٤

١- (١) الفرعون، فريق المزهر: المصدر السابق، ص ٢٢١-٢٢٢.

٢- (٢) كمال الدين، محمد على: معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى، بغداد ١٩٧١م، ص ١٠٦-١٠٧. والوردي، د.

على: المرجع السابق، الفصل الخامس (محاولات ومكائدات) ص ٢٣٩-٢٥٥. أيضاً: Mann: Administrator in The

Making London ١٩٢١p.٣١٢-٣١٨

البعض، قال خادم الغازى من رؤساء بنى حسن - بشجاعه-: «إننا تعاهدنا وتحالفنا أمام آيه الله الشيرازى فى مرقد الإمام الحسين عليه السلام أن نبذل كل ما فى وسعنا فى سبيل قضيه بلادنا، وأن يكاتف بعضنا البعض ويشد بعضنا أزر الآخر، وأن لا يخون أحدنا رفيقه، وبما أنى أرى هذه أول بادره بدرت للخيانه من بعضنا، فإذا غَضَّينا النظر عنها فمعنى ذلك القضاء على قضيتنا أولاً، وعلى نفوسنا وأموالنا وعشائرننا والعروبه ثانياً. فعليه أن (الكابتن مان) يجب أن يخرج من الشاميه من رضاه أو بالقوه، وأنا أول واحد يحاربه منذ الساعه ان لم يخرج» (١).

ص: ٤٦٥

١- (١) الفرعون، فريق المزهري: المصدر السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦.

ابتدأت الثورة - ميدانياً - في الرميه (٢)، «وأطلقت أول رصاصه للثوره في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ [الثالث عشر من شوال ١٣٣٨هـ-]، على أثر إلقاء الحكومه القبض على شيخ الطوالم، الشيخ شعلان أبو الجون، واطلاقه عنوه على يد جماعه من عشيرته» (٣).

ص: ٤٤٤

١- (١) للاطلاع على تفاصيل أحداث ووقائع الثورة راجع: البصير محمد مهدي، تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق جزآن، بغداد ١٩٢٤. والياسري، عبد الشهيد: البطوله في ثوره العشرين، طبع النجف ١٩٤٤م. والفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعه في الثورة العراقيه سنه ١٩٢٠ مصدر سابق، جزء آن بغداد ١٩٥٢. وكمال الدين، محمد علي: ثوره العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقيه الكبرى: طبع بغداد ١٩٧١م. والحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠م، مرجع سابق، طبع صيدا ١٩٥٢. وفياض، عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى، مرجع سابق، والوردى، على: المرجع السابق، الجزء الخامس القسم الأول حول ثوره العشرين. آل طعمه، سلمان هادي: كربلاء في ثوره العشرين، طبع بيروت ٢٠٠٠م.

٢- (٢) قضاء تابع لمحافظة المثنى (السماوه) ويقع على ضفتى الفرع الشمالى من نهر الفرات، فرع الحله، بين الديوانيه والسماوه، يبعد عن الديوانيه ٦٢ كم، وعن السماوه ٢٦ كم، عدد نفوس الرميه آنذاك زهاء ٣٢٥٠ نسمة. راجع الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ١٨٥.

٣- (٣) فياض، عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٩٨. يذكر الياسري، عبد الشهيد فى كتابه، ان موعد بدء الثورة - كما حدده العلماء ورؤساء عشائر الفرات - هو ١٦ شوال ١٣٣٨هـ - ٣ تموز ١٩٢٠م، ولكن اعتقال الشيخ شعلان وإطلاق سراحه بعملية جهاديه لزم تقديم موعد انطلاق الثورة. راجع الياسري، عبد الشهيد: البطوله في ثوره العشرين، مصدر سابق ص ١٤٨.

ويذكر السيد الحسنى، بأن الاعتقال تم بأمر (الميجر ديلي) حاكم الديوانيه السياسى وهو معروف بشدته وغلظته، اتخذ هذا الموقف بعد أن علم باجتماع كربلاء ليله النصف من شعبان والاجتماعات السريه فى النجف والمشخاب، كأنه أراد أن يوجه ضربه استباقيه لشيوخ العشائر إلا أن الشيخ غيث الحرجان زعيم الطوالم أنفذ عشره رجال على ضوء طلب الشيخ شعلان من مكان اعتقاله وبالفعل آقتحم الأبطال العشره سراى الرميته، وقتلوا شرطيين من الشرطه وتم الإفراج عن شيخهم رغماً على الإنجليز، وذلك فى ١٣ شوال ١٣٣٨هـ - ٣٠ حزيران ١٩٢٠م. وسط أهازيج ثوريه عارمه، فكانت بالفعل «الرصاصه الأولى التى انطلقت فى هذا اليوم الشراره الأولى للثوره» (١). وبالمناسبه يقول الشاعر الشعبى الشيخ على البازى:

الدوله اتعرف عدّهم خوش رسميات ما يدري العراك اشبيه زلم آفات

من راحن فجر يمشن سبع تفكات فكّوه وتمدّد ناطوره (٢)

ويذهب البصير، إلى أن سبب إلقاء القبض على الشيخ شعلان هو سبب سياسى، بخلاف ما ادعته سلطات الاحتلال، أن بدمته ديوناً للحكومته (٣)، وهذا

ص: ٤٦٧

-
- ١- (١) راجع الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ١٨٥-١٨٨. والأبطال العشره هم: ١- حبشان الحاج كاطع ٢- جنحيت الحاج كاطع ٣- حمود آل راضى ٤- عبد آل عباره ٥- خضير آل عواد ٦- نجم آل عبد الله ٧- أبو عيون آل حرجان ٨- عاجل آل راضى ٩- عبد الصاحب آل سوادى ١٠- عبد الحسين آل سوادى. المرجع ذاته، ص ١٨٧.
 - ٢- (٢) خوش: كلمه فارسىه الأصل معناها جيد، العراك يعنى العراق، زلم آفات: رجال شجعان كالآفات القاضيه، سبع تفكات: أى سبع بنادق بيد سبعة رجال وكان الهجوم وقت الفجر، فكّوه: أى أطلقوا سراحه، تمدّد ناطوره: قتل حارسه وتمدد أرضاً. راجع: فياض: المرجع ذاته، ص ٢٩٩.
 - ٣- (٣) البصير، محمد مهدى: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٢. ويذكر إنه أجرى مقابله شخصيه مع الشيخ شعلان سأله عن قضيه الديون، فنكرها الشيخ تماماً. ويذكر - أيضاً - أن الشيخ شعلان كان أحد

الإدعاء - كما يبدو - أريد منه أن يكون مسوغاً مقبولاً من الناحية الاجتماعية - على الأقل - لغرض تغطيه الحدث. والحال أن هذه العشيره كانت هي الأبرز في التصعيد العسكري ضد سلطات الاحتلال، ومما يذكر في هذا الاتجاه، بأن الشيخ رحوم الظالمى، من أقرباء الشيخ شعلان، وهو عالم دين من تلاميذ الإمام الحائرى، بعثه إلى المنطقه لقياده المجاهدين (١). فجاء اعتقال الشيخ شعلان ضربه استباقية مبكره للتحرك الشعبى المناهض، وللقياده الإسلاميه من ورائه - كما فى حسابان رجال السلطه البريطانيه-.

والمهم بعد نجاح عمليه المجاهدين الثوار فى إطلاق سراح الشيخ شعلان، بوشرت العمليات العسكريه الجهاديه، فهوجمت سكه حديد بغداد - البصره، وتم قطعها من عدّه أماكن شمالي الرميثه، مما عرقل وصول قوات جيش الاحتلال، والتموين - أيضاً - للمنطقه، وحوصرت الحاميات العسكريه وتم توحيد كلمه عشائر المنطقه فى (مؤتمر الشاميه) (٢) - المار الذكر - مستجيبه لفتوى الإمام الحائرى فى جهاد الأعداء المحتلين. وفعلاً تصدى الثوار لمحاولات النجده لجيش الاحتلال، ودخلوا معركة منظمه ضدهم. «وبالرغم مما بذلته القوات الإنكليزيه من جهود بغيه مواصله السير إلى الرميثه فإنها فشلت» (٣).

ص: ٤٤٨

١- (١) الفرعون، فريق المزهر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٠.

٢- (٢) نشرت أخبار هذا المؤتمر جريده (الفرات) النجفيه، فى عددها الصادر بتاريخ ٢٨ ذى القعدة ١٣٣٨هـ-.

٣- (٣) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٠٢.

إلا إن الجيش البريطاني استطاع بالنتيجة أن يدخل الرميثة بإمدادات كبيرة، ويصل إلى الحامية العسكريه المحاصره. ولكن هذا الانتصار البريطاني لم يستمر طويلاً، فقد استطاع الثوار أن ينزلوا الهزيمة بالقوات البريطانيه فى الرميثة، إثر هجماتهم المكثفه عليهم، وذلك فى الحادى والعشرين من تموز، فألحقوا بهم خسائر فادحه بلغت (١٤٨) بين قتيل وجريح، بالإضافة إلى حصولهم على غنائم الحرب من البنادق والرشاشات (١).

وفى منطقه المشخاب، القريه من النجف، تم اجتماع رؤسائها فى مضيّف الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، حضره عدد كبير من رؤساء العشائر والساده، وقرروا رفع رايه الجهاد وذلك فى ١٢ شوال ١٣٣٨هـ - ٢٩ حزيران ١٩٢٠م، أى بعد يوم واحد من الاجتماع (٢).

وكان السيد علوان الياسرى، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر فى مقدمه الثائرين، فحاصروا حامية أبى صخير فى ١٣ تموز وبدأت المعركه ضد الإمدادات البريطانيه لإنقاذ الحاميه. يقول فريق المزهر: «كان أول انتصار فى المشخاب أحرزه المجاهدون لنصره دين الله، وعزّ المسلمين، هو انتصارهم على هذه الباخره الحريه..» (٣).

ص: ٤٦٩

١- (١) أصدر الثوار بلاغاً حربياً عن حرب الرميثة فى الحادى عشر من ذى القعدہ سنه ١٣٣٨هـ - ٢٧ تموز ١٩٢٠م، ذكر فيه أن الثوار كيّدوا المحتل «خسائر عظيمه، فقتلوا ثلاثمائه جندى، وأصابوا غنائم كبيره منها ١٠٠ بندقية و٧ رشاشات». وفى اصطدام آخر «استعرت نار الحرب بين المناهضين وبين جنود آمر اللواء (فلكنهايم) دامت مستمره يومين، وقد انتهت بفوز العرب وانكسار أعدائهم انكساراً فاحشاً فولّوا مسافه ٥ ساعات فارين على أعقابهم. وأحاط المجاهدون بهم، وحصروهم.. وقطعوا خط رجعتهم.. أما الغنائم فقد كانت ٣٠ رشاشاً، وألقى بندقية عدا الخيل والبغال والذخيره التى لم يتمكن الغزاه من نقلها إلى الآن. أما شهداؤنا فلم يتجاوز عددهم ١٠٠ شهيد». راجع فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٠٤-٣٠٦.

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحلیم: المرجع السابق، ص ٢٢٠.

٣- (٣) الفرعون، فريق المزهر: المصدر السابق، ص ٢٠٤.

ثم انتقلت شراره الثورة إلى الكوفة، وبضغط من السيد علوان والحاج عبد الواحد وافق (الكابتن مان) حاكم الشاميه على سحب قواته إلى الكوفة. وبدأ الحوار لتثبيت هدنه بين الطرفين، عرضه (الميجر نوربري)، لغرض فك الحصار عن حاميه أبي صخير، فوافق الثوار شريطه اشتراك وفد النجف والشاميه في المفاوضات، فلم يعترض (نوربري) على ذلك، وبالفعل حضر الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد الجواهري، في ذلك الاجتماع. وقد تم فيه الاتفاق بين الطرفين على إعلان الهدنه لمدته أربعة أيام، ابتداءً من ١ ذى القعدة ١٣٣٨هـ-، الموافق ١٧ تموز ١٩٢٠م، وفي خلالها تنسحب حاميه أبي صخير إلى الكوفة دون تعرض وهجوم. وبالمقابل تعهد (نوربري) برفع مطالب الثوار إلى الحاكم العام ببغداد، والتي تتضمن:

«١- العفو العام عن جميع العراقيين، بما فيهم أهل الرميثه والشاميه و الدغاره.

٢- توقف جميع الحركات العسكريه، وإصلاح سكه الحديد، ونقل القوات العسكريه من مكان إلى آخر.

٣- إطلاق سراح جميع المعتقلين المنفيين، خصوصاً ابن الشيرازي.

٤- تشكيل المؤتمر العراقي» (١).

هذا، وقد نقضت الهدنه من الطرفين، وعادت الثورة إلى مجاريها، بعدما ندم الثوار على الموافقه في إعلان الهدنه وانسحاب الحاميه، لان المحتلين قد حصلوا على غنيمتهم المرجوه من تلك الهدنه، وعليه «يمكن اعتبار ١٩ تموز - هو اليوم الذي نقضت فيه الهدنه - بدايه الحرب الجديّه بين الثوار والإنكليز في هذه المنطقه» (٢).

ص: ٤٧٠

١- (١) للاطلاع على تفاصيل مؤتمر الكوفه راجع: الوردى، على: المرجع السابق، ص ٢٤٨-٢٥٥. والروايه التفصيليه يرويها الشيخ باقر الشيبى لمحمد على كمال الدين، حيث كان الشيخ باقر الشيبى أحد الحاضرين في المؤتمر، وقد سجل محضر الاجتماع بنفسه، راجع: كمال الدين، محمد على: ثوره العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات، ص ١٠٩-١١٤.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع ذاته، ص ٢٥٥.

وهكذا انتشرت الثورة في أغلب مدن العراق، «ومن المعلوم أن [المدن] العراقية التي اشتركت في الثورة كانت: كربلاء [محافظة كربلاء ومحافظة النجف] والحلة [محافظة بابل] والديوانية [محافظة القادسية]، وإن ألوليه المنتفق [الناصرية، وحالياً محافظة ذي قار، والسماوه محافظة المثنى] وديالى، وبعض أجزاء بغداد، والدليم [محافظة الأنبار] أسهمت إسهاماً محدوداً» (١). وقد اشترك مع الثائرين من الضباط العراقيين يتراوح عددهم بين ١٣-١٤ ضابطاً، كان لهم دور مهم في تنظيم بعض جبهات القتال (٢).

وفي مناطق الفرات الأوسط - مهد الثورة - حسم أمر أغلب المترددين، فأنضموا إلى صفوف الثوار، وذلك استجابةً لضغوط الرأي العام الإسلامي «الذي كان يعدّ كلّ من لا ينضمّ إلى الثورة كافراً نصرانياً» (٣). حتى أن بعضهم أبلى بلاءً حسناً في المعركة، وكأنما كانت غشاوه على بصيرته فأنقشعت بفعل التفاعل الجدوى والمصيرى مع الأحداث، كما فعل مرزوق العواد الذي أبدى بطوله نادره في معركة الرارنجيه، حيث قام بحركه التفافيه أربكت القوات البريطانيه هناك، يقول الدكتور الوردى: «لقد آنقلب مرزوق العواد في خلال وقت قصير من عدوٍ للثوار إلى واحدٍ من أعظم أبطالها» (٤). هذا، وقد كان تمرکز الثورة في ثلاث مدن رئيسيه هي: كربلاء والحلة والديوانيه، إلا أنها آمتدت إلى الفرات الأدنى والأعلى، وإلى الناصريه وبعقوبه، وكذلك إلى دلتاوه شمالي بغداد، وإلى مندلى وشهربان وخانقين بالإضافة إلى كركوك وأربيل في فتره قصيره (٥).

ص: ٤٧١

١- (١) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٩٣.

٢- (٢) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٩٦.

٣- (٣) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ٢٥٥.

٤- (٤) الوردى، المرجع ذاته: ص ٢٦٢. للتفاصيل راجع الفرعون، فريق المزهري، ص ٢٣٠-٢٣٤.

٥- (٥) الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقية الكبرى، ص ١٧٩، ص ١٨٣-١٨٤.

ولقد كان لانتصار الثوار في معركة الرارنجيه التي تبعد عن الكفل (١) بشمانيه أميال، الأثر الكبير في رفع معنويات المجاهدين وتوسيع نفوذهم، وقد آنتشرت أخبارها بكثافه في الأوساط العراقيه، حيث تمّ انكسار وهزيمه قوات الاحتلال في ٢٤ تموز ١٩٢٠م - ٩ ذى القعدة ١٣٣٨هـ، بينما أظهرت العشائر قدره فائقه في حرب المواجهه المباشره بالسلاح الأبيض، فأصبحت هذه المعركه بتفاصيل وقائعها وبساله رجالها نقطه تحوّل في مسار الثوره، ويبدو أنها من أعظم معارك ثوره العشرين، فقد تمزق رتل (مانجستر) القادم من الحله إلى الكفل في معركه دامت ست ساعات. وبالإضافه إلى الانتصار الميداني الذي حققه المجاهدون، فقد غنموا في هذه المعركه غنائم كثيره، وعلى أثر ذلك تصاعد التيار الثوري في أوساط العشائر بشكل ملحوظ، حتى أن عمران الحاج سعدون - المار الذكر - صار في الزاويه الحاده من قبل أفراد عشيرته، ولم يجد مناصاً من الانضمام للثوار (٢). وهكذا سجلت المدن والعشائر صفحات جهاديه مشرقه في تاريخ العراق الحديث، حسب درجه إمكانياتها وتضحياتها، وطريقه مجابهتها لجيش الاحتلال، وأصبحت تلك البطولات روايات الفخر والعزّه لعموم شعب العراق فضلاً عن العشائر والمدن والمواقع التي انطلقت منها (٣). يقول الشاعر علي البازي في قصيدته

ص: ٤٧٢

- ١- (١) تقع مدينه الكفل ما بين الحله والكوفه.
- ٢- (٢) راجع الوردى، المرجع ذاته، ص ٢٥٨-٢٦٢.
- ٣- (٣) لمعرفه أحداث الثوره في شرق الديوانيه، ودور عشيره الأقرع، ومعارك القطار، وعشيرته البدير، راجع الوردى، المرجع نفسه ص ٢٦٢-٢٧٠. ومما يذكر في معركه القطار الذي تحرك من محطه الديوانيه صباح ٣٠ تموز قاصداً الحله، فقد استغرق أحد عشر يوماً ليقطع مسافه الطريق البالغه ٨٥ كم، أى أنه كان يسير بمعدل ٨ كم في اليوم الواحد تقريباً، وذلك لأن الثوار كانوا يقلعون قضبان السكه قبل مجيء القطار، فيضطر سائق القطار إلى التوقف، فيسرع عماله ومهندسوه إلى اقتلاع القضبان من وراء القطار حيث مشى عليها القطار، لينصبوها من جديد أمامه. لقد شاركت في هذه المعركه عدده عشائر وهي: عفك والأقرع وخفاجه، وآل شبل، والجبور، وأبو سلطان، وكان للسيد كاطع العوادى دور بارز فيها. راجع

حول معركة الرارنجيه، باللهجه العراقيه:

او على الرارنجيه إنشد من تُمر بيها مَنْ راواه انجوم الظُّهر

منهو غطها اويه العِشه أو كَبَل الفَجْر كَضت والجيش أوسرو قَواده

أو فاتح النهريْن منهو اليسره ويوم يوم الكوفه كَسر منوره

خل يجي الكوفه يشوف المادره أو يعرف اشصار وسده اعلى اجناده (١)

وقد كانت القيادة الإسلاميه تتابع أحداث المعارك خطوه خطوه، فمثلاً حينما أبلغ الإمام الحائري، خبر نكسه الثوار في الحله في ٣١ تموز ١٩٢٠م الموافق ل- ١٦ ذى القعدة ١٣٣٨هـ-، بعد معركة الرارنجيه، نتيجته التدابير القمعيه التي استخدمتها سلطات الاحتلال في الحله، كفرض الأحكام العرفيه ومنع التجول ليلاً، في حينها أوعز الإمام إلى السيد هبه الدين الشهرستاني أن يكتب للسيد علوان الياسري لمعرفة الموقف الميداني بدقه، فأجاب السيد علوان بالتفصيل، وهكذا كانت طريقه إداره الشيخ فتح الله الاصفهاني (٢).

ص: ٤٧٣

١- (١) (فاتح النهريْن) يعنى المدفع البريطاني الذي مهد فتح بلاد ما بين النهريْن، فقد تم أسره بأيدينا. فياض، المرجع السابق، ص ٣١٧-٣١٨. للاطلاع أكثر على مثل هذه القصائد المعبره راجع الخاقاني، على (الناشر): فنون الشعر الشعبي، الحلقة الرابعه، بغداد ١٩٦٢م. ومما يذكر أيضاً أنه حينما تم أسر المدفع خاطب أحد الثوار الشيخ عبد الواحد الحاج سكر بهوسه ردها الحاضرون معه، منادياً بطريقته الحماسيه «جبالك مدفع يا هيبه». الفرعون، فريق المزهريْن: ج ١، ص ٢٣٤. وقد كتبت (المس بيل) في رسالتها بتاريخ ٢ آب ١٩٢٠ بعد معركة الرارنجيه (الرستميه) عن الخطر المهدد لكيان الاحتلال أنظر: Bell, Lady Florence, The Letters Of Gertrude Bell vols, ١٨١١, London, ١٩٤٧, p.٤٠١.

٢- (٢) للاطلاع على نص الرساله الجوابيه، راجع: الفرعون، فريق المزهريْن: مصدر سابق، ص ٢٦٩-٢٧٠، وتجد تفاصيل معركة الخضر (والخضر قضاء تابع لمحافظة المثنى (السماو) ويبعد عنها ٢٨ كم)

ففى كربلاء التى «أصبحت خلال فتره من الزمن بمثابة العاصمه لحكومته الثورة، وهى الحكومه التى كانت سلطتها المعنويه تشمل جميع المدن والأرياف التى دخلت فى حوزة الثورة.. ان المدن والأرياف التى دخلت فى حوزة الثورة كانت تحكم نفسها بنفسها بواسطه رؤسائها المحليين على الطريقتى العشائريه، ولكن السلطه النهائيه فى الأمور العامه كانت فى يد الشيرازى وحاشيته فى كربلاء، ثم تحولت بعد وفاته [فى ٣ ذى الحجه ١٣٣٨هـ-، ١٧ آب ١٩٢٠م] إلى الشيخ فتح الله الاصفهانى فى النجف» (١). هذا ونحن لا نستبعد ما يراه بعض الباحثين، بأن الشيخ الشيرازى قد تم القضاء عليه من قبل البريطانيين وذلك عن طريق دس السم إليه (٢).

ص: ٤٧٤

١- (١) الوردى، على: المرجع السابق، ص ٢٩٢.

٢- (٢) محمد كاظم، عباس: مرجع سابق، ص ١٠٩.

شهدت كربلاء المقدسه عاصمه ثوره العشرين الكبرى، حركه مكوكيه قويه من سفر وانتقال ولقاءات فيما بين الثوار والأحرار من مختلف مناطق العراق، وبالفعل تكثفت فيها الاجتماعات المصيريه بين أقطاب التحرك والثوره للتشاور والتنسيق فيما بينهم وبين المرجع القائد الإمام الشيخ الحائري الشيرازي ومن يدور في فلكه من العلماء والأحرار، وذلك لغرض توحيد الرؤيه وتنسيق الجهود ضمن الاستجاباه التامه لفتاوى المرجع القائد وتعميمها على الأمة ومواصله الجهاد على ضوئها.

يقول: البروفيسور نوري جعفر «كانت [كربلاء] مقر قياده ثوره العشرين وعاصمه الثوره، فإليها كان يحج جميع رجالات الثوره من مختلف أنحاء العراق للتشاور والتشاور واتخاذ القرارات اللازمه والعوده بها وبفتاوى العلماء الأعلام الشرعيه لمقاومه الاحتلال وإنجاز الاستقلال» (١). و«كان رؤساء العشائر المشاركون في الثوره يعقدون اجتماعاتهم فيها في كثير من الأحيان، ومن الممكن القول أن كربلاء أصبحت خلال فتره من الزمن بمثابة العاصمه لحكومته الثوره» (٢).

ص: ٤٧٥

-
- ١- (١) جعفر، البروفيسور نوري: كربلاء بين الماضي والحاضر، من كتاب دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري - وقائع الندوه العلميه التي عقدت في لندن ١٩٩٦م من قبل مركز كربلاء ص ١٩.
 - ٢- (٢) الوردى، د. علي: لمحات اجتماعيه.. ج ٥، القسم الأول ص ٢٩٢.

وهكذا كانت الأنظار متجهه صوب كربلاء وقائدها بالتحديد وهو محاط برموز العلماء ورؤساء والعشائر وكبار السياسيين ووجهاء المدن، وهم ينتظرون صدور القرار الشرعى على ضوء تطورات الأحداث الميدانية والقدرات الشعبيه المتاحه. وأما الاستفهام المهم الذى يدور فى الأذهان فهو يتلخص فى سؤال مصيرى وهو: ماذا بعد صدور فتوى الجهاد والثوره؟ وماذا بعد اندلاع لهيب الثوره فى عموم العراق كما حدث فعلاً؟

هل هنالك خطه متكامله للمشروع التغييرى فى الأمه يتجاوز مرحله الثوره إلى إقامة الدوله الإسلاميه - الطموح المنشود - تنويجاً لجهاد العلماء ودما الشهداء وتضحيات الأمه؟

وبتعبيراً آخر، هل يمكن مناقشه موضوع تكامله المشروع التغييرى فى العراق -آنذاك - من الثوره إلى الدوله؟

يبدو لى، إنه كان فى ذهنه قياده الثوره لاسيما الشيخ القائد مخطط متكامل يشمل مرحله ما بعد الثوره أى إقامة الدوله الإسلاميه التى تحقق طموح الشعب الثائر، والدليل على ذلك ظهور بوادر المخطط التكاملى فى مدينه كربلاء مقرّ الإمام القائد وعاصمه الثوره، حيث تمّ تشكيل الحكومه الوطنيه، من قبل رجال الثوره ويأشرف علماء الدين، يقول الدكتور على بابا خان: «إن كربلاء أصبحت عاصمه ثوره العشرين وعقلها المفكر، وهى الثوره التى رفعت رايه الجهاد واستقلال العراق وأثرت فى السياسه البريطانيه من احتلال العراق إلى الانتداب وتكوين الحكومه الوطنيه ثم رفع رايه الاستقلال السياسى.. [ويضيف].. فى كربلاء انطلقت أول مره، وقبل دعوه الإمام الخمينى رحمه الله بخمسين عاماً، فكره الحكومه الإسلاميه وفيها قامت أيضاً إداره ذاتيه وحكومته محليه» (1). وقد انعكس هذا الأمر فى المناطق المحرّره الأخرى حيث أن رجال

ص: ٤٧٤

١- (١) بابا خان، د. على: لمحات من تاريخ كربلاء المعاصر ١٩١٤-١٩٥٣، من كتاب دراسات حول كربلاء،

الثورة «أقاموا حكومات محليه فيها، استطاعت أن تؤدي خدمات عظيمه للسكان المحليين، وللثوار المقاتلين في سوح الجهاد»^(١). مثل الديوانيه إلا أن الذي منع تحقيق هذا الحلم المشروع في إقامة الدوله في العراق بالشكل التام، عاملان رئيسيان:

العامل الأول: وهو الأهم في نظرنا، وهو رحيل المرجع القائد في ظروف غامضه في ذلك المنعطف التاريخي الشديد في حساسيته بل هو القمه في الحساسيه والحرج، ومن هنا نحن نميل إلى الفكره التي تؤكد أن موت هذا العالم القائد لم يكن طبيعياً وإنما تمّ تسميمه من قبل الإنكليز وأعوانهم، نعم لقد مات مسموماً في ظرف محرج جداً للثوره والثوار^(٢)، وعليه فقد تخلصت السلطه المحتله من العقبه الرئيسييه في طريق المشروع البريطاني، وبذلك تمّ إجهاض المشروع وهو في طور الاستكمال والبناء. وإنما جرت التصفيه الجسدّيه لهذا القائد بعدما يئست سلطه الاحتلال البريطاني من احتوائه واستيعاب طموحه. وكانت الضربه الأولى للمرجع القائد هو اعتقال أحرار كربلاء وعلى رأسهم نجله الأكبر الشيخ محمد رضا ومن ثم نفيهم إلى جزيره هنجام، في محاوله صريحه لإخماد لهيب الثوره، حيث بات مؤكداً لدى الدوائر البريطانيه أن إشعال الثوره وتحديد مصيرها وتناجها بيد المرجع المتصدي مفجر الثوره، فجاءت المحاوله الثانيه في تصفيته بالذات للتخلص منه.

وأما العامل الثاني: فيتخلص في استيعاب طموح الثائرين في العراق وذلك بتقديم

ص: ٤٧٧

١- (١) الحسنی، السيد عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسي الحديث، ج ١، ص ١٣٩.
٢- (٢) يقول الدكتور الوردی: «كان لموت الشيرازي صدیً بالغ في العراق وإيران، فخرجت المواكب في كربلاء تلطم عليه، وأقيمت مجالس الفاتحه له في كل مكان، وانتشرت الإشاعات بين الناس إنه لم يمت موتاً طبيعياً بل من جراء سم دسّه له أحد عملاء الإنكليز». الوردی، د. علی: لمحات اجتماعيه، ج ٥، ص ٣٠٠. وإن قضيه موته مسموماً وصلت إلى حد الشهره في أوساط العلماء والمهتمين بدراسه تلك المرحله.

البديل الممكن، عبر تشكيل حكومه وطنيه مستقله (ظاهراً) يحكمها أمير عربي مسلم مقيد بدستور.. وإلى آخر هذه الشعارات البرّاقه. وهكذا عاد الإنكليز إلى العراق من النافذه ليلاً بعد أن طرّدوا من الأبواب نهراً بثوره عارمه.

وهذا لا يعنى أن المسيره الجهاديه بعد وفاه الإمام الشيرازى قد توقفت وإنما استمرت من بعده إلى مسافه معينه، كما سنلاحظ ذلك عبر تطور الأحداث.

وبالعوده إلى صميم الحديث نقول: كان من المهم أن نلمس تكاملية المشروع التغييرى من الثوره إلى إقامه دوله القانون التى تحترم حقوق الإنسان على ضوء الشريعة الإسلاميه لدى القائد المرجع وبقية المعنيين فى إداره شؤون البلاد من حول القائد. وذلك لتكامل صورته المخطط المرسوم من قبل قياده، أمام الرأى العام خصوصاً لأبناء الشهداء والسائرين على نهج الثوره، باعتبار أن ذلك التخطيط يسعى إلى تحقيق طموحهم بإقامه الدوله العادله. هذا من جانب ومن جانب آخر للوقوف فى وجه إشاعات الإنكليز وأعداء الإسلام، التى ترمى الثوره -آنذاك- باتهامات باطله وتصفها بالفوضى والاضطرابات والنهب والسلب والتمرد على القانون والحياء المدنيه وحقوق الإنسان (١). بينما أثبتت الأحداث بأن المناطق الثائره قد أدت مسؤولياتها، التحرريه ضد المعتدين المستعمرين ضمن رعايه الأمن والاحترام لعموم السكان، حتى الاقليات الدينيه التى توجهت بالشكر للإمام القائد على بياناته الجليله بخصوصهم (٢).

ص: ٤٧٨

١- (١) للأسف يجرى بعض الباحثين المعاصرين فى هذا الاتجاه فى وصف ثوره العشرين بأنها اضطرابات وفوضى. راجع النفيسى: عبد الله، مرجع سابق، ص ١٣٠.

٢- (٢) يقول الأستاذ الوردى عن عهد الثوره «قد تميز بظاهره اجتماعيه تستحق التقدير هى استتباب الأمن والنظام.. وكانت فى بعض المدن أقليات دينيه من اليهود وغيرهم وقد لقيت تلك الاقليات رعايه وأمناً طيله أيام الثوره». المرجع ذاته، ج ٥، ص ٢٩٢. كما ويذكر الأستاذ الوردى أيضاً إنه فى أعقاب البيان الذى أصدره الإمام الشيرازى إلى كافه العراقيين وأوصاهم باحترام وحمايه كل المواطنين العراقيين باختلاف دياناتهم، على أثر ذلك

هذا ما حصل في أيام الثورة إبان الغليان الثوري للأمم، وأما في بدايه الاستقرار والدخول في مرحله تشكيل أوليات الحكومه الوطنيه الإسلاميه فكان الأمر أكثر وضوحاً. وبالفعل ساد الأمن والنظام في كربلاء بعد الثورة العارمه وهروب بقايا سلطه الاحتلال منها (1)، فتشكلت لجان إداريه بإشراف المرجع القائد، كانت بمثابة النواه للحكومه المرتقبه، تعنى بشؤون البلده وضواحيها وارتباطاتها بالمدن الأخرى، وتم اختيار مجالس إداريه برعايه المرجعيه الدينيه مباشره. ولا بد أن نشير إلى الاجتماع المهم الذي عقد في دار البلديه من قبل وجوه وأعيان وشخصيات كربلاء لتداول الأمور، وقد تمّ إستدعاء محمد بهادر خان [البوشهري] ممثل الحكومه البريطانيه فيها، وطالبوه بتسليم الممتلكات الحكوميه في كربلاء إلى الإدارة المحليه المنتخبه، مما دفع به إلى استخدام أسلوب المناوره فطلب مهله يومين فقط ليستجمع أفكاره واتصالاته بأسياده، وتمت الاستجابه المبدئيه لطلبه - أنظر إلى المعالجه السلميه من قبل أحرار كربلاء الإسلاميين لحلّ الأزمه مع المحتلين، وإنهم في موقع القوه والانتصار ولكنهم في الوقت ذاته يتعاطون مع الأعداء بروح أخلاقيه عاليه وبشفافيه سياسيه نادره. أين هذا من اتهامات الأعداء للإسلام والإسلاميين؟ وبالمقابل اتصل هذا الممثل بمدير شرطه كربلاء محمد أمين، واتفقا على التحصن في السراي الحكومى مع أفراد الشرطه حتى تصل إليهم النجده من حكومه الاحتلال في بغداد، وبالفعل تمّ ادخار الطعام والأرزاق في السراي تحسباً لما

ص: ٤٧٩

١- (١) يقول السيد الحسنى «وقامت حكومات مؤقتة استطاعت أن تحافظ على الأمن والنظام وتعزز الطمأنينه في النفوس لم يكن في وسع حكومه الاحتلال إلا الاعتراف بالأمر الواقع.. اعتبرت الحركه مشروعه وطلبت المفاوضه معهم على أساس الاعتراف بمطالب الثورة الأساسيه». الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، ج ١، ص ١٣٩-١٤٠.

سيجری عليهم، وهيئوا أكياس الرمل لحمايه أنفسهم ودوائرهم وكذلك تم حفر بئر في السراى لتأمين الحاجه إلى الماء. ومما يذكر هنا، إن مدير الشرطه وقف مخاطباً بعض الناس المتجمهرين، بأسلوب دبلوماسى مكشوف، يمتيهم بوعود معسوله، مما ألهب حناجر الثائرين ضده وهتفوا بهذه الأزوجه - جواباً صريحاً لوعوده: «منطيعك، منطيعك يا عبد السوجر منطيعك» (١).

فدخل الخوف والاضطراب في قلب الممثل بهادر ومدير الشرطه ومعهما عريف بريطانى، فاضطروا للجوء إلى دار أحد وجهاء البلده القريب من السراى وبعد ذلك تم نقلهم إلى الحاميه البريطانيه في المسيب - خارج كربلاء على طريق بغداد - وذلك بمساعده الشيخ فخرى كمونه. وفي حينها اقتحم أحرار كربلاء مبنى السراى الحكومى واستولوا على ما فيه من عتاد وأموال وذلك في ٢٥ تموز ١٩٢٠م. وفي اليوم التالى اجتمع رؤساء البلده عند الإمام الشيرازى في داره وتداولوا أمر تشكيل الحكومه (٢).

وفي هذا المقطع الزمنى المهم برزت الأهميه الإداريه لشؤون البلده، يقول السيد عبد الرزاق الحسنى: «تألف على الأثر مجلسان: سمي أحدهما (المجلس الحربى الأعلى) وكان اعضاؤه:

١- الميرزه أحمد الخراسانى.

٢- السيد هبه الدين الحسينى.

٣- الميرزه عبد الحسين الحائرى.

٤- السيد أبو القاسم الكاشانى.

ص: ٤٨٠

١- (١) عبد السوجر يعنى الرجل المملوك والمطيع للجيش الإنكليزى.

٢- (٢) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه، ج ٥، ص ٢٩٣-٢٩٤. وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٢٧٧-٢٧٨. وكذلك آل طعمه، سلمان هادى: كربلاء في ثوره العشرين ص ٦١.

وكانت وظائف هذا المجلس استشاريه للمجلس الملى وراثسه عليه، فيما يعود إلى القوات الوطنيه المحاربه، وكان يعقد برئاسه أكبر الأعضاء سنًا، فيودع الأمور القضائيه إلى علماء كربلاء لحسمها، ومنازعات القبائل إلى شيوخ الثوار فى (صدر الحسينيه) للبت فيها.

ودعى المجلس الثانى (المجلس الملى) [وهو المجلس البلدى - الوطنى]، فكان أعضاؤه من سادات كربلاء ومن رؤساء القبائل [والأطراف] فيها، وكانت مهمته الإشراف على إداره البلده من حيث جبايه الضرائب وتعيين الحرّاس وتأمين الطرق، أما الأعضاء الساده فكانوا:

١. السيد عبد الوهاب آل طعمه.

٢. السيد أحمد ضياء الدين.

٣. السيد عبد الحسين الدّده.

٤. السيد حسن نصرالله.

٥. السيد إبراهيم الحسينى (الشهرستانى).

٦. السيد محمد حسن آل طعمه (الروضخون)، أى خطيب المنبر الحسينى.

٧. السيد أحمد الوهاب.

٨. السيد محمد على ثابت.

وأما الأعضاء من الرؤساء فكانوا:

٩. من آل عواد: عبد النبى آل عواد.

ص: ٤٨١

١٠. عن الوزون والسالمه: كمر آل نايف.

١١. عن النصاروه: هادي الحسون.

١٢. عن الحميرات: عبد علي الحميري.

١٣. عن بني سعد: علوان جارالله.

١٤. عن الطهامزه: عبد العزيز الهر.

١٥. وعن آل المعله: محمد الشهب.

١٦. عن المناكيش: علي محمد المنكوشي» (١).

١٧. عن آل زنكي: عزيز علوان الزنكي. كما يضيفه الدكتور الوردى وغيره من المؤرخين.

وكان الشيخ الحاج محمد حسن أبو المحاسن الشاعر الأديب، يمثل الشيخ الشيرازى فى هذا المجلس، وعينوا السيد خليل عزمى سكرتير المجلس، ومهدى السامرائى محاسباً له، ومحمد على أبو الحب أميناً للصندوق، وعبد الرزاق أفندى كاتباً، هذا وقد باشر المجلس البلدى الوطنى أعماله فعين الموظفين والإداريين لخدمات البلديه وجبايه الضرائب وشكل شرطه الخياله من ثلاثين خيالاً وآمرهم الشيخ سمرمد الهيمى من عشيره المسعود، كما وشكل المجلس قوه عسكريه من المشاه وآمرهم عبد الرحمن العواد، وخصص للآمرين مرتباً شهرياً فدره مائه روبيه لكل آمر (٢). وهكذا تشخصت مهمه (المجلس الوطنى) فى إداره شؤون كربلاء وما حولها، تنفيذاً لأوامر المجلس الأعلى، وقد أولى المجلس رعايه خاصه لمساعدته الناس فى احتياجاتهم، ورعايه شؤونهم. وكانت الجلسات تعقد برئاسة أكبر الحاضرين سنأ، وكان الأمر المطاع للمجلسين معاً هو الإمام

ص: ٤٨٢

١- (١) الحسنى، السيد عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٢٧٧-٢٧٨.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٩٥.

الشيخ محمد تقى الشيرازى - قائد الثورة - أما حينما انتقل إلى رحمه الله تعالى فى الثالث من ذى الحجه ١٣٣٨هـ-، الثالث عشر من آب ١٩٢٠م (١)، وفجع القوم لفقده اضطربت الإدارة وضعفت هيبتها بالرغم من محاولات تثبيتها واستمرارها - وهذا ما سلاحظه فى تطور الأحداث لاحقاً.

يقول المستشرق الفرنسى الدكتور (بيير جان لوي زارد): «إن الهيئات الثوريه فى كربلاء التى ولدت بفعل الانتفاضه، كانت الأولى من نوعها فى العراق. لأنها تمثل سلطه أصليه جديده مبنيه على تحالف السنه والشيعة، الأرياف والمدن فى مختلف مناطق البلاد ضد الاحتلال الأجنبى وتحت حمايه المرجعيه. وقد أصبحت تلك الهيئات نموذجاً للحكومه الوطنيه التى طرحها آيه الله محمد تقى الشيرازى من أجل الوحده الإسلاميه كشرط ضرورى لنجاح آيه حركه وطنيه والتى توصلت إلى إحداث تقارب لم يسبق له مثيل فى التاريخ بين الشيعة والسنه عامى ١٩١٩ - ١٩٢٠، أصبحت المرجع والمثال الذى يحتذى والرمز للدفاع عن الهويه العراقيه» (٢).

وبالفعل كانت تجربه رائده فى ميدانها تقودها المرجعيه الدينيه الشيعيه بكل تفاصيلها الإداريه، إلا أن وفاه الشيخ الشيرازى شكّل صدمه مفاجئه للثائرين فى عموم العراق، وللإداريين التنفيذيين فى الحكومه الوطنيه أيضاً. لما ترك رحيله من فراغ كبير وهكذا أنتكست الأمه وحزنت عليه حزناً عميقاً وأحست بالخساره الكبرى إثر فقده، فى ذلك الظرف الحساس الذى هم بأمس الحاجه إلى قيادته الواعيه والمضحيه والجامعه لكلمه العراقيين، نعم كان قائداً واعياً لمرحلته ومخلصاً لقضيه شعبه ومجاهداً من أجل

ص: ٤٨٣

١- (١) الحسنى، السيد عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٢٧٩.

٢- (٢) جان لوي زارد، د. بيير: عنوان بحثه (كربلاء: مركز الحكومه الثوريه وعاصمه ثوره العشرين ونموذج الوطنيه العراقيه) ضمن كتاب (دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري) الصادر عن مركز كربلاء للبحوث والدراسات، لندن، ص ٤٤٥.

تحريره من الاستعمار، وحقاً لقد «كان القطب الذى حوله تدور جميع رجالات الثورة، وإليه تفرع عند الملمات، فلا غرو إذا وقعت وفاته وقع الصاعقه على الرأس، وفزعت الناس وهالها الأمر، وخامرت الشكوك بعض الرجال» (١).

يقول الأستاذ الوردى: «كان الشيرازى برغم شيخوخته يولى الثورة اهتماماً بالغاً، وكان يرسل إليها كل ما يصله من الحقوق الشرعيه ولا يبقى له منها شيئاً، [ويضيف قائلاً] حدثنى أحد المطلعين إنه فى بعض الأحيان كانت تتوافر لديه أكوام من النقود مِمَّا يرسله إليه المقلِّدون من مختلف الجهات، وكان أهل بيته يطلبون منه أن يبقى شيئاً لحاجات البيت، فكان هو يرفض ذلك رفضاً باتاً، ويصرُّ على حمل النقود إلى جبهات القتال..» (٢).

ولقد جرى له تشيع مهيب فى كربلاء، وسارت خلف نعشه مواكب الغزاء واللطم وساهم فى التشيع كبار رجال الثورة من الشخصيات الدينيه والوطنيه، وأقيمت على روحه مجالس التأبين وراثه كثير من الشعراء والأدباء، بالمناسبه نذكر منهم الشاعر الأديب الشيخ محمد حسن أبو المحاسن، والشاعر الأديب الشيخ محسن أبو الحب، والشاعر الأديب محمد مهدي الجواهرى والشاعر الأديب محمد البازى وغيرهم. ولا بأس أن نذكر أحياناً قليله مما أجادت قرائح ما ذكرناهم من الشعراء المرحومين. فقد أنشد الشيخ أبو المحاسن قصيده طويله جاء فيها:

يا غله الأحشاء غاض الموردُ يا أزمه الأيام غاب المنجدُ

لا نجده للمستغيث ولا روى يُشفى غليل حشاشه تتوقدُ

حتى يقول:

غادرتنا والخطب داج ليله واليوم من صبغ الحوادث أسودُ

ص: ٤٨٤

١- (١) الحسنى، السيد عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ١٧٠-١٧١.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٥، القسم الأول، ص ٢٩٨-٢٩٩.

فمن المدافع والأسننه شرع والبيض تبرق والمدافع ترعد

حررت بالكلم القصار معاشرأ طل العناء عليهم فاستعبدوا

أنت المؤسس نهضة دينية عربية فيها العلى والسؤدد

وأما الشاعر أبو الحب فأنشد قصيدته التي جاء فيها قوله:

هو العالم الحبر (التقى) أبو الرضا ومن جلّ قدراً أعظم العلماء

لقد كان كهفاً للعروبه ملجأ ويحمل للإسلام خير لواء

وأما الشاعر الجواهرى فقال فى قصيده له:

ومحي ليل أنت تحمى بطرفه ثغوراً أضاعتها العيون الهوامع

تكاد إذا ما طالع الشهب هيبه تخز لمرآه النجوم الطوالع

مهيب إذا رام البلاد بلقطه توانت له أطرافهن الشواسع

يطارحه وقع السيوف إذا مشى كما طارح المشتاق فى الأيك ساجع

والشيخ البازى كتب ملحمه شعريه ذكر فيها الإمام الراحل بقوله:

فطاحل العلم قادت سفن نهضتنا لساحه المجد واحتلت معاليها

ثم استمدت من (الشيخ التقى) لها نوراً وفيه اهتدت وانقاد عاليها

وآستجوبته فأفتاها وقد سمعت فتاه نادى ألافليحيا مفيتها

وكربلا ساهمت فى هممه بذلت بها الجدود وجادت فى تأخيها (١)

ص: ٤٨٥

١- (١) للتفاصيل راجع آل طعمه، سلمان هادى: كربلاء فى ثوره العشرين ص ٦٤-٦٧. وغيره من الكتب المعنيه بهذا الجانب الأدبى.

إشاره

لقد انحل المجلس البلدى بوفاه المرجع القائد، الذى كان بإشرافه، فأسرع المجلس الحربى فى تدبير الأمور إثر الفاجعه المؤلمه، وقد أنيطت له قياده الثورة والدوله، وكان أعضاؤه من كبار رجال الثورة وزعمائها، فأختار المجلس السيد محسن أبو طيخ متصرفاً لكربلاء أى محافظاً، وذلك لحسم الخلافات بين رؤساء كربلاء المتنافسين على إدارتها ولحفظ التوازن فى عاصمه الثورة.

يقول فريق المزهر: «يعظم المسلمون يوم ١٨ ذى الحجه وهو اليوم التاريخى الذى نصب فيه (بأمر الله تعالى) الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمه وسيفه المسلول الإمام على بن أبى طالب عليه السلام خليفه من بعده فى غدير خم بعد أن رفعه وقال مخاطباً المسلمين: «من كنت مولاه فهذا على مولاه...».. وتيمناً بهذا اليوم المبارك اجتمع المجلس الحربى فى كربلاء وقرر تنصيب متصرف للواء كربلاء بهذه المناسبه السعيده (عيد الغدير) واختار أعضاء المجلس السيد محسن أبو طيخ لهذا المنصب فكان أول متصرف يعين بمنصب رسمى فى الحكومه العراقيه الوطنيه فكان ذلك اليوم سرور وفرح وفخر، وكيف لا يفرح العرب به وهم يشاهدون أول ثمره من ثمرات

الثوره المقدسه؟ يُنصب عليهم حاكم منهم ليحكمهم فى هذا اللواء الذى كان مقر قياده الثوره ومعقل رجالها الأفضاذ» (١).

وكان هذا القرار قد أصدره المجلس الحربى ولضرورته نذكره بالنص:

«اجتمع المجلس الحربى بتاريخ ١٨ ذى الحجه سنه ١٣٣٨هـ- بمدينة كربلاء (بعد وفاه الإمام) وتذاكر فيما يخص تنظيم شؤون المدن والمراكز التى احتلها الثوار، فقرر جعلها مناطق وجعل لكل منطقه متصرفاً يعين من قبل هذا المجلس، وهو يعين موظفين لمنطقته بنظره، ييقون مؤقتين حتى تُسنّ القوانين من قبل مجلس الأُمه التشريعى وذلك بعد تطهير البلاد من الحكومه المحتله. ويقوم المتصرف بأعمال الإدارة ويراجع المجلس الحربى بكل ما يهمله ويحتاج مراجعته به، وتكون وظائفه حسبما ينص به النظام الذى سيكون معمولاً به، حتى يجتمع المجلس التأسيسى فى بغداد إنشاء الله والذى سيشارك فيه عموم أهالى العراق وبطريقه الانتخاب، وقد قسّم المجلس الحربى المناطق فجعل مدينة كربلاء منطقه وألحق بها طويريج والنجف وأبى صخير والشاميه مع نواحيها، وعين المجلس السيد محسن أبو طيخ متصرفاً لهذا اللواء على أن يكون راتبه الشهرى ١٠٠٠ روبيه، وبذلك يبلغ ليستلم وظيفته.

(التواقيع أعضاء المجلس الحربى)

كما وان المجلس الحربى صادق على تعيين السيد نور السيد عزيز الياصرى (قائم مقام) قضاء النجف ويلحق به أبو صخير، كما عين على العفصان الراضى أحد رؤساء آل فتلته بالهنديه قائم مقاماً لطويريج. هذا وقد تبرع السيد محسن برواتبه إلى المجاهدين» (٢).

يقول السيد محسن أبو طيخ: «لما وفق الله سبحانه، وأخلى الفرات من

ص: ٤٨٧

١- (١) الفرعون، فريق المزهري، مصدر سابق، ص ٣٧٦.

٢- (٢) الفرعون، فريق المزهري، مصدر سابق، ص ٣٧٧-٣٧٨.

الإنكليز، مدنه وقراه من السماوه إلى المسيب اجتمع الرؤساء في معسكر الحسينيه وقرروا تشكيل حكومه وطنيه مؤقتة في كربلاء، ورُفِع العَلَم العراقي، وقد اختاروني من بينهم للقيام بهذه المهمه. وبالرغم من رغبتى فى البقاء بين إخوانى فى ميادين القتال ولكنى نزولاً- عند رغبتهم قبلتُ ورجعت إلى كربلاء وشكلتُ الحكومه الوطنيه المؤقتة» (١). وهنا يذكر المؤرخون - المعتمتون بتفاصيل هذه الوقعه التاريخيه المهمه - إن حشوداً كبيره من الناس وقفت على جانبي الطريق، وهم ينشدون الأهازيج، ويطلقون الهوسات، ويهتفون بالحريه والاستقلال التام، ولما خرج السيد أبو طيخ من داره حفت به الجماهير المتحشده إلى دار البلديه، وقد شق طريقه بصعوبه بالغه، وتملكك الجميع الشعور الوطنى الفياض وطفحت العواطف وهى تجيش فى الصدور وأطلقت النسوه الزغاريد، وأطلق الرجال الشعارات الوطنيه وسط إطلاق الرصاص بالهواء، وكان فى الاستقبال جمع من العلماء وقاده الجيش ووجهاء المدن ورؤساء العشائر، يقول الأستاذ الوردى: «احتشد فى الساحه جمهور غفير من الناس فيهم نحو ألف رجل من حملة البنادق وحضر الاحتفال عدد من الرؤساء والوجهاء كان من بينهم رجال الحركه الوطنيه فى بغداد الذين التجؤوا إلى كربلاء كيوسف السويدي ومحمد الصدر وجعفر أبو التمن، وعلى البازركان، ومحمود رامز وجميل قبطان، وعارف حكمت وطه البدرى، كما حضر ضارى الظاهر وهو شيخ زوبع، والميرزا أحمد الخراسانى الذى كان مرسلأ من الشيخ فتح الله الاصفهانى ليمثله فى الاحتفال» (٢). هذا وقد رفع السيد محمد حسن آل طعمه (٣) العَلَم العراقي على سطح البنايه وهو أول علم عربى يرفرف فى سماء العراق من على

ص: ٤٨٨

١- (١) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠١. نقلاً عن مذكرات السيد أبو طيخ المخطوطه.

٢- (٢) الوردى، المرجع ذاته، ج ٥، ص ٣٠١.

٣- (٣) وينسب بعض المؤرخون رفع العلم العراقي إلى الأستاذ على البازركان. راجع آل طعمه سلمان: كربلاء فى ثوره العشرين، ص ٦٨-٦٩.

بنايه الحكومه. وبهذا العمل جسد أهالي كربلاء الروح الوطنيه والإسلاميه فى حركتهم الاستقلاليه، وفى هذه المبادره دلالة واضحه على تطور الوعى الدينى والاستقلالى، الوطنى والقومى نحو التكامل النوعى لدى الثوار الكربلايين بالخصوص والعراقيين بشكلٍ عام.

يقول ارنولد ولسن - وكيل الحاكم الملكى العام - فى كتابه (الثوره العراقيه): «إن الصعوبات التى جوبهت فى النجف كانت عظيمه فقد كانت تساويها إذا لم تتفوق عليها الصعوبات التى كان علينا أن نكافحها للتغلب عليها فى كربلاء.. إن الوطنيين فى كربلاء كانوا أقوى منهم فى النجف..» (١).

والجدير بالذكر أن الأستاذ على البازركان - وهو أحد قادة الحركه الوطنيه فى بغداد - ألقى خطبه مؤثره فى هذا الاحتفال الحاشد، بمناسبه رفع العلم العراقى رمز الانتصار والاستقلال والوحده، ومما جاء فيها قوله: «ما أسعد حظى، وما أجمل طالعى بهذه الساعه المقدسه، وأنا واقف بين أخوانى الأحرار الأعزاء، أبناء الأمه العربيه العراقيه التى بذلت ما فى وسعها من النفوس والنفائس لرفعك أيها العلم الحر، رفر فرف فوق رؤسنا حيثاك ربي بتحياته الحسنى، لقد بشرتنا بزوال ساعات الذل وكسر حلقات سلاسل الاستعباد، إن كل خفقه منك أيها اللواء المبارك تقول لنا (لقد ظهر الحق وزهق الباطل)، أخفق على قطرنا المحبوب الذى كان يئن من ثقل وطأه المصائب كى يتسم الجو الذى خنقته العبرات على ما شاهده من أنواع الظلم وأشكال الاعتساف بين هذه الأمه، أنشر صفحاتك أيها العلم، كى تظهر للملأ أن الحريه قد صارت حليفتنا، وان الاستقلال التام صار أليفنا، رفر فرف ولا تخف بالحق لومه لائم فإن هذه الأمه مجردة سيوفها مشمره عن ساعدها لحفظ مقامك السامى ورفحك فوق أعلى قمه فى هذا القطر المقدس، [حتى قال]: بشراك أيتها الأمه العربيه العراقيه بحلول هذه الساعه

ص: ٤٨٩

المباركة الذى رُفِعَ فيها هذا اللواء المقدس الحر الذى كُنْتَ طالِبُه رُفِعَه منذ عده قرون، ان السعد قد رافقتك وعلو الحظِّ حالفتك.. ولقد سُرِعَت كربلاء والنجف الأشرف وما حواليكما باستنشاق هواء الحريه ورفع العلم العربى، ولم تزل بغداد تئن وتبكي تحت ظلم الإنكليز وسيطره الدوله المحتله.. بالله عليكم قوموا وآنهضوا نهضه الأسود وأنقذوا قطرنا المحبوب من أيدي أعدائه، وارفعوا العلم فوق أعلى قمه فيه ويَبصوا صفحات تاريخ عراقنا المبارك كى يتم سرورنا..» (١).

وقد ألقى السيد جميل رمزى القبطان خطبه حماسيه كذلك، ومن ثم ألقى خليل عزمى قصيده وطنيه من نظمه تحيه للعلم، قال فيها:

بشراكِ يا كربلا قومى وانظرى العَلَمَا على ربوعك خَفَاقًا ومبتسما

وكفكفى دمعتك الهطال وابتهجى فَإِنَّ بند بنى قحطان قدحكما

هذا هو العَلَمُ المحبوب فأحتفلى عليه يا كربلا واستنهضى الهمما

وشاهدى كيف أمسى القلب مبتهجاً من الحماس ويهفو أن يريق دما

شعب تفانى وراء الحق مبتغياً نيل الكرامه جارَ الغرب أو ظلما

ظلم وجور أبت أرواحنا شمماً أن تستكين لمن لم يرعها ذمما

واستوثقى أن دين الحق شئده وأن بيت الصليب آندك وانهدما

لله درّ بنى قومى الضياغم ما أشدهم بوطيس الحرب حين حما

ما من زعيم بهم إلا له صفه ترى به المجد والانجاد والكرما

نراه فى الحرب ضحاًكاً ومبتسماً والسيف ما زال يبكى فى يديه دما

قد حاز بالذبّ عن أوطانه قدماً لا أحر الله فى حربٍ له قدما (٢)

ص: ٤٩٠

١- (١) الخطبه كامله تجدها عند الفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعه - مصدر سابق - ص ٣٧٩-٣٨٠. يقول قبل ذكرها

«تمكنت من ضبطها كلها وها هي حرفياً». وهى بالفعل جديره بالمطالعاه.

٢- (٢) الفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعه، المصدر ذاته، ص ٣٧٩.

هذا وزاد حماس المحتفلين الذين يزيد عددهم على العشرة آلاف نسمة فالتهب حناجرهم بكل قلوبهم ومشاعرهم وهم يهتفون بهذا الانتصار الكبير حيث تم تأسيس أوليات الدولة بإداره وطنيه بعد تلك الثورة العارمه. ومن أبرز تلك الهوسات (الأهازيج) التي أطلقتها الجموع المحتشده في يوم رفع العلم العراقي في كربلاء، هي:

«رف لا ترعاش يالهييه» (١).

وكذلك:

«هي بيرغنا هي بيرغنا اشمحلاك ترفرف بيرغنا

ظل عالي ظل عالي لاتهاب طوبه ظل عالي

شرخيصه شرخيصه دونك روجي شرخيصه

دلينا دلينا شتا مر طوعك دلينا» (٢).

هذا، وقد باشر السيد المحافظ مهام وظيفته الإداريه بتاريخ ١٩٢٠/٩/٧م، وقد كانت هذه الإداره - في الحقيقه - هي ثمره جهود ودماء القاده والشهداء، لذلك مارست أدوارها الطموحه بالتشاور والتنسيق بالرغم من قصر زمانها، ومن الأمثله الواضحه على أن تطورات الأحداث التي أفرزت نظاماً مدنياً أي حكومه مستقله في كربلاء، كانت طموحاتها عاليه لا تتوقف عند هذا الهدف، وإنما استمرت الحكومه في مواصلة دعم الحاله الثوريه في الأمه ما دام الاحتلال باقياً على أرض العراق، وهذا التوجه يدل على كفاءه الإداره في حكومه كربلاء، يذكر فريق المزهري مثلاً في هذا الصدد «يخص موضوع الصحافه، يدل على كفاءه تنظيم رجال الثورة وبعدهم.. إن صاحب جريده الاستقلال كتب مقالاً بجريدته بعددها المرقم (٣) الصادر بتاريخ ٢٢

ص: ٤٩١

١- (١) الحسنی، السيد عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٢٧٩. وقد ذكر بعض أبيات خليل عزمي كذلك.

٢- (٢) العسكري، تحسين: مذكراتي، طبع النجف ١٩٣٨، ج ٢، ص ١٨٥.

محرم ١٣٣٩هـ- الموافق ٥ تشرين الأول ١٩٢٠ تحت عنوان (الشتاء على الأبواب - ماذا أعددتنا لتطمين حاجه الثوار فى ميدان القتال؟) طالب فيه الزعماء والرؤساء بلزوم الاستعداد لتموين الثوار بالألبسة التى تقيهم البرد، وما أن طالع المقال المذكور متصرف لواء كربلاء حتى وجه إلى صاحب الجريدة الإنذارالتالى:

«إلى صاحب جريده الاستقلال:

إن مقالكم المنشور فى جريدتكم تحت عنوان (الشتاء على الأبواب) مما يثبط عزم المجاهدين ويقلل من معنويتهم، كما يعطى للعدو إحساساً بضعف الثوار، وعليه ننذركم بهذا بلزوم عدم نشر كل ما يوحى بالضعف أو يدل على ذلك.

٢٥ محرم ١٣٣٩ الموافق ٨ تشرين الأول ١٩٢٠

متصرف لواء كربلاء - السيد محسن أبو طيخ» (١).

ولكن هذا الإنجاز الوطنى المحقق على الأرض فى هكذا نموذج ميدانى من الإدارة وترتيب الأمن والنظام، والتوافق العام - تقريباً - عليه، لم يدم طويلاً فبعد مضى حوالى خمسة وأربعين يوماً انتهى كل شىء تم بناؤه حيث كثر الاستعمار البريطانى عن أنيابه المسمومه مرّة أخرى واحتل طويريج فى ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠م، هذا الاحتلال كان يقصد منه احتلال كربلاء وإسقاط الحكومه الوطنيه فيها، وبالفعل بعد سبعة أيام أى فى ١٩ تشرين الأول ١٩٢٠م الموافق ٦ صفر ١٣٣٩هـ- استسلمت كربلاء للجيش البريطانى وغادر السيد محسن وبقية الزعماء إلى الحجاز (٢)، كما سنلاحظ ذلك لاحقاً.

ص: ٤٩٢

١- (١) الفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعه، مصدر سابق، ط ٢، ص ٢١٢-٢١٣.

٢- (٢) للتفاصيل راجع الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى ص ٢٧٨-٢٨٠. وكذلك الكليدار آل طعمه: السيد محمد حسين: مدينه الحسين، الحلقة الرابعه، ص ٧٠-٧١ بالملحق.

لما تمّ الاحتلال العسكري من قبل الجيش الإنكليزي لقضاء الهنديه (طويريج) في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠م، استعد الثوار في كربلاء لصدّ الهجوم المرتقب ومقاومه الجيش الإنكليزي الزاحف بكل ما أوتوا به من قوه. إلا أن الحكمة آقتضت تدخل الساده الكبار ورؤساء كربلاء لدراسه المسأله المستجده، باعتبارها مسأله مصيريه عامه لغرض معالجتها إلى جانب الحكومه الوطنيه، وذلك عبر خطوات ميدانيه عاجله - قبل فوات الأوان - لضمان سلامه أرواح الناس لا سيما سلامه الزائرين للإمام الحسين عليه السلام في شهر صفر - زياره الأربعين القريبه - وكذلك لضمان حفظ البلده من الدمار المتوقع إثر الهجوم العسكري. ففي ذلك الظرف الاستثنائي الدقيق، الذي بات فيه الهجوم العسكري على كربلاء أمراً مؤكداً وهذا يعني استباحه مقدسات هذه المدينه المقدسه من قبل الجيش الأجنبي الغازي، ويعنى أيضاً صب جام الغضب الإنكليزي على أهل المدينه وثوارها بالخصوص، واعاثه الفساد والخراب فيها، انتقاماً للتطورات الثوريه والإداريه الحاصله فيها - هنا - كان لابد من استيعاب الحاله السلبيه المتوقعه بأقل الأضرار الممكنه، وبالفعل حدث أمران مهمّان في كربلاء بتلك المرحله الحساسه.

الأمر الأول: وهو ذو اتجاهين، بالاتجاه الأول: قرّر وجهاء ورؤساء البلده تشكيل وفد منهم لمقابله القائد البريطاني في الهنديه (ساندرند) وبالفعل تمّ ذلك في ٦ صفر ١٣٣٩هـ - المصادف ١٩ تشرين الأول ١٩٢٠م، بالمقابل أشار المسؤول البريطاني على الوفد بالذهاب إلى بغداد لمقابله المندوب السامي (كوكس)، وبالفعل تمّ اللقاء في بغداد بعرض شروط خاصه من قبل سلطات الاحتلال وعلى كربلاء تنفيذها سنذكرها لاحقاً.

وبالاتجاه الثاني: تمّت مغادره السيد المحافظ وبقيه المسؤولين في الحكومه الوطنيه

مدينه كربلاء إلى الخارج، وكان هذا القرار - فى تقديرنا - صائباً لأن المواجهه العسكريه بالأساس بين الطرفين غير متكافئه.

والأمر الثانى: بروز رجل المرحله - الشيخ فخرى كّمونه - فى واجهه الأحداث السياسيه فى كربلاء، فى محاوله منه لملئ الفراغ الإدارى الذى خلفته الحكومه الوطنيه المغادره، كى يضبط الأمور الداخليه وسير الحياه الاعتياديه فى المدينه - ولو بنسبه معينه - وفى الوقت ذاته يحاول فتح صفحه جديده مع المعتدين الإنكليز، ويمنح الوضع الراهن فرصه أوسع للمناوره، بعد عرض سلسله من التطمينات والتنازلات للغزاه، ممّا يخفف - بالنتيجه - من حده الهجوم العدوانى على المدينه ويزيد - أيضاً - من احتمال القدره على التنسيق والتفاهم والترابط بين الإنكليز والوجه الإدارى الجديد. والحقيقه أن الإنكليز يعرفون الشيخ فخرى وأخاه الأكبر الشيخ محمد على، وهم يرصدون حركتهما منذ زمن.

نعود إلى الوفد الكربلايى وأجواء لقائه بالمندوب السامى وشروط المصالحه القاسيه. يقول فريق المزهر الفرعون: «أما أهل كربلاء، فبعد أن احتلت الجيوش البريطانيه طويريج وانسحب الثوار إلى أبى صخير، اقترح الشيخ حسين زين العابدين أن يذهب وفد يمثل كربلاء مؤلف من السيد أحمد الوهاب والسيد عبد الوهاب [آل طعمه] والسيد إبراهيم الشهرستانى وعبد المحسن آل سعود رئيس البوم مسعود والشيخ بحر آل شبيب رئيس آل يسار والشيخ محمد حسن أبو المحاسن وعبد المجيد الحميرى والشيخ محمد حسن روضه خون [آل طعمه] ومحمد الشهبّ وعزيز الزنكى لمفاوضه السلطه البريطانيه من أجل الصلح، وفعلاً سافر الوفد الذى تألف من الأشخاص المار ذكرهم إلى طويريج، وقابلوا الحاكم السياسى (الميجر بولى) فقابلهم بشراسه وغلظه وبلغه العنف والشده، ثم أوقفهم وبعث بهم موقوفين إلى بغداد، وبعد أن تواجهوا فى بغداد مع المندوب السامى اتفق الطرفان على شروط الصلح الآتية ووقع عليها

ممثلوا الطرفين:

أولاً: تسليم سبعة عشر شخصاً للحكومة البريطانية في مده لا تتجاوز الأربع والعشرين ساعه لمحاكمتهم حيث أن هناك أسباباً تدل على الاعتقاد بأنهم مجرمون وهم السيد محسن أبو طيخ ومرزوك العواد وعمران الحاج سعدون وسماوى الجلوب والسيد هبه الدين الشهرستاني والسيد أبو القاسم الكاشانى والسيد محمد الكشميرى والسيد حسين القزوينى وميرزا أحمد الخراسانى والشيخ محمد الخالصى وعبد الجليل العواد وعبد الرحمن العواد وطليح الحسون ورشيد آل مسرهد والسيد حسين الدده والسيد عبد الوهاب [آل طعمه] والشيخ محمد حسن أبوالمحاسن.

ثانياً: على أهل كربلاء أن يسلموا في مده ثلاثه أيام أربعه آلاف بنديه ومائه رصاصه مع كل بنديه منها، ويجب أن يكون نصف عدد البنادق من الطراز الحديث، والنصف الآخر صالحاً للاستعمال، وإذا لم تقدم البلده هذه البنادق فعليها أن تؤدى غرامه قدرها عشرون ليره عثمانيه عن كل بنديه جديده وعشره ليرات عن كل بنديه صالحه للاستعمال، وروبيه هنديه واحده عن كل رصاصه لا تسلم.

ثالثاً: إرجاع جميع الأموال العائده للحكومة ودفع تعويض عن الخساره التى لحقتها، وسيقدر مقدار التعويض عن الخساره وسيلغونه في فرصه أخرى.

رابعاً: الطاعه لدوائر الحكومه.

خامساً: أن لا يقبلوا من يلجأ إليهم من الفارين عن وجه العداله.

سادساً: إذا لم ينفذ الشرطان الأول والثانى المذكوران أعلاه فى المده المعنيه ولم يقدم سبب معقول لذلك تقوم السلطه العسكريه عندئذٍ باتخاذ الإجراءات اللازمه لتنفيذ ذلك. فقبل وفد كربلاء هذه الشروط القاسيه مرغماً ووقعها ثم عاد إلى كربلاء» (١).

ص: ٤٩٥

يذكر السيد الحسنى إن بلاغاً حريباً بريطانياً صدر إثر لقاء الوفد الكربلائي بالقائد العام للجنود فى المنطقه، وأشار البلاغ إلى أن الوفد فى طريقه إلى بغداد ليلتقى أوامر المندوب السامى. وقد نشر هذا البلاغ فى جريده العراق (١) ويذكر الحسنى أيضاً صدور بيان رسمى من ديوان المندوب السامى ببغداد إثر اللقاء بالمندوب السامى وذلك فى يوم ٢١ تشرين الأول ١٩٢٠م، يبدأ البيان بعبارته (مثل بين يدي فخامه المندوب السامى مندوبو كربلاء أمس، فأبلغوا الشروط الآتية) (٢)، ثم يذكر الشروط التى ذكرناها قبل قليل.

وعلى ضوء هذه التطورات استطاع رجل المرحله الشيخ فخرى كموه أن يحتل موقع الرضا لدى سلطات الاحتلال، لما كان يمتاز به من قدرات خاصه تمكنه من فرض سيطرته على البلده وإدارتها آنذاك، كما أنه أبدى استعداداً لتنفيذ تلك الشروط المفروضه على البلده. وبالفعل تم تعيينه من قبل الإنكليز قائممقام كربلاء. فأصبح «الشيخ فخرى كموه» الرئيس الكربلائي المشهور - ممثل السلطه المحتله فى تنفيذ هذه الشروط، وقد أُلّف قوه من البوليس المحلى لهذا الغرض. ويقول البلاغ البريطانى الصادر فى ٣٠ تشرين الأول المنشور فى العدد (١٢٨) من جريده العراق «نظمت فى كربلاء قوه من البوليس المحلى، والمدينه الآن فى يد ممثلنا، وقد سلّم إلى الآن ٢٠٠ بنديقه وسلّم أيضاً معظم رؤساء الفتنه» (٣).!! وهكذا يتجرأ المحتل عبر الإعلام ويصرّح علناً وبلا آستحياء، فيحارب أسس الديمقراطيه التى بشرّ بها، ويقلب الموازين رأساً على عقب، فالذين كانوا من الاحرار والوطنيين، وقد آنتخبهم الأمة لإداره البلاد يُلقى القبض

ص: ٤٩٦

١- (١) الحسنى، السيد عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٢٥٩. عن جريده العراق العدد ١١٧ فى ١٨ تشرين الأول ١٩٢٠م.

٢- (٢) الحسنى، السيد عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٢٥٩-٢٦٠.

٣- (٣) الحسنى، السيد عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٢٦٠. - بالهامش.

عليهم من قبل اخوانهم العراقيين! ويسلمون إلى سلطه الاحتلال باعتبارهم (رؤساء الفتنة):

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

يقول الباحث والمستشرق الفرنسي الدكتور بيير في هذا الصدد: «توجه الجيش البريطاني الذي كان يقوده الجنرال (هالدان) إلى كربلاء، وفي ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر سقطت طويريج التي تبعد ٢٤ كم عن كربلاء، وكان يحميها آل فتله وبنى حسن مما أثار حركه استسلام مهمه في كربلاء نفسها قادها الشيخ فخرى كمنونه، ولإنقاذ المدينه توجه في ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر وفد من كربلاء إلى طويريج إلاّ أن المسؤولين البريطانيين الذين يحكمون المدينه المحتله أرسلوا الوفد إلى بغداد. (السير بيرسى كوكس) طلب من الوفد تنفيذ خمسه شروط غير استسلام المدينه المقدسه.. نفذ الشيخ فخرى كمنونه الشروط البريطانيه» (١).

وذلك بالتعاون مع أمثاله، والمقتنعين بضروره الاستسلام، وكذلك بالضغط على الناس لغرض تنفيذ تلك الشروط القاسيه، وبالتالي لتعزيز موقعه لدى سلطه الاحتلال باعتباره الحاكم الذي يمكن الاعتماد عليه في إداره شؤون البلده. وهنا لا بد أن نشير إلى أن الشيخ فخرى في عمله هذا لا يمكن استبعاد مصالحه ودوافعه الشخصيه من مجمل تصرفاته، وكذلك رجال إدارته من حوله، وللإنصاف نضيف إلى ذلك أن مصالحه الذاتيه لا نستبعد كونها ممزوجه مع حبه لمدينته وأهلها أيضاً وسعيه لصد أو تخفيف الهجوم الانتقاميه المرتقبه من قبل جيش الاحتلال البريطاني على عاصمه الثوره كربلاء.

وهكذا «تمكّن الاهلون من تسليم أكثر كميّه ممكنه من عدد البنادق والخراطيش، تقاسمها أهل كربلاء والقبائل التابعه لهم وفق مقاييس عينها لهم ممثل الحكومه الشيخ

ص: ٤٩٧

فخرى كمونه.. وقد سلم عشره من هؤلاء الأشخاص إلى السلطه فى الوقت المعين، أما الثلاثه الأول (أى السيد محسن أبو طيخ، والحاج مرزوك العواد، وعمران الحاج سعدون) فقد لجؤوا إلى خارج العراق وكان السيد أبو القاسم الكاشانى قد سافر إلى إيران قبيل انتهاء الثوره بتيه الاتصال بسفراء الدول الأجنبيه فى موضوع استقلال العراق، كما استطاع الشيخ محمد الخالصى أن يختفى فى دار السيد حسين القزوينى شهراً ونصف الشهر، ثم هرب إلى محل آمن، وسبق العشره المقبوض عليهم إلى سجن الحله فلبثوا فيها أياماً عديده جرت خلالها محاكمتهم، وحكم عليهم بأحكام مختلفه لكنها لم تبلغ إليهم، حتى صدور قرار العفو العام وإطلاق سراحهم فى آخر أيار سنه ١٩٢١م» (١).

والجدير بالذكر أن المسأله لم تبلغ نهايتها فى اتفاقه الصلح ومحاولة تنفيذ الشروط فى كربلاء وإنما واصل الجيش الإنكليزى مسيرته الاحتلاليه حتى بلغ ضواحي كربلاء، وتمت محاصره المدينه، إلا- أن ثوار كربلاء عقدوا العزم على مواصله المقاومه والجهاد وبالفعل تمت مواجهات عنيفه ما بين الثوار داخل المدينه وضواحيها المجاوره لها وبين جيش الاحتلال، وقد استطاعت المقاومه أن تمنع تقدم القطعات العسكريه نحو كربلاء فى اليوم الأول، بينما زادت الإمدادات للجيش المحتل باليوم الثانى فواصل جيش الاحتلال زحفه نحو كربلاء، وأقام مواقع للمراقبه حول المدينه، وطوّقها بالربايا والأسلاك الشائكه. ثم قطع المحتلون الماء عن المدينه بعد استيلائهم على ناظم نهر الحسينيه الذى يزود سكان المدينه بالماء وكذلك البساتين والمزارع، فاضطر الأهالى إلى

ص: ٤٩٨

١- (١) الحسنى، السيد عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٢٦٠-٢٦١. استمر الشيخ فخرى فى منصبه هذا منذ سقوط الحكومه الوطنيه حتى يوم ١٩٢١/١/٢٥م حيث أُعفى من منصبه واستبدل محله حميد خان بن أسد خان إذ كان يشغل فائمهقاميه النجف قبل هذا التاريخ من قبل الإنكليز. راجع الكليدار آل طعمه، السيد محمد حسن: مدينه الحسين، الحلقة الرابعه ص ٧١ بالملحق.

حفر الآبار في قاع النهر (١) وبالنتيجة «أحاط الجيش بالمدينة من جبهاتها الأربع وبذلك صدر بلاغ رسمي بتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩٢٠ ونشرته جريدة العراق البغدادية بعددها ١٢١ بتاريخ ٢٢ من الشهر المذكور.. [وهكذا] تم استيلاء الجيش الإنكليزي على كربلاء فأصبحت تحت سيطره الاستعمار، وأخذ أهالي كربلاء في تنفيذ الشروط.. الواقع أن السلطه البريطانيه قد نكلت بكربلاء تنكياً قاسياً سواء أكان ذلك في تعذيب وجوهها والتنكيل بأحرارها..» (٢). وبذلك طويت هذه الصفحه المشرقه من تاريخ العراق الحديث.

وفي النجف، أعلنت الثورة في ٢١ تموز - ٥ ذى القعدة، وصارت فكره تشكيل الحكومه المؤقتة مسأله ضروريه لقطع دابر الفوضى، وقد شكلت لجنه مؤلفه من الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري وآل النقيب ومهدى الآخوند الخراساني وغيرهم، لدراسه الأمر. فقررت أن يكون أعضاء المجلس التنفيذي أربعة، هم رؤساء المحلات الأربع في النجف، أما المجلس التشريعي فأعضاءه ثمانية من كل محله اثنان، تم انتخابهم في ١٠ ذى الحجه ١٣٣٨هـ - ٢٥ آب ١٩٢٠م (٣). ولكن لم يستمر المجلس التشريعي في أعماله لاختلاف أعضائه، ولعرقله المجلس التنفيذي لأعماله.

ص: ٤٩٩

١- (١) راجع كوتولوف، ل.ن: ثوره العشرين الوطنيه التحرريه في العراق، ص ١٤٩. وكذلك الوردى، د. علي: المرجع السابق، ج ٥، ص ٣٠٢.

٢- (٢) الفرعون: فريق المزهري: الحقائق الناصعه.. المصدر السابق، ص ٢٤٦، طبع بيروت - الطبعة الثانيه مؤسسه البلاغ.
٣- (٣) تم انتخاب سعيد كمال الدين وضياء الخرسان عن محله الحويش، وعباس النقيب، وعلوان الخرسان عن محله العماره، وعبد الجليل ناجي ومحمد جواد عجينه عن محله البراق، وحمود شبيل، وعباس شمسه عن محله المشراق. ومما يذكر أنه في ٢٥ ذى الحجه استقال سعيد كمال الدين من عضويه المجلس، لظهور الخلافات بين أعضائه، ومن ثم أنحل المجلس تماماً. راجع: كمال الدين، محمد علي: المصدر السابق، معلومات ومشاهدات، ص ٨٢-٨٤.

كان لعلماء الدين الشيعه الدور القيادى لاستنهاض الشعب بكافه مكوناته المذهبيه والقوميه والطبقيه لغرض أداء واجب الجهاد المقدس. فالإمام الشيرازى قائد الثورة كان يعتمد على وكلائه ومستشاريه ومساعديه من علماء الدين ورؤساء العشائر وزعماء المدن. إلاّ أنّ منطقه الفرات الأعلى بين بغداد والأنبار، كانت الأجواء فيها هادئه بل غير متفاعله مع عواصف الثورة الناشبه فى الفرات الأوسط، وذلك لأن أهم زعماء القبائل فيها وهم: الشيخ على السلیمان والشيخ فهد بن هذال، والشيخ ضارى المحمود، وهم زعماء القبائل السنيه، كانوا فى اتجاه التعاون مع بريطانيا ما عدا الأخير منهم. أما الشيخ على السلیمان زعيم الدليم والشيخ فهد بن هذال زعيم عنزه، فقد كانا من الموالين المخلصين والحلفاء الدائمين للإنكليز (١). لذلك استمر الهدوء فى المنطقه حتى ١٢ آب ١٩٢٠، حينها برهن الشيخ ضارى على أن منطقه الدليم ليست مغلقه

ص: ٥٠٠

١- (١) يقول (هولدن) قائد القوات البريطانيه المحتله: «ومن حسن الخط أن الشيخ على السلیمان رئيس الدليم، قد تعهد بحمايه (هيت).. وكان الشيخ على، وفهد بك بن هذال، وابنه محروث، من المخلصين للحكومه طيله أيام الثورة، وكانوا يستلمون منا مبالغ تجاه هذه الخدمه، كما كافأناهم أخيراً على حسن خدماتهم للحكومه، وقد مكنتنا مساعدته هؤلاء الشيوخ على تركيز جيوشنا فى الرمادى والفلوجه». نقلاً عن الحسينى، المرجع ذاته، ص ٢٣٤.

للإنكليز - كما كان شائعاً - فأقدم على اغتيال الكولونيل (ليشمان (1)) (Leach man) الحاكم السياسى فى المنطقه فى ١٢ آب سنه ١٩٢٠م (٢)، ومن هذه الحادته تواصلت النشاطات المعاديه للإنكليز فى هذه المنطقه «حيث أخذ الشيخ ضارى يراسل زعماء الثوره فى كربلاء، فعَمّ الهياج منطقته الدليم من (خان النقطه) إلى (عانه) وصدر البلاغ البريطانى التالى: قطع الشيخ ضارى، رئيس عشيره الزوبع، السكه الحديديه الممتده من بغداد والفلوجه قرب خان النقطه..» (٣). ومما يذكر أن الإنكليز كانوا يشكّون بهذا الرجل وقبيلته، وذلك لأن «قبيله الزوبع كانت تميل إلى الشيعة، ومن المرجح أنها كانت

ص: ٥٠١

١- (١) باللهجه العراقيه الدرجه يقال له (ليجمن). أخبرنى أحد كبار السن بأن الناس كانوا يطلقون هذا الاسم بعد مقتله على بعض الأشقياء نكايه وسخريه.

٢- (٢) وذلك حينما دعا (ليشمان) الشيخ ضارى إلى لقائه فى خان النقطه - بين بغداد والفلوجه فى منتصف الطريق تقريباً - وذلك فى ١٢ آب، ربما ليختبر ولائه وليربطه بالعجله البريطانيه كالأخرين فى المنطقه، وبالفعل تم اللقاء وجرى الحديث عن المحاصيل الزراعيه. وبالأثناء عرضت على (ليشمان) شكوى تفيد بأن مجموعه من الناس قد تمّ سلبهم بالقرب من الخان، فبعث ضابطاً ومعه عشره رجال وخمسه من قبيله الزوبع لملاحقه المعتدين وإلقاء القبض عليهم، ثم تحدث مع الشيخ ضارى بطريقه استفزازيه قاسيه متهماً رجاله بهذه الحوادث، وآتهمه شخصياً بالخيانه قائلاً له: «يا خائن». حسب روايه ولدئى الشيخ ضارى وابن عمهم عند الشيخ عبد الحسين بن الإمام الشيرازى فى داره بكربلاء. كما وأنذره فى حاله عدم سياده الأمن والاستقرار فى المنطقه، فانه لا يعفى من سلفه البذار الماضيه، وأضاف أن السلطه المدينه سوف لا تعتبره الشيخ الأول فى القبيله. أما الشيخ ضارى فقد تحمّل هذا الكلام العنيف مع رجاله الذين كانوا معه، وسيطر على أعصابه من رده فعل طائشه، وهو رجل معروف بالذكاء والأباء، ولكن بعد خروجه من الاجتماع اتفق مع رجاله لاغتياله، فعادوا ودخلوا عليه، وحين الدخول بادره ابنه سليمان، فاطلق عليه رصاصاً فجرحه ثم أجهز عليه الشيخ ضارى فقتله. وقد تغير اسم الخان إلى خان ضارى تكريماً له. راجع: النفيسى، المرجع السابق، ص ١٤٥-١٤٧. وآل طعمه، سلمان هادى: كربلاء فى ثوره العشرين، ص ١٨٣. نشرت الخبر جريده العراق فى العدد (٦٩) بتاريخ ٢٠ آب ١٩٢٠م، ومما جاء فى الخبر: «نعى بكل أسف وفاه الكولونيل..».

٣- (٣) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٢٣١.

فى تلك الفترة قد اتصلت بالنجف مركز التحريض السياسى فى منطقه الفرات الأوسط» (١). وكان «السيد محمد الصدر مبعوث المجتهد الأ-كبر فى [منطقتى]. الدليم وسامراء يقوم بنشاط كبير بين رجال قبيله الزوبع، قبيله الشيخ ضارى، ولم تكن جهوده المبذوله بدون جدوى» (٢). يقول السيد الحسنى: «أما الشيخ ضارى، فإنه بعد أن راسل زعماء الثورة فى كربلاء أنتقل إلى أراضى النعيميّه، فكتب إليه الشيخ على السليمان رئيس قبائل الدليم، أن يرحل عنها ولا يجرّج موقفه مع الإنكليز، فانتقل الشيخ الثائر إلى أراضى الرزّازة [قرب كربلاء] فحاول الشيخ فهد الهدّال رئيس قبيله عنزه أن يقبض عليه ويسلمه إلى خصومه، ولكن ضارى استطاع أن يفلت من هذا الشّرّك، وتوجه إلى خان العطيشى بين كربلاء والمسيب حيث آتخذة مركزاً لقياده الجماعه التى بصحبته من قبيله (زوبع) واشتركت فى الثورة» (٣).

وعلى ضوء تلك المعطيات فى القضيه، تتأكد العلاقه بوضوح ما بين الشيخ ضارى المحمود زعيم قبيله زوبع والمرجعيه الدينيه الشيعيه، إلى درجه التنسيق فى العمل الجهادى، وذلك لأن كلمه العراقيين قد اجتمعت فى ظل زعامه الشيخ الحائرى، وقد حاول الضابط (ليجمن) أن يثير النزعه الطائفيه لدى اجتماعه بشيوخ الدليم، حيث «طلب منهم معرفه رأيهم بالثوره القائمّه فى الفرات وبغداد، يطالب بها الشيعه فى إقامه حكومه مستقله، فرد عليه الشيخ ضارى: ليس فى الإسلام سنه وشيعه، بل هو دين واحد وعرف واحد وكلمه واحده.. فقال الضابط الإنكليزى (ليجمن): أنتم عشائر، الأجدر بكم أن تكونوا مستقلين، فرد عليه الشيخ ضارى: إن علماءنا حكومتنا وقد أمرنا القرآن بإطاعه الله والرسول وأولى الأمر مّنا،

ص: ٥٠٢

١- (١) النفيسى، المرجع ذاته، ص ١٤٦.

٢- (٢) النفيسى، المرجع ذاته، ص ١٤٧.

٣- (٣) الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٢٣٢.

فإذا آتديتم عليهم سنتصر لهم ونحاربكم بجانبهم، والأولى أن تقبلوا ما أرادوا. يروي فريق المزهر الفرعون في مقابلته لشيوخ المنطقه في الفلوجه بأن الشيخ ضارى قال لهم: إنه أصبح يقلد علماء الدين الأجلاء، وأنهم أمروه بالقيام بالثوره، وقد أخرج لهم الكتب التي وصلته من كربلاء» (١). ومن هنا يتأكد التنسيق مع هذا الرجل لإشعال الثوره ضد الإنكليز في تلك المناطق، وقد وقع الاختيار على هذا الأداء الثورى فى قتل هذا الضابط، لسوء أخلاقه وغروره وتكبره وشدته على العراقيين، وقد أهان الشيخ ضارى شخصياً، فالعملية تدخل ضمن الثأر للكرامه المهذوره على المستوى الشخصى والعشائرى والوطنى أيضاً، وذلك لأن هذا الضابط كان «قد ترأس المحكمه العسكريه التي حكمت بإعدام (١١) شخصاً من ثوار النجف الأشرف» (٢). الحاج نجم البقال ورفاقه إثر اغتيال الحاكم السياسى لمدينه النجف (مارشال)، بل «كان على رأس هذه المحاكمات ومنفذاها» (٣). وقد تم إعدامهم فى ٣٠ مايس ١٩١٨م. والمهم فى هذا التنسيق وبالتوقيت المناسب هو وجود الدلاله الواضحه على وحده العراقيين فى وطنهم ضد المحتل، وبالفعل سنرى بعد هذه الحادته الشجاعه، انطلاق مندوب المرجعيه فى تلك الأوساط بفعاليه أكثر، ومما يدل على صحه هذا الارتباط الوثيق، ما حدث بعد اغتيال (لجمن) حيث ذهب خميس وسليمان ولدا الشيخ ضارى وابن عمهما صعب إلى كربلاء والتقوا بالشيخ عبد الحسين نجل الشيرازى قائد الثوره وذلك فى داره بكربلاء ذاكرين له تفاصيل الحادث. وبالفعل كانت خطوه مدروسه من المرجعيه عبر هذا الشيخ المجاهد. لذلك

ص: ٥٠٣

١- (١) طعمه، سلمان: كربلاء فى ثوره العشرين، ص ٢٧-٢٨.

٢- (٢) خضير، عبد الكريم حسّان: العراق فى ظل الانتداب البريطانى، حوادث وشخصيات أجنبيه صنعت القرار، بغداد ٢٠٠٨م، ص ١٠٨.

٣- (٣) خضير، عبد الكريم حسّان: المرجع ذاته، ص ٢٤.

اندفع الإنجليز لتطويق الحادث خشية امتداد لهيب الثورة إلى بقية العشائر السنية، حتى أن قرار (السير برسي كوكس) المندوب السامي بالعفو العام الذي أصدره في ٣٠ أيار ١٩٢١م، لم يشمل الشيخ ضاري، فبقى مشرداً طريداً، وقد أرصدت الحكومه البريطانيه مبلغاً من المال لمن يسلمه حياً أو ميتاً، وبالفعل «في خريف سنة ١٩٢٧ استكرى الرجل سياره للذهاب إلى حلب، ف جاء به سائق السياره الأرمنى (ميكائيل كريم) إلى السلطات الحكوميه فى سنجار فاعتقلته ونقل منها إلى بغداد، حيث جرت محاكمته أمام (محكمه الجزاء الكبرى) فيها. ويرأس هذه المحكمه قاضٍ بريطاني فقضت المحكمه بإدانته، والحكم عليه بالإعدام شنقاً، ولكنها أبدلت عقوبه الإعدام إلى السجن المؤبد، فلم يبق المحكوم فى السجن أكثر من بضعه أيام، إذ أنتقل إلى جوار ربّه فى يوم أول شباط ١٩٢٨. وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً مشتهر فيه بغداد كلها فى جنازته» (١). وأُشيع أنه قد مات مسموماً فى السجن، ومما يذكر هنا أن السيد عبد الحسين الدّده من وجهاء كربلاء، وكان عضواً فى المجلس البلدى فى كربلاء بإشراف قائد الثورة الشيرازى، وهو الذى استضاف ولدى الشيخ ضارى وابن عمهما فى بيته لعدّه أيام، بعد لقائهم بنجل الشيخ الشيرازى بعد مقتل (لجمن)، قد تمّ إعدامه لهذا السبب من قبل المحكمه العسكريه بعد إنتهاء الثورة. وهذا الأمر يضاف إلى الأدله التى تعزّز ارتباط الشيخ ضارى بعاصمه الثورة، ورموزها (٢). والمسأله تستحق التأمل فعلاً، حيث يتمّ إعدام السيد الدّده الذى استضاف رجال الشيخ ضارى، بينما يستبدل قرار المحكمه من الإعدام إلى السجن لرأس العمليه البطوليّه، ممّا يدل على أن المحتلين يدركون السبب الرئيس الذى يقف وراء حركه الشيخ ضارى، فيحاولون القضاء عليه دون ترددّ.

ص: ٥٠٤

- ١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٢٣٤-٢٣٥.
- ٢- (٢) راجع، آل طعمه، سلمان: كربلاء فى ثوره العشرين، ص ١٨٣.

ومع ذلك، إن هذه الحادثة جعلت الأجواء أكثر ملائمة لحركة مبعوث المرجعيه في المنطقه لغرض إثاره الرأى العام ضد الإنكليز، وبالفعل تحرك السيد محمد صدر الدين في سامراء وقد نجح في إقناع الشيخ حبيب الخيزران شيخ قبيله عزّه، فبعد المداولات والمناقشات أقسم الخيزران بالقرآن الكريم إنه سيكون مخلصاً للثوره ولمبعوثها في المنطقه، وبدوره تحرك الخيزران باتجاه القبائل الأخرى، يستنهضهم باتجاه الثوره، وبذلك أضاف هذا النشاط آلاف المقاتلين والمؤدين لعلماء النجف وكربلاء وللثوره (١) حينذاك أعلن مبعوث النجف السيد صدر الدين «أهداف الأعمال الحربيه التي سيقومون بها ضد الإنكليز في سامراء:

أولاً: إقامة حكومه عربيه في سامراء تتشكل من الشيوخ والأعيان.. يتولون إداره شؤونها.

ثانياً: وجوب تسليم جميع الموظفين السياسيين والمدنيين إلى الثوار..

ثالثاً: جميع ممتلكات الدوله في سامراء يجب أن تنتقل إلى أيدي الثوار» (٢).

إلا- أن الرائد (برى E.S. Berry) الضابط السياسى في سامراء رفض مطالب صدر الدين، وأخذ يتهيأ للدفاع والمواجهه. حينذاك بدأ المجاهدون بأعمالهم الهجوميه ضد الإنكليز فقطعوا خطوط المواصلات، وخط القطار الحديدي بين سامراء ومدينه بلد، وقطعوا أسلاك البرق وهدموا جسراً على نهر الدجيل، وانضم أهالى مدينه بلد إلى صفوف المجاهدين بإمره صدر الدين، وقدموا الحبوب والأطعمه لهم. وفي ٢٨ آب قام الثوار بمهاجمه مبنى القيادة العامه في سامراء بزعامه السيد صدر الدين، إلا أنهم أخفقوا فى الاستيلاء عليه، وفى منتصف أيلول عادت سامراء إلى الهدوء (٣).

ص: ٥٠٥

١- (١) النفيسى، المرجع السابق، ص ١٤٨-١٤٩.

٢- (٢) النفيسى، المرجع السابق، ص ١٤٩.

٣- (٣) النفيسى، المرجع السابق، ص ١٤٩.

انتقلت القيادة بعد وفاه الإمام الشيرازي في ١٧ آب. إلى الإمام فتح الله الاصفهاني في النجف، الذي أكد آراء ومواقف الشيرازي في مواصلة مسيره الثورة، وذلك من خلال خطابه العام الذي ألقاه في صحن الإمام على عليه السلام (١).

هذه الظروف المتصاعده من قبل قاده الثورة - علماء الدين ورجال المقاومه الإسلاميه والوطنيه - إلى جانب الاستجابه الكبيره من قبل الناس لهم، أذهلت قاده الاحتلال البريطاني وزعزعت ثقتهم بقدراتهم في البقاء كمحتلين للعراق وبالفعل «بعد نشوب الثورة بأيام قلائل أبلغ ولسن وزاره الهند إن مطالب قاده الثورة هي طرد البريطانيين نهائياً من ما بين النهرين [العراق] وإقامه مملكه إسلاميه» (٢).

ص: ٥٠٦

١- (١) مما جاء في خطابه العام: «ان الشيرازي انتقل إلى رحمه الله، ولكن فتواه بقتال المشتركين باقيه، فجاهدوا واجتهدوا في حفظ وطنكم العزيز وأخذ استقلالكم». راجع: الحسنی، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى - مرجع سابق - ص ٢٣٤. وقد أناب عنه السيد أبو الحسن الأصفهاني - الذي أصبح المرجع الأعلى فيما بعد - للحضور في جبهات القتال إلى جانب المجاهدين، وذلك لكبر سنّه.

٢- (٢) نظمی، د. وميض: الجذور السياسيه.. مرجع سابق، ص ٢٥١. عن: F.O.٣٧١/٥٢٢٨/E. ٩٨٤٩, Dated ١٢ July ١٩٢٠.

فى حينها وجه (ويلسون) رساله بتاريخ ٢٧ آب إلى القائد الجديد الإمام الشيخ الاصفهاني، يعرض فيها الصلح، ولكن الإمام - وبعد مداوات كثيره - شدّد على موقفه الثوري المقاوم، ومما زاد فى صلابته أن (ويلسون) فى رسالته وجه إساءه مباشره إلى الإمام الراحل وحمله أعباء هذه الاضطرابات والتضحيات والخسائر (١). وللدرد على رساله (ويلسون) وما عكس لأسياده المستعمرين من خلالها، وللرأى العام أيضاً، بأن المسؤوليه تقع على عاتق المرجع الراحل، قررت القيادة الدينيه المرجعيه، مع القاده السياسيين الميدانيين، إلى جانب قرار استمرار المقاومه والثوره (٢)، أن يتم التحرك السياسى على البعد الدولى وذلك ليتوضح للعالم الموقف الوطنى العام من الأحداث، وبالتالي لتصحّ تلك الرؤيه فى تحمل مسؤوليه الأوضاع، فقدموا مضبطه إلى الدول المعنيه يتحدثون فيها عن أوضاع العراق وتطورات الأحداث فيه، ومطالب الشعب، وذلك بتاريخ ١/محرم/١٣٣٩هـ- الموافق ١٥ أيلول ١٩٢٠ وقّع عليها ٧٣ شخصيه

ص:٥٠٧

١- (١) رساله (ويلسون) الحاكم السياسى المدنى العام، نشرت فى جريده العراق فى العدد الصادر بتاريخ ٣١ آب ١٩٢٠م. تجد فحواها عند الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه.. مرجع سابق، ص ٣٣٣-٣٣٤. أما الرساله الجوابيه فتجدها لدى الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى - مرجع سابق - ص ١٣١. وستتناول قرار استمرار الثوره لدى شيخ الشريعه الاصفهاني بالتفصيل فى الفصل القادم، أى الفصل الأول من الباب الثالث.

٢- (٢) نلاحظ لدى بعض الباحثين القوميين، محاولات حثيئه لاضعاف دور القيادة الإسلاميه المرجعيه للثوره، لغرض واضح وهو محاوله إبراز دور القوميين فى الثوره. فمثلاً يقول وميض نظمى: «وجاء بعد الشيرازى، الاصفهاني الذى شجب العنف علناً ولم يؤيد الثوره». راجع: نظمى، وميض: الجذور السياسيه والفكرية والاجتماعيه للحركه القوميه، مرجع سابق، ص ٣٩٤. لا أستطيع أن أرد على هذا القول إلا بكلمه واحده وهى «من أين لك هذا؟! وبالفعل لم يأت بمصدر أو مرجع يستند فيه على ادعائه، وكأنه يتصور أن التحليلات والتصورات هى بمشابه الحقائق، وهذا أمر مرفوض علمياً، لأن الدقه العلميه فى تثبيت الحقائق التاريخيه تتطلب أدله مقنعه.

مسؤوله، وذيلها الإمام الاصفهاني - أيضاً (١) - ومفاد المضبطه أنها ترمى بالمسؤوليه على قاده سلطه الاحتلال الميدانيين، بأنهم سبب هذه الاضطرابات واستمرارها، مجددين مطالبهم بحقوقهم المشروعه في الاستقلال كما نصّت وعودهم السابقه عليها (٢).

وإلى جانب هذا النشاط السياسي، استمرت حاله الغليان الثوري في الفرات الأوسط حتى شنت القوات البريطانيه هجومها الواسع في ١٢ تشرين الأول (٣) ولأكثر من شهر استطاعت أن تفرض السيطره على تلك المناطق. وانتهت الثوره عسكرياً بعد التوقيع على اتفقيه إيقاف القتال في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠م - ٩ ربيع الأول ١٣٣٩هـ، بين زعماء بني حجين وسلطات الاحتلال (٤). بينما ظلت مستمره في الغزاف وسوق الشيوخ حتى أواسط كانون الثاني ١٩٢١م، جمادى الأولى ١٣٣٩هـ.

ص: ٥٠٨

١- (١) كتب عليها العبارة التاليه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذه الورقه كتبت بإملاء زعماء العراق ومشايخ عشائره، وهم الموقعون عليها باسمائهم في ١/محرم سنه ١٣٣٩هـ. حرر عن الجاني شيخ الشريعه الاصفهاني». للاطلاع على المضبطه التي وجهت إلى المفوضيه الهولنديه بطهران راجع الوردى: المرجع السابق، ص ٣٣٦-٣٣٨. وسلّمت أيضاً لسفارات روسيا وأمريكا وفرنسا وهولندا وتركيا وألمانيا.

٢- (٢) صوره استنساخيه عن هذه المضبطه تجدها لدى، الفرعون: المصدر السابق، ص ٣٨٤. وللإطلاع على منشور الجنرال مود قائد الجيوش البريطانيه في العراق سنه ١٩١٧، لأهالي بغداد، راجع: «عهود الحلفاء وعودهم وعبثهم بعهودهم وعودهم». عنوان الفصل الثاني في كتاب الحسنی، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، ص ٢٢-٣٤.

٣- (٣) الحسنی، عبد الرزاق: الثورة العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

٤- (٤) نص البلاغ البريطاني حول الاتفاق تم نشره في جريده (العراق) العدد ١٤٩، الصادر بتاريخ ١٩٢٠/١١/٢٦. وكان أهم بنوده: (ان تكون للعراق حكومه عربيه مستقلة). للاطلاع على بنود الاتفاق راجع، فياض: المرجع السابق، ص ٣٥٦.

أمام هذه التطورات، طرأ تغيير في السياسة البريطانية باتجاه العراق، فظهرت مرونة في تعاملها، فبعثت (السير برسي كوكس) مندوباً سامياً، بدلاً عن (ويلسون)، وذلك «لخبرته الطويلة وحذقه السياسي ليقوم بتطبيق السياسة الجديدة في العراق» (١)، فكان يحمل مسؤوليه تأسيس حكومه عربيه في العراق، بعد أن يهيأ الأجواء المناسبه لإقامتها ضمن شروطهم (٢).

وهكذا نلاحظ - من خلال متابعه الأحداث - تصدّر القيادة الإسلاميه المتمثله بالمرجعيه الدينيه الشيعيه للعمل السياسي والجهادي والفكري للساحه العراقيه، التي توجت مجمل حركه الإسلاميين، بالثوره الشامله عام ١٩٢٠م، ضد سلطات الاحتلال البريطاني، طلباً للاستقلال وإقامه حكومه وطنيه إسلاميه. وقد لاحظنا من بعض النصوص الشعريه، وبعض الأهازيج الثوريه الشعبيه، الأصاله الإسلاميه وحب الوطن في حركه العراقيين والتي هي - بحد ذاتها - تظهر المفاهيم والمنطلقات السياسيه في الميدان العملي بالجهاد والتضحيه (٣).

ص: ٥٠٩

١- (١) فياض، عبد الله: المرجع ذاته، ص ٣٥٣.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ١٨٤-١٨٥.

٣- (٣) تختلف الإحصائيات حول عدد المشاركين بالثوره المسلحه، وعدد القوات البريطانيه. والجدير بالذكر أن عدد المجاهدين المسلحين هو أقل من عدد المشاركين بالثوره، يقدر محمد على كمال الدين - مثلاً - وهو من المعاصرين للثوره والمشاركين فيها - أن عدد الثوار لا يقل عن ربع مليون رجل، ولكن أكثرهم لا يمتلك سلاحاً نارياً. راجع: كمال الدين، محمد على: المصدر السابق، ص ١٧٨. ومع هذه الملاحظه الجديره بالتوقف، يقدر عدد المشاركين في الثوره - حسب المصادر البريطانيه - بين ١٣١ - ١٣٥ ألفاً، بينما تقدر عدد القوات البريطانيه ب- ٩٠ ألفاً في بدايه الثوره، وقد دعمت بقوات إضافيه خلال تصاعد عمليات الثوار، قدمت من إيران والهند. راجع: الرهيمي، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٢٢٢. بالهامش عن: Haldane, Al, The Insurrection in Mesopotamia, ١٩٢٠, Edinburch, ١٩٢٢.p.٣٢٨.

شكلت ثورة العشرين تجربته ميدانيه أساسيه للحركه الإسلاميه العراقيه، خلال الربع الأول من القرن العشرين، فيها من الدروس والعبر والنتائج ما تغني التحرك الإسلامى فى مراحل قادمه، لو درست بصوره علميه هادفه، إلى جانب دراستها بالصوره الحماسيه، التى تعزز مجد المسلمين وذلك لأنها ثوره شامله لكل مكونات شعب العراق، تحت لواء القياده الإسلاميه لمراجع المسلمين الشيعه، فإنها ثوره «تمتاز عن الثورات العشائريه السابقه لها بميزه واضحه هى أنها اشترك فيها الشعب العراقى بمختلف فئاته وطبقاته، حيث رأينا فيها الرجل الريفى إلى جانب الرجل الحضرى، والسّينى إلى جانب الشيعى، والعربى إلى جانب الكردى، والملاّئى إلى جانب الأفندى، وكلهم يهتفون: ليحيى الوطن» (١). وإن ثوره العشرين تعتبر قمه المواجهه ما بين العراقيين وقوى الاستعمار سبقتها مرحله حركيه تمهيديه، وتلتها مرحله سياسيه هامه، حاول فيها البريطانيون احتواء التحرك الإسلامى عبر مشاريع مبطنه للاستعمار غير المباشر، ودخل الإسلاميون فى المرحله السياسيه، بعد مرحله شديده من المعاناه فى أيام الثوره. لذلك يذهب المحللون إلى أن الإسلام هو العامل الرئيس لتلك الثوره العارمه، يقول الدكتور الوردى: «كان العامل الدينى من أهم العوامل - إن لم يكن أهمها - فى نشر الوعى الثورى بين العراقيين. وقد بدأ هذا العامل عمله منذ حركه الجهاد أثناء الحرب» (٢).

ص: ٥١٠

١- (١) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه، ج ٥، حول ثوره العشرين، ص ٢٠٠.

٢- (٢) الوردى، المرجع ذاته، ج ٥، ص ٢٠٠.

ويمكن القول في أبرز نتائجها، إنها أجبرت السياسة البريطانية على تغيير نهجها الاستعماري المباشر في إدارة العراق، لتتحول من كبريائها الاستبدادي إلى اتجاه السعي لتأليف حكومه عراقية على ضوء مطالب الشعب.

وبالفعل لقد أجهزت الثورة على مشروع (ولسن) البريطاني المتمثل بعدم الاعتراف بدوله عراقية، وكانت بريطانيا قد حصرت خيارها باتجاه تهديد العراق أو جعله مهجراً لليهود في ظل البريطانيين، أو باتجاه مشروع تقسيم العراق بفصل البصرة وإحاقها بالهند، وتقديم الموصل إلى فرنسا. فثورة العشرين منحت العراقيين فرصة ذهبية من الحرية في إقامة حكومه خاصه بهم، تفرض سيطرتها على كل أرض العراق. يقول ناجي شوكت في مذكراته: «لولا هذه الثورة العراقية الكبرى لما استطاع العراق أن يحصل حتى على شبه استقلال، ولا كان من الممكن أن يدخل عضواً في عصبة الأمم إلى جانب الدول العظمى التي كانت تتمتع بهذه العضويه. فالعراق الذي أصبح أول دوله عربيه مستقلة واحتل مقامه بين دول العالم في الوقت الذي لم يكن هناك أى بلدٍ عربي يحلم بالاستقلال. إنما هو مدين لثورته الكبرى هذه» (١).

ومع ان الاستعمار البريطاني ما تخلى عن العراق كلياً، إلا أن سياسته الإداريه غيرتها الثورة. وستحاول الإداره البريطانيه عبر عملائها السياسيين أن تحصل على ما لم تحصل عليه قبل الثورة، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. وهذا ما نعينه من مرحله الصراع الثقافي والسياسي الذي سيخوضها الإسلاميون - فيما بعد-. وبالفعل لقد «أصبح واضحاً أن الاستراتيجيه البريطانيه ستتغير بعد الثورة العراقيه باستخدام ما يمكن أن نسميه الضد النوعي وتأسيس إداره محليه يقودها (محمدي) كما يسمونه تقف في مواجهه الضد النوعي. وبهذا تتخلص السياسه البريطانيه من مشكله الاصطدام المباشر مع الوطنيين العراقيين» (٢).

ص: ٥١١

١- (١) ناجي شوكت، مذكرات، ص ٥٦.

٢- (٢) العلوي، حسن: الشيعة والدوله العراقيه، ص ١٣٤.

هذه النتيجة تعبر عن وجهه نظر موضوعيه - كما تبدو لنا- . أما «بالنسبه للبريطانيين فانهم نظروا إليها على أنها كانت خروجاً على السلطه والقانون، وأنها كلفتهم ٤٢٦ قتيلاً- من البريطانيين، و١٢٢٨ جريحاً، و٦١٥ مفقوداً وأسيراً. هذا إلى جانب النفقات الماليه التي لم تقل عن ٤٠ مليوناً من الإسترليني، وهذا المبلغ سحب من الخزانه البريطانيه.. أما بالنسبه للموظفين البريطانيين، وبالنسبه إلى الموظفين الذين عملوا في الإدارة المدنيه، فقد كانت الثوره فاجعه قضت على كثير مما كانوا قد أنجزوا من أعمال في العراق» (١).

أما بالنسبه للعراقيين، لا- سيما القبائل الشيعيه، فإنها كانت ثوره وطنيه مقدسه لديهم، خاضوا غمارها بشجاعه وإخلاص ضد المحتل الأجنبي هدفها نيل كرامه الاستقلال، وقد استمدت شرعيتها من القيادات الإسلاميه العليا. وبالنسبه للإسلاميين فقد كانت تجربه مهمه، مليئه بدروس الصبر والتضحيه والالتزام المبدئي والوطني، حيث أوصلت العراق إلى الاستقلال والسياده الوطنيه، وبالفعل ظهرت الثمره السياسيه للثوره عند حصول العراق على استقلاله في ١٩٣٢ رسمياً، هذا الاستقلال - الذي أعقب تغيير السياسه البريطانيه في العراق - يُعدُّ من نتائج هذه الثوره. كما أنه «يعدُّ التغيير النسبي الذي طرأ على سياسه بريطانيا تجاه العراق من أهم نتائج الثوره العراقيه» (٢).

صحيح أن ثوره العشرين بعد آنتهاؤها مباشره «لم تتغير شيئاً من روح السياسه البريطانيه العتيده في العراق. غير أنها أثرت في أسلوب التنفيذ، فإنها جعلت العراقيين يدركون مبلغ القوه في العمل الموحد المركز، الذي لم تستطع حتى الحكومه البريطانيه، وما في متناولها من قوه لا تقهر، أن تقف في وجهه..» (٣). ولكنها على المدى البعيد

ص: ٥١٢

١- (١) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٥٨-١٥٩.

٢- (٢) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٦٠.

٣- (٣) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٥٩.

رسخت في نفوس العراقيين مفاهيم النهضة والمقاومه والثوره ضد المحتلين، من أجل الكرامه الوطنيه والاستقلال والحريه والسياده. وقد رسمت ثوره العشرين طريق الخلاص لشعب العراق، بل للشعوب المقهوره تحت الاحتلال.

وهكذا أسست - في حينها - حكومه عراقيه الظاهر، بريطانيه المحتوى، وقد رشحت بريطانيا الأمير فيصل لعرش العراق في مؤتمر القاهره المنعقد في ١٢ آذار ١٩٢١م، ٣ رجب ١٣٣٩هـ-، وعملت بجهد بالغ لتنصيبه ملكاً على العراق. منفذاً لسياستها (١).

إذن أدت هذه الثوره من الناحيه العمليه إلى تقديم عرش العراق إلى فيصل ضمن «صفقه سياسيه معقده» (٢) باعتباره الرجل الأنسب لأداء المهمه الصعبه. فبعد قهر الثوره في خريف ١٩٢٠ «كان البريطانيون يريدون ملكاً يتولى السلطه ولا يحكم. فيصل وهو شريف متحدر عن سلاله النبي، غريب عن العراق، كان مرشحاً مثالياً في أواخر شهر حزيران سنه ١٩٢١، سنه بعد طرده من دمشق، وصل فيصل إلى العراق» (٣).

هذا، ومن الطبيعي جداً أن بريطانيا بعد انتهاء الثوره وتنصيب فيصل ملكاً على العراق ستتأثر بقوه من الإسلاميين المعارضين وعلى رأسهم علماء المسلمين الشيعه، بشتى الأساليب الانتقاميه، وذلك لأنهم سبب إشعال الثوره ضدّهم وإفشال المخطط البريطاني في العراق والمنطقه، فلقد «تبين أن المجتهدين الشيعه في النجف وكربلاء يعارضون الحكم البريطاني في العراق، ويعارضون الحكومه التي جاء بها البريطانيون، كان واضحاً أن بريطانيا كانت تريد حكم الأقلية، هذه الرغبه كانت تمنع إقامه تحالف مع الشيعه. يقول أحد علماء الدين في جملة موجزه ملائمته: مع وجود السُنه في الحكم،

ص: ٥١٣

١- (١) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٦٣.

٢- (٢) التكريتي، د. عبد المجيد كامل: مرجع سابق، ص ٨٥.

٣- (٣) عجمي، الدكتور فؤاد: الإمام المغيب موسى الصدر وشيعه لبنان، طبع بيروت - دار الأندلس ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٤٣.

البريطانيون يستطيعون السيطرة على البلاد بواسطتهم، مع وجود الشيعة في الحكم، لن يكون هناك حكم انتداب» (١).

فإذن كانت من نتائج الثورة التركيز على إبعاد الشيعة عن الإدارة والحكم في العراق كنتيجة طبيعية لعمق الخلاف والمعارضه بين الشيعة وبريطانيا.

وعلى العكس أنها «سوف تضاعف من اعتمادها على وجهاء الشُّنه سكان المدينة، وعلى الطبقة السياسيه العثمانيه السابقه، ونظام الحكم العراقي الجديد سيمضى لوحده ويستبعد الشيعة.. (جرتر وديبل) نفسها اعترفت بالمشكله في سجلها اليومي في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢١، كتبت تقول: الحكومه الحاليه التي هي بغالبيتها من الشُّنه، لا- تعمل أى شىء لاسترضاء الشيعة، هي الآن تدرس عدداً من التعيينات الإداريه للمناطق، تقريباً كل الأسماء التي تم اختيارها هي أسماء سنيه، حتى للمنطقه الشيعيه الواقعه على نهر الفرات» (٢).

والحقيقه أن السياسه البريطانيه ومنذ البدايه كانت تقوم على أساس إبعاد الشيعة عن المناصب السياسيه والإداريه المهمه، وكانت تثير بعض وجهاء الشُّنه طائفاً لتستدر عواطفهم فيتم تعيينهم بعد أن كانوا يرفضون التعيين الرسمي، كما سنرى ذلك مع السيد عبد الرحمن النقيب أول رئيس وزراء للعراق.

وللعلم أن حدود المعركه بين الإسلاميين - الحركيين والوطنيين - وبريطانيا لم تكن محصوره بالقضايا الإداريه والتعيينات داخل إطار الحكومه، وإنما هي معركه حضاريه طويله المدى، أُستخدمت فيها شتى أنواع الأسلحه من قبل بريطانيا وواجهاتها المحليه في العراق، لغرض إقصاء الإسلاميين - وعلى رأسهم علماء الشيعة، والوجوه

ص: ٥١٤

١- (١) عجمي، د. فؤاد: المرجع السابق، ص ٣٩. عن: بريطانيا في العراق، بيتر سلاغليت، دار نشر ايثاكا، لندن ١٩٧٦م، ص ٣١٤.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٤٢. عن: رسائل جرتر وديبل، دار نشر ارنست بن، لندن ١٩٢٧م، ص ٥٨٥.

السياسيه الوطنيه المرتبطه بهم - عن الساحة السياسيه والإداريه، وذلك خشيه أدايمهم السياسى والإدارى الذى يفرضه عليهم الإسلام بقيمه الوطنيه والإنسانيه المستقله، هذا الأداء الوطنى المستقل يضّر بوجود المحتلين على أرض الرافدين وبمصالحتهم المتعدده، فكانوا يحاربونهم تارةً بسلاح الطائفيه والمذهبيه، وتارةً أخرى بسلاح العلمانيه وعدم الالتزام الدينى، والحقيقه أن مغزى المعركه يستهدف الحضاره الإسلاميه التى كان ينشدها الإسلاميون من خلال تأسيس دولتهم بعد تلك الثوره التحريريه التى خاضوها بشجاعه فائقه وتضحياتٍ جسيمه. تلك الدوله التى أراد الإسلاميون أن يجعلوها نموذجاً لاقامه حكومه العدل الإلهى على الأرض، مستوعبةً التوجهات القوميه والوطنيه والمذهبيه ضمن الإطار المشروع. إلا أن هذا الطموح الإسلامى تلكاً تحقيقه فى تلك المرحله إثر الهزيمه العسكريه لثوره العشرين، فواصلت الدوائر البريطانيه والحكومات المحليه السائره على نهجها، مسيرتها نحو إتمام فصول المعركه المصيريه. مع أن السلاح الطائفى الذى استخدمته الدوائر البريطانيه، قد تمّ كشفه وإفشاله من قبل الإسلاميين الواعين لدى الطرفين الشيعه والسُنه، خصوصاً أيام ثوره العشرين الشامله، وبالفعل لقد عاشت الساحة العراقيه تجربه حيه تجسّدت فيها الوحده الإسلاميه على المستوى السياسى والجهادى أيام الثوره، بالرغم من محاولات الإنكليز فى إثارة الفتنة الطائفيه لاضعاف الثوره، ومما يذكر أن الإنكليز «اصدروا البيانات ووزعوا النشرات فى المناطق السُنيه من العراق تحاول صبغ الثوره بالصبغه الطائفيه - الشيعيه - لكى يقف أهل السُنه على الحياد، إن لم يقفوا ضد الثوره إلى جانب المحتلين، لكنّ الوعى الإسلامى آنذاك أحبط المؤامره وقضى على الفتنة فى مهدها.. عندما أعلن علماء السنه وجماهيرهم عن تأييدهم للثوره وتجاوبهم معها» (١).

ص: ٥١٥

١- (١) الألوسى، محمد: فى التسنن والتشيع، رؤيه إسلاميه معاصره - بيروت - دار المحججه البيضاء ١٩٩٢م، ص ١٠٤.

أما السلاح القومي - العلماني الذي استخدمته الدوائر البريطانية - أيضاً - وعمقته بعد الثورة، كان يستهدف الإسلاميين وبالخصوص العلماء المجتهدين الساعين في تثبيت دعائم الوحدة الإسلامية بين كافة القوميات التي تدين بالإسلام.

وبالفعل «كان عالم المجتهدين يتمّ تفويضه بشكل متزايد، الحضارة التي أعطت المجتهدين مقداراً جيداً من السيطرة على الأمور الدينية والثقافية، كان يتم إخضاعها لدولة تتبع أسلوباً سياسياً وحضارياً مختلفاً تماماً، فيصّل نفسه رئيس الدولة المعين، كان رجلاً متسامحاً ودينياً.. بعض أركان حاشيته استقدم للحكم الجديد نظره متشدده علمانية الواقع، حوّل القومية التي كانت تقريباً عنصريه في افتراضاتها حول من كان (عربياً) ومن لم يكن.

كانت حضارة المجتهدين في المدن الشيعية المقدسه، والمؤلفه من الحضارتين الفارسيه والعربيه، عالماً صمّمت الطبقة السياسيّه الجديده على تحطيمه.

النظام التربوي الذي حدّد وفرض مبادئه شخص اسمه ساطع الحصري (١٨٨٠-١٩٦٨م) وهو الأيدلوجي القومي الأكثر تأثيراً في ذلك الحين، اعتبر أن المجتمع الشيعي في العراق وطبقته الدينيه يشكل عوائق في طريق حضاره عضويه متجانسه. من موقعه كمدير عام لوزاره التربيه، ساطع الحصري الذي كان عثمانياً متحمساً، طبق النظام التربوي الذي أعاد كتابه الكثير من التاريخ الإسلامي وعزا مفخره المكان لجوهره العربي.. في علم التاريخ العربي (الصافي) لساطع الحصري وطبقته السياسيّه، الشيعه والمجتهدون الشيعه كانوا أناساً ما وراء حدود (الأمة العربيه). العراق في نظر ساطع الحصري والأيدولوجيين الذين يفكرون مثله، كان يشكل نواه كيان عربي أكثر خلفاته يجب إزالتها، طوائفه المتنوعه يجب إخضاعها. المؤرخ البريطاني (إيلي كيدوري) Elie Kedourie، لخص وجهه نظر وعقليه هذه الطبقة السياسيّه الحاكمه بقوله إن: «موقف

الطبقات الحاكمة نحو السكان الذين كانوا تحت حكمهم كان موقفاً مبنياً على الازدراء والنفور، كانوا رجال مدينه يحكمون سكان الريف البدائيين، كانوا الحكومه مع ما تمثله من عظمه رفيعه وقوه لا- حدود لها، الآخرون كانوا أشخاصاً تابعين يجب عليهم أن يكونوا خاضعين للطاعه. مثل شيعي شعبي عبّر عن الشعور المتزايد للحرمان السياسى لدى الشيعة بالقول: الضرائب والموت هما من نصيب الشيعة، بينما المناصب هي من نصيب السنه» (١).

هذا، ونحن لسنا مع هذا التصنيف العام بين السنه والشيعة، بقدر ما نحن مع التوجه الإسلامى المعارض للسياسه البريطانيه الذى ينشد إقامه دوله الشريعه الإسلاميه العادله، وإنما نقول إن السياسه البريطانيه التى نفذتها الحكومات المتعاقبه، واصلت عمليه أخذ الثأر من الإسلاميين المعارضين بشكلٍ عام، ومن الذين زلزلوا الأرض تحت أقدام المحتلين أبطال الثوره العراقيه الشامله - ثوره العشرين - بشكلٍ خاص، ومن الذين قادوا الثوره بايمانهم الوطنى الحر بشكلٍ أخص، مع أن رجال الحكومات العراقيه المتعاقبه يعلمون يقيناً، بأنه لو لا جهاد المجاهدين وعلى رأسهم علماء الدين، ومواقفهم الوطنيه والاستقلاليه الصلبه لما وصلوا إلى هذه المواقع الإداريه التى يشغلونها، وبالرغم من ذلك تركّز العداة وأخذ الثأر منهم بشتى الطرق والأساليب. ولكن فى الوقت ذاته استمر الإسلاميون فى مواقفهم الصلبه يقدمون التضحيات الجسيمه من أجل الأهداف المقدسه.

وهكذا، لقد غيّبت الثوره سلطات الاحتلال البريطاني من واجهه أحداث المعركه ضدّ الإسلاميين بشكلٍ مباشر، إلا أنّ السلطات العراقيه - للأسف - خاضت المعركه مباشره ضد الإسلاميين تنفيذاً لإرادته بريطانيا ونيابه عنها، فإذن كان المخطط البريطاني

ص: ٥١٧

١- (١) عجمى، د. فؤاد: المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥. راجع: كيدورى، ايلي: مملكه العراق، دار نشر نيقولسن، لندن ١٩٧٠م، ص ٢٤١.

يستهدف الإسلاميين ورموزهم الحركية والجهادية بالتحديد وذلك لشّل حركتهم من الأساس، يقول (ويلسون) فى برقيه إلى وزير الهند بتاريخ ١٠/١٢/١٩١٨: «إن نظرى هو أن المناطق الاستراتيجيه فى الشرق الأوسط تقع فى بغداد لا فى القفقاس، فإذا شجعنا فكره السياهه العربيه مقابل السياهه الأوروبيه التى انتزعت عن الأتراك، بالدماء البريطانیه والثروه البريطانیه سنحرم أنفسنا من المنافع الاستراتيجية التى نحصل عليها باحتلال مركز الأعصاب هذا.. لقد تمكنا باحتلال ما بين النهرين أن نددق أسفينا فى العالم الإسلامى وبهذا حلنا دون تجميع المسلمين ضدنا فى الشرق الأوسط..» (١).

فإذن كان (ويلسون) أمام مخطط استراتيجى يستهدف السياهه العربيه الإسلاميه الوطنيه فى العراق، عن طريق دق أسفين التفرقه فى العالم الإسلامى للحيلولة دون توحيد المسلمين فى مواجهه أوروبا، وهكذا يأتى عزل العراق عن العالمين العربى والإسلامى من أولويات هذا المخطط الاستعمارى المهم، ولكن مع كل ذلك المخطط الاستراتيجى، المدعوم دولياً - سياسياً ومالياً - من الخارج، والمؤيد من قبل الطبقة السياسيه المصلحيه من الداخل، نقول بوضوح: لقد استطاعت ثوره العشرين - بكل ثقه قادتها وإيمانهم، وبكل براه أبطالها وشهادتنا وإخلاصهم - أن تحبط ذلك المخطط الاستعمارى وتعرقل نجاحه التام، بل وتُفشل تلك السياسه التسلطيه على البلاد والعباد. فإن من يقف موقف المتبصرين عند هذا المنعطف المصيرى من تاريخ العراق، بل من تاريخ أمتنا العربيه والإسلاميه، ويتعمق فى آثار ثوره العشرين، سيتوصل إلى معرفه الحقيقه التاريخيه التى تثبت للعراق وجهاد أبنائه الفضل الكبير فى صنع ذلك اليوم التحررى المجيد لشعب العراق وعموم الأمة. إن ثوره العشرين المجيده، زوّدت الأمة وعياً مكثفاً باتجاه تقويه إيمانها بالله سبحانه، وإيرادتها الوطنيه، وبوحدتها المصيريه فى ساحات المقاومه والجهاد.

ص: ٥١٨

١- (١) رقم البرقيه (١٠٩٧٣). راجع العلوى، حسن: الشيعة والدوله القوميه، ص ١٣٦.

الباب الثالث : العراقيون في مواجهه مشاريع السيطره البريطانيه : تطور الصراع من أجل الاستقلال ١٩٢١-١٩٣٢

اشاره

ص: ٥١٩

الفصل الأول : المعارضه الإسلاميه الوطنيه فى مواجهه الانتداب البريطانى، والحكومہ المؤقتہ، وتنصيب فيصل ملكاً على العراق

اشاره

ص: ٥٢١

استمرت المعارضة العراقية بقياده علماء الدين المجتهدين في حالة التصعيد المتواصل على المستوى السياسي والإعلامي، لغرض إنقاذ العراق بشعبه وخيراته من براثن السيطرة البريطانية، فقد باتت الخطط البريطانية، لغرض الاستيلاء والهيمنة معروفه لدى الوطنيين، إلا أن المنهجية الجديدة لإداره المندوب السامي البريطاني في العراق (السير برسي كوكس) أصبحت متلائمه مع بعض الرموز الاجتماعيه والدينيه وذلك لدوافع مصلحيه شخصيه أو فئويه أو طائفيه، أمثال نقيب أشراف بغداد، عبد الرحمن الكيلاني، فقد صرّح عمّا يؤمن به، بأن «الإنكليز فتحوا هذه البلاد وبذلوا ثروتهم من أجلها، كما وأراقوا دمائهم في تربتها، حيث أن دماء الإنكليز والأستراليين والكنديين ومسلمي الهند وعبداه الأصنام قد خضبت تراب العراق. ولذلك فلا بد لهم من التمتع بما فازوا به..» (١).

«وهو يرى أنه لا يمكن أبداً لأي رجل محلي أن يصبح رئيساً للدولة العراقيه.. [بل] كان يرغب في أن يرى العراق تحت حكم إداره بريطانيه قويه، يسندها جيش احتلال لا يقل عدد أفراده عن الأربعين ألفاً، وكان.. يخشى كثيراً من انتعاش الجمعيات

ص: ٥٢٣

١- (١) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، الفصل الثاني عشر: آراء النقيب السياسي ص ٤٧٦.

السياسيه العربيه التي كانت تسير على خطى منظمه (الاتحاد والترقي) (١).

والجدير بالذكر، أن هذا التوجه الفكري - آنذاك - ما عاد أمراً شخصياً في بعض الأوساط العراقيه، وإنما أضحي خطأ فكرياً، ومظهراً سياسياً له معالمه ورموزه في الأيمه باختلاف النوايا الداخليه التي تتحكم في رجال هذا التوجه، وكانت أجواء السياسه البريطانيه ترعى هذا الخط الفكري بشكلٍ معينٍ لإمكانيه التعامل معه، فلذلك أخذ ينمو داخل المجتمع العراقي على حساب القيادات الوطنيه، وفي مقدمتها الخط الإسلامي الأصيل، فظهر هذا النمو بشكلٍ ملموس في مؤسسات الدوله - كما سنرى - والذي حصل بالتحديد هو دخول بعض الواجهات الدينيه والاجتماعيه ضمن اللعبه البريطانيه في تشكيل الحكومه والمجلس التأسيسي، وذلك لتغطيه مشروع الانتداب البريطاني قانونياً، وتنصيب فيصل ملكاً على العراق بصوره دستوريه. وما أعقب ذلك من تطورات الساحة الحركيه وظهور مستجدات سياسيه وتوازنات إداريه، مما أدخل اتجاهات جديده في إطار المعارضه قد تكون بعضها ضمن صراع الإيرادات والمصالح الشخصيه وذلك للحصول على المناصب الحكوميه المطروحه، أو أنها تمثل تيارات سياسيه وفكريه معينه تتمايز عن غيرها بطبيعته تفكيرها، وبأسلوب مساييره الحاله الواقعيه المستجده للساحه، بشكلٍ يضمن أداءها المؤثر داخل السلطه والمجتمع معاً.

وكانت لأساليب السياسيه البريطانيه أثرها الواضح في خلق تلك الأجواء، فمثلاً «أرسلت وزاره الحربيه (لورنس) إلى البصره، في آذار / مارس ١٩١٦م [جمادى الأولى ١٣٣٤هـ-]، فيما وصف بأنه إحدى أغرب المهمات في التاريخ العسكري البريطاني، وهو تقديم مبلغ مليون باوند (زيد إلى مليونين) كرشوه لخليل باشا لفك حصار الكوت عن

ص: ٥٢٤

١- (١) نظمي، د. وميض جمال عمر: الجذور السياسيه والفكريه والاجتماعيه للحركه القوميه العربيه (الاستقلاليه) في العراق، مرجع سابق، ص ٣١١.

الإنكليز، وكلف (لورنس) أيضاً بالبحث في البصره عن إمكانيات قيام حركه عربيه. وكان القوميون العراقيون مهئين لمثل هذا الموقف. فقد أثارت حفيظتهم إجراءات الشنق الواسعه النطاق في بيروت ودمشق، والفظائع في الحله، كما شجعتهم الانتفاضات الناجحه في النجف و كربلاء.. واستناداً إلى فيضى، يبدو أن (لورنس)، خلال إقامته في البصره، قابله مرتين في ٧ نيسان/ أبريل ١٩١٦م، [٤ جمادى الثانيه ١٣٣٤هـ-]، لبحث شروط الحركه العربيه في العراق، وكانت حجج (لورنس) تستند على الافتراض بأنه إذا ثار عرب العراق ضد الأتراك، فسوف تضمن بريطانيا لهم الحريه والاستقلال. وقد ذكر أنه لا توجد لدى الحكومه البريطانيه أو الشعب البريطاني أيه نوايا استعماريه إزاء العراق. ويدعى فيضى أن (لورنس) عرض عليه تقديم كافه المساعدات والإمكانيات المتوفره في حاله قبوله قياده الثوره المقترحه [من قبل بريطانيا] (١).

هذا، وقد أبدى طالب النقيب تنازلات هائله للبريطانيين، وأبدى استعداداه التام كحليف مطيع لبريطانيا (٢).

ومع نمو هذه التوجهات على الساحة العراقيه في تلك المرحله فقد «مثلت المعارضه الإسلاميه التيار الأوسع والأقوى الذى قاد فى الغالب سائر تيارات المعارضه» (٣). وبالفعل سلاحظ دخول المعارضه الإسلاميه بقياداتها العلمائيه فى مواجهه سياسيه ساخنه ضد مشاريع السيطره البريطانيه باختلاف أساليبها وأطروحاتها. ولكن وبالرغم من السياسه الترويضيه الشديده التى اتبعتها سلطات الاحتلال ضد الإسلاميين بشكل عام وضد العلماء المتصددين للساحه السياسيه بشكل خاص، بقى العلماء

ص: ٥٢٥

-
- ١- (١) نظمى، د. وميض: المرجع ذاته ص ١١٠-١١١. حول موضوع العلاقه بين (لورنس) وفيضى راجع: فيضى، سليمان: فى غمره النضال. (مذكرات) مصدر سابق ص ٢٠٦-٢٦٦.
 - ٢- (٢) نظمى، د. وميض: المرجع نفسه، ص ١١٢.
 - ٣- (٣) الرهيمى، عبد الحليم: تاريخ الحركه الإسلاميه فى العراق مرجع سابق، ص ٢٣٦.

المجتهدون ومن اتبعهم يا حسان يجاهدون في جبهات المعركة السياسيّة، كما جاهدوا - قبلاً - في أيام الثورة من خنادقهم القتاليّة في جبهات المعركة العسكريّة.

وسنرى من خلال تتابع الأحداث وتفاقم الأزمات السياسيّة، أن القيادات الإسلاميّة كانت هي المستهدفة من قبل السياسيّة البريطانيّة - من العلماء المتصدين، والمتقفين الحركيين، إلى عموم التيار الإسلامي - وذلك لغرض إضعاف قوتهم وتشتيت العمق الشعبي الملاصق لهم. فحينما تيقن السياسيّة البريطانيون أن العلماء هم مصدر الحركة والانتفاضة والثورة في الأمة، وإنه من الصعوبة بمكان استمالتهم للمخططات البريطانيّة، انصبت اهتماماتهم وخططهم لشلّ حركة المعارضه الإسلاميّة، باعتبارها تشكل الهاجس المرعب لأحلامهم الاستيلائيّة (١). لذلك بادر (كوكس) بتشكيل الحكومة المؤقتة بزعامه نقيب أشرف بغداد عبد الرحمن الكيلاني في ١٤ صفر ١٣٣٩هـ - الموافق ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠م، وتم الإعلان عن أول اجتماع رسمي للوزاره المؤقتة في ٢١ صفر عام ١٣٣٩هـ - الموافق ٣ تشرين الثاني من العام ذاته، بعد أن عقد (كوكس) ارتباطها الوثيق بسلطه الاحتلال، وبشخصه مباشرة باعتبار المندوب السامي، وقد نشر بلاغاً إثر الاجتماع الأول للوزاره «ذُكر فيه الجمهور العراقي بالجهود التي بذلها في سبيل تأليف الوزاره المؤقتة ويُن أن هذه الوزاره ستهدى بهديه وتسير بأفكاره وتعاليمه إلى أن يتم انتخاب المجلس التأسيسي المزمع انشاؤه، وتستطيع البلاد أن تُنشد أن تعرب عن رأيها بانتخاب نواب لها يعينون الأشخاص المسؤولين ويؤلفون الحكومة الوطنيّة» (٢). وهكذا تحققت النتيجة الممكنة مرحلياً، التي

ص: ٥٢٦

١- (١) بريطانيّا تفكر بمصالحها الحيويّة في العراق، وتحاول أن تجعل طرقها البحريّة إلى الهند في أمان، بالإضافة إلى طرقها الجويّة الجديده، ومما لا يخفى أن يناييع النفط الغنيّة في العراق وإيران شدّت من عزمه بريطانيّا في ترتيب الوضع السياسي في العراق. للمزيد من الإطلاع راجع: برو، توفيق: العرب والترك في العهد الدستوري ١٩٠٨-١٩١٤م، ص ٧٦٠.

٢- (٢) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيّة طبع صيدا ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م، ج ١، ص ١١.

سعى إليها الحاكم السياسي عبر مستشاريه كخطوه ميدانية في غايه الأهميه، على طريق استمرار الهيمنه البريطانيه في العراق، بواجهه عراقيه شكليه، وقد يرى البعض أن الواقعيه السياسيه - آنذاك - تقتضى المسايه والقبول لهذا الطرح وتطويره كخطوه مهمه في طريق الاستقلال الفعلي، باعتبار «إن إقامه حكومه مستقله يرضى عنها الشعب، في ظل الانتداب البريطاني، هي أفضل الوسائل إلى إشاعه الاستقرار في البلاد، شرط أن تنبثق من مجلس تأسيسى» (١). بينما كان بلاغ المعتمد السامى واضحاً في تبيان موقع المندوب السامى البريطاني في هذه الإداره، باعتباره المسؤول الأول للبلاد أمام الحكومه البريطانيه. وقد وضع منهاجاً خاصاً للوزاره المؤقته في هذا الاتجاه، الذى أصبح كالنظام الداخلى الملزم للوزاره المؤقته، وكان مكوناً من أربع عشره ماده تكرر هذا التوجه (٢).

وبالنتيجه دخلت القضيه في إطار المواجهه غير المباشره، مما عقّد مسارها، وفسح المجال لظهور نتوءات حركيه في الساحه بشعارات علمانيه، وقوميه، ومصالحيه مما أضعف وحده حركه الأمه تحت الرايه الإسلاميه - الوطنيه.

ص: ٥٢٧

١- (١) برو، توفيق: العرب والترك في العهد الدستوري، المرجع ذاته، ص ٧٨٠.

٢- (٢) راجع، الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات، المرجع السابق، ص ١١-١٤، تحت عنوان (لائحه التعليمات للهيئه الإداريه العراقيه)، وقد وردت في الفقره (٣) أمور منها: (في الدرجه القصى تكون المراقبه العليا خاصه بشخصى) أى المندوب السامى.

على أثر استمرار الضغط الشعبي على القوات البريطانيه المتواجده فى العراق (١). وتوقع اشتداد الثوره، وامتدادها إلى مناطق جديده، واحتمال انضمام عشائر أخرى إليها (٢)، أصبح أمام سلطه الاحتلال البريطاني خياران محددان - كما يبدو لنا - يتلخص الخيار الأول فى مدّ جسور المفاوضات مع علماء الدين، ووجهاء المجتمع. ورؤساء العشائر، وذلك لتسويه الأمور قدر الإمكان، وفتح صفحه جديده من التعامل والتفاهم. وفى حاله عدم إمكانية تحقيق هذا الطموح مع قمه التحرك والتوجيه ومصدر الثوره، يتم التوجه إلى الرجال الثانويين -على الأقل - لغرض التفاوض والتنسيق، وقد يسبب ذلك اضطراباً داخلياً يؤثر على وحده القرار داخل صفوف المعارضه، وهو أمر يهّم الإنكليز فى تلك المرحله، بل ويتناسب مع طريقتهم الإداريه. كل ذلك فى

ص: ٥٢٨

١- (١) يقول الجنرال (ايلمر هالدين) القائد العام للقوات البريطانيه فى العراق، «..لقد باشرت الحرب منذ ١٩١٤ حتى انعقاد الهدنه فى الجبهه الغربيه، ولم أترك الجبهه إلا لفترات قصيره. وكانت جيوشنا فى أغلب الأوقات تعمل فى ظروف خطره، ورغم كل ذلك، فإن الأيام الاثنا عشر من سنه ١٩٢٠ فى بغداد، والتي هى بمثابة الاثنى عشره سنه، تفوق كل ما حلّ بى من مضايقات سابقه..». راجع فياض، د. عبد الله: مرجع سابق ص ٣٢٨، عن: Haldan. A.L. , The In Surrection In Mesopotamiq ١٩٢٠, Edinburgh. ١٩٢٢, P.١٣٩.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى مرجع سابق، ص ١١٥.

محاولة جاده منهم لوضع حد فاصل لهذا النزيف المدمر لقواتهم العسكريه فى العراق، ووضعهم السياسى فى بلادهم - أيضاً-. فقد علت صرخات داخلية فى لندن تطالب الحكومه بإجلاء القوات البريطانيه عن العراق. فى هذا الصدد يقول (السير برسى كوكس) المعتمد البريطاني فى العراق فى تقرير له: «عند وصولى إلى لندن بعد بضعة أيام وجدت الرأى العام البريطاني قد اضطرب كثيراً من الوضع الذى وصلت إليه الأمور فى العراق، وقد حصل هياج شديد لدى فريق من الصحف البريطانيه إذ هى أخذت تطالب الحكومه بوجود الجلاء عن العراق وإيقاف الخسائر التى تتكبدها هناك» (١).

كما وطالبت بتغيير الخطط السياسيه فى الشرق الأوسط، وقد أثرت هذه الضجة على الأوساط الحكوميه، فسعت الحكومه لتغيير سياستها بما يتناسب مع المرحله المقبله. «ولقد لخصت جريده (التايمس) الاتهامات التى وردت فى الصحافه الإنكليزيه وفى البرلمان فكتبت تقول: «نحن نعلم بأن الوزاره بأجمعها تعترض على حمله ما بين النهرين، هناك عضوان فقط من أعضاء الوزاره -يبدو أنهما لويد جورج وتشيرشل - يعيقان إلغاء هذا المشروع باهظ التكاليف». لقد كانت أوساط الرأى العام الإنكليزى تطالب بإصرار متزايد بسحب القوات البريطانيه فى العراق. إن مصاريف الاحتلال فى العراق كلفت دافعى الضرائب فى ١٩١٩-١٩٢٠ مبلغ ٨٠ مليون جنيه إسترليني وحتى بدايه ١٩٢١ بلغت مصاريف الاحتلال ١٠٠ مليون جنيه إسترليني» (٢).

وعلى ما تقدم، أصبح خيار التفاوض مع قاده الثوره والتوصل معهم إلى نوع من التسويات المرحليه، أمر لا بد من إجرائه.

أما الخيار الثانى فكان يدور حول سعى المحتلين لإيجاد محاولات جاده منهم

ص: ٥٢٩

١- (١) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه عن تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ج ٦، ص ٩. عن: Lady Bell (The letters of GertrudBell) London ١٩٤٧، P.٤٢٦.

٢- (٢) منتشاشفيلى، البرت، م: العراق فى سنوات الانتداب البريطاني (مترجم) مرجع سابق، ص ١٧١.

لغرض احتواء الحاله الثوريه والجهاديه فى الأمه، بل واستيعاب كافه المستجدات الناتجه عن التصعيد الثورى من قبل المعارضه الإسلاميه ضد وجودهم المباشر. وهذا وإن كان على حساب بعض التنازلات الاسترضائيه (١)، وذلك لتفادى استمرار الثوره أو اندلاعها بقوه مره أخرى، فالثوره وتبعاتها «تركت لدى الرأى العام البريطانى آثاراً شديده لما سببته من خسائر فادحه للحمله البريطانيه، وتكاليف باهظه تحمّل عبأها دافع الضريبه البريطانى، فارتفعت فى إنكلترا أصوات التذمر تطالب بانتهاج سياسه تخفف من ثقل الأعباء الماليه من جهه، وتجارى الروح الحديثه التى سادت الشعوب بعد انتشار مبادئ (ولسن) فى حق تقرير مصيرها من جهه أخرى» (٢).

وهكذا واصل البريطانيون نشاطهم السياسى فى إطار الخيارين المتقدمين، وذلك باستخدام أشخاص مختلفين لغرض التنفيذ، وإن كان يبدو أحياناً أن هناك نوعاً من التضارب بين الرموز المنفذه للإداره البريطانيه على كلا الخيارين - كما سنرى فى الظاهر - إلاّ أن كلا-الخيارين، كانا كحلقتين متكاملتين فى توزيع الأدوار لغرض الوصول إلى الهدف المنشود وهو استمرار الوجود البريطانى فى العراق، باعتباره أفضل الطرق المؤديه إلى الهند - الدرہ اللامعه فى التاج البريطانى - كما وأن السيطره على العراق تعنى السيطره على نبط الخليج، وعليه فقد مورست سياسه الشده من قبل سلطات الاحتلال البريطانى أعقبته سياسه اللين لغرض الاحتواء السياسى للمعارضه المتناميه، وذلك حسب مقتضيات المرحله. وقد كانت الفرصه سانحه لتنفيذ الخيار الأول فى إجراء التفاوض مع زعماء الثوره الدينيين والاجتماعيين، وذلك إثر وفاه الإمام الشيرازى قائد

ص: ٥٣٠

١- (١) إنها تنازلات ضئيله لم تتجاوز الحدود الشكليّه، بعيدة كل البعد عن المساس بالقضايا الجوهرية - كما سنرى ذلك لاحقاً.

٢- (٢) العمرى، خيرى، أمين: حكايات سياسيه من تاريخ العراق الحديث ص ٣٨، طبع بغداد الطبعه الأولى - بلا تاريخ - من منشورات مكتبه آفاق عريبه. أما طبعه القايره - دار الهلال فهى بتاريخ ١٩٦٩م.

الثوره فى الثالث من ذى الحجه ١٣٣٨هـ- الموافق ١٧ آب ١٩٢٠م، وانتقال الزعامه الدينيه إلى الإمام شيخ الشريعه الاصفهاني (١)، المولود فى ١٢ ربيع الأول ١٢٦٦هـ-، والمتوفى فى ٨ ربيع الثانى ١٣٣٩هـ-، «فرأت الحكومه أن تبدأ بفتح باب المفاوضات مع الزعيم الدينى الجديد» (٢) فبعث وكيل الحاكم الملكى العام (السير آرنولد ولسن) (٣) بتاريخ ١٣ ذى الحجه ١٣٣٨هـ- الموافق ٢٧ آب ١٩٢٠م إلى شيخ الشريعه الاصفهاني «كتاباً يطلب فيه الدخول فى مفاوضات تمهيديه لحل المشكله» (٤) القائمه بين الشعب الثائر وسلطات الاحتلال البريطانى، إلا أن هذه المحاوله باءت بالفشل الذريع، وذلك - كما يظهر لنا - لأن مستشارى (ويلسون)، أو لادن (ويلسون) بذاته - ضمن تلك الظروف العسكريه والأوضاع النفسيه المتأزمه - لم يوفق فى مخاطبه المرجع الدينى الجديد بالأسلوب المرضى فقد كانت رسالته استفزازيه للرأى العام، وربما كانت هذه الرساله فى ذلك التوقيت الحساس ضمن الخطه المرسومه من قبل الحكومه البريطانيه. فجاء الرد الطبيعى من قبل المرجع القائد بالتمسك بالثوره ورفض المفاوضات السياسيه قبل الجلاء رفضاً تاماً (٥). وكان (ويلسون) فى رسالته قد حَمَّل أعباء المشاكل والأزمات الحاصله فى البلاد، على آراء ومواقف المرجع الراحل - كما أشرنا سابقاً - كما وذكر «..إن الحكومه الإنكليزيه اعتمدت دائماً على الأركان الثلاثه وهى: الرحمه، والعدل،

ص: ٥٣١

- ١- (١) شيخ الشريعه هو الإمام فتح الله الاصفهاني، شارك فى الجهاد ضد الإنكليز المحتلين للعراق إلى جانب العلماء الكبار وفى ثوره العشرين كان إلى جانب الإمام الشيخ محمد تقى الشيرازى قائد الثوره وبعد وفاته أصبح المرجع الأعلى وقائد الثوره. الأمين، الإمام السيد محسن: أعيان الشيعه، مرجع سابق، المجلد التاسع، ص ٣٩١-٣٩٢.
- ٢- (٢) فياض، د. عبد الله: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٣٢٨.
- ٣- (٣) (آرنولد تالبوت ولسن) (١٨٨٤-١٩٤٠) هو مساعد الضابط السياسى الأول فى الحمله البريطانيه ما بين النهرين، وفى ١٩١٨-١٩٢٠ كان يؤدى مهمه المفوض المدنى بدلاً عن (السر برسى كوكس).
- ٤- (٤) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥٤.
- ٥- (٥) الرهيمى، عبد الحلیم: المرجع السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

والتسامح الدينى..» ومما جاء فى الرساله أيضاً، أن العراقيين فى البدايه «قبلوا الدوله الإنكليزيه وكانوا مسرورين من إبقاء جيوشها فى هذه البلاد.. ولكن لما رأى بعض المفسدين والمغرضين [!] ذلك التنقيص فى جيشها، قاموا يشوّشون الأذهان..» وكذلك ضمت الرساله نوعاً من التهديد بالقوه البريطانيه التى لا يمكن معادلتها بقوه العشائر من الناحيه العسكريه، بالإضافة إلى التهديد المباشر للمشايخ المحرضين للناس بالانضمام للثوره. وبعد كل ذلك عيّن - فى رسالته - ممثلاً عن الحكومه لغرض المفاوضات وطالب المرجع الأعلى بتسميه مندوب أو مندوبين عن الثوار لإجراء المفاوضات. هذا وقد وزعت الحكومه آلاف النسخ من هذه الرساله فى مختلف أنحاء العراق، لا سيما مناطق الثوره بواسطه الطائرات (1). الغرض من هذه العمليه هو خلق حاله من البلبله والتردد فى الموقف الجهادى بنسبه معينه.

ص: ٥٣٢

١- (١) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٢٩-٣٣٠. والحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى مرجع سابق، ص ١١٨. كما وتجد فيه النص الكامل لرساله اللفتتت كولونيل السير آرنولد ولسن الحاكم الملكى العام فى العراق الموجهه للإمام الاصفهانى.

بالرغم من أن رساله (ويلسون) خلقت نوعاً من التضارب في الآراء، إلا أن الرأي العام سادت فيه روح التحدى والإصرار على مواصلة القتال وطرده الإنكليز من البلاد. إثر تمسك الإسلاميين الثوار بموقف المرجع القائد، فقد قرر (المجلس الحربى الأعلى) للثورة عدم الدخول فى المفاوضات بشكل نهائى بعد رساله الحاسمه للموقف من قبل الإمام شيخ الشريعة الاصفهانى التى وجهها إلى (ويلسون) فى ٢ محرم ١٣٣٩هـ - ١٤ أيلول ١٩٢٠م. فقد أكد على ضروره «إعطاء العراقيين حقوقهم التى طالبوكم بها مطالبه سلميه، فأبيتم إلا اغتصابها»، ثم «عاب الحاكم عتاباً مُرّاً حول تعريض الحكومه بسلفه الإمام الشيرازى، حول اعتقادها، بأن المصائب التى حلت بالعراقيين كانت نتيجة لآرائه»، وكذلك فنّد ادعاءه باعتماد حكومته على الأركان الثلاثة: الرحمه، والعدل والتسامح الدينى بقوله: «فإن الرحمه، فهى مقابلتكم بالأمه العراقيه عند مطالبتها باستقلالها، بسوق الجيوش الجزاره عليها، وقتل الرؤساء، ونفى العلماء.. ورمى النساء والأطفال بأنواع النيران، وحرقت البيوت، وأمواى ومزارع جميع من امتنع عن الإقرار بوصايه الإنكليز، وطالبكم بتأسيس الحكومه العراقيه.. أما العدل، فالقتل والإعدام لغير جرم، وبدون محاكمه.. وأما التسامح الدينى فهو رمى الطائرات، والسيارات المدرعه، المساجد وقتل المتعبدين والنساء والأطفال، وتشكيل الإداره العرفيه

لمعاقبه من يتصدى إلى عقد مجلس لقراءه منقبه [من مناقب] النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى المساجد، أو ماتم عزاء الإمام الحسين (عليه السلام)» (١).

ويظهر أن سياسه الإمام شيخ الشريعة أضحت تتسم «باتباع سياسه أشد عنفاً ضد الإنكليز. وقد أصدر بلاغاً وزع فى جميع الألويه [المحافظات والمناطق] الشيعيه فى العراق. وقد أرسل شيخ الشريعة، المجتهد الأكبر، رسالاً ودعاه جديداً أحسن نشاطاً وأشد اندفاعاً وتحمساً إلى المنتفك لكي يحتلوا الناصريه، وبذلك يضعون منطقه الفرات الأسفل كلها تحت سيطره النجف...» (٢).

وفى صدد تقييم رساله (ويلسون) وجواب الإمام شيخ الشريعة، يقول الأستاذ السيد الحسنى: «لا نشك أن خطيئه (الحاكم الملكى العام) فى كتابه إلى (شيخ الشريعة) أنتجت نتائج معكوسه، ومعاكسه لما قصده ورمى إليه. إذ أن اللهجه التى دبجت بها سطوره كانت بعيده عن القصد السياسى الذى كان يهدف إليه، فلم تكن من الحكمه أن ينعت الثوار بالمفسدين والزعماء بالمشوشين. وإن التهديد والوعيد الذى تضمنه لبعض الزعماء كان سبباً لإحباط مشروع المفاوضه.. كما لم يتضمن الكتاب إيضاحاً كافياً للنقاط الأساسيه، التى يجب أن تدور المفاوضه حولها. وبالإجمال لم يكن كتاب

ص: ٥٣٤

١- (١) النص الكامل للرساله الجوابيه تجدها لدى، فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٣١-٣٣٢. والحسنى، المرجع ذاته، ص ١٢١.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله: دور الشيعه فى تاريخ العراق السياسى الحديث، مرجع سابق ص ١٤٤. وللأسف نجد أن الأستاذ د. وميض نظمى، استجاب له عصبية الفارغه، يهرب من تفسير الأحداث بالمنظار الواقعى ويبدو عليه بعض التخبط، فيذكر شيخ الشريعة الاصفهانى بقوله: «كان شيخ الشريعة الاصفهانى، وقد ساهم بنشاط فى (الجهاد) الذى أعلن ضد الإنكليز بعد غزوهم العراق إلا أنه تفاهم معهم بعد ذلك! وكان من مناصرى الدستور الأشداء، وكانت له صلوات مبكره مع الإنكليز.. وقد أصبح المجتهد الأول فى منتصف الثوره ولعب دوراً مهماً ولكن وسيطاً فى تلك الأحداث» راجع: نظمى، وميض جمال عمر: الجذور السياسيه والفكرية، مرجع سابق، ص ١٢١. من دون أن يشير إلى مصدر واضح.

الحاكم الملكي العام تحريراً سياسياً مجرداً، فجاء بنتائج معاكسه لما أراد...». أما رساله الإمام الجوابيه فيقول عنها: «خطئه كذلك، إذ كان عليه أن يغتنم الفرصه، ويعتبر الكتاب طلباً صريحاً لمفاوضه الصلح، وينقذ الثوره من هزيمه كانت مؤكده، ويحفظ للثوار هيبته، وللعراق مقامه ومفاخره، إلا أنه تضمن روح المباهاه، والفخر، والشعور بالقوه، والاعتزاز بها، وعدد مظالم الحكومه المحتله فأثار حرباً جديده، وسد باب المفاوضات سداً نهائياً» (١). وأما الأستاذ فياض فيقول في هذا الصدد - لقد: «أجاب شيخ الشريعه الحاكم الملكي العام بجواب ذى لهجه شديده لا يتناسب وإمكانيات الثوار [ويضيف]. ويقوم جواب شيخ الشريعه السلبى على طلب الحكومه بالمفاوضه كدليل على قله خبره السياسيه لدى قياده الثوره التى أنيطت بالدرجه الأولى بالروحانيين [علماء الدين]، رغم قله خبرتهم بأمور السياسه ومراميه البعيده» (٢).

ومع تقديرنا للأستاذين الفاضلين على ما قرّاه، إلا أنه من الممكن توجيه هذا الموقف الصلب للقياده الإسلاميه فى صراعها المرير ضد سلطه الاحتلال، ضمن المعطيات الملموسه على الأرض من سياستهم ووعودهم المتكرره، وعليه فإن صدقيه سلطه الاحتلال أصبحت مهزوزه أمام العلماء والرأى العام أيضاً، فمنذ احتلال العراق أثبتت الأحداث مراراً، بأن الوعود البريطانيه التحريره لا تتجاوز حدود الشعارات والبيانات التخديريه، وإنها غير جديده فى تنفيذها على الإطلاق، يقول الشيخ محمد رضا الشيبى «وهكذا دلت التجارب على أن العبره ليست بالألفاظ المعسوله أو الأقوال الخلابه، وهكذا اتضح بأن السلطه البريطانيه المحتله تبنت للعراقيين شراً مستطيراً،

ص: ٥٣٥

-
- ١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى مرجع سابق، ص ١٧٨. طبع دار الكتب - لبنان، ط ٤، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢- (٢) فياض، د. عبد الله: المرجع ذاته، ص ٣٣١-٣٣٢.

وسيطره استعماريه غاشمه» (1). هذا الأمر فى نظرنا - دفع الإسلاميين وعلى رأسهم القيادة العلمائيه المرجعيه باتخاذ الموقف المبدئى فى مواصله المعركه غير المتكافئه ضد العدو المعتدى وذلك لإيصاله إلى نقطه الجديده والصدق فى تنفيذ وعوده.

ومن المعلوم أن الإسلاميين يدخلون المعركه استجابيه للفتوى الشرعيه التى يفترض أن تراعى الظروف الذاتيه والموضوعيه، فهم يؤمنون بأن الإراده الإيمانيه الصلبه هى أساس التحرك والمواجهه، فإن اقتضت الحكمة الإلهيه أن يكون الانتصار الميدانى حليفاً للمؤمنين، فلذلك سيتم بإذن الله تعالى، قال سبحانه تعالى فى محكم كتابه العزيز:

ص: ٥٣٦

١- (١) الشيبى، محمد رضا: فى تقديمه لكتاب الثوره العراقيه الكبرى للدكتور عبد الله فياض، ص ٨. وقد كتب المقدمه فى ٢٠ شعبان ١٣٨٢هـ-، ١٦ كانون الثانى ١٩٦٣م. والشيوخ محمد رضا الشيبى، ولد بالنجف وتوفى ببغداد عام ١٩٦٥م وقد ناهز الثمانين عاماً. درس فى النجف الفقه والأصول والتفسير والنحو والأدب، ساهم فى أواخر العهد العثماني بالإصلاح السياسى والاجتماعى وذلك فى شعره ونثره وسلوكه. له ديوان مطبوع فى القاهره سنه ١٩٤٠م عنوانه (ديوان الشيبى). من الناحيه السياسيه والجهاديه ساهم إلى جانب العلماء الكبار والجيش العثماني ضد الإنكليز سنه ١٩١٤ فى جبهه الشعبيه. وبعد الهدنه سنه ١٩١٨ كان مع المنادين بالاستقلال والحكومه الدستوريه برئاسه ملك عربى. حمل وثائق ومطالب الشعب العراقى فى الاستقلال إلى الشريف حسين فى الحجاز أواخر ١٩١٩، طالباً منه بذل جهده لتحقيق استقلال العراق وبالفعل حملها ولده فيصل إلى مؤتمر الصلح بباريس. وفى دمشق ساهم فى المؤتمر العراقى سنه ١٩٢٠ الذى نادى بالاستقلال وكان من المؤيدين لفيصل، وقد ساهم فى خطابات الترحيب به. أصبح وزيراً للمعارف لخمس مرات فى سنه ١٩٢٤ و١٩٣٥ و١٩٣٨ و١٩٤١ و١٩٤٨. وكان عضواً فى المجلس النيابى أكثر من مره، وانتخب رئيساً للمجلس النيابى سنه ١٩٤٣ كما كان عضواً لنادى القلم العراقى ورئيسه نحواً من عشرين سنه ورئيس المجمع العلمى العراقى سنه ١٩٤٨. انتخب عضواً للمجتمع العلمى العربى فى الشام سنه ١٩٢٣. كما انتخب عضواً عاملاً فى مجمع اللغه العربيه بالقاهره أواخر سنه ١٩٤٧. راجع الأمين، السيد محسن: المرجع السابق، المجلد التاسع، ص ٢٨٧-٢٨٩.

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْدَفِينَ (٩)
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠).

وليس معنى ذلك عدم بذل الجهد لغرض تطوير وسائل المواجهه فقد قال تعالى أيضاً:

وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ ٢.

وبالعودة إلى حاله التصعيد «أبرق (ويلسون) رئيس الإدارة المدنيه الإنجليزيه فى العراق إلى لندن، مشيراً إلى الإفلاس التام للسياسه الاستعماريه الإنكليزيه فى العراق. وذكر بأن إنجلترا لا تستطيع أن تحافظ على وضعها كدوله منتدبه إلا باللجوء إلى العنف، وتبعاً لذلك فإن عليها أن تقدم طيله سنوات عديده القوات والأموال اللازمه للمحافظه على دوام سيطرتها، وقد اقترح (ولسون) أن تخلى إنجلترا العراق فى حاله ما إذا اعتبرت الحكومه الإنكليزيه هذه السياسه غير قابله للتحقيق، أو تفوق طاقتها. [وهكذا] لقد اعتبرت برقيه ولسون هذه فى لندن حجه لإقالته» (١).

ص: ٥٣٧

١- (٣) منتشاشفيلى، البرت، م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى (مترجم) مرجع سابق، ص ١٦٨. وكذلك راجع: الأدهمى.
د. محمد مظفر: المجلس التأسيسى العراقى، ج ١، ص ٩١-٩٣. وقد نشرت جريده (العراق) بعض البلاغات التفصيليه فى هذا الصدد، بعددها الصادر فى ٢١ حزيران ١٩٢٠م، الموافق للرابع من شوال، ١٣٣٨هـ-.

حينما تيقنت الحكومه البريطانيه بأن طريق المفاوضات مسدوده ولا تؤتى ثمارها فى هذه المرحله، مارست خيارها الثانى عبر خطوه سياسيه جديده، اقتضت تغييراً فى الأسلوب الإدارى من قبلهم، هذه الخطوه حققت ما عجزت عن تحقيقه خطوه المفاوضات الأولى، إلا أنه كان يقتضى فى هذا الجزء من المسرحيه البريطانيه إسناد الدور إلى شخص آخر يتمتع بمواصفات وإمكانيات تمكنه من أداء هذه المهمه، فوقع الاختيار على (السير برسى كوكس) (1)، وهكذا يأتى الشخص الجديد وهو يرتدى قناعاً دبلوماسياً شفافاً، يخبئ تحت وجهه الناعم ولسانه الدبلوماسى أنياب أسياده الذئاب الماكرين، وبذلك انتهت مرحله (ويلسون) لتبدأ مرحله (كوكس) بوجهه القديم الجديد وهو يتولى تنفيذ الإدارة البريطانيه فى العراق، منذ وصوله إلى بغداد فى ١١ تشرين الأول ١٩٢٠ الموافق ٢٨ محرم ١٣٣٩هـ. وهكذا «رأت بريطانيا أن تحل القضيه العراقيه

ص: ٥٣٨

١- (١) (السير برسى كوكس) شغل منصب ضابط سياسى عام فى القوات البريطانيه المحتله للعراق منذ بدايه الاحتلال فى سنه ١٩١٤، ثم تولى منصب الحاكم الممدنى العام فى بغداد منذ احتلالها عام ١٩١٧، ثم أصبح وزيراً مفوضاً لبريطانيا فى طهران، وقد استدعى إلى لندن فى ٦ حزيران ١٩٢٠. للتباحث حول تطورات المنطقه، ومنذ تركه العراق خلفه فى موقعه ببغداد (السير أرنولد ويلسون)، وحينما تمّ عزله، عين (كوكس) بمنصب المندوب السامى البريطانى من قبل الحكومه البريطانيه بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٢٠. وقد وصل إلى بغداد فى ١١ تشرين الأول ١٩٢٠ لممارسه دوره السياسى.

حلاً سياسياً بعد أن ظهر لها تصميم العراقيين على رفض حكمها المباشر أو غير المباشر، أى عن طريق الإنتداب.. واختارت الحكومة البريطانية (السير برسى كوكس) لخبرته الطويله وحذقه السياسى ليقوم بتطبيق السياسه الجديده فى العراق» (١)، فهو «الخبير فى مجال الاستعمار، وفى الوقت نفسه وصلت إلى العراق من الهند تعزيزات بلغت ٣٠ ألف شخص» (٢). ومن الضرورى أن نشير إلى أن السياسيه البريطانيه بعد مرحله (ويلسون) - منفذ الخيار الأول-، حاولت رمى مسؤوليه هزيمتها السياسيه فى العراق على عاتق (ويلسون) بذاته وإدارته، وذلك فى محاوله منها لامتنصاح غضب العراقيين، ولإعادته صورته بريطانيا المحرّره إلى أذهان الشعب العراقى، وكسب آراء بعضهم - على الأقل - وفى الواقع «إن إلقاء تبعه الأخطاء فى مسأله خطيره مثل قضيه العراق على شخص واحد لا تتطابق مع الموضوعيه ومع حقائق التاريخ، كما أنها تظهر وكأن السياسه البريطانيه لم تكن تملك دوافع استعماريه ورغبه شديده فى التسلط المباشر على الشعوب الإسلاميه.

إن إلقاء اللوم على (ولسون) وحده يوحى بأن بريطانيا بريئه، وأنها غير راضيه على السياسه التى طبقت فى العراق باعتبارها صادرة عن قناعات رجل واحد يتحمّل لوحدته مسؤوليه أعماله.. إن (ويلسون) كان يمثّل اتجاهاً كبيراً فى السياسه البريطانيه، وكان يعكس بآرائه قناعات حكومه الهند بشأن الإداره البريطانيه فى العراق، ولذلك فإن مسؤوليه ما حدث يتحملها هذا الاتجاه بكل دوائره ورموزه ومنهم (ولسن). ومن ثم تتحملها السلطه المركزيه فى لندن التى اقتنعت بها، وأصدرت التعليمات بشأن وضع أسس الإداره المباشره فى العراق» (٣).

ص: ٥٣٩

١- (١) فياض، د. عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٥٣.

٢- (٢) منتشاشفيلى، البرت، م: المرجع السابق، ص ١٦٨.

٣- (٣) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر - الجزء الثانى مرجع سابق - ص ٢٤١-٢٤٢. ويذهب

والمهم، على ضوء السياسه الجديده نجحت الإداره البريطانيه فى استيعاب الأزمه الحاده فى العراق عبر خطتها المدروسه فى إقصاء (ويلسون) بتحميله تبعات الأحداث، وتفاقم الأزمات، وتعيين (كوكس) فى منصب المندوب السامى البريطانى فى العراق وهو يحمل مخططاً إدارياً جديداً، يدعو من خلاله إلى طي الصفحه الماضيه وفتح صفحه جديده تحوى بريقاً مرضياً لبعض الساسه العراقيين، كما وإنه كان مزوداً بصلاحيات وإمكانيات داعمه لإدارته بحيث تمكنه من تنفيذ مشروع الحكومه المؤقته. تلك الحكومه التى تحتل واجهاتها الأماميه الظاهريه شخصيات عراقيه، إلا أن الإداره الفعلية لها،

وبتفاصيلها هي بيد المندوب السامي والمستشارين البريطانيين في الوزارات والإدارات. وكان لابد من مقدمات ضرورية - حسب المنطق السياسي - لكي يتسنى للمشروع أن يأخذ طريقه من خلال تلك المقدمات وبالفعل «استطاع (كوكس) عن طريق الرشاوى والوعود أن يتفق مع المجموعات الإقطاعية المتنفذة وكذلك مع الفئة العليا من البرجوازية والملاك الذين أثار خوفهم اتساع حركة التحرر التي بدأت حتى ذلك الوقت، تتخذ بالتدرج طابعاً اجتماعياً. وهكذا تمكن الإنكليز من تجريد الثوره من قياداتها [واجهاتها الاجتماعية والسياسية بنسبه معينه]. إن الإقطاعيين العراقيين المتنفذين وكذلك ممثلي الفئات الموسره من برجوازيه المدن الذين شاركوا في الثوره كانوا يسعون لتحقيق هدف واحد هو الضغط على الإنكليز لكي يحصلوا منهم على أكثر ما يمكن من الامتيازات ولقد حققوا هذا الهدف، وذلك أن الإنكليز وعدوهم بإجراء بعض التنازلات وإنشاء مؤسسات إداريه محليه يشاركون فيها. ولذلك فإنهم لم يكونوا يرغبون بأن تتطور الثوره إلى أكثر من ذلك، ليس هذا فحسب وإنما أظهروا رغبتهم بمساعدته الإنكليز في إخمادها» (١). في هذا المجال تطالعنا جريده الاستقلال النجفيه بقولها: «..ومن يمعن النظر في التبدلات التي حصلت حديثاً في الإدارة الملكيه في بغداد، كعزل (ويلسن) واستلام (كوكس).. واستبدال الموظفين الإنكليز الملكيين بموظفين عراقيين وجعل اللغه العربيه لغه الحكومه الرسميه، يتوسم الخير في سياسه (كوكس) الجديده، ويرى من خلالها حسن العاقبه. على أن واجب الأممه العراقيه الناهضه لأخذ حقوقها المغصوبه واسترجاع مجدها السالف أن تبدى نشاطها وتعمل بهمهٍ للاستيلاء على المواقع المعتقل فيها الجند الاحتلالي» (٢). هذا وقد كان بعض المتصدين في الساحه العراقيه ينظرون إلى (كوكس) نظره إعجاب لحكمته وإدارته، مثل نقيب الاشراف عبد الرحمن الكيلاني،

ص: ٥٤١

١- (١) منتشاشفيلي، البرت، م: المرجع السابق، ص ١٦٨-١٦٩.

٢- (٢) جريده (الاستقلال) العدد الأول الصادر في ١٨ محرم ١٣٣٩هـ، تشرين الأول ١٩٢٠م.

فقد صرح بذلك للمس بيل بقوله: «خاتون، هناك ألف ومائه رجل في إنكلترا بوسعهم أن يشغلوا منصب السفاره في إيران، لكنه ليس هناك من يليق للعراق سوى (السير برسي كوكس)، فهو معروف ومحجوب وموضع ثقته أهالي العراق. كما أنه رجل حنكته السنون.. وإني أشهد الله أن (السير برسي كوكس) لو كان موجوداً في بغداد لكننا في غنى عن حماقه استفتاء الناس عن رأيهم في مستقبل البلاد، حيث أن ذلك كان سبباً للاضطراب والقلق، ولم تخمد سوره الفتن في المدينه بعد..» (١). وللعلم إن هذا التطيل الإعلامي إلى جانب شخصيه (كوكس) ومشروعه في تشكيل الحكومه الجديده، لم يحقق إلا تنازلاً شكلياً في الصوره الإداريه للعراق، وإن هذا التنازل الظاهري يعدّ من ثمار ثوره العشرين، إنما تم إجراؤه حرصاً من بريطانياً على مصالحها عبر إحكام قبضتها على العراق من الداخل، وبذلك تضمن سلامه استثمارها الاقتصادي والسياسي في العراق، بل تضمن الأرض الصالحه لتمرير مخططاتها في المنطقه، تلك الأرض التي تتمتع بموقع جغرافي مهم بالنسبه للطيران والمواصلات البرقيه، بالإضافة للأهميه السياسيه الدقيقه للعراق حيث «إن السيطره البريطانيه على بغداد شأنها أن تعزز مركزها ووضعها في المنطقه، وأن تسهل عليها أمر تحقيق سياستها في إيران. ونحن إذا تذكرونا هذا الأمر يسهل علينا.. أن ندرك حرص الحكومه البريطانيه على تهدئه العراق، وعلى إقامه حكومه وطنيه تستر وراءها، حكومه تتعهد بالاعتراف بالمصالح البريطانيه في العراق بموجب اتفاقه يوقع عليها من الجانب البريطاني» (٢). ومن هنا نؤكد ما ذهبنا إليه، بأن الإداره البريطانيه استخدمت الخيارين المختلفين في الأسلوب ولكنهما - في الحقيقه - متفقان في الجوهر المحروز بالخيارين معاً، ألا وهو تكريس الوجود البريطاني في العراق،

ص: ٥٤٢

-
- ١- (١) بيل، ألمس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، ص ٤٧٥-٤٧٦. مذكره المس بيل كتبها في ١٩١٩م.
 - ٢- (٢) النفيسي، عبد الله: دور الشيعه في تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ص ١٦١.

وعليه ففي «الواقع، أنه لم يكن هناك من فرق جوهرى بين آراء (ولسن) و(كوكس)، وإنما كان الفارق الطفيف بينهما يقع فى الأسلوب الاستراتيجى الذى ستنفذ بموجبه، فقد أبدى (كوكس) تفهماً أفضل لإبء النفس العربيه واعتزازها، والواقع أنه كان يأمل الاستفاده والانتفاع بهذا الإبء وبهذا الشمم لمصلحه الوجود البريطانى ونفوذه فى العراق. إذا كان العرب يريدون حكومه عربيه، فليكن لهم ما يريدون طالما أن السلطه الحقيقيه فى العراق ستبقى فى أيدٍ إنكليزيه. بهذه الروح وبهذه النيه راح (كوكس) يتخذ الخطوات الرسميه لإعلان تشكيل مجلس دوله» (١). والمسأله التى تعد أكثر خطوره فى الإداره البريطانيه هى محاولاتها المتكرره للقضاء على نمو الوعى الإسلامى المتنامى فى العراق والمنطقه. هذا الوعى المبدئى فى حقيقته يشكل التهديد الحقيقى للوجود البريطانى فى البلاد الإسلاميه، وللعلم أن هذه المحاولات ليست جديده من قبل المسؤولين فى الإداره البريطانيه، فمثلاً يقول (ولسن) فى برقيته إلى أسياده - كما ذكرنا سابقاً - بتاريخ ١٠ كانون الأول ١٩١٨: «إن المناطق الاستراتيجيه فى الشرق الأوسط تقع فى بغداد.. لقد تمكنا باحتلال ما بين النهرين [العراق] أن نددق إسفيناً فى العالم الإسلامى، وبذلك منعنا تجمع المسلمين ضدنا فى الشرق الأوسط..» (٢).

ص: ٥٤٣

١- (١) المرجع ذاته، ص ١٦٥.

٢- (٢) البرقيه رقم (١٠٩٧٣) بتاريخ ١٠ كانون الأول ١٩١٨.

لقد شكّل وصول (السسر برسى كوكس) إلى بغداد، فى يوم الاثنين ١١ تشرين الأول ١٩٢٠م، الموافق ٢٨ محرم ١٣٣٩هـ، بدايه عهد جديد للوضع السلسى فى العراق، لأنه كان يحمل مشروعاً برطانياً جديداً يحدد فيه نوع الحكم فى العراق، وعلاقته بالحكومه البرطانيه. وذلك بعد فشل (السسر آرنولد ولسون) وكيل الحاكم العام، فى سياسته الإداريه (١). وإن هذا المشروع الجديد يحقق بعض الطموحات العامه للشعب عبر الحكم الوطنى (٢) حسب الظاهر. فقد «غيرت برطانيا سياستها فى العراق،

ص: ٥٤٤

١- (١) جرت حفله توديع ببغداد (للسسر آرنولد ولسون) فى ١٩ أيلول ١٩٢٠م، الموافق ٦ محرم ١٣٣٩هـ، ألقى فيها جميل صدقى الزهاوى كلمه: «أطرى فيها على خدمات ولسون للعراق، وذمّ الثوره والثوار، كما ألقى السيد طالب [النقيب] كلمه بمثل هذا المعنى». الوردى، على: المرجع السابق، ج ٦، ص ١٠ وفى مساء اليوم الثانى من تشرين الأول ١٩٢٠ وفى حفله وداع (وليسون) خطب مزاحم الباججى شاكراً (وليسون) على خدماته، ومن جمله ما قاله فى هجومه على الثوره: «..ولا تعتبروا الثوره الحاليه التى تقوم بها بعض القبائل البدويه ثوره وطنيه حقه تنشد الاستقلال[!] إذ لا يمكن أن تعتبر مثل هذه الحركه ممثله لشعور المجتمع كله. إن الأسر المتنفذه فى بغداد لا- تعطف على حركه ضربت بلادها [!].». الوردى، على: المرجع ذاته، ص ١٢ وقد اقتبس

المؤلف هذا النص من: ٣٢٠-٣١٨.P.٢.Vol. ١٩٣٢- Wilson Loyalties London

٢- (٢) العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه من تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ص ٣٨.

وزوّدت مندوبها الجديد (السير برسي كوكس) بتعليمات من شأنها تحقيق بعض مطامح العراقيين السياسيه» (١) وفي الوقت ذاته كان هذا الإجراء الجديد يعبر عن عجز سلطات الاحتلال من الاستمرار في سياسه القبضه الحديديه أمام التصعيد المستمر للمعارضه الوطنيه الإسلاميه وعلى رأسها العلماء المراجع، لما أصابها أثناء المواجهه من أضرار وهزائم سياسيه.

وعلى ما تقدم كان يوم وصول المندوب السامى، هو يوم البشائر للطامحين بالحكم، بأيه كيفيه ووسيله، حتى لو اقتضت المسأله تحجيم طموحات الشعب فى تحقيق الاستقلال الفعلى، وضرب علماء الإسلام والمعارضه (٢).

وعلى العموم، ألقى (كوكس) كلمه فى حفل الاستقبال الذى أقيم له ببغداد، وقد قال فيها: «..إن دوله إنكلترا أرسلتنى للمساعده والاتفاق مع أشرف ورؤساء العراق، لتحصل على الغايه المطلوبه للطرفين، وتأليف الحكومه العربيه، حكومه مستقله بنظاره دوله إنكلترا، ولقد جئت لهذا المقصد..» (٣). ومما يذكر أيضاً أن مكتب (كوكس) أصدر بياناً بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٢٠م، ٤ صفر ١٣٣٩هـ - أى بعد سته أيام من وصوله

ص: ٥٤٥

١- (١) فياض، د. عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٣٦١.

٢- (٢) تم استقبال (كوكس) فى بغداد باحتفال أدبى، حيث أنشد جميل صدقى الزهاوى قصيده فى الاحتفال مدح من خلالها الإنكليز، وذم الثوار وعتهم ببغاه الشر، ومما جاء فى قصيده مخاطباً (كوكس): «عُدّ للعراق وأصلح منه ما فسد وأبث به العدل وامنح أهله الرغدا [!] إنَّ العراقَ لمسعودُ برؤيته أباً له، من بلادِ العدلِ قد وردا [!] إرأف بشعبٍ بغاه الشرِّ قد قصدوا إثاره الشرِّ فيه، وهو ما قصدوا فيالها فتنه عمياء ثائرة [!] قد عذبت من بنيتها الروح والجسدا تجد القصيده كامله، وهى مؤلفه من ٤٣ بيتاً لدى، الوائلى، إبراهيم: ثوره العشرين فى الشعر العراقى ص ١٥٣-١٥٨.

٣- (٣) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٦.

إلى بغداد (١) إلى أبناء العراق بمختلف عشائره وطوائفه جاء فيه: «إن فخامه نائب الملك (السير برسي كوكس) يعلن لجميع أفراد العشائر وطوائف العراق بأن حكومه بريطانيا العظمى انتدبته ليعود إلى العراق لتنفيذ مقاصد الحكومه الثابته بمساعدته رؤساء الأممه، ولتشكيل حكومه وطنيه في العراق بنظاره حكومه بريطانيا، ولقد يصعب جداً على فخامته تنفيذ منويات الحكومه البريطانيه، ما دامت بعض أقسام العشائر والطوائف في العراق تعادى الحكومه.. فإن كان هناك سوء مفهوميه يمكن إزالتها..» (٢). ويؤكد البصير في كتابه، على أن أغلب رؤساء العشائر بعد هذا البيان سلّموا للواقع الجديد «لا لأنه كان عظيم الأثر على عقولهم وعواطفهم، بل لأنه لم يكن في طاقتهم أن يقفوا أياماً طويلاً أخرى في وجه القوات البريطانيه التي كانت تتقاطر من الهند بعددها الكثير وعُددها الرهيبه» (٣). وبهذا الأسلوب الذي يعتبر بمثابة الجرعه المنشطه للخط الموالى للأطروحه البريطانيه داخل الشعب، ابتدأ حياته السياسيه، كما وأن هذه السياسه «أفرزت ظاهره اجتماعيه سياسيه جديده، استفاد منها البريطانيون كثيراً، ألا وهي ظهور الطبقة الانتهازيه في الساحة السياسيه، واتبعت هذا النهج في تمشيه أمورها، والبريطانيون لم يترددوا في الاستفادة من هذه الطبقة وقد شملت شريحه من المثقفين وشريحه أخرى من العوائل والأسر المرفهه وكبار الفلاحين.. وبات يرى هؤلاء أن لا مفر من الخضوع والاستسلام للبريطانيين، ومن جهه ثانيه فإن تحقيق مصالح هذه الطبقة يتم بالارتباط مع البريطانيين أكثر من الارتباط بالشعب لأنهم كانوا أصلاً فئه منفصله عن الجماهير ولها حساباتها الخاصه» (٤).

ص: ٥٤٦

- ١- (١) الدراجي، عبد الرزاق أحمد: جعفر أبو التمن ودوره في الحركه الوطنيه في العراق ١٩٠٨-١٩٤٥، بغداد ١٩٧٨، ص ١٢٤.
- ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ١٨٤-١٨٥.
- ٣- (٣) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه - مصدر سابق - ج ٢، ص ٣١٣-٣١٤.
- ٤- (٤) ضياء الدين، خالد: العراق من الانتداب حتى الاستقلال الرسمى، مجله البصائر، العدد الثالث، السنه الثانيه ١٤٠٥، ١٩٨٥، ص ٢٣١.

ويبدو أن هذه الطبقة السياسيّة استفادت من حاله الإحباط العام منذ مطلع ١٩٢١ الموافق لشهر ربيع الثاني ١٣٣٩هـ-، حيث أشيعت في الأوساط الشعبيّة فكره المعارضه للعلماء ومن يتبعهم من المثقفين الإسلاميين وشيوخ العشائر وذلك بعد فشل ثوره العشرين عسكرياً، يقول عبد الله النفيسي، في هذا المجال: لقد «اتهمت هاتان الفئتان، فئه العلماء والأفنديه، بأنهما خدعتا القبائل، وكانتا السبب في كثير من البؤس والبلاء. وفي كل مضيّف كان الناس يتناقلون إشاعات وأقاويل عن المنافع التي جنوها (العلماء والأفنديه) في عهد الإدارة البريطانيه كسلفات البذار، والسلفات الماليه بفائده قليله وسواها من المنافع الشخصيّه ويمكن إيجاز الموقف الذي كان يقفه أهل المدن ورجال القبائل في أنه كان موقفاً يتسم بالندم، وبالتوق إلى الرجوع إلى ما كانت عليه الأمور سابقاً. وهو موقف متقلب عميق الجذور في الذهنيّه العراقيه [ويضيف].. ومن جهه ثانيه نستطيع القول إن العلماء كانوا يتطلعون إلى إقامه حكم ديني يكون على رأسه نائب الإمام، المجتهد الأكبر، ولذا فإنهم يعارضون بكل ما أوتوا من قوه أي حكومه قويه تقوم في بغداد» (١).

ولكن بالرغم من خطوره الموقف السياسي اتجه الأسلوب الجديد للسياسه البريطانيه، وبالإضافه إلى إشاعه أسلوب التسقيط لرموز المعارضه الإسلاميه إثر هزيمه الثوره عسكرياً، إلا- أن علماء الدين وعموم الإسلاميين أدركوا - مبكراً - خطوره (التاكتيك) الجديد، الذي لا- يحيد عن المخطط التأمري ضد الأمه، وذلك لإجهاض الثوره تماماً، وإحباط محاولات تحقيق أهدافها السياسيّه. وأرى من الضروري التعليق على حديث الأستاذ النفيسي وأمثاله في هذا الصدد، فهو حديث تشم منه رائحه توجيه الاتهام لعلماء الدين ولعموم الحركيين الإسلاميين، في إرهاب الساحه الاجتماعيّه وإجبارها على خوض مسيره المقاومه والمعارضه لأي كيان سياسي قوي يتشكل في بغداد.

ص: ٥٤٧

١- (١) النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٩٧-١٩٨.

والحقيقه أن العلماء وسائر المثقفين والحركيين الإسلاميين أبرياء تماماً من هذا الاتهام الذى تروجه بعض الكتابات ووسائل الإعلام لأغراض معينه، فإنها لا تستهدف علماء المسلمين فحسب، وإنما تستهدف بالدرجه الرئيسيه الشريعه الإسلاميه فتصفها بالإرهاب والعنف! والحال إن الإسلام هو دين الأخوه والمحبه والتعاون والسلام. فالناس سواسيه أمام القانون ولا إكراه فى الدين ١ ، يقول الإمام على عليه السلام لواليه على مصر - مالک الأشر-: «..ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق.. فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه..» (١). فالإرهاب إنما يتوجه لمعالجه الإرهاب فلا تستقيم الحياه ولا تسود العداله بين الناس إذا ترك أعداء الإنسان والمعتدين على حقوق الإنسان والمفسدين فى الأرض، من دون مواجهه بالمثل تتناسب مع إرهابهم وعدوانهم. وذلك ليتم ردهم، وبالتالي لبناء الحياه الإنسانيه الكريمه للجميع. يقول الله تعالى:

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣.

وفى آيه كريمه أخرى:

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ٤.

فشرعيه استخدام القوه متوقفه على حصر العلاج الواقعي لإعاده الحقوق السلبيه إلى أهلها، وكما يقال - آخر الدواء الكئى - هذا من ناحيه ومن ناحيه أخرى،

ص: ٥٤٨

١- (٢) نهج البلاغه، باب الرسائل، رقم ٥٣. - عهد الأشر-.

تشخص شرعيه استخدام القوه عبر الدراسه الوافيه من قبل القاده الإسلاميين وبالذات المراجع الكبار، لظروف الساحه السياسيه والاجتماعيه، وذلك ليتحدد الأسلوب المناسب لمقاومه المعتدين وبالتالي لتحقيق الصالح العام للإسلام والمسلمين.

وعلى ما نحن فيه بدأت اللجنه القياديه للثوره بزعامه الإمام شيخ الشريعه الاصفهاني، وعضويه السيد أبو القاسم الكاشاني والسيد أبو الحسن الاصفهاني، والميرزا عبد الحسين (نجل الإمام الشيرازي الراحل)، والشيخ أحمد (نجل الملا- كاظم الآخوند الخراساني)، والسيد نور الياسري، تواصل أعمالها التعبويه لتتبعه الأمه من مخاطر الطرق المعسوله التي يتبعها (كوكس)، «وراحت اللجنه هذه تحذر العراقيين من مغبه سياسه (كوكس) الماكره وتطلب إليهم في إلحاح وإصرار ألا- يسرعوا في إعطاء الوعود وقطع العهود على أنفسهم إلا- بعد الرويّه والتفكير الرصين. وكان الثوار يحتفظون بالاستيلاء على كربلاء والنجف وطويريج والرميثه وهيت، وقسم كبير من وادي الفرات بما في ذلك الجزء الأوسط من السكه الحديديه، ولم يبق في يد السلطه المدينه سوى الناصريه في لواء المتفكك. وكانت السماوه والكوفه لا تزالان محاصرتين ونهبت مكاتب الحكومه في الحله وفي كربلاء وأحرقت الملفات والوثائق الرسميه.. وكان المتكلم باسم اللجنه [القياديه] السيد أبو القاسم الكاشاني، قد أعلن أن اللجنه ترفض الصلح، مهما يكون نوعه، كما أنها ترفض الهدنه مع جيش الاحتلال والإداره المدينه، مشيراً إلى أن أى تسويه سلميه من شأنها أن تمنح الإنكليز الفرص المناسبه لإعادته تنظيم أنفسهم على أسس أمتن من ذى قبل، وأن تضعهم في مركز القوه بحيث يملون شروطهم» (1).

ص: ٥٤٩

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٦٢، وقد اقتبسها المؤلف عن وثائق وزاره الخارجيه البريطانيه: F.O.٣٧١/٥٠٨١
(.E ١٣٣٣٨/٢٧١٩/٤٤).

على ضوء هذه التطورات أصبح الهم الأكبر لإداره (كوكس)، هو إيجاد منفذ لتهدئه الثوره فى الفرات الأوسط، وقد تشخص مجدداً أن سبب الثوره، وسبب استمراريتها هم علماء الدين، لذلك انصب اهتمام (كوكس) على إضعاف العلماء وكسر شوكتهم، عبر توجيه ضربات متتاليه إليهم بمختلف الأساليب، وكذلك لىتم تضعيف التماسك الشعبى الواسع الملتف حولهم بطاعه وانصياع. فلذلك شهدت المرحله صراعاً سياسياً حاداً بين سلطات الاحتلال والتيار الإسلامى الواسع على رأسه العلماء المراجع. فبدأت نبره تشكيل الحكومه العربيه والوطنيه تسود الساحه السياسيه، بدعم واضح من سلطات الاحتلال، وإبعاد مقصود للإسلاميين وبالذات علماء الإسلام. هذا من الناحيه السلبيه - ناحيه الهدم - أما من الناحيه الإيجابيه - ناحيه البناء - فقد سعى (كوكس) إلى إيجاد تشكيلات إداريه على الأرض لتتحول شيئاً فشيئاً إلى أمر واقع لا مفر من التعامل معه، فقد «صرح (كوكس) فى مقابله له أجرتها جريده الاستقلال ببغداد، إنه ستؤلف فى الوقت الحاضر حكومه عراقيه مؤقتة، ينتخب أعضاؤها من الذوات الذين يرشحهم بعض أعيان البلد وسراته، أما الحكومه الدائمه فستكون وفق إرادته المؤتمر العراقى العام، وسيكون كذلك للمؤتمرين حق قبول الحكومه المؤقتة أو رفضها» (١). يقول الدكتور فياض: «وقد أراد (كوكس) أن يؤيد بيانه -سالف الذكر - بالفعل فشرع بالعمل على تأليف الوزاره النقيبيه» (٢). والذى يمكن قوله على ضوء هذين المحورين - الهدم والبناء - أى باستخدام العنف والإرهاب والإعلام المضلل إلى جانب تشكيل الحكومه: إن (كوكس) استطاع بإدارته، أن ينتزع فتيل التصعيد الثورى من مناطق التوتر، وينهى الأعمال الثوريه شيئاً فشيئاً بشتى أساليب

ص: ٥٥٠

١- (١) جريده الاستقلال، عددها بتاريخ ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٠.

٢- (٢) فياض، د. عبد الله: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٣٥٥.

الترهيب والترغيب، مستغلاً الضجر العام الذى أصاب الأوساط الاجتماعيه، نتيجه طول أمد الثوره نسبياً، وكذلك لضعف الحكومات المحليه كتجارب إداريه مهمه للأمه، حيث كانت تحمل شعله الأمل للغد الواعد، ولكن تم إخمادها باستخدام العنف والقوه العسكريه وبالفعل خنقت فى مهدها، كما حدث لحكومته كربلاء التي تحدثنا عنها، وحينما قضى عليها، ساد نوع من الإحباط العام بين الناس، وعليه تم «تسليم الأ-كثريه العظمى من الثوار دون قيد أو شرط، ما عدا من كانوا فى منطقته الرميثه والسماوه فإنهم صمدوا لقوات الحكومه وأجبروها على الدخول معهم فى مفاوضات أسفرت عن توقيع الاتفاق التالى فى ٢٠ تشرين الثانى ١٩٢٠م [٨ ربيع الأول ١٣٣٩هـ]:

١- أن تكون للعراق حكومه عربيه مستقله.

٢- أن لا تطالب قبائل بنى حريم بكل شىء خسرتة الحكومه أثناء الثوره عدا ما تراه رجال الحكومه باقياً فى أيديهم.

٣- أن لا تؤدى القبائل المذكوره شيئاً من الضرائب الأميريه لسنه الثوره لعدم استطاعتهم على أدائها بسبب ما لحقهم من الضرر من جراء القيام بالثوره.

٤- أن يأخذوا على عهدتهم محافظه سكه الحديد التي هى بحدودهم.

٥- أن يتعهدوا بتوطيد الأمن والسلام فى جميع أراضيهم.

٦- أن يسلموا إلى الحكومه ألفين وأربعمائه بنديه.

وهكذا طويت الصفحه العسكريه للثوره بعد أن كلفت البريطانيين (٢٢٦٩) إصابه وكلفت الثوار (٨٤٥٠) إصابه تقريباً على روايه (هالدين) وكان جلّ هؤلاء القتلى والجرحى من نصيب الفرات الأوسط.. وكلفت الثوره الخزينه البريطانيه أربعين مليوناً من الجنيهات الإسترلينيّه» (١). ومن ثم شخصت غرامات على الحدود والمدن

ص: ٥٥١

١- (١) فياض: المرجع ذاته، ص ٣٥٥-٣٥٦.

والقبائل بتسليم أسلحه ونقود، وحدد موعد للتسليم من قبل قائد المنطقه وفي حاله التأخير «تعد المنطقه دار حرب»،.. وحينئذ يبدأ الجيش بحركاته العسكريه فيدك القرى إلى الأرض..، ويمارس أنواع الضغط على السكان فيقطع الماء ويخرب آلات رفعه الاعتياديه..، ويضاف إلى ذلك أن القوه الجويه الملكيه تلقي قنابلها على المنطقه ليلاً ونهاراً» (١). (١).

وبعد هذه التطورات تمكن (كوكس) من تشكيل الحكومه المؤقته «وفقاً لنصوص الانتداب، بناؤها الداخلي إنكليزي، ووجهها الظاهري عربي» (٢). ومن وجهه نظر محسوبه أصبح «الانتداب على العراق يعطى الإنكليز إمكانيه استخدام هذا البلد كرأس جسر للتدخل المعادي للسوفيت وتحويله إلى حصن إضافي للدفاع عن قناه السويس، كما أن تأمين السيطره الإنكليزيه في منطقته قناه السويس كان يعنى بدوره سيطره إنكلترا على المنطقه العربيه كلها من مصر حتى الخليج العربي» (٣)، وأكدت (كرترودييل) (٤): بأن إخلاء العراق سيؤدى إلى إعادة النظر بجميع المواقع البريطانيه في المنطقه. هذا فضلاً عن موارده الطبيعيه وبالتحديد منابع النفط الغنيه التي كانت تجذب البريطانيين بشده نحو استثمارها، بالإضافة إلى الموقع الإستراتيجي للعراق الذي يمنحهم السيطره خلاله على مناطق آسيا الغربيه (٥).

ص: ٥٥٢

١- (١) (١) (٣٣٠). Edinburch. ١٩٩٢p. Haldan. AL: The Insurrection in Mesopotamia)١٩٢٠

٢- (٢) العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه من تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ص ٣٩.

٣- (٣) منتشاشفيلى، البرت، م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى، ترجمه: د. هاشم التكريتى، مرجع سابق، ص ١٦٠.

٤- (٤) توصف (كرترودييل) بأنها رئيسه المخابرات الإنكليزيه فى العراق. وبعض الباحثين يصفها بالجاسوسه البريطانيه إلا أن الوصف الذى أخذ طابعاً عاماً لها أنها السكرتيره الشرقيه لدار الاعتماد البريطانى.

٥- (٥) منتشاشفيلى، البرت، م: المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦١.

وانطلاقاً من هذه الأهمية للعراق من ناحيته، ومن الإصرار البريطاني على استعمار له من ناحيته أخرى، كان على بريطانيا أن تواجه عقبتين رئيسيتين أمام طموحها الاستعماري. العقبة الأولى: خارجيه مع الدول الاستعماريه المتنافسه معها على الفريسه. والعقبه الثانيه: داخلية مع الشعب والمعارضه. أما العقبه الخارجيه فأصبحت على أشدها بين الدول المتنافسه على المنطقه، وقد «انعكست المنافسه بين دول الوفاق الودى الرئيسييه بشكل كبير، على توزيع انتدابات المجموعه التي جرى التوزيع بشأنها على اتفقيه (سايكس بيكو) (1)، وبعد خلافات ومفاوضات طويله جرت

ص: ٥٥٣

١- (١) اتفقيه (سايكس - بيكو) ١٩١٦: «تفاهم سرى استعماري بين بريطانيا وفرنسا متمم لاتفاق رئيسى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتقسيم السلطنه العثمانيه والاستيلاء على المشرق العربى -سوريه الطبيعيه - فى أعقاب دخول الأتراك الحرب إلى جانب ألمانيا. وقد توصلت فرنسا وبريطانيا إلى الاتفاق النهائي بشأن التفاهم السرى بعد أن عينت الحكومه الفرنسيه (المسيو جورج بيكو) قنصلها العام فى بيروت (فى السنه التي سبقت الحرب) فى ٩ تشرين الثانى - نوفمبر ٢ [١٩١٥ محرم ١٣٣٤هـ-] مندوباً سامياً مكلفاً بمفاوضه الحكومه البريطانيه بشأن مستقبل الولايات العربيه فى السلطنه العثمانيه مع مندوب الحكومه البريطانيه (السير مارك سايكس) عضو مجلس العموم البريطانى والمهتم بالشؤون العربيه والمندوب السامى البريطانى لشؤون الشرق الأدنى. وفى خلال الأشهر الخمسه الأولى من عام ١٩١٦، تم تبادل إحدى عشره رساله تحددت بموجبها بنود الاتفقيه والتي سميت باسم المتفاوضين والتي جرى توقيعها سراً فى القاهره فى ١٦ أيار - مايو ١٩١٦م [الموافق ١٤ رجب ١٣٣٤هـ-].. أما الخطوط العامه لاتفقيه (سايكس - بيكو) فقد تضمنت (إلى جانب الاعتراف باستقلال شبه الجزيره العربيه) تقسيم العراق وسوريه باستثناء فلسطين إلى أربع مناطق.. على الشكل التالى: ١- منطقه ألف: سوريه الداخليه، وتشمل مدن دمشق وحمص وحماء وحلب فى الغرب والامتداد غرباً لتشمل منطقه الموصل شرقاً. ٢- منطقه باء: المنطقه الواقعه إلى الجنوب من منطقه ألف وحدودها غرباً خط يسير تقريباً من غزه إلى العقبه ويصل عبر شرق الأردن شرقاً. وبامتداد شمالي يصل حتى بلاد فارس وامتداد جنوبى يصل حتى الخليج العربى. ٣- المنطقه الزرقاء: تشمل مقاطعه سيليسيا فى آسيا الصغرى وشقه سوريا الساحليه غرب منطقه

وراء الكواليس اتخذ (مجلس العشرة) في باريس في ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٠م [الموافق ١٠ جمادى الأولى ١٣٣٩هـ-] قراراً بفصل ما بين النهرين وبقية الأقاليم العربيه من الإمبراطوريه العثمانيه. وفي اليوم نفسه صادق المجلس الأعلى للحلفاء بهدوء على توزيع تلك الأقاليم بين دول الانتداب» (١).

إعلان الانتداب

«في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ [الموافق ٧ شعبان ١٣٣٨هـ-]، تقرر في مؤتمر (سان ريمو) (٢)

ص: ٥٥٤

١- (١) منتشاشفيلي، البرت، م: المرجع ذاته، ص ١٦١.

٢- (٢) مؤتمر (سان ريمو) ١٩٢٠: «مؤتمر دولي عقده الحلفاء الغربيون (واليابان) المنتصرون على ألمانيا في الحرب العالميه الأولى، في مدينه (سان ريمو) الإيطاليه في نيسان - إبريل ١٩٢٠، لبحث مصير السلطنه العثمانيه ورسم معالم معاهده صلح مع تركيا المهزومه في الحرب، ولتقاسم المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا وتجزئته وفق خطه (سايكس بيكو) السريه الاستعماريه، ولاضفاء الشرعيه الدوليه على هذا التقسيم وعلى وعد (بلفور) البريطاني للحركه الصهيونيه لإقامه وطن

انتداب إنكلترا على العراق بما فى ذلك الموصل.. وقد وافقت فرنسا على ذلك بشرط أن تلغى الحكومه العربيه فى سوريا وتصبح سوريا منطقه انتداب فرنسيه. وشكلت لجنه لوضع مشروع الانتداب الذى كان عليه أن يعرض فيما بعد على مجلس عصبه الأمم للمصادقه. وفى ٣ أيار ١٩٢٠ [شعبان ١٣٣٨هـ-] أُعلن رسمياً انتداب إنكلترا على العراق» (١). وهكذا تقرر فى (سان ريمو) «وضع العراق وفلسطين تحت الانتداب

ص: ٥٥٥

١- (١) منتشاشفيلى، البرت، م: المرجع ذاته، ص ١٦١-١٦٢. وقد «جاءت ماده (٢٢) من ميثاق عصبه الأمم، والتي نصت فى الفقره الأولى منها على «إن المستعمرات والأراضى التى لم تعد بعد الحرب تابعه لسياده الحكومات التى كانت خاضعه لها سابقاً، والتي يعجز سكانها فى القيام بالحكم الذاتى فى بلادهم تحت الظروف الصعبه فى

ومما يذكر أن مبادئ الرئيس الأمريكي (ولسون) الشهيره، كانت على خلاف هذه المقررات! ولكن إن «إداره (ولسون) لم تكن على الأرجح ترى أن كيانات الشرق الأوسط ناضجه بما فيه الكفايه، لكي تكون مستقله، ومن هنا قبلت واشنطن ضمناً بتقسيمات (سايكس بيكو)، وتحمست علناً لفكره الانتداب، بينما كان العرب يرون في واشنطن قوه عصريه مؤيده للاستقلال!]]» (٢)، وإذا كان بإمكاننا النطق ههنا نقول: يا للعجب من هذه الرؤيه السطحيه الساذجه، والحقيقه التي نراها هي أن مبادئ (ولسون) كانت ضمن اللعبه الدوليه، وتقسيم الأدوار بين الأقوياء لضمان المصلحه الاستعماريه بشكل عام من جهه، وضمان المصلحه الأمريكيه تحديداً من جهه ثانيه. يقول الكاتب السوفيتي (منتشاشفيلي): «لقد كان نظام الانتداب عباره عن شكل جديد من أشكال الاستغلال الاستعماري، جاءت المبادره في تطبيقه من رئيس الولايات المتحده (وودرو ويلسون). كان أحد الأسباب الرئيسييه في إدخال نظام الحكم الانتدابي في المناطق التي استولت عليها بلدان الوفاق الودي هو تلك التناقضات العميقه التي تمزق الدول الاستعماريه آنذاك، وحرکه التحرر الوطني الآخذة بالاتساع لشعوب البلدان المحتله.. [ويضيف].. وقد اعتبر بلفور - وزير خارجيه بريطانيا - الانتداب قيد وضعه

١- (١) سليمان، حكمت سامي: نطف العراق، دراسه اقتصاديه سياسيه، مرجع سابق، ص ١٠٣.

٢- (٢) سلامه، د. غسان: المجتمع والدوله في المشرق العربي، مرجع سابق، ص ٣٤.

المنتصرون على أنفسهم في ممارسه سيادتهم في الأراضي التي استولوا عليها، ولكن في الواقع إن المنتصرين لم يقيّدوا أنفسهم وإنما قيّدوا شعوب الأراضي المحتلة» (١).

ولذلك «بعد إعلان الانتداب البريطاني على العراق في ربيع ١٩٢٠، هاج العراقيون وعارضوه» (٢). وكان في طليعه المقاومين للفكره، المعارضه الإسلاميه وعلى رأسها العلماء المراجع بل كان هاجس الخوف لدى البريطانيين من فتوى المرجع الأعلى للشيعه، تلك الفتوى التي تحرّك الساحة العراقيه ضدّهم كما حدث في ثوره العشرين حيث «صدرت عن الشيرازى [قائد ثوره العشرين] فتوى في امتشاق الحسام بوجه السلطه، فأصبح الناس في حل عن الفتوى الأولى التي تدعو إلى المطالبه بالحقوق الوطنيه سلمياً» (٣).

فلذلك انصبت الجهود البريطانيه لمعالجه العقبه الداخليه - بعد الاتفاق بين الدول الاستعماريه على تقسيم المنطقه فيما بينهم بالتراضي - فبعث (كوكس) إلى العراق، باعتباره أفضل من يقوم بهذه المهمه في العراق وكانت له تجاربه السياسيه والإداريه - كما أسلفنا-، وبالفعل باشر في إعلان بيانه الأول - المار الذكر - مؤكداً من خلاله على ضروره التعاون لغرض تشكيل الحكومه العراقيه، ودعا مناطق الثوره إلى التفاوض (٤)، ومن ثم أقدم - أيضاً - على اتخاذ إجراءات استرضائيه معينه، كان يستهدف من ورائها كسب الرأي العام، فمثلاً أصدر عفواً عن المعاقبين وخفّف

ص: ٥٥٧

-
- ١- (١) منتشاشفيلي، البرت، م: العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ص ١٥٦-١٥٧.
 - ٢- (٢) حسين، د. فاضل: مقدمه الطبعة الأولى لكتاب المجلس التأسيسي العراقي للدكتور محمد مظفر الأدهمي، ج ١، ص ٧.
 - ٣- (٣) الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي العراقي، ج ١، ص ٩٤.
 - ٤- (٤) يذكر حين وصول (كوكس) إلى العراق في ١١ تشرين الأول ١٩٢٠، كانت الثوره مستمره في نصف البلاد تقريباً، وإن القبائل كانت تواصل ثورتها المسلحه. أنظر النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٦٢.

الضرائب لا سيما عن مشايخ الثورة (١)، كما وشهدت الأجهزة الإدارية توسعه ملموسه وإن كانت ملغومه بالبريطانيين، بل كان قرارها الرئيس بيد البريطانيين، وقد شهدت أيضاً رواتب الموظفين نوعاً من النمو والتطور في عهد الاحتلال، قياساً بالمرحلة الماضية في العهد العثماني (٢). وإلى جانب هذا الأسلوب المعسول الذي بدأ يفت في عضد الأمة

ص: ٥٥٨

١- (١) لم يتفق الموظفون البريطانيون في العراق على خطوات (كوكس) الجديدة، وخاصة إنها جاءت باتجاه تشويه سمعه (ويلسون) وكيل الحاكم المدني السابق، باعتبار إن سياسته كانت هي السبب الأهم في نشوب الثورة واستمرار الاضطرابات. إلى ذلك يشير كتاب صدر في لندن عام ١٩٢٣ لمؤلفه (توماس ليل): (Thomas Lyell) The Ins and outs of Mesopotamia (London ١٩٢٣). وقد كان المؤلف موظفاً في العراق -آنذاك - ومن المؤيدين لسياسه (ويلسون) الحاكم السابق، وكان أيضاً من المنتقدين لسياسه (كوكس). راجع الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٩.

٢- (٢) أوردت (المس بيل) تفاصيل بعض التطورات التي حصلت في دائره الزراعة، وأشادت بأعمالها التجريبيه لتطوير الزراعه، كما حصل لزراعه القطن - مثلاً - وها هنا تقول: «ثبت الآن في مختلف أنحاء ما بين النهرين أن القطن يمكن أن يزرع بكميات تضاهي ما تنتجه مصر وأمريكا». راجع: بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، ص ٢٦٦. وذكرت أيضاً، ما يتعلق بالإداره القضائيه والتطورات التي حصلت في عهد الاحتلال على ضوء القانون الحديث وسلطات القضاء، ورواتب الحكام والموظفين حيث جرت عليها زيادات واضحه، بل حتى لغه المحاكم التي كانت بالتركيه تم تحويلها إلى اللغه العربية.. راجع: المصدر ذاته، ص ٣٠١. وللتفاصيل راجع الفصل الثامن (الإداره القضائيه) من المصدر نفسه، ص ٢٧٤-٣٠٨. ويجدر بنا أن نتعرف على الاختراق البريطاني الذي استحدثه الاحتلال في الإدارات القضائيه فقد كتبت (المس بيل) تقول: «وقد استبدلت هذه المحاكم [العثمانيه] بالمحاكم الجديده الآتيه: ١- محكمه بدايه في بغداد تتألف من رئيس بريطاني ونائب رئيس عربي وأربعه أعضاء.. ٢- محكمه بدايه في الحله تتألف من رئيس بريطاني وحاكم عربي ومن قاضي المحكمه الشرعيه السنّي أو الشيعي.. ويعمل الرئيس في عده أماكن فيتأأس المحكمه في النجف وفي كربلاء أيضاً. ٣- محكمه بدايه في بعقوبه وتتألف من رئيس بريطاني..». المصدر نفسه ص ٢٩٣. ونذكر أيضاً في الفصل التاسع من كتابها (فصول من تاريخ العراق القريب): «تنظيم دائره المعارف والشرطه

شيئاً فشيئاً، استخدم (كوكس) سياسته العنف -أيضاً- وقد تجلّى ذلك في المناطق التي لا زالت ملتهبه بالثوره، فاستخدم ضدها القوه العسكريه، كما وفرض غرامات عليها لغرض إخضاعها ونزع السلاح منها وذلك بواسطه الجيش البريطاني، وبالفعل استطاع (كوكس) أن ينزع السلاح - بهذه الطريقه - من أغلب المناطق بشكلٍ تدريجي. حيث «لم يكن من الحكمة في شيء أن يترك أمر حل هذه المشكله (نزع السلاح) للحكومته العربيه، لأن ذلك معناه أنها ستعجز عن توطيد الأمن والاستقرار الضروريين لإقامه إداره حكوميه فعّاله. حتى أن الغرامات التي كان الجيش البريطاني قد فرضها على رجال القبائل كان يقصد بها أن تكون نوعاً من الضمانه لنجاح مشروع إقامه الحكومه العربيه» (1).

وبذلك تركّز دور الجيش البريطاني حول ترتيب الأمور وتعبيد الطرق للحكومته المحليه المؤقته، فأصبح كالدرع الواقى لها، واليد الضاربه لأعدائها. وهى مهمه كبيره كانت فى غايه الصعوبه والحساسيه وخاصه فى أوساط العشائر الشيعيه التى تدّين بولائها المطلق لسلطه المجتهد الأكبر حيث علّقت بعض المفاوضات وشروط الاستسلام لحين عرضها على الإمام شيخ الشريعه الاصفهاني، ونيل رضاه، «وكان الشيخ عبد الواحد سكر، شيخ قبيله آل فتله، والشيخ مرزوق العواد، شيخ قبيله الحميدات من بين الذين

ص: ٥٥٩

١- (١) النفيسى، عبد الله: دور الشيعه فى تاريخ العراق السياسى الحديث، مرجع سابق، ص ١٦٣. ويذكر المؤلف فى الهامش رقم (٣) فى الصفحه ذاتها عن: ١٩٢٢-١٩٢٠. Administration Report Ist. October. ١٩٢٠. C.O.٦٩٦,٧.١٠٣٠ «كان مجموع ما سلّم من الأسلحه والذخيرته حتى السادس والعشرين من تموز ١٩٢١ كما يلى: بنادق ٦٤٣٥ و٦٤ منها ٢١ و٠٠٠ بنديه عصريه و ١٨٥ و ٠٠٠ و ٣ طلّقه».

وضعوا مثل هذه الشروط للاستسلام. ولكن محاوله كهذه لم يقيض لها النجاح - آنذاك - بسبب وفاه المجتهد الأكبر شيخ الشريعه فجأه فى شهر كانون الأول، الذى كان يقوم بدور بارز فى بث الدعايه ضد السلطه البريطانيه، وبعد وفاه المجتهد الأكبر رفض (كوكس) مطالب زعماء القبائل. وبرفضه هذا أنزل نيابه عن سلطه الحكومه الجديده أول ضربه قاضيه على سلطه أهل الحل والعقد، تلك السلطه التى يتمتع بها العلماء، والتى تعتبر العقبه الكأداء الأولى» (١).

ومعنى ذلك أن المعركه السياسيه بلغت شوطاً متقدماً فى خارطه الصراع، وذلك حينما بدأ (كوكس) بمحاربه أقدس شعار للثوره وهو المطالبه بالاستقلال التام، هذا الشعار الذى كان يتمسك به الإسلاميون وعلى رأسهم القيادات العلمائيه والمرجع الأعلى بالتحديد. فإذن دخلت القضيه فى مرحله العنف السياسى والإرهاب الفكرى لفصل العشائر عن العلماء أى تفتيت القوى المتلاحمه على طريق الثوره بقياده المرجعيه الدينيه.

ب. الحكومه المؤقته

إشاره

إن المحاولات الاستيعابيه من قبل سلطه الاحتلال لحركه الأيمه المناديه باتجاه التحرر والاستقلال عن أيه سلطه أجنبيه على المستوى الثورى والسياسى، شخصت الضروره الملحه فى تشكيل حكومه مؤقتة، يرأسها أحد العراقيين، يتم اختياره ضمن مقاييس بريطانيه محسوبه، وذلك لكى يضمن سلامه الخطوه الرئيسيه الأولى فى مسلسل تنفيذ الخطه الاستعماريه على أرض الواقع. ولكن السؤال المهم الذى ملأ تفكير المحتلين البريطانيين - آنذاك - هو: من سيرأس هذه الحكومه؟، ومن يمتلك المؤهلات المطلوبه ليكون جسر العبور لقطار المصالح البريطانيه؟ وكان لابد أن يكون شخصاً ذا وزن

ص: ٥٦٠

مقبول على المستوى الدينى والاجتماعى، وفى الوقت ذاته يكون منفعداً بل مطيعاً للإدارة البريطانية. فمن هنا توجهت أنظار (كوكس) ومستشاريه إلى السياسيين المعارضين لثوره العشرين، وذلك لالتقاءهم معاً على نقطه إدانه الثوره والثوار. وذلك لغرض الاعتماد عليهم فى تشكيل الوزاره (١). وقد برز مرشحان أساسيان لرئاسه الوزاره بشكل واضح وهما نقيب الأشراف بيغداد عبد الرحمن الكيلانى «فقد كان رجلاً يحتل مقاماً دينياً محترماً، ومركزاً اجتماعياً مرموقاً» (٢). فتم اختياره لمنزلته الدينيه ولولائه التام لبريطانيا ومعارضته للثوره (٣). أما المرشح الثانى فهو طالب النقيب الذى يعدّ المنافس الرئيس للمرشح الأول. وقد رشحت (المس بيل) عبد الرحمن الكيلانى، بينما رشح (المستر جون فيلى) طالب النقيب (٤)، وبعد استشارات عديده قام بها (كوكس) حول الموضوع نجحت (المس بيل) من إقناع (كوكس) بمرشحها النقيب الكيلانى (٥)، ففى اجتماع خاص عقد برئاسه (كوكس) فى ٢١ تشرين الأول ١٩٢٠ الموافق ٨ صفر ١٣٣٩هـ- مع الإدارة البريطانية فى العراق، حضره (بونام كارتر) ناظر العدليه، والرائد (بولارد) ناظر الأشغال، (والمستر سنت جون فيلى) ناظر الداخليه، والمقدم (ايفلين هاول) والمقدم (سليتر) و(المس بيل) السكرتيره الشرقيه لدار الاعتماد البريطانى، وتقرر بعد مداوات حثيئه، تكليف السيد عبد الرحمن النقيب الكيلانى بتشكيل الوزاره المؤقتة «تضع أمام نظره قضيه تشكيل الحكومه المنوى تكوينها فى العراق من جهه، وتحث

ص: ٥٦١

- ١- (١) العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه من تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ص ٤٠.
- ٢- (٢) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٦٥.
- ٣- (٣) بيل، ألمس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، ص ٤٧٦.
- ٤- (٤) العمرى، خيرى أمين: المرجع السابق، ص ٤٠.
- ٥- (٥) فى البدايه كان يرى (كوكس) أن طالب النقيب هو المرشح لرئاسه الوزاره، إلا أن مشاوراته مع مستشاريه جعلته يغير رأيه. راجع الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه - المرجع السابق - ج ٦، ص ٢٠.

الزعماء الثائرين على الركون إلى الهدوء والسكينه ليتسنى لها تحقيق ما طلبوه» (١).

وكان الهدف من إسراع (كوكس) لتشكيل الحكومه المؤقتة «يتمثل في أمرين، الأول: إيهام الشعب العراقي بأن هدفه وطموحه الوطنى قد تحقق بتشكيل حكومه عربيه، ومن ثم تصفيه الثوره عسكرياً باعتبارها تمرداً على سلطه شرعيه وطنيه. والثانى: تجريد زعماء الثوره وخاصه علماء الدين من شعار الاستقلال والحكم الوطنى، ومن ثم تصفيه الثوره سياسياً، والتمهيد لإقامه نظام غربى إنكليزى يكرس الوجود الاستعمارى فى العراق لفترة طويله» (٢).

والذى شجع سلطات الاحتلال على تجاوز القيادات الإسلاميه، وغض النظر عن رأيهم فى ظروف الإحباط إثر الهزيمة العسكريه للثوره، هو استغلال رفض العلماء، وزعماء الثوره لمسأله التفاوض معها بشأن تشكيل الحكومه منذ آب ١٩٢٠م (٣) فحينما وصل (كوكس) إلى البصره فى ١١ تشرين الأول ١٩٢٠م الموافق للثامن والعشرين من محرم ١٣٣٩هـ، وهو يحمل مشروعاً جديداً بشعارات براقه، فى حينها انتهى عهد الحكومه العسكريه البريطانيه، بينما استمرت الأحكام العرفيه فى المناطق التى بقيت تائه. وحرصاً من القيادة الإسلاميه على المسيره الجهاديه ونتائج الثوره، رفضت التسويه السلميه مع جيش الاحتلال، والإداره السياسيه ضمن مفاوضات الصلح - بشروط مفروضه - أو إعلان الهدنه، لأن ذلك سيوفر الفرصه الكافيه للتقاط جيش

ص: ٥٦٢

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٩.

٢- (٢) محمد كاظم، ثوره الخامس عشر من شعبان، مرجع سابق، ص ٣٧١.

٣- (٣) الرهيمى، عبد الحليم: تاريخ الحركه الإسلاميه فى العراق مرجع سابق، ص ٢٣٩. وبالرغم من الهزيمة العسكريه للثوره، إلا أنها «استطاعت أن تلحق ببريطانيا هزيمه سياسيه كبيره حيث وصلت أنباء الثوره إلى العالم بأسره، مما أخرج الإدعاءات الإنكليزيه التى أعلنتها لندن بأن الشعب العراقى لا يعارض الإداره البريطانيه». شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٣٩.

الاحتلال أنفاسه، لترتيب وضعه واستعداداته لخوض المعركة بأساليب جديدة.

هذا، ومما يذكر أن النقيب الكيلاني كان قد أكد سابقاً بعدم قبوله استلام منصب سياسي في البلاد، إلا أنه تراجع عن رأيه بعد اجتماعه مع (كوكس)، حيث حسم تردده بالموافقه. ويبدو أن أسباباً عديدة دعت الكيلاني إلى القبول، منها ما تنقله إلينا (المس بيل) حينما قامت بزيارته إلى بيته في ٦ شباط ١٩١٩م حيث قال لها: «..أنا درويش.. إن صيرورتى رئيساً سياسياً للدولة هي ضد أشد مبادئ عقيدتى تأصلاً، ففي أيام جدى عبد القادر إعتاد الخلفاء العباسيون استشارته كما تطلبين أنتِ وزملاؤك مشورتى الآن!!»، لكنه لم يكن يوافق على الاشتراك في الشؤون العامه، وسوف لا أوافق أنا ولا أى أحد من أحفاده على أن نفعل ذلك، وهذا جوابى من الوجهه الدينيه لكنى سأعطيك جواباً يستند إلى أسباب شخصيه، فإنى متقدم بالسن، وأرغب أن أفضى الخمس أو الست سنوات التى بقيت من حياتى فى المدرس والتأمل،..لا- أتراجع عما قلته الآن، حتى إذا كان فى ذلك إنقاذ العراق من الدمار التام» (١). ولكن المستعمرين يعرفون كيف يؤثرون على الرجال الضعاف ويغيرون قناعاتهم، والمعروف عن الكيلاني إنه يكره علماء الشيعة الذين أفتوا بالجهاد ضد البريطانيين (٢). لذلك حينما اجتمع إليه (كوكس) أكد عليه ضروره قبوله المنصب السياسى - فى رأسه الوزاره - وإلا سيتحول إلى رجال الشيعة الذى يكرههم، لذلك وافق على قبول المنصب ضارباً كل مبادئه وتعهداته مع نفسه عرض الحائط (٣). وللأسف الشديد لقد آنجرت هذا الشيخ المسكين إلى هذا الموقع بدوافع طائفية، وفاته أن يفكر بجديّه من خلال الوعي الإسلامى والوطنى فى

ص: ٥٦٣

١- (١) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، ص ٤٨٠.

٢- (٢) المصدر ذاته، ص ٤٧٨. يقول الكيلاني للمس بيل: «إن معظم أولئك الذين تكلموا ضدكم رجال لا سمعه لهم ولا شرف..!!».

٣- (٣) الوردى، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢١-٢٣.

مصير البلاد والعباد. ومع كل ما تقدم، يبدو لنا إن السبب المهم الذي دعا (كوكس) للاعتماد على النقيب الكيلاني في المرحلة الانتقاليه -ياصرار - لأداء هذه المهمه الصعبه، هو أنه رجل كبير السن، حيث كان يناهز الثامنه والسبعين، وكان مصاباً ببدء المفاصل، وزاهداً عن مناصب دنيويه. معنى ذلك أنه كان ضعيف البنيه الجسديه وضعيف الاستعداد النفسى أيضاً، لتقبل هذا المنصب مما يستبطن ضعفه أمام الإدارة البريطانيه وآستسلامه أمام قراراتها السياسيه، فلا يستطيع أن يتخذ قراراً وطنياً يناهض الإدارة البريطانيه فأصبح أشبه ما يكون بحمامه السلام أمام القرار البريطاني، وهذا هو المطلوب بريطانياً من رئيس الحكومه. ودعماً لرأينا هذا ما سنلاحظه من انسحابه من معارضته الجاده في ترشيح فيصل ملكاً على العراق، وذلك حينما علم أن الإراده البريطانيه سائره باتجاه تنصيبه ملكاً.

وهكذا بعد قبوله منصب رئاسه الوزاره، أخذ يقرر (كوكس) للوزاره ولأعضائها باسم النقيب لكى «لا يترك في أذهان الناس انطباعاً إنه مصدر السلطه، الأمر الذى يسىء إلى مشاعر العراقيين» (١).

فإذن المرحله - حسب تقدير (كوكس) - كانت تقتضى الاعتماد على رجل ضعيف ومعجب بالسياسه البريطانيه المتمثله بالمندوب السامى، وقد كان الكيلانى شديد الإعجاب بشخصيه (كوكس) تحديداً (٢).

وعليه فاتخذ المندوب السامى أفضل مطيه للوصول إلى مآربه. وهكذا قرر تشكيل الحكومه العراقيه المؤقته، من رئيس وثمانيه وزراء (٣). يكون لكل وزير مستشار

ص: ٥٦٤

١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٦٦.

٢- (٢) بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب، مصدر سابق، ص ٤٧٧.

٣- (٣) يقول الأستاذ الوردى: (عدد هم تسعه) إلا أنه يعدهم ثمانيه بالأسماء. راجع الوردى: المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٥.

بريطاني هو الحاكم الفعلي في الوزارة (١). بالإضافة إلى اثني عشر وزيراً دون مناصب وزارية أي بلا-حقائب، وهم بمثابة الاستشاريين للحكومة. والحقيقة إن جميع الوزراء العراقيين هم بمنزلة المستشارين للمندوب السامي، وذلك لأن «جميع القرارات التي تتخذ في جميع الوزارات يجب أن تخضع أولاً- لموافقته مجلس الدولة. ثانياً يجب أن تخضع لسلطة المفوض السامي البريطاني وفي كلام واضح كان الوزراء العرب وزراء اسميين لا فعليين، ولم يكن مجلس الدولة سوى مجرد ستار تستر به السلطة البريطانيه الحقيقيه» (٢). «بحيث تعرض مقترحات الوزير على مجلس الوزراء بوساطه المستشار [البريطاني] وتكون قرارات مجلس الوزراء نافذه بعد مصادقه المندوب السامي» (٣). والحقيقه «أن هذه التعليمات تظهر بوضوح أن المستشار البريطاني كان بمثابة وزير ثان داخل الوزارة. ولم يكن مجلس الوزراء أكثر حظاً من ممارسه سلطته من الوزير داخل دائرته، إذ أن جميع الأمور أولاً وأخيراً كانت تتوقف على موافقه المندوب السامي.. وبعد صدور المنشور الأخير للمندوب السامي الذي أعلن فيه تشكيلات الوزارة وصلاحياتها، استمرت جريده الاستقلال في مهاجمه الحكومه المؤقته» (٤).

ومن ناحيته واصل المندوب السامي (كوكس) خطواته الميدانيه لغرض ترتيب أجهزه الحكومه والمؤسسات الإداريه، وهكذا أخذت تسير الأمور باتجاه آخر، في أذهان بعض السياسيين وعموم الناس، بحثاً عن المواقع الرسميه والوظائف الإداريه

ص: ٥٦٥

-
- ١- (١) أي أن للوزير مساحه محدوده من الصلاحيات في إطار الشكليات الظاهريه. ولهذا المعنى يشير باقر الشبيبي في قصيدته حيث يقول: المستشار هو الذي شرب الطلا فعلام يا هذا الوزير تعربدُ الوردى: المرجع ذاته، ص ٢٧.
 - ٢- (٢) النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٦٩.
 - ٣- (٣) العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه عن تاريخ العراق الحديث، ص ٤٤-٤٥.
 - ٤- (٤) الأدهمى، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي العراقي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٣٨-١٣٩.

والاستقرار، وبذلك تعرّض الوطنيون الثائرون إلى ضغوط قاسيه خصوصاً في المناطق التي مازالت مشتعله بالثوره. وبالفعل وجه (كوكس) بعد تشكيل الوزاره بياناً إلى الشعب العراقي في تشرين الثاني ١٩٢٠، كرّس من خلاله سلطته الإداريه العليا في العراق، وأكد على أن الحكّام السياسيين البريطانيين في المناطق الهادئه ستّخذ إجراءات استبدالهم بإداريين عراقيين، أما في المناطق التي لازلّت مضطربه وثائره فيتعذر استبدال حكامها البريطانيين بحكام محليين. كما كان (كوكس) قد أذاع في ١٤ صفر ١٣٣٩هـ - ٢٦ تشرين الأول ١٩٢٠م بياناً يخاطب من خلاله الثوار، ويدفعهم للتفاهم مع أقرب حاكم سياسى لهم لإملاء شروطهم وأهدافهم لغرض التوصل إلى الحل الأمثل، ويعنى ذلك أن البقاء على حاله الثوره سيؤخر مناطقهم من الحصول على الامتيازات المطلوبه التي وعد بها أهل العراق (١).

وبذلك استطاع (كوكس) أن يضع الثوار في الزاويه الحرجه - بقدر ملحوظ - في «محاولة إبراز الثوره على الإنكليز كعقبه أمام تقرير العراقيين لمصيرهم» (٢).

وبذلك أخذ (كوكس) يتفّذ خطواته على ضوء سياسه ما يمكن تحقيقه، من دون الانتظار لسياده الاستقرار التام في البلاد، ومعنى ذلك إنه بدأ يستوعب بقايا امتدادات الثوره في المدن المقدسه والفرات الأوسط، عبر خطواته العمليه في إنزال المشروع الحكومى على أرض الواقع. فكان بيانه بمثابة «محاولة لامتنصاص المعارضه الجماهيريه، وأسلوب لتهدئه المناطق الثائره، على اعتبار أن استمرارها في الثوره سيعيق تشكيل المؤتمر العام الذي كان يطالب بتشكيله [يقصد بانعقاده] الشعب العراقي كما أن

ص: ٥٦٦

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦. انظر منهاج الوزاره المؤقتة الذي وضعه المعتمد السامى البريطانى في «لائحه التعليمات للهيئه الإداريه العراقيه». في المصدر ذاته، ص ١١-١٤.

٢- (٢) سلامه، د. غسان: المجتمع والدوله في المشرق العربى، مرجع سابق، ص ٣٤.

(كوكس) أراد أن يحصل على تعاطف زعماء العراق وتأييدهم للوزاره العراقيه» (١).

موقف الإسلاميين من الحكومه المؤقته

أمام هذه التطورات، بقى موقف الإسلاميين متجسداً بالرفض التام لتشكيل الحكومه، ولطريقه تشكيلها واختيار الوزراء، فنادوا بالانتخابات المباشره من قبل الشعب، رافضين التعيينات الفوقيه التي تصب في إطار المصالح البريطانيه، ودأب العلماء على مواصله ضغطهم ضد الخطوه السياسيه - تلك - بتحريض الثوار والعشائر في الاستمرار بالأعمال الثوريه، وذلك لإسقاط المخطط. فاستمر القائد الإمام شيخ الشريعه في قياده المعارضة ضد مشروع الاحتلال البريطاني والانتداب وتشكيل الحكومه المؤقته حتى وفاته المفاجئه في كانون الأول ١٩٢٠م، ربيع الأول ١٣٣٩هـ-. وكان علماء النجف ينظرون نظره ريبه وتخوف إلى الحكومه المؤقته التي يتولى أمرها الإنكليز (٢). بينما شكك علماء الكاظميه في صدقيتها وتمثيلها لإرادته الناس، وطالبوا بتشكيل حكومه منتخبه من قبل الشعب (٣). وهكذا أضحى التيار الإسلامى العام ينظر إلى الحكومه المؤقته بأنها واجهه إداريه لسلطات الاحتلال البريطاني، مهمتها تنفيذ إرادته المندوب السامى من دون مناقشه، وإنها لا تمتلك قدره صناعه القرار، لذلك شهدت الساحه الاجتماعيه والأنديه الثقافيه والسياسيه مظاهر متعدده تعبيراً عن معارضتها للحكومه المؤقته (٤)، مما زاد في عزلتها عن الساحه الاجتماعيه فضلاً عن فقدان هيتها في ميادين الثوره. من هنا اندفع (كوكس) مستعجلاً لتنفيذ مشروعه في استكمال إنشاء المؤسسه السياسيه العليا، معرضاً عن تشكيل المجلس التأسيسي، الذي كان يراه من مهام

ص: ٥٦٧

١- (١) شبر، حسن: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٤٨.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله: دور الشيعه في تطور العراق السياسى الحديث، مرجع سابق، ص ١٦٧.

٣- (٣) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٣٣١.

٤- (٤) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٥٠.

الحكومة المؤقتة في البدايه، وأجل موضوعه إلى ما بعد تنصيب الملك (١). وذلك لكي لا تدخل الحكومة في صراع حاد مع المعارضة الإسلامية الوطني الذي بات وقوعه مؤكداً أمام مبادره الحكومة المؤقتة في تشكيل المجلس التأسيسي، وفي حينها سيمسك الإسلاميون زمام القيادة في المجلس، وبذلك سيتقهقر مخطط المشروع البريطاني. ومن ناحيه أخرى عارض عدد من زعماء الثورة اللاجئيين إلى الحجاز تشكيل هذه الحكومة، وهم: جعفر أبو التمن، والسيد هادي المكوטר، والسيد محسن أبو طيخ، ونور الياسري، وعلى البازركان، وقد اعتبروها في رسالتهم التي وجهوها بتاريخ ١٠ شباط ١٩٢١ م، ٢ جمادى الثانيه ١٣٣٩هـ، إلى عبد الله بن الشريف حسين «حكومة عرييه كاذبه، من رجال صنعتهم (الإنكليز) يمقتهم الوطن والأهلون» (٢). ومن ثم بايعوا فيصل ملكاً على العراق (٣). ومن ناحيته، واصل الشيخ محمد رضا نجل الإمام الشيرازي -الذي أبعده سلطه الاحتلال من العراق منذ حزيران ١٩٢٠م - في توجيه رسائله من منفاه في طهران إلى بعض العلماء وزعماء العشائر، يوضح من خلالها خططه في معارضة الإنكليز، مبيّناً أساليبهم الاستيلائييه (٤) وذلك عبر تفريق كلمه الأمه، وتمزيق

ص: ٥٤٨

١- (١) الرهيمي، عبد الحلیم: تاريخ الحركه الإسلاميه في العراق، مرجع سابق، ص ٢٤٠.
٢- (٢) الدرارجي، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن ودوره في الحركه الوطنييه في العراق، مرجع سابق، نص الرساله في المحلق رقم ١. ومما جاء في رسالتهم التي خاطبوا بها عبد الله بن الشريف قولهم: «..وحيث كان في مجالسنا العامه والخاصه التي تنعقد يكثر الهتاف بسموكم ملكاً للعراق [!] فقد ضيقوا علينا الخناق، وساقوا الجيوش الجرايه لمحاربتنا، فصّبوا وابل نيرانهم على المساجد والمعابد، فحرقوا القوانين وقتلوا الأبرياء.. فلم يكن لنا ولأمثالنا من السادات ورؤساء القبائل إلا المدافعه عن أنفسنا وأموالنا وصيانه حقوقنا. فطال أمد الحرب نحو خمسه أشهر، وحيث لم يكن لنا مساعد لا بمال ولا بسلاح، ومن المعلوم لدى سموكم قوه الإنكليز وجبروتهم، وقد أصروا على هضم حقوق العراقيين.. فاسترجع الحكم فيها بالشده والضغط. فطلبوا منا كتبنا النزول على حكمهم..».

٣- (٣) الفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعه في الثورة العراقيه، ص ٥٢٤.

٤- (٤) النفيسي، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٧٠.

وحده صفوفها في وجه المحتلين. ولكن - للأسف - لقد سقط بعض المتصدين للوضع السياسي ضمن التشكيكه الوزاريه في الفخ الطائفي الذي ألهب الأوضاع نحو التفرقه وتفكيك الوحده الإسلاميه والتلاحم الوطني المصيري. وقد حرص (كوكس) على استخدام هذا السلاح الخطير (فَرَق تسد) للوصول إلى الغايه المنشوده في تحكيم السيطره البريطانيه على البلاد. من هنا يقول الأستاذ النفيسي: «إن الإنكليز كانوا قد عَيَّنوا متصرفين [محافظين] وقائممقامين سَتَيين في المناطق التي غالبية السكان فيها من الشيعة في جميع أرجاء منطقه الفرات.. وقد توقعت دائره الاستخبارات البريطانيه أن تؤدي هذه السياسيه إلى الإيقاع بين الطائفتين [المسلمتين]، وخلق حاله من سوء التفاهم.. [ويضيف] إن السياسه التي اتبعها (كوكس) في إقصاء الشيعة عن الحكم في العراق لم تكن سياسه حكيمه. وكان يرى (كوكس) شخصياً إن وزيراً شيعياً واحداً من أصل تسعه وزراء لم يكن ليرضى الشيعة» (١).

وعلى المنوال ذاته استطاع أن يحدث شرخاً في بنيه الصف الشيعي بنسبه محدوده، وذلك بإظهار خط فكري سياسي في وسط المسلمين الشيعة، ينادى بالتخلي عن الإلتزام بأوامر وأفكار القيادة الدينيه المرجعيه في الشأن السياسي، والسعي للدخول في العمليه السياسيه، وتحقيق بعض المآرب الشخصيه والمحليه والطائفيه أيضاً. هذا الشعور أثر في المستقبل على إضعاف اللحمة الشيعيه، كما قد أثر سابقاً في إضعاف اللحمة السنيه، وبالتالي إضعاف الوحده الوطنيه، والمعارضه العراقيه الشامله في ظل الإسلام. إلا أن علماء الشيعة أدركوا مخاطر سياسه التفرقه المذهبيه بين المسلمين، لذلك واصلوا في خطه مضاده لتلك السياسه البريطانيه، فكانوا ييثون باستمرار مفاهيم الوحده الإسلاميه وضروره التعاون الفعلي وتوحيد الكلمه والموقف فيما بين جميع المسلمين ضد الكفره المحتلين (٢).

ص: ٥٦٩

١- (١) المرجع ذاته، ص ١٦٧-٢٠٠. عن: (E٨٤٤٤/٢٧١٩/٤٤) (J.O.٣٧١/٥٢٢٨)

٢- (٢) راجع آل ضياء الدين، السيد ضياء: المرجعيه العامه، مرجع سابق، ص ٤٩.

مضت الخطة البريطانية في مشروعها الإداري، لتسجل إنجازاً بعد إنجاز على الأرض، وإن كان سعيها الحثيث يعانى من التلكؤ الواقعي إلا أنه يعتبر خطوه وإن كانت قصيره، ولكنها إلى الأمام، بينما أضحت المعارضة الوطنيّه تعيش شعارات التغيير والإصلاح ولكنها كانت تراوح في موقعها من الزاويه العمليه، والمرآحه في المكان ذاته في العمل السياسي تعنى التراجع ولو بخطوه قصيره أيضاً. فبالمحصله كان ميزان القوى على الساحة يبدو بهذه الصوره، وبالفعل بعد اكتمال وزاره توجه الاهتمام البريطاني إلى مسأله البحث عن ملك مناسب للعراق، وذلك ليتم استكمال تشكيل المؤسسات الإداريه ظاهرياً، ومن ثمّ لتنصبّ جهود المحتلين نحو تنفيذ ما تبقى من المخطط الاستعماري للعراق.

وقد كانت مسأله عرش العراق قد بحثت للمرّه الأولى في ١٩١٨ أيام (ولسون)، ومن هناك «برز في الميدان صراع سياسي يستقطب بعض الاتجاهات المناوئه للاتجاه الهاشمي الذي تبلور بترشيح الأمير عبد الله أول الأمر ثم بالأمير فيصل، في تجمع ضم عدداً من الساسه في مقدمتهم عبد الرحمن النقيب، وطالب النقيب وتوفيق الخالدي وحكمت سليمان وغيرهم. وقد حاولت هذه الكتله الاستعانه بمعروف الرصافي [الشاعر] لإصدار جريده تروّج لفكره العراق للعراقيين.. كفكره معارضه للاتجاه الشريفى الهاشمي» (١).

ومما يذكر أن طالب النقيب كان «أكثرهم اندفاعاً حتى أنه أبدى استعداده في أحد الاجتماعات التي عقدت لبحث إصدار جريده أن يدفع ضعف المبلغ الذي يدفعه عبد الرحمن النقيب، عندما أشار الرصافي إلى أن المشروع المذكور يكلف ١٠٠ و ١٠٠٠ ليره

ص: ٥٧٠

١- (١) العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه من تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ص ٤٥. مع هامش الصفحه أيضاً.

عثمانيه، فاستعظم السيد عبد الرحمن النقيب المبلغ المذكور» (١).

ومع ظهور هذا الاختلاف واصلت إداره (كوكس) عمليه استكمال أجهزه السلطه، ومن المعلوم أن مسأله العرش من المسائل الخطيره والحساسه أيضاً، فهي بحاجه إلى إخراج فني دقيق، يضمن بشكل تام توجهات الحكومه البريطانيه من ناحيه، وفي الوقت ذاته يتوافق مع عدم إثارة المعارضه، من علماء الدين وإلى الرأى العام من ناحيه أخرى، ولما كانت عدّه اعتبارات تدفع باتجاه ترشيح فيصل لهذا الموقع، أبرزها الدعم البريطاني المدروس، على كافه الأصعده - السياسيه والعسكريه والإعلاميه والماليه - باعتباره صنيعتهم، خصوصاً لهكذا ظرف مهم.

ولكن وبالرغم من اختلاف وجهات نظر الساسه البريطانيين، إلا أنها آتفتت على ترشيحه. وهنا لا بأس أن نشير إلى استخدام حملته دعائيه دقيقه لترويج سمعته، وخاصه في الأوساط الشعبيه، وقد استغل نسبه الشريف الذى له قيمه كبرى في أوساط العراقيين بشكل عام، لقدسيه موقع النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام في نفوس الناس وخاصه الشيعة (٢). أما من الناحيه السياسيه فكان لزاماً على بريطانيا أن تنال موافقه فرنسا في ترشيحه، وكانت تعتبر هذه القضيه السياسيه، رئيسيه في بُعد العلاقات الدوليه وأثرها على الموضوع، لذلك عندما فاتح (اللورد كرزن) وزير خارجيه بريطانيا، فرنسا بذلك، بدا الامتعاض على المسؤولين الفرنسيين فاتهموا فيصلاً بتقلبه وعدم ثباته، وإنه كان يتفق معهم سرّاً في سوريا ضد الوجود

ص: ٥٧١

١- (١) من الأحاديث التي دوّنها الأستاذ كامل الجادرجي حول الشاعر معروف الرصافي، تجد صورته منها مودعه في مكتبه المجمع العلمى ببغداد راجع، العمرى: المرجع ذاته، ص ٤٦. وكذلك الوردى، على: لمحات اجتماعيه، مرجع سابق، ج ٦، ص ٥٦-٦١. تحت عنوان (نشاط السيد طالب).

٢- (٢) سنسلط الأضواء على جوانب من أسباب ترشيح فيصل فى الفقره القادمه بعنوان: لماذا فيصل المرشح الأوحده؟.

البريطاني (١). ومع ذلك لم تجد بريطانيا أفضل منه في تلك المرحلة، فتم الاتفاق معه بشرطين: «أولاً: أن يقبل فيصل بالانتداب البريطاني. وثانياً: أن يتجنب أى عمل عدائي ضد فرنسا في سوريا.. وإنه يجب أن يتظاهر أمام الناس بأنه مستقل وليس العوبه بيد الحكومه البريطانيه» (٢).

وبالفعل يمكن القول، أن فيصل نجح في مهمته ونجحت الأجهزه المخططه له من خلفه، ليظهر للناس بمظهر المنقذ لهم والمحقق لطموحاتهم [!]. ويبدو أن حاله من الاضطراب عاشتها الشعوب الإسلاميه - آنذاك - فكان لتحرك الشريف بريق خاص يدغدغ أحلام الشعوب العربيه المسلمه، ومن هنا نفهم السر في توجهات أطراف داخل المعارضه العراقيه بدأت تميل نحو الشريف وأبنائه، ظناً منها أن سبيل الخلاص يتحدد باختيار أهون الشرّين، أما الحكم البريطاني المباشر، وأما الالتفاف حول الشريف، وحينما أبدت بريطانيا حاله عدم التحمس نحو فيصل -ظاهرياً- ازداد التعلق به من قبل الشعب العراقي وبعض العلماء والرموز الاجتماعيه، كل ذلك من باب - المرء حريص على ما منع - كما يقال- (٣) لذلك حرصت الحكومه البريطانيه المركزيه، على

ص: ٥٧٢

-
- ١- (١) الوردى، على: مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٦. راجع: سليمان. موسى: الحركه العربيه، طبع بيروت ١٩٧٠. ص ٥٧٥.
- ٢- (٢) الوردى، المرجع ذاته، ص ٤٧. راجع: Chassan Atiyah (Iraq (Beirut ١٩٧٣.p.٣٦٥ والمزيد من المعلومات حول العلاقات البريطانيه - العراقيه أثناء حقبه الانتداب راجع: نعمه، د. كاظم: الملك فيصل الأول والإنكليز والاستقلال، طبع الدار العربيه للموسوعات - بيروت ط ٢، ١٩٨٨م. والكتاب بالأصل أطروحه دكتوراه فى السياسه الدوليه.
- ٣- (٣) من العلماء الشيخ الخالصى، وستتطرق إلى فتوى البيعه، التى صدرت عنه لفيصل، وذلك فى حديثنا - فيما يأتى من فقرات هذا الفصل - تحت عنوان: (موقف المعارضه الإسلاميه من تنصيب فيصل). أما من الزعماء الوطنيين فيكفى أن نقرأ رساله القاده السياسيين اللاجئيين فى الحجاز التى بعثوها إلى عبد الله بن الشريف وقد ذكرنا أهم ما ورد فيها، وذلك فى هامش فقره

دراسه وضعها فى العراق بصوره دقيقه، لتوحيد الرؤيه والقرار، فلذلك أنشأت (لجنه الشرق الأوسط) تابعه لوزاره المستعمرات لتنسيق الأعمال والصلاحيات فى العراق، بين وزاره الخارجيه البريطانيه، وحكومته الهند، ووزاره المستعمرات. وأبرز عمل قام به وزير المستعمرات (ونستون تشرشل)، هو عقد مؤتمر القاهره فى ١٢ آذار ١٩٢١م، ٣ رجب ١٣٣٩هـ، حضره عدد كبير من الخبراء البريطانيين ومستشارى (تشرشل) فى الشؤون الشرقيه، وقد مثل العراق، المندوب السامى برفقه القائد العام للقوات البريطانيه فى العراق (يلمر هلددين)، وساسون أفندى حسقيل وزير المال، وجعفر العسكرى وزير الدفاع، وبعض مستشارى الوزراء، والمس بيل السكرتيره الشرقيه. وقد تناول المؤتمر مسأله اختيار ملك العراق، وقضيه الجيش العراقى وخفض النفقات الماليه، وكذلك ترتيب العلاقات العراقيه - البريطانيه. هذا وبعد أن وقع اختيار الخبراء البريطانيين فى الشؤون السياسيه والعسكريه الحاضرين فى المؤتمر على الأمير فيصل ليكون ملكاً على العراق، حسم الأمر لدى المؤتمرين باعتباره المرشح الأوحده، وبذلك انحسر أثر المرشحين الآخرين لهذا المنصب (١).

وقد «كانت مسأله تنصيب الأمير فيصل بن الحسين، ملك سوريا السابق، قد بحثت بين فيصل والحكومته البريطانيه قبل انعقاد المؤتمر. وعندما حل وقت انعقاد مؤتمر القاهره.. كان فيصل قد وافق على العرض الذى تقدمت له به الحكومه البريطانيه ليكون ملكاً على العراق، وكانت جميع النقاط البارزه قد حسمت بينه وبين الحكومه البريطانيه ولم يبق لمؤتمر القاهره غير المصادقه على ترشيحه، ورسم الخطه التى تتبع فى

ص: ٥٧٣

١- (١) برو كلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلاميه، ترجمه نسيبه فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م، ص ٧٨٢.

هذا، وقد كان هنالك عدد من المرشحين لهذا المنصب، إلا أن أسباباً معينه حالت دون تحقيق طموحاتهم، أبرزها أنهم لم ينالوا الحظوه المطلوبه لدى سلطات الاحتلال البريطاني. وقد وضع بعض الباحثين قائمه من ثمانية مرشحين لعرش العراق وهم: ١- عبد الرحمن الكيلاني، ٢- طالب النقيب، ٣- عبد الهادي العمري الموصلی، ٤- برهان الدين بن عبد الحميد الثاني (العثماني)، ٥- آغا خان زعيم الاسماعيليه، ٦- الشيخ خزعل أمير المحمره، ٧- ابن سعود أو أحد أبنائه، ٨- أحد أبناء الشريف حسين (٢).

أما عبد الرحمن الكيلاني، فقد كان رجلاً متقدماً بالسن، ومعتلاً من الناحيه الصحيه، بالإضافة إلى عدم تمتعه بثقه كافيه داخل أوساط المعارضه، مما أضعف المراهنه على نجاح ترشيحه. وسنتحدث عن طالب النقيب بعد ذكر المرشحين الآخرين بشيء من التفصيل قبل الحديث عن فيصل. أما المرشح عبد الهادي العمري فإنه يعتبر لدى البعض أليق المرشحين، حيث لقي بعض التأييد في استفتاء عام ١٩١٩م في عهد (ولسون)، إلا- أنه فضّل البقاء في تركيا، ودخل الوزارات التركيه عدة مرات. أما الأمير برهان الدين فهو من أبناء أحد سلاطين آل عثمان وكانت له شعبيه داخل الأوساط المواليه للعثمانيين، وكان له نفوذ واسع في كركوك، وفي أوساط التركمان بالذات، وقد كان يطلق عليهم كلمه (كليورلر) وهي لفظه تركيه معناها العائدون، وذلك لترويجهم فكره عوده العهد العثماني. ولكن السلطات البريطانيه عارضت ترشيحه لتقطع

ص: ٥٧٤

-
- ١- (١) الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي العراقي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٧.
 - ٢- (٢) راجع، شبر، حسن: تاريخ العراق السياسي المعاصر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٥١-٢٥٣. وكذلك النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٧٩. وأيضاً، برو كلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلاميه، المرجع السابق، ص ٧٨٢، يتناول المؤلف أهميه تنصيب الملك فيصل للسياسه البريطانيه وبعض أسماء المرشحين أيضاً.

الصلوات تماماً بالعثمانيين. أما الشيخ خزعل أمير المحمّره فيبدو أن البريطانيين أرادوه لأدوار أخرى، فلم يحصل على تأييد كامل من قبلهم لنيل هذا الطموح، بالرغم مما أشيع من أن اتجاهاً علمائياً في النجف كان يؤيد ترشيحه، تبناه الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ علي كاشف الغطاء، وهما من العلماء البارزين، إلا أنه سحب ترشيحه حينما أحسّ بميلان الميزان البريطاني لصالح فيصل (١).

- وفي نظرنا - هنالك ما يسوّغ لهذا الاتجاه العلمائي موقفه نحو ترشيح الشيخ خزعل المعروف بارتباطه بالإنكليز، وهو أن سُجّباً قاتمه ضيّعت الرؤيه الصحيحه، وبدا نوع من التقهقر النفسى يلوح فى الآفاق، مما دفع بعض القاده الإسلاميين إلى التفكير بأيه وسيله ممكنه لضمان بقايا الحقوق التى يمكن أن تفتقد كامله، وإن هذا الشيخ قريب من بعض العلماء، فيمكنهم تحقيق بعض المكاسب من خلاله، وخاصه فى المجال الإنسانى، كتوفير الأمن وإطلاق السجناء، كما ورد فى الرسائل الخطيه التى بعثها الشيخان الفاضلان، وهما يطلبان منه إعادة النظر فى قرار انسحابه أمام فيصل، والعوده إلى ترشيح نفسه لعرش العراق (٢). أما طالب النقيب، فكان يعدّ المنافس الرئيس

ص: ٥٧٥

١- (١) العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه من تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ص ٦٥-٦٧. وكذلك، الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٦، ص ٧٦-٧٩. وللعلم، إن الشيخ خزعل تحرك فى هذا الاتجاه على المستوى السياسى والاجتماعى، فقد كتب إلى (كوكس) يخبره عن رغبته فى حكم العراق، وكذلك واصل ارتباطه وتنسيقه مع بعض علماء النجف، ودفع بعض السياسيين أمثال: مزاحم الباججى بالتحرك فى هذا السبيل، إلا أنه سحب ترشيحه واحترم نفسه أمام الإراده البريطانيه. فى هذا الصدد يقول الأستاذ الوردى: «أثبت الشيخ خزعل بهذا إنه أكثر حنكاً من السيد طالب، وأبصر منه بحقائق الأمور». الوردى: المرجع ذاته ص ٧٩. ولكن يمكن القول: إن خزعل كان أكثر من طالب النقيب مدهانه للبريطانيين حتى على حساب طموحاته الشخصيه.

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحلیم: المرجع السابق، ص ٢٤١. ومما جاء فى رساله الشيخ الجزائري إلى الشيخ خزعل، بتاريخ ٢٣ رجب ١٣٣٩هـ - قوله: «والآين، بعد أن شاع أن الدوله البريطانيه قد أعطت الحريه للعراقيين بانتخاب من يشاؤون لأموهم العامه. وأنت لك الخصوصيه عن سواك فى هذا

لفيصل، وذلك لعلاقاته الوثيقه مع (كوكس)، إلا- أن سمعته المقترنه بالعنف والبطش، بالإضافة إلى طموحه السياسى غير المحدود، الذى أثار شكوك البريطانيين فى إخلاصه لهم، ممّا دفعهم لإرغامه على الخروج من دائره الترشيح (١)، بالرغم من سعيه الحثيث لتثبيت وضعه، فقد اشتغل كثيراً لترويج سمعته فى الأوساط الشعبيه تمهيداً لانتخابه ملكاً على العراق، وخاصة فى فرصه غياب (السير برسى كوكس) و(المس بيل) لسفرهما إلى القاهره لحضور المؤتمر، وذلك قرابه سته أسابيع، حيث قام بجولات ميدانيه واسعه، طاف خلالها مدن وعشائر الوسط والجنوب، فى الكوت والعماره والناصريه والديوانيه والنجف والبصره، وذلك للتقرب من الناس وجمع الأنصار والأصوات لانتخابه، وكان شعاره فى هذه الحملات (العراق للعراقيين) (٢). فلما عاد (كوكس) إلى بغداد من مؤتمر القاهره، وجد أن طالب النقيب قد قطع شوطاً فى الإعلام لنفسه منطلقاً من كونه وزيراً للداخلية فى الحكومه المؤقته، ويؤيده فى ذلك مستشاره البريطانى فى وزاره (جون فيلي). فلذا خشى أن يستثمر شعبيته ويفوّت الفرصه على ما تمّ الاتفاق عليه فى مؤتمر القاهره، فى شأن تتويج فيصل ملكاً على العراق، فكان يتحين الفرصه لتقليص نفوذه (٣). وبالفعل استطاع أن يتخلص منه، فاعتقله وأبعده عن العراق بحجه تجاوزه

ص: ٥٧٦

١- (١) فيضى، سليمان: فى غمره النضال، طبع بغداد ١٩٥٢، ص ٢٦٢-٢٦٣. ينقل تجربته الشخصيه مع طالب، باعتباره كان حاكماً فى بغداد آنذاك.

٢- (٢) راجع، جريده العراق، العدد ٢٤٢، الصادر فى ١٩٢١/٣/١٦، والعدد ٢٤٧ بتاريخ ١٩٢١/٣/٢٢ والعدد ٢٤٩ وغيرها. حيث نقلت خطابات طالب النقيب أثناء جولته فى الكوت والبصره والحله والنجف.

٣- (٣) يقول خيرى العمرى: «قدم السيد طالب نفسه الفرصه المناسبه إلى (السير برسى كوكس) لابعاده

على كرامه بريطانيا، وذلك في إحدى خطاباته (١). وبذلك أخلى الساحة للمرشح الأوحيد وهو فيصل. وهكذا فقد تعرض التكتل السياسي المعارض لفيصل «إلى ضربه فرقت رجاله، وذلك باعتقال أكبر رؤوسه وهو السيد طالب في ١٦ نيسان ١٩٢١ [الموافق للثامن من شهر شعبان ١٣٣٩هـ-]، عندما حاول أن يتحدّى الاتجاه الذي استقر عليه الإنكليز في مؤتمر القاهرة الذي انعقد في ١٢ آذار ١٩٢١ [الموافق للثالث من رجب ١٣٣٩هـ-].. وسرعان ما أبعده عن المسرح السياسي منفياً إلى سيلان» (٢). وهكذا نلاحظ أن الطرح البريطاني للملك فيصل أخذ طابعاً هادئاً بعيداً عن إثارة

ص: ٥٧٧

-
- ١- (١) أصدر مكتب المندوب السامي (كوكس) بياناً في ١٩ نيسان ١٩٢١، حول الموقف من طالب النقيب جاء فيه: «..ولكن فخامته يرى أنه والحاله هذه إذا بدا أقل تسامح في أمر التفوّه بكلام ينم عن تهديد شائن بإشهار السلاح في وجه حكومه جلاله الملك، ويصدر عن رجل كالسيد طالب باشا الذي يشغل منصباً خطيراً، فيكون مقصراً في القيام بواجبه نحو سكان هذه البلاد والحكومه البريطانيه. فبناءً على ما تقدم، وحباً بمصلحه القانون والنظام والحكومه الصالحه، رأى فخامته من واجبه أن يطلب من القائد العام أن يتخذ التدابير اللازمه لإبعاد السيد طالب حالاً، وقد غادر السيد طالب بغداد في مساء اليوم السادس عشر من الشهر الحالي». العمري، خيرى أمين: المرجع ذاته، ص ٥٤. عن جريده العراق، العدد ٢٧١، بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٢١.
- ٢- (٢) العمري، خيرى أمين: المرجع ذاته، ص ٤٦.

المعارضه واستفزاز الشعب، وقد كانت الإدارة البريطانيه ترتب له الأمور في الخفاء باتجاه تنصيبه، وأما في الإعلام فكانت تطرح اسمه بصورة مدروسه لا تثير الرأى العام. لكي لا يدرك الناس إن سلطه الاحتلال تتبنى ترشيحه، بل بالعكس تماماً فقد تركت المسأله - حسب الظاهر - لرأى الشعب، لأنها تعلم تماماً إن الشعب سيوافق على ترشيح ما يعارض الرغبه البريطانيه (١).

ص: ٥٧٨

١- (١) يذكر الأستاذ الوردى، طريقه تخلص (كوكس) من طالب، وطريقه استيعاب صاحبه (فيلى) المؤيد لطالب، وإظهار فيصل بطريقه الحياد الودى بإعجاب، ذلك لأنه أو كل الأمر بالعراقيين أنفسهم لقبول فيصل أو رفضه، فيقول: «يمكن القول من الناحيه الاجتماعيه أن (كوكس) كان في موقفه هذا داهيه من الطراز الأول، فلو أنه أعلن للناس رغبه الحكومه البريطانيه باختيار فيصل لحصل من جراء ذلك رد فعل في أوساط الوطنيين، وربما أدى ذلك إلى إضعاف الحزب الشريفي أو تحطيمه.. فلو أن السلطه كانت راغبه في هذا الاختيار وتدعو إليه، لكان جواب الوطنيين على الضد من ذلك طبعاً. [ويضيف أيضاً]: إن هذا سر من أسرار المجتمع العراقى. والظاهر أن (كوكس) أدرك فحوى هذا السر. وأراد أن يتجنب الغلطه التى وقع فيها سلفه ويلسون». الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٢.

إن تحديد فيصل بن الشريف حسين، كمرشح أوحده دون منافس لعرش العراق جاء تلبيةً لعهده توجهات، وتحقيقاً لعهده أغراض، أبرزها: تشخيص إداره الاحتلال وبالذات (كوكس) لقوه المعارضه التي بدأت تنمو سياسياً وإعلامياً، وأخذت تكتسح الساحه الشعبيه، بشكل يفرض سيطرتها على القرار السياسى مستقبلياً، وبالتالي يتم انفلات زمام الأمور فى المجلس التأسيسى المقترح تشكيله من يد سلطه الاحتلال، هذا المجلس الذى سيتولى قانونياً مسأله تشخيص الملك ونوع الحكم والعلاقه بين العراق وبريطانيا. فأراد (كوكس) أن يفوت فرصه مواجهه المعارضه فى المجلس التى باتت مؤكده لديه، وذلك بآتخاذ خطوه سريعه وحاسمه لصالح مرشحهم الأوحده فيصل، خدمه للمشروع البريطانى، والحقيقه إن تنويج فيصل ملكاً على العراق. يعدّ خطوه رئيسيه نحو تنفيذ المشروع، بينما فى حاله تأجيل هذا التنصيب ستدخل المعادله (الديمقراطيه) فى ميدان الصراع السياسى، وفى حاله الاصطدام بين الإراده البريطانيه والإراده العراقيه ربما ستهتياً الفرصه السانحه لاندلاع الثوره من جديد. وذلك لظهور بعض المعطيات فى الإطار الحركى، داله على ذلك. ولعلّ الهاجس الخطير لدى المؤسسه البريطانيه الحاكمه فى العراق، يأتى من وجود ثغرات مثيره فى المشروع الاستعمارى، سيجد الإسلاميون العراقيون منفذاً من خلالها لإعاده تلاحمهم مع الدوله العثمانيه والدخول فى مسأله الجهاد الإسلامى ضد الكفار المحتلين، مما يؤلب الرأى العام ضدهم

لذلك عجل (كو كس) بتسميه الملك كخطوه رئيسيه نحو استكمال المؤسسات السياسيه الحاكمه وحينما يضمن هذه المسأله - ذات الأهميه البالغه - يتوجه مطمئن البال نحو تشكيل المجلس التأسيسي (٢) - كما حدث ذلك فعلاً.

وضمن هذا السياق للسياسه البريطانيه كانت لفیصل ظروفه الخاصه بعد عزله عن عرش سوريا، وإن البريطانيين شخصوا فيه امتيازات محببه لديهم، بالإضافة إلى تجربته السياسيه والإداريه فی سوريا (٣) التي صقلت شخصيته باتجاه الالتصاق بالإنكليز، وإن كانت قصيره إلا أنها كانت بمثابة الدرس القاسى له حيث تكرست لديه ضروره الاعتماد على بريطانيا لحفظ عرشه، وإن الاعتماد على الضباط العرب لوحدهم لا يكفى لضمان النجاح، وذلك لأن فیصل بن الشريف حسين كان يظن بأن الإنكليز قد تخلوا عنه وسلموه للفرنسيين فی الساعه الحاسمه. ومن ناحيه أخرى، إن تتويج فیصل

ص: ٥٨٠

١- (١) النفیسی، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٧٠-١٧١. عن رسائل المس بیل، مصدر سابق. ٥٨٥. Bell. Letters.
٢- (٢) يقول (كوتلوف): «إن ترشيح فیصل لعرش العراق كان أكثر قبولاً لبريطانيا من غيره لأن فیصلاً برهن منذ زمن طويل على أنه زعيم تابع للجهات الإقطاعيه المواليه للإنكليز فی الشرق العربى أولاً. ولأن فیصلاً لا يستطيع هضم التعقيدات الكبرى داخل العراق. إذ كان عليه أن يواجه معارضه قويه من جانب الجماعات المواليه للإقطاع وخاصه جماعه نقيب أشرف بغداد وطالب باشا. وكانت هذه المعارضه بمثابة ضمان يجعل فیصل أكثر خضوعاً للإنكليز ثانياً. كما أن تنصيب رجل من السنه على عرش العراق، وهم أكثر من نصف عدد الشيعه، يعطى الإنكليز فرصه كبرى لإشعال الفتنة بين السنه والشيعه». عن فياض، د. عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

٣- (٣) لمعرفة تفاصيل دور فیصل فی الثورة العربيه، وفي سوريا، وأمام مؤتمر الصلح، ومن ثم وصوله إلى العرش فی العراق، راجع التكريتي، د. عبد المجيد كامل: الملك فیصل ودوره فی تأسيس الدوله العراقيه الحديثه، ١٩٢١-١٩٣٣م، وزاره الثقافه والإعلام، دار الشؤون الثقافيه العامه (آفاق عربيه) الطبعة الأولى، بغداد ١٤١١هـ-، ١٩٩١م، ص ١٦-٤٥.

ملكاً على العراق عبر هذه القناعه تعدّ صفقه رابعه للبريطانيين حيث ستعيد سيطرتهم على الشريف وولده فيصل، وقد أفهم فيصل بأن مساندهم له وحمائهم لوضعه وتقديهم المعونه الماليه لأبيه، كل ذلك متوقف على مدى انسجامه مع الخطة البريطانيه والسبيل الذي يسلكه في الحكم (١). وهذه العمليه تعدّ إعادة صريحه للثقه في نفوس المتعاملين مع بريطانيا، وتكريساً لمراسلات (حسين - مكماهون)، التي أكدت إبان الحرب العالميه على تكوين دوله عرييه واحده تضم سوريه والعراق والحجاز (٢) على الطريقه البريطانيه. فقد كان رأى وزير المستعمرات البريطانيه (ونستون تشرشل) الذي ترأس المؤتمر الخاص للمسؤولين البريطانيين فى أقطار الشرقين الأدنى والأوسط فى الثانى عشر من آذار ١٩٢١م، إن عرش العراق يسند إلى الملك فيصل ممّا يوفر سيطره بريطانيه عليه وعلى أبيه شريف مكه، ومعنى ذلك السيطره على المنطقه العرييه بالكامل (٣). ومما لا يخفى أن موقف الشريف حسين المتأرجح بين الزعامه الدينيه والسياسيه يجعله الشخص الأنسب للتعامل معه، للحاجه المتقابله، وتبادل المنفعه بين الطرفين، يقول عبد الله النفيسى: «وكان موقف الملك حسين من البريطانيين، ومن الأتراك موقفاً مناسباً جداً للمصالح البريطانيه فى هذه البقعه من الأرض. كان الحسين فى حاجه إلى مسانده البريطانيين الماليه والسياسيه.. ولكن الحسين مرغم على أن يضع قناعاً يخفى حقيقه صلته مع البريطانيين لكى يتبرر أمام العالم الإسلامى.. [ويضيف] أنه كان تفاهماً ساعد على جعل الوجود البريطانى هناك أمراً يستسيغه الرأى الإسلامى العام» (٤).

ص: ٥٨١

- ١- (١) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٧٣-١٧٤.
- ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى، مرجع سابق، ص ٧. وللاطلاع على رحله فيصل إلى سوريه وبيروت عام ١٩١٨م، ثم باريس ولندن، راجع الاسطوانى، المجاهد عبد الغنى: العرب من وراء اللهب (مذكرات)، طبع دمشق، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ص ٢٧-٣١.
- ٣- (٣) التكريتى، د. عبد المجيد كامل: المرجع السابق، ص ٣٣-٣٤.
- ٤- (٤) النفيسى، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٧٢-١٧٣.

وهكذا كان الاتفاق ضروره متبادله. كما و«إن عددًا من رجال الجيش البريطاني الذين عملوا مع العرب في الحجاز مثل (لورنس وغيره) ساهموا باقتناع الدوائر المسؤوله، بأهميه الخدمات التي أدتها الثورة العربيه إلى قضيه الحلفاء ودور الأمير فيصل بصوره خاصه، بالإضافة إلى أن الصحافه البريطانيه لعبت دوراً في الترويج لفكره إسناد العرش العراقي إليه، وأشارت إلى ما تنطوى عليه هذه الفكره من مزايا عديده منها استرضاء العرب وتخليص بريطانيا من أعباء إداره العراق وتكاليفه الماليه» (١). ومن زاويه أخرى، تتضمن مسأله إعادته تأهيل الحليف البريطاني فيصل عوده الهدوء للرأى العام البريطاني، وذلك لأن الصحافه البريطانيه أحدثت ضجه عامه ضد السياسه المتبعه مع فيصل حليف بريطانيا. فمثلاً كتبت (ويستمنستر كازيت) في ٩ تشرين الثاني ١٩٢٠م، ٢٧ صفر ١٣٣٩هـ- تقول: «..وفيما يتعلق بفيصل فإنه ساعدنا بعربه في التقدم نحو دمشق أكثر بكثير من الفرنسيين، ولكننا نتخلى عنه الآن..» (٢).

وبالإضافه إلى كل ما سبق، فإن اختيار فيصل يمثل الحل الوسط من الناحيه المذهبيه بين السنه والشيعه (٣) ومن هنا يمكن أن نجيب على السؤال الماضى، لماذا فيصل المرشح الأوحده؟ وكذلك نتساءل لماذا انحصر خيار عموم العراقيين الإسلاميين فى شخص فيصل؟. وفى الحقيقه كان ترشيح فيصل فى نظرهم يمثل إختيار أهون الشرين،

ص: ٥٨٢

١- (١) العمرى، خيرى أمين: المرجع السابق، ص ٦٢.

٢- (٢) منتشاشفيلى: البرت م: العراق فى سنوات الانتداب البريطاني، ترجمه هاشم التكريتى، مرجع سابق، ص ١٧٤-١٧٥.

٣- (٣) «يروى (توماس ليليل) إنه سأل عبد الواحد الحاج سكر، كيف جاز له وهو الرجل الشيعى، المتدين أن يطالب بفيصل ملكاً، مع أنه سنى، فأجابه عبد الواحد قائلاً: ولكنه فى أعماق قلبه شيعى. ويحكى أن جماعه من شيوخ الفرات الأوسط كانوا فى زياره لفيصل، فسأله أحدهم: يرحم أبوك يا محفوظ، هل أنت شيعى أم سنى؟ فأطرق فيصل قليلاً، وأخذ يتحسس لحيته بيده، ثم قال: هل يجوز للإنسان أن يترك أمه ويلزم زوجته أبيه».

لأنه سيحافظ على الوحدة الإسلامية بين الشيعة والسنة على الأقل. «فالمجتهدون إذ كانوا يدركون مشاعر العداء بين الشريفيين وعائلته سعود الحجازيه التي اعتنقت المذهب الوهابي، عوّلوا على قيام فيصل بالدفاع عن الإسلام الشيعي في العراق ضد الهجمات الوهابيه المحتمله في المستقبل عن طريق إخوان ابن سعود، كما وإن فيصل أكّد لبعض المجتهدين الكبار. إنه جاء إلى العراق لينقذه من بريطانيا فقادهم بذلك إلى الأمل في أن يتمكنوا من طرد البريطانيين بمساعدة الملك» (١). لذلك جاءت تأييدات العلماء لفصيل مشروطه بعدم التدخل الأجنبي والتقيّد بالبرلمان. هذا من جانب ومن جانب آخر إن موقفه السلبي من البلشفيك يمنع انتشار الشيوعه في بلاد إسلاميه تحت إدارته (٢)، وهذه المسأله تريح البريطانيين من احتمال بروز خصم منافس لهم في المنطقه والمسأله المهمه الأخرى في هذا الاتجاه هي المسأله الدستوريه حيث إن المناداه بتسليم العرش لأحد أبناء الشريف تمت من قبل العراقيين أنفسهم في الاستفتاء الشعبي الذي أجراه (ولسون) عام ١٩١٨ - كما مر معنا-، وقد «كان واضعو السياسه البريطانيه والمخططون لها في العراق يعتبرون الشريف حسين رجلاً يستطيع أن يمارس الضغط على أهل العراق، وأن يوجه الرأي العام بطريقه تضمن للإنكليز وجوداً عسكرياً وممارسه للهيمنه والسلطه هناك. وفي سنه ١٩١٦ كان الإنكليز يتدارسون السبل التي تمكنهم من الانتفاع بالثوره التي قام بها الحسين ضد الأتراك، والاستفاده منها في القطر العراقي، ولكنهم أكتشفوا بواسطه التقارير التي كان الضباط السياسيون يبعثون بها إلى دوائرهم، إن الثوره العربيه لم تثر في نفوس رجال القبائل العراقيه أي حماسه أو اهتمام. إذ يجب أن نتذكر أن معظم هذه القبائل كانت من الشيعه، وكان معظم العراقيين قد تلقوا خبر نشوب الثوره العربيه

ص: ٥٨٣

١- (١) نقاش، اسحاق: شيعة العراق، ص ١٤٨.

٢- (٢) العمر، فاروق صالح: حول السياسه البريطانيه (دراسه وثائقيه) ١٩١٤-١٩٢١، طبع بغداد ١٩٧٧، ص ١٠٤-١٠٥.

بشيء من الفتور واللامبالاه، واعتبروا ثوره الشريف في هذا القطر عملاً غير مستحسن» (١). هذا وبالرغم من ظهور الصفه الإسلاميه في حركه الشريف حسين حيث «أطلق الشريف حسين الرصاصات الأولى إيذاناً بالثوره، وأصدر بيانه الأول الذي اتهم فيه الاتحاديين بالخروج على الشريعه» (٢)، إلا- أن هذه الحركه اتسمت بالارتباط الوثيق بأوروبا، حيث «كان اتصال الجمعيات العربيه في بلاد الشام بالقتل الفرنسي (بيكو) في بيروت، كما كان اتصال جمعيه اللامركزيه الإداريه العثمانيه بالمعتمد البريطاني (كتشنر) في مصر. وقد ظهر هذا التحالف بأجلى صورته خلال الحرب الأولى في اتفاقيات الشريف حسين مع السيد هنري مكماهون» (٣). وبشكل عام سجلت هذه الحركه العربيه المتغربه للاتجاه القومي - العلماني خدمات واضحه للمصالح الأجنبيه في تلك المرحله، يقول حسن العلوي: «إن الدعاه القوميين في البلاد العربيه خاضوا في أواخر القرن الماضي، وأوائل القرن الحالي معارك حاميّه لفصل الدين عن السياسه» (٤).

وتجدد الإشاره إلى بروز أزمه نفسيه بين فيصل وهو في طريقه لاستلام عرش العراق، وبين أخيه الأكبر عبد الله، الذي كانت رغبه العراقيين تحوم باتجاهه، حيث تم اختياره ملكاً على العراق في مؤتمر المعارضه العراقيه المنعقد في دمشق بتاريخ ٧ آذار ١٩٢٠م، ١٨ جمادى الثانيه ١٣٣٨هـ - (٥)، ومن داخل العراق - أيضاً - «كان رأى زعماء العراق يميل للأمر عبد الله على اعتبار أن فيصل كان قد شغل عرش سوريا، وظلت هذه الرغبه حتى بعد سقوط حكومته، لكن الإنكليز كانوا يميلون لترشيح

ص: ٥٨٤

-
- ١- (١) النفيسي، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٨٥.
 - ٢- (٢) العمر، فاروق صالح: الأحزاب السياسيه في العراق ١٩٢١-١٩٣٢، ص ٢٩.
 - ٣- (٣) العمر، المرجع ذاته، ص ٢٩.
 - ٤- (٤) العلوي، حسن: الشيعة والدوله القوميه في العراق، مرجع سابق، ص ١٥٨.
 - ٥- (٥) العمرى، خيرى أمين: مرجع سابق، ص ٦٠. راجع النص الكامل لقرارات المؤتمر العراقي العام المنعقد بدمشق لدى العمرى، محمد طاهر: تاريخ مقدرات العراق السياسيه ج ٣، ص ٤٠٧.

فيصل، لأنهم يرونه أقدر من أخيه عبد الله» (١). هذا وقد تم رفع هذه الإشكاليه النفسيه بين الأخوين بمبادره بريطانيه «فتعهد (لورنس) بأن يزور عبد الله بنفسه في جدّه، وفي عصر يوم واحد من المباحثات أخذ (لورنس) عهداً على عبد الله بأنه لا يعارض ترشيح أخيه فيصل» (٢). ويذكر الوردى أن الترضيه تمت في القدس بإشراف (تشرشل) وزير المستعمرات الجديد في ٢٩ آذار ١٩٢٠م، ١٠ رجب ١٣٣٨هـ- (٣)، إلا أن بعض السياسيين والصحف العراقيه اتخذت من هذا الانقلاب بين الأخوين ماده دسمه للأخذ والرد، للرفض والتأييد (٤).

ومما يذكر في هذه المسأله، إن الشريف حسين كان متردداً في الموافقه على إرسال أحد أبنائه لعرش العراق، وذلك لأنه كان دائماً يتذكر فاجعه كربلاء وما جرى على سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين عليه السلام وعياله من المصائب العظيمه في عاشوراء ٥٦١هـ-، فكان ينظر للساحه العراقيه في عصره بمنظار ذلك العصر الدموي الحزين. ومن العبره التاريخيه أن نقرأ روايه الأستاذ

ص: ٥٨٥

١- (١) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، ج ٢، مرجع سابق، ص ٢٥٣. ومما يذكر أن فيصل طلب ترضيه والده بشأن ترشيحه بدلاً عن أخيه، فرضى بعد بعض المماطلات، ومن طريف ما ينقل عن غضب الأمير عبد الله إزاء إقصائه عن عرش العراق، كان يسأل نفسه: هل يمكن أن تعود في العراق قضيه الأمين والمأمون مره أخرى، وهل نأتى إلى الناس بأضحوكه جديده هي تراحم الأخوين على عرش مصنوع في لندن؟ الزركلى، خير الدين: عامان في عمان، طبع القايره ١٩٢٥م، ص ٤٦.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله: المرجع ذاته، ص ١٧٤.

٣- (٣) راجع تفاصيل الحوار بين (تشرشل) وعبد الله حول فرنسا وعرش العراق وفلسطين وطريقه الاسترضاء بين الأخوين لدى الدكتور على الوردى: المرجع السابق، ج ٦، ص ٤٩-٥٥.

٤- (٤) جريده (الاستقلال) عددها ٢٣ بتاريخ ١٧ كانون الأول ١٩٢٠. دافعت عن الأسره الهاشميه والملك عبد الله. وجريده (العراق) في عددها الصادر في ٥ أيار عام ١٩٢١ الموافق ٢٧ شعبان ١٣٣٩هـ-، أكدت شعار العراق للعراقيين.

على البازركان فى حديثه مع الشريف حسين، حيث يقول: «إنه كان فى ضيافه [الشريف] حسين فى مكه عام ١٩٢١م، عندما وصلته بريقه من بعض رؤساء العراق يطلبون منه ابنه فيصل ليكون ملكاً عليهم، فقال الشريف حسين: ولكنى أخشى يا شيخ أن يعامل أهل العراق فيصلاً كما عاملوا جده الإمام الحسين عليه السلام من قبل». فردّ عليه البازركان قائلاً: «سيدى لقد تغيّر الزمن وإن أهل العراق اليوم ليسوا كأسلافهم..»، عند ذلك ضرب الشريف كفاً بكف وصاح بلهجته الحجازيه «يا عيال نادوا فيصل» (١).

ويقول الدكتور الوردى: «حدثنى أحمد الراوى.. إنه كان فى عام ١٩٢٣ مدير شرطه المنتفك، فأرسله الملك فيصل إلى مكه لكى يأتى بعائلته وابنه غازى منها، ولكنه عند وصوله إلى مكه لم يسمح له الشريف حسين بأخذ العائله. [قائلاً له]: «أخاف منكم يا أهل العراق أن تفعلوا بعائلته مثلما فعلتم بعائله الإمام الحسين عليه السلام من قبل». وبالفعل عاد الراوى خائباً. ولم يوافق حتى تشرين الأول ١٩٢٤، حيث وصلت العائله إلى بغداد فى ١٦ كانون الأول ١٩٢٤ (٢).

ص: ٥٨٦

١- (١) البازركان، على: الوقائع العراقيه، ص ٢٣٠.
٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ملحق ج ٦ ص ١٨١-١٨٣. ويمكننا القول هنا، وبغض النظر عن مدى الفوارق المبدئيه، والمنطلقات الشرعيه، والأهداف الإصلاحيه ما بين نهضه سبط الرسول الإمام الحسين عليه السلام، وبين السياسه المصلحيه للشريف، فلا مجال لهذا الطرح، ولكن بغض النظر عن كل ذلك نقول: لقد صدقت فراسه الرجل فى هذه المسأله، فلقد جرى عليهم من الجرائم والفضائح ما يندى لها جبين الإنسانيه. حيث شهد قصر الرحاب ببغداد نهايه مروعه للأسره المالكه، التى اجتمعت مستسلمه أمام أسلحه الضباط المهاجمين، فأنصبت نيران أسلحتهم على الأسره كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، ولم يسلم عدا الأميره هيام - زوجه عبد الإله - التى أصيبت، ولكن تم إنقاذها وإرسالها إلى قبيلتها ربيع فى واسط. لمعرفة التفاصيل راجع: الجعفرى، محمد حمدى: نهايه قصر الرحاب، تفاصيل ما حدث ليله ١٤ تموز وصبيحتها عام ١٩٥٨م، ط ١، ١٩٨٩ بغداد، ص ١٦٢-١٧٢.

حينما تهيأت الأجواء المناسبة لفيصل، أعلن وزير المستعمرات البريطانيه في خطابه الذي ألقاه في مجلس العموم البريطاني في ١٤ حزيران ١٩٢١م، الموافق ٧ شوال ١٣٣٩هـ، الموافقه الرسميه لإسناد عرش العراق إلى فيصل، ومما جاء في خطابه: «..وفي النيه الاستعاضه عن الحكومه المؤقته.. بإداره أساسها جمعيه عموميه منتخبه، وذلك في بضعه أشهر مقبله، وليس في النيه إكراه الشعب على قبول حاكم مخصوص، وستطلق الحريه التامه في البحث والإفصاح عن الرأي سواءً كان ذلك في أمر انتخاب الحاكم أو انتخاب الجمعيه العموميه.. [إلى أن يقول] وقد بلغتْ حكومه صاحبه الجلاله البريطانيه الأمير فيصلاً أنها لا تعارض ترشيحه، وإنه إذا تم انتخابه فالحكومه البريطانيه تؤيده، وهو الآن في طريقه إلى البصره، ولا شك أنه إذا انتخب فيصل نكون قد توصلنا إلى حلٍ فيه خير مستقبل سعيد ناجح» (١).

وعلى ضوء هذه التطورات، أُخلى الجو لفيصل تماماً وحسم الصراع الداخلي في أجهزه السلطه البريطانيه (٢)، وقد كان اعتقال طالب وإبعاده عن العراق من قبل

ص: ٥٨٧

١- (١) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسي الحديث، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٦. راجع النص الكامل لخطابه في جريده (العراق) العدد ٣٢١ الصادر في ١٨ حزيران ١٩٢١ الموافق ١١ شوال ١٣٣٩هـ.

٢- (٢) من المعروف أن (جون فيلي) مستشار الداخليه كان من أبرز المؤيدين لترشيح طالب النقيب لعرش العراق، لذلك أبعده عن منصبه في العراق، فتم تعيينه في منصب المعتمد البريطاني في فلسطين إلا أنه اختلف مع المندوب السامي في فلسطين أيضاً، فقدم استقالته نهائياً ورحل إلى جده، وفتح

(كوكس) بمثابة تلويح ذكي بالعصا الغليظه لأصدقاء بريطانيا الذين تعودوا على سياسه اللين، وذلك لكي يتعلموا كيف ومتى يسحبون آراءهم المخالفه للإرادة البريطانيه وينصاعون لها؟ أو على الأقل ليحسموا موقفهم أمامها. وفي ذلك درس بالغ الأهميه لأصدقاء بريطانيا وللشعب العراقي - أيضاً - بأن السلطه البريطانيه لا تتردد في اتخاذ القرارات الحازمه لغرض تنفيذ إرادتها، فالإرادة البريطانيه فوق كل شيء.

من هنا نفهم سبب التراجع المفاجئ لرئيس الوزراء النقيب الكيلاني من معارضته الشديده، في إسناد العرش لأحد أبناء الشريف حسين، حيث غير موقفه تماماً وذلك نزولاً لإرادته الإنكليزي يقول عبد الرحمن الكيلاني للمس بيل.. «إنني من أقارب الشريف وأنحدر من نفس السلالة وأشاركه في مذهبه الديني.. إني سوف لا أوافق على تعيين الشريف أو أحد أنجاله أميراً في العراق، فإن الحجاز غير العراق [حتى يقول] إن كرهى للإداره التركيه الحاضره معروف لديك لكننى أفضل ألف مره من عوده الترك إلى بغداد على أن أرى الشريف أو أحد أبنائه ينصب أحدهم هنا» (١). وكان يبيح بمشاعره هذه إلى أصدقائه مترنماً بشعر شعبي:

كل يوم أگول اليوم باجر يينون

لنطى للمبشرين بوسه امن الاعيون (٢)

ص: ٥٨٨

١- (١) بيل، المس: المصدر السابق، ص ٤٧٩-٤٨٠.

٢- (٢) راجع العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه.. ص ٤٧. بمعنى أنه يتوقع عوده الأتراک يوماً بعد يوم، (باجر) بمعنى بكره، وانه سيعطى قبله من العيون للذين يبشرون بخبر عودتهم.

إلا- أن التحول من موقف المبغض المعادى لفيصل إلى موقف المحب المناصر له من قبل الكيلاني النقيب إنما جاء استجابة للقرار البريطاني وتكريساً لمسؤوليته الدينيه والوطنيه أمام الله (!). وأمام العراقيين عباد الله (!) أليس كذلك؟. وهكذا أبدى رغبته الكبيره لاستقبال فيصل (١)، فبعث في ١٩ حزيران ١٩٢١، ١٣ شوال ١٣٣٩هـ-، برقيه جواييه للشريف حسين، يعرب فيها عن شوقه واعتزازه بفيصل، جاء فيها: «..وصرنا ننتظر قدومه ساعه فساعه.. وأما الأمر السامى الملوكى لهذا الداعى بالسعى جميعاً فيما يستلزم راحه البلاد، فهو واجب الامتثال [!].» (٢). ومن ثم، بدأ بإحياء السيره الماضيه للشريف حسين وأبنائه عن طريق دعمه لإنشاء الحزب الشريفي الذى أسسه (كوكس) وفيصل، من الأشخاص المعتدلين (٣)، ليواصل حملته الدعائيه لفيصل فى أوساط العراقيين. يقول النفيسى: «وعلى الرغم من أنه لم يكن يُسمح على إنشاء أحزاب سياسيه فى البلاد، فإن (كوكس) وافق على إنشاء حزب معتدل سمي نفسه الحزب الشريفي غايته خلق رأى عام موالٍ لفيصل، وراحت الصحافه تعمل للدعايه لهذا الحزب الشريفي ولمساندته ولا سيما جريده (الشرق) و(العراق) و(لسان العرب)

ص: ٥٨٩

- ١- (١) الوردى، د. على: مرجع سابق، ج ٦، ص ٩٨. عن: Bargoyne (Gertcude Bell) London ١٩٦١ Vol. ٢.P٢٣.
- ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٧-١٦٨. للفائده نذكر عن المرجع ذاته نص برقيه الشريف حسين إلى الكيلاني النقيب: (بغداد: فرع الدوحه النبويه فضيله السيد الأجل حضره النقيب ضرورى أبلغكم توجه ابنى فيصل إلى طرفكم بناء على طلبات الأهالى المتعدده، ولا متراج عائلتنا بكم، فلا أحتاج أن أبحث عما يجب لسعيكم جميعاً فيما يستلزم راحه البلاد، ومضاعفه الرغبه وتأمين مستقبل الكل. هذا ما انتظره من همم نجابتكم والحسيه الدينيه والقوميه، والله يتولاها وإياكم بالتوفيق. عن مكه المكرمه فى ١٧ حزيران ١٩٢١ التوقيع: حسين».
- ٣- (٣) منتشا شفيلى، ألبرت. م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى، مرجع سابق، ص ١٧٥.

وعلى العموم، وصل فيصل إلى البصرة في ٢٣ حزيران ١٩٢١م، وإلى بغداد في ٢٩ حزيران ١٩٢١م الموافق ٢٣ شوال ١٣٣٩هـ، وتركزت خطه (كوكس) العاجله بتنصيبه من قبل مجلس الوزراء، وبالفعل لقد اجتمع المجلس في ٤ ذى القعدة هـ - الموافق ١١ تموز ١٩٢١ «واتخذ قراراً يقضى بمناداه فيصل ملكاً على العراق، شرط أن تكون حكمه سموه حكمه دستوريه نيابيه ديمقراطيه مقيده بالقانون، وقد شعر (السير برسي كوكس) إن قرار مجلس الوزراء لا يكفي وإنه لابد من صب عمليه التتويج في قالب دستوري، وإعطائها مظهراً شرعياً.. في أن يقوم مجلس تأسيسي منتخب بترشيح فيصل وتتويجه» (٢). ولما كانت الظروف غير مواتيه لهذا الإجراء القانوني لكثرة المعارضين واحتمالات الفشل، استبعد إنشاء المجلس التأسيسي، وعولج الأمر بالتصويت العام عبر مضابط التصويت بالمبايعه بدلاً من أسلوب المؤتمر العام. وقد أصبحت هذه العمليه ماده غتية للصحافه والمعارضه في حينها (٣).

ص: ٥٩٠

١- (١) النفيسي، مرجع سابق، ص ١٧٧.

٢- (٢) العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه عن تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ص ٨٣.

٣- (٣) العمرى: المرجع ذاته، ص ٨٣-٨٨. راجع، جريده (دجله) العدد الصادر بتاريخ ١٩٢١/١/٤، تؤيد المؤتمر العام، وجريده (العراق) في ١٩٢١/٧/١١ تؤيد التصويت العام، وجريده (لسان العرب) ١٩٢١/٧/٦، تؤيد التصويت العام.

من هنا ندرّك أهميه الخطوات الثلاث التي اتبعها (كوكس) لتثبيت فيصل على العرش، وهي تصفيه الأجواء له بعد التخلص من منافسيه المرشحين للعرش، ابتداءً من أخيه عبد الله، وانتهاءً بطالب النقيب. وكذلك إعلان مجلس الوزراء تأييده لفيصل، ثم توجه نحو الشعب العراقي لإجراء الاستفتاء حول فيصل، ليتم تثبيته قانونياً. وعليه فقد أصدر المجلس قراراً إلى وزاره الداخليه لاتخاذ التدابير لإجراء الاستفتاء. كما وأذاع (كوكس) بياناً في ٥ تموز ١٩٢١م، ٢٩ شوال ١٣٣٩هـ، إلى عموم العراقيين أكد فيه على حرص بريطانيا وسعيها على مساعدته العراق، ومما جاء في البيان: «..إن الحكومه البريطانيه كانت دائماً ولا تزال ترى أن أفضل طريقه للقيام بعهودها وواجباتها هي مساعدته أهالي العراق على إقامة حكومه وطنيه منهم بمساعدتنا..حكومه دستوريه برأسه وازع (حاكم) مقبول لدى أهالي البلاد..» (١)، هذا وقد وضع (كوكس) في حسبانته رأى الشعب باعتباره الأهم في المسأله من موافقه الوزراء - المحروزه-. لذلك أصدر بلاغاً عاماً للشعب العراقي، صدر عن ديوانه الخاص في ١٦ تموز ١٩٢١م، ١١ ذى القعده ١٣٣٩هـ، إلى عموم الأهالي بالنص التالي:

ص: ٥٩١

١- (١) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٩-١٧١.

«إن مجلس الوزراء فى جلسته يوم ١١ الجارى الموافق ٥ ذى القعدة سنة ١٣٣٩هـ-، قرر بالإجماع، بناءً على اقتراح صاحب السماحه والفخامه رئيس الوزراء، المناداه بسمو الأمير فيصل ملكاً للعراق، بشرط أن تكون حكومه سموه، حكومه دستوريه نيابيه، وديمقراطيه مقيده بالقانون، وحيث أن هذا القرار قد أرسل إلى المندوب السامى لأجل التصديق، وذلك طبقاً للأصول المتبعه، فإن فخامه المندوب السامى يشعر أنه مع وجود جميع الأسباب التى تحمله على الاعتقاد بأن قرار المجلس السالف الذكر يمثل شعور البلاد السائد، يرى أن من الواجب عليه أن يحصل على تصريح مباشر من الأمه بموافقتها، قبل أن يوافق المجلس بموافقتها على القرار المذكور، وعليه قد طلب فخامته إلى مجلس الوزراء أن يوعز إلى وزاره الداخليه بأن تتخذ الوسائل الإداريه للحصول على تعبير رسمى عن رغائب الشعب، أما الطريقه المبنيه للحصول على ذلك فستعلن فى حينها».

بغداد ١٦ تموز سنة ١٩٢١

كو كس: المندوب السامى فى العراق (١).

وعلى ضوء تلك المستجدات السياسيه الملتبسه برز دور الإسلاميين - الشيعة - بالخصوص، وذلك لكى لا يعينوا الظالمين على ظلمهم، أو يعطوا السكين لجزارهم، لذلك شهدت الساحه العراقيه نشاطاً سياسياً إسلامياً رغم الإرهاب الذى مارسته السلطه فى وجه الأهالى. ففى بغداد حيث الحاله السياسيه المتميزه للمعارضه، وذلك لقربها من التطورات الإداريه المتسارعه والأحداث السياسيه الساخنه، لذلك برزت المعارضه الإسلاميه الوطنيه فى نشاط سياسى مهم وذلك فى الاجتماع الذى دعا إليه محافظ بغداد رشيد الخوجه فى سينما رويال، وذلك فى صبيحه ٢٩ تموز ١٩٢١م الموافق ٢٤ ذى القعدة ١٣٣٩هـ-، وكان للشيخ مهدي الحلبي، الشاعر البصير الأثر الكبير فى

ص: ٥٩٢

إثارة الاجتماع بقصائده الثوريه، حتى أن المحافظ لم يتمكن من مقاومه تيار المعارضه، فانبرى قائلاً لهم: «إن المضابط بيدكم فضعوا عليها ما تشاؤون». وهكذا أُجبر على إضافة مطالب المعارضه ضمن المضبطه الرسميه الجاهزه للاجتماع، وأدخلت عليها تعديلات إضافيه قرأها المحافظ على المجتمعين - فيما بعد - بالنص التالي:

«اجتمعنا، فصوّتنا باجماع الرأى على تتويج سمو الأمير فيصل ملكاً على القطر العراقى، بحدوده الطبيعيه على أن يكون ملكاً يرأس حكومه دستوريه نيابيه ديمقراطيه حره مستقله مجردة من كل قيد، منقطعه عن سلطه الغير، وإن أول عمل تقوم به تشكيل وجمع المؤتمر العام الذى يسنّ القوانين والدستور فى مده ثلاثه أشهر من استلامه زمام الأمور» (1).

والذى يمكن قوله، إن المعارضه الإسلاميه بالرغم من قوتها فى إثارة الرأى العام، إلا أنها كانت تشكو من ضعف واضح فى وعيها السياسى، فأنجرت إلى أجواء هيأتها الإداره البريطانيه بشكلٍ مدروس، لذلك ما طالبت بالدستور الإسلامى للبلاد، وهو الطرح المناسب لها، والمناقض للطرح البريطانى فى الوقت ذاته، بل - أكثر من ذلك - فقد أكدت المعارضه الإسلاميه تأييدها لفيصل، وطالبت بحكومه ديمقراطيه!!، وهذا ما كانت تهدف إليه بريطانيا. ولكن للإنصاف أنها استطاعت أن تسجل موقفاً مهماً فى هذه المضبطه ألا وهو المطالبه بالاستقلال التام ومع ذلك لا يمكن فهم هذا المطلب بوضوح، وفيصل هو الملك فهل يمكن تحقيق الاستقلال من خلاله!؟.

ومع جلاء هذه المواقف الوطنيه أخذت سلطه الاحتلال تلاحق تطورات المضابط ونشاطات المعارضه، خوفاً من إتساعها، فقد أرغم (كوكس) محافظ بغداد على تقديم

ص: ٥٩٣

١- (١) العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه مرجع سابق، ص ٨٧. عن جريده (دجله) العدد ٣١ فى ١٩٢١/٧/٢٩، صدر هذا العدد مساء اليوم المذكور.

الاستقاله، لاستجابته لمطالبه المعارضه (١). وبالمقابل تحرك فيصل ضمن هذه الخطة القمعيه لايقاف السيد محمد الصدر عن نشاطاته المعارضه، باعتباره المحرّض على اجتماع بغداد، فوجه إليه إنذاراً لمدته ثلاثه أيام للابتعاد عن المعارضه. هذا وبين عشيه وضحاها أعلنت نتائج الاستفتاء بشكل غامض ومثير، حيث ظهرت أن ٩٧٪ (٢) من الشعب العراقي صوّت إلى جانب فيصل، بينما توقف ٣٪ فقط ضد هذا الانتخاب!! وهي نسبة لا تصدق بتاتاً، حيث أن الأكراد والتركماني والشيعه بأعدادهم الهائله قاطعوا الانتخابات، ووقفوا ضدها، و«إن سكان كركوك.. يؤلفون قرابه سته في المائه من مجموع سكان العراق، باستثناء السليمانيه التي قاطعت الاستفتاء» (٣). وقد «تحفظت الموصل عن طريق المطالب بضمانات لحمايه الأقليات، واشترط البصره أن يكون لها مجلس تشريعي خاص» (٤). والجدير بالذكر، كان من المؤمل على ضوء تأكيدات (كوكس) ومجلس الوزراء، ووزير الداخليه، أن يعقد مؤتمر عام للوقوف على حقيقه رأى الشعب العراقي مباشره اتجاه فيصل، إلا أن المسأله تحولت - كما يقول الحسنى - إلى «مضابط التوكيل بدل المؤتمر»، وكانت هذه الطريقه الانتخابيه تتم بأسلوب خطابي، بحضور أعيان المجتمع والوجهاء، وبعد الاتفاق على موعد ومكان حضور الأهالي، يفتح الاجتماع بتلاوه آيات من القرآن الكريم، ثم تلقى الخطب، وهي تدعو - مجملاً - لانتخاب فيصل، ثم يقرأ على المجتمعين قرار مجلس الوزراء بترشيح فيصل ملكاً على العراق، ثم يُسألون شفويّاً، فتأتي الإجابه لفظيه وبصوره جماعيه، ينادى الخطيب: هل

ص: ٥٩٤

- ١- (١) النفيسى، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٨١.
- ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه مرجع سابق، ج ١، ص ٢١. يذكر نتيجة التصويت هذه كما أذاعه التقرير البريطاني ٩٧٪ بايعوا فيصلاً وارتضوه ملكاً دستورياً لهم. راجع العمرى: المرجع السابق، ص ٨٨، وأيضاً الأدهمى، محمد مظفر: المرجع السابق، ص ٦٠.
- ٣- (٣) النفيسى، المرجع السابق، يذكر النتيجة لصالح فيصل ٩٦٪، ص ١٨٢.
- ٤- (٤) العمرى، خيرى أمين: المرجع السابق، ص ٨٨.

توافقون؟ فيقولون: نعم، نعم. هل تعارضون؟ لا، لا. ثم تقدم المضبطه وهي مطبوعه ومعدّه سلفاً (١)، ليتم التوقيع عليها. وبذلك تغلق الدائره ١٠٠٪ لصالح فيصل، ولا من حساب ولا من كتاب بعدها. ثم تجمع فيما بعد في بيت المحافظ، فيدعو بدوره نخبه من رؤساء العشائر وأعيان المدن، فتشكل وفود المبايعه، ثم تنطلق لزياره الأمير فيصل. أما المضابط فتسلم إلى وزاره الداخليه، وتتم زياره خاصه للمندوب السامى في هذا الإطار - أيضاً- (٢). وبالفعل صدرت في بغداد ١٥٧ مضبطه كلها تباع الملك فيصل ولكن ٦٨ منها تطالبه بالاستقلال عن سلطه الغير، وفي البصره صدرت ٤٧ مضبطه كلها تباع الملك فيصل، ومعظمها يشترط الاستقلال ومن الموصل صدرت ٦٨ مضبطه كلها تؤيد فيصل و٦ منها تطالب بحمايه حقوق الأكراد والأقليات الأخرى. وهكذا المناطق الأخرى وقد وصلت هذه المضابط إلى بغداد في ١٩ آب ١٩٢١ (٣).

ومما لا يخفى لقد كان للضغوط البريطانيه أثرها الكبير على تمشيه هذه المضابط بتلك النتائج، فقد مورس الإرهاب الفكرى بشكل واضح على الشعب، يقول الدكتور الوردى: «عثرُ من بين وثائق البلاط الملكى على رساله شخصيه مؤرخه في يوم ٢٥ ذى القعدة ١٣٣٩هـ-، وهو يوافق ٣١ تموز ١٩٢١م، مرسله من الديوانيه يريدون

ص: ٥٩٥

١- (١) أما صورته المضبطه المطبوعه - سلفاً - فهي كالآتى: «نحن الموقعين أدناه، سكان محله.. من ناحيه.. من قضاء.. في لواء.. قد بلغنا قرار مجلس الوزراء المدرج أعلاه وفهمناه وتأملناه بتمام الإمعان، وكانت النتيجة موافقه للرأى.. ومبايعتهم للأمير بدون معارض». التوقيع وزير الداخليه. يقول عبد الرزاق الحسنى: «هذه صورته المضبطه التى نظمتها السلطات الحكوميه، وجرت بموجبها بيعه الأمير فيصل ابن الملك حسين ملكاً على العراق». الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، ج ١، ص ١٧٥.

٢- (٢) الأدهمى، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسى العراقى، ص ١٥٥. وكذلك العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه.. ص ٨٦.

٣- (٣) الوردى، المرجع السابق، ص ١١٥-١١٦.

الاقْتداء ببيعه حجه الإسلام الخالصي، وكان المستشار البريطاني وأعوانه من الوجهاء والرؤساء يبذلون كل جهدهم لتبديل المضابط واشتراط الوصايه البريطانيه فيها. وقد ذكر صاحب الرساله نص البيعه التي حاول هؤلاء فرضها على الأهالي وهي: «أبايع الأمير فيصل بأن يكون ملكاً على العراق، تحت وصايه الإنكليز»، ويقول أن هذه الفقره يجب أن يكتبها كل شخص فوق توقيعهِ وإلا طردوه» (١).

بهذه الطريقه، ثم انتخاب وتنصيب فيصل ملكاً على العراق، وبناءً على ذلك قدّم رئيس الحكومه النقيب الكيلاني استقاله وزارته للملك - أصولياً - وفي حينها شكرهم - فيصل - على جهودهم، وطلب من النقيب تشكيل أول حكومه للمملكه العراقيه، وذلك في ١٥ آب ١٩٢١م الموافق ١٠ ذى الحجه ١٣٣٩هـ - (٢)، ومما جاء في بيان منهاج هذه الوزاره أنه: «من أهم الأمور التي تعتنى بها وزارتنا هو تأليف المؤتمر الممثل للشعب العراقي، ووظيفته سن القوانين الأساسيه..» (٣).

وقد أقيم للملك مهرجان تنويج في يوم ذكرى عيد الغدير، في ١٨ ذى الحجه ١٣٣٩هـ، ولم يكن هذا الاختيار لهذا اليوم عشوائياً بل لمجامله المسلمين الشيعه في ذكرى عيد الغدير، حيث نصب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الإمام على بن أبي طالب عليه السلام خليفه على المسلمين بأمر الله تعالى فقد قال سبحانه:

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ... ٤.

ص: ٥٩٦

١- (١) الوردى، على: لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث، ج ٦، ص ١١٥-١١٦. عن: وثائق البلاط الملكى رقم الإضباره ك/١١ رقم الوثيقه ١٦٥.

٢- (٢) النفيسى، عبد الله: دور الشيعه، ص ١٨٢.

٣- (٣) الأدهمى، د. محمد مظفر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٥.

فجمع بين عهدين مهمين عيد الغدير الأغر وعيد التتويج للملك، وقد استجاب المعتمد السامى لرغبة الملك.

وفى حفل تتويج الملك الذى أقيم فى ١٨ ذى الحجه ١٣٣٩هـ-، ٢٣ آب ١٩٢١م، ناول المندوب السامى بياناً إلى حسين افنان سكرتير مجلس الوزراء ليتلوه على الحاضرين، جاء فيه: «لقد قرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء بناء على اقتراح سمو رئيس الوزراء المناداه بسمو الأمير فيصل ملكاً على العراق فى جلسته المنعقد فى اليوم الرابع من شهر ذى القعدة من سنه ١٣٣٩هـ- الموافق ١١ تموز ١٩٢١م. على أن تكون حكمه سموه دستوريه نيابيه ديمقراطيه مقيده بالقانون، وبصفتى مندوباً لجلاله ملك بريطانيا رأيت أن أفف على رضى الشعب العراقى البات قبل موافقتى على ذلك القرار، فأجرى التصويت العام برغبه منى، وأسفرت نتيجته عن أكثرية ٩٧٪ من مجموعته المنتخبين المثقفين على المناداه سمو الأمير فيصل ملكاً على العراق..» (١).

وبدوره ألقى الملك فيصل كلمه التتويج شكر فيها الشعب على مبايعته له!، كما وشكر بريطانيا لمواقفها التحرريه إلى جانب العرب!، ومما جاء فى كلمته «..ألا- وأن أول عمل أقوم به هو مباشره الانتخابات، وجمع المجلس التأسيسى، ولتعلم الأهمه أن مجلسها هذا هو الذى سىضع بمشورتي دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسيه.. ويصادق نهائياً على المعاهده التى سأودعها له فيما يتعلق بالصّلات بين حكومتنا والحكومته البريطانيه العظمى..» (٢).

ص: ٥٩٧

١- (١) العمرى، خيرى أمين: المرجع السابق، ص ٩٨، وكذلك، الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، ج ١، ص ١٧٨-١٧٩، ووجدت لدى الحسنى بدلاً عن كلمه «وبصفتى مندوباً..» قوله: «بصفتى معتمداً..». ويذكر الوردى، إنه وردت نتيجته التصويت بأكثرية ٩٦٪ من السكان. الوردى، المرجع السابق، ص ١١٨.

٢- (٢) للإطلاع على نص خطاب العرش للملك فيصل راجع: الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، ج ١، ص ٢٢-٢٤.

وعلى سبيل التقويم نؤكد على أن هذه الحفله كانت تظاهره سياسيه لا تتجاوز الشكل الديكوري، الهدف منها تمرير الأهداف البريطانيه من خلق تلك المسرحيه، وفي الحقيقه لم تكن هذه الحفله نابعه عما أعلنته سلطه الاحتلال من نتائج الاستفتاء، ومما يدل على عدم صدقيتها لدى العراقيين هو ضعف الحضور والتفاعل الشعبي في تلك الحفله، وقد انعكس ذلك في الصحافه الإنكليزيه، فمثلاً كتبت جريده (الديلي هيرالد) الإنكليزيه في عدد ٣ كانون الثاني ١٩٢٢م، الموافق للخامس من جمادى الأولى ١٣٤٠هـ، عن الترويج قولها: «لقد توج فيصل خلسه في الساحه بين الأعمده الخشبيه، وبحضور الموظفين الإنكليز وقله من أنصاره الشخصيين، وإلى خلفه كانت تقف كتيبه من المشاهه البريطانيين، وحرابها على أهبه الاستعداد» (١).

ص: ٥٩٨

١- (١) منتشا شفيلي، البرت. م: العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمه: هاشم التكريتي، مرجع سابق، ص ١٧٧.

بقيت المعارضه الإسلاميه تمثل أقصى توجهات المعارضه العامه، فقد كانت أجواؤها مخالفه تماماً لسياسه (كوكس) ومن ورائه الحكومه البريطانيه، في مسأله الانتداب، وتشكيل الحكومه المؤقته، وتوزيع فيصل ملكاً على العراق، وذلك لأن التوجه الإسلامى منذ بدايه ثوره العشرين كان منصباً نحو التغيير الجذرى فى سبيل تحكيم الشريعه الإسلاميه على أرض الرافدين، وإن ذلك لهو الطموح الطبيعى لشعب العراق المسلم. وفى مقدمته قياده الدينيه، فقد كان الموقف العام للمرجعيه الدينيه العليا سلبياً اتجاه تنصيب فيصل ملكاً على العراق، فقد أشيع فى الأوساط الإسلاميه، والشيعيه بالتحديد، بأن المجتهد الأكبر - السيد أبو الحسن الاصفهانى - غير راضٍ على تنصيبه وذلك لأنه يمثل السلطه البريطانيه فى العراق، لا الشعب المسلم. وقد انعكس رأى المرجعيه داخل الأوساط الحركيه والتجمعات الشعيه، فظهرت عده مواجهات ضد الملك المرشح وسلطات الاحتلال بشكلٍ واضح، فمثلاً هتف المجتمعون فى المدرسه الجعفريه فى التاسع من تموز ١٩٢١م الموافق ل- ٣ ذى القعده ١٣٣٩هـ-، بعد خطاب فيصل، بشعار الاستقلال التام الناجز، وركزوا على ضروره فك الارتباطات البريطانيه عن العراق، وهذه الهتافات تعد رسائل واضحه الدلاله للملك ومن ورائه (١). لذلك

ص: ٥٩٩

١- (١) النفيسى، عبد الله: دور الشيعه فى تطور العراق السياسى الحديث، ص ١٧٨. راجع جريده (دجله) عددها الصادر بتاريخ ١١/ تموز/ ١٩٢١، تنقل وقائع اجتماع المدرسه الجعفريه.

يلاحظ المتتبع للأحداث، اهتمام فيصل المتزايد بالعلماء منذ وصوله إلى العراق، لأنه كان يحمل صورته واضحة عن خطوره أدوارهم السياسي، ومدى تأثيرهم الواسع على إثارة الرأي العام باتجاه المعارضه السياسيه إلى مستوى الثوره ضد المشروع البريطاني ولمن يمثله. فلذلك بدأ حياته السياسيه في زيارات ميدانيه في الفرات الأوسط والمدن المقدسه في محاوله منه لاستماله بعضهم أو تحييدهم. ففي المده التي قضاها في العراق قبل تنويجه والتي بلغت شهرين منذ ٢٣ حزيران إلى ٢٣ آب ١٩٢١، أي منذ ١٧ شوال إلى ١٨ ذى الحجه ١٣٣٩هـ، شهدت الساحه عدده احتفالات، وولائم تكريميه متعدده له. ألقى فيها الخطب والأشعار الحماسيه (١) كان يحاول فيصل من خلالها التقرب من الإسلاميين وقادتهم، إلا أنه استقبل استقبالاً فاتراً رغم الدعايه والإعلام له، لا سيما في كربلاء والنجف (٢). وهكذا أخذت تعيش المعارضه الإسلاميه حاله المواجهه الفعلية ضد النظام المفروض على الساحه، فانصبّ سعي الإسلاميين بجدٍ ومشاربه «على التكرّر لتلك الخطه الاستعماريه المرسومه بعد الثوره، وتعددت الانتفاضات والثورات طوال الحكم.. وندد قاده الرأي بأساليب الحكم والحكام، ووقفوا منها موقف المعارض من الأول إلى الأخير» (٣). ومع ذلك يمكن أن نتساءل: لماذا لم تتجدد الثوره الشامله - كثورته العشرين - في وجه هذا المشروع الاستيلاني؟

وللإجابة يمكن القول: إن تطورات خاصه حصلت في الساحه الإسلاميه إثر الهزيمه العسكريه لثورته العشرين، وغياب المبادرات السياسيه من قبل القياده الإسلاميه

ص: ٦٠٠

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ٩٩-١٠٦. ينقل أهم وقائع الحفلات ودلالاتها الاجتماعيه والتاريخيه. راجع جريده (العراق) عددها الصادر في ٢ تموز ١٩٢١، وعددها في ١١ تموز، ١٣ تموز، ١٦ تموز ١٩٢١، تنقل بعض وقائع تلك المهرجانات الخطابيه.

٢- (٢) محمد كاظم، عباس: ثوره الخامس عشر من شعبان - ثوره العشرين - مرجع سابق، ص ٣٨١.

٣- (٣) فياض، الدكتور عبد الله: الثوره العراقيه الكبرى، ص ٣٦٦، نقلاً عن الشيببي، الشيخ محمد رضا: الأيام، البغداديه، العدد ١٢٤، الصادر في ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ، ١٠ أيلول ١٩٦٢م.

تجاوز الحاله النظرية وتمتاز بالصفه العمليه والميدانيه، هي التي عرقلت حاله التصعيد الثوري مجدداً. وقد يتبرر هذا الغياب الفعلي بسبب وفاه الإمام الشيرازي قائد الثورة، وذلك في ٣ ذي الحجه سنه ١٣٣٨هـ- وكذلك خلفه الإمام شيخ الشريعه الاصفهاني الذي وافاه الأجل في ٨ ربيع الثاني ١٣٣٩هـ-، في وقت كانت الثورة لم تزل في استمراريتها، مما جعل التركه تتحول إلى عبءٍ ثقيل على اللجنه القياديه العلمائيه التي استلمت أمور القيادة - فيما بعد-. وقد يكون هذا التوقف عن تكرار الانفجار الثوري، ناتجاً عن ضعف الوعي السياسي العام في صفوف الإسلاميين عموماً، أو لدى بعض القياديين الإسلاميين. ولربما الإدارة البريطانيه أحسنت إخراج مسرحيتها ذات الفصلين المتعارضين من الناحيه الشكليّه - كما أسلفنا - وقد مثل دور البطل في الفصل الأول (ولسون)، وفي الفصل الثاني (كوكس)، مما أرهق وضع الإسلاميين، فصرفوا قسطاً مهماً من طاقاتهم وجهودهم نحو ترميم الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي خلفته الثورة وعمليات المقاومة وحالات التحدي.

وبالرغم من ذلك الموقف المبدئي للمرجعيه الدينيه العليا، إلا أن الموقف الإسلامي انتابه ضعف عام، إثر انقسام القرار القيادي الذي عكس - بدوره - تزعزاعاً في تماسك البنيه الإسلاميه، فشهدت الساحة نوعاً من التصدع الداخلي لعدم اتفاق القيادة الدينيه على رأى موحد في تلك الظروف والملابسات أمام ترشيح فيصل. فبرز اتجاه سياسي إسلامي مخالف لاتجاه المرجعيه العليا، وعليه فقد انقسمت الساحة الإسلاميه إلى اتجاهين مختلفين حول ترشيح فيصل، مثل الاتجاه المعارض لترشيحه اثنان من كبار العلماء المجتهدين في النجف وهما: الإمام السيد أبو الحسن الاصفهاني - المرجع الأعلى - والشيخ محمد حسين النائيني - أحد كبار الفقهاء - وكان رفض هذا الاتجاه يستند إلى ضروره حصول الاستقلال التام للعراق وتشكيل حكومه دستوريه إسلاميه. ومعنى هذا إن معارضتهم شامله لكل مرشح في ظل

الانتداب البريطاني. - كما بينا سابقاً - أما الاتجاه المؤيد لفيصل، فقد برز في الكاظميه وبغداد، ومثله عالمان كبيران - أيضاً - وهما: الشيخ مهدي الخالصى، والسيد محمد الصدر (١). فقد أيدَ الشيخ الخالصى ترشيحه، والتعاون معه ضمن ضوابط وشروط. ويبدو أن فكره الشيخ الخالصى لم تكن وليده الساعه، وإنما كانت ضمن الأجواء العامه التي كانت تتسم بترشيح مشروط لفيصل. وقد شجع - هذا التوجه - عددٌ من العلماء وزعماء العشائر، وكانوا قد أبرقوا للشريف حسين في مكه، يطالبونه بإرسال ابنه فيصل ليكون ملكاً على العراق، مقيداً بالمجلس النيابي، ويذكر - في ذلك الوقت - إنه حينما تهيأت البرقيات من قبل الخالصى وبقية الرؤساء والوجهاء، تدخلت اليد الشيطانيه البريطانيه في اللعبه السياسيه، حيث عارضت إرسالها دائره البرق في الكاظميه، فأدخل الشيخ الخالصى، نوري السعيد وسيطاً في القضيه، فحصلت الموافقه - فيما بعد - على إرسالها فبعثت، وقد عدّ في وقته هذا العمل، إنجاز مهم للقضيّه الوطنيّه! (٢).

وحيثما تطورت الأحداث، ووصل فيصل إلى العراق، وبدأ بتحركه، زار الشيخ الخالصى في ١١ تموز ١٩٢١م الموافق للربيع من ذي القعدّه ١٣٣٩هـ، أي في يوم إعلان قرار الحكومه بترشيحه، وهنا أعرب الشيخ الخالصى عن رأيه صراحه، قائلاً له: «إننا نبايعكم ملكاً، على أن تسيروا بالحكم سيره عادله، وعلى أن يكون الحكم دستورياً ونيابياً، وأن لا يتقيد العراق في عهدكم بأيه قوه أجنبيّه» (٣).

ص: ٦٠٢

١- (١) الرهيمي، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ٢٤٢.

٢- (٢) راجع نص رساله الشيخ الخالصى إلى نوري السعيد بهذا الشأن، وكذلك جواب نوري السعيد إليه، عند الوردى: المرجع السابق، ص ٧١-٧٥.

٣- (٣) كبه، محمد مهدي: مذكراتي في صميم الأحداث، ص ٢٤، طبع بيروت ١٩٦٥م. وكذلك، الحسنى، عبد الرزاق: العراق في دورى الاحتلال والانتداب، مرجع سابق، ج ١، ص ٢١٧.

هذا وتوجّ الشيخ الخالصى (1) رأيه بإصداره فتوى البيعه، وقد تم نشرها في الصحف المحليه، هذانصها:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه تفتى:

الحمد لله الذى نشر لواء الحق على رؤوس الخلق فأيدهم بالنصر برئاسه من حاز الشرف والفخر، الملك المطاع، الواجب [!] له علينا الإلتباع. الملك المبيخيل عظمه مليكنا [!] فيصل الأول - دامت شوكته - نجل جلاله الملك حسين الأول - دامت دولته - فأحكموا بيعته، وأبرموا طاعته، واهتفوا باسمه، مدعين لحكمه، ونحن ممن اقتفى هذا الأثر، وبايعه فى السر والجهر، على أن يكون ملكاً على العراق، مقيداً بمجلس نيابى، منقطعاً عن سلطه الغير، مستقلاً معه بالنهى

ص: ٦٠٣

١- (١) الشيخ مهدي الخالصى، ولد بالكاظميه سنه ١٢٧٦هـ-، ١٨٥٩م وتوفى بخراسان سنه ١٣٤٣هـ-، ١٩٢٥م، من أسره علميه دينيه معروفه بالكاظميه. من أبرز أساتذته الميرزا محمد حسن الشيرازى، له عدده مؤلفات منها (تلخيص الرسائل) للشيخ مرتضى الأنصارى، وحاشيه كتبها على كتاب الكفايه للشيخ الآخوند. وقد أصبح من العلماء المجتهدين البارزين فى العمل السياسى والجهادى، اشترك مع العلماء والمجاهدين فى جبهه الحويه ضد الجيش البريطانى المحتل، اشترك فى ثوره العشرين إلى جانب كبار العلماء، واستمر فى جهاده السياسى بعد الثوره، إلا أنه أيد فيصل فى البدايه لكنه سحب تأييده فيما بعد، وأعلن مقاطعته التامه لمشاريع السيطره البريطانيه فأبعد مع كبار العلماء إلى إيران، ولم يوافق على شروط العوده كبقية العلماء. بقى فى خراسان حتى وفاته. الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة، مرجع سابق، المجلد العاشر، ص ١٥٧. وأما السيد محمد الصدر فهو من علماء الدين والسياسه فى الكاظميه من عائله معروفه ينتهى نسبها للإمام موسى الكاظم عليه السلام. ولد فى ١٨٨٣م وتوفى فى ٣ نيسان ١٩٥٦م، واصل دراسته الدينيه بعد الكاظميه فى النجف ثم عاد إليها لمواصله أداء رسالته. نادى بالاستقلال، اشترك فى تأسيس حزب الحرس الوطنى، تولى رئاسته، حمل البندقيه إلى جانب العلماء ضد الإنكليز فى جبهات الفرات. حضر سوريا فى تشرين ١٩٢٠ والقاهره ونجد وعاد مع فيصل إلى العراق. عين عضواً بمجلس الأعيان فى ١٦ تموز ١٩٢٥م، وانتخب رئيساً له عدده مرات. أصبح رئيساً للوزراء من ٢٩ كانون الثانى ١٩٤٨ إلى ٢٦ حزيران ١٩٤٨م. بصرى، مير: أعلام السياسه فى العراق الحديث، رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن، ص ١١٠-١١٣.

الراجي عفو ربه محمد مهدي الخالصى عفى عنه

٧ ذى القعدة ١٣٣٩ هـ - - ١٣ تموز ١٩٢١م (١).

ص: ٦٠٤

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١١٠-١١١. عن جريده (العراق) فى عددها الصادر فى ١٦ تموز ١٩٢١م. وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، ج ١، ص ١٧٦. وفى الصفحه ذاتها يعلق السيد الحسنى بعد ذكر فتوى الخالصى بقوله: «يقول الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى حكمته المشهوره (ليت لى عنقاً كعنق البعير)، يريد بذلك أن يكون عنقه طويلاً. فلا تصدر من فيه كلمات مرتجله قبل أن تكون قد مرّت بمراحل التبصر والتأمل، فيندم على صدورها. فقد لزم بيعه الإمام الخالصى مقلديه كافه، من المسلمين الأثنى عشرية، بمثل بيعته، فهل تحققت الشروط الوارده فى صك البيعه، على أن يكون الأمير فيصل ملكاً على العراق مقيداً بمجلس نيابى منقطعاً عن سلطه الغير؟». بينما يذكر الشيخ محمد نجل الإمام الخالصى فى معرض تبيان ظروف الفتوى الإيجابيه لفيصل، الذى هو شخصياً - الابن محمد - كان يخالف العلاقه الوديه بين فيصل وأبيه، فيقول: «.. زار [فيصل] والدى مراراً فى مدرستنا فى الكاظميه، بزى عرب الحجاز، يحمل قطعه من ستار الكعبه مكتوباً عليها آيه الكرسي بالذهب، مظهرًا إنه لا غايه له إلا نشر تعاليم القرآن وتأييد الكعبه وتخليص البلاد الإسلاميه من تسلط الأجانب، وأهدى تلك القطعه إلى أبى، وخلا به فى إحدى زياراته له، وأظهر إنه إنما جاء للعراق لينقذه من الإنكليز، وإن عمله لا يتم إلا بموافقه أبى، وبيعه له، فإن بايع، وإلا اضطر فيصل إلى الرجوع من حيث أتى.. فأحضر القرآن الكريم بينهما تيمناً وتبركاً، وبايع فيصل أبى على أن يطيع أوامره فى إنقاذ العراقيين من الإنكليز، وتحصيل الاستقلال التام الناجز، الذى لا تشوبه أى شائبه، مهما كان اسمها ورسومها، وإذا لم يستطع ذلك فارق العراق لأول إشاره تصدر من أبى، وترك العراقيين وشأنهم..». وحين مناقشه الشيخ محمد (الابن) مع والده حول شكوكه بفيصل، وإنه صنيعه الإنكليز، أجابه والده «..يجوز أن يكون الإنكليز قد اتخذوا آل الشريف لمصالحهم فيجعل الله فى آل الشريف أنصاراً للمسلمين أعداءً للإنكليز، ثم يضيف تكمله قول والده له، [أتحسب أنك تعلم ما لم أعلم أنا؟ إن فيصلاً فوق ما ذكرت ولكنى خشيت أن يبايعه الناس بيعه مجمله ولا قوه لنا على طرده، فيذهب حق العراقيين بامضائهم صك العبوديه جهلاً ولو باسم فيصل..». الوردى: المرجع السابق، ص ١٠٨-١٠٩، نقلاً عن مذكرات الشيخ محمد نجل الخالصى (المخطوطه).

والذى يمكن قوله - بروح إيجابيه هادئه - حول هذا التنوع فى المواقف والأدوار، إن حلحلةً سياسيه أصابت الساحة الإسلاميه العراقيه - لا سيما لدى الشيعة - وكان بالإمكان ممارسه دور ذكى من خلال الموقفين السياسيين المتضادين لدى العلماء والقاده الدينين باتجاه ترشيح فيصل، لىتم الضغط المؤثر على فيصل ومن يقف وراءه، من الجانبين، بهدف إصلاح الوضع السياسى خدمه للعباد والبلاد، وذلك عبر المحافظه على مواقع القوه فى الصراع السياسى، من دون ضعف أو تقهقر فى ساحه المواجهه السياسيه. ولكن هذه التكامليه فى العمل السياسى بين الموقفين لم تحصل، والأدهى من ذلك ابتلاء بعض القاده بالبساطه والطيب المفرطين فى التعامل السياسى، مع وجهٍ لئِن يُظهر الصدق فى لسانه والتقوى فى ظاهره، لكنه يحمل فى داخله قلب الثعلب الماكر، يقول محمد الخالصى: «وكان فيصل أقدر إنسانٍ وجدناه، على التزوير والخداع» (1). ولصفته هذه تم اختياره ليكون الواجهه لذئاب السياسيه أى القرصنه الدوليه، فإنهم يتعاملون مع البسيط الطيب باعتباره الحمل الوديع، فهو أفضل فريسه تقع بين مخالبيهم وأنيابهم، وقد يضحكون إلى حد الاستلقاء على الأرض من طيننا وبساطتنا، وحقاً من البساطه بمكان، أن يسعى أحد لتحقيق الاستقلال التام عن طريق التعاون مع فيصل. فقد كانت اللعبه السياسيه أكبر بكثير من هذا التصور الساذج. لأن مبايعته تقتضى الاستسلام للإراداه البريطانيه، التى تريد فرض فيصل على العراقيين.

ولعل أصحاب الاتجاه المؤيد لفيصل، أدركوا أن تنصيب فيصل ملكاً على العراق، أمر مفروض لا مفر منه، وعليه - طبقاً لهذا الرأى - من الأولى الانحاء أمام العاصفه البريطانيه. ولا يتحقق ذلك إلا بالمبايعه المقيدة بشروط محدده، وفى حاله إخلاله بها تسقط البيعه الملزمه من أعناق الناس. يقول الإمام الخالصى مدافعاً عن رأيه: «..ولكنى خشيت أن يبايعه الناس بيعه مجمله، ولا قوه لنا على طرده، فيذهب حق

ص: ٦٠٥

١- (١) الخالصى، محمد مهدي: فى سبيل الله (كتاب مخطوط) ص ٣٦٥-٣٦٦.

العراقيين بامضائهم صك العبوديه جهلاً ولو باسم فيصل..» (١).

وعلى ما تقدم، لقد كان فيصل معروفاً لدى أقطاب المعارضه، بأنه مرشح الإنكليز، إلا أن أحد القاده يأتي منفرداً ويستخدم تكتيكاً سياسياً معه، يتوقع من خلال تكتيكه أن يربح الجوله ضد الإنكليز!، هنا بالتحديد تكمن السداجه فى العمل السياسى، وبالفعل لقد خسر التاكتيك والاستراتيجيه فيما بعد. يقول محمد مهدي البصير: «سأل بلفور - حاكم بغداد العسكرى - السيدى بن جعفر أبو التمن وعبد الرحمن الحيدرى، من اخترتم، فردّ عليه الحيدرى بقوله: اخترنا حليفكم» (٢).

وهناك فكره يمكن أن نقدمها - أيضاً - فى اتجاه التحليل لظاهره الاختلاف فى الموقف السياسى، وهى أن العمل الجهادى والثورى - عادةً - يفرض تنسيقاً فى حدود معينه فى الجهود، ويدفع نحو رصّ الصفوف ضد العدو المشترك والهدف الموحد، فلا يبرز موقف معاكس للموقف العام فى ظروف المقاومه والتضحيه إلا نادراً. وإن كانت بذور الاختلاف موجوده فى الأوساط الحركيه، إلا أنها لا تجد المناخ المناسب لنموها وبروزها فى الساحه السياسيه والدينيه، وبالذات لدى القيادات الواعيه، ولكن فى العمل السياسى وما يرافقه من الظهور فى وسائل الإعلام، والحصول على الإمكانيات الماليه والمواقع السياسيه والوطنيه، ضمن هذه المؤثرات، - عادةً - تبرز القناعات المتضاربه، وعندها تُسكب العبرات، وكلُّ يحتمل وجهه نظره استحقاقات المرحله، ويقدم مسوّغات خاصه لتدعيم رأيه، وهذا المطبّ الخطير هو الذى أضعف الموقف الوطنى فى المعارضه السياسيه فى المرحله الحرجه، و«ذلك لأن تأييد أحد الاتجاهين لفيصل، والركون إلى سياسته، شلّ من فاعليه المعارضه للإنتداب والحكومه، وسهّل بالتالى لكثير من قيادات المعارضه الدينيه والسياسيه، لاسيما رؤساء العشائر، الانتقال إلى جانب الحكومه

ص: ٦٠٤

١- (١) الخالصى، محمد مهدي: فى سبيل الله (مذكرات) ص ٣٦٥-٣٦٦.

٢- (٢) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، ج ١، مصدر سابق، ص ٨٦.

مع العلم أن الرأي المعارض لفیصل كانت له قاعده شعبيه أوسع من الرأي المؤيد له، ضمن أوساط الإسلاميين. وفي نهايه المطاف تراجع الخط المؤيد لفیصل عن تأييده بعد أن اكتشف بوضوح أن تنصيبه كان ضمن اللعبة السياسيه البريطانيه، التي حيكّت فصولها في لندن والقاهره.

وهكذا تراجع الإمام الخالصى عن موقفه، فخلع بيعه الملك حينما أعلن في مدرسته (جامعه العلم) في الكاظميه ذلك بقوله: «لقد بايعنا فيصلاً ليكون ملكاً على العراق بشروط، وقد أخلّ بتلك الشروط فلم يعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي أيه بيعه»، كما وأصدر الإمام الخالصى فتوى لحرمة الدخول في الأجهزه الإداريه التابعه للدوله، لأنه نوع من التعاون مع الكافرين، وذلك في الشهر الأول من عام ١٩٢١. عندما فتحت الحكومه أبوابها للوظائف الإداريه (٢)، يقول النفيسى: «لقد أدرك زعماء الشيعة وقادتها إدراكاً تاماً أن الملك فيصل إنما يمثل استمرار الوجود البريطاني في العراق» (٣).

وانعكس الموقف السلبي اتجاه فيصل على الساحة الاجتماعيه العامه، حتى أنه شمل المخدوعين بأساليبه، ظهر ذلك جلياً بعد خطبه الملك يوم التتويج - كما أشرنا لها آنفاً - ولسان حال الناس عبّر عنه السيد حسين الصدر بقوله: «إن فيصلاً رجل رفيع النسب، سامى الخلق، إلا- أنه أفسدته علاقته مع البريطانيين، وارتباطه بهم. حيث أشار في خطبته إلى ثقته بالحكومه البريطانيه، وهذه هي الحجه القاطعه والدليل الصارخ على بريطانيته» (٤).

ص: ٦٠٧

١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ٢٤٣.

٢- (٢) الوردى، على: لمحات اجتماعيه في تاريخ العراق الحديث. مرجع سابق، ص ٢٠٤.

٣- (٣) النفيسى، عبد الله: دور الشيعة.. مرجع سابق، ص ١٧٨.

٤- (٤) النفيسى، المرجع ذاته، ص ٢٠١.

كما وظهرت المعارضة على الساحه بعده مظاهر إعلاميه وثقافيه، وخاصه فى بغداد والمدن المقدسه، فمثلاً فى الكاظميه، دُعى الملك فيصل من قبل السيد محمد الصدر فى ٢٥ آب ١٩٢١م، ٢٠ ذى الحجه ١٣٣٩هـ-. وقد أقيمت له حفله عامه، استغل الإسلاميون هذه الفرصه لإظهار مواقفهم السياسيه أمام الملك، ولتحصين التيار الإسلامى العام من محاولات الملك فى استدراج الناس وخداعهم. وبالفعل القيت فى الاحتفال كلمات حماسيه، وقصائد شعريه، وكانت الإثارة الصريحه فى قصيده رشيد الهاشمى التائيه التى قال فيها مخاطباً الملك:

يا لابس التاج فى بغداد هُنيتا به إذا كُنْتَ لاستقلاله جيتا

يا قائد الشعب لا تُفسد قيادته ولا يرى لك حبل العهد مَبتوتا (١)

وهكذا شكل تراجع الإمام الخالصى عن خطوته المؤيده لفيصل، منعطفًا جديدًا نحو توحيد الساحه الإسلاميه، عبر توحيد فتاوى القيادات الدينيه. وبناءً على ذلك انطلقت المعارضة الإسلاميه فى عملها السياسى، رافعه شعاراتها وأهدافها التى تجسد طموحات الشعب المسلم، وكانت أول مبادره عكست وحده الموقف لدى قيادات المعارضة الإسلاميه، الاتفاق على انعقاد مؤتمر كربلاء، الذى نعتبره مفصلاً تاريخياً مهماً فى تلك الأحداث. وبالفعل توحد مسار الإسلاميين فى طريق المعارضة، كما وسنلاحظ المواقف الإسلاميه الموحده ضد المعاهده البريطانيه - العراقيه والمجلس التأسيسى - أيضاً.

ص: ٦٠٨

١- (١) الجبورى، عبد الله: ديوان رشيد الهاشمى، طبع بغداد ١٩٦٤، ص ٦٩-٧٠.

لقد عقد ما بين (١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠هـ، -٨-١٣ نيسان ١٩٢٢م) مؤتمر كربلاء، وذلك حينما بلغت التراكمات السلبيه ضد سلطات الاحتلال والملك أوجها، وقد اتضح فشل الملك في إيجاد مظهر شرعيه واقيه لسلطته، من علماء المسلمين وعموم المعارضه الوطنيه، لذلك انحصر الخيار البريطاني بافتعال قضيه هجوم قوه من الوهابيين التابعين لابن سعود على عشائر العراق، ففي ١١ آذار ١٩٢٢م الموافق ١٣ رجب ١٣٤٠هـ، أي بعد سبعة أشهر تقريباً من تتويج فيصل، أغارت قوه كبيره بقياده فيصل الدويش على عشائر المنتفك وكان هجوماً واسعاً أوقع خسائر كبيره في الأرواح والمعدات (١). وكان لواء الهجانه في بدايه تشكيله قد وقع ضحيه الهجوم المباغت أيضاً، وجاءت الخسائر بالشكل التالي:

٦٩٤ إنساناً، ١٣٠ خيلاً، ٢٥٣٠ جملاً، ٣٨١١ حماراً، ٤٣٠١٠ رأس غنم، ٧٨١ بيت شَعْر، وأعلن فيصل الدويش إن حدود نجد هي خط سكه حديد البصره - الناصريه (٢).

ص: ٦٠٩

١- (١) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٧٥.

٢- (٢) الدراجي، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن، مرجع سابق، ص ١٥٣-١٥٤.

إن هذه الحادثة المروعة أحدثت رده فعل شديده في الأوساط العراقيه، خصوصاً حينما لوحظ أن الموقف الرسمي للحكومہ لم يتناسب مع حجم الكارثة، وقد وجهت القيادة الدينيه والمعارضه السياسيه اتهامها إلى الإنكليز في هذه العمليات الهجوميه.

ويبدو أن الإنكليز أرادوا بهذا التحريك العسكري لابن سعود ضرب عصفورين بحجر واحد - كما يقال - وذلك لإرباك التحرك الإسلامي وخاصة الحركة الجهاديه المتناميه في وسط وجنوب العراق، عبر إيجاد نقله نوعيه في شعور العراقيين نحو العدو المتربص بالعراق ووحدته وخيراته، ومما لا يخفى أن هذه الحاله تفرض تفاعلات معينه في الساحه، ومن الطبيعي أن تتجمد - مرحلياً - شعارات ونشاطات المعارضه للانشغال بالعدوان على الوطن من قبل عصابه الوهابيين، الذين ينطلقون من مبدأ تكفير الآخرين خصوصاً الشيعه، فأستخدمتهم قوى الاستعمار ليعيثوا في البلاد فساداً ودماراً، بالعنف والقتل والسلب بحق المؤمنين الآمنين في ديارهم، فالتكفيريون كانوا ولا زالوا ينطلقون من أفكارهم الهدّامه، هدفهم تفريق وحده المسلمين وتمزيق تماسكهم، وذلك عبر إثارة الفتنة الطائفيه بين السنه والشيعه، خدمه للمصالح الاستعماريه، فعملهم الإرهابي العدواني على مدن وعشائر شيعه العراق تمّ بتدبير الإنكليز، وبالتالي أدى إلى تكريس مسأله ضروره وأهميه الاحتفاظ بالقوات البريطانيه في العراق لصد العدوان عن الوطن وأهله. هذا من ناحيه، ومن ناحيه أخرى، كان هذا العمل الإرهابي بمثابة رساله شديده اللهجه إلى الملك، ليسير بانضباط تام تحت المظله البريطانيه، وعليه لا يمكن أن «نسى ما كان بين العائلتين الهاشميه والسعوديه، من عدااء قديم، وعندما حدثت غاره (الأخوان) تألم الملك فيصل منها ألماً شديداً، وقد زاد في ألمه ما وجد لدى (كوكس) من فتور وتردد في اتخاذ التدابير الرادعه ضد الأخوان»^(١)، «وكانت خطه الإنكليز أن يسعوا بعد الحادث إلى القيام بدور الحَكَم المصلح وتنظيم

ص: ٦١٠

معاهده بين الطرفين، وبذلك يصبح الإنكليز أبطال التحرير والسلام في نظر الشعب وعندها يمرّ صك الانتداب بسلام» (١).

إلا أنه، قد انقلب السحر على الساحر، وكشفت الدسيسه البريطانيه من قبل الشعب، ولم تحقق - هذه الخطة - أيّاً من الهدفين، وقد فكّر الملك بمؤازره العشائر وتسليحهم لصد الحملات العدوانيه إن حدثت في المستقبل، وهذا الأمر أي التسليح الشعبى سوف يمنح الثوره فرصه جديده للانفجار ضد المحتلين في يومٍ ما، إلا أن سلطات الاحتلال أدركت خطوره الموقف فطأطأت برأسها أمام العواصف، وقد تراجع الملك عن فكرته.

أما الذى حدث رسمياً هو ما قرره مجلس الوزراء في جلسته المنعقده في ١٦ آذار ١٩٢٢م، ١٨ رجب ١٣٤٠هـ - بتحويل محافظ المنتفك (الناصرية) في تقدير الخسائر وتسديدها للمتضررين من الحوادث، وفي جلسته المنعقده في ١٨ آذار قرر المجلس إرسال لجنه للوقوف على أسباب الحادثه، وتفصيلاتها وأسبابها، ومن ثم تقدير الخسائر وما يلزم من المعونات للأهالى. وبالفعل قدمت اللجنه تقريرها إلى مجلس الوزراء في ٢٧ آذار، بعد جولتها الميدانيه، وقد أرفقت تقريرها بعده توصيات خاصه، لتفادى أمثال هذه العمليات الهجوميه في المستقبل (٢).

ولقد كان الملك فيصل منذ تنويجه في ٢٣ آب ١٩٢١م، ١٨ ذى الحجه ١٣٣٩هـ، يعيش حاله من التجاذب بين المندوب السامى وبين أوساط المعارضه

ص: ٦١١

- ١- (١) محمد كاظم: عباس: مرجع سابق، ص ٣٨٥. والحال إن الحدود العراقيه - النجديه، لم تكن واضحه - آنذاك - ففي حاله التحشيد في شباط ١٩٢٢ حذر محافظ المنتفك وزير الداخليه من هذه التطورات، وطالب بالتدخل لعرقله الهجوم، - ولكن من دون جدوى - شبر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٦٣.
- ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٠-٣١. وتجد فيه خلاصه للتقرير المطول الذى قدمته اللجنه.

الإسلاميه. وكان - كما يبدو لنا - يريد أن يمسك العصا من الوسط بشكلٍ متوازن، ليضمن دعم بريطانيا لعرشه من ناحيه، ولكي لا- يثير المعارضه الإسلاميه ضده من ناحيه أخرى. فكأنه يحاول أن يسير في حقلٍ مزورع بالألغام، بشكلٍ حذر. وكانت حالته القلقه تظهر في أحاديثه وخطاباته، وإن كان أمره واضحاً لدى القيادات الإسلاميه إلا أن محاولاته التقريبية لا تخلو من تأييد شعبي معين، وأحياناً كانت تخدمه حاله الحماس الشخصى فيقف إلى جانب مطالب الشعب بالدفاع، فمثلاً في مسأله الاعتداء على عشائر العراق من قبل آل سعود، يذكر أن الملك كان متحمساً لمعالجتها، إلا أنه اكتشف - فيما بعد - بأن الخطه كانت مدبره (١).

وفي المجلس انقسم الوزراء على أنفسهم أثناء مناقشه تقرير اللجنة، فخلقت أزمة وزارية - في حينها- (٢). وقد انعكست هذه المشاده من داخل مجلس الوزراء إلى أجواء الرأى العام والصحف المحليه (٣). إلا أن الطريقه الدبلوماسيه الهادئه التي سلكتها الحكومه لحلحله أزمة الاعتداءات الخارجيه على عشائر العراق، كرس قناعه القياده الإسلاميه، بأنها من تدبير السياسه البريطانيه، وذلك لتشكيل ضغطاً فعلياً على الوطنيين في العراق لا سيما في أوساط التيار الإسلامى الثورى، من خلال إثبات عجزهم عن ردّ تلك الاعتداءات، ومن ثمّ لبلوره الفكره القائله، إن الدفاع عن البلاد مهمه كبيره، لا يمكن احرازها إلا بالاعتماد على بريطانيا عسكرياً ودبلوماسياً. حيث كان من أهدافهم المهمه «إقناع العراقيين بضروره بقاء الحمايه البريطانيه، والوجود العسكرى في

ص: ٦١٢

١- (١) محمد كاظم، عباس: ثوره الخامس عشر من شعبان، مرجع سابق، ص ٣٨٥.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: المرجع ذاته، ج ١، ص ٣١-٣٤. وكذلك، الوردى، د. على: مرجع سابق، ص ١٣٤-١٤٠ تحت عنوان (أزمه وزارية).

٣- (٣) راجع افتتاحيه جريده (الاستقلال) فى عددها الصادر فى ٣٠ آذار ١٩٢٢، بعنوان (الدفاع! الدفاع) وافتتاحيه جريده (العراق) فى عددها الصادر فى ٣٠ آذار ١٩٢٢، بعنوان (حول اعتداء الأخوان على عشائر المنتفك).

العراق، لأنه من دون ذلك، فإن العراق عاجز عن أن يقف على رجليه أمام المخاطر» (١)، ومما لا يخفى أن معارضة فكره ضروره الاعتماد على بريطانيا بصوره عمليه، قد كلفت الإسلاميين كثيراً من الجهود والطاقات، وذلك لوجود شخصيات عشائريه مهمه عقدت مصيرها بتحالفها المستميت مع بريطانيا وسلطه الاحتلال مباشره أمثال: الشيخ فهد بن هذال، وغيره (٢).

ص: ٦١٣

١- (١) ضياء الدين، خالد: العراق من الانتداب حتى الاستقلال الرسمي، مقال في مجله البصائر، العدد ٣، السنه الثانيه، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٢٤٠.

٢- (٢) تذكر ألمس بيل، ان شخصيات عشائريه أودعت بريطانيا ثقه كبيرى، فوقفوا ضد التوجه العام للمعارضه الإسلاميه وبالذات العلماء الكبار، فمثلاً- تصف ابن هذال بقولها: إنه «حليفنا المقدم فهد بك». بيل، المس: فصول من تاريخ العراق القريب ص ٤٠٩. وفي هامش الصفحه تذكر حينما كلفه عبد الرحمن النقيب رئيس الوزاره بمهمه لدى شيوخ الفرات الأوسط فلم يمثّل حتى أعلم (المس بيل) (والمستر فيلى) وقال لهما: إنه لا يعرف من هى الحكومه العرييه وإنما يعرف (كوكس) وحده، لذلك يلتمس رضاه. وتذكر أيضاً: إنه حضر يوماً مع شيوخ الدليم للسلام على الملك فيصل الأول عند أول زياره له للرمادى وكانت (المس بيل) حاضره وحينما تكلم فيصل ناصحاً المشايخ بالالتفاف حول الحكومه العراقيه الجديده أجابه فهد: نحن معك طالما كنت مع الإنكليز. المصدر ذاته، ص ٤٠٩ بالهامش.

إن تطور الأحداث في الساحه، مع ما رافقها من تطور في أساليب السلطه، بهدف تهميش الإسلاميين وإظهار ضعفهم، بل لدفعهم خارج إطار حلبة الصراع السياسى، كل ذلك أيقظ الشعور الجهادى فى الأمه، وعلى رأسها علماء الدين الإسلامى، لذلك قرر الإسلاميون التصدى وشحذ الهمم الشعبيه للوقوف أمام تلك الاعتداءات التى هتكت حُرَمات الشعب المسلم فى وطنه. وبالفعل عقدت عدّه اجتماعات تداوليه، بين علماء النجف وعلى رأسهم السيد أبو الحسن الاصفهانى، - المرجع الأعلى - والميرزا حسين النائينى - أحد كبار الفقهاء -، قرروا عقد مؤتمر فى كربلاء، يحضره كبار العلماء، ورؤساء العشائر، ووجهاء المدن، لمناقشه الأمور المستجدّه، واتخاذ ما يلزم شرعاً باتجاهها. وبالفعل - مره أخرى - يجتمع العلماء الكبار، وقد ردمت الهوه السابقه فيما بينهم، وتوحدت وجهات نظر الإسلاميين والسياسيين الوطنيين، وتكرست هذه الوحده - ميدانياً - عبر التعاطى المباشر وغير المباشر مع موقف الحكومه والملك إثر هذه الأزمه. وبالفعل بعث السيد أبو الحسن الاصفهانى، والشيخ محمد حسين النائينى برقيه إلى الشيخ مهدي الخالصى فى الكاظميه لشد الأزر والتوجه بكامل الثقه لغرض إنجاح مؤتمر كربلاء، هذانصها:

جناب حجه الإسلام محمد مهدي الخالصى - دامت بركاتة-

إنه لا- ينبغي الاتكال على وعود السلطه البريطانيه فى دفع شر الخوارج الإيخوان عن المسلمين فبناء عليه نأمل حضوركم فى كربلاء قبل الزياره بأيام [زياره الإمام الحسينعليه السلام المخصوصه ليله النصف من شعبان]، وتأمرون رؤساء العشائر كالسيد نور (الياسرى)، وأمير ربيعه، وسائر الرؤساء بعد إبلاغهم سلامنا بالحضور كما أننا نحضر مع من فى طرفنا من الرؤساء لأجل المذاكره فى شأنهم، إن شاء الله تعالى.

ختم أبو الحسن الاصفهانى والشيخ محمد حسين الغروى النائينى» (١).

وقد استجاب الشيخ الخالصى لهذا الطلب، فبعث حوالى مائه وخمسين برقيه إلى رؤساء العشائر والشخصيات السياسيه يحثهم على الحضور فى المؤتمر، بالنص التالى:

«بمناسبه تجاوز الأخوان على حدود العراق، تقرر أن يحضر العلماء وجميع رؤساء القبائل فى اليوم العاشر من شهر شعبان المعظم فيلزم حضوركم فى اليوم المذكور إلى كربلاء» (٢).

ومما يذكر هنا إن الحكومه تدخلت لعرقله وصول البرقيات عبر دوائر البرق، إلا أن جديه الشيخ وطريقته الخاصه فى توصيلها، باعتماده على البريد الشخصى -يداً بيد - أجبرت الحكومه على التراجع عن قرار المنع، وبالتالي سمحت بإرسال البرقيات (٣).

وكان موعد انعقاد المؤتمر هو فى ١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠هـ- الموافق ٨-١٣ نيسان ١٩٢٢م لذلك تشكلت لجنه لإداره المؤتمر فى أوائل نيسان ١٩٢٢م، برئاسة الشيخ الخالصى وعضويه السيد نور الياسرى، والشيخ كاظم أبو التمن، والسيد كاطع العوآدى، والسيد علوان الياسرى، والشيخ محمد باقر الشيبى، والحاج عبد الحسن

ص:٦١٥

١- (١) البصير، محمد مهدي، تاريخ القضيهِ العراقيه، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩١-٣٩٢.

٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج ٦، ص ١٤١.

٣- (٣) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦.

الجلبي. وقد اجتمعت اللجنة واتفقت على وضع منهاج من ثلاث عشره ماده، طبعت في بغداد وأهم ما ورد في المنهاج تشكيل أربع لجان فرعيه هي:

«اللجنة الأولى: تؤولف من محمد الخالصي [الابن] وعبد الحسين الجلبي وأبو طالب الاصفهاني، ومهمتها بث النصح في وجوب المحافظه على الراحة التامه والسكينه في الاجتماعات..

اللجنة الثانيه: تؤولف من السيد صادق الاسترابادي، وحمدي الباججي، وعبد الرسول كبه، وإدريس الكاظمي، وعبد الهادي الجلبي، ويكون كاظم أبو التمن المسؤول عنها والموكل بإداره شؤونها، ومهمتها إعداد العده لسفر الشيخ مهدي الخالصي ومن معه من أهالي الكاظميه وبغداد إلى الحله فكريلاء.

اللجنة الثالثه: تؤولف في كربلاء من محمد حسن أبو المحاسن. وعيسى البزاز، وخلييل الاسترابادي، وهاشم شاه، ومحمد الكشميري، ومحمد رضا نصر الله، وعمر العلوان، وعبد الكريم العواد. ومهمتها تنظيم الاجتماعات في كربلاء.

اللجنة الرابعه: تؤولف من رؤساء وخدم العتبات المقدسه في كربلاء، ومهمتها التعرف على القادمين وتعيين محل سكنهم وتمهيد طريق إيصالهم إلى الاجتماعات» (١).

وقد قررت اللجنة في اجتماعها، موعد الانطلاق إلى كربلاء يوم التاسع من شهر شعبان ١٣٤٠هـ، ٧ نيسان ١٩٢٢م. كما وحدد المجتمعون - أعضاء اللجنة - برنامج المؤتمر وهدفه الأساس (٢)، الذي يدور حول الاعتداءات الأخيره على عشائر العراق، وأكدوا على أن قرارات المؤتمر تعتبر نافذه على المسلمين بعد إمضاء المرجعيه الدينيه العليا عليها. ثم آتفقوا على أن يكون مكان انعقاد المؤتمر في دار الإمام الشيرازي الراحل، وأشاروا أيضاً إلى أن المؤتمر يؤيد سياسه فيصل في صد العدوان. ولقد

ص: ٦١٤

١- (١) الوردى، المرجع السابق، ج ٦، ص ١٤٢.

٢- (٢) راجع التميمي، د. خالد: مرجع سابق، ص ١٣٨-١٥٠، «غارات الوهابيه ومؤتمر كربلاء».

استجابات الشخصيات الدينية والعشائريه عموماً وأعيان المدن والوجهاء من مختلف مناطق العراق للدعوه والحضور، إلا أن قبائل الدليم أبرقت بعدم حضورها للمؤتمر، لأنها تعتبر هذه الأمور من اختصاص الحكومه [!](١).

ويذكر الحسنى بأن الشيخ الخالصى حينما وصل إلى بغداد استقبل استقبالاً حافلاً وانضم إلى موكبه عدد كبير من البغداديين، وقد ضجت كربلاء بالحشود المتجمهره، والتي قدرت بنحو مائتى ألف شخص (٢)، وقد نزل الإمام الخالصى بعد زيارته للإمام الحسين والعباس (عليهما السلام)، فى دار الإمام الشيرازى - القائد الراحل (٣).

وحضر المؤتمر رؤساء القبائل وعلماء الدين السُّنه والشيعة، كما وأصدر عدد من علماء المسلمين السنه بيانات وفتاوى تؤيد المؤتمر وتستنكر اعتداء الوهابيين على المسلمين. وهكذا تحققت الوحده الإسلاميه من خلال مؤتمر كربلاء، وقد تفاعل علماء السنه مع هذا الحدث بشكلٍ جدّى، ففى بغداد اجتمع عدد منهم فى تكيه الخالديه لبحث هجوم الإخوان والموقف المطلوب وذلك فى ٥ نيسان ١٩٢٢م. الموافق ٨ شعبان ١٣٤٠هـ - وكان الشيخ عبد الوهاب النائب هو المتحدث فى الاجتماع. وبعد التداول استقر رأى المجتمعين على انتخاب وفد إسلامى للمشاركة فى مؤتمر كربلاء، فتم اختيار الشيخ النائب رئيساً للوفد، وأحمد الشيخ داود، وإبراهيم الراوى، وعبد الجليل الجميل، بصفه أعضاء، كما وأصدروا الفتوى التاليه بناءً على الاستجواب الذى قدّم إليهم على الشكل التالي: «ما قول علماء المسلمين الأعلام فيمن يدعى الإسلام ويحكم بشرك من خالف معتقدهم من جماعات المسلمين مستحلين قتالهم ودماءهم وأموالهم وسبى ذراريتهم بغير سبب، وقد هجموا على بلاد المسلمين غداً وبداءً، فهل يجب قتالهم ودفاعهم أم لا؟ أفتونا مأجورين: الجواب والله

ص: ٦١٧

١- (١) الدرارجى، عبد الرزاق أحمد: مرجع سابق، ص ١٦١.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦.

٣- (٣) الوردى، المرجع السابق، ص ١٤٣، نقلاً عن جريده (الرافدين) عددها فى ١٢ نيسان ١٩٢٢م.

تعالى أعلم: نعم، يجب قتالهم والحاله هذه». وقد وقّع عليها عدد كبير من العلماء منهم، عبد الوهاب النائب، وعبد الملك الشواف، وإبراهيم الراوى، وخضر القاضى، ومنير القاضى، ونعمان الأعظمى، وبهاء الدين النقشبندى وغيرهم (١).

وهكذا، وصل وفد علماء المسلمين السنه من بغداد إلى كربلاء فى ١٠ نيسان، ووصل أيضاً من الموصل وفد علماء المسلمين السنه فى مساء ١٠ نيسان مؤلف من: مولود مخلص، وسعيد الحاج ثابت، وأيوب عبد الواحد، وعبد الله النعمه، وثابت عبد النور، وعبد الله آل رئيس العلماء، وعجيل الياور، ومحمد آغا رئيس الكركريه. ووصلت برقيه للشيخ الخالصى من أهالى تكريت وشرقاط يؤيدون المساعى التحرريه وقد انتدبوا مولد مخلص ليمثلهم فى المؤتمر وإنهم قيد التنفيذ لقرارات المؤتمر (٢).

وكان الشيخ الخالصى قد وجه دعوه إلى الملك فيصل للحضور وترؤس المؤتمر (٣)، وقد استجاب لذلك فى البدايه على أن يحضر يوم ١٤ شعبان، إلا أن المندوب السامى عرقل حضوره (٤)، خشيه الضغط المتزايد على فيصل وبالتالي إجباره بتأييد طلب الاستقلال التام للعراق من بريطانيا، وقد انتدبت الحكومه وزير الداخليه توفيق الخالدى ليحضر المؤتمر، مزوداً بأوامر مشدده بالالتزام بمنهج الخالصى المعلن فحسب، وذلك «ليراقب المؤتمر عن كثب، ويوافق البلاط الملكى بكل ما يدور فيه» (٥). هذا، وقد بعثت الحكومه قوه عسكريه إلى كربلاء لمراقبه الأحداث تحسباً للتطورات المفاجئه تحت غطاء المحافظه على الأمن، وهى قوه مؤلفه من ٢٠٠ جندي مشاه و ٥٠ من الخياله بقياده محى الدين السهروردى، وكانت التفاته الشيخ محمد الخالصى ذكيه أمام هذا

ص: ٦١٨

١- (١) جريده الاستقلال، عددها فى ٦ نيسان ١٩٢٢م.

٢- (٢) للتفاصيل راجع: الوردى: المرجع ذاته، ص ١٤٤-١٤٦، تحت عنوان (مشاركه أهل السنه).

٣- (٣) الرهيمى، عبد الحليم: تاريخ الحركه الإسلاميه، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

٤- (٤) الوردى، المرجع السابق، ج ٦، ص ١٤٦، عن دائره الوثائق العامه بلندن رقم: (N,O,٧٧٧٠-٣٧١٠).

٥- (٥) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ص ٣٦.

الإجراء الحكومي، فقد زار الجنود في مقرهم بصحبه محمد حسن أبو المحاسن وألقى عليهم كلمة حذّر من خلالها استجابتهم للإنكليز في رمى إخوانهم المسلمين المجتمعين لمصلحه البلد والشعب، وقد أيد أحد الضباط كلام الشيخ مؤكداً له، لو نشبت الحرب فالجيش معكم ضد الإنكليز (١).

ضمن هذه الأجواء المتوتره ازداد الحماس الشعبى، فعقد المؤتمر في أول جلسته له في دار الإمام الشيرازى وذلك في اليوم الحادى عشر من شعبان ١٣٤٠هـ- الموافق ٩ نيسان ١٩٢٢م، ثم استمر في عقد الاجتماعات في أماكن مختلفه (٢). وكان في مقدمه الحضور المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الاصفهاني والشيخ مهدي الخالصي، ولم يحضر الميرزا النائيني ولعله كان يحمل منهجاً للمؤتمر يختلف عن منهج الإمام الخالصي، ولكنه ما كان يرى الظروف المحيطه تناسب طرحه، ولعله - أيضاً كما يبدو - قد توفرت لديه معلومات صحيحة باختراق المؤتمر من قبل السلطه، مما يجعل عمليه قطف الثمار المرجوه من انعقاده صعبه المنال، وقد ذكر الشيخ محمد الخالصي في مذكراته المخطوطه بأن الميرزا النائيني «امتنع من الحضور معتذراً بأنه بلغه إننا ربّنا منهجاً لهذا الاجتماع» (٣).

ويذكر - أيضاً - أن توفيق الخالدي كان في مقدمه المجتمعين باعتباره ممثلاً للملك فيصل، مع كبار المدعّوين، وبعد لقاءات أوليه وجلسات مكثفه بين علماء الدين ورؤساء العشائر ووجهاء المدن والسياسيين، عقد المؤتمر اجتماعهم الأخير في صحن الإمام الحسين عليه السلام في اليوم الخامس عشر من شهر شعبان ١٣٤٠هـ- الموافق ١٣ نيسان ١٩٢٢م، وخطب الحاج محمد جعفر أبو التمن خطبه وضح من خلالها أهداف المؤتمر وضرورته وما توصل إليه من قرارات.

ص: ٦١٩

١- (١) الوردى، المرجع السابق، ج ٦، ص ١٤٧. نقلاً عن مذكرات الشيخ محمد نجل الإمام الخالصي.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ص ٣٦.

٣- (٣) الوردى: المرجع السابق، ص ١٤٣. عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي.

أصدر المؤتمر بيانهم الختامي (١)، هذانصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتى

نحن الموقعين أدناه: سادات وزعماء وأشرف مدن العراق، أصاله عن أنفسنا وو كاله عن منيينا، تلبيه لدعوه حجج الإسلام دامت بركاتهم، الذين يمثلوننا والرأى الإسلامى العام. قد حضرنا الاجتماع المنعقد بكر بلاء للنظر فى قضيه الأخوان، تلك الاجتماعات المبتدئه من عاشر شعبان والمنتھيه بالخامس عشر منه [سنه ١٣٤٠هـ-]، وبناء على ما أوقعه الخوارج الأخوان بإخواننا المسلمين من الأفعال الوحشيه، من القتل والسلب والنهب. وقد اتفقت كلمتنا بحيث لم يتخلف منا أحد عن كل ما تقتضيه مصلحه بلادنا عامه، وحفظ الأماكن المقدسه وقبور الأولياء خاصه، وسلامتها من جميع طوائر العدوان خصوصاً عاديه الأخوان، وقررنا معاونه القبائل بكل ما فى وسعنا واستطاعتنا لمدافعه الأخوان ومقاتلتهم، العائد أمر تدبيرها لإرادته صاحب الجلاله الملك فيصل الأول، الساهر على حفظ استقلالنا واستقلال بلادنا [!!]، وبناءً على تعلقنا بعرش جلالته [!] فإننا نطلب من جلالته أن يتكرم بإسعاف طلب الأمه المتعلق بإغاثة منكوبى

ص: ٦٢٠

١- (١) تم توقيعه وامضاؤه من قبل الزعماء المؤتمرين، ثم رفعوا البيان إلى الملك فيصل، وصوره عنه إلى العلماء. راجع الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦.

حوادث الإعتداء وتعويضهم عن الخساره اللاحقه بهم (١). وقد نظمنا لهذا الميثاق نسختين قدمنا أحدهما لأعتاب صاحب الجلاله، والثانيه للعلماء الإعلام، والله المستعان» (٢). (التواقيع)

وعلى ضوء ما قرّناه من أن هذا المؤتمر ببيانه الهادف يعدّ، مفصلاً تاريخياً مهماً، عن حاله ظنيه واحتماليه لدى المتصدين لأعمال المؤتمر من كبار العلماء ورؤساء العشائر، في وعيهم السياسى، هذه الحاله تقتضى استدراج الملك فيصل إلى جانب المعارضه الوطنيه فى مطالبها، ومعنى ذلك إيقاد شعله الخلاف بينه وبين أربابه الإنكليز، عبر إيقاع الخلاف أو تعميقه بين الملك وسلطه الاحتلال، وعلى رأسها المندوب السامى، يقول الشيخ محمد نجل الإمام الخالصى فى مذكراته الموسومه (فى سبيل الله): «إن الشيخ مهدي الخالصى كان يخطّط لعملٍ ضد الإنكليز على غرار ثوره العشرين، وإنه اغتتم فرصه دعوته من علماء النجف، فصمّم على جمع القبائل والعلماء فى كربلاء، وإنذار الإنكليز بإنهاء الاحتلال وترك العراق.. والظاهر أن تفكيره كان يتجه إلى توجيه الإنذار باسم الملك» (٣). وفى هذا الصدد يقول (كو كس) المندوب السامى فى

ص: ٦٢١

-
- ١- (١) مهما بررنا للمؤتمرين هذا الاعتراف الكبير للملك، فإنه أضفى شرعيه كافيه للملك كان يحلم بها، وهذا إن دل على شىء فإنه يدل على سذاجه المتصدين لأعمال المؤتمر من العلماء إلى عموم التيار الوطنى.
- ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات، المرجع ذاته، ص ٣٦-٣٧. وكذلك البصير، محمد مهدي: تاريخ القضييه العراقيه. مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٦-٣٩٧، تجد صورته عن البيان مخطوطه باليد، تتضمن تواقيع وفد أعالى دجله والوفد الموصلى بالأسماء، وذلك لدى الطريحي، الرئيس الأول الركن محمد حسن: مذكرات ضابط عراقى، تحقيق الدكتور محمد حسن الزبيدى، مجله الموسم ص ١٧٥، نقلاً عن المخطوطه الفريده، المحفوظه فى مكتبه جامعه ليدن - هولندا، رقم ٢٢.٩٤٧. وينقل الوردى فى لمحاته، المرجع السابق، ص ١٤٨، عن جريده (العراق) فى عددها الصادر بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٢٢، صورته عن مضبطه من المضابط، قريبه إلى هذه الصياغه، باختلاف بعض الألفاظ.
- ٣- (٣) الخطاب، رجاء حسنى: العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧ طبع بغداد ١٩٧٦م، ص ٢٨٠، نقلاً عن:

رسالته الخاصه التي وجهها إلى مدير مكتب الملك قبل انعقاد مؤتمر كربلاء بأسبوع، جاء فيها: «إن هدف التحركات التي تشهدها النجف، ليس للدفاع ضد الإخوان، إنما الهدف هو استدراج الملك إلى حضور الاجتماع، ومن ثم إجباره بواسطةهم لأن يطلب من الحكومه البريطانيه منح العراق استقلاله التام فوراً، وإن المؤتمرين سيحاولون الحصول على السلاح من السلطات البريطانيه لغرض الدفاع عن الحدود العراقيه ومن ثم استخدامه لغرضهم المذكور أعلاه» (١).

ومع هذه التوقعات السلبيه من قبل سلطه الاحتلال إزاء المؤتمر، إلا أن الملك أظهر ارتياحاً لبيان المؤتمر الذي تضمن اعتراف المعارضه الإسلاميه - الوطنيه بملوكيته على العراق، وكان هذا الاعتراف وبهذا الحجم الكبير، وبحضور المرجع الأعلى وكبار العلماء، يشكل قفزه نوعيه للوضع السياسى للملك شخصياً، حيث كان إقرار الإسلاميين به هاجسه المقلق منذ البدايه. لذلك أبرق إلى كربلاء - تعبيراً عن ارتياحه لنتائج المؤتمر - بالبرقيه التاليه:

«إلى حضرات حجج الإسلام الأعلام والرؤساء الكرام: لقد بلغنا ما تجلى به اجتماعكم

ص: ٦٢٢

١- (١) الخطاب، رجاء حسنى: المرجع ذاته، ص ٢٨١. هذه الرساله وثيقه محفوظه فى مكتبه (مدرسه جامعه العلم) فى الكاظميه، وهى مصوره من الوثائق البريطانيه، تتألف من خمس صفحات، أنظر: ٤, Confidentialit. The residency, Bughdad, Th April ١٩٢٢. Aletter From perey Co X to Restum. ويذكر الوردى هذه الرساله المكتوبه الصادره من (كوكس) إلى سكرتير الملك فى ٤ نيسان، بألفاظ قريبه ممّا أوردنا، ولعل الاختلاف فى الترجمه فقط. راجع الوردى: المرجع السابق، ج ٦، ص ١٥٣-١٥٤. ومن المفيد قراءه الرسائل المتبادله بين (كوكس) وفيصل من جهه، وبينهما وبين لندن من جهه أخرى، باعتبارها ملجأ الطرفين. راجع الوردى: المرجع ذاته، ص ١٥٥-١٥٦، نقلاً عن دائره الوثائق العامه بلندن رقم (١) ف. او ٣٧١٠-٧٧٧٠).

هذا التاريخي، من مظاهر الحميه الشريفه، والوطنيه الصادقه، وماآثر الحكمه والرويه، وما أظهرتموه من الإخلاص نحونا، جزاكم الله عنّا وعن الدين والوطن والأمه خير الجزاء، وأنا أبتهل إلى الباري تعالى، أن يوقفنا وإياكم لما فيه حفظ كيان الوطن المحبوب، وتعزيز كلمه الأمه وإعلاء شأنها، والله خير مجيب، والسلام عليكم أجمعين» (١).

والملاحظ على هذه الرساله التي تمتاز بالعواطف والتحيات، خاليه من موقف سياسى مباشر محدّد، وهذا ما كان يميز أحاديث الملك، فهو لم ينتقد هجوم الوهابيين ولم يرم بالمسؤوليه على الحكومه، ولا على بريطانيا، وذلك يدل على لباقة السياسيه فى إداره الأمور. هذه اللباقة (التكتيكيه) التي غالباً ما تورط صاحبها فى القرارات المصيريه والمواقف الصعبه، وذلك لأن المسأله لا تتوقف على مجرد الكلام والخطاب.

ص: ٦٢٣

١- (١) البصير، محمد مهدي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٧-٣٩٨.

في تقييمنا لمؤتمر كربلاء، يمكن القول: إنه بالفعل كان (بالون) اختباراً، يكشف عن قدرات القادة السياسيين في توحيد مواقفهم، والتنازل عن بعض الذاتيات، وذلك لمسك زمام حركة الأمة. وقد نجح علماء الإسلام في ذلك، حيث إنهم جمعوا كبار القوم، وحرّكوا مشاعر الأمة ضمن تعبئه هادفه. ومعنى ذلك أن الهزيمة العسكريه لثوره العشرين، وما تبعتها من آثار اجتماعيه وسياسيه محبطه للأمال، لم تؤثر على المسيره التحرريه للعراقيين المخلصين، لذلك عادت المعارضه الإسلاميه - مره أخرى - لتحمل رايه المقاومه والرفض لمشاريع السيطره البريطانيه، في محاوله جاده نحو تثبيت شعار الاستقلال التام عن أيه قوه أجنبيه، كهدف مقدس لجهاد الشعوب في البلدان المحتله، لا يمكن التخلي عنه رغم المتغيرات المرحليه. ومع ذلك تبقى الملاحظه الأساسيه التي تسجل على مؤتمر كربلاء، تدور حول عدم بلوره مشروع سياسى للأمه يقاوم الاحتلال، ويضع سقفاً زمنياً لخروج المحتل ونيل الاستقلال التام كمطلب وطنى عام، بالإضافة إلى ما ذكر في البيان من مسانده العشائر لمقاومه المعتدين من الخارج. وفي تقديرنا إن عدم المبادره لطرح هكذا مشروع من خلال المؤتمر يعنى إن المعارضه ضيعت على نفسها فرصه مهمه من الفرص الذهبيه في ذلك الطرف الحساس وللأسف صار سعيها في حقيقه الأمر وراء الأحداث السياسيه، في حين كان بإمكانها التخلي عن السياسه القديمه -غير النافعه - في محاوله استدراج الملك إلى جانبها، بل كان من

المفروض أن تعتمد على قدراتها الذاتية التي هي قدرات الأمة الواعية، وتصنع إنجازاً وطنياً في مشروع إنقاذ متكامل للوطن. بينما أظهرت تلك النتيجة حالة الاتكاليه لدى المعارضه وبأن ضعفها في مواجهه المشاريع البريطانيه، وبما أن الملك هو حلقة مهمه من حلقات المشروع البريطاني، فبدأ التخطيط من خلاله لتفتيت وحده المعارضه الوطنيه وتشتيت قوتها.

إن ضعف المبادرات من جانب المتصدين للمعارضه العراقيه في مجال الإداره والحكم ما بعد الثوره شجع الإنكليز في مواصله اقتحامهم للساحه عبر الإمكانيات الكبيره المتوافره لديهم، مما جعل نجاح الخيار السياسى فى الصراع ضد الإنكليز بالاتفاق مع الملك الذى أشاد به بيان مؤتمر كربلاء، صعب المنال. وقد سعت سلطه الاحتلال عبر جهود مكثفه، وبمعيه المتعاونين المحليين معها، لتشويه مساعى الإسلاميين بالذات، وإشاعه حاله الإحباط فى الأمة، وذلك من خلال إثارة السلبيات والشكوك حول التحرك الإسلامى والوطنى، ومدى قدره المعارضه على الوقوف والمواجهه ضد المحتلين وكانت للمندوب السامى محاولات جدّيه فى هذا الاتجاه، عبر تحريك العشائر المواليه للإنكليز فى إبداء معارضتها للوطنيين فى المعركه السياسيه. فبعد مؤتمر كربلاء أُعدت مضابط عديده، مضاده لمضابط المؤتمرين بتوجيه خاص من سلطه الاحتلال، وذلك لإيجاد حاله من التوازن السياسى فى الأمة - ولو بالإطار الظاهرى - وكذلك للضغط على الملك، كى لا ينساق وراء توجهات المعارضه الوطنيه. وإنما يحصر خياره تماماً بالارتباط الوثيق بالإنكليز، والدخول فى العمليه السياسيه ضمن هذا الخيار، ثم سعت سلطه الاحتلال لإفهام الملك عملياً، وذلك فيما بعد المؤتمر، فمثلاً فى ٢٣ نيسان وبتوجيه من (كوكس) مباشره «ذهب على سليمان، ومعهُ أربعون من رؤساء العشائر، وقابلوا الملك وأخذوا يتحدثون إليه بما أوصاهم به (كوكس)، فذكروا له بعبارات

واضح، إنهم لم يقسموا بالولاء له إلا بشرط أن يصغى للنصائح البريطانيه» (١).

ومع كل تلك الملاحظات حول المؤتمر، وكذلك محاولات تشويبه من الجانب البريطاني فقد عبر مؤتمر كربلاء عن بقاء الكلمه الكبرى فى التأثير على مجريات الساحة العراقيه بيد المعارضه الإسلاميه وعلى رأسها القياده العلمائيه، وبالذات المرجع الأعلى للأئمه، فالمؤتمر أعاد الدور القيادى للعلماء إلى الواجهه بعد الهزيمه العسكريه لثوره العشرين. بالإضافة إلى أنه قلص فجوه الخلاف بين علماء النجف بما فيهم المرجع الأعلى و علماء الكاظميه وعلى رأسهم الشيخ مهدي الخالصي، وبذلك توحدت مواقف العلماء اتجاه الملك فيصل والمعاهده البريطانيه -العراقيه. وكذلك فوّت مؤتمر كربلاء الفرصه أمام سلطه الاحتلال لإرهاب الرأى العراقى العام عبر هجمات الوهابيين وأمثالها، ولذلك استمرت المعارضه الإسلاميه فى معركتها المفتوحه ضد المعاهده البريطانيه العراقيه بقوه (٢). إلا أن المساله الحساسه التى لا بد من التأكيد عليها، وقد يشاركنى أكثر من باحث فى هذا الاتجاه (٣)، وهى تتلخص فى كون هذا المؤتمر الكبير بحجمه، والكبير فى تنوّعه بالحضور والمساهمه، لم يسفر عن نتائج متناسبه مع الكمّ الهائل

ص: ٦٢٦

١- (١) كان (كوكس) لا يحبذ نشر هذه المضابط خوفاً من الدخول فى معركه المضابط والمضابط المضاده. ولكن حينما زاروا الكيلانى شجعهم على إصدارها، وبالفعل أصدروها. راجع، الوردى: المرجع السابق، ص ١٥٠-١٥١. عن وثائق البلاط الملكى. ومما يذكر أنه قد وقع ما كان يكرهه (كوكس)، فقد أصدرت بعض العشائر قرارات خلع رؤسائها وبعثوا بنسختين من مضابطهم تلك إلى الإمام الخالصي ليحتفظ بنسخه، ويسلم الحكومه النسخه الثانيه، ومن الطبيعى أن هذا الصراع الظاهرى يستبطن صراعاً داخلياً بين فيصل والإداره البريطانيه أى (كوكس)، وهذا من نتائج مؤتمر كربلاء -أيضاً-. راجع، البصير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٨. وكذلك الوردى: المرجع السابق، ص ١٥٢-١٥٦.

٢- (٢) راجع آل ضياء الدين، السيد ضياء: المرجعيه العامله، مرجع سابق، ص ٥٧.

٣- (٣) راجع، البصير: المصدر ذاته، ج ٢، ص ٣٩٤، والرهمي، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ٢٥٠. وكذلك شبر، حسن: مرجع سابق، ص ٢٧٢.

لآمال الرأى العام، المتوثب لتنفيذ القرارات الصادره عن المؤتمر فى تلك الظروف الخاصه، كما أن مجاملتهم للملك فيصل بالصوره التى رسخت ملوكيته ومنحت عرشه المستند أصلاً على الإنكليز شرعيه وطنيه خاصه. من المؤكد إن هذه المجامله لا تتناسب مع حركه المؤتمرين الهادفه نحو الاستقلال التام. ومن هنا، يظهر أن بعض المعارضين كان ينقصهم الوعى السياسى المطلوب، لخوض غمار المعركه السياسيه بنجاح، ضد أعداء الأمم، وذلك بمسك زمام المبادره فى التصدى للمحتلين وصنعتهم الملك على حدّ سواء. ولكنهم - وللأسف - ساهموا مساهمه فعّاله ببيانهم هذا، فى تقويه رمزيه الملك فيصل فى الأوساط العراقيه العامه، مما وضع الساحه الشعبيه فى حاله من الترقب والانتظار ليفصل ومبادرته فى تحقيق آمال الشعب فى الاستقلال التام والدفاع عن أراضيه وقيمه!!، وعقدت بعض الأطراف الشعبيه آمالها على شخصه وسعيه!!، إلا أنه حينما انفلق فجر الصباح تبين أن (حاميه حراميه) - كما يقال -، بينما بقى الموقف الإسلامى - داخلياً - ينظر إلى فيصل بريب وشك بل وقف منه موقفاً مضاداً بشكل تام، وبذلك دخلت المعارضه الإسلاميه تقيماً جديداً للمستجدات، وأفرزت عن ظهور حاله لها خصوصيتها فى النشاط والتحرك السياسى - كما سنرى ذلك مع تطور الأحداث -.

ولابد أن نشير فى الختام إلى النتيجه السياسيه الملموسه لمؤتمر كربلاء، الذى تفاعلت فيه الأممه بكل أطيافها، تمحورت حول إجبار سلطه الاحتلال على تغيير أسلوبها الإدارى فقط، من دون المساس بالخطه الجوهريه المؤديه إلى استعمار العراق، فاتبع (كوكس) سياسه الاحتواء لهذا التصعيد الإسلامى والوطنى فى الساحه خوفاً من تطوره فى قنوات تنظيميه قد تؤدى إلى الانفجار الثورى فى المستقبل. لذلك أبقى (كوكس) لابن سعود، طالبه فيها بإيقاف الهجمات على العراق، وتمت المصالحه فى

ترسيم الحدود (١)، وذلك في معاهده (المحمره) بحضور المندوبين عن (كوكس) والحكومه العراقيه وابن سعود، واكتملت في اجتماع (العقير) مقابل البحرين بين (كوكس) وابن سعود مباشره بحضور صبيح نشأت وزير المواصلات والأشغال، وكذلك فهد الهذال رئيس عشيره عنزه، و(الميجر مور) القنصل البريطاني في الكويت، و(الميجر ديكسون) الوكيل السياسي البريطاني في البحرين. وذلك في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٢٢م، واستمرت المفاوضات سته أيام أسفرت عن رسم الحدود بشكل تم فيه إرضاء الجانب العراقي، ثم أخذ من الكويت ليعطى ابن سعود» (٢).

يقول النفيسي «فقد كان (تشرشل) يعلم أنّ مقدم فيصل إلى العراق سيغيب ابن سعود، وبسبب هذا اقترح ابن سعود أن تزداد المعونه الماليه التي تدفعها له بريطانيا إلى مائه ألف ليره إسترلنيه سنوياً، تدفع له شهرياً شريطه أن يحافظ ابن سعود على السلم مع كل من العراق والكويت والحجاز..» (٣).

ص: ٦٢٨

١- (١) راجع، الحسنى، عبد الرزاق: العراق في دورى الاحتلال والانتداب، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٢٩-٢٣٣.

٢- (٢) الوردى، على: المرجع السابق، ج ٦، ص ١٦٠.

٣- (٣) النفيسى، عبد الله: مرجع سابق، ص ١٧٤، للتفاصيل راجع: الشيخ خزعل، حسين خلف: تاريخ الكويت السياسى، طبع بيروت، ١٩٧٠، ج ٥، ص ١٤٤.

الفصل الثاني : المعارضه الإسلاميه الوطنيه في مواجهه المعاهده البريطانيه – العراقيه وانتخابات المجلس التأسيسي عام ١٩٢٤م

اشاره

ص: ٦٢٩

جددت المعارضة الإسلاميه وعلى رأسها القيادات الدينيه العليا، ريادتها للساحه السياسيه عبر مؤتمر كربلاء، واتضح للإنكليز مجدداً مدى القدرات الهائله التي لا زالت في يد العلماء المجتهدين والحركه الإسلاميه، وتأثيرها المباشر في العمق الجماهيري الكبير الذي يمثل تيار المعارضة العراقيه عموماً. وعلى ضوء هذه الحقيقه بدأ يتصرف (كوكس) بحذرٍ شديد عبر الخطط المدروسه وذلك لتكملة مؤسسات الدوله بشكلٍ لا يؤلب عليه التيار الإسلامى بصورته الشامله. وكان من المفروض تشكيل مؤتمر عام لشعب العراق لمناقشه دستور الدوله، وترسيم حدود العلاقه بين العراق وبريطانيا، إلا أن البريطانيين تحاشوا الاصطدام بصخور المعارضة الإسلاميه وامتداداتها الواسعه في الأمم. هذا الاصطدام - إن حدث - سينعكس داخل المؤتمر لصالح الإسلاميين وفي حينها ستبرز المطالبه الملحّه بالاستقلال التام للوطن ورفض الانتداب.

لذلك قرر البريطانيون فتح جبهات غير أساسيه لغرض الانشغال في معارك جانبيه على حساب المعركه المصيريّه الفاصله، وذلك لإبعاد فرصه المعركه الحقيقه من أمام الإسلاميين الذين باتوا على أهبه الاستعداد التام لخوضها. ومن المعلوم أن المعارك الجانبيه توزع الاهتمامات والطاقات بدلاً عن تركيزها في اتجاه مركزى واحد، والمسأله

الأهم في الثورات الشعبية أن المعارك الجانبية لم تستنفذ الطاقات والقوى بأكملها، وبذلك ستخلق أزمات وانعكاسات قد تكون حاده أحياناً، تعرقل شمولية المسيره المناهضة للمخططات البريطانيه.

وفي أجواء هذه الأزمه المتناميه أخذ يعاني من معالجتها الملك ورئيس الحكومه معاً، وذلك لحصرها بين توجّهين مختلفين أساساً: التوجه الأول لدى سلطه الاحتلال حيث إنها تحاول إبرام معاهده تكون بمثابة صورته طبق الأصل عن الانتداب البريطاني، بالإضافة إلى تحقيق بعض المكاسب الماليه أيضاً لتغطية نفقات الاحتلال.

والتوجه الثاني لدى المعارضه، فإنها تريد من المعاهده أن تنظم علاقته بين البلدين بإلغاء الانتداب واعتبار العراق بلداً مستقلاً (١).

فمن خلال التجربه العمليه للوجود البريطاني في العراق، قررت سلطه الاحتلال عدم الاصطدام المباشر بالمعارضه الإسلاميه التي تعتبر معارضه شعبيه واسعه، فقد «أظهرت ثوره ١٩٢٠ العداة الذي يكتنه الشعب العراقي لنظام الاحتلال الإنجليزي، ولإدخال الحكم الانتدابي في العراق على السواء. ولقد اتعظ الإنجليز بالتجربه المرّه، فقرروا أن يعطوا الانتداب شكل معاهده ثنائيه تعقد بين إنجلترا والعراق، غير أن ذلك لا- يعنى بأنهم تبناوا فكره الجلاء عن البلد، بل على العكس أرادوا بهذه الخطوه أن يرسخوا الاحتلال ويطيلوه، ذلك أن هذه الخطوه في رأى دهاقنه الاستعمار الإنجليزي كانت ستقضى على خوف العراقيين من الحمايه المقنّعه، وهو ما كان الانتداب يعينه في

ص: ٦٣٢

١- (١) بعض الباحثين يعتبر طرفي الصراع الملك و(كوكس) راجع الوردى: المرجع السابق، ص ١٦٣. نقلاً عن: (كوكس ودوبس): تكوين الحكم الوطني في العراق، ترجمه بشير قرجو، الموصل ١٩٥١م، ص ٥٦-٥٨. فالملك يريد إلغاء الانتداب وإجراء معاهده تحالف بسيطه، بينما الجانب البريطاني يريد المعاهده في حدود الانتداب، وإنما الفارق - في الحقيقه حسب رؤيتنا - بالألفاظ والأشكال فقط بينما يبقى الجوهر واحداً.

الواقع، وسيمنح الإنجليز حريه العمل.. لقد كان على المعاهده المقترحه أن تحفظ لإنجلترا كافة الامتيازات والحقوق الأساسيه للدوله المنتدبه، حيث كان الاستعماريون يعتبرون بأن مصالحهم التوسعيه يمكن أن تتحقق عن طريق المعاهده والتواطؤ مع كبار الإقطاعيين والتجار أفضل منها عن طريق الاحتلال العسكري الطويل الأمد» (١).

وفى الواقع هنا يكمن سرّ المعركه فالملك أخذ جانب التوجه الثانى وذلك بتقريبه للمعارضه، وقد شجعت السلطات البريطانيه هذا التوجه لدى فيصل ليتم توزيع الأدوار بينهما فى الإداره، وبالتالي سيتم استيعاب توجهات الساحه من الجانبين، ولكن حينما نمت هذه الحاله لدى فيصل، توجّس البريطانيون منه، ودخلهم إحساس مضاد نحوه، بنسبه معينه. خوفاً من تطور وضعه فى الماضى تحت تأثير المعارضه إلى درجه الاستجابه لبعض مطالبهم العادله كالاستقلال. مما يسبب لهم متاعب إضافيه، هم فى غنى عنها.

تقاسم الأدوار، بين الشده واللين

لقد مارس المندوب السامى والحكوميه دور البطش ضد المعارضه بينما توجهت جهود بريطانيا لإبراز فيصل بالوجه اللين، لأن إقحام الملك فى الدور العنيف مضيعه لجهود بريطانيا، ومعنى ذلك انفلات بعض الخيوط الاجتماعيه فى ساحه المعارضه ولو على المستوى الشعبى من المدار المرسوم لسياسه الملك، وهذا يعنى رقد المعارضه الإسلاميه بدماء جديده تزيد حركتها نشاطاً. ونتيجه لهذه السياسه الإداريه، انخدع قسم من التيار العام بسياسه الملك ولو لفترة قصيره. هذا الأمر يفسّر لنا تعلق بعض الناس عاطفياً بشخص الملك، وكانت تردّه بعض الرسائل المؤيده لشخصه من ميدان

ص: ٦٣٣

١- (١) متاشفيلي: ألبرت م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى، ترجمه هاشم التكريتى، مرجع سابق، ص ١٧٠.

المعارضه، وذلك ليكون في صورته الأحداث التفصيليه باعتباره نصيرهم! (١). ومن الطبيعي أن هذا السلوك الساذج وقر مناخاً مناسباً لنمو روح الازدواجيه القاتله لدى بعض المحسوبين على المعارضه الوطنيه - كما سنلاحظ ذلك أثناء تطور الأحداث -.

ومقابل هذه السياسه اللينه اتخذ (كوكس) التوجه الأول وذلك بانتهاج سياسه العنف والشده إلى جانب الحكومه. وما بين السياستين كمن شيطان الخلاف بين (كوكس) والملك، وبرزت المحسوبيات الشخصيه والطموحات الذاتيه، مستغله هذه الفراغات بين جانبي صراع الارادتين والمصالح، فتساقطت بعض الشخصيات وسحقت بعض الآراء ونمت في الأجواء المتناقضه شخصيات متناقضه - أيضاً - أجادت لعبه القفز على أكتاف المنتصرين بروح نفاقه واضحه، ستظهر على المسرح السياسى بدعم من الإيداره البريطانيه - كما سنرى - والمعروف أن (كوكس) الذى يمثل تلك الإيداره كان يسعى لتشكيل حكومه عراقيه المظهر، بريطانيه الجوهر، وذلك بإبقاء روح الانتداب البريطانى فى العراق، ولكن عبر واجهه عراقيه تتجسد فى «حكومه أكثر ثباتاً وأوسع نفوذاً بحيث لا يكون بإمكانها أن توقع المعاهده فحسب، وإنما ستستطيع تنفيذها أيضاً» (٢). بينما كان الملك ماضٍ فى سعيه لكسب ودّ بعض أطراف المعارضه الإسلاميه، وخاصه بعض العلماء، وذلك لتثبيت وتقويه وضعه الشخصى فى الإيداره والحكم. «..وكثيراً ما كان يطلب الملك من أصدقائه أن يعينوه على الحكم وعلى الصمود فى وجه المندوب السامى أو رئيس الوزراء من أجل تحقيق أهدافهم، وأهداف الشعب!..»

ص: ٦٣٤

-
- ١- (١) راجع رساله أحد المخدوعين بالملك، وهو من المنتفك (الناصرية) موجهه إلى سكرتير الملك وذلك فى حزيران ١٩٢٢م، حيث يختتم رسالته بقوله: «فنسأل الله أن يوفقنا لرضائه ورضا العلماء وطاعه ملكنا وسيدنا دامت شوكته». نص الرساله لدى الوردى: لمحات اجتماعيه، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٦٩-١٧٠.
- ٢- (٢) منتشاشفيلى، البرت م: المرجع السابق، ص ١٧٠.

[والحقيقه] من أجل المحافظه على كرسية من الاهتزاز، ومن أجل امتصاص نغمه الشعب وغضب الثوار..» (١). هذا، وقد سجلت هذه السياسه الإداريه بشقيها العنيف واللين تأثيراً واضحاً على الساحه، ولكن «رغم بروز اتجاهات متذبذبه ومتردده، ضمن تيارات المعارضه، وخاصه بين رؤساء عشائر الفرات، وضمن قياده المعارضه في بغداد، فقد ظلت القياده الدينيه تتمسك بموقفها المبدئي الثابت، وتحفظ بموقفها كمثله للاتجاه الأقوى تأثيراً في الأحداث» (٢). وعلى العموم، باشر (كوكس) خطته في إبرام المعاهده -ضمن تلك الأوضاع - وكانت الخطوه المهمه التي تلى الموافقه المحروزه من الملك والحكومه، تلخص في عرض المعاهده على المجلس التأسيسي، وحينما يصادق عليها، يتم قانونياً حكم العراق عن طريق المعاهده البريطانيه - العراقيه التي تتضمن روح الانتداب.

فالبريطانيون في محاولتهم هذه «أرادوا أن يحكموا العراق بطرق قانونيه مزوره، ويلبسوا الحكم الجائر ثوباً من الشرعيه والاستقلال، فصاغوا معاهده ظاهرها الاستقلال وباطنها الانتداب والحكم المباشر، وقدموها للملك فيصل وللشعب العراقي سنه ١٩٢٤. بغيه تصديقها من سلطه دستوريه مسؤوله، وأرفقوا بهذه المعاهده مشروع (قانون أساسى) ودستور، تنشأ بموجبه حكومه (برلمانيه) وملك مسؤول مقيّد بالدستور» (٣). لذلك سعت بريطانيا سعياً حثيثاً «لمجىء مجلس تأسيسى تضمن فيه أكثرية متجاوبه مع السياسه والمصالح البريطانيه، يقوم بتصديق المعاهده العراقيه البريطانيه، ومناقشه لائحته القانون الأساسى العراقي، وإبرامها دون إجراء تغييرات جذريه فيها

ص: ٦٣٥

-
- ١- (١) الكاتب، أحمد: تجربه الثوره الإسلاميه في العراق، مرجع سابق، ص ٩٤.
 - ٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: تاريخ الحركه الإسلاميه في العراق، مرجع سابق، ص ٢٥١-٢٥٢.
 - ٣- (٣) المفتى، حازم: العراق بين عهدين، ياسين الهاشمى وبكر صدقى طبع بغداد، تاريخ التقديم ١٩٨٩م. ص ٢٣.

تتناقض مع المعاهده التي صب فيها معظم بنود لائحه الانتداب البريطاني على العراق. والمتتبع لقرارات المجلس التأسيسي يرى أن ذلك قد طبق فعلاً فقد صُدِّقت المعاهده وأقرت لائحتا القانون الأساسى وقانون انتخاب النواب بالصيغه التي كان يريدتها المندوب السامى تنفيذاً لسياسه حكومته» (١)، «أى إن الحكومه البريطانيه أرادت تنظيم علاقاتها بالعراق بأقل كلفه وأقل احتكاك مما قد يحدث لو كان حكمها له مباشراً..وقد ظهرت فكره المعارضه الشعبيه فى العراق لأى شكل من أشكال السيطره الخارجيه.. أما العراقيون فلم تكن المعاهده تعنى بالنسبه لهم، غير زوال الانتداب الممقوت، لأن المعاهده تدل على الاستقلال، وهى لا تعقد إلا بين الأمم المستقله..» (٢).

ومما يذكر أن المندوب السامى قدم مسوِّده المعاهده للملك فى ٢٩ أيلول ١٩٢١م الموافق للرابع والعشرين من شهر محرم ١٣٤٠هـ، أى بعد تتويجه ب- ٣٦ يوماً، لغرض المناقشه، وكانت للملك محاولات فى تعديل بعض بنودها (٣). ومن جانبها واصلت المعارضه الإسلاميه فى فتره الربيع والخريف لعام ١٩٢٢م، بنشاط دؤوب لإسقاط هذا المخطط فاجتهدت لتوصيل صوتها الرافض للانتداب، وكذلك للمعاهده التي تعتبر صوره مبطنه عنه. وذلك إلى المسؤولين المعنيين وإلى الأمه أيضاً لغرض تنبيهها من مخاطر المعاهده. وكانت المعارضه قد باشرت فى حركتها السياسيه بهذا الاتجاه منذ بدايه المفاوضات بين الوزاره النقيبيه ودار الاعتماد البريطاني حول المعاهده الأولى، وحينما علمت أن حكومه النقيب موافقه على المعاهده صعدت المعارضه من أعمالها ضد الحكومه «فقد اشتركت فئات شعبيه فى التنديد بعبد الرحمن النقيب، ووصفته بالمرتد

ص: ٦٣٦

١- (١) الأدهمى، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسى العراقى، مرجع سابق، ج ١، ص ١١.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ١٧٧.

٣- (٣) سنورد فى الملاحق، لائحه المعاهده العراقيه - البريطانيه وملاحقها لعام ١٩٢٢م، التي حلت محل الانتداب البريطاني، وهى مرسله من الحكومه البريطانيه إلى عصبه الأمم.

عن الإسلام، لا سيما في فترة اندفاعه لتوقيع معاهدة ١٩٢٢ مع بريطانيا» (١). وقد نظّم الفراتيون بالخصوص موثيق خاصه، يطالبون فيها بالاستقلال التام ورفض الانتداب، بل يطالبون بإلغاء الانتداب رسمياً، وكذلك بإطلاق حريه الصحافه ليقف الرأى العام مباشره على أحداث المفاوضات وبنود المعاهده (٢).

ومن المفيد أن نسجل ملاحظه مهمه حول أدبيات المعارضه الإسلاميه -آنذاك-، فمما يظهر من خلال مطالعتنا لبعض الموثيق والبيانات الصادره عنها، إنها كانت تستخدم مصطلحات سياسيه حديثه تتلائم مع مفاهيم السياسه الغربيه، كالديمقراطيه والقوميه، وذلك لغرض مخاطبه مراكز القرار السياسى فى العالم بلغه مفهومه لديهم، ولما كانت المرحله سياسيه فلا بد من توجيه الخطاب السياسى بتلك اللغه.

المعارضه الإسلاميه والتنصدي السياسى

توحد الاتجاه الإسلامى فى الساحة السياسيه المعارضه - بكافه قاداته وقطاعاته الشعبيه، مستوعباً التوجهات السياسيه الحديثه التى أخذت تنادى بالوطنيه فى بغداد، وذلك ضمن خطه المقاومه الشامله ضد كل معاهده تمس الاستقلال التام للعراق، وقد أبلغت القيادات الدينيه كلاً من الملك والحكومته تصميمها المبدئى فى التمسك بالاستقلال التام (٣). يقول منتشاشفيلى: «ونظمت المعارضه بتوجيه من مهدي الخالصى، مظاهرات احتجاج فى العاصمه، فأغلقت الأسواق والحوانيت والورشات فى المدينه، ونتيجة الدعايه المعاديه للإنكليز توقف بشكل تام تقريباً نشاط الإدارة المحليه فى الألويه، وبدأت بالظهور بوادر جديده للهياج الشعبى. أما جبايه الضرائب وهى الدليل

ص: ٦٣٧

١- (١) العلوى، حسن: الشيعة والدوله القوميه فى العراق، مرجع سابق، ص ١٥٤.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٩.

٣- (٣) الخطاب، رجاء حسنى: العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧، ص ٢٩٨. مرجع سابق، عن الخالصى، الشيخ محمد: مذكرات، مصدر سابق، ص ٣٨٠.

الموثوق لهيبه الحكومه فإنها هبطت إلى الصفر في هذه المناطق» (١).

والذى شخّص الموقع المتقدم للمعارضه الإسلاميه فى خارطه العمل السياسى -على المستوى الدولى والشعبى معاً - هو وزير المستعمرات البريطانى (ونستون تشرشل) حيث صرّح فى مجلس العموم البريطانى بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٢٢م الموافق ٢٦ رمضان ١٣٤٠هـ، بقوله: «إن الملك [فيصل] وحكومته لم يخبرا بريطانيا عن رفض الشعب العراقى للانتداب» (٢). ولما كان المناخ السياسى العام مناسباً لحركه المعارضه وتوسيعها فى الأوساط الشعبيه، فقد زاد هذا التصريح من حماسها، وعليه انطلقت المعارضه فى المدن المهمه وعشائر الفرات، فنظمت احتجاجات سياسيه واسعه ضد الانتداب والمعاهده، وكذلك نددت بالحكومته المستسلمه أمام الإراده البريطانى. وقد إلتهبت الأوساط - تماماً - عندما نشرت جريده الاستقلال تصريح (تشرشل) الذى أشرنا إليه، وذلك فى ٢٨ أيار/ مايس ١٩٢٢ الموافق للأول من شوال ١٣٤٠هـ، ودعت أهالى بغداد إلى عقد اجتماع فى عصر ذلك اليوم، الذى صادف اليوم الأول لعيد الفطر المبارك، وذلك فى جامع الحيدر خانة ببغداد (٣).

وقبيل هذا الاجتماع أى فى صبيحه ٢٨ أيار ١٩٢٢م، وهو اليوم الأول من شهر شوال ١٣٤٠هـ - عيد الفطر المبارك - ألقى خطاباً حماسيه بالحشود الجماهيريه بحضور أقطاب من المعارضه وذلك فى جامع (الوزير)، مما زاد من تماسك المعارضه، وتقرر الاجتماع عصر اليوم ذاته فى جامع الحيدر خانة، ومما يذكر أن محاولات منع الاجتماع من قبل الشرطه باءت بالفشل الذريع (٤). وفى هذا الاجتماع المهم ألقى - كذلك -

ص: ٦٣٨

١- (١) منتشاشفيلى، البرت م: المرجع السابق، ص ٢٣٠-٢٣١.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٠-٨١.

٣- (٣) الأدهمى، محمد مظفر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٣.

٤- (٤) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٩.

الخطب الحماسيه لسمعها مباشره (تشرشل) - الذي استنكروا تصريحه - والإداره البريطانيه، كتعبير واضح عن رفض الشعب القاطع للمعاهده والانتداب، وأكدت على مطلبه الرئيس وهو الاستقلال التام للعراق. وقد حضر الاجتماع أشخاص ينوبون عن الشعب، وبالفعل تشكلت لجنه إداريه للمتابعه، أنتخبت من المجتمعين، لتمثيل رأى الشعب فى تحركهم السياسى المعارض ومتابعه التطورات وهم: السيد محمد الصدر، والشيخ محمد الخالصى نجل الإمام الخالصى، والشيخ أحمد الداود، ومحمد مهدى البصير، وحمدي الباججى. وقررت اللجنه مقابله الملك وإبلاغه الرفض الشعبى التام، وكذلك قررت توصيل ندائها عبر البرقيات إلى الهيئات الدبلوماسيه والمجالس النيابيه المعنيه. أما الملك فإنه رفض المقابله بالصفه الرسميه فى البدايه (١). إلا أنه وافق على اللقاء فى اليوم التالى، وأخذ الملك بأسلوبه الدبلوماسى يتحدث باتجاه مصالح العراق (٢). إلا أن الشيخ محمد الخالصى على ما يذكر فى مذكراته تقييماً لحديث الملك بأنه «أخذ يخادعنا على عادته بمهاره تفوق الحد، ولكنها لم تؤثر علينا لمعرفةنا بأساليب خداعه، وقد وافق بعد الإلحاح على أن نعلن رفض الانتداب، ونعلم عصبه الأمم بذلك برقياً» (٣).

وقد نظمت اللجنه - بعد ذلك - البرقيه التاليه:

«لقد أثبت العراقيون رغبتهم الأكيده فى الاستقلال التام، ورفضهم أى انتداب كان

ص: ٦٣٩

-
- ١- (١) أخبر الشيخ محمد الخالصى، الملك إرادته الشعب فوق القانون الوضعى، فلا يمكن فرض المعاهده على الشعب بخلاف إرادته، فوافق الملك على اللقاء بهم رسمياً. راجع شبر، المرجع السابق، ص ٢٧٦.
 - ٢- (٢) البصير، محمد مهدى: تاريخ القضيئه العراقيه، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٦٢. وكذلك، الأدهمى، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسى العراقى، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٣.
 - ٣- (٣) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه، المرجع السابق، ص ١٦٥-١٦٦، عن مذكرات الشيخ محمد الخالصى.

رفضاً باتاً، وحركتهم الخطيره سنة ١٩٢٠م، أعظم شاهد على ذلك، وبمناسبه تصريح (المستر تشرشل) فى البرلمان الإنكليزى بشأن مسأله الانتداب فى العراق، أقام الشعب العراقى مظاهره سلميه فوّضنا فيها أن نعلن أمام مجلسكم الموقر، ولدى البرلمانات الأخرى عن رأيه فى رفض الانتداب. وعليه فإننا نرفض كل انتداب ونحتج على كل قرار يعارض الاستقلال التام للعراق».

التواقيع: محمد الخالصى، السيد أحمد الداود، السيد محمد الصدر، حمدى بك الباججى، محمد مهدى البصير (١).

وقد أبلغت اللجنة نداءها عن طريق البرقيات إلى عصبه الأمم، والمجالس النيابيه فى إنكلترا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحده، وذلك لاستكمال العمل السياسى فى البعد الدولى، ولكنها اصطدمت فى دائره البرق ببغداد، وطهران أيضاً، حيث مُنعت البرقيات عن الإرسال والنشر من قبل الرقابه فى الدائرتين. والحقيقه تمّ المنع بأوامر السلطه البريطانيه لكيلا يصل صوت الاحتجاج الشعبى إلى المحافل الدوليه خارج العراق (٢). وعلى ضوء هذا المنع للبرقيات، أصدر وزير الداخليه بياناً يمكن وصفه بأنه امتصاص للنقمه، ضمن محاولات الحكومه لتخفيف حده الموقف المعارض، وكان يمتاز بدبلوماسيه عاليه، حيث أكد البيان على رفض العراقيين للانتداب، كما وأشار إلى أن المفاوضات لا زالت مستمره فى شأن إبرام معاهده أمنيّه تحدد العلاقه بين بريطانيا

ص: ٦٤٠

١- (١) البصير، محمد مهدى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٤.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠. وكذلك البصير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦٢-٤٦٤. وهنا شعر الملك بالحرص الشديد أمام الإنكليز من ناحيه، وأمام المعارضه من ناحيه ثانيه، إلا أنه حسم أمره بالانصياع التام لأوامر الإنكليز، فمنع البرقيات أيضاً. وتعلق (المس بيل) على ذلك بقولها: «أه من الملك! ياليتها كان أكثر حزمًا وصلابه!». وبعد إصدار المنع من الملك قالت: «إنى أشعر الآن بكثير من السرور، فلقد وافق الملك على منع البرقيات المذكوره نهائياً»، الوردى: المرجع السابق، ص ١٦٧ عن: ٢٧٤-٢٣٣، p.٢، Vil.١٩٦١-١٩٦٠. Burgoyne (Gertrude Bell) London

والحكومة العراقية، قائمه على أسس التحالف بين الطرفين، وإن الحكومة ماضيه في بذل سعيها لتحقيق آمال الشعب بالتدريج، كما وصدر بيان آخر من وزير الداخليه - أيضاً - منع فيه الاجتماعات السياسيه غير المرخصه من وزارته (١). إلا أن هذه المحاولات لم تؤثر كثيراً على تصعيد احتجاجات المعارضه في مختلف مدن العراق وبالفعل «اندلعت الاحتجاجات ضد تصريح (تشرشل) خارج العاصمه أيضاً، وبدأت حملته تنظيم العرائض المناوئه للانتداب.. وبدأت دلائل خطيره للاضطرابات تظهر من جديد في مناطق الفرات. كما أن جمع الضرائب الذي تقاس به سلطه الحكومة قد آضمحل إلى أن أصبح مهملاً، وكان أخطر ما في الحال تعطل الإداره في بعض المناطق نتيجة الاضطرابات. وفي الموصل أعلن عن رفض الانتداب على لسان أعضاء مجلس إدارتها ومجلس بلديتها ووجهائها، وأرسلت برقيات عديده أخرى، وكانت صحف الوطنيين في بغداد تنشر هذه البرقيات كجزء من حملته قويه ضد الانتداب» (٢).

وهكذا فقد نشطت المعارضه الإسلاميه (٣) لفضح المؤامره، فسادت الاضطرابات والمظاهرات الصاخبه في بغداد في يوم ٢٤ حزيران ١٩٢٢م، الموافق ٢٩ شوال ١٣٤٠هـ، من مختلف الأصناف المهنيه، كالحددادين والبقالين وغيرهم، أي أخذت طابع الشموليّه في الرفض والاحتجاج. وقد قدّم جعفر أبو التمن وزير التجاره استقالته من الحكومة احتجاجاً على موافقه الحكومة على المعاهده، ففي جلسه مجلس الوزراء بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٢٢ الموافق ٢٧ شوال ١٣٤٠هـ، اعترض جعفر أبو التمن وزير التجاره

ص: ٦٤١

١- (١) الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٣-١٨٤.

٢- (٢) المرجع ذاته، ج ١، ص ١٨٤.

٣- (٣) كانت المظاهرات والاحتجاجات من تدبير الإسلاميين بقياده الشيخ الخالصي، راجع الوردى، ص ١٧٤، عن التقرير

البريطاني: Report on the Administration of Iraq ١٩٢٢-١٩٢٣.p.١٣.

على المعاهده قائلاً: «إن هذه المسأله لا يمكن للمجلس أن يقوم بها، ويجب أن تعرض على البرلمان، إن الساده الدينين وأعمده الإسلام ضد آيه معاهده إطلاقاً».

فتأجل الاجتماع إلى ٢٥ حزيران، وبحيله دبلوماسيه رتبها الملك فيصل ضد أبو التمن، ودعاه إلى مقاطعه المجلس رعايه لصحته، فانعقد المجلس في ٢٥ حزيران بغياب أبو التمن، وتمت الموافقه على المعاهده. هذا وقد ذيلها النقيب الكيلاني بضروره تصديقها من قبل المجلس التأسيسي (١)، - ويبدو لنا - إن جعفر أبو التمن، كان بمثابة العين الساهره من قبل الإسلاميين (٢) في داخل الحكومه، لذلك في يوم استقالته بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٢٢، اجتمع عدد من رؤساء العشائر ووجهاء المدن بالإمام الخالصي، أكد لهم بأن بيعه الملك فيصل لاغيه عن الجميع. فتصاعدت نشاطات المعارضه داخل بغداد، وقد انعكس تطورات الأحداث فيها على عموم الساحه العراقيه، خصوصاً في وسط وجنوب العراق. حيث شهدت النجف و كربلاء وعشائر الفرات تصعيداً ملحوظاً في أعمال المعارضه سياسياً، ابتداءً من المسيرات العامه، وبرقيات الاحتجاج للملك والحكومه، وإلى الاضطرابات وعمليات المقاومه المسلحه أحياناً ضد قوات الحكومه في بعض المناطق (٣).

فمثلاً كتب أحد المعارضين الإسلاميين في أواسط حزيران ١٩٢٢م الموافق ٢٠ شوال ١٣٤٠هـ. من المنتفك رساله شخصيه إلى سكرتير الملك جاء فيها: «إن قبائلنا اليوم، هم على أحسن ما يرام من القيام بالمظاهرات السلميه والاحتجاجات

ص: ٦٤٢

١- (١) وكان هذا التذييل من قبل النقيب لفته كريمه، وحينما حضر أبو التمن في جلسه ٢٦ حزيران ١٩٢٢، قدّم احتجاجه ضد المعاهده، وقدّم استقالته كذلك، وقد فلت استقالته في ٢٩ حزيران. أنظر، الدارجي، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن ودوره في الحركه الوطنيّه في العراق، مرجع سابق، ص ١٧٦-١٨٠.

٢- (٢) الدارجي، عبد الرزاق: المرجع نفسه، ص ١٨٠. وكان يتبنّى رأى العلماء في مجلس الوزراء.

٣- (٣) الخطاب، رجاء حسنى: العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧، مرجع سابق، ص ٢٩٥-٢٩٧.

الإسلاميه، وذلك عند ورود مشاور المنتفك ومعاونه (كجنك) ورفقهاهم الفجره إلى سوق الشيوخ في مرات عديده.. وقد أرسلت بريقيات مجموع صورها ٢١ كلها ممضاه من الزعماء الكبار تصرّح في رفض الانتداب من جملتها لسعادتكم [وفي الختام].. فسأل الله أن يوفقنا لرضائه، ورضا العلماء وطاعه ملكنا وسيدنا دامت شوكته». الأحقر محمد الشيخ حيدر (١).

ومن هنا نفهم نجاح اللعبة البريطانيه في توزيع الأدوار بين الملك و(كوكس) بتلك الطريقه الخادعه التي نعتبرها ضمن التخطيط الداخلي لهما. وعليه فقد استغلت جهود بعض المعارضين، وبالتحديد على المستوى الميداني لا القيادي في اتجاه تقويه سلطه الملك حيث، آتبروه ملاذهم ولو لفته وجيزه. ومع ذلك كان يثير تصرف الملك بهذا الاتجاه حفيظه الأ-جهزه البريطانيه وذلك خوفاً من تحوّل توجهات الملك بشكلٍ صادق إلى جانب مطالب المعارضه!، وعليه فسيعود (سيناريو) الثوره من جديد بشكلٍ معين. وقد عبرت (المس بيل) عن قلقها حول تطور المسأله لدى الملك وذلك في رسالتها الطويله التي كتبتها لأبيها في أوائل حزيران ١٩٢٢ شوال ١٣٤٠هـ - (٢).

ص: ٦٤٣

١- (١) الوردى، على: المرجع السابق، ج ٦، ص ١٦٩-١٧٠. عن وثائق البلاط الملكي رقم الإضبارة ك/١١، رقم الوثيقه ١٦٧. وقد أشرنا إلى ختام هذه الرساله في هامش الصفحات السابقه عند حديثنا عن (تقاسم الأدوار بين الشده واللين).
٢- (٢) ننقل من حديثها المباشر مع الملك - لأهميته - قالت له: «فقد كنتُ قد كونتُ تمثالاً من الثلج جميلاً فاتناً ومنحته ولائى، ثم رأيت التمثال يذوب أمام عيني، وقبل أن تختفى ملامحه النبيله فضلتُ أن أذهب.. وإنى سأستقيل.. لأنى سوف لا أنتظر أن يقوم الأندال [فى المعارضه] الذين وضع الملك ثقته فيهم بتسويد سمعتى فى عينه، [حتى قالت] وقد احتدت المحاوره بينى وبينه حول هذه المسأله، وأخذ هو [يفصل] يقبل يدي مره بعد أخرى مما أدى إلى ارتباكى الشديده..». راجع الوردى، المرجع السابق، ص ١٧١-١٧٢ عن: ٢٧٣-٢٧٢، p.٢٧٢، Vil.٢، ١٩٦١- London Gertrude Bell (Burgoyne). والرساله - هذه - متكونه من ثمانى عشره صفحه تحمل دلالات مفيده، إنها جديره بالإطلاع.

استمرت المعارضة الإسلامية في مطالبه الحقوق بالطرق السلمية، وكادت أن تأخذ طابع الشمولية في عموم الأوساط العراقية، فللمثال نذكر المذكرة الاحتجاجية المهمة التي رفعت إلى الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر، والتي وقعت من قبل اثنين وتسعين رئيساً من رؤساء عشائر الفرات في أوائل تموز ١٩٢٢م، الموافق ٧ ذى القعدة ١٣٤٠هـ، فيها مطالبه واضحة للاستقلال التام ورفض الانتداب والمعاهدة معاً، كما وأنهم استنكروا موافقه الحكومة على المعاهدة (١). وهكذا «عاش العراق مدة غليان ونشاط لقوى المعارضة للانتداب الذي يريد الإنكليز تثبيته في المعاهدة وتصديق المجلس التأسيسي عليها.. [ففي النجف الأشرف] عقد اجتماع للأهالي هناك في جامع الهندى صباح يوم الجمعة ٢٧ تموز ١٩٢٢م [٣ ذى الحجة ١٣٤٠هـ].. فألقيت الخطب والقصائد في رفض انتخابات المجلس التأسيسي.. ورفض أية معاهدة تمس استقلال البلاد.. وفي بغداد نظمت عريضه موجّهه إلى الملك فيصل.. تعبر عن التصميم للحصول على الاستقلال التام ورفض المعاهدة.. كما وأصدر مهدي الخالصي فتوى أعلن فيها إن هؤلاء الذين يفشلون في حمايه استقلال وطنهم من السلطات الأجنبيةه يجب أن يطردوا من مجتمع ذوى العقائد الحقه، وأنهم لا يستحقون حتى الدفن في مقابر المسلمين. كما عقدت اجتماعات في كربلاء، وفي اجتماع الرابع من آب تقرر إرسال برقيتين سياسيتين إلى الملك فيصل والمندوب السامي، طالبت الأولى الملك برفض الانتداب، وإعلان بريطانيا إلغاءه رسمياً، وإسقاط أية وزاره تصدّق معاهدة لا يرتضيها الشعب.. وإطلاق حريه الصحافه. وقد طالبت البرقيه المرسله إلى المندوب السامي برفض الانتداب رسمياً، وعدم مراجعه حكومه العراق لوزاره المستعمرات، بل لوزاره الخارجيه، ومنع

ص: ٦٤٤

وفى النجف الأشرف، وبمناسبه ذكرى عيد الغدير فى ١٨ ذى الحجه، اجتمع بالعلماء عدد من رؤساء العشائر، ووجهاء المدن، وعدد كبير من الزائرين، وكان الظرف حساساً، نتيجة تطور الأوضاع فى بغداد، فأحست السلطه بخطوره الموقف فبعثت قوه كبيره من الشرطه لمراقبه الأحداث والسيطره على المستجدات المحتمله، وكذلك بعثت السلطه محافظ كربلاء عبد العزيز القصاب ليراقب بنفسه التطورات المرتقبه. وقد وصل محافظ الحله أيضاً وقائم مقام الشاميه وأبو صخير وبعض موظفى الحكومه من الحله، للغايه ذاتها. وكان يلوح فى الآفاق أمام أنظار السلطه وضعاً خطيراً فاتخذت هذه الإجراءات لغرض التواجد الفعلى فى الساحه خوفاً من خطوره تطور الموقف الذى قد يؤدى إلى انفجار ثوره على غرار ثوره العشرين (٢). بينما كانت المعارضه الإسلاميه - على رأسها العلماء - مستمره فى التأكيد على مطالبها بالطرق السلميه، ففى مساء ١١ آب ليله عيد الغدير اجتمع الأعيان ورؤساء العشائر بالمرجع الأعلى السيد أبو الحسن الاصفهانى، فى داره، فبعث على محافظ كربلاء ليحضر أيضاً، فحضر وكان من الحاضرين عبد الواحد الحاج سكر، ومحسن أبو طيخ، وعبادى الحسين، وعلوان الياسرى، وشعلان أبو الجون، وقاطع العوادى. وقد افتتح المؤتمر الإمام أبو الحسن الاصفهانى مطالباً رفع ضغوط المستشارين البريطانيين فى المناطق عن الأهالى، وذلك ليمارسوا حقهم المشروع فى المعارضه السلميه، وأن يعلنوا عن مطلبهم

ص: ٦٤٥

-
- ١- (١) الأدهمى، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسى العراقى، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩١. تجد نص البرقيتين الصادرتين بتاريخ ٤ آب، ١٩٢٢م - ١٠ ذى الحجه ١٣٤٠هـ-، لدى الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٦-٤٧. وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٨.
 - ٢- (٢) الوردى، على: لمحات اجتماعيه، المرجع السابق، ج ٦، ص ١٧٩.

الوطني والديني في نيل الاستقلال التام للعراق. وفي نهايه هذا المؤتمر المهم رفعت مذكرة عن طريق محافظ كربلاء عبد العزيز القصاب إلى الملك، فيها قرارات المؤتمرين ومطالبهم (١).

وقد انعكست هذه الحالة في الأوساط العامه، فتواصلت الاحتجاجات في عموم المناطق في الفرات الأوسط وبغداد.

الحكومة واتباع منهج السياسه الغريبه

لقد أصدر مجلس الوزراء في ٢٥ حزيران ١٩٢٢م - الموافق ٣٠ شوال ١٣٤٠هـ، قانوناً يمنح الإجازة الرسميه لتشكيل الأحزاب السياسيه، وذلك بهدف تقنين نشاطات المعارضه، وحصرها تحت سقف الموافقه الرسميه، ليتعود السياسيون المعارضون في العراق على أسلوب الأحزاب المعارضه في الدول الغريبه، فلا تظهر مظاهرات أو احتجاجات المعارضين للحكومة إلا بموافقه قانونيه. ومعنى ذلك شل النشاطات الإسلاميه وخاصه السياسيه منها، وبالفعل لقد تعرضت التجمعات غير المجازة رسمياً إلى الاستجواب والعقوبه الصارمه على ضوء هذا القانون (٢)، يذكر الحسني إن وزاره

ص: ٦٤٦

١- (١) يذكر القصاب في مذكراته، إن الإمام الاصفهاني افتتح المؤتمر وطلب من السيد محسن أبو طيخ أن يتحدث، وفي حديثه سلط الضوء على مسأله المستشارين الإنكليز في المناطق وضغوطهم على الأهالي، وقد أكد على أنه أوصل هذا الأمر إلى مستشار الداخليه (كورتواليس) الذي أوعد بإزاحتهم، ولكن عملياً لم تتم الإزاحه. فوجه الإمام سؤاله إلى القصاب فأجابه بأنه سيتصل بالداخليه ويستفسر عن ذلك، فطلبوا منه الإسراع وليكن الموعد غداً، إلا أن الخبر - فيما بعد - جاء سلبياً وطلبت الداخليه من القصاب تكذيب خبر الوعد. فازداد الموقف إحراجاً. ثم استطاع القصاب - كما يذكر - أن ينتزع من الإمام فتوى بحرمة التجمعات في النجف خوف انفجار الوضع، وبالفعل أصدر الفتوى لغرض المحافظه على أمن الزائرين. للتفاصيل راجع القصاب، عبد العزيز: من ذكرياتي، طبع بيروت ١٩٦٢ ص ٢٢٥ وما بعدها.

٢- (٢) الوردى: المرجع ذاته، ج ٦، ص ١٨٥.

الداخليه «سنت قانوناً للاجتماعات نشرته في ٢٧ ذى القعدة ١٣٤٠هـ-، ٢١ تموز ١٩٢٢م، منعت بموجبه عقد أى اجتماع لم تصدر فيه رخصه رسميه، وقد جاء هذا القانون مقيداً لحرية الاجتماع والتفاهم» (١). ويقدم الدكتور الوردى عده أسباب دعت الحكومه إلى اتخاذ هذا القرار، ويبدو أن أهمها هو السبب الأول الذى يقول فيه «كانت الحكومه تخشى أن تطور الحاله فى صيف ١٩٢٢م إلى مثل ما تطورت إليه فى صيف ١٩٢٠م، من حيث إقامه المظاهرات السياسيه باسم المواليه النبويه والتعازى الحسينيه، فأرادت ذلك عن طريق القانون» (٢).

وبغض النظر عن هذه التحليلات، فلقد شهدت الساحه العراقيه تشكيل ثلاثه أحزاب سياسيه فى أيلول وآب ١٩٢٢. أحدها مؤيد للسلطه هو (الحزب الحر) الذى أسس بدعم رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب، وبإيعاز من دار الاعتماد البريطانى، وتوجيه (المس بيل) بالذات، وذلك لدعم وزاره فى مشروع التوقيع على المعاهده، وكذلك إجراء انتخابات المجلس التأسيسى. فشكل الحزب فى ١٣ أيلول ١٩٢٢، برئاسة الابن الأكبر لرئيس الوزراء السيد محمود النقيب. وكذلك أسس (الحزب الوطنى) فى بغداد فى ٨ ذى الحجه ١٣٤٠هـ- الموافق ٢ آب ١٩٢٢م، وكان مدعوماً من الإمام الخالصى، أما الحزب الثالث فهو (حزب النهضه) الذى أسس فى الكاظميه فى ٢٥ ذى الحجه ١٣٤٠هـ- الموافق ١٩ آب ١٩٢٢م، وكان مدعوماً من السيد محمد الصدر (٣).

ص: ٦٤٧

١- (١) الحسنى، الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠.

٢- (٢) الوردى، المرجع ذاته، ج ٦، ص ١٨٥.

٣- (٣) أسس (الحزب الحر) برئاسة السيد محمود نجل الكيلانى نقيب الأشراف فى ١٣ أيلول ١٩٢٢م، ١٨ محرم ١٣٤١هـ-، أما اللجنه التنفيذيه فكانت مؤلفه من: جميل صدقى الزهاوى، وعبد المجيد الشاوى، وفخرى الجميل، وحسن غصبيه، وداود النقيب. أما (حزب النهضه) فى الكاظميه فقد أسس فى ١٩ آب ١٩٢٢م، ٢٥ ذى الحجه ١٣٤٠هـ-، وكان أعضاء لجنته التنفيذيه هم: أمين الجرجنجى، وأحمد الظاهر، وعبد الرسول كبه، وآصف قاسم آغا،

ويمكننا أن نوجه موقف الإمام الخالصي اتجاه الحزب الوطني توجيهاً خاصاً، يتلخص في ضروره مواكبه مستجدات الساحه السياسيه، وعدم العزله والإنكفاء عن مواصله مسيره بناء الوطن المستقل، والحقيقه - كما نراها - إن هذه المواكبه -بحد ذاتها - تحمل دلالة النضج السياسى فى العمل الميدانى، ولكنها فى الوقت ذاته تعدُّ استجابه غير موفقه فى توقيتها، فكأنما هى تعبير عن حاله الرضوخ لظروف الاستدراج فى شراك اللعبه السياسيه بصوره غير طبيعيه، وذلك من خلال قرار حكومى ينتهج سياسه الإستقواء على المعارضه بهدف لوى ذراعها بطريقه قانونيه. ومع هذا التوجيه المرحلى تشكل هذه المواكبه تجربه مهمه تضاف إلى تجارب المعارضه السياسيه، فإنها سعت لحفظ التوازن السياسى، فلما كانت الأحزاب تنشأ بموافقه الحكومه، دخل الإمام الخالصى داعماً الحزب الوطنى، ليمسك بيده سلاحاً عصرياً، قد ينفع التحرك المعارض فى ظروف لاحقه، ولكى لا يتخلف الإسلاميون عن مزاوله هذا السلاح - أيضاً-.

وبالفعل كان لظهور هذه الأحزاب، مساهمه دفعيه لتصعيد أعمال ونشاطات المعارضه المبدئيه، خصوصاً فى بغداد حيث «يعدّ الحزب الوطنى وحزب النهضه من أوائل الأحزاب المجازه.. وكانا حزبين معارضين للحكم المزدوج، البريطانى - العراقى مع مطالبتهما بإزاله الانتداب وطلب الاستقلال الكامل للبلاد» (1). وعلى أثر تصعيد

ص: ٦٤٨

١- (١) العمر، فاروق صالح: المرجع ذاته، ص ٦٦.

نشاطات المعارضه ضد المعاهده، سقطت حكومه النقيب الثانيه، حيث قدّم النقيب استقالته في ١٩ آب ١٩٢٢م الموافق ٢٦ ذى الحجه ١٣٤٠هـ- (١). وقد أشيعت فكره تشكيل الحكومه برئاسه أحد العلماء، وقد تردد اسم محمد الصدر لهذا المنصب، إلا أن المرجع الأعلى والعلماء الآخرين وقفوا ضد هذا التوجه، لأن هذه الحكومه غير مستقله، وإن العلماء لا يعينون من قبل الإنكليز، وقد تبين - فيما بعد - أن الإنكليز كانوا وراء هذه الإشاعه (٢).

إنّ التصعيد السياسى للمعارضه، أدى إلى تعكير الأجواء بين الحكومه والملك، - حيث قدمت الحكومه استقالتها، كما قلنا- وهذه التطورات عكست ظلالاً قاتمته على العلاقه بين الملك والمندوب السامى، فكان (كوكس) المندوب السامى يعتبر فيصلاً لينا فى تعامله مع قاده المعارضه المستمره بالمطالبه بالاستقلال التام بشتى الطرق والوسائل، مما دفع (كوكس) والإداره البريطانيه بالتفكير لاتخاذ إجراءات مناسبه لقمع ثوره إسلاميه مرتقبه، بدلاً من الدخول فى صراع ضد الملك، وذلك لأن المعارضه ستقفز بحرکتها أثناء الصراع الداخلى بين (كوكس) والملك إلى موقع متقدم فى الصراع ضد المشروع البريطانى من الأساس (٣).

وقد كتب الملك إلى المندوب السامى فى العاشر من آب ١٩٢٢م الموافق ١٦ ذى الحجه ١٣٤٠هـ، يطالبه بتحديد المسؤول الأول فى الإداره الداخليه للسلطه، ليستطيع أن يحدد طريقته الإداريه لمعالجه الأمور، والتوصل إلى الهدف المنشود. ومما جاء فى كتابه «..إنى لست مسؤولاً عن نتائج التردى والتغاضى فى الإداره والسياسه التى لا يبعد أن

ص: ٦٤٩

-
- ١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٧.
 - ٢- (٢) الدراجى، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن ودوره، مرجع سابق، ص ١٩٠.
 - ٣- (٣) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، المرجع السابق، ج ١، ص ٤٣، وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٩-٢٠.

ينشأ عنها ثوره شديده (الخطر)، وبقي لى أن أطلب من فخامتكم أحد أمرين: أما أن تأخذوا على شخصكم باسم بريطانيا مسؤوليه البلاد، وتطبقوا سياستكم بكل حزم وجدّ لتخليصها من الخطر المحقق بها والخراب الذى يتهدها، وأما أن تلقوا المسؤوليه على عاتقى وتتركونى مطلق اليدين لتدبير الأمور..» (١).

ومما يذكر «أن المندوب السامى كتب جواباً شديداً فى الحال، يلقي فيه مسؤوليه الحاله الراهنه، على عاتق الملك نفسه، إلا أنه أوقف إرسال هذا الجواب لثلاً يحدث تأثيراً سيئاً على الاحتفال يوم التتويج الذى أصبح قريباً جداً» (٢).

سياسه القمع والإرهاب ضدالإسلاميين

من المعلوم إن هذا التخبيط الإدارى فى القمه الإداريه، دليل واضح على قوه التصعيد المؤثر للمعارضه ضد توجهات رموز السلطه، إلا أن الملك، كما (كوكس) والإداره البريطانيه أيضاً، أحسوا بخطوره تصعيد العمل السياسى للمعارضه الوطنيه العامه، هذه الخطوره ليست متجهه لجانب من جوانب الإداره فى البلاد، وإنما هى شامله، تستهدف المندوب السامى والحكوميه والملك والإداره المحليه فى نتيجة الأمر، ولكن ضمن مراحل. لذلك قررت بريطانيا عن طريق مندوبها السامى (كوكس) اتباع سياسه القمع والإرهاب ضد الإسلاميين، وامتداداتهم فى الساحه باعتبارهم رأس الحربه فى مشروع المعارضه الوطنيه الشامله، لىتم حينذاك إنهاء معارضتهم بشكل تام (٣). كما

ص: ٦٥٠

١- (١) الأدهمى، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسى العراقى، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٣-١٩٤. ونعتقد بأن تاريخ رساله الملك هو العاشر من آب كما ذكرنا فى المتن، لا كما ذكر الدكتور الأدهمى فى العشرين من آب. وذلك لأن اليوم العاشر من آب الذى يوافق ١٦ ذى الحجه، هو اليوم القريب جداً من ذكرى التتويج، يوم عيد الغدير فى ١٨ ذى الحجه.

٢- (٢) الأدهمى، د. محمد مظفر: المرجع ذاته، ج ١، ص ١٩٤.

٣- (٣) المرجع ذاته، ج ١، ص ١٩٩.

أن هذا الإجراء القمعي سيضع الملك في الزاوية الحرجة، ومن ثم سيعود بوضوح إلى بيت الطاعة البريطاني.

وفي الأثناء، قفزت فرصه ذهبية أمام (كو كس)، فانفرد في إداره الحكم لوحده، وذلك لإبتعاد الملك عن المسرح السياسي فجأة، وذلك لإجرائه عملية استئصال الزائده الدوديه في ٢٥ آب ١٩٢٢م الموافق في ٣ محرم ١٣٤١هـ- (١)، فاستغل الفرصه لتنفيذ سياسته القمع والعنف بقراره المركزي، الذي يتحمل أعباءه مباشره، وفي الوقت ذاته، حافظ على وضعيه الملك المتناسبه مع دوره المرسوم له، باعتباره يمثل جانب اللين في المخطط البريطاني.

وقد اتخذ (كو كس) من حادث وقع في احتفال التتويج، ذريعه مباشره لسياسته القمعيه، وكانت هذه الحادثه بمثابة القشه التي قصمت ظهر البعير، خلاصتها: إن (كو كس) أثناء دخوله للاحتفال، هتف أحد الحاضرين (ليسقط الانتداب، ليسقط الإنكليز)، فغضب (كو كس) لهدر كرامه حكومته!! وفي البدايه أراد توريط الملك في المسأله (٢)، إلا أن سرعان ما تم استدراك الأمر من قبلهما. إلى أن انفرد (كو كس) بالقرار الرسمي لمرض الملك، ولاستقاله الحكومه منذ ١٩ آب ١٩٢٢م - الموافق ٢٦ ذى الحجه ١٣٤٠هـ، يقول السيد الحسنى: «فتذكر المعتمد، عمرو بن العاص يخاطب حمامه الفسطاط:

صفا لك الجؤ فيضي وآضفري ونقري ما شئت أن تُنقري» (٣)

ص: ٦٥١

-
- ١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٤.
 - ٢- (٢) يذكر أن (كو كس) زار الملك قبيل إجراء العمليه الجراحيه، مصطحباً معه قرار إنزال العقوبه بسبعه من رموز المعارضه، إلا- أن الملك رفض التوقيع عليها وهو في طريقه لغرفه العمليات. تتفق روايتان على هذا المعنى. يذكرهما الوردى في لمحاته (مرجع سابق) ص ١٩١-١٩٤، روايه الريحاني، أمين: فيصل الأول، ص ١١٨-١٩٩، نقلاً عن فيصل شخصياً، وروايه (غريفز) المؤرخ البريطاني نقلاً عن (كور نواليس) مستشار وزاره الداخليه العراقيه.
 - ٣- (٣) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسي الحديث، ج ٢، ص ٢١.

فأصدر (كوكس) بلاغاً عرفياً في ٢٦ آب ١٩٢٢، إلى عموم أهالي العراق، ملؤه الوعيد والتهديد (١)، فقرر تعطيل الحزب الوطني وحزب النهضة رسمياً، وأمر باعتقال أو إبعاد قيادات الحزبين إلى جزيره هنجام في الخليج، وهذا الإجراء يعدّ خطوه أوليه، مهدّت لإنزال الضربه المباشره ضد رموز التحرك الإسلامى. فسارع بآخذ التدابير التاليه:

أولاً: أمر بإلقاء القبض على الأشخاص التاليه أسماؤهم: جعفر أبو التمن، مهدي الباججى، الشيخ مهدي البصير الحلبي وغيرهم.

ثانياً: إقفال الحزب الوطنى وحزب النهضة مؤقتاً، لتقديم ضمانات كافيّه للسير على طريقه قانونيه.

ثالثاً: تعطيل جريدتي (المفيد) و(الرافدين) وإبعاد مديريهما (٢).

أما الخطوه الثانيه (لكوكس) وهى الأهم، فقد تركزت لضرب التحرك الإسلامى مباشره، وبدأت هذه الخطوه من يوم ٢٨ آب ١٩٢٢، ٦ محرم ١٣٤١هـ- حيث تم توجيه إنذار إلى الإمام الخالصى وإلى السيد حسن الصدر بإخراج ولديهما إلى خارج العراق خلال ٢٤ ساعه، وإلا ستلحق الإهان بهما مباشره، وبالفعل استجابا لذلك وتم تسفير (المحمدين) ولديهما إلى إيران (٣). ومما يؤسف له لم يحدث شيئاً مضاداً داخل الساحة العراقيه، مؤثراً ومشهوداً، وكان هذا الإجراء وما تبعه - كما يبدو لنا - (بالون) إختبار لحركه الأمه ومعارضتها السياسيه فى حاله إبعاد الخالصى بذاته أو بقيه العلماء ورموز الحركه الإسلاميه. ويمكن القول: إنّ هذه الإجراءات الشديده كانت تعتبر مفاجأه قاسيه للإسلاميين «فوجمت بغداد ساكنه تتحمل مضض الصبر والألم، واستمرت

ص: ٦٥٢

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، ج ١، ص ٤٤.

٢- (٢) المرجع ذاته، ج ١، ص ٤٤-٤٦.

٣- (٣) الحسنى، تاريخ العراق السياسى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١.

حواضر الفرات الأوسط في صلابتها، فأرسل المعتمد رفاً من القاذفات البريطانية قصفت قبيله (آل فتله) في (المهناويه)، وقبيله (الأ-كرع) في (عفك)، وقبيله (خفاجه) في (الشطره)، وقبيله (العزّه) في (المنصوريه)، ووابلاً من القنابل، دمر الأكواخ والمنازل وأحرق الزرع والضرع، وسبى الأطفال والنساء، ففضى على المعارضه قضاءً ظاهرياً، وتجاوز عن النار تحت الرماد» (١).

وكان يستهدف من هذه الإجراءات العنيفه إيقاف صوت المعارضه الإسلاميه، بتحقيق هدوء نسبي يمكن إداره (كوكس) من تمرير المعاهده عبر تشكيل المجلس التأسيسي في أجواء العنف والإرهاب.

أما الملك فبعد شفائه شكر (كوكس) على أعماله ووصفها بالسياسه الحازمه، والتدابير الضروريه، وحينما خير الملك بين الاعتذار عن مواقفه السابقه، أو الاستقاله عن منصبه فاختار الاعتذار، فكتب إليه في ١١ أيلول ١٩٢٢م الموافق ٢٠ محرم ١٣٤١هـ، يقول:

«عزيزي السير برسي، الآن وقد تم شفائي بحمد الله تعالى وسمح لي أطبائي أن أستأنف أشغالي في الدوله، أرى من واجبي، قبل أن أتولى هذه التبعه أن أقدم إلى فخامتكم تشكراتي القلبيه، وأن أعبر لكم عن إعجابي الشديد للسياسه الحازمه، والتدابير الضروريه التي اتخذها فخامتكم، بصفتمكم ممثلاً لحكومته صاحب الجلاله، لصيانته المصالح العامه، والمحافظة على النظام والأمن، أثناء مرضي المفاجئ الذي صادف بغته في المده التي تنقضى عاده بين استقاله الوزاره، وتأليف وزاره غيرها، وختاماً أكرر تشكراتي الخالصه لفخامتكم على مساعدتكم الثمينه. بغداد ١١ أيلول ١٩٢٢. صديقكم المخلص فيصل» (٢).

ص: ٦٥٣

١- (١) الحسنی، تاریخ العراق السياسي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١-٢٢.

٢- (٢) الحسنی، المرجع ذاته، ص ٢٢.

وهكذا أصبحت الكلمه الأولى ومن دون نقاش للمندوب السامى، فبعد تلك الإجراءات القمعيه وما تبعتها من أجواء إرهابيه، وظهور طبقه اجتماعيه - سياسيه منحازه إلى القوه (١)، واصل ضرباته المتتاليه للمعارضه الإسلاميه ورموزها. إلا أنه وفي سبيل إحكام القبضه على الملك والحكومه معاً، طلب (كوكس) من الملك فيصل أن يكلف عبد الرحمن الكيلانى بتشكيل الحكومه للمره الثالثه، وبالفعل تشكلت الوزاره فى ٨ صفر ١٣٤١هـ - ٣٠ أيلول ١٩٢٢م، برئاسة النقيب الكيلانى، كما وأسندت وزاره الداخليه إلى عبد المحسن السعدون (٢)، والماليه إلى ساسون حسقيلى، والدفاع إلى جعفر

ص: ٦٥٤

١- (١) بعث الشاعر معروف الرصافى إلى (المس بيل) فى ٢٨ أيلول ١٩٢٢ يعرض احترامه وتقديره لها ومما ورد فى رسالته: «..أنا الرجل الوحيد الذى يجاهر فى العراق ويعتقد اعتقاداً جازماً بأن مصلحه أهل العراق اليوم مرتبطه كل الارتباط بسياسه الدوله الإنكليزيه، وإن العراقيين لا ينجحون إلا إذا اعتمدوا على بريطانيا العظمى ومشوا معها..». راجع نص الرساله لدى التميمى، د. خالد: محمد جعفر أبو التمن، مرجع سابق، ص ١٨٤-١٨٥. وإن الرصافى وأمثاله يمثلون ظاهره اجتماعيه متذبذبه الرأى.

٢- (٢) عبد المحسن السعدون: ولد سنة ١٨٧٩م فى الناصريه (المنتفك)، دخل مدرسه العشائر فى استانبول حينما بلغ الثالثه عشره من عمره ثم تخرج من المدرسه الحربيه، فأصبح هو وأخوه عبد الكريم مرافقين للسلطان عبد الحميد سنه ١٩٠٥. أنتخب عبد المحسن نائباً عن العماره فى مجلس المبعوثين عام ١٩٠٨، ثم نائباً عن المنتفك عام ١٩٢٢، تردد على بغداد حتى استقر فيها فى تشرين الثانى ١٩٢١. عُين وزيراً للعدليه فى وزاره النقيب الثانيه فى ٢٤ نيسان ١٩٢٢. ثم عُين وزيراً للداخليه فى وزاره النقيب الثالثه فى ٣٠ أيلول ١٩٢٢. أصبح رئيساً للوزاره من ١٨ تشرين الثانى ١٩٢٢ إلى ٢٢ تشرين الثانى ١٩٢٣. انتخب نائباً عن البصره فى المجلس التأسيسي، ثم انتخب رئيساً له فى ٢٧ آب ١٩٢٤. وانتخب رئيساً لمجلس النواب فى ٢٧ تشرين الثانى ١٩٢٦ و١٩٢٧. أصبح أربع مرات رئيساً للوزاره، حتى أنتحر فى بغداد بتاريخ ١٣ تشرين الثانى ١٩٢٩. وذلك لعدم تمكنه من إيجاد حاله من التوازن والتوفيق بين قرارات الإنكليز ومطالب المعارضه - كما جاء فى وصيته-. للتفاصيل راجع، بصرى، مير: أعلام السياسه فى العراق الحديث، رياض الرئيس للكتب والنشر لندن ١٩٨٥م، ص ٦٧-٧٥. وكذلك العلوى، حسن: التأثيرات التركيه فى المشروع القومى العربى فى العراق، مرجع سابق، ص ٩١-

العسكري، والمواصلات والأشغال إلى صبيح نشأت، والعدليه إلى توفيق الخالدي، والأوقاف إلى محمد علي فاضل، وبقيت وزاره المعارف شاغره لاعتذار عبد المحسن شلاش من قبولها وذلك لكثرة أعماله التجاريه (١).

والمعروف عن شخصيه النقيب الكيلاني إنه كان مستسلماً أمام الإراده البريطانيه - كما أوضحنا موقفه من قبل - أما الوزراء فقد أمكن إفهامهم بالخطه البريطانيه قبل إصدار الملك بلاغه بتأليف الحكومه، وذلك عبر كتاب غير رسمي بعثه المندوب السامي (كوكس) إلى الملك، الذي أحاله بدوره إلى الوزراء المرشحين. والحقيقه لم يكن أعضاء وزاره الجديده يختلفون عن وزاره السابقيه سوى أنها شهدت تصعيد محمد علي فاضل إلى وزاره الأوقاف، وتبادل توفيق الخالدي والسعدون منصيهما. هذا ويتلخص هدف الخطه البريطانيه في إيجاد صيغه قانونيه لاستعمار العراق بإرادته العراقيين ابتداءً من مجلس الوزراء العراقي!! وهكذا وقع على المعاهده في أجواء استثنائيه كل من النقيب عبد الرحمن الكيلاني في ١٩ صفر ١٣٤١هـ، ١١ تشرين الأول ١٩٢٢، والمندوب السامي (كوكس)، وذيلها الملك بتوقيعه أيضاً. وقد تمّ نشر نصها الإنكليزي في لندن في اليوم التالي أي ٢٠ صفر، ١٢ تشرين الأول، مرفقاً ببلاغ وزير المستعمرات (المستر تشرشل) الذي جاء فيه: «..إن الحكومه البريطانيه وهى شاعره بقوه العهود الوثيقه التي قطعتها للعراق مقتنعه بأن إبقاء هذه العهود حتى الوفاء يتم بواسطه معاهده التحالف

ص: ٦٥٥

١- (١) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨-٤٩.

التي أمضيت.. وعندئذٍ تبذل الحكومه البريطانيه خير مساعيها في سبيل حمل عصبه الأمم على قبول العراق في عضويتها بشرط تنفيذ هذه المعاهده..» (١).

هذا وقد أصدر الملك فيصل بلاغاً في ٢١ صفر ١٣٤١هـ، ١٣ تشرين الأول ١٩٢٢م، أشاد بالمعاهده وبيّن أنها بنيت على أساس المصالح المتبادله بين بريطانيا والعراق وأعتبرها في مصلحه العراق وشعب العراق، وهي خطوه في طريق الاستقلال التام والدخول في عصبه الأمم. وطالب الشعب العراقي باحترام المعاهده والاستعداد للخطوه القادمه وهي انتخابات المجلس التأسيسي، ووضع القانون الأساسي (٢). ومما جاء في بلاغه «..وكما أننا أخذنا على أنفسنا أن نحترم عهود بريطانيا العظمى ومصالحها الدوليه، فإنها تعهدت بمعاونتنا واعترفت باستقلالنا السياسي وباحترام سيادتنا وجميع الاتفاقيات التي تتفرع عن المعاهده ستبنى على أساس هذه المبادئ ولم يبق علينا إلا أن نباشر بالانتخابات لجمع المجلس التأسيسي، ووضع القانون الأساسي، وبذلك نخطو خطوه ثانيه..» (٣).

وهكذا تتلاحق الأحداث المفروضه على الساحة بقوه الإرهاب من قبل سلطه الاحتلال، بعد طول معاناه، وقد واصلت هذه السلطه أسلوبها الهجومي خطوه بعد خطوه نحو استكمال المشروع البريطاني في السيطرة على العراق (٤)، وعلى ضوء هذه

ص: ٦٥٦

-
- ١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: المرجع ذاته، ج ١، ص ٤٩. وكذلك الحسنى، تاريخ العراق السياسي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٦.
 - ٢- (٢) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ١٩٩. عن جريده (العراق) العدد الصادر في ١٤ تشرين الأول ١٩٢٢م.
 - ٣- (٣) الحسنى: تاريخ الوزارات، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠، والحسنى: تاريخ العراق السياسي الحديث، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٥-٢٦. (النص الكامل لبلاغ الملك).
 - ٤- (٤) نص المعاهده العراقيه البريطانيه الأولى، تجدها لدى الحسنى: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٥١-٥٥ من دون تعليق. وكذلك الحسنى: تاريخ العراق السياسي الحديث، مرجع

التطورات أخذت تواجه المعارضه الإسلاميه الوطنيه مزيداً من الأتعاب والجهود المضمنيه مما أثقل كاهلها، وحقاً إنها لم تعالج أزمه ولم تخرج من استيعاب ظرفٍ عسيرٍ وهى مشخنه بجراحها إلا وتواجه حله صراع أخرى كان لزاماً عليها أن تقتحمها أيضاً، وتجرب نصبيها فيما نُصب لها من عقبات وأزمات، وهكذا آستمرت بكل ما أوتيت من قوه فى حاله المقاومه الدائمه لمظاهر السياسه البريطانيه وخطوات مشروعها على الساحه العراقيه.

ص: ٦٥٧

إشارة

مما مضى من الأحداث يجسد فشل (كوكس) والإدارة البريطانية بالإضافة إلى الحكومه والملك في الوصول إلى الهدف المنشود، وهو استعمار العراق بالشكل القانوني!، مما جعل (كوكس) يشعر بعدم جدوايته الوسائل الدبلوماسية المتاحة، لذلك أراد بلوغ هدفه عبر اتباع سياسته القمع والإرهاب وإبطال مفعول سياسته اللين والتراضي خاصة مع قادة الإسلاميين، بالإضافة إلى اتباع سياسته إقصاء ما يمكن من الإداريين في الحكومه، الذين هم في خط الملك، أي ضمن خطه سياسته اللين مع المعارضه.

وسنلاحظ في هذه المرحله، وأمام هذا الأسلوب العنيف من قبل (كوكس)، تراجع الملك - ضمن الخطه الإداريه المرسومه - وابتعاده عن مواجهه الأحداث مباشره وذلك لتبقى له بقايا من السمعه الطيبه داخل الأوساط العراقيه التي تهتم السياسه البريطانيه العامه في دعم مصالحها في البلاد، علاوه على ضروره المحافظه على رصيده الشخصى - أيضاً - للمرحله اللاحقه.

ولذلك استمرت آمال الإنكليز مرتبطه بتشكيل المجلس التأسيسي لغرض الحصول على المظله القانونيه في تنفيذ سياستهم، وكذلك كان الأمر بالغ الأهميه لدى الملك فيصل فقد كان متحمساً هو الآخر، وذلك ليأخذ شرعيته القانونيه في ممارسه

سلطته الدستوريه (١). وعليه فقد آتخذت تدابير خاصه فى مجلس الوزراء فى ١٧ تشرين الأول ١٩٢٢، رفعت إلى الملك فأصدر موافقته فى ١٩ تشرين الأول، محددًا موعد الشروع لانتخابات المجلس التأسيسى فى غرّه ربيع الأول ١٣٤١هـ، ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٢م، وقد حصرت مهمات المجلس «فى ثلاثه أمورهى:

١- البت فى المعاهده.

٢- سن الدستور للملكه.

٣- وضع قانون الانتخابات للمجلس النيابى» (٢).

وذلك على ضوء النظام المؤقت لقانون الانتخابات للمجلس التأسيسى الذى أقرته الإداره الملكيه فى الرابع من آذار ١٩٢٢م، ومن ثم نشر فى الصحف المحليه فى الأول من أيار / مارس ١٩٢٢، ٥ رمضان ١٣٤٠هـ (٣).

وكان السعى متواصلًا لتشكيل المجلس وذلك «ليقرّ القانون الأساسى للملكه العراقيه، وقانون انتخاب مجلس النواب والمعاهده العراقيه البريطانيه» (٤)، وقد نشر إلى جانب قرار الإراده الملكيه، بيان وزير الداخليه إلى شعب العراق يوضح فيه مسؤوليه

ص: ٦٥٩

١- (١) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٨٥.

٢- (٢) الحسنى: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٦.

٣- (٣) «يتكون النظام المؤقت لانتخابات المجلس التأسيسى من مقدمه فى الاصطلاحات وسبعه فصول تحتوى على ٧٢ ماده، وتحتوى المقدمه على ماده واحده لتعريف اصطلاح العراق وتقسيمه إلى اثنى عشر لواءً، وتعريف اصطلاح العراقي، بأنه كل عثمانى متوطن فى بلاد العراق وغير مدعّ بتابعيه أجنبيه». الأدهمى، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسى العراقي، مرجع سابق، ج ٢، ص ١١. راجع تفاصيل النظام المؤقت للانتخابات وطريقه الانتخابات والشروع بها، فى المرجع المذكور، ص ١١-٢٠. وكذلك لمعرفه سير أعمال المجلس ودور فيصل راجع التكريتى، د. عبد المجيد كامل: مرجع سابق، ص ١١٧-١٦١.

٤- (٤) الأدهمى، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٠.

الشعب في ممارسه حقه في الانتخاب، كما وقدم توصيات في الإلتزام بالسكينة، وعدم إفساح المجال للمشوشين المعارضين، كما وجه تعليماته للمحافظين والموظفين لاتخاذ جانب الحياد في الانتخابات (١).

موقف المعارضه الإسلاميه من الانتخابات

أمام هذه الإجراءات السريعه من قبل الملك والحكوم، وبشكل مباشر وزير الداخليه تحدد الخيار أمام المعارضه الإسلاميه، في صب الجهود لغرض عرقله مسيره هذا المشروع، وإبطال مفعول سريان الانتخابات. ولذلك تحفزت المعارضه لخوض هذه المعركه الوطنيه، باعتبارها خطوه أساسيه نحو تصديق المعاهده، كما تريد بريطانيا، وذلك لأن النتائج كانت معروفه لدى الإسلاميين - سلفاً - لإيمانهم بأن هذه الانتخابات لا تتم بشكل حر وفي الهواء الطلق، فعليه قرر الإسلاميون بقياده العلماء الكبار عرقله الانتخابات من البدايه، والوقوف أمام اللهات السياسى الذى تبديه بعض الأطراف فى الساحه بشكل عام، جراء الإغراءات بالمواقع السياسيه، وتحقيق بعض المصالح الشخصيه.

وفى حاله تشكيل المجلس بالطريقه البريطانيه، ستحقق الإداره البريطانيه هدفها الكبير فى استعمار العراق بإرادته ممثلى شعب العراق فى المجلس التأسيسى، وهكذا اعتبر الإسلاميون نجاح الانتخابات بالطريقه التى تطمح إليها الحكومه، خساره كبرى للشعب فى آخر حصن من حصون المقاومه السياسيه، بالمقابل اعتبر الإسلاميون، إن نجاح عرقتهم للانتخابات يمنح المعارضه فرصه مهمه تفتح من خلالها آفاق مستقبل جديد فى المعترك السياسى، وبمعنى آخر، إن المعارضه الإسلاميه ستنجو من ضربه قاضيه يوجهها المجلس التأسيسى إلى مشروعها الوطنى فى حاله تشكيل المجلس، لأن الهدف من تشكيله

ص: ٦٦٠

بالدرجة الأولى المصادقة على المعاهد، وعليه سيطول أمد الصراع السياسى والجهادى عبر محاولات رفض مشاريع السيطرة البريطانية لأجل نيل الاستقلال التام. ولكن، بالرغم من أن جراح المعارضه لا زالت عميقه، وهى لما تندمل بعد من ضربه المندوب السامى فى شهر آب الماضى، إلا أنها تصدّت للمؤامره الجديده بثوبها القانونى، وذلك بكل قوه وصلابه لم تتوقعها سلطه الانتداب البريطانى، لما أصابها من محن وأزمات فى طريق تنفيذ خطتها.

فأصدر المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الاصفهانى الفتوى التالىة لحسم الأمور لدى الناس باتجاه مسأله الانتخابات، هذانصها:

«إلى إخواننا المسلمين، إن هذا الانتخاب يميت الأمه الإسلاميه، فمن انتخب بعد ما علم بحرمه الانتخاب حرمت عليه زوجته وزيارته، ولا يجوز رد السلام عليه، ولا يدخل حَمَام المسلمين (1)، هذا ما أدى إليه رأينا والله العالم بالصواب».

أما الشيخ الخالصى فأصدر فتوى شرعيه فيها تنديد لأعمال (كوكس) من نفى وتشريد وإرهاب الناس بالأساليب العنيفه، وقصف العشائر بالطائرات، ومما جاء فيها:

«..إن المداخله بالانتخابات وكل ما يبتنى على هذا الأساس المضر بمستقبل العراق، بل

ص: ٦٦١

١- (١) تعتبر أمثال هذه الفتاوى فى درجه القمه فى سِيَم التحدى لكبرياء السلطتين المزدوجتين، سلطه المندوب السامى وسلطه الحكومه العراقيه. وتدل فتوى الإمام الاصفهانى، على أن المخالف لها يخرج من إطار المسلمين، فتحرم عليه زوجته، وزيارته، ولا يجوز السلام عليه ولا يدخل حَمَام المسلمين، أى لا يعد من المسلمين بل من الخارجين عن طاعه أولى الأمر الذين هم الفقهاء المراجع وطاعتهم هى من طاعه الله. أما بالنسبه لحرمه دخوله فى حمام المسلمين، فقد كانت - آنذاك - حَمَامات عامه للرجال، وحَمَامات عامه للنساء. فلو خالف المسلم هذه الفتوى يخرج من إطار المجتمع الإسلامى، ودخوله حينذاك إلى الحمام كدخول المرتد عن الإسلام فى تلك الحمامات الخاصه بالمسلمين. وعليه ينجس الماء والمسلمين. وبالنتيجه تعتبر مقاطعه اجتماعيه كبيره للمخالفين، أى غير المنفذين للفتوى.

بجميع شؤونه محرمة شرعاً بإجماع المسلمين ونحكم بخروجه عن ريقه المسلمين..» (١).

وقد بلغت هذه الفتاوى القمه في ١٥ ربيع الأول ١٣٤١هـ، الموافق ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢م (٢). حينما صدرت من العلماء الثلاثة الكبار، المتصدين للساحة السياسيّة - وهم الإمام السيد أبو الحسن الاصفهاني، والميرزا محمد حسين النائيني، والشيخ مهدي الخالصي - إجابات لاستفتاءات وجهت إليهم من قبل الأمة تشدّد على حرمة الدخول في لعبه الانتخابات، وتؤكد على الفتاوى السابقة التي صدرت عنهم في هذا الاتجاه، وكانت الإجابات بالشكل التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. نعم قد صدر منّا تحريم الانتخاب في الوقت الحاضر لما هو غير خفي على كل بادٍ وحاضر، فمن دخل فيه أو ساعد عليه فهو حارب الله ورسوله وأوليائه صلوات الله عليهم أجمعين».

الأحقر أبو الحسن الموسوي الاصفهاني

«بسم الله الرحمن الرحيم. نعم حكمنا بحرمة الانتخاب وحرمة الدخول فيه على كافة الأمة العراقيه، وإن من دخل في هذا الأمر أو ساعد عليه أدنى مساعده فقد حاد الله ورسوله والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، أعاذ الله الجميع من ذلك».

الأحقر محمد حسين الغروي النائيني

ص: ٦٦٢

-
- ١- (١) الوردى، على: المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٠٣. عن وثائق البلاط الملكي رقم التسلسل ١١٥، رقم الوثيقة ١.
 - ٢- (٢) يذكر الأدهمي: إن الفتاوى الدينيه لمقاطعه الانتخابات صدرت موقعه بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٣٤١هـ، المصادف ٩ تشرين الثاني ١٩٢٢م، نقلاً عن المركز الوطني لحفظ الوثائق ببغداد وكان مصدرها كربلاء والكاظميه والنجف. راجع الأدهمي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٣. كما ويشير في هامش ص ٥٧، رقم ٣٦، إن التقرير البريطاني ذكر تاريخ صدور الفتاوى في ٨ تشرين الثاني ١٩٢٢م. p.٢٦. (١٩٢٣-١٩٢٢). British Repor..

«بسم الله الرحمن الرحيم. نعم قد صدر منّا الحكم بتحريم الانتخاب على كافة الأمة العراقية، فمن دخل، أو تداخل أو ساعد فيه فقد حاد الله ورسوله، وقد قال عزّ من قائل في كتابه المجيد: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ١. أعاذ الله الجميع من ذلك».

الراجي محمد مهدي الكاظمي الخراساني الخالصي عفى عنه (١)

وبعد صدور هذه الفتاوى تم استنساخها وتوزيعها في الأوساط العامه بشكل مكثف كالنار في الهشيم (٢)، مما جعل موقف الحكومة محرّجاً أمام الناس، وانحصر في موقع الدفاع عن قرارها - كما سنرى - كمعالجه سياسيه أرغمت على اتباعها إثر ذلك التصعيد، وقد جاءت مطالب المعارضه الإسلاميه واضحه من خلال تلك الفتاوى الشرعيه التي أعلنت مقاطعه الانتخابات تتلخص في: «أنه لا يجوز للشعب أن يشترك فيها، ما لم تنزل الحكومه عند رأيهم، فتجيب مطالبهم المشروعه وهي:

١- إلغاء الإداره العرفيه.

٢- إطلاق حريه المطبوعات و الاجتماعات.

٣- سحب المستشارين (البريطانيين) من المناطق إلى بغداد.

٤- إعادة المنفيين السياسيين.

ص: ٦٦٣

١- (٢) الوردى، المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٠٢، عن وثائق البلاط الملكى رقم الإضبارة ٣ رقم الوثيقه ٧.
٢- (٣) يذكر (محمد مهدي كبه) وهو من المعاصرين للأحداث، في كتابه (مذكراتى فى صميم الأحداث) طبع بيروت ١٩٦٥، ص ٢٧. تحرك الشباب المسلم إثر صدور هذه الفتاوى فيقول: «كنت وجماعه من شباب الكاظميه ومن طلاب مدرسه الخالصي دائبين على العمل فى كتابه صيغ الاستفتاء، ومواجهه علماء الدين، واستصدار الفتاوى منهم، وانتدب بعض الشباب لكتابتها على الأوراق والكربون وتوزيعها بين الناس وإرسالها إلى بغداد وغيرها فى أنحاء البلاد».

وهكذا نلاحظ اتفاق كلمه المجتهدين المتصدّين، وسائر العلماء فى هذا الاتجاه، وكان للشىخ الخالصى الدور الكبير فى توضيح بعض الحقائق التى اكتشفها بنفسه عن كذب، وذلك فى فتره مبايعته للملك، ممّا أثرى - بعد نقضه للبيعه - المسيره الجهاديه بزخم هائل من المعلومات المفيده والقناعات المستجده التى زادت فى معنويات المعارضه. وعليه فإن الموقف الحاسم الذى اتخذته القيادات الإسلاميه، بأنعكاساته المباشره على الرأى العام، أدخل الإنكليز فى نفق مظلم ذى شعبٍ متعدده مره أخرى، وذلك لأنّ تعطيل الانتخابات يعنى عدم تشكيل المجلس التأسيسى، وبالنتيجه عدم إبرام المعاهده، وبمعنى آخر عوده المشروع البريطانى من الأساس - مره أخرى - إلى المربع الأول. بينما دخلت القضيه فى صراع حاد بين فتاوى العلماء المحرّمه لإجراء الانتخابات من جهه، وبين الحكومه المصره على إجرائها من جهه ثانيه. وقد نشر وزير الداخليه عبد المحسن السعدون بياناً إلى الشعب مشدداً على ضروره إجراء الانتخابات، ومؤكداً على أن «واجب الشعب أن يعضد الحكومه فى هذا السبيل، ولا يفسح المجال للتلاعب بمقدساته»!! (٢)، ويبدو لنا، إن الشعور المتبادل بين الطرفين قد بلغ ذروته عند هذه المعركه، وأعتبرت معركه مصيريه بالنسبه لسلطه الاحتلال والحكومه التابعه لها، وبالفعل وصلت المسأله إلى القمه الفاصله بين الارادتين، فلو تمّ تجاوز هذه العقبه بنجاح لنال المنتصر استحقاقات المواقف السابقه. فالإسلاميون كانوا يعتبرون انتصارهم تنويجاً لجهادهم الطويل، وإن إخفاقهم يعنى ضياع الفرصه الذهبيه فى الصراع السياسى. ومن

ص: ٦٦٤

-
- ١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، المرجع السابق، ج ١، ص ٥٦.
 - ٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٥٦. الوزاره النقيبيه الثالثه شكّلت فى ٧ صفر ١٣٤١هـ، ٣٠ أيلول ١٩٢٢م، ولم تستمر طويلاً، فبعد إبرام المعاهده فى المجلس بتاريخ ١٠ تشرين الأول آستقالت فى ٢٧ ربيع الأول ١٣٤١هـ- الموافق ١٧ تشرين الثانى ١٩٢٢م. المرجع ذاته، ص ٤٩.

هنا يمكن فهم أجواء المرحلة الحرجة التي كانت تمرّ على سلطه الاحتلال ومن ضمنها الحكومه، لذلك اختل توازنها وأقدمت على استخدام أساليب العنف والإرهاب لتثيبت مشروعها الاستعماري. وفي حينها فشلت الحكومه في منع نشر فتاوى التحريم في عموم المناطق، حيث تم نشرها في الصحف المحليه عموماً، فعمدت الحكومه على إشاعه الأكاذيب، وبالفعل أشاعت في الأوساط العامه بأن العلماء لا يعارضون أصل الانتخابات، وإنما لديهم شروط من الممكن التفاهم عليها. وكانت هذه الخطوات وقائيه خوفاً من تطور الأحداث، إلا أن الإسلاميين نشطوا في توزيعها وتأكيدا للناس، كما صدرت تأييدات علمائيه وسياسيه لحث الناس على التمسك بفتاوى المراجع الكبار (١). وكذلك بدأت الحمله الإسلاميه ضد رموز الحكومه بعد موافقتها المبدئيه على المعاهده، فقد وصفت بعض الإعلانات النقيب الكيلاني بأنه مرتدٌ عن الشريعه الإسلاميه لتأييده المعاهده، لأن تصديقها يعنى مصادره آراء المسلمين في العراق، وتضييع ثمرات جهادهم المرير (٢). وكان الناس يتبادلون أقوال الشاعر الشعبي عبود الكرخي في ذم النقيب منها:

يا نقيب يا نقيب عجب ما عندك صحيب

من عكب جدك محمد صار إلك (كوكس) حيب (٣)

السعدون رجل المهمات البريطانيه الصعبه

أمام هذا التطور الخطير، كان البريطانيون يبحثون عن رجل المرحلة، فأوا في شخصيه عبد المحسن السعدون ضالتهم، وأصبح عند حُسن ظنهم، في وقتٍ كان

ص: ٦٦٥

١- (١) فرج، لطفى جعفر: عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسى المعاصر، بغداد ١٩٧٨. منشورات وزاره الثقافه والفنون، ص ٦٨-٨٧.

٢- (٢) الأدهمى، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٤.

٣- (٣) الوردى: المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٠٤.

الكيلانى، قد ضاق ذرعاً من تصعيد أعمال المعارضة الإسلاميه - سياسياً - وبالفعل فشلت الحكومه النقيبه الثالثه فى إجراء الانتخابات، فى جميع أنحاء العراق، وذلك لموقف المعارضه الإسلاميه فى الوسط والجنوب إثر الفتاوى الدينيه المحرّمه للانتخابات، وكذلك لضعف سيطره الحكومه على المناطق الكردية فى الشمال (١). وعليه اضطرت الحكومه على تقديم استقالتها فى ١٧ تشرين الثانى ١٩٢٢م، ٢٧ ربيع الأول ١٣٤١هـ - (٢). أى بعد صدور الفتاوى بأسبوع واحد تقريباً على ضوء التقرير البريطانى الذى حدد صدور الفتاوى فى ٨ تشرين الثانى ١٩٢٢م، ١٩ ربيع الأول ١٣٤١هـ - (٣). حيث فشلت اللجان الانتخابيه فى النجف وكربلاء والحله والكوفه، فى إجراء الانتخابات. وفى الكاظميه أعلن الموظفون فشلهم فى تشكيل اللجان. وفى كربلاء حاول المحافظ تجديد الهيئه التفتيشيه لأكثر من مره، لكنه فشل فى ذلك. وفى بغداد والموصل تعطلت الحركه الانتخابيه، وهكذا فى سائر أنحاء العراق إثر فتاوى العلماء (٤).

وبعد هذه الهزيمه للحكومه ولسلطه الاحتلال، رجحت كفه النظرية السعدونيه، الداعيه إلى استخدام العنف، وبالفعل انبرى السعدون لتشكيل وزاره بتكليف من الملك بعد يومين من استقاله الحكومه، فأصبح السعدون فيها رئيساً للوزاره، ووزيراً للعدليه بالوكاله (٥). وبالفعل أصبح رجل المهمات البريطانيه الصعبه، حيث إنه تصدّى

ص: ٦٦٦

-
- ١- (١) للتفاصيل راجع، الأدهمى: د. محمد مظفر: المجلس التأسيسى العراقى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٨-٣٣. تحت عنوان (الأكراد والانتخابات).
 - ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٧. وكذلك الأدهمى: المرجع ذاته، ص ٢١-٢٢.
 - ٣- (٣) الأدهمى، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسى، ج ٢، ص ٢٣. عن: BritishRepor..١٩٢٢ -١٩٢٣.p.٢٦.
 - ٤- (٤) للوقوف على تفاصيل عوامل توقف الانتخابات وانعكاساتها فى الصحف المحليه، راجع، الأدهمى، د. محمد مظفر: المرجع نفسه، ص ٢٥-٣٦.
 - ٥- (٥) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، المرجع السابق، ج ١، ص ٥٧.

لشعبه والمعارضه بالتحديد بأشد الأساليب القمعيه، وذلك لإخماد صوتهم وطموحاتهم، فكان تشخيص الإنكليز له ناجحاً، لمؤهلاته الشخصيه المساعده لأداء هذا الدور، فمنذ أن كان السعدون «نائباً عراقياً سابقاً في مجلس (المبعوثان العثماني).. أظهرت حياته النيايه تلك بأنه لم يكن سياسياً بارزاً ولم يتميز بعاطفه وطنيه مندفعه، وهذان الأمران كانا كافيين لكي يشغل عبد المحسن السعدون منصب الوزاره..» (١).

وفي حينها صمّم السعدون على إجراء الانتخابات في جوّ ضاغط، فقد أشار في بيانه الوزاري إلى قانون الانتخابات المتضمن معاقبه المقاطعين لها والمخلّين بالأمن، والناشرين لفتاوى العلماء الداعيه للمقاطعه، إلا أنه قوبل بالمقاطعه الشامله - أيضاً - ليس فقط في المناطق الشيعيه، فمثلاً في ٢٥ كانون الأول ١٩٢٢ الموافق ٧ جمادى الأولى ١٣٤١هـ - أكدت رساله الموصل على أن الهيئه التفتيشيه لتدقيق الدفاتر الأساسيه المنجزه اتخذت قراراً بالتوقف عن العمل و«أعلنت فيه أن هناك عراقيل تقف في طريق عملها وهي تأثير الفتاوى الدينيه، وسماع الشتائم في المجتمعات العموميه.. وقد أرسل متصرف لواء الموصل في ٢٨ كانون الأول [١٩٢٢م] قرار الهيئه التفتيشيه هذا إلى وزاره الداخليه معلناً إن الهيئه التفتيشيه في الموصل لم تعد ترغب بمواصله مسعاها» (٢)، و«يذكر التقرير البريطاني، إن أثر الفتاوى الدينيه لم يقتصر على الشيعه وحدهم، بل استجابت الطائفه السنيّه له أيضاً، وقام رجال الدين المسيحي بالدعوه لمعاوضه المسلمين في حركتهم» (٣). ففي الموصل لم تقتصر المقاطعه على المسلمين بل شملت المسيحيين أيضاً

ص: ٦٦٧

-
- ١- (١) فرج عبد الله: د. لطفى جعفر: مرجع سابق، مطبعه الخلود بغداد، ص ٥٤.
 - ٢- (٢) الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي العراقي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧.
 - ٣- (٣) فرج عبد الله، د. لطفى جعفر: عبد المحسن السعدون، مرجع سابق، طبع بغداد مطبعه الخلود، ص ٧٤-٧٥. نقلاً عن التقرير البريطاني: ١٩٢٤.p٦٦ - ١٩٢٣..BritishRepor.

حيث «ظهرت إعلانات موجهة إلى المسيحيين تخبرهم بأن رجال الدين المسيحيين أفتوا بمقاطعه الانتخابات، ومؤازره المسلمين في ذلك» (١).

إن هذه التطورات وضعت الحكومة في الزاوية الحرجة، فاضطرت إلى إيقاف الانتخابات في المدن الشيعية، وحينما أخذت المقاطعه طابع الشمولية العامه في معظم المناطق، أعلنت الحكومة إيقافها في كانون الثاني ١٩٢٣. «وهكذا فشلت الانتخابات التي بدأت في تشرين الأول ١٩٢٢، وانتهت إلى الانهيار، ولم يستطع المجلس التأسيسي الاجتماع في كانون الثاني ١٩٢٣ كما كان مقرراً له» (٢). وبذلك انتهت الجولة الأولى للانتخابات بالفشل بسبب المقاطعه الشعبيه.

وعند هزيمه الحكومة في هذه الجولة أمام إرادته المعارضة الوطنية قدّم السعدون نفسه متطوعاً بإصرارٍ على أداء المهمة الصعبة، ومتعهداً بإخلاصٍ على تقديم العراق لقمه سائغهُ إلى البريطانيين المحتلين، وقد عرض عليهم طريقته الخاصه في سبيل إنهاء الأزمه لصالحهم، عبر إرغام الشعب على خوض الانتخابات، بشرط قبولهم على تصديده المباشر للقرار السياسي بشكلٍ يضمن إطلاق يده في إتخاذ الإجراءات التنفيذيه اللازمه لغرض إرهاب الشعب وتضييق الخناق عليه بشتى الوسائل، وذلك عبر توليه وزاره الداخليه إلى جانب رئاسه الوزراء، وإسناد وزاره العدليه إلى ناجي السويدي -وزير الداخليه الحالى - . ولما رأّت سلطه الاحتلال هذا الخيار بالنسبه إليها يعدّ إنقازاً لمشروعها الاستعماري، سارعت إلى إجراء التعديل الوزاري المطلوب وذلك في ١٦ كانون الثاني ١٩٢٣ م (٣) لينطلق السعدون في إدارته القمعيه، بقرارات يتخذها لوحده بصوره مباشره وسريعه، من القناه الأولى رئاسه وزاره إلى القناه التنفيذيه وزاره

ص: ٦٦٨

١- (١) الأدهمي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٧.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٣٤.

٣- (٣) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٧.

الداخليه، وبذلك يضمن تنفيذ قراراته الحاسمه باتجاه رموز المعارضه الإسلاميه دون تلكؤ أو تأجيل، وعندها سيُجبر الشعب على الدخول فى الانتخابات مرغماً فى ظل الإرهاب الفكرى واستخدام القوه والبطش. إلا أنه حينما استلم السعدون المسؤوليتين، وعلى خلاف التوقعات، اتبع سياسه التساهل واللين، فى البدايه كخطوه لامتنصص قسطٍ من غضب المعارضه وذلك عبر تحقيق بعض مطالبها التى ابتدأت الحكومه منذ ٨ كانون الأول ١٩٢٢ الموافق ١٩ ربيع الثانى ١٣٤١هـ، باتباعها أى قبيل توقف الانتخابات، واستمرت على هذا المنوال -فيما بعد - فأعدت المعتقلين السياسيين المبعدين إلى (هنجام). بعد أن قدّموا تعهداتهم الخطيه، بعدم تدخلهم فى أعمال المعارضه المخلّه بالأمن والنظام (١).

وهكذا واصل السعدون سياسته اللينه - على الظاهر - مع المعارضه فى تلك المرحله، حسب ما تقتضيه المصلحه البريطانيه حيث «ضمن منهاجه حريه الصحافه وحريه الاجتماع، وتأليف الأحزاب وفقاً للقوانين المرعيّه» (٢).

ومما لا يخفى أنّ هذه الأمور هى من مطالب المعارضه، وكذلك أقدمت الحكومه على اتخاذ إجراء آخر يعدّ من مطالب المعارضه - أيضاً - وهو تعديل نظام التفتيش الإدارى الصادر فى ٢١ كانون الثانى ١٩٢٣م الموافق ٣ جمادى الثانى ١٣٤١هـ - (٣).

وعليه تكون بغداد المقر العام للمفتشين الإداريين، والمقر العام يتولى مهمه إرسال المفتشين إلى المناطق حسب الحاجه التى تشخصها وزاره الداخليه، وكان الهدف من هذا الإجراء هو «إقناع العقول السياسيه فى العراق من المعارضين لبريطانيا، وانتراع

ص: ٦٦٩

١- (١) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيّه العراقيه، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٣٨.

٢- (٢) الحسنى، تاريخ الوزارات العراقيه، ج ١، ص ٥٩.

٣- (٣) المتضمن ٢١ ماده، راجع الحسنى: المرجع ذاته، ص ٦٣.

الشكك السائد بأن بريطانيا ترمى إلى سيطره دائمه على العراق» (١). (١).

ويمكن تشخيص السبب الدافع للسعدون ولسلطة الاحتلال باتباع سياسه اللين هو ضغط الظروف الموضوعيه المحيطه بالقضيه العراقيه - آنذاك - حيث تصاعدت نبره التهديدات التركييه فى الشمال لمطالبتها بالموصل (٢)، فتركت بريطانيا والحكومته العراقيه لتلك التهديدات فسحه زمنيه لتعمل عملها فى إشغال الرأى العام العراقي بمشكله الموصل، وذلك ليدرك العراقيون ضروره الالتفاف حول الحكومه لتقويتها أمام العدو الخارجى، وذلك فى مرحله هزيمتها أمام الشعب إثر توقف الانتخابات (٣).

ولعل التغيير الذى حصل فى الإداره السياسيه فى بريطانيا نفسها، يعدّ العامل الأهم والمباشر لاتباع هذه السياسيه، ففى ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٢ الموافق ٣ ربيع الأول ١٣٤١هـ، استقالت وزاره (لويد جورج) الائتلافيه، فظهرت صيحه صحفيه ونيابيه ضد الوجود البريطانى فى العراق، لما أعقبه من تكاليف ماليه باهضه، مما استدعى (كوكس) إلى لندن فذهب إليها فى ١٩ كانون الثانى ١٩٢٣، ٢ جمادى الثانيه ١٣٤١هـ، مخلفاً (السير هنرى دوبس) وكيلاً عنه. وحينما عاد المندوب السامى (كوكس) إلى بغداد فى ٣١ آذار ١٩٢٣م الموافق ١٤ شعبان ١٣٤١هـ، كان يحمل الإجراء الأبرز فى جعبته باتجاه سياسه إرضاء المعارضه، وهو توقيع ملحق للمعاهده البريطانيه - العراقيه، بين السعدون رئيس الوزراء، والمندوب السامى، الذى يقضى بتقليص مدته المعاهده من عشرين سنه إلى أربع سنوات، وعليه أذاع الملك فى ٣٠ نيسان ١٩٢٣م الموافق ١٤

ص: ٦٧٠

-
- ١- (١) الأدهمى: المرجع ذاته، ج ٢، ج ٢، ص ٤٨. عن التقرير البريطانى: ١٩٢٣-١٩٢٤.p.٧-٨. British Repor..
 - ٢- (٢) للتفاصيل راجع، الوردى، على: لمحات اجتماعيه فى تاريخ العراق الحديث، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢١١-٢١٥ تحت عنوان (استفحال التهديد التركى).
 - ٣- (٣) الأدهمى، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٧.

«بعنايه الله عز وجل وروحانيه نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم تمكنت حكومتنا بأن تخطو خطوه كبيره أخرى في سبيل تحقيق أمانى الأمة، وذلك بعقدها الملحق الجديد للمعاهده العراقيه - البريطانيه» (١).

«وأهم ما جاء في هذا البلاغ، قول الملك: إن دخول العراق عصبه الأمم سيتم بعد تحقيق شرطين مهمين خلال مده أربع سنوات، الأول: تحديد تخوم العراق الذى سيتم عما قريب، ويقصد بالذات حدود العراق ومشكله الموصل (٢). والثانى: هو ما يبذله شعبنا الكريم من التفانى والمؤازره فى سبيل تعزيز جانب الحكومه.. وعلى ما ستصرفه حكومتنا من الجهد والعزم فى تنفيذ خططها، وجمع المجلس التأسيسى بالسرعه اللازمه وتوطيد دعائم الحكومه على أسس دستوريه مدنيه» (٣).

المعارضون والسلطه - التحدى المتبادل

إن المعارضه الإسلاميه كانت تعتقد - كما يبدو لنا - بأن هذه الإجراءات الاسترضائيه، لاسيما تخفيض المده إلى أربع سنوات، إنما هى معالجه تخديريه تحتاج إلى مواصله أسلوب المعارضه والرفض لكى ينال الشعب أهدافه، وتشخص لدى العلماء المتصدين لقياده الأمة أن البريطانيين سيضطرون إلى الخروج عن البلاد فى حاله الإصرار

ص: ٦٧١

١- (١) الحسنى، الوزارات، مرجع سابق، ج ١، ص ٦١-٦٢، وقد وقع الملحق (السير برسى كوكس)، وعبد المحسن السعدون، فى الثلاثين من نيسان ١٩٢٣م الموافق الرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنه ١٣٤١هـ. ثم سافر (كوكس) عائداً إلى بلده، حيث أنتهت خدماته فى العراق، الحسنى: المرجع ذاته، ج ١، ص ٦٠. وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، ج ٢، ص ٣٩-٤٠.

٢- (٢) لمعرفه تطورات قضيه الموصل خلال عام ١٩٢٣ وأثرها فى سياسه السعدون راجع، فرج عبد الله: المرجع السابق، مطبعه الخلود، بغداد ص ٧٦-٨٠، وكذلك لمعرفه تطورات قضيه الموصل فى ١٩٣٤-١٩٣٦ وأثرها فى سياسه السعدون، راجع المرجع ذاته، ص ١٤٩-٢٤٠ (الفصل الثالث).

٣- (٣) الأدهمى: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٩.

المتواصل على مطلب الاستقلال التام، وما هذه الإجراءات والتنازلات البريطانيه إلا وسيله واضحه للهروب من مواجهه المعارضه، لذلك استمرت المعارضه فى التصعيد ضد الوجود البريطانى والمطالبه بالاستقلال التام، بينما كان المؤمل أن تحدث هذه الإجراءات والتنازلات البريطانيه حبله معينه فى مواقف الإسلاميين، وتخفف الاحتجاجات ضد الحكومه باعتبارها خَطَّتْ خطوات عديده نحو التراضى والمصالحه. وعلى العكس من ذلك، وقف الإسلاميون وعلى رأسهم العلماء موقفاً حازماً، رافضين تلك القرارات الترقيعيه الصادره من الحكومه والإداره البريطانيه، وكان رد الفعل على تقليص أمد المعاهده «قوياً»، حيث عملوا على توظيفه لتوسيع نطاق معارضتهم للمعاهده ولانتخابات فى آنٍ معاً» (١).

ومع هذا الموقف الصلب، أتاحت فرصه للحكومه - على ضوء سياسه اللين - بفتح بعض الثغرات داخل الجدار الشعبى المتماسك خلف القيادة الدينيه، لأن جهود الحكومه والملك وإداره الاحتلال، انصبت نحو عزل القيادة الإسلاميه عن القاده الثانويين والميدانيين فى بغداد، وكذلك عن رؤساء العشائر فى الفرات، ومن ثم إضعاف تأثير الفتاوى الإسلاميه الصادره من العلماء المراجع على الرأى العام. يقول الأستاذ النفيسى: «وقد أدرك الوطنيون [! خطوره العلماء وعمقهم العشائري]، فدأبوا على تحطيم قوه العلماء وسلطه شيوخ القبائل، كما أن الوطنيون [!] أدركوا فى جلاء إنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بقوتهم وبمكانتهم. لهذا السبب كان المعتدلون الوطنيون [!] يرون إن خلاصهم الوحيد هو فى بقاء الإنكليز فى البلاد، لكى يساندوا هذه السياسه، سياسه القضاء على قوه العلماء والشيوخ ويعضدوها لمدّه من الزمن» (٢).

ص: ٦٧٢

-
- ١- (١) الرهيمى، عبد الحليم: تاريخ الحركه الإسلاميه فى العراق، مرجع سابق، ص ٢٦٥.
 - ٢- (٢) النفيسى، عبد الله: دور الشيعه، مرجع سابق، ص ١٩٨. وما أدرى كيف ينعت النفيسى الذين يقفون إلى جانب الإنكليز ضد المعارضه الوطنيه بقياده علماء الدين بأنهم وطنيون؟! ربما يقصد

ومن ناحيتها استغلت حكومه السعدون مسأله تجديد التهديدات التركيه لاعاده الموصل إليها، وبالفعل حشد الأتراك قواتهم على حدود العراق الشماليه، وقد شكلت هذه التطورات ضغطاً معاكساً ضد المعارضه، باتجاه الانسجام مع مقررات الحكومه لضرورات مرحليه، تحت شعار وحده العراق، وإبقائه موحداً بيد العراقيين، وبالتالي ستتاح فرصه جيده للحكومه لإنجاز الانتخابات، فى أجواء التعبئه العسكريه لحمايه الوطن من الطامعين، وبالفعل لقد حشدت سلطه الاحتلال قواتها المتواجده فى العراق لمواجهة تركيا، وهكذا حشدت الحكومه العراقيه قواتها من الجيش العراقي للغايه ذاتها. كما وهاجمت الطائرات البريطانيه فى ١٣ آذار ١٩٢٣م الموافق ٢٦ رجب ١٣٤١هـ، مدينه السليمانيه التى كانت تحت سيطره الشيخ محمود البارزاني، وكان الأتراك قد بعثوا دعواتهم إلى داخل العراق بصوره سريه للاتصال ببعض زعماء المعارضه من العلماء المجتهدين ورؤساء العشائر لا سيما الكرديه منها، وسلموهم رسائل بهذا الخصوص، وقد حصل الإنكليز على عدد من تلك الرسائل. وكان الوتر الحساس الذى تثيره الدعوه التركيه هو أن الأتراك من المسلمين، وإن الإنكليز من الكفار، والشارع الإسلامى لا يجيز استبدال المسلمين بالكافرين لحكم العراق - البلد الإسلامى - (١).

ومن ناحيتهم أدرك علماء الإسلام فى العراق خطوره اللعبه، فتداركوا الأمر «لأنهم بطبيعته مهمتهم لا يعترفون بالحدود القوميه أو السياسيه التى تفرق بين المسلمين، فالمسلمون (فى نظرهم) أمه واحده لا فرق فيها بين التركى أو العربى أو الفارسى،

ص: ٦٧٣

١- (١) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢١٢-٢١٣ عن: -٣٠٨ p. ١-Vol. ٢ Burgoyne Cop-cit

والمسلم أولى من الكافر على أى حال» (١). ولكن العلماء يعلمون يقيناً بأن الحكومه التركيه - آنذاك - هى جزء مهم فى اللعبه الاستعماريه الساعيه إلى إنهاء الدوله العثمانيه المسلمه وتمزيق الوحده الإسلاميه، لذلك وقف العلماء ضد هذه الإثاره، وضيّعوا على الإنكليز والسلطه المحليه فرصه الاستفاده من هذه التهديدات، فأصدر العلماء المتصدّون فتواهم الشرعيه بهذا الخصوص، وهذه الفتوى فى الحقيقه هى رساله إلى سلطه الاحتلال أكثر من أنها رساله لحكام تركيا، وذلك لكى لا يلعبوا بالنار، ومن ناحيه ثانيه هى محاوله جديّه لتركيز اتجاه المعركه ضد الإنكليز وصنایعهم بهدف نيل الاستقلال بدلاً من تشتيت الطاقات على أكثر من جبهه. لأن تلك المعركه الوهميه مع الأتراك لا-يجنى ثمارها إلاّ الإنكليز أولاً بأول. لذلك أصدر المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الاصفهاني، والشيخ النائيني والشيخ الخالصي، فتوى شرعيه فى ١٢ نيسان ١٩٢٣ م، ٢٦ شعبان ١٣٤١هـ-، تحرم على المسلمين محاربه الأتراك المسلمين. تقول (المس بيل): «إن المجتهدين أصدروا فتوى فى تحريم الدفاع عن العراق ضد الأتراك، وألصقت على باب صحن الكاظميه، [وتضيف] وقد وصلتني نسخه منها مبكراً فى هذا الصباح» أى فى صبيحه ١٢ نيسان (٢) .

وهكذا أُحبطت محاوله استثمار قضيه الموصل لصالح سلطه الاحتلال والحكوم، بفضل الوعي السياسى المتميز للعلماء المراجع، مما دفع المسؤولين البريطانيين للتفكير فى طريقه أخرى للتخلص من القيادات الإسلاميه المعيقه لمشروعهم الاستعماري. تقول

ص: ٦٧٤

١- (١) الوردى: المرجع ذاته، ج ٦، ص ٢١٣. وقد ورد فى نص الوردى (لأنهم بطبيعته مهنتهم). وأظن أنّ ذلك ورد خطأ، والصحيح (بطبيعته مهنتهم) كما ثبتنا ذلك فى المتن، وأرجو أن يكون هذا الخطأ ضمن ملاحظته فى نهايه كتابه حيث يأمل (أن يفتن لها القارئ ويصححها بنفسه)، المرجع نفسه، ص ٣٢٠.

٢- (٢) الوردى، المرجع نفسه، ص ٢٠٨ عن: ٣١٣. Vol. ٢. ١٩٦١- Burgoyne Gert rude Bell London.

(المس بيل) - استمراراً لكلامها الماضي - «..والسؤال هو: ماذا سوف تصنع الحكومة العراقية في هذا الشأن؟ ففي رأى (المستر كورنواليس) إن المجتهدين الموقعين على الفتوى يجب نفيهم إلى إيران باعتبارهم رعايا إيرانيين، ولكن هذا قرار خطير» (١). وبذلك بدأ التفكير الجدى للتوصل إلى طريقه حاسمه للتخلص من العلماء المتصدين للتحرك السياسى المعارض لوجود الإنكليز فى العراق.

الإسلاميون يخوضون معركة مكشوفه

١- تشديد الموقف الإسلامى

استمر التصعيد الإسلامى ضد توجهات الحكومة وسلطه الاحتلال، فقد جدد علماء النجف والكاظميه تشاورهم فى أواسط أيار ١٩٢٣م - بدايه شوال ١٣٤١هـ- فاتفقوا على الاستمرار فى التصدى لمقاطعه الانتخابات، ففي ١٧ أيار ظهرت إعلانات ملصقه على أبواب صحن الكاظميه ليلاً تؤكد على ضروره الالتزام بفتاوى العلماء الملزمه لحرمة المشاركة فى الانتخابات، وتطالب الأمة باليقظه والحذر من مكر وخداع الحكومة، وتنادى بالناس «إن الحكومة تحاول الآن خداع الشعب فى العراق بملحق المعاهده، بدعوى إنها خطت خطوه واسعه فى سبيل الاستقلال..فلا تنخدعوا بزخارف القول. إن الحكومة الآن تبذل قصارى جهدها فى إجراء الانتخابات، ضاربه بفتاوى العلماء الأعلام.. فَعُوا وابصروا يا أولى الألباب» (٢).

وفى ٣٠ أيار ١٩٢٣م الموافق ١٥ شوال ١٣٤١هـ، أصدر العلماء فتوى مشتركه أكدوا فيها على حرمة الانتخابات. فتم توزيعها بالطرق الشعبيه فى المدن المقدسه، وبغداد، وبقية مناطق العراق، بتوقيع السيد أبو الحسن الاصفهانى، والميرزا حسين

ص: ٦٧٥

١- (١) المرجع ذاته، ٣١٣. p. ٢. Ibid.

٢- (٢) الأدهمى، محمد مظفر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٤.

النائبي، والسيد محمد مهدي الصدر، وعلي الشيرازي، ومحمد الأسدي.. والشيخ الخالصى وقد ذيلها بقوله: «نعم، ما حَكَمَ به حجج الإسلام وآيات الملائك العلام ماضٍ نافذ، والراد عليهم راد على الله وهو على حدّ الشرك بالله» (١). فانعكست هذه الفتاوى في الساحة العراقية، وعلى أثرها تصاعدت ضغوط الرأي العام بشكل شمولي تقريباً ضد الانتخابات وضغوطات الحكومه على الناس، إلا أنه بالرغم من الموقف الصلب للعلماء الإسلاميين، فإن بعض التيارات السياسيّه في بغداد بدأت تتلمل في مواقفها، أمام محاولات التقرب والاسترضاء التي بذلتها إداره الاحتلال والحكومّه، وخاصه باتجاه العلماء المتصدين لقياده الأممه، وعلى المستوى الشخصي لهم (٢). وكما اتبعت الحكومه سياسه الشده واللين مع العشائر - أيضاً - فاحتوت بسياستها تلك بعض رؤساء العشائر بعد إعلان التوقيع على الملحق، وكانوا من المعتمدين لدى العلماء المراجع. وقد استخدم الملك فيصل لغه وديّه - ضمن الخطه المرسومه له - مع رؤساء عشائر الفرات وجنوب العراق، فقد استدعى الملك مجموعه من شيوخ عشائر الفرات الأوسط منهم، عبد الواحد الحاج سكر، ومحسن أبو طيبخ، وعلوان الياسرى، وقاطع العوادى، وشعلان أبو الجون، وأقنعهم بضروره الانتخابات، وإن هذا الملحق لصالح العراق، فوافقوا على رأيه عدا محسن أبو طيبخ الذي أكد حرصه على موافقه العلماء المراجع (٣). وقد كلف الملك كلاً من علوان الياسرى وقاطع العوادى بالتحدث مع الإمام الخالصى لسحب فتواه بحرمه الانتخابات، ولكنهما فشلا في المهمه، بل اتهمهما

ص: ٦٧٦

-
- ١- (١) الوردى، المرجع السابق، ج ٦، ص ٢١٧.
 - ٢- (٢) حاولت الحكومه والمندوب السامى استرضاء الإمام الخالصى كمساومه شخصيه لإعادته ابنه الشيخ محمد من منفاه، ولكن الشيخ رفض هذا العرض رفضاً قاطعاً. أنظر، الدراجى، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن ودوره، مرجع سابق، ص ٢١٦. عن الشيخ محمد: بطل الإسلام، كتاب مخطوط، ص ١٦٢.
 - ٣- (٣) البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٠١.

الخالصى بالكفر - كما قيل - (١)، ومن ثمَّ طلب الملك من محسن أبو طبيخ مغادره البلاد، فغادرها إلى سوريا في ٢٩ شوال ١٣٤١هـ - ١٤ حزيران ١٩٢٣م (٢) وكذلك ما اكتفى باستدعاء بعض رؤساء العشائر، وإنما قام بجوله ميدانيه في ١٨ حزيران ١٩٢٣م، في المناطق العشائريه في الوسط والجنوب، وقد اجتمع إلى بعضهم، واستطاع بالنتيجه أن يقنع بعض المعارضين من رؤساء العشائر بحديثه، فتعهدوا له بالمشاركه في الانتخابات، وبالفعل تحول بعضهم من صفوف المعارضه إلى الصف الموالي للملك والحكومہ (٣).

وربَّ سائل يسأل، على ضوء تلك التحولات: أين نفوذ العلماء والمجتهدين في أوساط العشائر بالوسط والجنوب أمام محاولات الملك لاستماله بعض رؤسائهم؟ وللإجابة المختصره يمكن القول: إن عوامل عديده أدت إلى بروز هذه الظاهره التراجعيه، أهمها: ضعف الوعي السياسى عمومًا، وقد استغل الملك هذا الضعف، وملاً فراغ القائد السياسى للساحه بنسبه معينه، وإن من الذين ساهموا - للأسف - في تقويه الرمزيه السياسيه للملك في الأوساط الاجتماعيه هم بعض العلماء والزعماء المحليين - كما مرَّ معنا-. ومن العوامل المهمه أيضاً هو التقصير الواضح لدى الإسلاميين في طريقه التعاطى مع الأوساط الشعبيه، مما أضعف التفاعل الكبير مع الفتاوى المعطله، حيث لم يكن في مقدور الإسلاميين الشروع في برنامج سياسى له صفه بنائيه عملياً. بينما أجاد الملك وحاشيته استخدام اللغه المناسبه، التى قوامها إبراز القوه وإظهار حاله الكرم بالتواصل الاجتماعى المباشر مع الناس، فى جوِّ مشبَّعٍ بحيويه الوعود العسليه، لذلك خلق اتجاهًا مؤيداً له فى تلك الأوساط. ونتيجه لاتباع هذه السياسه الجديده فى التحرك

ص: ٦٧٧

-
- ١- (١) الوردى، لمحات اجتماعيه، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢١٦، وكذلك، الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٢.
 - ٢- (٢) الوردى، المرجع ذاته، ص ٢١٩.
 - ٣- (٣) الخطاب، رجاء حسنى: العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧، مرجع سابق، ص ١٠٤.

على القواعد الشعبية، وبعض الوجهاء وبعض القيادات الدينية أيضاً، تفككت - بنسبه معينه - أواصر المعارضة، وتفتت التماسك المصيرى الذى كان يربط الناس بالعلماء المراجع بدرجة كبيره، ف- «زعماء العشائر من جهتهم انقسموا على أنفسهم حول الموقف، مما أدى ذلك إلى إثارة أزمه [اللائقه] فى صفوف المعارضه، وهذا ما كانت تريده بريطانيا» (١). فانشق تيار المعارضه الإسلاميه فى بغداد وعشائر الفرات فى الوسط والجنوب، وتخلخل توازن الإسلاميين وامتداداتهم، بانجذاب بعض رؤساء العشائر باتجاه الملك، فعزلت بعض القيادات الدينيه عن الساحه السياسيه بصوره عمليه. ومع هذه التطورات استمرت القياده المرجعيه على مواقفها المبدئيه الثابته ضد الأجنبي المحتل، وواصلت مواقفها الوطنيه على الطريقه ذاتها، ضد الحكومه العراقيه الماضيه فى مشروع التسويه على حساب حق الشعب فى محاوله حصوله على الاستقلال التام.

وربما كان من المفروض - كما يبدو لنا - إثر معطيات المواقف المستجده أن تتبدل السياسه القديمه لدى القاده الإسلاميين ب- (تكتيكات) مرحليه مناسبه ل- (تكتيكات) السلطه والملك، وذلك ليم الحفاظ على العمق الشعبى للقياده الإسلاميه، الذى هو بمثابة الدروع الحصينه للعلماء المراجع، والسواعد المعتمده لتنفيذ فتاواهم فى ساحه المعركه، لكى لا يدخل العلماء والإسلاميون فى معركه مكشوفه ليس لها الغطاء الاجتماعى الكثيف، الذى يضمن إسقاط الشرعيه الشعبيه من العدو الماكر، ويعرقل تقدمه. ومع ذلك نعود لنقول: إن استمرار القياده على النسق نفسه فى التصعيد والمواجهه ودخول المعركه بإصرار - هو بحد ذاته - تعبير عن الإراده الإسلاميه الصلبه، لدى المراجع الكبار، وذلك لما يتحلون به من روح مبدئيه صادقه. إلا أنهم انفردوا - تقريباً - فى مواجهه الإجراءات التعسفيه التى نالت أشخاصهم بالنتيجه.

ص: ٦٧٨

١- (١) ضياء الدين، خالد: العراق من الانتداب حتى الاستقلال، مجله بصائر، العدد الثالث، السنه الثانيه، ص ٢٤٤.

لقد شخّصت سلطه الاحتلال - بدقيه ووضوح - العقبه الكأداء أمام مشروعها الاستيلائي، بأنّها تتجسّد في العلماء المراجع ومن يتبعهم من رموز التحرك الإسلامي والوطني الذين يحركون الساحة باتجاه المعارضه. لذلك توصلت سلطه الاحتلال مع الحكومه والملك، إلى أن مشروعهم الاستعماري لا- يمكن اجراؤه بسلام إلاّ بعد أن يتمّ تجفيف مصادر الفتاوى الشرعيه، وتصفيه المراجع الكبار، وذلك بإبعادهم عن الساحة السياسيّه تماماً، والذي سيعكس هذا الإجراء بدوره تشتيت العمق الجماهيري للعلماء المراجع في كافه مناطق العراق. وبالفعل انصبت الجهود نحو تحقيق الهدفين المذكورين عبر توجيه ضربه قاصمه للعلماء أشبه ما تكون بالمغامره، والاستفاده من محاولات تقريب بعض وجوه العشائر والأعيان لمواقف الملك والحكومه. وفي حاله إنزال الضربه للعلماء يتمّ التخلص من وجودهم الفاعل بالساحه، ومن ثمّ تشلّ الحركه الإسلاميه من الصميم وبالتالي يتفرق الناس بصوره عامه عن تلك المواقف الصلبه. وبالنتيجه سيصلون - على الأقل - إلى معركه سياسيّه متكافئه الجانبيين، ليتمكنوا من الحضور في حلبه الصراع، والشروع بالمواجهه الفعليه، على عكس الجوله الأولى التي انتهت بهزيمه نكراء للسلطه أمام الإسلاميين. في هذا الظرف الحساس، أصبحت الحاجه ملحه لدى السلطات البريطانيه لرجل المهمات البريطانيه الصعبه، مقررّة دعمه دعماً استثنائياً في سبيل دفعه لخوض هذه المغامره، وكانت استعدادات عبد المحسن السعدون واضحه للإنكليز - كما بيّنا سابقاً - فاتخذوه خير مطيه لتطبيق سياسه العصا الغليظه ضد المعارضه الإسلاميه، وعلى رأسها العلماء المراجع (١). وبالفعل كان السعدون رجل

ص: ٦٧٩

١- (١) راجع مواقف السعدون وتدابيره ضد التحرك الإسلامي، وبالذات علماء الدين لدى: فرج عبد الله، د. لطفى جعفر: عبد المحسن السعدون، دوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، مرجع سابق، طبع مطبعه الخلود بغداد، ص ٨٦-٩٢.

المرحلة، وذلك لما يمتاز به شخصياً بالولاء الكبير للإنكليز، وحماسه المتميز في تطبيق قرارات الحكومة البريطانية، بالإضافة إلى اتصافه بالحزم والقسوة ضد المعارضه وإنه يمتلك قدرات خاصه في فرض جوّ من الإرهاب والعنف في الساحه، غرضه تسويه الأمور الداخليه لصالح الإنكليز والحكومته القائمه.

وأما بالنسبه للقضايا الخارجيه فقد أنيطت لسلطه الاحتلال والحكومته البريطانيه لذلك «وقبل أن تباشر الوزاره السعدونيه أعمالها في ٢٠/١١/١٩٢٢م أُحيل الخلاف بين بريطانيا والعراق من جهه، وبين تركيا من جهه أخرى حول قضيه الموصل، إلى مؤتمر لوزان، ولم تتوصل مباحثات مؤتمر لوزان الأول الذي أنهى أعماله في ٢٢/٢/١٩٢٣ إلى حلّ حاسم لتلك المسأله، حيث إن الأتراك تمسكوا بمطالبتهم بولاية الموصل، وأعربوا عن رغبتهم في إجراء استفتاء محلي يؤخذ فيه رأى السكان، أما الجانب البريطاني فقد فنّد مزاعم الأتراك، واقترح إحاله المشكله إلى عصبه الأمم، إذ أرسل (اللورد كرزن) ممثل بريطانيا في المؤتمر في ٢٥ / كانون الأول / ١٩٢٣م [الموافق ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٢هـ] رساله إلى السكرتير العام للعصبه، راجياً إدخال الموضوع في جدول أعمال اجتماع مجلس عصبه الأمم في باريس» (١).

وعلى ضوء توزيع الأدوار بين الداخل والخارج، فقد تنمّر السعدون لإنزال ضربه موجهه للعلماء المراجع - مباشره - لأجل إضعاف المعارضه الإسلاميه وفعاليتها في الساحه السياسيه، وذلك قبل خوض الجوله الثانيه للانتخابات، وبالفعل كلفت هذه العمليه الحكومه السعدونيه حوالى سته أشهر (٢). حيث صعّدت المعارضه الإسلاميه نشاطاتها باتجاه مقاطعه الانتخابات، فتمّ نشر الفتاوى الشرعيه في أوساط

ص: ٦٨٠

-
- ١- (١) فرج، د. لطفى جعفر: المرجع نفسه، ص ٧٧.
 - ٢- (٢) الرهيمي، عبد الحليم: المرجع السابق، ص ٢٦٤.

الأمة بكثافه، وفي حينها توترت الأوضاع كثيراً، فأصدرت الحكومة بياناً - شديد اللهجه - في ١٠ ذى القعدة ١٣٤١هـ - الموافق ٢٥ حزيران ١٩٢٣م، يتضمن تعديلاً في قانون العقوبات ضد المخالفين لسياستها، وكذلك منحت لنفسها الحق في نفي الأجانب عن العراق في حاله إعاقتهم لمسيرتها ومخالفتهم لسياستها، ومما جاء في البيان «..ورغماً عما بذلته الحكومة من الجهود في هذا الشأن، والسعي المتواصل إلى صيانه حقوق الشعب لتثبيت أركان الدستور، قام نفر من الدخلاء الذين لا علاقته لهم بالقضيه العربيه [!]

[!]، ولا تهمهم مصالح الشعب والبلاد الحقيقيه. يخلقون أقوالاً زعموا أنها مستنبطه من الشرائع الدينيه، وأنهم لم يقصدوا بذلك إلا الإخلال بسير الانتخابات، وتضليل الرأى العام بنشرهم الإعلانات وإلصاقها بالجدران، لتأخير تقدم سير الإداره نحو النجاح، والوقوف في سبيل الشعب من الوصول إلى السلطه التى له أن يتمتع بها. وإن ما أظهرته الحكومه من الحلم والأناه تجاه هذه الأعمال، قد شجع هؤلاء الغرباء المتهوسين على التمدادى فى التضليل حتى إنهم تجاوزوا مؤخرأً حرمة المراقده المقدسه بحركات تخالف الآداب الدينيه [!].. إن الحكومه لا يمكنها أن تتهاون فى مثل هذه الأعمال، وستعاقب كل من يتصدى للعبث بحقوق الشعب المشروعه» (١).

وكانت نقطه الضعف التى شخّصتها سلطه الاحتلال وحكومته السعدون فى المعارضه الإسلاميه، هى أن أغلب المجتهدين الكبار، المتصدين لقياده الساحه سياسياً وجهادياً، هم من حمله الجنسيه الإيرانيه، «فمنهم من كان من أصل إيرانى فعلاً، ومنهم

ص: ٦٨١

١- (١) راجع نص البيان لدى، الحسنى: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٣-٦٥، وكذلك البصير: مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٠٣-٥٠٥، والوردى: مرجع سابق، ص ٢٢٣. وقد علق جريده (العاصمه) الناطقه باسم الحزب الحر للكيلانى النقيب، على البيان بأن مقاطعه الانتخابات فكره أعجميه غريبه عن العراق، راجع، الوردى: المرجع ذاته، ص ٢٢٤، عن جريده (العاصمه) عددها الصادر فى ٢٥ حزيران ١٩٢٣م.

من اتخذ الجنسية الإيرانية في العهد العثماني تهرباً من التجنيد الإجباري. وقد وجد السعدون في هذا، ثغره يمكن أن ينفذ منها إليهم. فكان رأيه إن المجتهدين عجم، وهم إذن غرباء عن العراق، وليس لهم حق التدخل في سياسة هذا البلد، أما إذا أرادوا العمل في السياسة فالواجب عليهم أن يتجنسوا بالجنسية العراقية، وإلا فإن الحكومة يجوز لها أن تبعدهم عن البلاد» (١). ومن المعلوم أن الغرض الأساس لهذا البيان هو سياسى بحت، يستهدف الإسلاميين وبالذات القيادة الإسلامية، عبر إخراج كبار العلماء من ساحة العمل السياسى العراقى بذريعه كونهم إيرانيين، وبهذا الإجراء سيدبّ الضعف في تيار المعارضة الوطنيه، وستبرز الخلافات داخل صفوف المعارضة، وبالتالي ستسهل عليه السيطرة على قرار الأمة. لذلك باشرت الحكومة بالخطوة العمليه، حيث قرر مجلس الوزراء في جلسته الخاصه في ١٧ حزيران ١٩٢٣م الموافق ٤ ذى القعدة ١٣٤١هـ، بالأكثرية البدء بالجوله الثانيه للانتخابات وذلك بعد عوده الملك من جولته في المناطق المختلفه من العراق، وكان هدفه من تلك الجولات الميدانيه كسب ودّ الناس. وقد تناولت الجلسه الحكوميه - أيضاً - مسأله إنزال العقوبه للمقاطعين للانتخابات، وتأييد المقاومين لها والمشوشين عليها، بالإضافة إلى مسأله إخراج الأجانب من البلاد (٢).

أمام ذلك، نشط الإسلاميون في توزيع فتاوى العلماء الداعيه إلى المقاطعه، وقد صدرت فتاوى جديده تحرّم الاشتراك في الانتخابات، تمّ نشرها في أنحاء العراق. ممّا دفع الحكومه السعدونيه إلى تنفيذ المخطط المرسوم لها سلفاً، وبما أن الإمام الخالصى كان في واجهه المعارضين للحكومه في العاصمه بغداد، والمنادين بمقاطعه الانتخابات عبر فتاواه ومواقفه الشهيره، فقد أقدمت الحكومه على ممارسه سياسه الإرهاب بحقه، وبحق مؤيديه، فطوقت مدرسه الشيخ الخالصى (جامعه العلم) برجال الشرطه والأمن،

ص: ٦٨٢

١- (١) الوردى: المرجع السابق، ج ٦، ص ٢١٨.

٢- (٢) الأدهمى: مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٨-٤٩.

وأخذت تلاحق الموزعين للفتاوى والمنشورات الإسلامية، والملطقين لها على جدران المساجد وصحن الكاظمين بشكلٍ آستفزازي، فوق اصطدام بين الشرطه والناس في ٢١ حزيران ١٩٢٣ الموافق ٨ ذى القعدة ١٣٤١هـ، واعتقل على أثر ذلك نجل الخالصي وعدد من العلماء وكثير من الناس (١).

ويبدو أن محاوله الملاحقه والاعتقال للإسلاميين، وبالذات نجل الإمام الخالصي، كانت بمثابة جسّ النبض لردود الفعل من قبل المعارضه والأمة، وعلى ضوء موقف الأمة من هذه الاعتقالات، سوف تتحدد سياسه الحكومه، ضد رموز التحرك الإسلامي أي العلماء الأعلام، فإمّا تستمر الحكومه في عمليه الاعتقال، ومن ثمّ التسفير للعلماء الكبار، أو التراجع عن هذه المغامره الصعبه، في حاله تصعيد المعارضه من احتجاجاتها إلى درجه الغليان الشعبى، فحينئذٍ ستفشل الحكومه في سياستها القمعيه كذلك، ويبدو أن هذه السياسه كانت آخر الخطوات في مسلسل السياسه البريطانيه. وفي حاله كون ردود الفعل عند الأمة ممكنه الاحتواء فستقابل بالمزيد من العنف، ومن ثمّ سيتمّ ترويض الساحه العامه بطريقه الترهيب والترغيب لغرض الدخول في عمليه الانتخابات وإنهاء الأزمه.

ومن جانبها دعت المعارضه الإسلاميه إلى الإضرابات العامه ضد تلك الاعتقالات، فأغلقت الأسواق وعمت الاحتجاجات والتظاهرات مندده بتلك الإجراءات القمعيه ضد علماء الدين (٢). بينما نصبت الحكومه نفسها، بمنزله المحامى عن الوطن والمدافع عن الإسلام والمسلمين، في محاوله منها لتضعيف الدور القيادى للعلماء المراجع، وتشويه رؤيتهم الوطنيه، فدفعت الساحه باتجاه الحرب الإعلاميه ضد العلماء فنشرت جريده (العاصمه) دعوه مكشوفه لمحاربه الأجانب الطارئين على العراق،

ص: ٦٨٣

١- (١) الدراجى: المرجع السابق، ص ٢١٧-٢١٨. وكذلك البصير: مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٠٥.

٢- (٢) الرهيمى، عبد الحليم: تاريخ الحركه الإسلاميه في العراق، مرجع سابق، ص ٢٧١.

وطالبت الحكومه بطرد غير العراقيين وغير العرب بسبب تدخلهم فى سياسه العراق الداخليه (١). وتعدّ هذه الحرب الإعلاميه مقدمه تمهيديه لتسديد ضربه شديده ضد العلماء والتحرك الإسلامى ابتداءً بالشيخ الإمام الخالصى (٢).

هذا ومنذ أوائل أيار عُتِن (السير هنرى دويس) مندوباً سامياً فى العراق، فقد كان متخوفاً - أيضاً - من الإجراءات العنيفه ضد الإسلاميين وبالذات العلماء المراجع، إلا- أنه ترك الأمر للسعدون، لشدته وتعهدده بعدم حصول اضطرابات أمنيّه مؤثره على إجراءات الحكومه، وأبدى إمكانيه استيعابها لو حصلت (٣).

وضمن الخطه المرسومه محاوله تشتيت أفكار الناس، وتهدأه عواطفهم، وذلك عبر توزيع الأدوار على رموز السلطه، وبالفعل قام الملك فى جولته ميدانيه لجنوب العراق - العمق الشعبى للمعارضه الإسلاميه - ابتدأها بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٢٣م، وذلك لتقويه شعبيته ورمزيته فى الأوساط العامه، والهدف الأذق فى تلك المرحله هو اشغال الرأى العام هناك عمّا يجرى فى الكاظميه وبغداد ضد العلماء والتحرك الإسلامى. ومما لا يخفى أن الملك كان متردداً فى قبول الإجراءات العنيفه ضد العلماء المراجع، إلا- أن السعدون أصرّ على المضى فى سياسه الشده والعنف ضدّهم ليضمن إرغام الناس لغرض إجراء انتخابات المجلس التأسيسى، وهكذا تشجع السعدون فى مواصله الاعتقالات التى ابتدأت باعتقال نجلئ الإمام الخالصى من دون أن يحدث شيئاً مؤثراً يزعزع وضع الحكومه، ويردع سلطتها القمعيه، فبادر

ص: ٦٨٤

١- (١) جريده (العاصمه) عددها الصادر فى ١٤ حزيران ١٩٢٣م.

٢- (٢) البصير: مصدر سابق، ص ٥٠٦.

٣- (٣) الوردى: مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٢١. آخر مهمه أداها المندوب السامى (كوكس) توقيعه مع السعدون على الملحق، فى الثلاثين من حزيران ١٩٢٣ ثم غادر البلد، راجع الحسنى: الوزارات، مرجع سابق ج ١، ص ٦٠.

على اعتقال الإمام الخالصي بذاته مع مساعديه ونفيهم جميعاً خارج العراق. - كما سنرى ذلك - ومما يؤسف له حقاً أنه عند اعتقال نجلتي الإمام الخالصي حسن وعلي، لم يحدث شيئاً مريباً للسلطة، لذلك طمأن السعدون كلاً من الملك و(دوبس) بعدم حدوث اضطرابات كبيرة، فقد بعث برقيه إلى الملك في البصره مخبراً إياه للإقدام على الخطوه الحاسمه، ومما جاء فيها: «..الشيخ مهدي يحرك الناس جهراً على القيام في بغداد والكاظميه. وعلى كل حال لا يمكن للحكومه أن تصبر على أفعاله، فأرى من الضروري إبعاده عاجلاً هو وأولاده والقطفى [أحد تلامذته] والشيخ علي [تقى] حفيد الخالصي. المعتمد السامى يوافق على إبعادهم بشرط أن لا يكون ذلك إلى إيران، فإذا توافقون يرسلون إلى البصره ومنها إلى جده بحرأ». أجابه الملك ببرقيه جاء فيها: «إذا كان العمل ضرورياً اتجاه الشيخ مهدي فأرغب أن يكون بكل احترام، وبصوره لا تخل بكرامته الشخصيه، وأن لا تعجز عائلته ولا تخوف»، ثم أعقبها ببرقيه أخرى يكشف عن سياسته الحقيقيه جاء فيها: «لكم الصلاحيه المطلقه فيما تروه مناسباً في الكاظميه وبغداد لحفظ الأمن وشرف الحكومه، ويجب اتخاذ خطه حازمه بعد الكاظميه. أخبروا مجتهدى النجف بواسطه المتصرف [المحافظ] بكل ما جرى مع الخالصي واتباعه، وطمّنوهم بأن يداوموا محافظين على السكينه وقائمين بواجباتهم الدينيه مع إبلاغهم أسف الحكومه على اضطرارها إلى اتخاذ هذه الإجراءات رغماً عن الوسائل السلميه التي اتبعتها حتى الآن. أعلنوا ذلك في الصحف بصوره مناسبه» (1).

وبعد دراسته أحداث الساعه، وتقييم أوضاع ردود الفعل من الناحيه الشعبيه، قرّرت الحكومه وسلطه الاحتلال، اعتقال الإمام الخالصي، وبالفعل تمّ اعتقاله من قبل قوات الشرطه مساء ٢٦ حزيران ١٩٢٣ من بيته ليلاً، وبعث هو ونجليه وحفيده على

ص: ٦٨٥

تقى مع أبرز تلامذته الشيخ سلمان الصفوانى القطيفى بقطار خاص إلى البصره ثم إلى الحجاز. ثم انتقلوا إلى مدينه قم فى إيران (١).

لقد كان نفى الشيخ الخالصى وأنصاره ضربه موجعه للمعارضه ولرموز التحرك الإسلامى وبالذات بقيه العلماء المراجع المتصدين للعمل السياسى. وقد عبّرت الجماهير العراقيه عن احتجاجها لنفى الخالصى بالإضرابات العامه، والتظاهرات الاحتجاجيه فى الكاظميه وبغداد والنجف وكربلاء وبعض مدن وعشائر الفرات والبصره. ولكى تتعمق حاله الاستياء العام فى أوساط الأمه سواء فى العراق أو إيران، قرر العلماء الكبار الالتحاق بالشيخ الخالصى فى إيران احتجاجاً على اعتقاله ونفيه من العراق، تعبيراً عن استيائهم الشديد لذلك الإجراء، ويبدو لنا إن الهدف الرئيس من قرار العلماء - هذا - هو وضع الأمه فى زاويه تحمل المسئوليه المباشره، للوقوف فى وجه إجراءات الحكومه ضد علماء الإسلام، وذلك بالاحتجاج والتظاهر المستمر والإضرابات لشل الحياه الاقتصاديه فى البلد، والانتصار لكرامه العلماء وبالذات الشيخ الخالصى، وبالتالي لتثمر الضغوط على الحكومه وسلطه الاحتلال بتغيير سياستها اتجاه شعب العراق الذى يقوده العلماء المراجع. ففى ٢٨ حزيران وصل عدد من علماء النجف كان فى مقدمتهم السيد أبو الحسن الاصفهانى، والميرزا النائنى، إلى كربلاء فى طريقهم للهجره، فتظاهر عدد من العلماء ومجاميع من الناس المؤيده لهم فى كربلاء، إلا أن السلطات اعتقلت تسعه من كبار العلماء فى كربلاء، فى مقدمتهم السيد أبو الحسن الاصفهانى، والميرزا حسين النائنى، والشيخ جواد الجواهرى، والسيد عبد الحسين الطباطبائى، ومهدى الخراسانى، وحسن الطباطبائى بصحبه خمسه وعشرين عالماً آخر، وقد تم تسفيرهم فى ١ تموز ١٩٢٣م الموافق

ص: ٦٨٦

١- (١) البصير: مصدر سابق، ص ٥٠٦، راجع الوردى، المرجع ذاته: ج ٦، ص ٢٠٨-٢٢٧، فبعد أن أدى فريضه، سافر إلى إيران ونزل فى مدينه قم. للتفاصيل راجع، الخالصى، بطل الإسلام (مذكرات الشيخ محمد الخالصى) طبع طهران ٢٠٠٧م. ص ٢٢٤ وما بعدها.

١٨ ذى القعدة ١٣٤١هـ - إلى إيران عن طريق خانقين (١). وفي الحلة اعتقلت السلطات الشيخ محمد سماكه وكيل العلماء الكبار هناك، لقيادته مظاهراته احتجاجيه على نفي العلماء المجتهدين، وذلك في ٢ تموز ١٩٢٣م، وتمّ إبعاده إلى بغداد (٢).

هذه الإجراءات الشديده التي اندفع عبد المحسن السعدون لتنفيذها، كانت قد رسمتها له دار الاعتماد البريطاني منذ البدايه ففي بيانه الوزاري - المار الذكر - تضمّن تلويحاً خاصاً على معاقبه من ينشرون الفتاوى بموجب المواد ٦٤، ٦٥، ٦٦ من قانون الانتخابات (٣). فتم بموجبها «إخراج علماء الدين من العراق، وإبعادهم إلى خارج البلاد وعلى رأسهم الشيخ مهدي الخالصى، ومع أن إلقاء القبض على الشيخ كان يحمل معه مخاطر الهياج الجماهيري، إلا أن الحكومه دبرت خطه تماشى بها مع الخطر المحتمل..» (٤)، فقد استعرض السعدون قواته في ساحات وشوارع الكاظميه تحسباً لرده فعل شعبيه، وبذلك أضاف جواً إرهابياً مباشراً في الساحة، وما اكتفى بإرهاب الكاظميه، وإنما كان قد عمّم الحاله الإرهابيه إلى أوساط العشائر - مبكراً-، وذلك لتطويق نشاطاتها، وتحجيم معارضتها فهي تعتبر العمق الاجتماعي والاقتصادي للقياده الإسلاميه. ففي ١٩/١/١٩٢٣م الموافق ٢ جمادى

ص: ٦٨٧

١- (١) الوردى: المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٢٩.

٢- (٢) الدراجي: مرجع سابق، ص ٢٢٠.

٣- (٣) فرج، د. لطفى جعفر: عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسى المعاصر. ص ٧٥-٧٦. ويذكر الوردى صدور تعديل في قانون العقوبات البغدادي بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٢٣، وبموجبه أصبح للحكومه الحق في نفي الأجانب المعارضين إلى الخارج، وإحاله العراقيين المعارضين إلى المحاكم. أنظر: الوردى: مرجع سابق، ج ٦، ص ٢١٨. هذا وقد أكد المندوب السامى موقف الحكومه إزاء تفسير العلماء بالذات الشيخ الخالصى بقوله: «إن الشيخ مهدي الخالصى إنما أبعدته الحكومه العراقيه بموجب قانون الإقامه، لأنه تدخل في سير الانتخابات بصوره غير قانونيه وأصدر فتوى بتكفير الذين يشتركون فيها...». المرجع ذاته، ص ٢٣٠.

٤- (٤) محمد كاظم، عباس: ثوره الخامس عشر من شعبان - ثوره العشرين - مرجع سابق، ص ٣٩٢.

الثانيه ١٣٤١هـ- وجه السعدون قوه من الجيش العراقى من بغداد إلى سامراء لاتخاذ الإجراءات التأديبيه ضد قبيله العبيد، ونجح فى إلزامها بالتخلى عن السلاح ودفع الغرامه المالىه التى فرضت عليها، وقد حدث أيضاً أن ثارت عشيره بنى أسد فى الجبايش ضد الحكومه، وقتلت أفراداً من الشرطه متحديه بذلك الحكومه علناً، فسعى السعدون إلى تقديم ضمانات وتعهدات للجهات البريطانيه لاستخدام الطيران ضد بنى أسد، وبالفعل أمطرت الطائرات البريطانيه بالقنابل مواقع بنى أسد، فكانت الضربه أكبر مما يتوقعون، فتوالت البرقيات إلى الوجه اللين فى النظام، وهو الملك فيصل، وذلك لغرض إيقاف القصف الحكومى (١).

وعلى أثر هذه الأجواء الإرهابيه لم تتحرك الساحة إثر اعتقال العلماء وتسفيرهم، بالشكل المطلوب. ورب سائل يسأل لماذا وصلت ساحة المعارضه إلى هذه النتيجة؟ فى الواقع، تكثر المسوغات لهذه المواقف الصعبه، إلا أن الظروف الذاتيه للساحة العراقيه، والعوامل الموضوعيه المحيطه بالقضيه، فرضت حاله من التلكؤ الحركى فى الأوساط العامه، فالحكومه عبر ممارستها وإعلامها حصرت أزمته السياسيه فى جانب الإسلاميين وبالذات العلماء المتصدين، مما أولد حاله من المراجعه وإعادة النظر من قبل بعض السياسيين المعارضين وعموم الناس، فى سبب صلابه فتاوى العلماء، خصوصاً لو عرفنا أن الساحة الاجتماعيه بنسبه معينه بدأت تميل إلى السلوك الودى للملك، وإلى الإجراءات الاسترضائيه من قبل الحكومه - كما نوهنا سابقاً - بالإضافة إلى أن العمل الإرهابى من قبل الحكومه أوقف قسطاً كبيراً من فاعليه نشاطات المعارضه. خصوصاً لو عرفنا أن المواجهه ما ابتدأت بصفه شموليه من قبل الحكومه وسلطات الاحتلال وإنما تجزأت فى ظاهرها واتحدت فى حقيقتها وأهدافها، لذلك قوبلت برده فعل على غرار أدائها لا تحمل صفه الشموليه. وعليه فإن «التغيير الحاصل

ص: ٦٨٨

فى شكل التحدى ولىس جوهره، واستخدم برىطانيا للواجهه وسىاسه المرونه والتآمر، وحساب الأمور بدقه، أدى إلى ضىاع الحدود المعلومه للعدو. ومع وجود نقاط القوه العديده فى المعارضه إلا أن سقف الذهنيه العامه فى العراق يصعب عليه تجاوز ظواهر الأمور إلى خلفياتها.. [وكذلك]، إن بروز التيار القومى شطر المعارضه إلى شطرين عندما حاول التصدى فى الساحه، وتحولت تطلعات فئات من الشعب إلى تطلعات قوميه، كما أن القوميين حاولوا أن يكونوا بديلاً عن القىاده الإسلاميه» (١).

ومع ذلك فقد تحرك الحزبان (الوطنى) و(النهضه) فى بغداد، كواجهتين حركيتين فى الساحه السىاسيه باتجاه التنىد والعمل ضد إجراءات الحكومه فى شأن العلماء الإسلاميين، فرغ الحزبان مذكرتين فى تموز ١٩٢٣ إلى قناصل الدول الأجنبيه فى بغداد، تعبّران عن احتجاجهما على نفى العلماء خارج البلاد (٢)، إلا أن الحكومه استمرت فى سىاستها التى تعتبرها الخيار الأوحده لتحقيق المصالح البريطانيه، لذلك - على ضوء بيان الحكومه السالف الذكر (٣) - انعكست المفاهيم لدى الحكومه السعدونيه فمثلاً «أصبح الشىخ مهدي الخالصى زعيم المعارضه العراقيه عدو العروبه وفقاً لبيان السعدون» (٤).

وقد انعكست أصداء هذا التصعيد ضد العلماء والتحرك الإسلامى فى العراق على المسلمين فى إيران، وعليه سجلت الأممه المسلمه فى إيران حضوراً فاعلاً فى الساحه بتظاهراتها واحتجاجاتها ضد إجراءات حكومه العراق وسلطه الاحتلال البريطانى بحق

ص: ٤٨٩

١- (١) ضياء الدين، خالد: مرجع سابق، ص ٢٤٥.
٢- (٢) الدرارجى، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن، ص ٢٢٣، أنظر وثائق الخارجيه البريطانيه: Public Record Office -
٢٤٧-١٩٢٣ P. ٢٤٧ July ٢٦ Baghdad N١٨. Extract from Intelligence Report N١٨. F.O. ٣٧١٩٠٤٧ (P.R.O).

٢٤٨ ٧٩٤

٣- (٣) الحسنى، الوزارات العراقيه، ج ١، ص ٤٣-٤٥.

٤- (٤) العلوى، حسن: الشيعه والدوله القوميه فى العراق، مرجع سابق، ص ١٤٧.

العلماء مما جعلها تنال من السياسه البريطانيه الحاكمه فى المنطقه بشكل عام (١). هذا الموقف الكبير من قبل الشعب الإيرانى المسلم لنصره الإسلاميين العراقيين يدلل وبوضوح على عظمه روح الأخوه الدينيه بين الشعوب المسلمه. وقد أصبح موقف الإسلاميين الإيرانيين من أهم الضغوط على سلطه الاحتلال البريطانى وبالتالى على الحكومه العراقيه للدخول فى مفاوضات عوده العلماء المراجع إلى العراق. إلا- أن الملاحظ على الساحة العراقيه، بعد اعتقال ونفى الإمام الخالصى، ومن ثم نفى كبار العلماء، أنها فرغت من القيادات الدينيه الكبرى، حيث بقى الإسلاميون -عند غياب القاده الكبار - يغذون الساحة السياسيه بالفتاوى السابقه، وذلك لبث روح المقاومه والمقاطعه للانتخابات. ومعنى ذلك أن المراجع الكبار بعد نفيهم ما أتيحت لهم الفرصه المناسبه لقياده وتوجيه المعارضه فى العراق، مما جعل المعارضه الإسلاميه تفتقد حيويتها السابقه فى مواكبه الإجراءات المستجده من قبل الحكومه وبريطانيا، وعليه فإن وجود المرجع الأعلى فى المنفى مع بقيه العلماء المتصدين للساحه السياسيه، أضعف التيار الإسلامى فأخذ يسجل تراجعات واضحه أمام إجراءات السلطه، - ويبدو لنا - إن العلماء كانوا يتوقعون من خطوتهم تلك - الهجره خارج البلاد - الكثير من التطورات، إلا أن الذى حدث دون مستوى التوقعات داخل المعارضه السياسيه والاحتجاجات

ص: ٦٩٠

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: العراق فى دورى الاحتلال والانتداب، مرجع سابق، ص ٢٦١. ومما يذكر إن العلماء وعلى رأسهم السيد أبو الحسن الاصفهانى - المرجع الأعلى - حينما وصلوا إلى مدينه قم، كان فى استقبالهم علماء الدين الإيرانيون وعموم الناس وكان الحضور كبيراً من قبل العلماء والشعب حيث تقرر تعطيل الدراسه فى الحوزه الدينيه مده شهر احتجاجاً على تفسير العلماء من قبل سلطه الاحتلال البريطانى فى العراق. وقد بلغ الاحتجاج العلمائى والشعبى أوجه خلال تلك الحقبه الزمنيه مما أضطر ملك إيران (أحمد شاه) وهو آخر الملوك القاجاريين أطاح به رضا خان بهلوى وأركان حكمه أن يشكلوا وفداً رسمياً لزياره السيد أبو الحسن فى قم، ليظهروا التودد للمرجعيه الدينيه. راجع، آل ضياء الدين، السيد ضياء: المرجعيه العامله، مرجع سابق، ص ٦٧.

الشعبيه. ومع ذلك فقد استمر الإسلاميون فى نشاطاتهم ببقية العلماء المتواجدين فى الساحة العراقيه، وأخذوا يواكبون الأحداث بنسبه معينه، كما واصلوا فى توزيع الفتاوى الشرعيه السابقه التى تمثل الزاد الروحى لحركه المعارضه الإسلاميه، بالرغم من نفى العلماء المصدرين لها. وظهرت آثار تلك النشاطات بوضوح فى المدن المقدسه: النجف، وكربلاء، والكاظميه، وكذلك الحله والحى. وقد اجتمع العلماء والوجهاء فى النجف اجتماعاً سرياً فى أواسط تموز ١٩٢٣ برئاسة الشيخ عبد الكريم الجزائرى، وجواد الجواهرى، ومحمد على بحر العلوم، ومحسن شلاش، وعباس الكليدار، وهادى النقيب، وقرروا مواصله المقاطعه للانتخابات، ووقعوا مضبطه فى ذلك، عدا الكليدار فإنه تخلف عن التوقيع (١).

أما أجواء الحكومه والملك ودار الاعتماد البريطانى، فقد ساد فيها الارتياح العام، لما أنجزته الحكومه السعوديه عبر سياسه الشده والقمع التى آتبعتها ضد علماء الإسلام وإرادته شعب العراق.

وقد بعث جعفر العسكرى مندوب العراق فى لندن إلى حكومته ببغداد فى ٢٣ آب ١٩٢٣ الموافق ١١ محرم ١٣٤٢هـ، كتاباً قال فيه:

«لقد أثرت مسأله نفى العلماء تأثيراً حسناً فى جميع دوائر لندن وصحفها، أما المحافل الرسميه والماليه، فبدأت تعتقد بوجود سلطه وطنيه، وقوه أهليه كافيه لردع من يريد إيقاع الفوضى فى البلاد، وإن أكثرهم أتونى شاكرين على عمل الحكومه وباركوا هذه الموفقيه» (٢).

الإمام الخالصى فى مدينه قم – مشروع فردى

وصل الشيخ الخالصى إلى منفاه، فى مدينه قم، أواخر تشرين الأول ١٩٢٣م

ص: ٦٩١

١- (١) الوردى، د. على: المرجع السابق، ج٦، ص٢٦٧.

٢- (٢) فرج، لطفى جعفر: مرجع سابق، ص٩٥.

الموافق ٢٠ ربيع الأول ١٣٤٢هـ-، والتقى بالعلماء المراجع الذين وصلوا إليها قبله. وإلى جانب التأييد الشعبي الكبير للعلماء المغادرين من العراق، إشتد غضب الشعب الإيراني ضد السلطات البريطانيه، باعتبارها هي التي أهانت مقدسات الإسلام والمسلمين بتسفير العلماء. وقد نشط الشيخ الخالصى مع أعوانه في حركه معاديه للاستعمار البريطاني، فأصبحت سلطه الاحتلال والملك بين كماشتين ضاغطين بالرغم من تسجيل الحكومه تقدماً ملحوظاً، إثر إفراغ الساحه من القاده الكبار. فالمعارضه مستمره في نشاطها داخل العراق بشكلٍ أو بآخر، وكذلك اشتدت المعارضه في إيران ضد البريطانيين المحتلين، ممّا جعلهم يحذرون من بلوره حاله الاستياء، وتطورها إلى التذمر العام ومن ثمّ إلى اندلاع الثوره، لذلك فكروا بجديهِ لإنهاء هذه القضيه، وإخماد النيران قبل اندلاعها من تحت الرماد، لذلك سافر السفير البريطاني في طهران إلى بغداد في ٢٢ تموز ١٩٢٣م الموافق ٩ ذى الحجه ١٣٤١هـ-، لإجراء مفاوضات إعادة العلماء المنفيين من العراق قبل اشتداد المعارضه الإسلاميه بقيادتهم في إيران، ضد الوجود البريطاني في المنطقه (١).

إلا أن الملفت للنظر في توجهات المجتهدين المنفيين كونها لم تتفق مع الشيخ الخالصى، وذلك لأنهم آثروا العوده إلى النجف لمزاولة أدوارهم الدينيه العامه (٢). وكانت سلطه الانتداب في بغداد قد آتخذت خطوات مدروسه في اتجاه عودتهم، فلم يحرقوا كل أوراقهم في هذه المغامره، لذلك بقى الملك بوجهه اللين، وبأسلوبه الدبلوماسي الهادئ، يعالج المسأله بروح مطاطيه عاليه، وإنه ما قطع شعره معاويه مع العلماء المنفيين وبقية الإسلاميين، إنما كان يدسّ السمّ بالعسل أثناء حواراته «ورغم أن حكومه السعدون اتفقت والمسؤول البريطاني على أن من الأفضل إرجاء ذلك إلى ما

ص: ٦٩٢

١- (١) المرجع ذاته، ص ٩٤.

٢- (٢) الوردى، على: لمحات اجتماعيه، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٥٧ وما بعدها.

بعد إتمام الانتخابات، وعقد المجلس التأسيسي، فإن الاهتمام الذي أبداه الإنكليز بالأمر كان يعكس مدى المخاوف التي ساورتهم من تفاعلات ردود الفعل في إيران على هذا الإبعاد» (١).

ففي تلك المرحلة نشطت المراسلات فيما بين الملك والعلماء المنفيين، وآستطاع الملك بأسلوبه الخاص أن ينتزع الفتيل من صاعق الانفجار عند العلماء المراجع، وذلك بإلقاء مسؤوليه هذه الأحداث على إجراءات رئيس الحكومة السعدون، وأوعدهم الملك في مراسلاته بإسقاط حكومته وتشكيل حكومه برئاسة رجل شيعي!! مؤكداً عودتهم إلى العراق، والسعي الحثيث على إلغاء المعاهده البريطانيه - العراقيه (٢). وكما قلنا لقد «اعتمد النظام على (تكتيك) معين هو سياسه الوجهين (العنف واللين).. وكان يمثل الوجه الأول البشع دائماً رؤساء الوزارات المختلفون.. أما الوجه الثانى الجميل، فقد كان يمثله الملك الذى كان يجهد باستمرار على الظهور بمظهر الوطنى والمخلص ومحب الشعب وربما المعادى للاستعمار..» (٣). وعلى ضوء مراسلات الملك وعوده، بعث العلماء إلى وكلائهم فى العراق بتجميد فتاواهم المحرمه للانتخابات، وذلك لتعهدات الملك بالاستجابة لمطالب الأمه، كما وطلبوا من وكلائهم عدم نشر هذا التطور لديهم، ليروا تنفيذ الملك لتعهداته (٤). هذا من جهه ومن جهه أخرى استمرت المباحثات من وراء الستار بين الحكومتين الإيرانيه والعراقيه ومن ورائهما الإدارة البريطانيه، إلى أن تمت الموافقه على عوده العلماء فى أوائل شباط ١٩٢٤م الموافق أواخر جمادى الثانيه ١٣٤٢هـ، وذلك بشرط تقديم تعهداتهم الخطيه بعدم

ص: ٦٩٣

١- (١) الرهيمى: مرجع سابق، ص ٢٧٩.

٢- (٢) الوردى: المرجع ذاته، ج ٦، ص ٢٥٧.

٣- (٣) الكاتب، أحمد: مرجع سابق، ص ٩٤.

٤- (٤) الوردى: المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٥٧-٢٥٨.

تدخلهم فى الشؤون السياسيه للعراق، ومما يذكر أن الموافقه حصلت لجميع العلماء باستثناء الإمام الخالصى (١)، وكانت خطه الشيخ الخالصى تتلخص فى الاستمرار بتوجيه الضربات نحو الاستعمار البريطانى فى إيران كما فى العراق، يقول الشيخ محمد نجل الإمام الخالصى، فى مذكراته عن موقف والده من بقية العلماء المنفيين فى إيران: «..لما ورد أبى إلى قم، ورأى ما أصاب العلماء من الوهن والخوف بمراجعتهم لفيصل، وعزمهم على العوده إلى العراق لامهم أشد اللوم، ويين لهم أن التكليف الشرعى، والأمر الإلهى لا يساعدان على هذا العمل، وأنه يجب البقاء فى إيران والسعى فى إصلاحها ثم إصلاح العراق وسائر البلاد الإسلاميه بواسطتها، لأنها إذا صلحت تكون مركز الحركات الإصلاحيه فى جميع البلاد الإسلاميه، لموقعها الجغرافى واستقلالها التام، وإنه يحرم التسليم إلى الإنكليز، وفيصلهم، ولا سيما بعدما أقدموا عليه من نفى العلماء جميعهم، وعدم رعايتهم حرمة أحد منهم، ويين لهم أن رضوخهم إلى الضيم واستسلامهم إلى الذل يرجوعهم إلى العراق يوجب بأس العالم الإسلامى، واستسلام سائر الطبقات من المسلمين إلى مثل ما آتسلم إليه العلماء، وفى هذا هلاك المسلمين عامه، وإيران خاصه، وإن ذلك من أشد المحرمات الشرعيه» (٢).

بهذا الوعى الثورى الذى تبلور لدى الشيخ الخالصى من خلال تجربته المؤلمه مع الملك، انطلق فى معالجه الأزمه السياسيه فى العراق، ولكن حصرت هذه المبادره فى شخصه ولم يؤيده العلماء الآخرون، ولعل تجربته الفرديه مع الملك التى أشرنا إليها، هى التى جعلت مبادرته الحاليله فرديه أيضاً بتبادل الموقفين فى ظرفين مختلفين. ولذلك عجلت سلطه الاحتلال بالتعامل معه على انفراد، فقد ورد فى التقرير البريطانى الذى قَدّم إلى عصبه الأمم ما يلى: «تقرر فى شباط ١٩٢٤م، بعد موافقه مندوب السامى، أن ليس

ص: ٦٩٤

١- (١) البصير، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٠٦.

٢- (٢) الوردى: المرجع ذاته، ص ٢٤٦-٢٤٧، نقلاً عن مذكرات الشيخ محمد الخالصى المخطوطه.

هناك ما يمنع عوده المجتهدين، ما عدا الشيخ مهدي، بشرط أن يتعهدوا للملك بأنهم سوف يتجنبون التدخل في السياسيه.. [ويضيف التقرير] إن الحكومه العراقيه تستحق التهئته على موقفها الصلب الذى انتهى بانتصارها على (رجال الدين) الإيرانيين المشاغبين[!]» (١). .

ومن ناحيته ما أستطاع الشيخ الخالصى أن يقنع العلماء المنفيين بآخذ موقفه الثورى المعارض لسلطه الاحتلال والحكومته والملك فى العراق، رغم إلحاحه عليهم وتحذيره إياهم من إبداء الموافقه على العوده المشروطه للعراق، ودعاهم لتجنب التوقيع على التعهدات الخطيه الملزمه لهم بعدم التدخل فى شؤون السياسه العراقيه. والحقيقه إن الشيخ الخالصى كان يعى خطوره هذه التعهدات على الحركه الإسلاميه وعموم المسلمين فى ذلك الوقت، وفى المستقبل - أيضاً، لأنها تحمل - ضمناً - استحقاقات كارثيه ستستمر الأمه الإسلاميه على دفعها مرغمه، على شكل فواتير من الضرائب الدائمه، لا تقف عند تلك المرحله فحسب، بل تتعداها إلى مراحل مقبله، وستورث أبناء العراق الوطنيين تركه ثقيله من المشقه والعناء، يقول الشيخ جواد الخالصى، حفيد الإمام الخالصى (٢): «لقد كان لقاء العلماء فى قم والحوار الذى جرى حول العوده إلى العراق وفق شرائط فيصل و[سلطه] الاحتلال أو رفض هذه العوده المشروطه، نقطه التحول فى قياده العلماء لشعب العراق. فإن فريقاً منهم وكان على رأسهم السيد أبو الحسن الاصفهانى والميرزا حسين النائينى - رحمه الله - قد أبدوا ليونه أمام الطرح الذى

ص: ٦٩٥

-
- ١- (١) الوردى: المرجع ذاته، ص ٢٥٨-٢٥٩ عن: ١٣ p. ١٩٢٤-١٩٢٣. Roport on the Administration of IRAQ.
 - ٢- (٢) الشيخ جواد بن الشيخ محمد بن الشيخ مهدي الخالصى الكبير، وجهت إليه السؤال التالى: -حينما أصر الإمام الخالصى على مقاومه الإنكليز فى العراق وإيران معاً، لماذا تخلّى العلماء المنفيون عنه وآثروا العوده إلى النجف؟ وما هو مشروعه فى المقاومه؟ فأجابنى بخطه، وذلك فى دمشق بتاريخ ١٩٩٦/٤/١م. تجد صورته عن هذه الرساله الشخصيه فى ملاحق الكتاب.

قُدِّم إليهم للعودة مقابل إعطاء تعهد شخصي وخطى بعدم تدخلهم في شؤون العراق السياسي. وكان الشيخ الكبير [الإمام الخالصى] رحمه الله ومعه الشيخ محمد (الوالد) يريان أن هذا التعهد يشكل نكبه كبرى لجهاد المسلمين في العراق والمنطقه، واستسلام مريع لإيراده العدو، وتفريط بكل الجهود والدماء المبذوله طوال سنوات المقاومه. [ويضيف] قد جرى الحوار، وتصاعدت وتأثره لأن الشيخ الخالصى كان يصرّ ويعنف، وكانت تأتي ضغوط على الآخرين لكي يتخلصوا من ضغوطه ويستمروا على هذا القرار.. وبسبب استمرار الخلاف طلب الإمام الخالصى الكبير، التحكيم عند أيّ عالم بارز يقبله الطرف الآخر، وقد اختاروا الشيخ الحائري اليزدى. مؤسس حوزة قم، وأستاذ المراجع المتأخرين، وقد حكم الرجل رغم عدم إشتغاله بالسياسه، لصالح الموقف الذى طرحه الشيخ الخالصى «(1)». والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو، لماذا تخلى العلماء عن الخالصى فى تلك الظروف الحساسه؟ نترك الإجابة لحفيد الإمام الخالصى الشيخ جواد حيث يقول: «أما سبب تخلى العلماء.. فإن ذلك يعود إلى سببين خارجيين، وسبب نفسى داخلى، أما الخارجيان فهما محاولات الاسترضاء من قبل فيصل ومن ورائه الإنكليز فى دعوتهم إلى العوده المذكوره مع إصرار الإنكليز على ترك الشيخ الخالصى فيما لو أصر على مواقفه وهو مصرّ عليها كما يعلمون. والثانى الذى يتمّ الأول هو ضغط الحكومه الإيرانيه، لدفع العلماء إلى العوده بأى شكل من الأشكال. تخلصاً منهم، واحتمال اعتراضهم على بعض مشاريعه، وتنفيذاً للخطة الإنكليزيه التى تريد عودتهم مقيدين وعاجزين عن أية حركه. أما السبب النفسى الداخلى، فهو إحساسهم (العلماء العائدين) بعجزهم عن مواصلة المسيره واليأس من استمرار الكفاح بعد تسلط الإنكليز على أكثر البلاد الإسلاميه، وتشتيت المجاهدين وسقوط الدوله العثمانيه. هذا كله إضافه إلى الرغبه فى بناء المجد الشخصى (فإنهم بشر

ص: ٦٩٦

١- (١) من الرساله الجوابيه للشيخ جواد الخالصى. المشار إليها فى الهامش السابق.

لا ملائكه)، الذي ما كان ليبنى بشكلٍ سريع في قم، حيث يجدون منافسين كثار هناك» (١). المهم، لما يئس الإمام الخالصى من العلماء انفصل عنهم، وهو مُعرض عن مشروع العوده المشروطه إلى العراق، ومن ثمّ آثر السفر إلى مدينه خراسان والبقاء فيها، وبالفعل وصلها في أوائل عام ١٩٢٤م، وأسس (جمعيه استخلاص الحرمين وبيّن النهرين) (٢) لنصره الشعب العراقى ضد المحتلين البريطانيين وأعاونهم. كما وأصدر في ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٤م - ١٦ جمادى الثانيه ١٣٤٢هـ - - بلاغاً دعا فيه الأمة الإسلاميه لتطهير الأماكن المقدسه في الحجاز والعراق، وقد ترجم إلى عدّه لغات (٣). وكان مشروعه محدّداً في استمرار المقاومه في إيران والعراق بالخطوات التاليه:

«١- استمرار المقاومه السلبيه عبر الفتاوى التي استجاب لها الشعب، فأسقطت الانتخابات المزيفه.

٢- دعم الجماهير، وخصوصاً أبناء العشائر، وحثهم على الثوره المسلحه من جديد.

٣- مواجهه مؤامره تسليط رضا خان في إيران، وقياده الكفاح لمساعدته العناصر الوطنيه مع المرحوم مدرّس [أحد العلماء القاده للحركه الإسلاميه في إيران آنذاك]، وباقي العاملين.

٤- تقويه الجيش الإيراني، وتخليصه من العملاء حتى يكون قادراً على الدفاع عن إيران ومساعدته العراق في ثورته.

ص: ٦٩٧

١- (١) جزء من الرساله الجوابيه للشيخ جواد الخالصى - أيضاً.

٢- (٢) لمعرفه تفاصيل أعماله ونشاطاته في مشهد راجع: الخالصى، الشيخ محمد (مذكرات): بطل الإسلام الإمام الشهيد الشيخ محمد مهدي الخالصى، وثائق أحداث العراق في حركه الجهاد والثوره، ١٩١٤-١٩٢٥م. ص ٣٤٤-٣٥٤ بعنوان: (أعماله في مشهد).

٣- (٣) الوردى، د. على: المرجع السابق، ص ٢٤٨.

٥- الاستفادة من العامل الدولي، والاتصال بالبلانشفه لمساعدته العراقيين تسليحاً ودعماً سياسياً، مع رفع الضغط عن المسلمين في الجمهوريات السوفياتيه. والدعوه إلى فهم الإسلام من جديد» (١).

هذا وقد استمر الإمام الخالصي في نشاطاته الإسلاميه في مشهد حتى وافاه الأجل في ١١ رمضان ١٣٤٣هـ، الموافق ٥ نيسان ١٩٢٥م، ودفن فيها ضمن تظاهره - علمائيه وشعبيه - نادره. وكان لنبا وفاته أثر كبير في بغداد والكاظميه وبقية مدن العراق، على المستوى الحركي والشعبي. حيث ضجّ الناس في الكاظميه بالبكاء والعيول، وأصبح اليوم التالي يوم حداد عام، وخرجت مواكب العزاء من كافة أطراف الكاظميه نحو مدرسه الخالصي، ويذكر أن موكب الأعظميه من الطائفه السنيه قد شارك مع مواكب العزاء بهذه الأهزوجه:

«يا عمود الإسلام حامى الشريعه يّتمت ها لمخلوق سنه وشيعه»

وكانت الحكومه بمشابه الشخص المتفرّج على تفاعلات الأ-حزان عبر إلقاء الأشعار والخطب وإقامه الاحتفالات الحزينه، التي كانت تستبطن روح المقاومه الإسلاميه ضد الحكومه والإنكليز (٢).

ص: ٦٩٨

١- (١) جزء من الرساله الجوابيه للشيخ جوادالخالصي.

٢- (٢) الوردى، المرجع ذاته، ج ٦، ص ٢٤٨-٢٥٤. تجدد تفاصيل بعض الاحتفالات، كذلك ذكريات المؤلف الشخصيه عنها. ومن طريف ما يذكره عن مجالس الفاتحه والعزاء وأحاديث الخطباء وأقوال الناس في تلك المجالس، حسب ما يستذكره من أيام صباه، ومن المناسب أن نستمع إليه حيث يقول: «كنت يومذاك صبياً في الثانيه عشره من عمري، ومن طريف ما أذكره، إن الناس حين كانوا يتحدثون عن نفى الخالصي وموته يشبهون ذلك بمقتل الحسين عليه السلام، فكانوا يقولون إن يزيد بن معاويه هو اليوم جورج الخامس، وعبيد الله بن زياد هو فيصل، وعمر بن سعد هو عبد المحسن السعدون، أما شمر بن ذى الجوشن فهو عبد الرزاق الفضلي، ونسى الناس أن يذكروا أنهم أنفسهم أهل الكوفه». الوردى، د. على: المرجع نفسه، ص ٢٥٢.

حينما أُفرغت الساحة العراقية من القيادات الإسلامية الرئيسية، انصبت جهود سلطه الاحتلال نحو إجراء الانتخابات، ولو بصورة شكلية أو سرية، فالمهم أن تشكل غطاءً قانونياً لوجودهم وممارساتهم الإدارية لذلك حينما ألتقى في ٣٠ مايس ١٩٢٣م، ١٥ شوال ١٣٤١هـ، المندوب السامي (هنرى دوبس) (١) مع الملك فيصل، أكد الملك من خلال اللقاء على ضرورة إجراء الانتخابات في هذه الفرصه الثمينه، وقد أطلعه على نتائج زيارته إلى الموصل، والتفاف الناس من حوله. هذا وجرى استقراء عام من قبل المحافظين والإداريين التابعين لوزاره الداخليه حول إمكانيه خوض الانتخابات بنجاح، وذلك بصورة سرية، فجاءت الإجابات من المناطق المختلفه تقترب من إمكانيه إجراء الانتخابات. فمثلاً رفعت إجابته محافظه بغداد في الثالث من تموز ١٩٢٣م، ٢٠ ذى القعدة ١٣٤١هـ، أى بعد نفى الإمام الخالصي وأنصاره. ومن جهتها قررت الوزاره السعدونيه إجراء المرحله الثانيه للانتخابات، بعد تلك المغامره الكبيره التي خاضتها سلطه الاحتلال والحكومته ضد العلماء المجاهدين في اعتقالهم ونفيهم، وذلك ابتداءً من ١٢ تموز ١٩٢٣م - ٢ ذى الحجه ١٣٤١هـ، بعد أن تقرر في الجلسه الخاصه لمجلس الوزراء التي عقدت في القصر الملكي برئاسة الملك فيصل في ٣ تموز ١٩٢٣م، وقد تم الاتفاق على: تجديد اللجان الانتخابيه في كافه المناطق، وقد وضعت ماده قانونيه ملحقه لحمايه أعضاء المجلس التأسيسي، وغيرها من الترتيبات، كما وتقرر استبدال الهيئات التفتيشيه السابقه بأخرى جديده (٢).

وعلى ضوء الوقائع التاريخيه، «يمكن تقسيم عمليه انتخابات المجلس التأسيسي

ص: ٦٩٩

-
- ١- (١) أصبح (هنرى دوبس) هو المندوب السامي، منذ أوائل أيار ١٩٢٣.
 - ٢- (٢) الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي العراقي، ج ٢، ص ٧٥. ولمعرفه التفاصيل لتقارير المحافظات والمناطق. حول إمكان إجراء الانتخابات في تلك الظروف، راجع المرجع ذاته، ص ٧١-٧٥.

إلى مرحلتين، الأولى تبدأ منذ صدور الأمر بإجراء الانتخابات في ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٢م. حتى توقفها بدون إتمامها.. في أواخر كانون الثاني ١٩٢٣. وتبدأ المرحلة الثانية عند صدور الأمر بإجراء الانتخابات مجدداً في ١٢ تموز ١٩٢٣م، بعد توقفها وحتى نهاية الانتخابات» (١).

ولقد «تمكنت حكومه السعدون وباستعمال أساليب الضغط والإرهاب من إنجاز المرحلة الأولى من هذه الجوله في تشرين الأول ١٩٢٣، بانتخاب المرشحين الثانويين، وأخذت تستعد لإنجاز انتخاب النواب في المرحلة الثانية والأخيره» (٢). حيث تتألف هذه المرحلة من: تسجيل الناخبين الأوليين (٣)، وانتخاب المرشحين الثانويين، ومن ثم انتخاب نواب المجلس التأسيسي، ففي الخطوه الأولى واجهت السلطه صعوبات في عمليه تسجيل الناخبين الأوليين وتشكيل الهيئات التفتيشيه وتعليق الدفاتر الأساسيه في المدن المقدسه، ففي النجف لم يكتمل انتخاب الهيئه التفتيشيه إلا في ٢٢ تموز ١٩٢٣، بعد جهود مضمينه باشرت الهيئه أعمالها، وجاء في تقرير محافظ كربلاء الإداري للنصف الأخير من تموز ١٩٢٣، أن الهيئتين التفتيشيتين في مركز كربلاء والنجف واصلتا أعمالهما، بينما أ برق المحافظ أيضاً إلى وزير الداخليه في الثالث من آب يضعه في صوره الاجتماع العلمائي المعارض للانتخابات، الذي حرّر مضبطه رافضه للانتخابات. وكان في الاجتماع الشيخ عبد الكريم الجزائري والجواهري، وبحر العلوم وغيرهم. وقد استلم

ص: ٧٠٠

١- (١) الأدهمي، المرجع ذاته، ج ٢، ص ١٩-٢٠.

٢- (٢) الرهيمي، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ٢٧٨.

٣- (٣) «بعد تنظيم الدفاتر الأساسيه التي تحوى أسماء الناخبين الأوليين الخطوه الأولى في عمليه انتخاب أعضاء المجلس التأسيسي، ويتم تنظيم الدفاتر في كل قضاء بواسطه هيئه مؤلفه من رؤساء البلديات والأئمه والقساوسه والحاخامين والمختارين، وعدد من الوجوه لا- يتجاوز الثلاثه.. والناخب الأولى هو كل من أقام في محله أو قريه مده سنه واحده، وأكمل سن الحاديه والعشرين». الأدهمي، د. محمد مظفر: مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٠.

المحافظ تعليمات مشدده على معرفه أخبار هذا الاجتماع وتطور انعكاساته على الساحه، وتوجيه التوبيخ للشيخ عبد الكريم الجزائري وغيره من العلماء، للابتعاد عن هذه المداخلات، هذا وبالفعل صدقت الدفاتر وعُلفت في ٨ آب بمدينة كربلاء، أما في النجف والكوفه فقد تم تعليقها في ١٥ آب، بينما في الكاظميه - مدينة الإمام الخالصي المنفى - تحرك مؤيدوه لإحياء الفتاوى السابقه له، وإلصاقها على جدران الصحن الشريف، فقد جاء في إعلان ملصق منها: «..تعرفون جميعكم أن دعامة الإسلام (الشيخ الخالصي)، قد أعلن براءته من جميع الذين يشاركون في الانتخابات، التي آنتهت من كونها مسأله سياسيه، وأصبحت مسأله دينيه، إننا يجب أن نكون مخلصين لديننا ومعينين له»، ويعلق الأستاذ الأدهمي على هذا الإعلان بقوله: «..فقد تخلى خلفاء الخالصي من قياده حركه المقاطعه، بهذا الإعلان عن الجانب السياسي»، ومع ذلك شكّل غياب الإمام الخالصي إرباكاً للحاله الإسلاميه والوطنيه المعارضه، لذلك شكلت الهيئه التفتيشيه بالكاظميه في ٢١ تموز ١٩٢٣ وباشرت أعمالها. وأما في بقية المحافظات والمناطق فقد تمت فيها العمليه الأولى بصوره أبسط. وفي ٥ أيلول ١٩٢٣م الموافق ٢٤ محرم ١٣٤٢هـ، كمل التسجيل في قضاء أربيل وفي ٢ أيلول علفت في المحلات العامه للاطلاع على أسماء الناخبين الأولين في قضائي أربيل وكويسنجق، والملاحظ على المناطق الكرديه، أن التوجه القومي لم يشكل عائناً رئيسياً كالسابق، وإنما أصبح الخوف من التجنيد الإلزامي المعيق لعمليه التسجيل، وكان للعود بالحكم الذاتي للأكراد في الشمال، الأثر الواضح في تقدم الانتخابات (١).

أما الخطوه الثانيه في هذا الاتجاه، هو موضوع انتخابات الناخبين الثانويين، من

ص: ٧٠١

١- (١) لمعرفه تفاصيل صعوبه تسجيل القرى والأرياف المأهوله بالعشائر، وسير الانتخابات في المدن، وصعوبات تسجيل الناخبين الأوليين في المدن والمناطق الكرديه وكر كوك، راجع الأدهمي: المرجع السابق، ص ٨٠-٩٩.

أهل المدن والعشائر. وفي هذه الخطوه واجهت الحكومه والأجهزه الإداريه بالذات صعوبات كبيره من قبل المعارضه الإسلاميه، وأصبحت في بعض المناطق المهمه «ذات تأثير أقلق السلطات البريطانيه، وأحدث في بعض الأحيان سوء تفاهم بين الملك والمندوب السامي» (١). وقد ابتدأت في بغداد بتاريخ ٢٨ آب ١٩٢٣م، ١٦ محرم ١٣٤٢هـ، ودخلت المعارضه في تنافس شديد مع الحكومه في كسب أكبر عدد ممكن من الناخبين الثانويين، ففي الموصل كانت المعارضه شديده، لما يذكر من أن المحافظ كان متعاطفاً مع المعارضه. فتدخلت السلطه في الموصل لتعديل النتيجة النهائيه لصالح المعاهده والحكومه. أما في الفرات الأوسط فقد نشطت المعارضه الإسلاميه - على طريقتها السابقه - في الدعوه إلى مقاطعه الانتخابات. وشهدت مدينه الحله تلكؤاً شديداً في سير العمليه، وعليه تعرض السيد عبد الحكيم، الذي يعتبر من قاده المعارضه الإسلاميه للاعتقال، وعلى أثر هذه السياسه تقدمت العمليه الانتخابيه قليلاً. أما في كربلاء فواجهت المحافظ صعوبات كبيره عرقلت إجراء الانتخابات للناخبين الثانويين، فلم يرشح أحد نفسه إلى الانتخابات، ولا إلى عضويه المجلس التأسيسي، ولم يتقدم من يضع صوته في صناديق الاقتراع إلا بصعوبه. ومع ذلك فقد تمت الانتخابات الثانويه في كربلاء والنجف في ١٢ أيلول ١٩٢٣م، ١ صفر ١٣٤٢هـ، بالرغم من التصعيد الإعلامى للمعارضه الإسلاميه، حيث استمرت حاله التفاعل مع الفتاوى الدينيه المعارضه للانتخابات في الكاظميه وكربلاء والنجف والحله والعماره وعشائر المنتفك (الناصرية). ففي منطقه الحى - لواء الكوت - مثلاً،

ص: ٧٠٢

١- (١) الأدهمى، د. محمد مظفر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٠٥-١٠٦. راجع تفاصيل الاختلافات بين الملك والمندوب السامي. لدى الأدهمى: المرجع ذاته، ص ١٠٧-١١١. عن المركز الوطنى لحفظ الوثائق المستعمله. ملفات البلاط الملكى. ملف سير الانتخابات للمجلس التأسيسى، رقم ٢/٦/٥. رساله المندوب السامى، بالورقتين رقم (١٨-١٩)، ورساله الملك بتاريخ ٣ أيلول ١٩٢٣، الأوراق (٣١-٣٤)، وكذلك رد المندوب السامى الذى يبدو عليه الأسف لعدم فهم الملك مغزى رسالته، فى الأوراق (١٥-١٧).

كتب ٨١٧ ناخباً أولياً على أوراقهم كلمه (حرام) بدلاً من تدوين أسماء المرشحين فيها (١). أما في الكاظميه، المدينه المقدسه المهمه، فقد أشارت مضبطه انتخابات المجلس التأسيسي إلى أن وجهاء البلد قد حصلوا على اقل الأصوات، في حين حصل على أكثر الأصوات مرشحون غرباء عن المنطقه (٢). مما يدل على التلاعب الواضح في إجراء الانتخابات وقد نشرت جريده (الاستقلال) بعد انتهاء مهام المجلس التأسيسي، مقالاً تقول فيه: «جرى انتخاب المجلس التأسيسي الفائت، وكُتب الكتاب، ونادى المنادون، ولكن أسيّمت لو ناديت حياً. فجرى التلاعب، وعبث الأيدي وتدخل ذوى النفوذ في سائر الأولويه، والأمه صامته..» (٣).

تلك الإنجازات! والتطورات السياسيه التي لحقت الولاده غير المتكامله للانتخابات، دعت السعودون إلى تقديم الاستقاله في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٣ الموافق ٥ ربيع الثاني ١٣٤٢هـ (٤)، يقول الدكتور نعمه: «لقد تسببت واقعه إبعاد علماء الدين في توتر العلاقات بين البلاط والحكومه وحاولت دار الاعتماد رأب الصدع بينهما. ولكن في تشرين الأول تبين أن بقاء حكومه السعودون غير مرغوب فيه وقد نجح فيصل في تنحيته» (٥). ولم يمانع المندوب السامى ذلك، فإن خروج السعودون من وزاره سيضمن مجيئه رئيساً للمجلس التأسيسي، فجاءت موافقه المندوب السامى بناءً على تعهد الملك

ص: ٧٠٣

-
- ١- (١) للمزيد من الاطلاع على أحداث الناخبين الثانويين، راجع: المركز الوطنى لحفظ الوثائق، ملفات وزاره الداخليه، ملف الانتخابات في الحله رقم g/٤/١/S، تسلسل ١٤٢، وفي كربلاء رقم k/ ٤/١/S تسلسل ١٢٢. وفي الموصل رقمم B ٤/١/S تسلسل ١٥٦، وفي المنتفك رقم J/٤/١/S، تسلسل ١٨٣.
 - ٢- (٢) الأدهمى، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٩-١٣٠.
 - ٣- (٣) جريده (الاستقلال) العدد الصادر بتاريخ ٢٠ تشرين الأول ١٩٢٤.
 - ٤- (٤) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٩.
 - ٥- (٥) نعمه، د. كاظم: الملك فيصل والإنكليز والاستقلال، طبع الدار العربيه للموسوعات بيروت، ط ٢، ١٩٨٨، ص ١٣١.

في ذلك (١). فأسرع الملك بتكليف جعفر العسكري (٢) أحد رجاله المعتمدين لتشكيل الحكومه. وبالفعل تشكلت وزاره العسكريه في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٣ - ١٦ ربيع الثاني ١٣٤٢هـ- (٣). وعلى ضوء هذا الإجراء وتلك الاتصالات، تحلحل وضع المعارضه بنسبه معينه. أما التعهد المهم من قبل الملك للعلماء المنفيين، وهو العمل على إلغاء المعاهده، فقد بقي يراوح في موقعه دون تقدم، تحت ذريعه دراسه الموضوع وترتيب إخراجهم. إلا- أن الأ-جواء الهادئه وفرت فرصه مهمه أمام حكومه العسكري، لإجراء انتخابات أعضاء المجلس التأسيسي كخطوه أخيره في مسلسل الانتخابات. وقد كان الاتفاق بين الملك و(دوبس) المندوب السامي يقضى بتأخير عوده العلماء المراجع إلى ما بعد إجراء الانتخابات، وحينما اعترض العلماء المنفيون على استثناء الإمام الخالصي من مسأله العوده (٤)، دخلت القضيه في المفاوضات بين الطرفين مما أطال الوقت، وكان الزمن لصالح الحكومه. وهكذا أجريت الانتخابات الأخيره في ٢٥ شباط ١٩٢٤م، من

ص: ٧٠٤

- ١- (١) الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس السياسي العراقي، مرجع سابق، ج ٢، ص ١١٨.
- ٢- (٢) جعفر العسكري، بالأصل هو من قريه (عسكر) العراقيه التابعه إلى قضاء جمجمال التابع لمحافظة كركوك، ولد ببغداد في ١٨٨٥م. أكمل فيها الإعداديه، والتحق بالمدرسه العسكريه في استنبول وتخرج منها عام ١٩٠٤، خدم في الجيش، وعين سنه ١٩١٣ معلماً في المدرسه العسكريه بحلب. وبعد جوله من الأعمال العسكريه إبان الحرب العالميه الأولى، انضم إلى ثوره الحجاز عام ١٩١٧، فعين قائداً للجيش النظامي الشمالي بإمره فيصل وإشراف بريطانيا. ثم عين حاكماً عسكرياً في عمان ثم حلب في ١٩١٩. ثم عُين كبير أمناء الملك فيصل ملك سوريا في آذار ١٩٢٠. غادر الشام مع فيصل إلى أوروبا بعد موقعه ميسلون في تموز ١٩٢٠. استدعى للعوده إلى العراق فعين وزيراً للدفاع في وزاره النقيبيه الأولى والثانيه والثالثه. وتدرّج في بعض المناصب حتى صار رئيساً للوزاره في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣ إلى ٣ آب ١٩٢٤ - للمره الأولى- للتفاصيل راجع، بصري: مير: أعلام السياسه في العراق الحديث. مرجع سابق، ص ٨٥-٩٣.
- ٣- (٣) الوردى، د. علي: لمحات اجتماعيه، مرجع سابق، ص ٢٥٥.
- ٤- (٤) الوردى: المرجع ذاته، ص ٢٦٠. عن دائره الوثائق العامه بلندن، رقم (١ف. و ٣٧١٠-١٠١٤٧)، فقد ورد في تقرير الاستخبارات العراقيه في ٥ آذار، إن المجتهدين المنفيين «يقولون إن من العار عليهم أن يعودوا من غير أن يكون الشيخ الخالصي معهم».

قبل الناخبين الثانويين، من دون مقاطعه تذكر، بشكلٍ شمولي مؤثر (١).

ومما يذكر «خلال انتخابات الناخبين الثانويين، حثّ مستشار وزاره الداخليه (كور نواليس) كل المفتشين الإداريين في الألويه [المحافظات]، ببرقيه سريه جداً مؤرخه في ١١ أيلول ١٩٢٣م، الموافق ٣٠ محرم ١٣٤٢هـ، على أن يبرقوا أسماء المرشحين لعضويه المجلس التأسيسي من المفضلين لديهم ولدى المتصرفين، [المحافظين]، ومن الذين يعتقد أنهم سيصوتون لصالح المعاهده فيما إذا تم انتخابهم، وبالتشاور بين المفتش الإداري والمتصرف في كل لواء وصلت إلى الداخليه قائمه بأسماء المرشحين المعنيين، وبعد دراسه مستفيضه لهذه الأسماء، ولعده أشهر أرسل مستشار وزاره الداخليه في ٨ شباط ١٩٢٤م إلى كل لواء قائمه بأسماء الذين ترغب الحكومه أن ينتخبوا أعضاءً في المجلس التأسيسي، وقد أوضح المستشار في مذكرته الموجهه إلى جميع الألويه، إن قائمه كل لواء قد جاءت نتيجةً لدراسه قام بها الملك فيصل ورئيس الوزراء، وإن إخلاص كل مرشح لسياسه الحكومه كان بضمان أحدهما أو كليهما» (٢).

هكذا تمت الانتخابات وبعد إتمامها، عقد المجلس التأسيسي جلسته الافتتاحيه في ٢٧ آذار ١٩٢٤م - ٢١ شعبان ١٣٤٢هـ، بحضور الملك والمندوب السامي. وقد اعتبر يوم افتتاحه عطله رسميه، وأقيمت المهرجانات في بغداد والمحافظات بالمناسبه، وأطلق سراح بعض السجناء، وحُفِّضت بعض المحكوميات. وقد تم انتخاب السعدون رئيساً للمجلس بإيعاز من الإنكليز، وقد ألقى الملك خطاب العرش في البدايه، عبّر فيه عن فرحته بافتتاح أول مجلس شوري! في العراق، مؤكداً على ضروره البت في تصديق المعاهده باسم الإسلام!! حيث قال: «إن أحكام الإسلام مؤسسه على الشوري،

ص: ٧٠٥

-
- ١- (١) نعم حدثت بعض المقاطعات المحليه، في الموصل والسليمانيه والمنتفك، للتفاصيل راجع، الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي، المرجع السابق، ص ١٢٥-١٣٢.
- ٢- (٢) الأدهمي، د. محمد مظفر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٩٩.

وأعظم ما ارتكبه الطوائف الإسلاميه من الخطيئات حيادها عن قوله تعالى: .. وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ۗ ، ويترتب على كل مسلم يعلم ما يأمر به دينه، حاكماً كان أو محكوماً، أن يؤيد هذا الحكم الإلهي، ومن تكاسل عنه فقد خالف أمر الله.. [ومن زاوية أخرى قال].. إن الأمة قد انتخبتم أيها النواب للنظر في أمور جوهرية هي الأسس المتينه التي يشاد عليها بنيان نظامها واستقلالها. أولاً: البت في المعاهده العراقيه - البريطانيه، لتثبيت سياستها الخارجيه. ثانياً: سن الدستور العراقي، لتأمين حقوق الأفراد، ويراقب سياسه الحكومه وأعمالها..» (١). هذا وقد كتبت جريده (Baghdad Times) بعد انتهاء الانتخابات تقول: «انتهت الآن انتخابات المجلس التأسيسي العراقي، ويرى حكام أكتفاء إن التصديق المعقّد للمعاهده العراقيه الإنكليزيه سينتهي بدون شك» (٢). وبذلك انحلت عقده الحكومه والملك والمندوب السامي. بينما العلماء المنفيون يواصلون سيرهم في طريق عودتهم إلى العراق، فقد وصل معظمهم في ٢٢ نيسان ١٩٢٤م، الموافق ١٨ رمضان ١٣٤٢هـ، بعد تسليم تعهداتهم الخطيه بعدم التدخل في الشؤون السياسيه للعراق. وكان على رأسهم المرجع الأعلى - السيد أبو الحسن الاصفهاني، والشيخ حسين النائيني، وقد استقبلوا على الحدود العراقيه - الإيرانيه، وفي العاصمه بغداد وفي كربلاء والنجف من قبل المؤمنين، كما اشتركت الحكومه في قسم من مراسيم الاستقبال لهم (٣). ومن المفيد أن نقرأ نموذجاً من تلك التعهدات الخطيه للعلماء، فقد كتب الإمام السيد أبو الحسن الاصفهاني تعهده

ص: ٧٠٦

-
- ١- (٢) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٨-٧٩. تجد النص الكامل لخطاب الملك في جلسه الافتتاح.
 - ٢- (٣) () ١٩٢٤. ٥.th March. Baghdad Times.
 - ٣- (٤) الحسنی: عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٣.

بالشكل التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم حضره جلاله ملك العراق، أيد الله ملكه: بعد السلام عليكم، والسؤال عن أحوالكم ورحمه الله وبركاته. نعرض أن كتابكم المؤرخ ٢٦ رجب، المرسل مع حجتى الإسلام جناب الشيخ جواد صاحب الجواهر، وجناب ميرزا مهدي آية الله زاده - دامت بركاتهما - أخذته بكمال الاحترام، وكما ذكر تموه فيه، وأودعتموه فى مطاويه صار معلوم لدينا، ولقد أفادا بما دار بينكم من الشؤون، وبيان الأسباب الموجهة إلى تأخير حركتنا وطلب جلائتكم المؤازره، وكذلك المحروس السيد باقر سر كشييك، أقام بواجبه وبلغ خطاباته الشفاهيه، هذا وإن كنا قد أخذنا على عاتقنا عدم المداخله فى الأمور السياسيه والاعتزال عن كلما يطلبه العراقيون، ولسنا بمسؤولين عن ذلك، وإنما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلائتكم، لكن المؤازره الملوكيه الهاشميه حسبما تقتضيه الديانه الإسلاميه ذلك من مبدئنا الإسلامى، وأما ما أمرتم من توحيد الكلمه، وتوطيد عرى الصداقه بين إيران والعراق، فذلك من وظائفنا الدينيه، وحينما دخلنا إيران لن نزل نبذل الجهد فى ذلك، وسوف تظهر نتيجة أعمالنا المبروره. والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

٢١/ شعبان من سنه ١٣٤٢هـ - [٢٧ آذار ١٩٢٤] الأحقر أبو الحسن الموسوى الاصفهانى «(١).

يذكر جواد الخالصى تعليق والده الشيخ محمد نجل الإمام الخالصى بقوله: «وقد علمت الشيخ الخالصى (الابن) فى مذكراته.. واسمها (فى سبيل الله) بأن العلماء الذين أعطوا هذا التعهد قد قسّموا الإسلام إلى قسمين، احتفظوا بواحد لأنفسهم وتركوا

ص: ٧٠٧

١- (١) الوردى: المرجع السابق، ص ٢٤١-٢٤٢، عن وثائق البلاط الملكى، ورقم التسلسل ٣، ورقه الوثيقه ٥٩. وتجد فى رقم التسلسل ٣ رقم الوثيقه ٥٥، رسائل مشابيه من قبل العلماء الآخرين أمثال الميرزا حسين النائينى والسيد عبد الحسين الطباطبائى.

الآخر للإنكليز، أما القسم الذي بقى لهم فهو الحيض والاستحاضه والنفاس وأحكام الآبار والنجاسات. أما الذي تركوه للإنكليز فهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامه العدل والحكم بين الناس، وبناء الدوله» (١).

محاولات الإسلاميين في عرقلة تصديق المعاهده

ومع كل هذه التطورات، لم تنته نشاطات المعارضه الإسلاميه في رفض المعاهده، فقد عادت إلى سطح الأحداث بعد افتتاح المجلس وانتخاب السعدون رئيساً له، حيث قدّم مشروع المعاهده إلى أعضاء المجلس، وكان قد وقّع جعفر العسكري رئيس الوزراء، نيابه عن الملك والمندوب السامي (دوبس) الاتفاقيات الأربعة الملحقه بالمعاهده. وذلك قبيل افتتاح المجلس التأسيسي بيومين، أي في الخامس والعشرين من آذار ١٩٢٤م الموافق ١٩ شعبان ١٣٤٢هـ، وهي المعاهده الخاصه بالموظفين البريطانيين في العراق، والاتفاقيه العسكريه، والاتفاقيه العدليه، والاتفاقيه الماليه. وفي الجلسه الثالثه للمجلس في ٣١ آذار ١٩٢٤، قدّم رئيس الوزراء مشروع المعاهده العراقيه البريطانيه. والملحق أيضاً، وذلك لغرض تصديقها، وكان المشروع مشفوعاً ببيان توضيحي للعوامل الرئيسيه التي تؤكد ضروره تصديقها باعتبارها لمصلحه العراق (٢). وتحدّث رئيس الوزراء جعفر

ص: ٧٠٨

١- (١) من الرساله الجوابيه المشار إليها سابقاً - للشيخ جواد الخالصي، المؤرخه في ١/٤/١٩٩٦م.
٢- (٢) الأدهمي: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٦٦. أما بالنسبه للاتفاقيات الأربع، فقد «أصبح للإنكليز بموجب الاتفاقيه العسكريه الحق في تجنيد المتطوعين من بين سكان العراق، على أن تلتزم الحكومه العراقيه إذا ما طلب قائد القوات الجويه، بإزاله كافه العقبات التي تعيق هذا التجنيد، وأن تبدى كل مساعده ضروريه لتسهيل إنجازه.. أما الاتفاقيه الماليه فقد نصت على أن تسلّم إلى العراق، الطرق والجسور وخطوط التلفون والتلغراف، ومنشآت الري التي أقامتها السلطات العسكريه الإنجليزيه أثناء الحرب العالميه مقابل سبعة ملايين جنيه إسترليني، تدفع على شكل أقساط في مده عشرين سنه. وقد التزمت الحكومه العراقيه في الماده الحاديه عشره من هذه الاتفاقيه بأن لا تضع أمام الإنجليز أيه عقبه في مسأله

العسكري للمجلس محاولاً إقناع أعضائه لإبرام المعاهدة، «فقام ناجي السويدي مندوب بغداد قائلاً: نحن الآن قد وصلنا إلى النقطة الحيويه المتعلقة بحياه البلاد أو مماتها.. اقترح توزيع صور لائحته المعاهده على النواب كلهم لتدقيقها والوقوف على نصوصها والمداوله بشأنها. ثم يجب إعلانها للشعب الذي هو الواسطه الوحيده للبت فيها، ونحن مضطرون إلى العمل برأى الشعب..» (١).

وبناءً على تطور هذه المطالبه، انفتحت أمام الإسلاميين فرصه مهمه، انتعشت فيها حركه المعارضه السياسيه وذلك عبر إدخال العمق الشعبى الذى يتمتع الإسلاميون بتأييده فى المعركه بصوره مباشره، وإن هذا الرصيد الكبير سيغير المعادله ويعيدها إلى نقطه الصفر، إن استثمر بالشكل المطلوب. وبالفعل إزاء تلك المطالبه انقسم أعضاء المجلس على أنفسهم، ما بين مؤيد للمعاهده وملاحظها بشكل مطلق، وبين مطالب بتعديلها، فأصبح الجو العام مشككاً بنيل الاستقلال التام للعراق، فى حاله إبرام هذه المعاهده وملاحظتها.

وحينما انعكس الأمر على الساحه العامه، تحرك المحامون والمدرسون وطلاب الحقوق، بالاتفاق مع علماء الدين، وعقدوا اجتماعاً مهماً فى ١٧ نيسان ١٩٢٤ ببغداد، حضره أعضاء المجلس وعدد كبير من المحامين والمثقفين الاختصاصيين، ناقشوا

ص: ٧٠٩

١- (١) نص كلمه رئيس الوزراء، وكلمه ناجي السويدي لدى، الحسنى: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٠-٨١.

من خلاله بنود المعاهده وانعكاساتها السلبيه على العراق (١). وبذلك دخلت المعارضه فى إطار آخر، فأخذت تناشد أعضاء المجلس بضغوط اجتماعيه ونفسيه ليقفوا باتجاه عدم المصادقه، فكانت تتم زيارات للنواب فى بيوتهم، فيثرون فيهم النخوه العشائريه والأحاسيس الوطنيه، والمسؤوليه الشرعيه، لكي يتخذوا الموقف الشريف الذى تنادى به المعارضه، وقد لعبت النساء دوراً مؤثراً فى هذا الاتجاه. وإلى جانب هذا التحرك جرت محاوله اغتيال فى ٢٠ نيسان ١٩٢٤م، ١٥ رمضان ١٣٤٢هـ-، لاثنين من شيوخ العشائر هما (عداى الجريان) و(سلمان البراك) مندوبى الحله، وهما معروفان بتأييدهما للمعاهده، وإن كانت أصابتهما غير خطيره، إلا أنها أولدت حاله من الفزع والخوف لدى النواب الآخرين ليتجنبوا تأييد المعاهده، وبالفعل أخذ عدد النواب يقل فى حضور الجلسات، وقد قَدّم بعضهم استقالته إثر رسائل التهديد الموجهه إليهم (٢). فأُخرج الملك ورئيس الحكومه جعفر العسكري، وطالبا المندوب السامى بمفاتيحه الحكومه البريطانيه للحصول على ضمانين لقطع التردّد من قبل أعضاء المجلس فى تصديق المعاهده، وهما:

ص: ٧١٠

-
- ١- (١) الوردى، على: مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٧٤-٢٧٦. والأدهمى: مرجع سابق، ص ١٦٨-١٧٢. لقد تقدم المحاميان داود السعدى، ورشيد رشدى بطلب إجازة من محافظ بغداد، لإقامه هذا الاجتماع فى ١١ نيسان ١٩٢٤، يدعى إليه أعضاء المجلس التأسيسى ووجهاء وأشراف العاصمه. فحصلت الموافقه إلا أنها سُحبت بأمرٍ من وزاره الداخليه، ولكن المسأله أُثرت فى المجلس فى العاشر من نيسان، من قبل مندوب الديوانيه عبد الرزاق الرويشدى، طالباً إعاده السماح بعقد الاجتماع، وبعد المناقشات حصلت الموافقه، وتم الاجتماع فى ١٧ نيسان ١٩٢٤. للاطلاع على تفاصيل أول حركه للمعارضه داخل المجلس التأسيسى راجع: مذكرات المجلس التأسيسى، وثائق الحكومه العراقيه، ج ١، ص ١٣١-١٣٧.
- ٢- (٢) الوردى: المرجع ذاته، ص ٢٧٦-٢٨٠. للاطلاع على دور نوري السعيد فى تبيان رأيه فى المجلس صراحه، بضروره إبرام المعاهده قبل تعديلها، وتطورات الأحداث بعد ٢٩ أيار، ودوره فى كبح المعارضه الداخليه، حتى جلسه المجلس فى ٣ حزيران ١٩٢٤. راجع النصيرى، عبد الرزاق أحمد: نوري السعيد ودوره فى السياسه العراقيه حتى عام ١٩٣٢، ص ١٠٩-١١٥.

الأول لحمايه حدود الموصل من الأتراك، والثاني لإنهاء الانتداب فعلاً بعد أربع سنوات، سواء أصبح العراق عضواً في عصبة الأمم أو لم يصبح (١). ويمكن القول «إن طلب الملك فيصل ورئيس وزرائه لم يكن كما هو إجراء تعديل في المعاهده بحيث تصبح غير مفيده للاستقلال التام بل كان يهدف [كما يقول الدكتور الأدهمي] الحصول من الحكومه البريطانيه على تظمين للمتريدين في موافقه على المعاهده» (٢). وبالنتيجه وافقت الحكومه البريطانيه على تقديم الضمانين، ولكن بقيود رفضتها المعارضه. ثم أكد المندوب السامي على أن الحكومه البريطانيه لا تمنع من إعاده النظر في المعاهده والاتفاقيات الملحقه من وقت لآخر حسب ماده ١٨ من المعاهده، وأكد للملك أن بريطانيا لا تريد البقاء في العراق، بعد انتهاء المعاهده، وقد نشرت الصحف المحليه تلك التطورات في أوائل أيار ١٩٢٤، وأواخر رمضان ١٣٤٢هـ، لتشكّل عوامل ضاغطة على الرأي العام، الذي بدوره يضغط على أعضاء المجلس التأسيسي للإسراع بالمصادقه على المعاهده، خوفاً من ضياع الموصل ومصالحه الوطن (٣).

ومع ذلك قدّم العسكري استقالته في أوائل أيار، وفي هذه الأجواء برز دور ياسين الهاشمي، الرجل المصلحي المزوج في سلوكه، باعتراف السلطات البريطانيه،

ص: ٧١١

١- (١) الأدهمي: مرجع سابق، ج ٢، ص ١٧٣ عن: Bell. Personal Papers.P.٣٣٩

٢- (٢) الأدهمي: المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٧٣.

٣- (٣) جريده العراق، العدد الصادر في ٢٩ نيسان، وكذلك في ١ و٢ و٥ و٩ و١٣ و١٤، أيار ١٩٢٤. ولغرض الاطلاع على الرسائل السريه من المندوب السامي إلى الملك فيصل في نهايه نيسان ١٩٢٤م، راجع: المركز الوطني لحفظ الوثائق المستعمله، ملفات البلاط الملكي، ملف المعاهده البريطانيه العراقيه رقم ج/٩، ١٩٢٤-١٩٢٥. كتاب سري رسمي من المندوب السامي إلى الملك فيصل بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٢٤ عدد ١١٧، وكتاب سري شبه رسمي مستعجل للغايه من المندوب السامي إلى الملك فيصل بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٢٤، عدد ١١٦، الأوراق رقم ٤٣ و٤٨ و٤٩، جريده العراق في ٢ أيار ١٩٢٤، والعالم العربي في ٢ أيار ١٩٢٤، والأوقات البغداديه في ٢ أيار ١٩٢٤.

فكلفه الملك بعد إشاره المندوب السامي بتشكيل الحكومه، وكان طموح الهاشمي أن يعتلى كرسى الوزاره وهو يحمل بشائر مطمئنه للشعب بعد إجراء التعديلات على المعاهده وبذلك سيعلو نجمه في سماء العراق، إلا- أن أمله خاب حينما رفض المندوب إجراء تلك التعديلات المقترحه، فرفض قبول الوزاره في ذلك الظرف، لتتم المصادقه على المعاهده في عهد العسكري، وقد وافق العسكري على أداء هذا الدور (١).

وقد كانت اللجنه الخاصه بدراسه المعاهده في المجلس التأسيسي قد قدمت تقريرها في ٢٠ أيار ١٩٢٤ - الموافق ١٦ شوال ١٣٤٢هـ-، مطالبه بإجراء بعض التعديلات على المعاهده وملاحقها باتجاه مصلحه الاستقلال وذلك قبل تصديقها (٢).

والأمر المستجد الذي حصل نحو حسم الموقف، هو الضغط البريطاني المباشر على الحكومه العراقيه والمجلس التأسيسي، حيث حددت بريطانيا في قرارها الأخير، أن يوم ١١ حزيران ١٩٢٤م، الموافق ٩ ذى القعدة ١٣٤٢هـ-، هو آخر موعد للبت في المعاهده من قبل المجلس التأسيسي، وذلك لأن جلسه عصبه الأمم ستكون في هذا التاريخ، لغرض اتخاذ الموقف الدولي المناسب بشأن العلاقه بين بريطانيا والعراق (٣).

وقد أبلغ المندوب السامي (دوبس) الملك رسمياً بأن التعديلات على المعاهده والاتفاقيات الملحقه لا يمكن إجراؤها إلا بعد تصديق المعاهده من قبل المجلس (٤)، وقد

ص: ٧١٢

١- (١) الوردى: مرجع سابق، ص ٢٨١.

٢- (٢) الأدهمي: المرجع ذاته، ج ٢، ص ١٧٥-١٧٦.

٣- (٣) الأدهمي: المرجع ذاته، ج ٢، ص ١٧٦.

٤- (٤) جاء في بلاغ (دوبس) الرسمي: «إن حكومه صاحب الجلاله البريطانيه لا يسعها أن تقبل قبل الإبرام أيه تعديلاتٍ ما في المعاهده والاتفاقيات التي قد سبق توقيعها، بالنيابه عن الحكومتين، ولكن ستكون بعد الإبرام مستعده لأن تبحث بروح الاعتدال في كل ما قد يرغب فيه من التعديلات في الاتفاقية الماليه..». المركز الوطني لحفظ الوثائق المستعمله، ملفات البلاط الملكي، ملف المعاهده

تأكد الملك من نوايا الحكومه البريطانيه خطياً من قبل المندوب السامى بإمكانيه إجراء التعديلات بعد الإبرام (١).

من ناحيتها استمرت المعارضه فى أعمالها ونشاطاتها التصعيديه حتى انفجرت شوارع بغداد بمظاهرات صاحبه يوم ٢٩ أيار ١٩٢٤م، ٢٥ شوال ١٣٤٢هـ-، حول بنايه المجلس التأسيسى، وهو يوم الاجتماع المهم لأعضاء المجلس، للموافقه على المعاهده أو رفضها، «وعند افتتاح الجلسه نحو الساعه التاسعه والرابع شرع المتجمهرون يزيدون، وقد أحاطوا بالبنايه وآلتصقوا بأسوارها وبابها، وهم يهتفون لبعض النواب، ويصيحون قائلين: ليحيا سالم الخيون [مندوب المنتفك].. ليحيا الاستقلال، لا تمهروا المعاهده، لا تمضوها، وكثيراً ما حاول رجال الشرطه بالكلام إسكاتهم وتهدأتهم، وهم يابون إلا ازدياداً فى الصراخ والعيول» (٢).

وقد حاول أعضاء المجلس تهدأتهم، فلم ينجحوا، ولم يسمعوا كلام مدير الأمن العام، فخرج إليهم رئيس المجلس عبد المحسن السعدون مهدهاً إياهم، ولكن من دون جدوى. وكذلك فشلت الشرطه فى تفريقهم، فتدخلت الخياله من الجنود والشرطه وتم إطلاق الرصاص فى الفضاء لتفريقهم (٣).

وقد شهدت القاعه فى ذلك اليوم، خطابات حماسيه من قبل بعض الأعضاء

ص: ٧١٣

-
- ١- (١) المركز الوطنى لحفظ الوثائق المستعمله ملفات البلاط الملكى. ملف المعاهده العراقيه البريطانيه ج/١٩٢٤. ٩-١٩٢٥، رساله من الملك فيصل إلى المندوب السامى (هنرى دويس) بتاريخ ٢٧ أيار ١٩٢٤، ورقه رقم ٢١.
 - ٢- (٢) جريده العالم العربى، العدد الصادر فى ٣٠ أيار ١٩٢٤م.
 - ٣- (٣) الأدهمى: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨٩.

ضمن «مبارات خطاييه» لمعارضى المعاهده، كما سماها الأستاذ الوردى (١). وقد «كان الخوف من تحمل مسؤوليه تصديق المعاهده ظاهراً حتى بين الوزراء الذين كانوا أمام رأى الصاحب يترددون من الإدلاء بأى حديث، أو فى اتخاذ أى إجراء من شأنه أن يعرضهم للانتقاد الشخصى أو كراهيه أبناء شعبهم» (٢). وعلى ضوء استمرار المناقشات الحاده (٣) تأجل الاجتماع إلى ٣١ أيار. وفى هذا التاريخ لم يكتمل نصاب الحضور من النواب، فقرر رئيس المجلس تأجيل الاجتماع إلى ٢ حزيران، إلا أن المندوب السامى (دوبس)، ومعها (كورنواليس) دخلا إليهم فى غرفه الاستراحه، وضغطا عليهم بالموافقه على المعاهده، وأبرزتا تهديدات تركيا لضم الموصل. لتكون عامل ضغط مباشر على اتخاذ الموقف الإيجابى من المعاهده، وذلك لضمان تنفيذ معاهده لوزان التى عقدت بين الحلفاء وتركيا فى ٢٤ تموز ١٩٢٣، وما يتبع هذه المعاهده من اتفاقيات ملحقه بها، وذلك لىتم ترسيم الحدود بين تركيا والعراق، واعتبار الموصل كجزء من العراق (٤).

ص: ٧١٤

- ١- (١) راجع الوردى: مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٨٥-٢٨٨. تحت عنوان (مبارات خطاييه).
- ٢- (٢) الأدهمى: المرجع ذاته، ج ٢، ص ١٩١.
- ٣- (٣) مثلاً قال الشيخ رايح العطييه: «وقد علمنا تمام العلم، أن رغبات الشعب أجمع هى تعديل المعاهده كما جاء فى تقرير اللجنه التى اعتمد عليها، ولا يمكن لنا التخلف عما أبدته اللجنه.. والشاهد على رغبات الشعب هو هذه الضججه الترحيبية التى تحوم حول مجلسنا الموقر». مذاكرات المجلس التأسيسى، وثائق الحكومه العراقيه، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧١.
- ٤- (٤) معاهده لوزان، هى معاهده الصلح النهائيه بين الحلفاء وتركيا، عقدت فى لوزان فى ٢٤ تموز ١٩٢٣. وتمّ الاتفاق بما يخص الحدود التركيه العراقيه، فى الفقره الثانيه من ماده الثالثه، على أن يتمّ تعيين خط حدودى بين الطرفين بترتيب ودى. وفى حاله عرقله الاتفاق الودى خلال تسعه أشهر ترفع القضيه إلى عصبه الأمم، على أن يتمّ الالتزام بعدم الإثارة لحين صدور القرار. وبالفعل عقد الاجتماع فى القسطنطينيه فى ١٩ أيار ١٩٢٤، وكان الوفد التركى برئاسة فتحى بك رئيس المجلس الوطنى، أما الوفد البريطانى فقد كان برئاسة (كوكس) المندوب السامى فى العراق سابقاً. واستمر المؤتمر إلى ٥ حزيران ١٩٢٤م، ولكن من دون التوصل إلى اتفاق، فرفعت المسأله إلى عصبه الأمم. وكانت هذه الفتره بالذات هى فتره اضطرابات المجلس التأسيسى بشأن

ومن ثمّ واعدتهم (دوبس) بإجراء التعديلات على المعاهده بعد المصادقه عليها، وكتب إليهم رسالته عهديه لتكن وثيقه خطيه بأيديهم، جاء فيها: «إن الحكومه البريطانيه مستعده للنظر فى تعديل الاتفاقيتين الماليه والعسكريه، بما يتفق والسخاء المعروف عن الشعب الإنكليزى، ما دامت الماده الثامنه عشره من المعاهده نفسها جوّزت مثل هذا التعديل على أن يكون بعد الإبرام» (١). وبعد انتهائه من كتابه الرساله سلّمها إلى رئيس المجلس، وغادر المكان مع صاحبه مستشار وزاره الداخليه. إلا أن المسأله ما انتهت لدى المعارضه بعد تقديم هذه الوثيقه الخطيه، بل استمرت من قبل بعض النواب داخل المجلس وبصوره أشد، وذلك لاشتداد حيره المندوبين (٢). بينما اجتهدت المعارضه الوطنيه فى خارج المجلس، بتعبئه الأمه ضد المعاهده. تقول (المس بيل) فى رسالتها بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٢٤، ٢٥ شوال ١٣٤٢هـ:- «فى هذا الصباح جاء عجيل الياور، مندوب الموصل، الرجل العشائرى الهادئ، وقد قال: خاتون جئت لأخبرك بأنه ليست هناك قوه فى العالم يمكن أن تدع المعاهده تنجز من قبل هذا المجلس، فليس لديك فكره عما يجرى فى هذه المدينه، فهناك بائع متجول مرابط أمام دارى ليل نهار، إنه ليس كبيراً، بل ولا صغير، وهو كلما خرجتُ ودخلت يمسك يدي ويقبلها، ويقبل عباى وأطراف ملابسى ويبكي ويصرخ قائلاً: أواه أيها الشيخ، أواه يا والدى، أرفض هذه المعاهده، لا تبعنا للإنكليز [ويضيف] إذا كان هناك ولد واحد يقف أمام بابى، فهناك ثلاثه أو

ص: ٧١٥

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٧-٨٨.

٢- (٢) المرجع نفسه، ص ٨٨.

أربعة أمام دار كل نائب» (١). وينقل الأدهمي عن محمد مهدي البصير، في لقاء شخصي معه، قوله: «إن شباب العاصمه من معارضى المعاهده شكّلوا وفداً لزياره كل عضو من أعضاء المجلس التأسيسي، لطلب منه عدم موافقته على الشروط الثقيله المقيده للاستقلال، الموجوده في المعاهده وملاحقها» (٢).

وبالفعل حينما عقدت جلسه المجلس في الثاني من حزيران ١٩٢٤م، الموافق للتاسع والعشرين من شوال ١٣٤٢هـ، حصلت مناقشات حاده بين الأعضاء (٣)، كما وانعكست في الصحافه المحليه، طيله شهري أيار وحزيران ١٩٢٤. وبالنتيجه أصبح للمعارضه الداخليه ثلاثه آراء، الرأي الأول، ينادى بتعديل المعاهده وعدم الاستسلام للضغوط البريطانيه. ورأى ثان ينادى بضروره إبرامها للمحافظه على الموصل، ورأى ثالث وسطي، ينادى بتعليق المناقشات والتصديق، لحين حلّ مشكله الموصل.

ومع كل هذه المناقشات الحاده أحياناً، فإنها انتهت إلى زوبعه في فنجان، حيث تم استيعابها، واستمرت معظم الصحافه المحليه (٤) - كما أشرنا - في اتجاه الترويج لتصديق المعاهده خاصه في أواخر أيار وشهر حزيران. ففي عصر يوم التاسع من حزيران، جاء دور آخر العنقود في السله البريطانيه، وهو الاحتياطي الأخير في الجعبه البريطانيه، صاحب الوجه اللين الأ- وهو الملك فيصل، فقد قابل أعضاء المجلس التأسيسي، وأكد

ص: ٧١٤

١- (١) الأدهمي: د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٩٠ عن: P. ٣٤٣. Bell. Personal Papers.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ١٩٠.

٣- (٣) مذكرات المجلس التأسيسي، وثائق الحكومه العراقيه، مصدر سابق، ج ١، ص ٣١٠-٣٢٠.

٤- (٤) جريده المفيد، العدد الصادر في ٢٦ أيار ١٩٢٤: نشرت مقالاً بعنوان (الوطن في خطر، أين المنقذون؟). أما في عددها الصادر في الأول من حزيران، فحذرت من مضار الرفض، وفي الثالث من حزيران ١٩٢٤ كتبت تحت عنوان (الموقف الغامض) أكدت على أهميه المعاهده لحفظ الموصل. وجريده العراق أشارت إلى خطر ضياع الموصل في أعدادها الصادره في أيار وحزيران ١٩٢٤.

لهم ضروره تصديق المعاهده، وذلك بأسلوب وجداني، ومما قال لهم: «..أنا لا أقول لكم اقبلوا المعاهده أو ارفضوها، وإنما أقول أعمالوا ما ترونه الأنفع لمصلحه البلاد، فإن أردتم رفضها فلا تتركوا فيصلاً معلقاً بين السماء والأرض..» (١). وفي جلسه اليوم العاشر من حزيران، فشلت الضغوط في تصديق المعاهده، فافتقدت سلطه الاحتلال صوابها، وغضب (دوبس) وفكر في حلّ المجلس عن طريق الملك، والمضى في الإدارة المباشرة للعراق، من دون الحاجه إلى المجلس. إلا أن الملك ورئيس الحكومه وأعوانهما، جمعوا ثمانيه وستين نائباً في الساعه العاشره والنصف ليلاً ووضعوهم أمام الأمر الواقع ضمن سياسه الترغيب والترهيب (٢). وكان أمام السعدون تقريران: الأول يدعو إلى تصديق المعاهده ومن ثم الدخول في المفاوضات لتعديلها، والثاني يطالب بالتعديل قبل المصادقه، وجرى التصويت في ظل الأجواء الضاغطة، وبالنتيجه أيدّ سبعة وثلاثون نائباً إجراء التصديق على المعاهده قبل تعديلها، ورفض ذلك ثلاثه وعشرون نائباً. فيما امتنع ثمانيه عن التصويت. نعم هكذا تمت المصادقه على المعاهده (٣). والواقع «إن تصديق المعاهده من قبل المجلس التأسيسي كان مشروطاً بإعادة النظر فيها فور تصديقها، لكن السلطه البريطانيه اتخذت من المعاهده وتصديقها ذريعه لتقييد حركه

ص: ٧١٧

- ١- (١) جريده (العالم العربي) بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٢٤، وكذلك جريده المفيد، ١٠ حزيران ١٩٢٤.
- ٢- (٢) تقول (المس بيل): «كانت المدينه تبحث عن أعضاء المجلس، فقد ذهب مدير الشرطه، عقيل جعفر العسكري، وأخذ مرافقى الملك بالسيارات، وحملوا أعضاء المجلس على اختلافهم إلى أماكنهم». ويروي الحاج ناجي (للمس بيل)، وهو أحد أعضاء المجلس. فيقول: «إن الشرطه آنتزعوه من فراشه [!] وحشروه في السباره، وهو لا يعرف إن كانوا سيأخذونه إلى المشنقه أولاً». Bell. Personal Papers. P.٣٤٦- ٣٤٨.
- ٣- (٣) للتفاصيل راجع، الوردى: لمحات اجتماعيه، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٩٥-٢٩٩، تحت عنوان (ليله ليلاء). وكذلك الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي، مرجع سابق، ج٢، ص ٢١٧-٢٣٠. ويذكر الأدهمي، إن عدد أعضاء المجلس الحاضرين هو ٦٩، والرافضين للمعاهده ٢٤.

المجلس التأسيسي باتجاه تعديل القانون الأساسي وقانون الانتخابات عن مناقشته لهما، بحجه أن تلك التعديلات تتناقض مع بنود المعاهده التي صادقها المجلس. وهكذا أراد البريطانيون أن يكون للانتداب وبنوده وجود دائم في أسس الدوله العراقيه الجديده لخدمه مصالحهم الاستعماريه» (١).

وبعد عمليه التصديق - هذه - اختفى الأثر المباشر للنشاطات الوطنيه في الشوارع والساحات العامه، وانتهت ملاحقه أعضاء المجلس وتوجيه التهديدات إليهم، بينما دخلت المعارضه الإسلاميه في مرحله أخرى من مراحل العمل السياسي، مستثمره عوامل التذمر والسخط لدى الشعب، وقد بدت واضحه باتجاه المعاهده وتصديقها (٢).

إلا- أن المجلس استمر في أعماله حتى الثاني من آب ١٩٢٤، حيث عقدت جلسه الختام، وهي الجلسه التاسعه والأربعون. وفيها ألقى بعض الأعضاء كلمات بالمناسبه، وأعلن رئيس الوزراء جعفر العسكري فيها بيان استقاله الوزاره، بعد إتمام أعمالها، وتلا - أيضاً - قرار السلطه الملكيه بفض المجلس التأسيسي وذلك لإنهاء أعماله، فانفض المجلس (٣).

وهكذا فقد «عقد [المجلس التأسيسي] ٤٩ جلسه، قام خلالها بتصديق المعاهده مع بريطانيا، وباعتماد دستور البلاد، وبسنّ قانون للانتخابات. وكان هذا الترتيب

ص: ٧١٨

١- (١) الأدهمي، المرجع ذاته، من مقدمه المؤلف للجزء الثاني، ص ٥.

٢- (٢) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسي، ج ٢، ص ٩٩.

٣- (٣) لمعرفه تفاصيل جلسه الختام راجع المذاكرات، ج ٢، ص ١٣٢٥-١٣٣٥. يذكر الحسنی، أن الوزاره العسكريه استقالت في ٢ محرم ١٣٤٣هـ-، ٣ آب ١٩٢٤م، ومما جاء في خطاب الاستقاله لوزارته قوله: «..وأكبر عمل تمكنت من القيام به هو إنجاز الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي». الحسنی: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠١-١٠٢.

الزمنى للأحداث الثلاثة من تدبير المعتمد البريطاني..» (١).

وحيثما استقالت وزاره العسكرى ووافق الملك على استقالتها، كلف ياسين الهاشمى بتشكيل وزاره جديده، فتشكلت بتاريخ ٣ محرم ١٣٤٣هـ، ٤ آب ١٩٢٤م (٢).

وفى ٢١ تموز ١٩٢٤م، الموافق ١٨ ذى الحجه ١٣٤٢هـ، وافق مجلس العموم البريطانى على المعاهده وملحقاتها بعد نقاش طويل، وفى ٢٧ أيلول ١٩٢٤م، وافقت عصبة الأمم على وضع المعاهده وملاحقها محل الانتداب البريطانى فى العراق (٣). «وقد اعترف الإنجليز حتى فى تقريرهم الحكومى الرسمى، بأن المجلس وافق على المعاهده مكرهاً، وإنه لم يخفِ اشمئزازه من طابعها الانتدابى، وإن مثل هذا الموقف من المعاهده انعكس على عمل جميع الحكومات العراقيه المتعاقبه» (٤) إلا أن سلطات الاحتلال والملك والحكومه لم يخفوا إرتياحهم من ذلك الإنجاز، فتبادل المندوب السامى والملك برسائل معبره عن فرحتهم، وذلك لإتمام تلك الخطوه المهمه (٥)، فى طريق فرض الهيمنه البريطانيه على العراق.

ص: ٧١٩

-
- ١- (١) سلامه، غسان (الدكتور): المجتمع والدوله فى المشرق العربى مركز دراسات الوحده العربيه، ط ١، بيروت ١٩٨٧. الفصل الثالث: (أزمه التمثيل الشعبى) ص ١٢٢.
 - ٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، ج ١، ص ١٤٣.
 - ٣- (٣) الأدهمى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٣٢، وكذلك الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٠٢.
 - ٤- (٤) منتشا شفيلى، البرت م: مرجع سابق، ص ٢٤٣.
 - ٥- (٥) بعد إبرام المعاهده وملحقاتها ليله ١٩٢٤/٦/٢١ فى المجلس التأسيسى. عبّر المندوب السامى عن فرحته بتلك النتيجة فى رسالته للملك فى ١٨/٦/١٩٢٤م، ١٥ ذى القعده ١٣٤٢هـ. وقد أجابه الملك على تهانيه وتبريكاته فى ١٩/٦/١٩٢٤، ١٦ ذى القعده ١٣٤٢هـ. تجدد نص رساله المندوب السامى، والرساله الجوابيه من الملك لدى الحسنى: تاريخ العراق السياسى ج ٢، ص ٩٧-٩٩. وكذلك الوزارات العراقيه، ج ١، ص ١٠٠-١٠١.

الفصل الثالث : الإسلاميون في المعتزك الثقافى والحركى، منذ منتصف العشرينيات حتى الاستقلال الرسمى عام ١٩٣٢م (دخول العراق عصبه الأمم)

اشاره

ص:٧٢١

تعدّ التجربه الميدانيه للإسلاميين فى المواجهه العسكريه ضد المحتلين البريطانيين فى ثوره العشرين، من أكبر معالم تاريخ العراق الحديث، لما امتازت به من مواقف مبدئيه ومشاهد بطوليه للقياده الإسلاميه، وللشعب المسلم ضد القوّات الأجنبيه المحتله. ولكنها انتهت إلى ما انتهت إليه من دون أن تحسم المعركه لصالح الثوار، بالرغم من أنها لقت العدوّ دروساً بالغه الأهميه، إلا- أن العدوّ المحتل عمد إلى زجّ الأمه فى معركه مفتوحه على عدّه جبهات، لغرض تشتيت جهود الأمه نحو الجبهه السياسيه والإعلاميه، والجبهه الفكرية الثقافيه إلى جانب الجبهه العسكريه، فأنبرت الأمه بقياداتها لأداء وظيفتها المبدئيه والوطنيه بما أوتيت من قوه، ولعل محدوديه الوعى السياسى لمجمل المتصدين الإسلاميين، وعدم وضوح السبل الموصله إلى النتائج المرجوه من الثوره، وكذلك لحصرها فى العراق مما جعلها تحمل الهمّ الإقليمى فى مواجهه عدوّ محتل للمنطقه عمومًا، فهو عدو مشترك لشعوب المنطقه، إلا أن مواجهته لم تكن شامله بالشكل المطلوب، لذلك ظهر عدم تكافؤ الطرفين فى المعركه، من الناحيه الاقتصاديه والعسكريه والتكنيكيه (١).

ص: ٧٢٣

١- (١) منتشا شفيلى، آلبرت، م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى، ترجمه هاشم التكريتى، ص ١٦٩.

يقول السيد محمد باقر الحكيم: «إن الوعي السياسي العام لدى المرجعية المتصديه (مرجعية الشيخ الشيرازي) كان محدوداً حيث كان يحكمها تصوّر أنّ البديل للسلطة الأجنبية (الإنجليز) هو الحكم الإسلامي، إذ لم يكن معروفاً وجود خيار وصيغه ثالثه في التاريخ الإسلامي. ولذا كان التصور إنه بمجرد خروج العراق من الهيمنة الأجنبيّة [يعنى] قيام الحكم الإسلامي. وأما الحكم الوطني فهو حكم مجهول وغريب، مع أن هذا الحكم كانت له قواعد في الأوساط السياسيّة المتصديه خصوصاً السّتيه بتأثير جمعيه الاتحاد والترقي التركي والنشاط السياسي للاستعمار والأجانب» (١).

صحيح أنّ ضعف الوعي السياسي والإداري المشار إليه، من السمات العامه لتلك المرحله لعموم المتصدين للساحه العراقيه، قياساً بالوعي الثوري والجهادي، إلا أننا قد أشرنا سابقاً بأن مفجر الثورة - الإمام الشيخ الشيرازي - كانت لديه خطه إداريه للبلاد ما بعد الثورة، ستنتهى إلى تشكيل حكومه إسلاميه وطنيه مستقله في العراق، ولكن القدر لم يُمهله، ففي قمه التحدي وعلى عتبه قطف ثمار الثورة على المستوى السياسي والإداري، فارق الحياه في ظروف حرجه، أو مات جزاء سمّ دسه له الإنكليز كما أُشيع بين الناس (٢). والذي يدعم رأينا ضمن المعطيات التاريخيه على أرض الواقع، هو تشكيل حكومه وطنيه في كربلاء، عاصمه ثوره العشرين، ومقرّ قائد الثورة، وقد أُقيم احتفال وطني كبير في يوم رفع العلم الوطني العراقي لأول مره يرفرف في سماء العراق من على بنايه بلديه كربلاء - كما تحدثنا عن هذا الاحتفال سابقاً. - إلا أن المستعمرين البريطانيين كَشَّروا عن أنيابهم السامه، وفقدوا صوابهم أمام هذا التطور

ص: ٧٢٤

١- (١) مقطع من الرساله الجوابيه للسيد محمد باقر الحكيم بتاريخ ١٠ جمادى الأولى ١٤١٨هـ - على الرساله الخاصه التي وجهتها لسماحته، وقد أصدر الجواب مكتبه بطهران، العدد: ١٠١٧٢/١ طع، بتاريخ ١٤/٩/١٩٩٧م. سثبت نص الرساله الجوابيه في الملاحق.

٢- (٢) الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه، ج ٥، ص ٣٠٠.

الخطير بالنسبه لوجودهم، فحاربوا هذه الحكومه بقوه العسكر، من دون خجل أو إستحياء، ظناً منهم -وهو ظن في محله - إن هذه الحكومه ستكون النواه الطبيعيه للتعاون مع التشكيلات المحليه فى المناطق الأخرى، وبالتالى ستشكل منها حكومه عراقيه مستقله. ومن هنا قضوا على الشيخ القائد ليقطعوا الطريق أمام نجاح التجربه الإداريه فى كربلاء، ومن ثم فكروا فى البديل، فأندفعوا لتشكيل حكومه عراقيه المظهر بريطانيه الجوهر، قراراتها فى قبضه المحتلين البريطانيين.

ومع ذلك بقيت آثار الثوره السياسيه و المعنويه تتفاعل فى الساحه العراقيه عمومأ، وفى داخل صفوف المعارضه الإسلاميه بشكل أدق، لأنها عاشت تجربه جهاديه حيّه. وبالمقابل حصلت فى خطط الاستعمار البريطانى، تغييرات وتنازلات ما تجاوزت حدود الظواهر والأسماء الخارجيه. بينما ظهرت أزمات اجتماعيه واقتصاديه فى الساحه العامه، أثقلت كاهل المعارضه فأنشغلت نحو ترميم النواقص، بدلاً عن صبّ الجهود فى طريق البناء، فقد أتضح بعد ثوره العشرين أن جراح الشعب بليغه، وهى لمآ تندمل بعد، وعوائل الشهداء، وعموم المتضررين مادياً ومعنوياً يتطلعون إلى ترميم نواقص حياتهم الماديه والاجتماعيه، هذا من ناحيه، ومن ناحيه أخرى، واصلت سلطه الاحتلال برفقه عملائها من العراقيين، سعيها الحثيث لفتح خطوط اجتماعيه مؤيده لها، عبر تقديم بعض الخدمات والوعود العسليه المحدوده، فى تلك الظروف الخاصه. كل ذلك لتحجيم حركه الإسلاميين وبالذات العلماء المتصدين للعمل السياسى. وبالرغم من حصول بعض التطورات على ضوء تلك الحقيقه، التى لا بد أن تؤخذ بنظر الاعتبار، إلا أن المستجدات السياسيه فرضت على المعارضه الإسلاميه المدخول فى مرحله الصراع السياسى، بدلاً عن مواصله العمل الجهادى الثورى. وبالفعل استجاب الإسلاميون لمتطلبات مرحله، فدخلوا المعترك السياسى بعد ثوره العشرين. وإن شئت فقل، لقد وقعوا فى الفخ الذى نصب لهم - سلفاً - فترجعوا عن أسلوب الجهاد

المسلح من دون أن يقطعوا ثمار الثورة بالشكل الطموح. والحقيقه أن دوّامه الصراع السياسى ضد الحكومه، ومن ورائها سلطه الاحتلال، تعنى سحب الإسلاميين من ميدان المقاومه الجديّه إلى قشور العمليه السياسيه عوضاً عن الدخول فى لباى القضيه من أجل بناء الوطن. وبالفعل وقع المحذور فبرزت اختلافات المعارضه فى العمل السياسى، وتحت قبه البرلمان، بل آنقسمت داخل البرلمان وخارجه وتعددت التوجهات بتعدد الأحزاب والآراء، لذلك تقيم المعارضه السياسيه «خلال الفتره ١٩٢٨-١٩٣٠»، [بأنها] ضعيفه وغير فعاله لأسباب شتى أهمها عدم اتفاقها على برنامج محدد أو أهداف واضحه نابعه من واقع قوتها وقدرتها فى تغيير الأوضاع، وهى لم تتدرب بعد على أصول اللعبه البرلمانيه كما لم يكونوا قادرين على مقاومه التلاعب الذى قامت به عناصر الحكومه فى الانتخابات، وتدخل السلطات فى مناطق خارج بغداد. لذلك لم يستطيعوا الفوز بأكثر من ٢٢ مقعداً من مجموع ٨٨ مقعداً. لقد كانت هناك خلافات أساسيه بين الفئات السياسيه بشأن المسائل الكبرى التى كانت تواجه البلاد. مثال ذلك مستقبل علاقات المملكه العراقيه مع بريطانيا، والسياسيه الماليه والتنفيذ الإجبارى..» (١).

إلا أنه وبالرغم مما تقدم، كان سعى الإسلاميين متواصلاً يستهدف إيقاف المشاريع الاستيلائيه فى البلاد، بل رفضها من الأساس. فى هذه المرحله سجل الإسلاميون مواقف مبدئيه أمام الخطوات السياسيه المتعاقبه للمشروع البريطانى فى العراق، ابتداءً من تشكيل الحكومه المؤقته، وتعيين فيصل ملكاً على العراق. وانتهاءً بعرقله إجراء انتخابات المجلس التأسيسى، ومروراً بتشكيل الوزارات العراقيه، ومحاولات تنضيح سياسه الاستعمار المقنن للعراق عبر المعاهدات البريطانيه - العراقيه، التى - بملاحقتها - سعت لترسيخ أسس الانتداب والسيطره البريطانيه على العراق، بصوره دستوريه!!.

ص: ٧٢٦

١- (١) التميمى، د. خالد: محمد جعفر أبو الثمن، دراسه فى الزعامه السياسيه العراقيه، ص ٢٢٧-٢٢٨.

وفى هذه المرحله - أيضاً - خرج الإسلاميون من المعركه السياسيه، وهم يحملون على أكتافهم أوسمه التضحيه والشهاده والفداء، كما حملوها أثناء المواجهه العسكريه فى ثوره العشرين، ولكنّ النتيجه العمليه ما كانت لترضى أدنى طموحاتهم فى الإداره والحكم، «ويظهر أن الثوره لم تحقق هدفها الكبير، كما رسم الثوار، وإن الثمره التى أنتجت عنها كانت مبتسره، لأن الحكومه التى تمخضت عنها الثوره كانت واجهه يكمن وراءها الإنتداب البريطاني» (١).

«وقد استمر النسق فعلاً زهاء أربعه عقود، سلطه سياسيه مستقله حقوقياً، تؤمن لبريطانيا ثمن تبعيه البلد بأسره» (٢). يقول الشيخ محمد رضا الشيبى عن الحكومه الجديده، إنها «مستقله، ذات سياده فى الظاهر ولكنها لم تكن كذلك فى الواقع، فالاستقلال كان استقلالاً ملوثاً أو ناقصاً فاضحاً، بل كان الحكم ثنائياً بين الإنكليز، وبين فريق من صنایعهم وأعوانهم فى غالب الأحيان، وكان الغنم للسلطه البريطانيه وصنایعها، والغرم على الشعب العراقى، واتضح لهذا الشعب الكريم إن هناك خطه استعماريه مرسومه، اعتبرت الثوره العراقيه الكبرى بموجها جريمه منكره، وحرکه مضاده لمظاهر التقدم والحضاره..» (٣). وفى هذا الصدد يقول الشيخ عبد الكريم الجزائرى: «إن الغايه التى قصدناها بنهضتنا ومجازفتنا [فى ثوره العشرين] ما حصلت، فالحاله الدينيه والحاله الاجتماعيه إلى ضعف، بل إلى اضمحلال!، أسأله جلّ شأنه أن يغيّر حالنا إلى أحسن حال» (٤).

ص: ٧٢٧

-
- ١- (١) فياض، د. عبد الله: مرجع سابق، ص ٣٦٢.
 - ٢- (٢) سلامه، غسان: المجتمع والدوله فى المشرق العربى، مرجع سابق، ص ٣٦.
 - ٣- (٣) فياض، المرجع السابق، ص ٣٦٢. عن (فقيدنا الكبير) الأيام البغداديه، العدد ١٢٤ بتاريخ ١٠ ربيع الثانى ١٣٨٢هـ، -، ١٠ أيلول ١٩٦٢م.
 - ٤- (٤) فياض: المرجع ذاته، ص ٣٦٥.

بعد تلك المواجهات السياسيـه الساخنه بين الإسلاميين من جهه، والحكومـه العراقيه - البريطانيه من جهه أخرى، والتي أدت إلى إخراج العلماء الكبار من العراق، ومن ثم تمت عودتهم المشروطه - كما تحدثنا سابقاً- تلك الأجواء عكست ظلالاً قاتمـه من الخيبه والإحباط داخل التيار الإسلامي الوطني المعارض، امتدت آثارها على عموم الساحة الإسلاميه، ولعلنا نتلمس بعض آثارها حتى اليوم. إن هذه النتيجة الخطيره تدفعنا لتساءل عن أسباب موافقه العلماء على تلك التعهدات المشروطه؟ وفي بيان الإجابـه يمكن القول: إن العلماء العائدين وعلى رأسهم المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الاصفهاني، كانوا ينظرون إلى الأمه المسلمه في العراق بأنها ما بلغت المستوى الثقافي المطلوب إسلامياً وإيمانياً - بالرغم من تضحياتها الجسيمه - وخاصة إزاء اعتقالهم وإخراجهم من البلاد بتلك الصوره المؤلمه، التي من المفروض أن تفجر الغضب الشعبي ليتحول إلى حمم بركانيه على رؤوس المعتدين، بل لتزلزل الأرض تحت أقدام السعدون وحكومته الجائره ومن يقف وراءهم من المحتلين البريطانيين. إلا أن هذا الغضب تحوّل - للأسف - لدى البعض إلى بكاء ونياحه، وبعضهم حوّلـه إلى القدر الإلهي، والقليل من الواعين آنتفض في انتفاضه محدوده ما غيرت من الأمر الواقع شيئاً،

وفى الحقيقه إن هذه السلوكيه العامه بحد ذاتها تشير إلى حاجه الأممه إلى وعى إسلامى مكثف، يزيل عوامل التخلف والتردد والخوف من مواجهه الظالمين ويطرد الضعف أمام اغراءات ماديّه ووعود مصلحيّه، وذلك لكى تنطلق الأممه فى مسيرتها البنائيه بثقه وثبات، وكذلك لتتمكن الأممه من طرد الثقافه الدخيله التى بدأت تفتح ثغراتها داخل الساحه، وهذا بالضبط ما يفسر التوجهات الثقافيه والإصلاحيه للمرجع الأعلى السيد الاصفهاني (١) فى تلك المرحله ومابعدها.

ولكن، مهما حملت هذه التوجهات من تبريرات ومسوّغات تمنح للعلماء الكرام الحق فى اتخاذ هذا القرار إلا أن موافقتهم على تلك التعهدات المشروطه عمّقت فكره الابتعاد عن العمل السياسى والإدارى للأممه. - على أقل تقدير (٢) - فضلاً على الآثار السلبيه التى تركت بصماتها على الساحه العراقيه، فأمام انكماش الحاله الحركيه

ص: ٧٢٩

١- (١) الإمام السيد أبو الحسن الموسوى الاصفهاني، هو ابن السيد محمد بن السيد عبد الحميد، ولد سنه ١٢٨٤هـ- فى قريه من قرى أصفهان وتوفى فى ٩ ذى الحجه ١٣٦٥هـ-، الثالث من تشرين الثانى ١٩٦٤م - فى الكاظميه عن ٨١ سنه. قرأ المبادئ فى أصفهان ثم رحل إلى النجف لمواصله دراساته العليا. اختص بالمرجع الشيخ كاظم الآخوند الخراسانى. وبعد وفاته ١٣٢٩هـ- أصبح أستاذاً متميزاً فى الأصول خاصه. وأصبح علماً من أعلام الدين ومن ثم انحصرت الزعامه الدينيه به وبمعاصره الميرزا حسين النائينى. أبعد مع زميله النائينى وكثير من العلماء من قبل الحكومه العراقيه الإنكليزيه إلى إيران لقيادتهم الشعب فى معارضته الوطنيه، قاد الثوره الثقافيه فى العراق بعد إنتهاء ثوره العشرين، وعودته مع رفاقه العلماء من إيران إلى النجف، تلك العوده المشروطه بعدم التدخل فى شؤون السياسه العراقيه. راجع الأمين، السيد محسن: المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ٣٣١-٣٣٥.

٢- (٢) كانت تتردد فى أجواء الدراسه الدينيه فى النجف الأشرف - فى منتصف السبعينيات - كلمه تعجب بعض الأساتذه والطلبه، وهى تحمل دلالات معبره عن خلفيه تاريخيه ومعاناه معينه من تلك المرحله، وهى: «لا تدخلوا السياسه فإنها نجاسه»، وأتذكر إن أحد أساتذتنا المرحومين كان يرددها على سبيل المزاح. ومن الطبيعى إن هذه العبارة لا ترفع المسؤوليه الشرعيه عن كاهل المؤمنين على كافه المستويات، ومنها المستوى السياسى النزيه.

للإسلاميين، فتح المجال أمام الحركات العلمانية والإلحادية لتشق طريقها في الساحة وتملاً الفراغ السياسي في حياه الشباب الطامحين للعمل السياسي والثورى. وهذا ما يسميه الدكتور على الوردى بالوعى السياسي الذى خلف مرحله الوعى الدينى، وذلك لأن رجال السياسه يريدون إبعاد الدين عن السياسه، على العكس من الإسلاميين الذين يرون العمل السياسي جزءاً من الشريعة الإسلاميه (١). ولكن - على ضوء تلك التعهدات وما تلتها من أحداث - أخذت تسود الأفكار الانهزاميه، التى لا تحمّل أصحابها مسؤوليه قياده الأممه ولا صياغه قرارها السياسي إسلامياً!! ومن المؤكد أن دوائر الاستكبار العالمى كانت تغذى هذه التوجهات المخدّره للأممه الإسلاميه والتى مفادها فصل الدين عن السياسه، وذلك ليسهل التسلط عليها. وعلى ما تقدم بدأت تفرز الساحة طبقه اجتماعيه لها خصوصيتها الثقافيه، تعمل بالسياسه، ضمن شعارات مرحليه براقه، وهذه طبقه لا تنطلق فى عملها السياسي من الشريعة الإسلاميه، والثوابت الوطنيه، وإنما دوافعها مصلحيه خاصه، تسعى لتنفيذ الإراده البريطانيه. التى صبّت جهوداً كبيره لغرض إبعاد الإسلاميين والوطنين المخلصين عن العمل السياسي، وبالفعل لقد تمّ خنق نشاطات الأممه سياسياً كى لا تعود المعارضه الإسلاميه إلى موقع الصداره فى العمل السياسي والجهادى، فالمرحله التاريخيه «من سنه ١٩٢١ إلى ١٩٣٢ هى فتره تأسيس الدوله العراقيه فى العصر الحديث، وفيها وضع دستور البلاد المقرر للنظام السياسي والاجتماعى للعراق، ومؤسسات الحكم وحقوق الشعب والأفراد، وكيفيه عمل الأجهزة والروابط بين مختلف الأجهزة وبين الفرد والدوله. وقد أثبتت وقائع تاريخ هذه الفتره إن مسيره الحكم والقائمين عليه فى فتره التأسيس هذه طبعت تأثيراتها ومفاهيمها على الحكم، فى عهد الاستقلال الرسمى الذى تقرر للعراق مذ قبل عضواً فى عصبه الأمم بتاريخ ١٣ تشرين الأول سنه

ص: ٧٣٠

١٩٣٢ [١٣ جمادى الثانيه ١٣٥١هـ-]، مقيدته سيادته بأحكام معاهده ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا، إلى أن سقط النظام الملكى فى ١٤ تموز ١٩٥٨، [٢٧ ذى الحجه ١٣٧٧هـ-].. إن نظام الحكم الذى تقرر للعراق فى دستور ١٩٢٥ رغم أنه كان يقوم على أساس الديمقراطيه السياسيه [!]]، وقد أخذ بالنظام البرلمانى فى التطبيق، أبعدها الشعب عن كل مساهمه حقيقه فى حكم نفسه، وأهملوا ما كان للشعب والأفراد من حقوق فى الدستور» (١).

على ضوء تلك المستجدات وما كان يختزنه العلماء من توجهات خاصه بهم، عادوا ليفكروا ملياً، بأن المرحله هى مرحله المواجهه الثقافيه، فتشخصت الوظيفه الشرعيه لديهم باتجاه بناء الأمه عقدياً وثقافياً وتوعوياً، الهدف منه استئصال الغدد المسببه لتلك الأمراض - التى أشرنا إليها - داخل الأمه، وبالتالي إعاده الثقه لنفوس الناس، تلك الثقه التى تزعت فتره غياب القياده المرجعيه عن الساحه، لا- سيما لو عرفنا أن الإنكليز والحكومته والملك استغلوا فتره الغياب لمصلحتهم فأشاعوا فى الأمه أفكاراً مغرضه مؤداها أن حاله عدم استقرار النظام وسياده الاضطرابات، إنما تعود لتدخل علماء الدين بالسياسيه، وهكذا فقد سادت فى الساحه الاجتماعيه العامه ثقافه خاصه ترمى بالمسؤوليات على علماء الدين، وقد عبّرت بعض الأهازيج الشعبيه عن تلك الظاهره، نذكر أزواجه واحده كشاهد على تلك الثقافه الجديده وهى: «وجّوها وذوّبوا اعلينه». أى إن العلماء قد ألهبوا الساحه بنار الثوره، ورموها علينا، فتركونا لوحدها نتحمل مسؤوليه نتائجها (٢).

ص: ٧٣١

١- (١) جميل، حسين: فى تقديمه لكتاب الأحزاب السياسيه فى العراق، ١٩٢١-١٩٣٢م تأليف الدكتور فاروق صالح العمر، مرجع سابق، ص ٧.

٢- (٢) كانت ولا زالت هذه الأهازيج الشعبيه، تلخص معاناه وآلام الأمه، كما وهى تعبّر عن طموحاتها - أيضاً-.

ومما لا يخفى، لقد كان الإنكليز يشجعون هذه الثقافه لزرع الفرقة، بين العلماء والناس، من ناحيه، وإثارة الفتنة بين الناس أنفسهم من ناحيه أخرى، مستغلين طيب العراقيين خصوصاً أبناء العشائر، لذلك تحوّلت المعارضه الإسلاميه من أسلوب الهجوم والافتحام والمبادره فى الساحه، إلى حاله الدفاع والسعى وراء الأحداث، مما أضعف تأثيرها، بينما واصل ساسه الحكم طريق الاقتحام من معركه إلى معركه، ومن خندق إلى خندق، ضمن خطه بريطانيه متواصله الحلقات، وعبر تزوير الحقائق وإشاعه الوعود الخلابه، والتضليل الإعلامى. وهكذا حتى استتبت الأمور بصورتها الدستوريه - شكلياً - فى المجلس التأسيسى، وحينها فرضت السياسه البريطانيه على العراق.

ص: ٧٣٢

لم يكتفِ الإنكليز بهذا الإنجاز، بل فتحوا جبهه جديده كأسلوب هجومى إلى عقر الدار، ألا وهى الجبهه الثقافيه - الفكرية، وذلك عندما تيقنت السلطات البريطانيه عبر مراحل الصراع السياسى فى العراق، إن سرّ القوه لدى الشعب يكمن فى التزامه بالإسلام، وبالقياده المرجعيه - العلمائيه التى تستوحى مبادئها وعزيمتها من الإسلام، وبمعنى آخر، وانطلاقاً من إدراك الدوائر البريطانيه فى أن العقبه الكأداء أمام مشاريعها الاستيلائيه فى المنطقه هو الإسلام، فعليه تمّ تشخيص العلاج الواقى لهذه الأزمه فى زعزعه أسس هذه العقيدته من نفوس المسلمين عبر عمليات الغزو الفكرى والثقافى، فلذلك عملت جهدها لضرب هذه القيم المتأصله فى أعماق العراقيين، ففتحت آفاقاً واسعه للمعركه الثقافيه، مما زاد فى مسؤوليه العلماء الإسلاميين للوقوف أمام الشبهات المثاره حول الشريعه الإسلاميه وتقديم الوعى الإسلامى الأصيل للأمه. وكيف لا تتضاعف مسؤوليه العلماء والمربين الإسلاميين على ضوء مستجدات المعركه الثقافيه؟. والحال أن بعض الباحثين يعود بتشخيصه لهذه المسؤوليه إلى ما قبل ثوره العشرين، حيث يعدّ من أسباب عدم مواصله العمل الجهادى ضد الغزاه وأذناهم إلى «ضعف

المستوى الثقافي لجماهير الشعب، وعدم انتشار حركه التبليغ [الإسلامي] بينها» (١). بالمستوى المطلوب، لذلك اضطرت الإسلاميون، وعلى رأسهم العلماء لخوض المعترك الثقافي العصب، خوفاً من محاولات تمييع الهوية الإسلاميه لدى الشعب، من خلال تشويه معالم الإسلام، وتضعيف القيم الأصليه، وذلك تحت بريق التطور العلمى والتكنولوجى، إلى جانب إغراء الناس بتوزيع المناصب والمنح والعطايا والخدمات بشكلٍ معين. فأدرك الإسلاميون بوضوح أن المعركه الثقافيه أخطر من المعركه العسكريه وأكثر إيلاًماً للأمة. لأنها تستهدف هويتها وتهدد وجودها، وإن الشرّ المستطير قادم من بريطانيا، فهى العدو الأكبر للشريعه الإسلاميه والقيم الوطنيه التحرريه.

وبالرغم من نضوج هذا الوعى وتطوره، إلا أن تعهدات العلماء العائدين للعراق بعدم التدخل فى السياسه تركت أثرها فى أوساط الإسلاميين، فقد «تعمق الرأى السائد - آنذاك - بعدم السماح لعلماء الدين بالتدخل فى الشؤون السياسيه، بل حتى الحديث للناس من على المنبر من قبل العلماء مستهجن مرفوض من قبل الحوزه، وأصبح العرف السائد هو أن يكون العالم ساكناً لا يتدخل فى الشؤون الاجتماعيه، لا - من قريب ولا - من بعيد إلا - فى المسائل التى يفرضها وجوده كإنسان» (٢)!! وهنا أرى من المفيد توضيح الإجابة على تساؤل بفرض نفسه، وهو كيف نفسر موقف العلماء من تقديم تلك التعهدات من الناحيه الشرعيه؟ الحقيقه إننا قد أجبنا ضمناً على ذلك

ص: ٧٣٤

-
- ١- (١) الزيدى، العقيد الركن أحمد: البناء المعنوى للقوات المسلحه العراقيه، بيروت، دار الروضه ١٩٩٠م، ص ٦٧.
 - ٢- (٢) السراج، عدنان إبراهيم: الإمام محسن الحكيم ١٨٨٩-١٩٧٠م، بيروت ١٩٩٣م، ص ١٨٧. والحوزه، هى بمثابة الجامعه الدينيه التى تختص بدراسه الشريعه الإسلاميه وفق المذهب الشيعى الامامى، إلى جانب دراسه آداب اللغه العربيه، وتمتاز الحوزات الشيعيه بالاستقلاليه من الناحيه الفكرية والماليه والسياسيه، وتكون تحت نظر العلماء وإشراف المرجعيه الدينيه. للمزيد من المعلومات راجع كتابنا: الحوزات والجامعات تقويم ومقارنه، طبع بيروت دار البلاغ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

التساؤل، ونضيف أيضاً: إن مسأله إعلان المعارضه السياسيه أو المقاومه الجهاديه تخضع لشرائط شرعيه ترعى مصالح العباد والبلاد. فمن باب الضروره المرحليه توجه العلماء إلى ترسيخ العمل الثقافى والتربوى من خلال تقويه الحوزه الدراسيه والتبليغيه، وتشجيع النشاطات الإسلاميه وتأسيس الهيئات التربويه وإقامه الشعائر الدينيه فى أوساط الأمم. لغرض إعداد المؤمنين والمجاهدين الواعين ليحملوا أهداف الأمم فى التحرر ونيل الاستقلال، ولكى يثبتوا أمام العواصف الفكرية واغراءات الواجهه والسلطه. فالمسأله - فعلاً - فى إطار تغيير الأسلوب فى مواجهه التحديات. فالبناء الإيماني للقلوب هو المطلوب خصوصاً فى ظروف الإكراه. يقول سبحانه:

.. إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ .. ١.

فالأمة - آنذاك - عاشت المعركة الثقافيه من عده جبهات، حيث شجع الإنكليز تلك التيارات الفكرية والسياسيه غير الإسلاميه أن تغزو الساحه العراقيه، «فوقع الجيل المثقف فريسه تلك التيارات حتى أخذت الأمة تنبهر عندما ترى مثقفاً يصلى أو يلتزم بأحكام الإسلام» (١). وهكذا «أدت هذه السياسه إلى تفتيت البنيه الاجتماعيه والسياسيه، إضافة لذلك فإن إنزواء العلماء والتزامهم الصمت والانكفاء، أعقبه بروز تيار فى المراكز العلميه بالنجف وكربلاء وسامراء والكاظميه، يقف بوجه تدخل العلماء فى السياسه خوفاً على الحوزه العلميه من الضياع» (٢). وعليه أصبح همّ العلماء، المحافظه على المراكز العلميه الفقهيه، لكى تؤدى رسالتها الدينيه والإصلاحيه العامه، بعيدة عن الصراع السياسى، وذلك لتمسك الأمة بمصدر عزّتها، أى بهويتها الإسلاميه وقيمها الإنسانيه، وفى الوقت ذاته تتصدى لمشاريع الغزو الثقافى للعراق عبر الإرساليات

ص: ٧٣٥

١- (٢) السراج، عدنان إبراهيم، الإمام محسن الحكيم، مرجع سابق، ص ١٨٧.

٢- (٣) المرجع ذاته، ص ٨، من مقدمه المؤلف.

التبشيري، والأحزاب الإلحاديه والعلمانيه، وغيرها من المشاريع الهدّامه الوافده للعراق. وهكذا آنصبت جهود العلماء نحو إعادته ثقه الناس بالشريعته الإسلاميه، وردّ إشكاليات الأعداء المتربصين بالإسلام والمسلمين، وذلك بالحجج الوافيه وبالأسلوب العصري، لغرض تخليص الساحه من الشوائب الفكرية الوافده من الخارج، ومحاولات التشكيك بالمبادئ والمفاهيم الإسلاميه. وكذلك لتخليص الساحه من الخرافات العالقه بها جراء البساطه والسطحيه لدى بعض المسلمين، وكما هو معلوم أن الأفكار المغرضه كانت تأخذ طريقها في وسط تلك البساطه، وذلك التخلف الثقافي.

وهكذا، فضّل الإسلاميون الدخول في المعركه الثقافيه ضد أعداء الإسلام مباشره بدلاً من الانشغال بالمعارك الجانيه ضد الواجهات العراقيه التي تحكم بإرادته بريطانيه وطموحها محصور في طلب الرئاسه والحكم.

- وفي نظرنا - كان قرار الإسلاميين في محلّه، على ضوء معطيات تلك المرحله، حيث إن المعركه انتقلت إلى موقع آخر يعدّ مصيرياً بالنسبه للعراقيين، ولسان حال المخلصين من الإسلاميين والوطنيين يعبر عنه المثل الشعبي القائل: «جزنه إمن العنب أنريد سلّته»، فحينما تظافرت جهود المستعمرين والمحتلين وأذئابهم من العراقيين وآستولوا على القرار السياسى في البلد، شنّوا غاراتهم في حرب ضروس تستهدف أسس التحرك والنهضه لدى العراقيين، فأرادوا طمس هويتهم الإسلاميه وقيمهم الوطنيه النابعه من الإسلام، لأنها سبب النهضه والثوره والمقاومه ضد المستعمرين. لذلك تكثفت همم الناشطين الإسلاميين للتصدى لعمليات الغزو الثقافى، ومن المعلوم إن هذه العمليات أشد إيلاماً وأسوء آثاراً من عمليات الغزو العسكرى، فأجتهد الإسلاميون بهدف تفويت الفرصه أمام البريطانيين في محاولاتهم لانتزاع الروح الإسلاميه من العراقيين، وكذلك تجنّب التيار الإسلامى الشعبى من الدخول في معركه آستنزافيه ضد الدوائر السياسيه والثقافيه المحليه المتأثره بالثقافه الغريبه، وبالتالي تجاوزها

للدخول في المعركة الثقافية المصيرية ضد خطط الاستعمار مباشره. والذي زاد في الطين بله في تلك الحقبة الزمنية، هو شيوع صناعه الأحزاب السياسيه لأغراض شخصيه، دعماً للوزاره أو دعماً لمعارضه سياسيه داخل المجلس، ف- «لم يؤلف الحزب على أن الحزب يحمل رساله سياسيه عقائديه، يحاول أن يجمع الناس حولها، كما هو مفهوم الحزبيه في الأنظمه الديمقراطيه، بل إن كل واحد من زعماء العراق ألف حزباً بعد تأليفه الوزاره من نواب المجلس ليسندوا وزارته وهو في الحكم. بحيث إن تلك الأحزاب كان ينتهى وجودها بخروج زعيم ذلك الحزب من الحكم. ينطبق هذا الكلام على حزب التقدم الذى ألفه عبد المحسن السعدون، وهو رئيس الوزراء، وبعد ظهور نتيجة الانتخابات، وآنتهى وجوده بعد انتحار السعدون. وحزب الشعب برئاسة ياسين الهاشمى الذى كان امتداداً لحزب الأمه، الذى أراد الهاشمى أن يجمع حوله أكثرية من النواب وهو رئيس وزراء فى سنتى ١٩٢٤ و١٩٢٥. انتهى وجوده بالانحلال والهاشمى خارج الحكم. وحزب العهد الذى ألفه نوري السعيد ليسنده فى التصديق على معاهده ١٩٣٠، وانتهى وجوده بعد سقوط نوري السعيد فى سنه ١٩٣٢..» (١).

واستمرت هذه الحاله حتى شكّلت ظاهره عامه داخل الأحزاب السياسيه فيما بعد سنه ١٩٣٢م، حيث كانت الأحزاب السياسيه فى تأسيسها ومنطلقاتها حكوميه، وليست بعيده عن الدعم البريطانى، خصوصاً لو عرفنا ولاء المؤسسين لها أمثال السعدون الذى كان ولاؤه بشكل مطلق لبريطانيا، وكان الهدف من تأسيسها الوقوف ضد المد الإسلامى العقدى الذى لا يلتقى مع البريطانيين المحتلين، إلا أن الحاجه المرحليه ضغطت بآتجاه مواكبه الصناعه الحزبيه، موزه العصر آنذاك، فدخل بعض الإسلاميين على خط العمل الحزبى ولو بنسبه معينه، كالإمام الخالصى الذى ساند

ص: ٧٣٧

١- (١) جميل، حسين: مرجع سابق، ص ٨-٩. ويذكر أمثله أخرى تشبه هذه التجارب الحزبيه، وذلك فى مرحله ما بعد عام ١٩٣٢م.

ولكن الحاله الحزبيه الحكوميه كانت تحمل مشوقات مهمه ضمن تحقيق طموحات شخصيه على المستوى السياسى أو الإدارى، من دون أن تحمل رساله وطنيه هادفه. يقول الأستاذ حسين جميل: «لا نجد فى فتره الانتداب حزباً له رساله، ولو كانت محدوده بحدود سياسيه فقط هى العمل للوصول إلى الاستقلال، غير حزب واحد هو الحزب الوطنى العراقى برئاسة جعفر أبو التمن..» (٢)، المعروف بتوجهاته الإسلاميه وعلاقاته المميزه بالعلماء، وبعض مواقفه الداله على ذلك بوضوح (٣).

المهم، ضمن هذه الأجواء المشبعه باللهاث المادى والسلطوى، تركزت مسؤوليه العلماء الإسلاميين، إثر التراجع فى العمل الجهادى والصراع السياسى، باتجاه تكريس الثقافه الإسلاميه فى الأمم، بتطوير أساليب ووسائل نشر الوعى الإسلامى، ورد الشبهات المثاره حول الإسلام نتيجة التأثير بالإعلام الغربى الموجه ضد الإسلام والمسلمين من ناحيه، وجهل كثير من الناس بمقاصد الشريعه الإسلاميه من ناحيه أخرى. وبذلك تم توجيه الثقافه السياسيه للأمم، فى اتجاهها الصحيح، باعتبارها جزء من الثقافه الإسلاميه العامه، على أسس تربويه متينه. لغرض تحصين الشعب المسلم من ورطه الانزلاق فى وحل الأنفاق المظلمه التى أعدت له - سلفاً-.

ص: ٧٣٨

١- (١) (الحزب الوطنى العراقى) كان مدعوماً من قبل الإمام الخالصى، كما أن (حزب النهضه) كان مدعوماً من السيد محمد الصدر. راجع الوردى، على: مرجع سابق، ج ٦، ص ١٨٦. وكذلك البصير، محمد مهدى: تاريخ القضيه العراقيه، ج ٢، ص ٤٥٠-٤٥١.

٢- (٢) جميل، حسين: المرجع ذاته، ص ٩.

٣- (٣) مثال ذلك، دوره فى مؤتمر كربلاء الذى انعقد فى ٩-١٣، نيسان ١٩٢٢. حيث افتتح الجلسه الختاميه وألقى خطاباً أثنى من خلاله على علماء الدين. وله مواقف إسلاميه ووطنيه معروفه. راجع الوردى، د. على: مرجع سابق، ج ٦، ص ١٤٨-١٤٩. وكذلك البصير، محمد مهدى: تاريخ القضيه العراقيه، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٦-٣٩٨.

ومن المعلوم أن تجريد المجتمع المسلم من قيمه الإسلاميه، يعنى ذلك تحويله إلى قطيع من الكائنات الحيّه، اللاهته وراء علفها لإشباع غرائزها الحيوانيه. فدفعاً لهذه المؤامره الكبرى ضد الأمه الإسلاميه، سعى العلماء وبنشاط مكثف لترسيخ قواعد الإسلام والإيمان عبر ثورتهم الثقافيه فى تلك المرحله. ويمكن اعتبار هذا العمل هو الأساس الذى سيتولد منه التيار الحركى الإسلامى الذى سيهيب الأمه لخوض المعارك السياسيه والجهاديه فى المستقبل ضد أعداء الإسلام والمسلمين، لأن الأسس العقديه الصلبه حينما تتوافر فى الأمه، فإنها ستمكّن من تحمل أعباء المسيره، وآجتياز العقبات الصعبه فى الطرق الشائكه، وبذلك ستطرد روح الانهزاميه والمصلحيه والازدواجيه من واقع الشخصيه العراقيه. تلك معاناه المصلحين المبدئين ومن هنا «أدرک السيد أبو الحسن الاصفهاني [المرجع الأعلى] هذه الحقيقه المؤلمه، ولّمّا عاد من إيران توصل إلى قناعه ثابتة بعماله النظام، وبضعف القاعده الدينيه فأجتنب الخوض فى الألاعب السياسيه اليوميه، وراح يعمل بجدٍ وقوهٍ على إرسال العلماء والمشايخ إلى القرى والأرياف، وخصوصاً النائيه، يعرّفها الإسلام ويربّيها على الحريه، ويوثّق علاقاته التنظيميه والسياسيه المرجعيه معها، ويدّخرها لساعه الثوره» (١).

ولقد سار أغلب العلماء على هذا المنهج التربوى والإصلاحى فى حركه توعويّه مدروسه، وكانت قد تبلورت أسس هذه الحركه الثقافيه لدى العلماء وهم فى المنفى، «وكانهم حينما كانوا فى المنفى قد خيروا أنفسهم بين أمرين:

الأول: الابتعاد عن مركز المرجعيه [الشيعيّه أى النجف الأشرف] مع الأضرار الكبيره التى سوف تصيبها.

الثانى: الرجوع إلى المركز وإكمال المشوار، على أن يتعدوا عن السياسه فى كلتا

ص: ٧٣٩

الحالتين، لأنهم إذا بقوا في إيران وأرادوا أن يوجهوا بنداواتهم العراقيين فسوف يكون لها تأثير ضعيف، خصوصاً بعد أن وجدوا أن الإنكليز قد أحكموا قبضتهم على مقادير العراق من خلال المنسوب السامي البريطاني، ومن خلال صنيعتهم الملك فيصل وبطانته، فضلاً عن أن الحكومه الإيرانيه سوف تمنعهم من سريه العمل السياسى فى أراضيها، وذلك لخضوع السياستين لدى الحكومتين العراقيه والإيرانيه فى تلك الأيام للسياسه البريطانيه، ولربما أدرك العلماء أن الإنكليز كانوا يطمحون من وراء تسفيرهم، إبعادهم عن الساحة السياسيه والعلميه كذلك، فليسلموا إذن على إحدى الساحتين قبل أن يخسروهما معاً» (١).

وللعلم إن انتصار الإسلاميين فى المعركه الثقافيه، سيفتح الباب بعد نضوج الساحة نحو العمل السياسى والجهادى لنيل الاستقلال، والتخلص من حاله التبعية للمستعمرين. وهنا أرى من المفيد أن أشير إلى أن السيد الاصفهاني -المرجع الأعلى - كان هو المؤهل الرئيس لقياده الأمة سياسياً وجهادياً، وذلك لأنه يشكل الامتداد المنهجي للمدرسه الثوريه التى أطلقها المجدد الشيرازى الكبير فى سامراء - قائد ثوره التباك - إلا أن ظروف الساحة ومتطلبات المرحله أفرزتا لديه ذلك التوجه الثقافى. والدليل على ذلك عوده الإمام الاصفهاني - مره أخرى - للتصدى السياسى والجهادى ضد الإنكليز عندما اندلعت الحرب العالميه الثانيه عام ١٩٤٥م، حيث أفتى بالجهاد لطرده الإنكليز من العراق، بفتوى مشهوره هذانصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على كافة إخواننا المسلمين، وأخص العراقيين منهم، إن الواجب الدينى يقضى على كل مسلم بحفظ بيضه الإسلام وبلاد الإسلام بقدر استطاعته، وهذه

ص: ٧٤٠

١- (١) شبر، حسن: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٩٧.

البلاد العراقيه المشتمله على مشاهد الأئمه ومعاهد الدين، يجب علينا جميعاً محافظتها من تسلط الكافر، والمدافعه عن نوااميسها الدينيه، فإلى هذا أحثكم وأدعوكم، وفقنا الله وإياكم لخدمه الإسلام والمسلمين إن شاء الله تعالى.

١٦ ربيع الثانى ١٣٦٠هـ - أبو الحسن الموسوى الاصفهانى (١).

يقول السيد ضياء الدين: «وكان لفتوى السيد أبو الحسن ولعلماء الآخرين، وبالخصوص الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء دور كبير فى تحريك قبائل الفرات الأوسط ودفعتها إلى المشاركه بالمعركه لصالح الاستقلال والتحرر» (٢).

وكانت لنشاطات السيد الاصفهانى - المرجع الأعلى - والعلماء الآخرين على المستوى السياسى والجهادى آثارها الواضحه فى طريق الاستقلال. وقبل هذا الموقف العام كان السيد الاصفهانى يجسّ النبض الثورى فى الأمه، ويحاول إيجاد مستلزمات الثوره من أبواب متعدده، فمثلاً حينما زار الأمير عبد الله ملك الأردن، العراق التقى السيد فى الصحن العلوى بالنجف الأشرف، يروى مدير عام البلاط الملكى السيد باقر البلاط، المنظم لبرنامج الزيارة، إن اللقاء كان مهماً، خصوصاً وإن الملك كان لا يرى أهليه سياسيه لعلماء الشيعه، وكان يستكثر تعظيمهم، ولكن حين اللقاء طلب منه السيد الاصفهانى ترك التبعية لبريطانيا فحينما قدّم له عرضاً مفاده أن الأردن بلد صغير وضعيف. قال له: «أنا بإمكانى إزاله ضعف المال لديكم بأن أكتب للمقلدين لى أن يوجّهوا مقداراً من الحقوق الشرعيه إليكم، فهل هذا أحسن أم اللجوء إلى الكفره الأجانب فشر الملك بالضالّه أمامه» (٣).

ص: ٧٤١

-
- ١- (١) الأسرار الخفيه، لحرکه ١٩٤١م، ص ٢٧٠.
 - ٢- (٢) آل ضياء الدين، السيد ضياء: المرجعيه العامه، مرجع سابق، ص ٨٩، للمزيد من الاطلاع اقرأ فقره: «الحرب العالميه الثانيه، وعوده لتصدر العمل السياسى المباشر». ص ٨٧-٩٠.
 - ٣- (٣) المرجع ذاته، ص ١٥٤-١٥٥. ينقل القصه حفيد السيد الاصفهانى السيد عبدالحميد.

شهدت الحوزات الدينيه فى النجف وكربلاء ازدهاراً وتطوراً ملحوظين فى عهد الإمام السيد أبو الحسن الاصفهاني المتوفى فى التاسع من ذى الحجه ١٣٦٥هـ- الموافق للثالث من تشرين الثانى ١٩٤٦م، حيث سعى سعياً حثيثاً لتقويه الحوزات العلميه وتأسيس معاهد التعليم الدينى، ومراكز حفظ القرآن والحديث، ودعم بناء المساجد والحسينيات ودور الطباعه والنشر وكافه المؤسسات التوعويه مادياً ومعنوياً، كما وأسس هيئات دينيه لإقامه الشعائر الإسلاميه، واهتم بإعداد المبلغين ونشرهم فى أوساط الناس، واعتنى عنايه خاصه بخطباء المنبر الحسينى، والشعراء والكتّاب الهادفين، وذلك فى عموم العراق. وكذلك أسس أو نشط كثيراً من المشاريع الاجتماعيه والخيريه والثقافيه المهمته بقضايا التربيه والإصلاح فى الأممه. فعلى سبيل المثال ما حصل فى مدينه كربلاء على مستوى الدراسات الدينيه والتثقيف الإسلامى يقول الشاهرودى: «ويمكن القول إن هذه الحقبه كانت فتره خصبه جداً بالنسبه لحوزه كربلاء العلميه، نظراً لأنها أفرزت فيما بعد علماء أجلاء، وأساتذه مبرزين، ومراجع متميزين، ممن تولوا الرئاسة الدينيه أو مسكوا بناصيه الحركه التدريسيه على الساحه العلميه»^(١). وكذلك المرجع السيد حسين القمى الذى استلم المرجعيه بعد وفاه السيد الاصفهاني حتى توفى بتاريخ ١٤ ربيع الأول سنه ١٣٦٦هـ- الموافق للخامس من شباط ١٩٤٧م، فقد كانت اهتماماته

ص: ٧٤٢

١- (١) الشاهرودى، نور الدين: تاريخ الحركه العلميه فى كربلاء، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٩٦.

متوجهه بدرجة كبيره نحو العمل الإصلاحى والتوعوى والإنسانى بين المسلمين لتمكينهم من الوقوف فى وجه التيارات المنحرفه (١). وذلك بفكر إسلامى متين، وبسدّ النقص المادى - قدر الإمكان - لخلق النوافذ أمام محاولات الأعداء لاستغلال هذا الضعف الحياتى، فأُسست جمعيات خيريه للرعايه الاجتماعيه والاقتصاديه (٢).

ومما لا شك فيه، إن هذه التوجهات المهمه للمؤسسه الدينيه عكست آثارها على الساحة العراقيه فى المجال التثقيفى والدعوى، وخاصه لو عرفنا إن المنظومه الإداريه لنظام الحوزات العلميه، وبالأحرى لنظام المرجعيه الدينيه الشيعيه، تمد أذرعها عبر الوكلاء والخطباء إلى العمق الشعبى، فى المدن والأرياف لأغراض التبليغ والتوجيه. وعليه، فقد شهدت الساحة العراقيه تخرىج طبقات من الدارسين والمثقفين الإسلاميين من علماء ووكلاء للعلماء، وخطباء ومبلغين، وموجهين تربويين، تم توزيعهم فى كافه أنحاء العراق للقيام بوظائفهم الدينيه، لغرض مسك الأمه من الناحيه العقليه والعاطفيه عبر هذه الامتدادات المنتظمه تحت لواء المرجعيه الدينيه والقياده الإسلاميه، وأخذت تواصل جهدها فى زرع المضادات الفكرية لتمكين التيار الإسلامى من مواجهه عمليات الغزو الفكرى بطرق متعدده.

لقد كانت قضيه توزيع الوكلاء فى المدن والأقضية والنواحي وحتى القرى النائيه فى العراق، ذات أهميه بالغه، وذلك لأن هؤلاء الوكلاء للمرجع هم المتخرجون من الحوزات الدينيه، والمعتمدون من قبل المرجع فى إقامه المهام الدينيه والإصلاحيه والاجتماعيه نيابه عنه، ويذكر أن السيد الاصفهانى آعتنى بتربيته وإعداد الوكلاء عنايه فائقه، وقد وسّع شبكه وكلائه لتشمل بعض الوجهاء الملتزمين والتجار المتدينين من غير

ص: ٧٤٣

١- (١) المرجع ذاته، ص ١٩٦-٢٠١. السيره العلميه للسيد حسين القمى.

٢- (٢) راجع سيره السيد أبو الحسن الاصفهانى فى هذا المجال لدى، آل ضياء الدين، السيد ضياء: مرجع سابق ص ١٢٨.

طلبه العلوم الدينيه، وهذه التوسعه تعتبر فى غايه الأهميه فى الأوساط العامه، وكذلك منح وكالته للثقاه من غير طلابه والملازمين لدروسه، فقد وصل عددهم زهاء أربعه آلاف وكيل فى شتى أنحاء الدنيا (١). بينما كانت الساحه العراقيه تعاني فى حينها من قله الوكلاء والخطباء والمربين والموجهين الدينيين، حتى فى المدن الرئيسيه، ناهيك عن القرى والأرياف والمناطق النائيه، فإنها كانت بشكل عام «تشكو من غياب العلماء وافتقارهم، ولذلك كان الجهل الدينى يتفشى فيهم بشكل مريع، ولم يكونوا يعرفون ألف باء الإسلام، أو الأحكام الأوليه منه، ما عدا بعض القصص التاريخيه المتعلقة ببطوله الإمام على بن أبى طالب عليه السلام والإمام الحسين الشهيد عليه السلام فحسب. وقد سبب هذا الفراغ الدينى من العلماء إلى أن تفقد الجماهير الشيعيه صلتها الوثيقه بالمرجع، وتوثق علاقتها بالمقابل برئيس العشيره أو شيخ المحله، وبالتالي تخضع لعلاقاته واتجاهاته السياسيه» (٢)، فكانت منهجيه السيد الاصفهانى تهدف إلى توثيق العلاقه المصيريه بالمرجعيه الدينيه عبر الوكلاء والمربين.

ومن الإنجازات العصريه المهمه التى أرسى دعائمها السيد الاصفهانى فى هذا الاتجاه، مباشرته بتأسيس مدارس إسلاميه حديثه على غرار المدارس الحكوميه، تعنى بتربيه الجيل الصاعد تربيه إسلاميه واعيه، ويعدّ هذا الإجراء العملى إجراءً مضاداً لخطوات السلطه فى تأسيس المدارس الحكوميه. وهكذا تمّ تأسيس «مدارس الإمام الجواد فى بغداد والكاظميه، ومدارس منتدى النشر فى النجف الأشرف، وبعض المدارس الأخرى فى البصره و كربلاء وغيرها من المدن العراقيه» (٣).

فى مدينه كركوك - مثلاً - شجع السيد الاصفهانى، الشيعه هناك للدخول فى

ص: ٧٤٤

١- (١) آل ضياء الدين، السيد ضياء: المرجع السابق، ص ١٣٠.

٢- (٢) الكاتب، أحمد: المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠١.

٣- (٣) المرجع ذاته، ص ١٠١.

سلك طلبه العلوم الدينيه، وكذلك دفعهم باتجاه إقامه الاحتفالات الدينيه فى المواليده والوفيات وخاصه إحياء شهر رمضان المبارك وأيام عاشوراء، فقد كتب لهم رساله فى العبادات باللغه التركيه السائده هناك. وبنى لهم مساجد ومكتبات وحسينيات كمراكز للتربيه الإسلاميه ونشر الوعى الإيماني (1).

علماً بأن هذه المشاريع التربويه والإنسانيه شملت شتى أنحاء العراق حتى أنها دخلت بعض الأماكن الحساسه (كالحبانيه) فكان موقف السيد الاصفهاني يتجسد برفع رايه المبادره وتشجيع المؤمنين على الاستمرار فى الدعم، فأنشأ فى الحبانيه حسينيه لإقامه البرامج الدينيه ودروس فى تفسير القرآن الكريم، وذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام كما وعين وكياً عنه لياشر تلك المهام (2). بالإضافة إلى نشاطات السيد الاصفهاني المكثفه لتطوير الحوزه الدينيه فى النجف الأشرف ماداً وأسلوباً، كما ورعى طلبه العلوم الدينيه رعايه أبويه متميزه، فكان حريصاً كل الحرص على تماسكهم ومساعدتهم مادياً ومعنوياً، وذلك ليشقوا طريقهم العلمى والتربوى بثقه ونجاح، إما عن طريقه مباشره أو عن طريق وكلائه المعتمدين (3). ومع كل هذا الاندفاع نحو العمل الثقافى والتربوى لا

ص: ٧٤٥

١- (١) آل ضياء الدين: المرجعيه العامله، مرجع سابق، ص ٨٦. عن: الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة، مج ٢، ص ٣٣٢.
٢- (٢) آل ضياء الدين، المرجع ذاته، ص ١١٨-١١٩. يروى قصه طريقه سببت إنشاء تلك الحسينيه بعد مساعدته المباشره لأحد المؤمنين هناك. والحبانيه مدينه عسكريه قرب بغداد باتجاه الرمادى. وخلاصه القصه، إن رجلاً شيعياً كان يعمل نجاراً فى الحبانيه، ربح ورقه يانصيب فرضت عليه، استحرم استعمالها، أخذها للسيد الاصفهاني، وبعدما اطلع على أوضاع الحبانيه، طلب السيد منه تأسيس حسينيه بها وزاده أموالاً ومن ثم عين وكياً عنه فى تلك المنطقه. وبالفعل تم تشييد حسينيه مجازه. وقد كانت لى شخصياً زيارات ولقاءات متعدده مع بعض المؤمنين فيها، وقد حضرت بعض نشاطاتها العامه فى بدايه الثمانينيات من القرن الماضى.

٣- (٣) للاطلاع على شواهد عمليه لسلكه السيد الاصفهاني مع طلبه العلوم الدينيه، وكذلك مع سائر الناس. راجع آل ضياء الدين: المرجع ذاته، ص ١٠٢-١١٧.

يمكننا القول بأن الإسلاميين قد انكفوا تماماً عن العمل السياسي - كما يذهب لذلك بعض الباحثين - (١). وإنما صرفوا معظم طاقاتهم وإمكاناتهم نحو العمل الثقافي، أي وضعوا رساله التغيير الثقافي على رأس قائمة الأولويات، وذلك لاعتبارات المرحلة التي فرضت تقديم الأهم على المهم. ولقد سجلت للمعارضه الإسلاميه في تلك المرحله، مواقف ونشاطات مؤثره إزاء تطورات الأوضاع السياسيّه التي سنستعرضها، ولكن بشكل عام كان أدائها السياسي ضعيفاً قياساً بالمرحلة السابقه، إلا أنها بتبليتها لنداء الثورة الثقافيّه - كضروره مرحليه - أخذت تختزن طاقاتها وتطور أساليبها بصوره متناسبه مع الظروف المحيطه، كالنار تحت الرماد، وذلك بتطوير وتنميه بعض المشاريع العلميه، فمثلاً استطاع الشيخ محمد رضا المظفر بدعم وتأييد من السيد الاصفهاني أن يحصل على إجازته رسميه «لجمعيه منتدى النشر» في النجف الأشرف من وزاره الداخليه عام ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م (٢).

لذلك شعرت الأسره الهاشميه الحاكمه بأن الوعي الإسلامى أخذ يمتد في الأمه العربيه لا سيما في العراق، بزعامه المرجعيه الدينيه الشيعيه في النجف الأشرف، فبروز هذه الزعامه الدينيه على الساحة الإسلاميه بفعل نشاطاتها وامتداداتها مسأله تتحسس منها الأسره الهاشميه كثيراً، وذلك لأنها تعتقد بأن الزعامه الدينيه والخلافه الشرعيه هي لعميد أسرتها قائد الثورة العربيه الشريف حسين، لذلك أشاعت فكره مبايعه الشريف حسين بالخلافه الإسلاميه، لسد النقص الذي كانت تشعر به إزاء نمو الوعي الإسلامى لدى الأمه بفضل الزعامه الشيعيه. خصوصاً بعد إعلان مصطفى كمال باشا في ١ آذار

ص: ٧٤٤

١- (١) راجع الرهيمي، عبد الحليم: مرجع سابق، ص ٢٨٣. يقول: «ومنذ هذا التاريخ ستسود فتره طويله من انكفاء العمل السياسي قبل أن يستأنف العلماء دورهم في قياده التحركات السياسيّه الإسلاميه في الخمسينات». والحال أن أساليب مقاومه الاستعمار ومشاريعه متعدده تحكّمها الأولويات و الضرورات المرحليه.

٢- (٢) آل ضياء الدين، السيد ضياء: مرجع سابق، ص ١٢٠-١٢١.

١٩٢٤ إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا، فأخذ عبد الله بن الشريف يحث أباه على انتهاز فرصه الفراغ القيادي للأمة الإسلامية من ناحيه، ونمو القيادة الشيعيه على الساحة الإسلامية من ناحيه أخرى، ليعلن نفسه خليفه على المسلمين، فوافق على ذلك، وجرى البيعه له في ٥ آذار في قرية (الشونه) قرب عمّان بالأردن، حيث وصلت وفود البيعه من عدة أقطار عربيّه، فقام ولده عبد الله بمبايعه أبيه، ثم تبعه أمين الحسيني باسم فلسطين، ثم بقيه الوفود، وقد ألقى الشريف خطبه بالمناسبه، ذكر فيها حرصه على إقامه الشعائر الإسلامية وصيانه الشريعه، وأوضح فيها إنّ استجابته لأهل الحل والعقد من العلماء في الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، هي من أهم دوافع قبوله بالبيعه للخلافه. ثم توالى عليه برقيات متعدده من مختلف الأقطار الإسلامية تبايعه بالخلافه (سنه وشيعه). وفي العراق اجتمع أعضاء المجلس التأسيسي في القصر الملكي، وأعلنوا بيعتهم للشريف أمام ولده الملك فيصل. وفي يوم الجمعة ١٤ آذار ١٩٢٤، أدى الملك فيصل صلاه الجمعة في جامع السراي، وتليت الخطبه بأسم خليفه المسلمين الشريف حسين بن علي، وقد نشطت الجرائد في نقل أخبار البيعه والتهنئه (١).

كما ونشر الملك فيصل بلاغاً في ١٣ شعبان، ١٩ آذار شكر فيه العراقيين على مبايعه والده خليفه للمسلمين! (٢).

ص: ٧٤٧

١- (١) للمثال نذكر برقيه السيد هبه الدين الشهرستاني رئيس مجلس التمييز الجعفري، التي نشرتها جريده العراق، وقد بعثها للشريف حسين بالنص التالي: «لأعتاب صاحب الجلاله الهاشميه، الملك حسين المنتقد الأعظم أرواحنا فداه، أتشرف بلثم تلك اليد الطاهره معترفاً بالخلافه الإسلامية الكبرى لذلك الإمام الهاشمي الفاطمي، معتقداً في عزماته الحسنى على جمع شمل الموحدين وتعظيم شعائر الدين وحمايه حوزة المسلمين، نصرهم الله تعالى تحت لوائه، آمين». راجع الوردى، د. علي: لمحات اجتماعيه، ملحق ج ٦، ص ٢٠٩-٢١١، تحت عنوان (الحسين خليفه). وللمزيد من الاطلاع على هذه الأخبار، راجع جريده العراق في أعدادها الصادره بتاريخ ١٠ و١٢ و١٥ و١٨ و٢٠ آذار ١٩٢٤م.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، ج ١، ص ٧٣.

إن المعارضه الإسلاميه، ومنذ انطلاقتها كانت تعبّر عن منهجيتها الهادفه نحو التغيير والإصلاح، عبر العمل السياسى والجهادى والإعلامى، ومن لوازم هذه المنهجيه الحصول على الاستقلال التام عن أية سلطه أجنبيّه. إلا أنّ الذى يمكن قوله، فى المرحله التى تلت ثوره العشرين والصراع السياسى - فيما بعد - هو أن الإسلاميين شعروا بمراره ضياع الفرصه الذهبيه من أيديهم، من دون تحقيق الهدف المنشود أى الاستقلال. فأصبح لزاماً عليهم مضاعفه الجهود الفكرية والعلميه بآتجاه الأوساط الاجتماعيه، التى تعتبر العمق الاستراتيجى لحركه الإسلاميين وقوتهم، بعد الاتكال على الله سبحانه وهو أمر فى غايه الأهميه، لأن التوكّل على الله ينبع من المبدأ الأساس للعقيده الإسلاميه، الذى يؤدى إلى نجاح المتوكّلين على الحى القيوم فى حركتهم ومعركتهم فى كافه الجبهات، فالله سبحانه هو الذى ينصر عباده المؤمنين، يقول تعالى:

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝١

وفى هذا الاتجاه يقول الإمام على عليه السلام: «ولقد كنّا مع رسول الله صلى

الله عليه وآله، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا: ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً.. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وانزل علينا النصر..» (١). فبذلك الاستبسال الفذ الذي يعتمد على التوكل الواعي على الله سبحانه في المعركة، تزداد الأمة تماسكاً وتلاحماً مع مبادئها وقادتها، وعندها ستغلق الثغرات في جدار المجتمع العراقي، حيث من الممكن نفوذ الإنكليز من خلالها، لغرض ضرب الإسلام والمسلمين من الداخل.

ولكن الذي حصل، هو اندفاع البريطانيين نحو إيجاد وتشجيع صيغ من المعارضه السياسيه تحمل شعارات القوميه والوطنيه والعلمنه، (٢) كبدايل منافسه للمعارضه الإسلاميه الوطنيه الأصيله. وقد أخذت تلك المعارضه السياسيه العلمانيه ترفع شعارات الاستقلال والكرامه والتطور العلمى، والخدمات العامه، ولكن على طريقتها، فأخذت تجمع أطراف الساحه وهموم الناس من حولها، بهدف إضعاف الإسلاميين بل إنهاء تحركهم السياسى. لذلك نلاحظ في هذه المرحله أن المعارضه الإسلاميه، مع ما أصابها من عوامل الإحباط بعد العوده المشروطه للعلماء الكبار، كانت تسعى سياسياً، إلا أن سعيها - فى الأغلب - كان ضعيفاً ومن وراء الأحداث. وهذا ما سنلاحظه عبر الفقرات التاليه:

١. تطور الأوضاع السياسيه وإداريات الحكم.

٢. الإنكليز، والبحث عن الرجل الأنسب للمرحله.

٣. نوري السعيد إلى رئاسه الحكومه.

ص: ٧٤٩

١- (١) نهج البلاغه، باب الخطب، رقم ٥٦. الكبت يعنى الإذلال.

٢- (٢) للتفاصيل راجع، الطائى: نجاح عطا: الفكر القومى إسلامياً وتاريخياً، مرجع سابق، ص ٣٣. «دور اليهود فى نشوء الحركه القوميه التركيه»، وفى ص ٧٢ «دور فرنسا فى الحركه القوميه العربيه»، وفى ص ٨٨ «دور بريطانيا فى الحركه القوميه العربيه».

استمر الإسلاميون في المعارضه المبدئيه التامه لسلطه الاحتلال، وصنائع الإنكليز في الحكم، بينما سعت المعارضه القوميـه بعد بروزها، باتجاه التصدي للمعارضه من داخل المجلس النيابي، وكان ياسين الهاشمي (١) من أبرز المعارضين القوميـين تحت قبه المجلس.

ومعنى ذلك ركز القوميون معارضتهم من داخل المؤسسه السياسيـه الحاكمه، لا من خارجها، ليتقاسموا الحصص والأدوار، بينما بقيت المعارضه الإسلاميه في مواقعها المبدئيه ضد سلطه الاحتلال والحكومـه معاً. ومع ذلك شهدت بغداد مظاهر احتجاجيه من التيار القومي - كحالـه استعراضيه عامه - وهي تندد بالمعاهده البريطانيـه - العراقيـه، وتطالب بتعديلها إلا أن المندوب السامي (دوبس) استطاع أن يقنع القوميـين بالعوده إلى الهدوء، وقد عاهدهم بتعديلها بعد إبرامها، ولكنها كانت مسرحيه مدبره، انكشفت فصولها تماماً أمام الناس فيما بعد، وذلك بعد المصادقه على المعاهده من قبل أعضاء المجلس التأسيسي، حيث بقي الشعب ساخطاً ضدهم (٢). وذلك لأنهم تركوا مسأله التعديل لانشغالهم بحصد المواقع الإداريه في النظام، فبدلاً من نمو المعارضه القوميـه في داخل المجلس النيابي، عمدت الخطة البريطانيـه على استيعابها عملياً، وذلك

ص: ٧٥٠

١- (١) ولد ياسين الهاشمي ببغداد عام ١٨٨٤م، أكمل دراسته الابتدائيه والثانويه فيها، ثم التحق بالمدرسه العسكريـه في استنبول، وتخرج منها سنه ١٩٠٢. انضم إلى حزب العهد السري الذي أنشأه عزيز علي المصري، خدم بالجيش التركي إبان الحرب العالميه الأولى، ثم التحق بالجيش العربي بالشام في أول تشرين الأول ١٩١٨م، فعيّن رئيس أركان الحرب في سوريا بحكومـه فيصل. وبعد واقعه ميسلون ٢٤ تموز ١٩٢٠. عاد إلى بغداد فعيّنه محافظاً للمنتفك في ٢٩ حزيران ١٩٢٢. ثم أصبح وزير المواصلات والاشغال في حكومـه السعدون في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢. ثم انتخب نائباً عن بغداد في المجلس التأسيسي، وقد كُلف بتأليف وزارته الأولى في ٤ آب ١٩٢٤. للتفاصيل راجع، بصري، مير: أعلام السياسيـه في العراق الحديث. مرجع سابق، ص ٩٤-١٠٣.

٢- (٢) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٩٩.

لفصل هذا الجناح الداخلي المعارض سياسياً عن حاله العامه للمعارضه، ليقف بالنتيجه إلى جانب سلطه الاحتلال ضمن اتفاقيات الدعم والترضيه بين الطرفين، وذلك لأن دعم هذا التيار وتشجيعه في الأوساط، يمنحه فرصه التوسع شعبياً، وإدارياً، وبالنتيجه ليتمكن - نيابه عن بريطانيا مباشره - من مواجهه التيار الإسلامى ورموزه، هذا التيار الذى لازال محافظاً على موقعه القيادى فى الساحة السياسيه بنسبه ملحوظه، وذلك لأن الخطه البريطانيه كانت تستهدف التحرك الإسلامى - تحديداً - ليزداد انكماشاً وانعزلاً عن الساحة السياسيه و الشعبيه.

ولقد قررت السلطات البريطانيه إسناد رئاسه الحكومه إلى ياسين الهاشمى، وبالفعل طالبه الملك بتشكيلها، فوافق الهاشمى حينما استقالت حكومه جعفر العسكري فى ٣ آب ١٩٢٤م الموافق الثالث من محرم ١٣٤٣هـ- (١).

وكانت السلطات البريطانيه قد شخّصت إمكانيات الهاشمى، واختبرته أثناء مناقشات المعاهده فى المجلس التأسيسى، ومن خلال حديثه المباشر مع المسؤولين البريطانيين، كان يبدى استعداده على تغيير آرائه وقراراته، وإن ما ينادى به من أفكار معارضه ليست بالمستوى الجدى (٢). وهكذا أدى القوميون - فى تلك المرحله - مهمه

ص: ٧٥١

١- (١) أصبح جعفر العسكري رئيساً للحكومه فى ٢٢ تشرين الثانى ١٩٢٣ إلى ٣ آب ١٩٢٤. بصرى، مير: أعلام السياسيه فى العراق الحديث، ص ٨٧.

٢- (٢) فرج، لطفى جعفر: عبد المحسن السعدون ودوره فى تاريخ العراق السياسى المعاصر، ص ١٧١. تقول (المس بيل) فى رسالتها إلى أبيها بتاريخ ٣١ آب ١٩٢٢ «..اعتقد أن ياسين رجل القدر..»، وفى رساله تاليه قالت: «..وهو [ياسين] أقل خطراً فى داخل الوزاره مما فى خارجها، لقد عزم أن ينقلب ويؤيد المعاهده [!]، وعمل نحو أسبوع لهذا الهدف [!].» وحينما شكّل وزارته الأولى فى آب ١٩٢٤م، زارها ياسين، ولما صافحها قال لها: «نريد معونتكم ومعونتكِ أنتِ بوجهٍ خاص». راجع، بصرى، مير: أعلام السياسه فى العراق، مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٢. وكان الهاشمى يتودد (للمس بيل) لينال الحظوه لديها، راجع الوردى: مرجع سابق، ج ٦، ص ١٩٥-١٩٧.

ركوب موجه المعارضه داخل المجلس، وذلك ليملأ فراغ المعارضه داخل المؤسسات الحكوميه، وبالتالي لامتصاص حاله الغضب الشعبى. ولو أن المعارضه الإسلاميه كانت تبادر بفتح جبهه لها داخل البرلمان لاستطاعت أن تحقق عدّه أغراض على صعيد العمل السياسى أهمّها: تفجير طاقات نخبه من الإسلاميين فى هذا المضمار، وبذلك كانت تسجل تجربه مقاومه سياسيه تضاف إلى سجل إنجازاتها الأخرى، وفى تلك المرحله كانت تملأ ذلك الفراغ، الذى لا مرشح آخر يسدّه بجداره.

إلا أنه - كما يبدو لنا - أما لضيق أفق الإسلاميين فى التفكير بفتح هذه الجبهه الحساسه، لعدم ضمان عواقبها، وأما لعدم توافر الإمكانيات المناسبه لممارسه هذه الأدوار المهمه، وعلى ضوء هذين الاحتمالين فإن هذا الفراغ المهم دفع بالإنكليز إلى التفكير الجدى لملئه بصنائعهم من القوميين، أمثال ياسين الهاشمى، الذى أبدى استعداداه لتغيير موقعه من جبهه المعارضه، إلى رجل السلطه - وفى الحقيقه - إن هذا السلوك المزدوج والمتقلب هو أمر طبيعى للمعارضه التى لا تمتلك جذوراً حقيقه داخل الأمه، ولا - تستند إلى الثقافه الوطنيه المبدئيه، بل تعتبر ثقافتها ومنهجيتها طارئه على ثقافه الشعب المسلم، فالهاشمى يمثل الظاهره الاعتياديه فى التيار القومى - العلمانى - كما يراه بعض الباحثين (١). وللعلم لقد تلخص منهاج الوزاره الهاشميه فى «الإسراع فى نشر القانون الأساسى، وقانون انتخابات النواب، ووضعها موضع التنفيذ، وجمع المجلس النيابى، والتآزر مع الدوله الحليفه للإسراع فى تسلم المسؤوليات والسعى للاستفاده من مركزها وخبرتها لإنهاض العراق، وتطبيق المعاهده بكل دقه، والسعى فى تحقيق التعديلات المشار إليها فى قرار المجلس التأسيسى وفى تخفيف الأعباء، عن عاتق الدوله العراقيه..» (٢).

ص: ٧٥٢

١- (١) ضياء الدين، خالد: العراق من الانتداب حتى الاستقلال، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

٢- (٢) الحسنى، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، ج ١، ص ١٤٣.

وما اكتفت بريطانيا في تثبيت معاهده ١٩٢٢ بالصوره القانونيه، بل استمرت في وضع الأغلال المكبله لحكومته العراق، وذلك عبر إيجاد شبكه من الارتباطات الماليه والاقتصاديه والعسكريه والثقافيه. وذلك ليصعب فك الارتباط بين الجانبين، وليصل العراقيون على المستوى الحكومى والشعبى إلى قناعه مهمه، هذه القناعه تبقى شاخصه أمام العراقيين، يدور محورها حول عدم إمكانيه فك الارتباط المصيرى ببريطانيا. فمن الناحيه العسكريه خلقت تهديدات تركيا لضم الموصل إليها فى الشمال، وكذلك أظهرت العمليات المستمره من قبل ابن سعود فى الجنوب. أشباحاً مرعبه تلاحق أحلام الحكومه العراقيه وعامه الشعب. ففى الشمال «بناءً على ضروره القيام بحركات عسكريه على الحدود الشماليه، بناء على اجتياز قوات الأتراك غير النظاميه حدود العراق وعبثها بأموال وأعراض الناس، وافق مجلس الوزراء فى جلسه ١٥ أيلول على إجراء هذه الحركات وإيداع قياده قطعات الجيش العراقى المحتشده فى لواء الموصل، إلى قائد الطيران البريطانى العام فى العراق مؤقثاً» (١).

وبمعنى آخر إن الضروره المرحليه منحت الحق للحكومته فى ارتباطها الوثيق ببريطانيا «فالضرورات تبيح المحظورات» كما يقول الفقهاء (٢). وفى الجنوب أيضاً، بناء على الأنباء التى وردت آنذاك باندحار جيش الحجاز ودخول ابن سعود مكه، عقد مجلس الوزراء جلسه بتاريخ ٢٥ تشرين الأول، ناقش فيه مسأله استيلاء ابن سعود على مكه واكتساحه الحجاز، «ورأى أن استيلاء هذا السلطان على البيت الحرام سوف يؤول إلى عدم إمكان أداء فريضه الحج، ويخلّ بالموازنه بين البلاد العربيه، ويضطّر فى نهايه الأمر العشائر القاطنه ما بين سوريه والعراق وعلى طول الفرات غرباً، إلى اعتناق

ص: ٧٥٣

١- (١) الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، ج ١، ص ١٤٦.

٢- (٢) إنها قاعده فقهيه، راجع البجنوردى، السيد ميرزا حسن الموسوى: القواعد الفقهيه، ج ١، طبع النجف ١٣٨٩هـ-، ١٩٦٩م، ص ١٧٦-٢٠٩.

المذهب الوهابي، تخلصاً من تجاوزات دعائه وتعدياتهم، وسوف يهدد سلامه المواصلات بين العراق وسوريه وفلسطين. وقرر المجلس الوزاري الاحتجاج على هذا الاستيلاء الفعلي والطلب إلى الحكومه البريطانيه الاشتراكيه الفعلي في محافظه حدود العراق وحمايه عشائره بصوره دائمه من غارات الوهابيين» (١). والجدير ذكره، إن أقسى هجوم للنجديين على العراق كان في ٢٦ كانون الأول ١٩٢٤ الموافق للثلاثين من جمادى الأولى ١٣٤٣هـ - (٢).

أما من الناحيه الاقتصاديه، فقد أثقلت ميزانيه الحكومه العراقيه باستحقاقات بريطانيه، من ديون والتزامات ماليه، كما أضيفت إليها ديون الدوله العثمانيه، حيث وزعت على الدول المنسلخه عنها، حسب تقديرات مؤتمر لوزان الأول (٣)، الذي عقد ما بين ١٩٢٢ و١٩٢٣م.

فقد كان من المفروض على الدوله العثمانيه أن تدفعها للدول المنتصره في الحرب

ص: ٧٥٤

١- (١) الحسنی: المرجع ذاته، ص ١٤٩-١٥٠.

٢- (٢) المرجع نفسه، ص ١٥٩.

٣- (٣) «لوزان مدينه سويسريه تقع على الضفه الشماليه لبحيره جنيف. عقد فيها ما بين ١٩٢٢ و١٩٢٣ مؤتمر دولي ضم الدول العربيه الحليفه واليونان وتركيا وانتهى في ٢٤ تموز - يوليو ١٩٢٣، بالتوقيع على معاهده كترست انتصار الدوله التركيّه في حربها ضد اليونان، وإلغاء معاهده سيفر المجحفه التي كان الحلفاء قد فرضوها على تركيا، واسترجاع هذه الأخيره لصلاحياتها وامتيازاتها التي كانت لها قبل الحرب وأهمها: استرجاع تراقيه الشرقيه وسيطرتهم على منطقه الدردنيل بشرط أن تبقى منطقه منزوعه السلاح، وعلى بعض جزر بحر إيجه وإقليم أزمير. كما نجح الأتراك في إلغاء الامتيازات الأجنبيه على أراضيهم ومناطق النفوذ فيها، واتفقوا مع اليونان على تبادل الرعايا. وفي شهرى حزيران - يونيو - وتموز - يوليو - من عام ١٩٣٢. كانت لوزان مسرحاً لمؤتمر دولي هام نتج عنه عملياً إلغاء معظم التعويضات الألمانيه التي كان قد فرضها عليها الحلفاء في معاهده فرساي». الكيالي، عبد الوهاب: موسوعه السياسه، مرجع سابق، ج ٥، ص ٥٠٥.

العالمية الأولى، وقد قَدّرت حصه العراق بحوالي سبعة ملايين باون، على أن تضاف إليها الفوائد السنويه، وأمانات استهلاك الدين، وبالإضافه إلى استحقاقات البنوك للديون السابقه، كاستحقاقات (بنك نسيونال دي تركي) الذي أقرض بلديه بغداد منذ ١٩١٢، مبلغ ثلاثه وثلاثين ألف من الليرات العثمانيه. ومن الأمور الاقتصادية التي عمّقت التزامات العراق الماليه باتجاه بريطانيا، مسأله ميناء البصره، فقد نقلت بريطانيا الميناء إلى الحكومه العراقيه في ٢٤/١٠/١٩٢٢م، ٤ ربيع الأول ١٣٤١هـ- في عهد عبد الرحمن الكيلاني النقيب، على أن تدفع الحكومه العراقيه مبلغاً قدره (٧٠٠٠ و٨٩٦ و٧) رويّه ونظراً لسوء أوضاع خزينه الدوله تقرر أن يتم دفع الدين على شكل أقساط سنويه لمدته ثلاثين سنه بضمانات مشروطه. وبذلك تصبح مهمه الميناء تجميع الواردات لتسديد الديون البريطانيه مع فوائدها، بينما تبقى لبريطانيا الهيمنه على الميناء (١).

لذلك نصّت ماده الرابعه من المعاهده العراقيه - البريطانيه لعام ١٩٢٢: «بأنه ما دامت حكومه العراق مدينه لحكومه بريطانيا فعلى ملك العراق أن يستدل بما يقدمه ملك بريطانيا من المشوره بواسطه المندوب السامي في جميع الشؤون المهمه التي تمس بتعهدات ومصالح ملك بريطانيا الدوليه والماليه، وذلك طول مده هذه المعاهده. ويستشير ملك العراق المندوب السامي الاستشاره التامه في ما يؤدي إلى سياسه ماليه أو نقديه سليمه» (٢). ومما زاد الأزمه الاقتصاديه خطوره إصابه «المزروعات العراقيه في عهد الوزاره الهاشميه بأفات طبيعيه كثيره، فارتفعت أسعار الحبوب في كانون الثاني ١٩٢٥م، ارتفاعاً فاحشاً، وتوقف سير الجبايه توقفاً غير منتظر» (٣). وأما قضيه امتيازات النفط التي فتحت المجال أمام بريطانيا للانفراد في استغلال هذه الثروه الطبيعيه، فقد تمّ الأمر

ص: ٧٥٥

١- (١) فرج، لطفى جعفر: مرجع سابق، ص ١٣٣.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ١٢٤.

٣- (٣) الحسنی، عبد الرزاق: الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٢.

لبريطانيا قبل إنهاء مشكله الموصل، وذلك لأن مشكله الموصل أوضحت تشكل ضغطاً شديداً على الحكومه العراقيه وتدفعها باتجاه المزيد من التراجع عن مطالبيها، والتنازل أمام الإراده البريطانيه (١).

وهكذا كرس هذه المعاهدات وملاحقتها، وجود بريطانيا الفعلي في العراق وبالصوره الدستوريه، وبذلك تمّ انسحاب بريطانيا من المواجهه المباشره للشعب العراقي، عبر استبدال الحكومه العراقيه محلها، والتي تسير على ضوء إرادتها تحت ضغوط تبادل المنفعه بين بريطانيا والحكومه العراقيه، وعليه فقد اتفقت الحكومتان البريطانيه والعراقيه على استخدام العنف والقمع ضد حركه المعارضه الإسلاميه، على أن تقوم بتنفيذ المخطط أيدٍ عراقيه حاكمه. كما واتبعت بريطانيا ضمن خطتها الاستيلائي، سياسه تبديل الوجوه الحاكمه، استجابته لمعطيات المرحله، وما تمليه الظروف الموضوعه للساحه، بهدف إرباك المعارضه وسحب المبادره منها، كى تتبعرث جهودها ولا تستطيع أن تركز حركتها المعارضه ضد رموز الحكم، بإثاره الشارع نحو اسقاطهم. هذا من جهه ومن جهه أخرى، لوجود إمكانيه امتصاص نغمه المعارضه بهذا التبديل أثناء الدخول في المفاوضات والمساومات أحياناً مع بعض الأطراف. ويبدو من خلال التجربه الميدانيه، أن عبد المحسن السعدون هو رجل المهمات البريطانيه الصعبه - كما وصفناه-، قد أبدع في أداء الدور المرسوم له، وكذلك أصبح نوري السعيد في درجه الإبداع - أيضاً - وهو يؤدي دوره من بعده!! عبر اصطناع حاله من الصراع الداخلي - بتدبير من دار الاعتماد البريطاني أو الملك فيصل-، وذلك بين توجّهين مختلفين داخل المجلس، لكنهما يدوران في الفلك البريطاني (٢). ومن هنا يمكن القول، بأن

ص: ٧٥٦

١- (١) المرجع ذاته، ص ١٦٣-١٦٦.

٢- (٢) العمر، فاروق صالح: الأحزاب السياسيّه في العراق، مرجع سابق، ص ١٧٣-١٧٥. كان وراء هذا الصراع فيصل ودار الاعتماد البريطاني، وللمزيد من الاطلاع راجع المرجع ذاته، ص ١٥٧-١٩٠. وكذلك العمري، خيرى أمين: حكايات سياسيّه، مرجع سابق، ص ١٩٦-١٩٧.

الإدارة البريطانيه - على ضوء مستلزمات المرحلة - قد وزعت الأدوار على السياسيين الدائرين في فلكها، بين مؤيد ومعارض، وذلك لامتناع غضب الشعب، بترويضه عبر اشغاله بتطورات الصراع الداخلي. فكان أسلوب بريطانيا في معالجه الأمور يمتاز بدبلوماسية عالية وتخطيط دقيق، حسب مجريات الأحداث، في إثارتها واستيعابها بهدوء، صحيح أن بريطانيا انحنت أمام عواصف المعارضه الإسلاميه - حسب الظاهر - وهو في الحقيقه تغيير في الأسلوب الإداري لا غير، حيث قلصت أمد معاهده ١٩٢٢ إلى أربع سنوات، إلا- أنها ما كانت تنظر نهايه عهدها في العراق عام ١٩٢٦م، لذلك سعت جاهده لتثبيت وضعها بإيجاد صيغه جديده من الاتفاق والترابط بين الحكومتين البريطانيه و العراقيه.

٢. الإنكليز والبحث عن الرجل الأنسب للمرحله

هذه المعاهده الجديده كانت بحاجه إلى بطل تنفيذي مقتدر! يرأس الحكومه العراقيه من موقعه الرسمي يعاكس إرادته شعبه خدمه للإنكليز، فتوجه التشخيص البريطاني - مرة أخرى - إلى رجل المهمات البريطانيه الصعبه، عبد المحسن السعدون. وبالفعل قدمت الوزاره الهاشميه استقالته في ٢٨ ذى القعدة ١٣٤٣هـ - - ٢٠ حزيران ١٩٢٥م، وذلك لضرورات مرحليه، فرضتها المعاهده الجديده بين بريطانيا والعراق (١). وعندها كلف الملك - بأمر المندوب السامي - عبد المحسن السعدون بتشكيل الحكومه وذلك في ٤ ذى الحجه ١٣٤٣هـ - - ٢٦ حزيران ١٩٢٥م، وفي اليوم ذاته شكّل السعدون حكومته ونال موافقه الملك! (٢). وكان منهاجها، هو

ص: ٧٥٧

١- (١) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، ج ١، ص ١٦٩.

٢- (٢) هذه السرعه في تشكيل الحكومه، ونيل موافقه الملك تحمل دلالة واضحه على تنسيق الأمور تحت الطاولة من قبل.

خطاب العرش الذي ألقاه الملك في المجلس (١)، وبذلك أضحت أمام الحكومة الجديدة مهمتان رئيسيتان هما:

الأولى: ترتيب الصيغه الجديده للعلاقات المستقبلية بين العراق وبريطانيا.

الثانية: معالجه مشكله الموصل.

وكانت بريطانيا قد آتخذت من مشكله الموصل منفذاً مهماً لتثبيت معاهده جديده مع حكومه العراق بالشكل الذي ترتأيه إداره البريطانیه، وبالفعل بادرت لإعطاء حق امتياز التنقيب عن النفط في المنطقه الشماليه من العراق لتركيا، مقابل تنازلها عن الموصل. فلما بعثت عصبه الأمم لجنه خاصه لتقصي الحقائق في مشكله الموصل وأبعادها، اطلعت على الترتيبات الجديده التي رضيت بها تركيا أمام التخلي عن الموصل، وبالفعل تم التنازل عن الموصل من قبل تركيا. وبعد هذه التطورات الجديده والسريه لصالح بريطانيا في العراق، دخلت في صفقه منتظره مع الحكومه العراقيه كثره لهذا الإنجاز، «فعملت على إملاء شروط جديده في علاقاتها مع العراق، ففي ٤ آب ١٩٢٥ [١٢] محرم ١٣٤٤هـ-»، أخبر المندوب السامي، السعدون بأن تقرير لجنه الحدود قد أُبلغ إلى الحكومتين البريطانیه والتركيه، وأنه سوف يُعلن بعد موافقه الحكومتين حالما يصل التقرير إلى أنقره. وقبل أن يطلع السعدون على محتويات التقرير بُلغ من قبل المندوب السامي بأن الحكومه البريطانیه توقعت أن يكون للتقرير مردودات عكسيه وأن (المستر إيمرى) وزير المستعمرات، طلب عدم مناقشه التقرير في البرلمان البريطانى، وإنّ على عبد المحسن السعدون أن يعمل على عدم مناقشه التقرير في البرلمان العراقي، إلى أن يتم فحصه من قبل مجلس العصبه الذي سيلتئم أوائل أيلول ١٩٢٥ [أواسط صفر ١٣٤٤هـ-] (٢).

ص: ٧٥٨

١- (١) للاطلاع على خطاب العرش، راجع الحسنى، عبد الرزاق: المرجع ذاته، ج ١، ص ١٧١-١٧٥.

٢- (٢) فرج: المرجع السابق، ص ١٩١.

وهكذا بعد تنضيج الأجواء تم الإعلان العام وبصوره رسميه في ١٦/١٢/١٩٢٥م من قبل عصبة الأمم بأن مدينه الموصل أصبحت جزءاً من العراق، ولكن ضمنت هذا الإعلان شرطاً بريطانياً واضح الدلاله، ومفاده تكبيل العراق بمعاهده جديده مع بريطانيا «تتضمن دوام عهد الانتداب بينهما لمدة ٢٥ سنة! ما لم يدخل العراق قبل تلك الفتره عضواً في عصبة الأمم، وفقاً للماده الأولى من ميثاق العصبة» (١).

وقد سعت الحكومه العراقيه من طرفها على إخفاء صوت تمرير المعاهده، بإشغال الرأي العام، فحوّلت الساحة العراقيه إلى ضجيج إعلامي واسع تمجيداً للانتصار الذي تحقق في حسم مشكله الموصل، وذلك بإلحاق الموصل رسمياً بالعراق، وفي هذا الاتجاه أرسل الملك فيصل رساله شكر إلى ملك بريطانيا (جورج الخامس)، كما بعث السعدون رساله شكر إلى رئيس مجلس عصبة الأمم (٢).

ومع هذه المظاهر الإعلاميه الصاخبه، انحصرت القضيه في الإطار الرسمي وما تجاوزته كثيراً، بينما واصلت المعارضه الإسلاميه في تعبئه الأجواء الشعبيه، ضد المعاهده باعتبارها تشكل خساره كبيره للسياده الوطنيه والاستقلال، وسيدفع ضريبتها شعب العراق، عبر فواتير مستمره، فجددت مطالبيها الأساسيه في تحقيق الاستقلال التام، ونيل السياده التامه، ورفض المعاهدات، وهكذا تعرقل إبرام المعاهده طيله عام ١٩٢٦، مما اضطر الحكومه البريطانيه إلى تغيير رئيس الوزراء، وتم ذلك فعلاً عبر تصعيد جعفر العسكري إلى رئاسه الوزاره للمره الثانيه. ففي ١٨/١٢/١٩٢٧م أقرت الوزاره العسكريه الثانيه معاهده جديده بين بريطانيا والعراق، استمراراً للمعاهدات السابقه إلا- أن تطوراً ملحوظاً حصل ضمن الاتفاقيات الجديده وهو حصول حكومه العسكري على وعد بريطاني بشأن مساعده

ص: ٧٥٩

١- (١) ضياء الدين، خالد: مرجع سابق، ص ٢٥٣.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٣٥٣.

وصحيح إن هذا الوعد كان بمثابة المخدر لأعصاب التيار الاجتماعي العام في العراق، فقد عاشت الأمة - عموماً - أحلاماً سعيدة في أجواء الاستقلال الرسمي ودخول عصبة الأمم، إلا - أن الاستياء العام - أيضاً - بلغ قمته إثر سياسته الوعود إلى جانب المعاهدات، ليس فقط في أوساط الإسلاميين وإنما تعدى ذلك إلى الدبلوماسيين والإداريين أيضاً. فقد «صرح مزاحم الباجي [ممثل العراق الدبلوماسي في إنكلترا] لأحد المراسلين الإنكليز حول موقفه من معاهدة ١٩٢٧، فقال: إن هذه المعاهدة تؤكد الانتداب الذي يثير المقت الشديد لدى العراقيين، إن العراق كان ينتظر معاهدة جديدة في ١٩٢٨، تعترف باستقلاله التام، لا معاهدة تؤكد الانتداب أي الوصاية الأجنبية» (٢). وبالمقابل «كانت الأوساط الاستعمارية الإنكليزية تسعى لأن تصور للجميع بأن إنكلترا لم تفرض وصايتها على العراق، بل بالعكس فالعراقيون هم الذين طلبوا من الإنكليز أن يساعدهم في إداره الدوله» (٣).

ومع ذلك، استمرت بريطانيا على طريقه المعاهدات مع الحكومه العراقيه، حيث كان يتم إخراجها بالصيغه القانونيه عبر موافقه المجلس ومصادقته عليها. وعلى ضوء هذه التطورات حصر الصراع السياسي - من الناحيه العمليه - ما بين المعارضه الإسلاميه للحكومه وبين مؤيدي الاتجاه البريطاني في المجلس، أي وضع الصراع في زاويه محدوده باتجاه الحكومه، باعتبارها الجهاز المحلي، بل لنسميه الجهاز العراقي الكفيل بتنفيذ الإراده البريطانيه في العراق. أما سلطات الاحتلال البريطاني فقد عزلت وضعها عن التدخل في تفاصيل الأمور الإداريه واكتفت بمراقبتها للتطورات بطريقتها

ص: ٧٦٠

١- (١) فرج، لطفى جعفر: مرجع سابق، ص ٢٤٢.

٢- (٢) منتشا شفيلى، ألبرت م: العراق في سنوات الانتداب البريطاني، مرجع سابق، ص ٢٨٣.

٣- (٣) المرجع ذاته، ص ٢٨٥.

المتعاليه، وكانت تطيل التفكير لإعداد معاهده أخرى تضمن من خلالها المصالح البريطانيه المرجوّه. ولأجل إبرام معاهده جديده تحقق أطماع بريطانيه جديده تستوجب تنازلات أخرى من الحكومه العراقيه، كانت تسعى سلطات الاحتلال على تغيير رئيس الحكومه، كأسلوب إدارى ضاغط، وبذلك يتم توزيع التنازلات على أكثر من وزاره، وتحسباً لتصعيد نشاطات المعارضه الإسلاميه ضد معاهده ١٩٢٧، تمت استقاله حكومه العسكري في ١٨/١/١٩٢٨، أى في ٢٦ رجب ١٣٤٦هـ، وتشكلت الحكومه برئاسة السعدون للمره الثالثه، بإشاره من سلطات الاحتلال وقد تم تكليف السعدون من قبل الملك، واستمرت الحكومه هذه من ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ إلى ٢٨ نيسان ١٩٢٩ (١).

وبصعود السعدون هذه المره طلب منه تغيير سياسته اتجاه المعارضه الإسلاميه كأسلوب إدارى جديد يمكن تمرير المعاهده الجديده من خلاله. فعَمّم منذ البدايه كتاباً سرياً إلى الوزراء بتاريخ ٢٣/١/١٩٢٨ أكد فيه على ضروره تحسين المعامله مع المعارضه الإسلاميه، والشيعيه بالتحديد، وطلب تعيين الكفوئين منهم في مناصب إداريه وعلميه لائقه (٢). ومن ثم أقدم على خطوه جريئه، حلّ بموجبهامجلس النواب، وطلب الإعداد للانتخابات النيابيه، سعياً منه لاشغال المعارضه والرأى العام بالإجراءات الجديده، وفعلاً: «بدأت الانتخابات فى أواخر كانون الثانى ١٩٢٨، بعد أن أبرقت وزاره الداخليه فى ١٩/١/١٩٢٨ إلى المتصرفين [المحافظين] بوجوب الشروع بالانتخابات الجديده لمجلس النواب حالاً» (٣).

ص: ٧٤١

-
- ١- (١) بصرى، مير: أعلام السياسه فى العراق الحديث، مرجع سابق، ص ٦٩.
 - ٢- (٢) جاء فى كتابه: «..أن يعتنوا عنايه خاصه بهم، وتعيين اللائقين منهم فى وظائف تناسب مقدرتهم، وتحسين حاله من كان موجوداً فى وظائف الحكومه..». عن ضياء الدين، خالد: المرجع السابق، ص ٢٤٥.
 - ٣- (٣) فرج، لطفى جعفر: مرجع سابق، ص ٢٥٠.

والملاحظ في عمليه تبديل الوجوه المتصديه لرئاسه الحكومه، أن هناك تنافساً واضحاً بين أقطاب السياسيين المرتبطين ببريطانيا أمثال: عبد المحسن السعدون، ونورى السعيد، وجعفر العسكري، وياسين الهاشمي، وكانت السلطات البريطانيه تدير صراعاً خفياً بين هذه الشخصيات المتصديه للحاله السياسيه الرسميه، وذلك بأصطناع أزمات خاصه فيما بين السياسيين أنفسهم أو فيما بين بعض السياسيين وسلطه الاحتلال، كل ذلك لتمير مصالحها، فإن المصالح البريطانيه هي فوق كل شىء لديها. لنقرأ هذه العبارة، ونحاول قراءه ما بين الكلمات والسطور لمعرفة هذه الحقيقه المره التي عاشتها المعارضه الوطنيه بالذات وعموم الشعب، يقول عبد الرزاق النصيري: «بلغ الخلاف بين نوري السعيد والبريطانيين في تلك الفتره حداً، أنهم بدأوا يضعونه في صف واحد مع ياسين الهاشمي ويعتبرونه مثله، ومثل الملك فيصل مصدر متاعب لهم. كما أبدوا شكوكهم من إمكانيه ضمان ظروف ملائمته لهم في العراق. ما دام نوري السعيد وجعفر العسكري، وياسين الهاشمي في الموقع المؤثر على الملك فيصل. وقد ذهب المعتمد السياسى ومستشاره إلى حدٍّ أبعد من ذلك عندما غدوا يعتقدون أن لا أماناً ما لم يطرد الملك ونورى والهاشمي من العراق، وقد وردت بعض العبارات الجارحه بالنسبه لنورى بالتخصيص في الوثائق والتقارير البريطانيه السريه التي تعود إلى تلك [المرحله]» (١). ونتساءل عندما يتم طرد هؤلاء وأمثالهم فعلى رأس من يمرر البريطانيون معاهداتهم ومصالحهم.

ضمن هذه المعلومات، والإشاعات البريطانيه الهادفه وبريق المناصب الإداريه، نمت لدى أولئك السياسيين حاله من السلوك المتقلب، ولذلك يمكن اعتبار أبرز سمات تلك المرحله لهذه الطبقة السياسيه، هي الانتهازيه والازدواجيه والتكتلات

ص: ٧٦٢

١- (١) النصيري، عبد الرزاق أحمد: نوري السعيد ودوره في السياسيه العراقيه، حتى عام ١٩٣٢، بغداد ط ٢، ١٩٨٨م، ص ١٢٥-١٢٦.

المصلحيه ضمن دائره الارتباط ببريطانيا، فكان كل منهم يحاول أن ينال الحظوه لدى السلطات البريطانيه باستعراض قوته الشخصيه مقرونه بانصياعه لأوامرها، وبالتالي تحقيق مصالحها. فحينما كان يحكم أحدهم يتربص الآخرون به الدوائر لغرض إبراز نقاط ضعفه، وبعبارة أخرى، تبدأ عمليات الحفر الباطني لوضعه وسلوكه السياسي وإنجازاته، إلى أن تحصي سلبياته فتتجاوز المقياس البريطاني، أي حتى ينتهي مفعوله، فتضعف ثقة السلطات البريطانيه بإمكانياته. فتطلب منه أن يستقيل ليفتح المجال لوريثه المتربص به، الذي تعتبره الدوائر البريطانيه - في تلك المرحلة - هو الرجل الأنسب، والأكثر كفاءه!. وفي الأثناء تفتعل أحداث وحكايات تسربها إلى الواقع الاجتماعي، وبذلك تتم عمليه صقل الشخصيات الواقفه في الظل، والمنتظره لدورها القادم. فمثلاً- نوري السعيد، يقال إنه: «تصرف طيله فتره وجوده في تركيا كممثل لدوله مستقله فعلاً، وقد حاول إبراز ذلك وتجسيده في كل مناسبة موافقه.. وبعد عودته إلى بغداد ١٢ حزيران ١٩٢٦م [٢ ذي الحجه ١٣٤٤هـ-] اقترح نوري على الحكومه قبول قنصل تركي في بغداد، والسماح للصحف التركيّه بالدخول إلى العراق» (١). مثل هذه الفعاليات كانت تؤهل هؤلاء الساسه للدخول في لعبه المحاور و صراعاتها الداخليه.

هكذا كانت السياسه البريطانيه تدبر الأمور، وتجنّب ثمار دسائسها بعد ذر الرماد في عيون المعارضين، ولكن بالرغم من تلك الحالات استمرت المعارضه الإسلاميه في

ص: ٧٦٣

١- (١) النصيري، المرجع ذاته، ص ١٢٤. وقد انتدب الملك فيصل نوري السعيد لمفاوضه الحكومه التركيّه إلى جانب السفير البريطاني في أنقره حول قضيه الموصل بعد قرار ضمّ الموصل إلى العراق، ففي ٥ حزيران ١٩٢٦، وقّع نوري السعيد باسم العراق تلك المعاهده الثلاثيه، العراقيه - التركيّه - البريطانيه. حول هذا الموضوع راجع، النصيري: المرجع ذاته، ص ١٢٢-١٢٤.

أعمالها ونشاطاتها - المحدوده - على المستوى الشعبي والإعلامي إلا أنها كانت تسعى وراء الأحداث على الأغلب - كما قلنا- فقد ضعفت لديها المبادرات الحركية المضاده لتوجهات الحكومه. ففي ذلك الظرف استطاعت أجهزه الحكومه أن تنتقى لعضويه المجلس النيابي الجديد، الرجال الموالين للمشاريع البريطانيه ليكونوا في طليعه المرشحين، مما استفز الرأي العام، فقدمت شكاوى بهذا الخصوص إلى المحاكم من قبل الناس، والتي حولتها إلى مراكز الشرطه، وكانت تلتقى تلك الدعاوى أذناً صمّاء، فالشرطه تدعى عدم اختصاصها وصلاحياتها بهذه الأمور، والمحاكم تردّها إلى الشرطه، حتى ضاعت الفرصه لهذا المسعى الرافض لهذه الترشيحات المنحازه، وبالنتيجه أُجريت الانتخابات بالطريقه الرسميه في أواخر كانون الثاني ١٩٢٨م، بدايات شعبان ١٣٤٦هـ-، ومن ثم تمت المصادقه على المعاهده الجديده الموقعه عام ١٩٢٧ من قبل الحكومه (١).

إلا أن هذا الانتصار الحكومى لصالح بريطانيا لم يشف غليل بريطانيا، فسعت ضاغطة على الحكومه العراقيه لتحصل على المزيد من المكتسبات، مثلها كمثل نار جهنم يوم الحساب، كلما ألقى فيها لا تشبع وتطلب المزيد، يقول تعالى:

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ٢. ٣.

ولقد كانت تلك المرحله فرصه الإداره البريطانيه للانقضاض على خيرات العراق، لذلك استمرت فى ضغطها على الحكومه العراقيه ليتم المزيد من إخضاعها لشروطها، وهكذا تمكنت من إحكام القبضه الحديديه على عنق صنيعيتها الملك والحكومه، وتحريكهما كيفما تشاء. وبالمقابل انحصر خيار الحكومه الأوحده بالاتصاق المصيرى ببريطانيا (٢).

ص: ٧٦٤

١- (١) فرج، لطفى جعفر: المرجع السابق، ص ٢٥٠. وكذلك ضياء الدين، خالد: المرجع السابق، ص ٢٥٤.

٢- (٤) من جمله الإثارات الضاغطة: إثاره المندوب السامى فى ١٩/٥/١٩٢٨ مسأله الاستحقاقات المالىه

وحيثما كانت تقديرات الإدارة البريطانية، تشهد حاله عدم التوافق ونوعاً من التعارض بين الحكومة العراقية وممثلها المندوب السامي، كانت تعمد إلى تغييره كأسلوب إداري كفيل بامتصاص الأزمه، لذلك عندما طلب السعدون من الحكومة البريطانيه إجراء تعديلات على معاهده ١٩٢٧ - كأقصى طموح يراوده - وبالذات تعديل الاتفاقية العسكريه التي تسلب الحكومة العراقيه هيبتها على قواتها المسلحه (١)، رفضت بريطانيا ذلك بشده فقدم السعدون استقالته في أواخر نيسان ١٩٢٨ م (٢). ورفض تشكيلها مره ثانيه، هنا قررت الحكومة البريطانيه تبديل الوجه البريطاني في العراق فعينت (كلبرت كلايتون) معتمداً سياسياً في العراق منذ آذار ١٩٢٩م، شوال ١٣٤٧هـ - (٣)، الذي يعدّه البريطانيون صديقاً للعرب!!، بدلاً من (هنري دويس) وبالفعل جاء وهو يحمل بشرى ساره إلى أزلام الإنكليز - الملك والمتنافسين على الحكومة - وبعد وصوله بثلاثه أسابيع وصلته برقيه من وزاره المستعمرات البريطانيه تنص على إبلاغ الحكومة العراقيه والشعب العراقي باستعداد بريطانيا لترشيح العراق إلى عصبه الأمم عام ١٩٣٢م، وبذلك سينال العراق استقلاله الرسمي.

هكذا كانت بريطانيا تدير رجال السلطه والإداره في العراق، سعياً لتحقيق مصالحها الاستعماريه (٤).

ص: ٧٤٥

-
- ١- (١) الزيدى، العقيد الركن أحمد: البناء المعنوي للقوات المسلحه العراقيه، ص ١٠١.
 - ٢- (٢) بصري، مير: أعلام السياسه في العراق، ص ٦٩.
 - ٣- (٣) النصيري، عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص ١٢٩.
 - ٤- (٤) كُلف توفيق السويدي بتشكيل الوزاره وهو المستشار السياسي للسعدون فشكّلها في ١٩٢٩/٤/٢٨

ومع ذلك، فإنها كانت بحاجة ماسه - حينما تشتد الأزمات - إلى رجل مناسب للمرحلة، يستطيع أن يجتاز الظروف الصعبة، فيمّر المؤامره بتنازلات جديده، فبعد استقاله حكومه ناجى السويدى فى ٢٢/٣/١٩٣٠م الموافق ٢٢ شوال ١٣٤٨هـ-، بضغط بريطانى فى ظرفٍ إزدادت فيه حاله الغضب الشعبى العام ضد الإنكليز والحكومه معاً. إثر إشاعات مثيره حول المعاهده الجديده. وبالفعل شهدت بغداد مظاهرات احتجاجيه عامه فى آذار ١٩٣٠، وأُعلن الإضراب العام وعطلت الأسواق، واجتمع المتظاهرون فى جامع الحيدر خانة ببغداد، وقد ندد الخطباء وبشده أساليب السياسه البريطانيه. ثم واصل المتظاهرون مسيرهم إلى السفارات الأجنبيه وهم يهتفون ضد بريطانيا ويطالبون بالاستقلال التام (١). هذه التطورات الحركيه جددت الحاجه الملحه للبحث عن الرجل الأنسب لإداره الحكومه، يمتاز بقوه شخصيه قادره على اتخاذ قرارات الاستسلام المطلق للمشروع البريطاني، ومواجهه الشعب بالخداع والعنف فى الوقت نفسه.

ص: ٧٦٦

١- (١) منتشا شفيلى، ألبرت، م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

شكّل نوري السعيد وزارته، بتكليف من الملك في ٢٣ آذار ١٩٣٠م، ٢٣ شوال ١٣٤٨هـ- (٢) وأعلن منهاجه الوزاري الذي جاء فيه: «..جئنا إلى السلطه وفي أذهاننا هدفان رئيسيان هما: ١- انتهاج سياسه ترمي إلى إنشاء عراق مستقل مسالم معترف بالجميل لحكومه (بريطانيا). و٢- معالجه الوضع الاقتصادي الصعب في البلد» (٣)، ومما يذكر فإنه بدأ بدايه قويه في أعماله السياسيه والإداريه، فطلب من الملك إجراء انتخابات المجلس النيابي لغرض تصديق المعاهده، والنظر في قضيه الدفاع والجيش النظامي، وأطلق شعارات للإصلاح الإداري، والمسأله الأهم التي تركزت في فتره حكومته الأولى، مواصلة المداولات والمفاوضات مع السلطات البريطانيه منذ ٣ نيسان

ص: ٧٦٧

١- (١) نوري السعيد: هو محمد نوري بن سعيد أفندي من عشيره القره غول. ولد في بغداد عام ١٨٨٨م. أتم دراسته في المدرسه الإعداديه العسكريه سنه ١٩٠٣م، ثم واصل دراسته في استنبول بالمدرسه العسكريه، وتخرج منها في ١٩٠٦ برتبة ملازم ثان، وقد التحق بالجيش العثماني السادس المرابط في العراق. ثم دخل مدرسه أركان الحرب. عمل مع عزيز علي المصري وأحرار العرب في جمعيه العهد، فر من استنبول إثر الملاحقات للشباب العربي إلى مصر ثم بغداد والبصره حيث التجأ إلى زعيمها السيد طالب النقيب. انضم إلى الشريف حسين وعُين رئيساً لأركان الجيش الشمالي بقياده الأمير فيصل، سحب فيصل إلى باريس للاشتراك في مؤتمر السلام، وزار لندن وباريس مره أخرى مع فيصل في عام ١٩١٩ لمفاوضه الحكومتين البريطانيه والفرنسيه. وبعد انهيار حكومه فيصل بالشام عاد إلى بغداد في ١٩٢١ فُعِين رئيساً لأركان الجيش العراقي، فمديراً للأمن العام، ثم عاد لرئاسه الأركان بالإضافة إلى وكالة وزاره الدفاع في الوزاره السعدونيه الأولى ١٩٢٢ ثم وزيراً للدفاع في ١٩٢٣. وقد انتخب نائباً عن بغداد في المجلس التأسيسي ١٩٢٤، ثم نائباً عنها في مجلس النواب ١٩٢٥. وقع معاهده صداقه مع تركيا في استنبول نيابه عن الحكومه العراقيه. أُلّف وزارته الأولى في ٢٣ آذار ١٩٣٠، وقد تولى رئاسه الوزاره بالإضافة إلى وكالة وزاره الدفاع لأربع عشره مره حتى ثوره تموز ١٩٥٨. للتفاصيل راجع: بصري، مير: أعلام السياسه في العراق الحديث، مرجع سابق، ص ١٢٦-١٤٠.

٢- (٢) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، مرجع سابق، ج ٣، ص ٦.

٣- (٣) الحسنی، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسی الحديث، مرجع سابق، ج ٣، ص ٦٩-٩٧.

١٩٣٠م (١)، حتى تم التوقيع على المعاهده الجديده، وملاحقها في ٣٠ حزيران ١٩٣٠م، ٤ صفر ١٣٤٩هـ-، على أن تصيح هذه المعاهده ساريه المفعول منذ دخول العراق عصبه الأمم، ولمده ٢٥ عاماً. وبموجبها يصيح العراق دوله مستقله ظاهراً، ولكن في الحقيقه، مستعمره بريطانيه بواجهات عراقيه ليس غير، حيث «تربطها ببريطانيا عرى الصداقه والتحالف الأبديين»!!، واحتفظت بريطانيا بحق التشاور في مسائل السياسه الخارجيه، وشكلت بريطانيا مع العراق حلفاً عسكرياً، قدم العراق إلى القوات البريطانيه بموجبه حق استخدام السكك الحديديه والمطارات والموانئ والأنهار، وجرى الاعتراف بالمصالح الخاصه لبريطانيا في العراق، واحتفظت بريطانيا بقاعدتي الحثانيه والشعبيه العسكريتين، والتزم العراق باستدعاء المستشارين الأجانب والبعثات العسكريه في بريطانيا وحدها» (٢). فعلى ضوء معاهده ١٩٣٠م، تمّ لبريطانيا تحقيق أهدافها الاستعماريه عبر الحكومه العراقيه، وقد تحوّل اسم المندوب السامي إلى سفير بريطانيا (٣).

ومن جانبه، نجح نوري السعيد في سعيه لحل المجلس النيابي، وذلك في الأول من تموز عام ١٩٣٠م، ٥ صفر ١٣٤٩هـ-، وقد اتخذ عدّه إجراءات لإضعاف صوت المعارضه الإسلاميه ومن يروّج لأفكارها من الصحف، وفي محاوله لمنع تأثير الإسلاميين داخل المؤسسات الحكوميه، وخصوصاً في أوساط العسكريين «أصدرت رئاسه أركان الجيش كتاباً إلى جميع الوحدات العسكريه منعت بموجبه العسكريين من مختلف المراتب من حضور المناسبات الدينيه [خشيه التأثير عليهم وتوعيتهم]، ومن حمل السلاح [الذي قد يستفاد منه لأغراض التدريب الشخصى لعناصر المعارضه]، وتقرر أيضاً تقليص

ص: ٧٤٨

-
- ١- (١) وصفت الصحافه - آنذاك - وزاره السعيد الأولى بأنها «وزاره مفاوضات» أنظر: النصيري، عبد الرزاق أحمد: مرجع سابق، ص ١٨٧. عن: العالم العربي: العدد الصادر بتاريخ ٢٥ آذار ١٩٣٠م.
 - ٢- (٢) كوتولوف، ل، ن: تاريخ الأقطار العربيه المعاصره، ج ١، ص ٢٩٧.
 - ٣- (٣) النصيري، المرجع السابق، ص ٢٠٦.

إجازاتهم الاعتيادية، وبحجه إسناد الوظائف إلى ذوى الكفاءه والمقدره أجرى نوري تنقلات عديده بين كبار الموظفين بضمنهم عدد من.. [المحافظين].. [كما] أنه مارس ضغطاً متزايداً على أصحاب الصحف بواسطه أجهزه الشرطه من أجل إبعادهم عن المعارضه وأفكارها [الإسلاميه والوطنيه]..» (١).

أما بشأن أعضاء المجلس المرشحين، فقد استخدمت الحكومه ضغوطاً خاصه عليهم، حيث طلبت تقديم تعهدات خطيه بقبول المعاهده، وأداء اليمين للتصويت إلى جانبها!! وقد تحرك خلف البلاط ودار الاعتماد لترتيب تعيينات جديده لأعضاء المجلس الجديد - هذه هي الحقيقه (٢)؛ «فالانتخابات لم تجر، وإنما كل ما حصل كان تعيينات من قبل الحكومه، فوصل إلى عضويه المجلس شلّه يضمن نوري السعيد والملك تأييدهم المطلق لنوري والملك وإرادته الحكومه البريطانيه» (٣).

لقد اجتمع المجلس فى الأول من تشرين الثانى ١٩٣٠م، وفى الجلسه الأولى تمت مصادقته على معاهده ١٩٣٠. وبذلك تجذر الاستعمار البريطانى فى العراق بالطريقه القانونيه، على يد حكومته الوطنيه!! (البريطانيه)، ولمده خمسه وعشرين عاماً بعد الاستقلال الرسمى للعراق! وحقاً «أقل ما يقال على المعاهده الجديده، هو أنها استبدلت الانتداب الوقتى بالاحتلال الدائم، وأباحت لبريطانيا أن تستخدم العراق لمصلحتها، وأضافت إلى القيود والأثقال الحاليه قيوداً وأثقالاً جديده أشد وطأه» (٤).

ص: ٧٦٩

-
- ١- (١) النصيرى، المرجع ذاته، ص ٢١١-٢١٢. وقد أصبح عدد الصحف المعطله لحين المصادقه على هذه المعاهده أكثر من عشرين جريده. المرجع ذاته، ص ٢١٩.
 - ٢- (٢) للتفاصيل، راجع المرجع نفسه، ص ٢١٣-٢١٧.
 - ٣- (٣) ضياء الدين، خالد: المرجع السابق، ص ٢٥٨.
 - ٤- (٤) منتشا شفيلى: ألبرت. م: المرجع السابق، ص ٢٩٣.

بعد تلك التطورات أصبح لزاماً على الإسلاميين أن يراجعوا حساباتهم، وما آلت إليه حاله السياسي في البلاد، وذلك في اتجاهين محددين:

الاتجاه الأول: الدخول في العمل الثقافي والتربوي، لتكريس حاله الإيمانيه في الأمه، كمرحلة تأهيل وإعداد، لغرض تمكينها من خوض المعارك المصيريّه للأمة مستقبلاً، وكان هذا الاتجاه هو خيار الإسلاميين من العلماء والمثقفين الملتزمين.

الاتجاه الثاني: الدخول في العمليه السياسيّه، والاستمرار في المعارضه إذا اقتضى الأمر، لصالح بناء الوطن، وذلك من داخل النظام وتحت قبه البرلمان. وكان هذا الخيار قد سلكه التيار الإسلاميّ المسيّس، الذي بقي في الساحة السياسيّه معارضاً في حدوده الخاصه، جنباً لجنب مع الوطنيين في معارضتهم لحكومته نوري السعيد «وذلك بعقد مؤتمرات عشائريه في منطقه الفرات الأوسط [عمق التحرك الإسلامي]، ففي كانون الثاني ١٩٣١، قام ممثلو المعارضه بجوله في الحله وكربلاء والنجف، إلا أن نوري أعدّ العده للتصدي لمثل هذه المؤتمرات، وتمتع في ذلك بتأييد الملك. فقد سخر (صدي العهد) لشن حملته صحفيه ضدها، وأوعز للسلطات المحليه في مدن الفرات الأوسط بالضغط على تحركات المعارضه ووفودها ومنع توسيع

دائرته نشاطها ونفوذها» (١)، ويبدو أن نوري السعيد أدرك بوضوح أثر الإسلاميين والصحافه المحليه فى حركه المعارضه السياسيه، لذلك واصل أسلوبه القمعى ضد العلماء والصحافه الهادفه أو القريبه من الاتجاه الإسلامى. فعطل عدداً من الصحف البغداديه، مثل (الثبات) و(الأخبار)، كما امتد قرار التعطيل إلى خارج العاصمه مثل (البلاغ) و(الحق) الصادرتين فى الموصل. وقد استحدثت دائره (ملاحظيه المطبوعات) لغرض توحيد مصادر الأخبار للصحفيين، كما ووضع قانوناً جديداً للمطبوعات، يمنح الحق لمجلس الوزراء أو وزير الداخليه، فى تعطيل أيه جريده أو مجله فى مده تتراوح ما بين الشهر والسنه، ومن دون إجراء تحقيق فى ذلك، بل تحدده ضروره النظام (٢).

وهكذا، تمّ ترويض هذا الاتجاه الإسلامى المسيّس بشكلٍ عامٍ فى إطار المعارضه المطليبه المحدوده، أى البعيده عن أطروحه التغيير الجذرى، لإنقاذ البلاد والعباد من مخالب الاستعمار البريطانى، والوصول إلى الاستقلال التام للعراق. ولعل الظروف الذاتيه والموضوعيه لا تسمح لأصحاب هذا الاتجاه بتبني خيار الجهاد ومقاومه الاستعمار، وهم كذلك غير مقتنعين بخيار العمل الثقافى والتربوى، ففكروا بالوقوف فى وسط الطريق كخيار وسطى، ولكن فى الحقيقه لم يفلحوا كثيراً فى خيارهم، وذلك لضعفهم من جانب، ولصعوبه الظروف المحيطه بهم. ولقد كان هذا الخيار - بحد ذاته - يعدّ تراجعاً واضحاً عن أسس المعارضه الإسلاميه. وعليه أخذت تنحى منحى المعارضه السياسيه العامه. فبدأت تطالب بإلغاء الضرائب، وحل أزمة البطاله، وإطلاق سراح المعتقلين، كما طالبت بحريه الاجتماعات، واستخدمت أسلوب الإضرابات كأداة ضاغطة لتنفيذ مطالبها، وتطورت أحياناً

ص: ٧٧١

١- (١) النصيرى، عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص ٢٢٩-٢٣٠.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٢٣٠-٢٣١.

إلى درجة الاصطدام الدموي بين الناس ورجال السلطه كما حدث فى بغداد والمنتفك وغيرهما، فسجلت نجاحاً محدوداً. ولكن واصلت الحكومه والقوات البريطانيه فى قمع المعارضه عسكرياً، كما استخدمت الطائرات فى البصره لإخمادها (١)، وفى مناطق أخرى أخذ الإضراب طابعاً شمولياً ضد رسوم البلديات، خلال تموز ١٩٣١م (٢).

ص: ٧٧٢

١- (١) منتشا شفيلى: المرجع السابق، ص ٢٩٦.

٢- (٢) النصيرى: المرجع السابق، ص ٢٧٢-٢٨٤. تجد تفاصيل موقف نوري السعيد والقوات البريطانيه من إضرابات عام ١٩٣١. وقد نُفذ الإضراب العام فى بغداد وكربلاء والنجف والحله وغيرها من مناطق العراق ابتداءً من ٥ تموز ١٩٣١. وانتهاءً فى ٢٤ تموز ١٩٣١، للتفاصيل راجع: التميمى، د. خالد: محمد جعفر أبو التمن، دراسه فى الزعامه السياسيه العراقيه، ص ٢٩٨-٣١٣.

كانت الخطة البريطانية تستهدف الإسلام والمسلمين على كفافه الأضعده، وذلك لشل حركة الإسلاميين بتحويل الشريعة الإسلامية إلى توابيت قديمه تحمل أجساداً أثريه محنطه، لا يفهم منها إلا العبادات الشكلية. لذلك منذ البدايه تعرض علماء المسلمين بشكل عام إلى حمله إعلاميه مضاده من قبل الإنكليز وأذناهم في العراق، عبر الصحف والأندية والإشاعات المغرضه وأخذت تصفهم بأنهم متخلفون ورجعيون، لا يدركون أبعاد العمل السياسي العصري ومصالح البلاد. وضمن هذا الوسط الموبوء نشطت الاتجاهات السياسيه غير الإسلاميه في حملتها التشكيكيه بالمبادئ الإسلاميه في التوحيد والعدل الإلهي والعقائد الإسلاميه الأخرى، بل تعدى ذلك إلى محاربه بعض السلوكيات والالتزامات الإسلاميه كالحجاب الإسلامى بالنسبه للمرأة المسلمه. فمنذ ١٩٢٢ بدأت النوادي الأدبيه والمهرجانات الشعريه تدعو إلى السفر، فأنشد في حينها معروف الرصافي قصيده هاجم فيها المسلمين الملتزمين، وعلى رأسهم علماء الدين، ومما جاء فيها:

أَلَمْ تَرَهُمْ أَمْسُوا عبيداً لأنَّهُمْ على الذَّلِ شَبَّوا في حجور إماءِ

أقولُ لأهلِ الشرقِ قولَ مؤنِّبٍ وإنَّ كانَ قولي مسخَطَ السفهاءِ

ألا أنِّ داءَ الشرقِ من كُبرائه فبعداً لهم في الشرقِ من كبراءِ

وأقبحُ جهلٍ في بني الشرقِ أنَّهم يُسمون أهلَ الجهلِ بالعلماءِ

هذا، وقد ردّ عليه عبد الحسين الأزرى، بقصيده هادفه جاء فيها:

أكريمه الزوراء لا يذهب بك ال- نهج المخالف بيته الزوراء

أو يخدعك شاعرٌ بخياله إنَّ الخيالَ مطيه الشعراءِ

حصروا علاجك في السفور وما دروا إنَّ الذى وصفوه عينَ الداءِ

أسفينه الوطن العزيز تبصرى بالقعر لا يغررك سطح الماءِ

وحديقه الثمر الجنى ترصدى عبث اللصوص بليله ليلاءِ

أو لم يروا أنَّ الفتاة بطبعها كالماءِ لم يحفظ بغير إناءِ

كما وانعكست هذه المعركة في الصحف المحليه، فمثلاً جريده (دجله) شنت حملة ضد الرصافى، فى مسأله تشجيع النساء على ترك الحجاب. وقد تصدى العلماء لذلك فصدرت فتاوى عديده فى هذا الاتجاه حرصاً على حفظ الدين والأخلاق (١).

وللهدف ذاته، أصدرت بولينا حسون مجله (ليلى) النسائيه عام ١٩٢٣، تدعو إلى النهضه النسائيه فى العراق والتحرر من القيود. وكان أغلب دعاه السفور هم خريجوا أوروبا ومتأثرون بالتطور الغربى وبما حصل من تغيير فى تركيا ومصر من تحولات نحو العلمانيه (٢).

بينما، اتخذت جريده (البدائع) - لصاحبها داود العجيل ورئيس تحريرها بهجت الأثرى - موقع الدفاع عن الحجاب الإسلامى، باعتباره متناسب مع الفطره الإنسانيه والشرائع السماويه (٣).

ص: ٧٧٤

١- (١) العمرى، خيرى أمين: مرجع سابق، ص ١٠٣ وما بعدها، وقد تناول المؤلف فى الفصل الثالث من كتابه، تفاصيل المسأله، وهو بعنوان (معركة السفور فى العراق)، ص ١١٠-١٤٣.

٢- (٢) العمرى، خيرى أمين: المرجع ذاته، ص ١٠٣، وما بعدها.

٣- (٣) جريده البدائع، العدد ١٠٨ لسنة ١٩٢٤. مقال الأستاذ بهجت الأثرى، المدافع عن الحجاب.

أما جريده (المفيد) لإبراهيم حلمى العمر، فقد اتخذت منهجاً متوازناً بين الدعوتين، ولكن صاحبها كان يقف غالباً إلى جانب الحجاب (١).

وشهدت جريده (العراق) معركة صحفيه عاليه الوتيره بين دعاه السفور، وبين الملتزمين بالحجاب الإسلامى. وكانت (فتاه غسان) تدفع فى أحاديثها نحو المطالبه برفع قيود الأسر عن المرأه، برفع برقعها وعباءتها، وكانت تطالب الرجال أن يجربوها على أنفسهم ليشعروا ويتحسسوا معنى الأسر والضيق. وكانت تشهد الصحيفه ردوداً من بعض الإصلاحيين المسلمين أمثال: مصطفى عزت عبد السلام. كما وحفلت بالأشعار المتبادله بين الجانبين. إلا أنها كانت بالنتيجه متحمسه للسفور وضرب القيم الإسلاميه (٢).

ويبدو أنه قد حصل تطور لدى بعض دعاه التحلل والتحرر من الإسلام إلى درجه التشكيك بوجود الله والدعوه إلى الإلحاد، مما ألهب الأوساط الإسلاميه - علماء ومثقفين - فدخل العلماء بفتاواهم وخطبهم وأحاديثهم، ينددون ويستنكرون، بل أعلنوا «.. حرباً شديده عليها، فكفروا دعائها [دعاه الإلحاد والتشكيك بالله وتحدى القيم الإسلاميه]، ورفعوا المضابط ضدهم، وأصدروا الفتاوى بحقهم، بل استباح بعضهم دماءهم. واعتبر مقاومه دعوتهم لوناً من ألوان الجهاد فى سبيل الإسلام» (٣). وعلى ذلك تحرك الوسط الاجتماعى محاصراً هذه الدعوات ومراكزها، مثل نادى النهضه النسائيه ببغداد، الذى افتتح فى ٢٣ تشرين الثانى ١٩٢٤. ليكون مركزاً للدعوه

ص: ٧٧٥

-
- ١- (١) جريده المفيد، العدد ٢٥٧ سنة ١٩٢٤. مقال محمد رشيد، يتهم دعاه السفور بالخشع لإشباع غرائزهم. وجريده المفيد، العدد ٢٥٩ سنة ١٩٢٤. مقال لخليل إسماعيل، يدافع فيه عن العادات الأصليه فى المجتمع الإسلامى مثل الحجاب والعفاف.
 - ٢- (٢) جريده العراق، العدد ١٣٧٠ و١٣٧٩ و١٣٨٤ و١٣٩٣ لسنة ١٩٢٤م.
 - ٣- (٣) العمرى، خيرى أمين: مرجع سابق، ص ١١٥.

إلى تحلل وتبرج المرأة وإفساد المجتمع، وإيصاله في نهايه المطاف إلى التشكيك بالمبادئ الإسلاميه والتنكر لقيم الإسلام. وقد كشفت أهداف هذا النادي بالرغم من التطويل الإعلامي لافتتاحه، فمثلاً رحبت جريده (العراق) به واعتبرته (فتحاً جديداً) إلا أنه تحول إلى مقهى لشرب الشاي - فيما بعد - وذلك لتصعيد الضغوط الاجتماعيه حوله نتيجة التصعيد الإسلامى ضده (١).

وكذلك مجله (الصحيفه) التي صدرت في ٢٨ كانون الأول سنه ١٩٢٤م - ٢ جمادى الثانيه ١٣٤٣هـ، وهي مجله نصف شهريه. محررها مصطفى على، ومسؤولها حسين الرحال، وساهم في الكتابه فيها (طالب مشتاق) و(عبد الحميد رفعت) و(ساطع الحصرى) وغيرهم. فمثلاً يقول خيرى العمرى عنها: «وفى وسعى أن أقرر أن هذه المجله على صغر حجمها، وبساطه إخراجها، استطاعت أن تهز الأوساط المحافظه وتزعزع بعض القيم القديمه السائده» (٢). وبالمقابل ازداد الإسلاميون صلابه في وجه دعاه سفور المرأة وتبرجها، وهذا ما نلمسه - مثلاً - في رساله أسماء

ص: ٧٧٤

١- (١) افتتح في بغداد نادى النهضه النسائيه في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٤م، بحفله فخمه ساهمت فيها (الليدى دويس) زوجه المندوب السامى، و(المس بيل) سكرتيره دار الاعتماد البريطانى وغيرهما. وتألقت هيئه النادى من: الرئيسه، أسماء الزهاوى شقيقه الشاعر جميل الزهاوى، ونائبته نعيمه السعيد، والسكرتيره، مارى عبد المسيح مارى، وأمنيه الصندوق، فخريه العسكري، عقيله جعفر العسكري راجع جريده (العراق)، العدد ١٣٧٠ وكذلك ١٣٨٦ لسنة ١٩٢٤. وجريده المفيد العدد ٢٥٦ لسنة ١٩٢٤. وهنالك وصف استعراضى (للمسز ستيفنسن) عقيله (المستر دارور) مستشار وزاره المالىه، تنقل فيه أجواء تأسيس النادى، وما أثار من صحب وضجيج من قبل التيار الإسلامى الملتزم، ومن ثم كيف تحول المركز إلى محل لشرب الشاي فى المستقبل. مقاله ترجمتها جريده البلاد عن (النيرابست) فى ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٩. ونشرت (البلاد) أيضاً رد الأنسه صبيحه الشيخ أحمد على مقاله (مسز ستيفنسن) فى عددها الخامس بتاريخ ٣٠ تشرين الأول ١٩٢٩.

٢- (٢) العمرى، خيرى أمين: مرجع سابق، ص ١٢٦-١٢٧.

الزهاوى رئيسه نادى النهضه النسائيه التى وجهتها إلى نور حماده، رئيسه المجمع النسائى العربى فى بيروت فى مارت ١٩٢٩
والتى اقترحت عليها فكره انعقاد مؤتمر نسائى عربى فى إحدى العواصم العربيه، فاعتذرت أسماء عن انعقاده فى بغداد خشيه من
التيار الإسلامى الملتزم (١).

ص: ٧٧٧

١- (١) جاء فى جواب أسماء الزهاوى قولها: «..أما فى بغداد، فقد كانت الظروف ملائمه فى أوائل الأمر، فتقدمنا فى خدمه
القضيه قليلاً، ثم اصطدمنا بصخره التعصب الذى هو عندنا ذو صلابه لا تلين، حتى كادت السفينه تنحطم، لولا أن تداركناها يد
آمتدت لمساعدتها من رجال أحرار»، نص رساله نور حماده رئيسه المجمع النسائى العربى فى بيروت، ونص جواب أسماء
الزهاوى منشوران فى (صدى الوطن) العدد ١٢ لسنة ١٩٢٩.

لقد عرف المستعمرون إن قوه الشعب فى المقاومه والثوره والمطالبه بالاستقلال التام نابعه من تمسكه بالإسلام وقيمه المعنويه والأخلاقية، هذا الدين يفرض على أتباعه الجهاد والتضحيه لطرده الدل والخنوع عن أنفسهم وبلادهم، ليعشوا حياه العزّه والكرامه، يقول تعالى:

.. وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرُسُوْلِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَ لِكِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝۱

إنّ هذا التشخيص البريطانى لمنبع القوه لدى شعب العراق، تبلور بوضوح بعد ثوره العشرين، ممّا دفع المستعمرين لوضع خطهٍ استراتيجيه مدروسه، هدفها إبعاد العراقيين وعزلهم عن مصدر قوتهم وعزتهم أى الإسلام، لكى لا تتكرر مأساتهم فى مواجهه غضب الشعب كما حدث فى ثوره العشرين، وهذه الخطه توحى باستمراريتهم فى استعمار العراق والمنطقه. وذلك لشده سيلان لعابهم لخيرات العراق، ولموقعه الجغرافى الهام بالنسبه لأطماعهم فى المنطقه. فباشروا بنشر الأفكار الهدامه بين الناس وشجعوا ترجمتها، فعلى المستوى العاطفى كان سلاحهم المعتمد هو تحرير المرأه من قيود الحجاب ولباس العفه والاحتشام. وعلى المستوى العقدى كان سلاحهم التقليدى يدور حول إثارة الشكوك حول وجود الخالق والوحى، والشبهات حول القرآن الكريم، والفرائض

الدينيه، وما يترتب على العصيين من العذاب فى يوم الحساب وبقية المعتقدات والقيم الإيمانيه.

إن هذه الإثارة الفكرية والسلوكية من قبل الأعداء تحقق هدفهم المطلوب ضمن مرحلتين:

بالمرحله الأولى: من المؤكد ستلقى دعوتهم بشعاراتها البراقه آذاناً صاغية من عناصر اجتماعيه مستعده ذاتياً لتطبيق تلك الثقافه المنحرفه والتبشير بها، مستغله الضعف الإيمانى لدى عموم الأمة - وهذا تقصير يتحمّله الإسلاميون الواعون - وبالنتيجه ستشق هذه الشعارات طريقها وتخلق حاله مضطربه ما بين مؤيد ومعارض، وستتطوّر تلك المجموعه لخوض المعركه نيابه عن المستعمرين، وستوضع تحت تصرفهم الإمكانيات المطلوبه من المال والأعلام والغطاء السياسى. وبالمقابل سيندفع الملتزمون لمواجهتهم، وستنشطر الأمة على نفسها، وستستهلك المعركه طاقت الأممه، وكلما اقترب الملتزمون من عتبه الانتصار يمدّ الاستعمار جانبه المتستر خلفه بإمدادات جديده ماديّه ومعنويّه، وذلك لتستمر المعركه، وبالنتيجه سيتم إبعاد خطر الثوره والمقاومه والمطالبه بالسياده الوطنيه والاستقلال التام، هذه التطورات المتوقعه تشكل تهديداً جدياً لوجودهم كمحتلين للعراق.

وبالمرحله الثانيه: ستنمو بذور تلك الثقافه الهدّامه وتتطور لتشكّل ظواهر اجتماعيه وتكتلات سياسيه، تحوم حول التشكيك بالمبادئ الإسلاميه، وتعميق حاله الانحراف السلوكى، وسيجنى ثمارها المستعمرون فى المستقبل. حيث ستتحول شيئاً فشيئاً إلى حركات فاعله تكون بمثابة السواعد التنفيذيه للمشروع الاستعمارى، وسيقف رجالها فى مواجهه الشعب نيابه عنهم، بعدما يصلون ضمن المخطط الاستعمارى إلى موقع القرار السياسى وإداره البلد، أو سيكونون من أطراف الحكومه وفى حمايتها، فمن

خلال القرار الحكومى سيتفننون فى إنزال أفسى الأساليب الإرهابيه، لقمع حركه الأمه ونهضتها الوطنيه الاستقلاليه.

فإذا كانت سلطه الاحتلال من خلال حكومه السعدون قد آتخذت أشبع وأظلم قرار ضد حركه الشعب بإبعاد العلماء القاده عن الساحه العراقيه، فإنّ قوى الاستعمار فى المستقبل ستحقق إرادتها عبر السلطه العراقيه بل من قبل رئيس النظام الذى سيبدل قصارى جهده لقمع إراده الشعب بالحديد والنار والدمار، ويجراً على إعدام العلماء القاده بدلاً عن إبعادهم، ويحوّل بوادى وسط وجنوب العراق إلى مقابر جماعيه للشعب الناهض بدلاً عن الدخول معهم فى حوار سياسى والالتفاف حول مطالبهم كما فعل أسياده، وسيمطر الشعب بالأسلحه الكيماويه المحرمه دولياً فى كردستان العراق بدلاً عن اعتقال رموزهم ونفيهم عن البلاد. كل تلك الجرائم يؤديها الحكم الذى يدعى الوطنيه! والرئيس الذى يدعى السياده!.

والعجيب فى الأمر إن بعض الناس لا زالوا يؤمنون بأن بريطانيا تملك خشبه الإنقاذ للعراقيين حتى اليوم (1)!

وهكذا آتبعه الإدارة البريطانيه - آنذاك - طريقه نشر الثقافه الهدّامه بين العراقيين. ومن المعلوم حينما يتجرّد المسلمون من مبادئهم وقيمهم وتاريخهم وعاداتهم،

ص: ٧٨٠

١- (١) إن هذا الموقف لدى بعض العراقيين والعرب لم يأت من فراغ. وإنما يأتى من المقارنه بين معامله الحكومات فى منطقتنا التى تدعى الاستقلال والسياده الوطنيه مع شعوبها، والتى بدورها تعانى هذه الشعوب من أنواع الاضطهاد والحرمان والتعسف فى ظلّ حكوماتها! وبين معامله الحكومات الاستعماريه لمواطنيها وشعوبها، بل معامله اللاجئين عندها من العرب. والأدهى من ذلك حينما يقارن العراقى أو العربى ما يجرى فى سجون بلاده لسجناء الرأى فى ظل الحكم الوطنى - كما يقال - مع حاله السجناء السياسيين فى سجون بلاد المستعمرين. وكما يقول المثل العراقى الشعبى: «راوى الموت يرضّ بالصخونه». أى يرضى الشعب بسخونه المرض متأماً للشفاء، إذا رأى الموت والدمار.

يتحولون إلى أدوات معدنيه جامده، تتحرك بإرادته خارجيه، فيكون همهم الأساس إشباع بطونهم وغرائزهم الحيوانيه، حيث تتهدد حتى هويتهم الإنسانيه! على عكس الترييه الإسلاميه التي تحمّل الإنسان المؤمن رساله الحياه الكريمه الهادفه، يقول الإمام على عليه السلام: «..فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطه، همّها علفها، أو المرسله شغلها تقمّمها، تكثرش من أعلافها، وتلهو عمّا يراؤ بها..» (١). فهناك أهداف نبيله ورفيعه من أجلها خلق الله الإنسان، يقول تعالى:

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۚ

وفى الوقت ذاته إبتلاه فى هذه الدنيا بإغراءات وشهوات، هل يستطيع أن يسايرها فى الإطار المشروع كى يبلغ أهدافه الساميه؟ أو يفضل فى هذا الاختبار المصيرى. فالأنبياء والأئمه والصالحون يدعون الناس إلى الاستقامه والتهديب، ومن ثم إلى مواجهه الباطل ومقاومه الظلم. يقول تعالى:

الم (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۚ

بينما يسعى الشيطان والمستعمرون لتضليل الإنسان وتذويب إرادته ليفشل فى الامتحان وبذلك تسهل السيطرة عليه واستغلال خيراته واستعمار بلاده. ومن هذا المنطلق استمرت الإداره البريطانيه فى نشر الثقافه الهدّامه ضمن اتجاهين متكاملين لتحقيق هدفها المحورى، وهما:

ص: ٧٨١

١- (١) نهج البلاغه، باب الرسائل رقم ٤٥. تقمّمها: التقاطها للقمامه، أى الكناسه، تكثرش: تملأ كرشها، الأعلاف: جمع علف وهو أكل الدابه.

١- المناداه بحقوق المرأه وحریتها الشخصیه، فرکزوا علی إخراجها من حاله الحجاب والالتزام، إلی حاله التبرج والسفور والاختلاط مع الرجال باعتبار إن هذه حاله من مظاهر الحدائثه والتقدم. فصدرت كتب فی هذا الاتجاه ونشرت قصائد شعریه، وأشاعوا الأغانی والأفلام والمجلات، بهدف تزیین سفور المرأه، فانبری الشعراء والأدباء لدغدغه عواطفها بكلمات معسوله، فمثلاً یخاطبها الشاعر جمیل صدقی الزهاوی بقوله:

إسفری فالحجاب یا آبنه قهر هو داء فی الاجتماع وخیم

إسفری فالسفور صبح زاهر والحجاب لیل بهیم

كل قديم إلی التجدد ماضٍ فلماذا یقرّ هذا القديم؟ (١)

٢- المناداه بالحریه الفکریه فی مجال العقیده والعباده والسلوك، بهدف زعزعه ثقه المسلمین بعقیدتهم وتعالیمهم وتاریخهم وقیمهم. فقد أشاعوا الإلحاد والتشکیک بوجود الخالق، والوحي الإلهی، وأثاروا شبهات عدیده حول القرآن الکریم، والرسول الأ-کرم صلی الله علیه وآله وسلم والمعاد يوم القیامه، ونشروا الكتب التضلیلیه، وكتب تناولت التاریخ الإسلامی بغیه تشویه الحقائق ونزع ثقه المسلمین بتاریخهم، وكتب توجهت فی سعيها نحو إثارة المسأله الطائفیه فی أوساط المسلمین، فمثلاً صدر فی بغداد أواخر عام ١٩٢٦م، ١٣٤٥هـ- کتاب بعنوان (الدوله الأمویه فی الشام) للمؤلف أنیس زکریا النصولی. فأثار ضجه هائله فی الأوساط الثقافیه والاجتماعیه وخاصه عند الإسلامیین والشیعه منهم بالتحدید. وكان زمن نشره یساعد علی توجيه هجمه ثقافیه ضد الإسلامیین من البوابه التاریخیه. فانعکست ردود الفعل فی النوادی الاجتماعیه ومجالس

ص: ٧٨٢

١- (١) ذکرْتُ هذه الأبیات من محفوظاتی المدرسیه أيام المتوسطه والإعدادیه، وللأسف كان المنهج الدرأسی یطالب بحفظها، وأعتقد إن المنهج المقرر بتلك الصوره للشباب والشابات ضمن مؤامره الغزو الثقافی الاستعماری للمسلمین.

العلماء والصحف المحليه، وآنبرى بعض العلماء للزد على الكتاب، ومن الكتب التى صدرت ضده هو كتاب، «دوله الشجره الملعونه الشاميه» للسيد محمد مهدي القزوينى مطبعه دار السلام ١٣٤٦هـ - (١).

ومما لا يخفى، أن تحريك هذه المعارك كان يتم بتدبير من البريطانيين، كأسلوب هجومى ضد التيار الإسلامى، لدفعهم بآخذ الإجراءات المضاده فى إطار المعركة الثقافيه والاجتماعيه فيما بين المسلمين أنفسهم، ليعدوهم عن المحور السياسى والإدارى والمطالب الوطنيه. يقول خيرى العمري: «ولا شك أن قضيه النصولى سببت خلق جو مشبع بالتوتر، مملوء بالريب. وبطبيعته الحال لم يخفف هذا الجو بآنتهاء القضيه المذكوره، بل بقيت ذيولها ونتائجها، وانعكست آثارها فى الأحداث التى تعاقبت والقضايا الأخرى التى طرحت الموضوعات التى برزت فيما بعد، فقامت مساجلات عنيفه ودارت مناقشه حاميه على صفحات الصحف ساهمت فيها بخبث جريده (التايمس) البغداديه، التى كانت تعبّر عن آراء دار الاعتماد البريطانى، [ثم يتساءل الكاتب بقوله]، وبقي سؤال يدور فى الأذهان، ترى من الذى كسب من وراء هذه الضججه؟ [ويجيب بقوله] أغلب الظن أن دار الاعتماد البريطانى هى التى خرجت من المعركة غانمة، فقد كسبت تصديق عرى الوحده [الوطنيه]، وكسبت جواً مشبعاً بالحقد الطائفى، غير أن دار الاعتماد البريطانى لم يفتها استغلال هذه الظروف فى تحقيق أغراضها السياسيه وإجباط المفاوضات العراقيه - البريطانيه، التى استهدف منها الجانب العراقى تعديل الاتفاقيه العسكريه على نحو يقرر إدخال التجنيد الإجبارى، فلم تجد دار الاعتماد - وهى التى كانت تعارض هذا المشروع - خيراً من هذا الجو تستغله فى

ص: ٧٨٣

١- (١) راجع تقييمات كتاب النصولى فى مجله (العرفان) العدد السابع، السنه الثالثه عشره، آذار ١٩٢٧. وكذلك مجله (المقتطف) فى العدد ١ مارس سنه ١٩٢٧. الجزء الثالث من المجلد السبعين. ونشرت مجله (الكشاف) العدد الثالث السنه الأولى. آذار ١٩٢٧ بعنوان (مظاهره حول كتاب النصولى).

خفق المشروع المذكور، الذي دعت إليه بعض الأوساط الوطنية فتمكنت من القضاء عليه بحيث طوى بعيداً (١).

وبالفعل كان سلاح إثارة الطائفية الذي استخدمته بريطانيا والمرتبطين معها، من أخطر الأسلحة التي تؤدي إلى تمزيق وحدة المسلمين، وقد كانت يقظه علماء الدين الواعين بالمرصاد لإحباط تلك المحاولات التي أثيرت ضد الدين الإسلامي أو ضد وحدة المسلمين، وقد شهد تاريخ السيد الاصفهاني - المرجع الأعلى للشيعة آنذاك - معالجات واعية بتوجيه منه، وذلك لصرف النظر عن طباعه الكتب الهدامة والممزقة للساحة الإسلامية عن طريق شراء المخطوطات من أصحابها مثلاً. وكذلك لإقناع بعض الكتّاب بضروره الابتعاد عن كتابه تلك الإثارات في الصحف والمجلات. وفي حالات خاصة حينما كانت تصل الأمور إلى درجة لا تطاق، كان السيد المرجع يستخدم الحسم الشرعي لقطع دابر المضللين عبر الفتاوى الصارمه، كما فعل ذلك مع أحد الخطباء وهو ينال من قدسيه بعض الأنبياء والأولياء بدوافع قوميه فمثلاً كان يستهين بمواقف الإمام زين العابدين عليه السلام لأن أمه فارسيه!! ومما يذكر أيضاً في هذا الصدد للمرجع السيد الاصفهاني إنه استطاع أن يخمد نار الفتنة التي كادت أن تشتعل بين المسلمين في البصره، من خلال بعض الإثارات الاعتقاديه المهمه (٢). كل ذلك لغرض رصّ

ص: ٧٨٤

-
- ١- (١) العمرى: مرجع سابق، ص ١٦٩-١٧٠. راجع التقرير البريطاني المرفوع إلى عصبه الأمم عن أحوال العراق لسنة ١٩٢٧، ترجم في جريده العالم العربي، بأعدادها التاليه: ١٧ و ١٨ و ٢٠، تشرين الثاني عام ١٩٢٨. ولمعرفه تفاصيل كتاب النصولى ووجهات النظر فى نقده، راجع، العمرى: المرجع ذاته، الفصل الرابع، بعنوان (كتاب وأزمه)، ص ١٤٤-١٧٠.
- ٢- (٢) تجد نص رساله السيد أبو الحسن الاصفهاني لأهالى البصره لدى، آل ضياء الدين، السيد ضياء: المرجع السابق، ص ١٦٥-١٦٦. للاطلاع على النص الكامل للرساله راجع الملحق رقم ٤٠ فى نهايه الكتاب. ويذكر المؤلف قصصاً كثيره فى صدد تعامل السيد مع بعض المؤلفين المغرضين، حيث استطاع أن يقنعهم بعدم نشر كتبهم. راجع المرجع ذاته، ص ١٥٩-٢١٧.

وبالفعل ما كانت تلك الإثارات المغرضه من نشر الكتب الهدّامه والمقالات المضلّله إلا حلقات مترابطه هدفها شلّ الأمه عن حركتها الفاعله. فقد سبقتها محاولات متعدده في كتب مشابهه، فمثلاً في ١ أيلول عام ١٩٢٣، ظهر في بغداد كتاب (النهضه الإسرائيلييه وتاريخها الخالد) يدعو لنصره الصهيونييه علناً، فتصدت له جريده الاستقلال التي كان يصدرها عبد الغفور البدرى، وكانت من أشهر الصحف حماسه في الدفاع عن فلسطين والقضيه الفلسطينييه، فنشرت في ١٤ أيلول ١٩٢٣، ٣ صفر ١٣٤٢هـ، كلمه حول الكتاب، ومما جاء فيها: «الكتاب ليس كما يدّعى المؤلف في عنوانه نهضه وتاريخ، بل دعوه إلى الإنضواء إلى لواء الصهيونييه»..، وفي ١٥ أيلول نشرت مقالاً ورد فيه «..ويشهد الله إننا كنا قد غضضنا الطرف عن الصهيونييه، ولكننا لما رأيناها تتفشى بيننا، ورأينا النجمه الصهيونييه مرسومه على أبواب المخازن، والتبرعات تذهب إلى فلسطين، كما بلّغنا، وكتاب (النهضه الإسرائيلييه) يباع على مشهدٍ منّا، رأينا السكوت عن ذلك خيانه» (١). بينما «كانت حوادث فلسطين الداميه تترك صداها العميق في الرأى العام وقد سارع الجمهور بسبب موقف الصحافه، وفي مناسبات مختلفه من عام ١٩٢٥-١٩٢٦ و ١٩٢٧، إلى عقد الاجتماعات الاحتجاجيه، وجمع الإعانات الماليه لمساعدته فلسطين العربييه» (٢)، وأيضاً من الطرق التي استهدفت تميع القيم الإسلامييه في داخل المجتمع العراقي، تلك المحاولات التطبيعيه من قبل الحركه الصهيونييه، منذ أوائل عام ١٩٢٨ مع دول الشرق الأوسط، وذلك لأغراض اقتصاديه في ظاهرها، ولكنها تستبطن أغراض جوهريه في الاستغلال والاستعمار الثقافى. فانتشرت إشاعه بأن (السير الفردموند) أحد أقطاب الحركه الصهيونييه وكبار رجال الأموال، سيصلون بغداد في ٨

١- (١) جريده الاستقلال: العدد ٢١٩. بتاريخ ١٤ أيلول ١٩٢٣. وكذلك العدد ٢٢٠ في ١٥ أيلول ١٩٢٣.

٢- (٢) العمرى، خيرى أمين: المرجع السابق، ص ١٧٢.

شباط ١٩٢٨ م، ١٧ شعبان ١٣٤٦هـ-، وإن الأقلية اليهودية في بغداد تعدّ لاستقبالهم، مما أثار الرأي الإسلامي العام ضد هذه الخطوه التي تعدّ استفزازاً مباشراً لصميم مشاعر الشعب، لذلك «في ظهر يوم ٨ شباط إجتاحت شارع الرشيد [ببغداد] مظاهره طلابيه تحمل الاعلام العراقيه، وترفع لوحات كتب على بعضها (يسقط وعد بلفور) (فلتسقط الصهيونيه)، (فليرجع الزعيم الصهيوني الفردموند)، وقد تصدى رجال الشرطه إلى هذه المظاهره في محاوله لمنع مواصله سيرها نحو جسر الخر، فاشتبكوا معها في معركة عنيفه استعان فيها الطلبة بالحجاره والعصى والقناني واستخدم فيها الشرطه هراواتهم وخيولهم.. [مع ذلك] واصل الطلبة سيرهم نحو جسر الخر في جوّ من الحماسه ونشوه الظفر، وعند جسر الخر رابط الطلبة وعيونهم ترقب بحذر ونشاط وتفتش السيارات القادمه بغيه العثور على سياره (الفردموند) حتى إذا خيم الظلام ولم يجدوا أثراً لسياره (موند) عادوا إلى شارع الرشيد في الليل وهم يهوسون [يهتفون] بحماسه أشد [بقولهم]: «رَدِّينا السير موند وجينا» (١). فلم يبق في بغداد كثيراً بل رحل في ١٥ شباط ١٩٢٨ بصوره غير اعتياديه (٢). بعد أن نُقل تحت الحراسه المشدده والسّيره التامه إلى دار الاعتماد البريطاني. وتطورت القضيه حيث تحولت إلى مجلس الوزراء، وأراد المستشار القانوني لوزاره العدل (المستر دراور) اصدار مرسوم يخوّل وزير المعارف حق معاقبه الطلبة المعارضين، كما ويخوّل وزير الداخليه سلطه وضع الأشخاص تحت الرقابه وللمرسومين أثر رجعي لما مضى من الوقائع. وهنا رغب وزير العدليه حكمت سليمان بالاستقاله، وهُدّد وزير المعارف السويدي بالاستقاله فسحب المستشار العدلي الأثر الرجعي للمرسومين، لكن السلطه أنزلت عقوبات على عدد من الطلبة عبر محاكم

ص: ٧٨٦

-
- ١- (١) أي أرغما (السير الفردموند) على العوده والخروج من بلدنا، ومن ثم عدنا ظافرين. العمري، المرجع ذاته، ص ١٧٤-١٧٥.
 - أنظر ملحق جريده العراق في ٩ شباط ١٩٢٨، وجريده العالم العربي في ١٠ شباط ١٩٢٨.
 - ٢- (٢) العمري، المرجع ذاته، ص ١٩٠.

الجزء، بتهمه المظاهرات المعادية للسلطة، وبالفعل تم طرد بعض الطلبة من المدرسة (١).

في حينها تعاطف الرأي العام مع الطلبة، فعقد اجتماع في جامع الحيدر خانة، في أول جمعه من وقوع المظاهرات، ندّد المجتمعون بقرار فصل الطلبة ورفعوا شعارات تؤيد جهاد الفلسطينيين وتعادى الصهيونية وإسرائيل، فانعكست هذه النشاطات في الصحف المحليه والخارجيه (٢).

والملاحظ على هذه التطورات أن السلطات البريطانيه، بتخطيطها وتنفيذ الحكومه المحليه، قد استبدلت المعارك المبدئيه بين الإسلام والكفر، وذلك لأنها تؤدي إلى توحيد صفوف المسلمين ضد الكافرين، بمعارك داخلية فيما بين المسلمين أنفسهم، وذلك لأنها تحمل طابعاً تحريضياً يستبطن إثاره غرائزيه وعدوانيه، وفي حاله نشوبها ستتنازع الأمة فيما بينها، وتفكك عرى الوحده بين الناس، وتتفرق الأمة إلى أجزاء متعدده يسهل على الاستعمار تحريك بعضها ضد البعض الآخر عن طريق إثاره الروح الطائفيه أو القوميه وأحياناً المحليه، وبذلك سيجنى المستعمرون وأذناهم في السلطه ثمره تلك الصراعات الداخليه، فهم الغزاه لبلادنا، والغزاه لا- يفكرون إلا- بمصالحهم الخاصه، وهذه المصالح لا تتحقق لهم إلا عبر إذلالنا وتفريق كلمتنا وتشتيت وحدتنا، يقول الإمام على عليه السلام:

«آغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلّوا» (٣).

ص: ٧٨٧

- ١- (١) العمرى، المرجع ذاته، ص ١٧٧-١٧٨. تجد قائمه بأسماء الطلبة المفصولين في هامش صفحه ١٧٧، رقم (١).
- ٢- (٢) العمرى، المرجع السابق، ص ١٧٩. راجع ملحق جريده العراق، الصادر بتاريخ ١٥ شباط ١٩٢٨ وقد نقل العمرى أقوال الصحف المحليه والعربيه وتفاعلات القضيه في الساحة العراقيه على المستوى الشعبى والرسمى، وداخل مجلس النواب أيضاً. كما ونشرت (الديلى اكسبرس) مقاله بعنوان (الرقابه لكمّ الأفواه في العراق) أشار إليها مراسل الصحيفه إلى أن السلطه العراقيه تحجر البرقيات لتعرضها على المندوب السامى. وإن سكرتير المندوب السامى منع إرسال البرقيات حول المظاهرات الطلابيه ضد (موند). وقد أثيرت المسأله داخل مجلس العموم البريطاني. كذلك، راجع العمرى، المرجع ذاته، ص ١٧٩-١٩٢.
- ٣- (٣) نهج البلاغه، باب الخطب، رقم ٢٧. عُقر الدار - بالضم -: وسطها وأصلها.

بالرغم من طغيان الموجه القومي والعلمانيه في المعارك الجديده، إلا أن الإسلاميين سجلوا محاولات للخروج من المأزق السياسي الخائق للحاله الإسلاميه، لاسيما من قبل العلماء الواعين، وذلك ليعيدوا المعادله الحقيقيه إلى الساحه الطبيعيه، أى إلى المعركه المبدئيه بين الكفر والإسلام، وبين الاحتلال وطلب الاستقلال، وذلك عبر تعميم نداء الاستغاثه بالمسلمين للخروج من المعارك الجانيه المحدوده إلى المعركه المصيريه، فدعوا الأمه الإسلاميه إلى خوض الجهاد المقدس ضد الكفار المعتدين على بلادنا، وطلبوا الأمه بتوحيد طاقتها من أقصاها إلى أقصاها ضد الصهيونيه والاستعمار. ففي تلك المرحله برزت شخصيات علمائيه تحمل هم الأمه الإسلاميه الموحد، أمثال: الشيخ حبيب الله العاملى، والشيخ محمد جواد البلاغى، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا المظفر، فمثلاً نطالع المواقف المبدئيه النبيله للعالم الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فى قضيه اغتصاب الصهاينه لفلسطين، ومما يذكر فى ترجمه حياه ومواقف هذا العالم المصلح: إن «تسليم الأرض المقدسه إلى الصهاينه كان أهم حادث أهاج عنده كامن الأحزان وأثار لاعج الأشجان، فبعد حضوره للمؤتمر الإسلامى المنعقد فى بيت المقدس ٢٧ رجب ١٣٥٠هـ-، ٧ كانون الأول ١٩٣١م، ظل يخطب وينشر المقالات والفتاوى منذراً بالخطر الدايم، مثيراً المشاعر والهمم لتلافي الخطر. وقد آلمه الخمود والهمود والخنوع والخضوع الذى عمّ العالم

العربي والإسلامي إزاء المصيبة الفادحة، بسبب سيطره المستعمرين القاهره، وتسلط عملائه وصنائعه في البلاد العربيه، وآلمه أن يجد العين بصيره واليد قصيره والجناح كسيره، والأمر لا يطاع والكلام صيحه في واد، ونفخه في رماد.

لقد أسمعَت لو ناديتَ حياً ولكن لا حياه لمن تنادى

كما كان يكرر ذلك، ودفعه إلى أداء واجبه في الكلام والكتابه والخطابه رغبته في تنفيس الكرب ونفث ما في الصدور، وتخفيف العبء، وترويح النفس، وأملأً بأن يُحدث الله بعد ذلك أمراً، وإن الليالي حُبلى تلد كل عجيب ولا بد للضعيف من ناصر ولا بد للمظلوم من يومٍ ينتصر فيه على الظالم» (١).

إن هذه المواقف المسؤوله أطلقها هذا الإمام الكبير بشجاعه فائقه، في وقت منع فيه العلماء من التدخل في الشؤون السياسيه، فكأنما توزعت الأدوار ما بين العلماء الإسلاميين للتصدى للمستعمرين من كافة الجبهات. ففي العراق كانت الخطه البريطانيه مترامنه في خطوتين خطيرتين:

الأولى: تجميد النشاط السياسي للعلماء الكبار.

الثانيه: تعريض الساحه الإسلاميه على المستوى الشعبي والنخبوي عبر المدارس الحديثه والإرساليات التبشيره، لصراعات فكريه حاده تستهدف زعزعه ثقه المسلمين بالقرآن والتعاليم الإسلاميه. إلا أن المرجع الأعلى الإمام الاصفهاني والعلماء الآخرين تصدوا لقياده الثوره الثقافيه في تلك الظروف الصعبه، فبرزت نشاطات إسلاميه وفعاليات تربويه هادفه في تلك الآونه وخصوصاً في النجف وكربلاء والكاظميه، وغيرها من مدن العراق. وذلك عندما أحست القيادات الدينيه بخطوره الحملات التبشيره التي كانت تمتاز بالخدمات الصحيه، والمساعدات الإنسانيه وتوزيع الكتب

ص: ٧٨٩

١- (١) كاشف الغطاء، محمد حسين: في السياسه والحكمه، دار التوجيه الإسلامى (بلا تاريخ)، من تقديم الكتاب، بقلم ولده عبد الحلیم، ص ٩، تاريخ المقدمه سنه ١٩٧٥م.

الخاصه بالتبشير المسيحي، والتشكيك بالإسلام، لذلك تصدى الإسلاميون خصوصاً العلماء للوقوف أمامها. ففي مدينة العماره فى جنوب العراق - مثلاً - نشطت الإرساليات التبشيرية، لذلك ذهب إليها الشيخ حبيب الله العاملى فى ١٩٢٨، لمواجهة التحرك الصليبي، المتميز بالإمكانات المالىة الكبيره للحملات التبشيرية إلى جانب السلطه والقوه العسكرية البريطانيه التى تضىفى هاله معينه لتحركهم، إلا- أن الشيخ العاملى استطاع أن يؤسس فيها مكتبه إسلاميه هادفه، جذبت الشباب إليها بدلاً من المكتبه البريطانيه، وأصدر مجله الهدى سنه ١٩٢٩، وهى مجله إسلاميه ثقافيه تربويه، آعتنت بتسليح الجيل الصاعد بالثقافه الواعيه أمام الهجوم الثقافى لأدوات المحتل الغادر. ومن ثم استطاع أن يعرقل نجاح المشفى البريطانى التابع للحمله التبشيرية، وذلك بإصداره فتوى تحرم مراجعه المشفى المذكور، لأن رجال التبشير كانوا يستغلون المرضى فى حاله ضعفهم، لإملاء الأفكار الصليبيه عليهم، وقد نجح الشيخ فى مهمته بعد أن رتب البديل على نفقته الخاصه بالإتفاق مع طبيب لبنانى. ومما يذكر حول هذه النشاطات الإصلاحيه والثقافيه إنها كانت تعتبر ضمن نشاط التحرك الإسلامى فى منظور أجهزه السلطه، لذلك كانت لهؤلاء المصلحين معاناه خاصه مع الإداريين والشرطه المحليين، لأنهم كانوا إلى جانب الحملات التبشيرية والمشاريع الحكوميه، وبالمقابل كانوا يعرقلون مشاريع التيار الإسلامى حتى فى المجال التربوى العام، خوفاً من تطوره وانتقاله إلى المجال السياسى والجهادى.

وقد كانت القيادات الدينيه بما فيها المرجع الأعلى فى سعى حثيث وعمل متواصل لدعم هذه المحاولات التربويه. ومن المفيد أن نذكر أن العمل الثقافى فى تلك المرحله كان يلقى استجابه - أحياناً - من رجال السلطه أيضاً، إما لتوازنات خاصه بين أجنحه النظام، أو لهدف معين يقصدونه ضمن الخطه، ولكن المهم أن الحصيله النهائيه تصب إلى جانب الإسلاميين المصلحين. كما حدث مع الرجل المصلح الشيخ العاملى،

حيث التقى الملك فيصل، فطلب منه تغيير رئيس الأطباء ومدير الشرطة والمحافظ لمدينه العماره الذين كانوا يعتبرون بمثابة العقبه الكبيره أمام توجهاته الثقافيه والتربويه هناك. واستجاب الملك لمطالبه. فأعيد نشاط المشفى الملكى الحكومى وأغلق مشفى الحمله التبشيريّه، ومن نشاطاته الثقافيه أيضاً، أصدر قصه ممتعّه بعنوان (محمد الشفيح) رداً على كتاب أصدرته الحمله التبشيريّه بعنوان (من يشفيح لنا؟) وقد أكدت هذه الدراره على أن النبى عيسى بن مريم عليه السلام هو الشفيح يوم الحساب (١).

كما وأصدر الشيخ محمد جواد البلاغى المتوفى سنه ١٣٥٢هـ-، ١٩٣٤م، كتب مهمه منها: الهدى إلى دين المصطفى، وكتاب التوحيد والتثليث، وأنوار الهدى، والبلاغ المبين، ورساله فى رد شبهات الملحدين..، وكانت هذه الكتب فى غايه الأهميه آنذاك فى اتجاه تقويه الإيمان بالشريعہ الإسلاميه الخاتمہ للديانات، فكانت تبته المسلمين المرشحين لقبول تأثيرات الصليبيين، وذلك بدفع الشبهات عن الشريعہ الإسلاميه بأسلوب علمى واضح (٢). وكانت هذه الكتب وأمثالها تبث الوعى الإسلامى فى المجتمع، وتقف بحزم أمام الأفكار المستجده التى تعتبر من إفرازات الثقافه الغربيه، كفصل الدين عن السياسه، وحصص الدين الإسلامى فى إطار العبادات دون المعاملات، يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فى حديثه عن الأحزاب والسياسه: «..أما التدخل بالسياسه، فإن كان المعنى به هو الوعظ والإرشاد، والنهى عن الفساد والنصيحه للحاكمين بل لعامه العباد والتحذير من الوقوع فى حبال الاستعمار والاستعباد، ووضع القيود والأغلال على البلاد وأبناء البلاد. إن كانت السياسه هى هذه الأمور.. نعم أنا غارق فيها إلى هامتى، وهى من واجباتى وأرانى مسؤولاً عنها أمام الله والوجدان وهى من وظائفى.. فسياستنا هى سياسه النبى والأئمه - سلام الله عليهم - الخاليه عن كل هوى وهوس

ص: ٧٩١

١- (١) شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، التحرك الإسلامى، ج ٢، ص ٣٠٥-٣١٠.

٢- (٢) شبر، حسن: المرجع ذاته، ص ٣١٢.

وطمع وذنس.. وإذا كان المعنى بالسياسه، هو إحداث الفتن والثورات والاضطرابات للتوصل إلى الحكم والجلوس على الكراسى الناعمه لمعامله الناس بالخشونه والغطرسه والكبرياء واستغلال النفوذ للمنافع الذاتيه، والأطماع الدنيويّه والسمره للأجانب على البلاد، وتسلطهم على الأمه، ولو بإراقه الدماء، إن كانت السياسه هذا وما إليه، فإنى أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوى الرجيم..» (١).

ومن الضرورى أن نشير هنا إلى أن هذه الطريقه من الوعظ والإرشاد لغرض الإصلاح، طريقه مهمه، تنفع للتذكير والتنبيه والتصحيح، إلاّ أنها بحاجه إلى الجانب العملى والميدانى، وبه تستكمل شرائط النهضه، فالسؤال المطروح هو: هل يكفى هذا الأسلوب الإرشادى من دون مشروع عملى، ضمن الظروف الموضوعيه المتاحة؟

فى الواقع إن هذا الأسلوب يصلح فى ظل حكومه وطنيه مسلمه تحتاج إلى ترميمات لنواقصها وسلبياتها. أما حينما تكون هويه المسلمين مهده من قبل المستعمرين فى بلادهم، فالمسأله تحتاج إلى خطه عميقه، تتظافر فيها جهود المخلصين، لتتكامل شرائط بناء الإنسان والوطن. بدءاً من التخلص من المحتلين وانتهاءً بإقامه حكومه العدل والمساواه، ومروراً ببث الوعى الأصيل ولملمه طاقات الأمه، وتوحيد صفوفها. وهذه الحاله أخذت تتبلور لدى بعض العلماء المجتهدين، وظهرت فيما بعد شيئاً فشيئاً.

فلقد أكد الإمام المصلح الشيخ كاشف الغطاء على حثّ المسلمين على التمسك

ص: ٧٩٢

١- (١) كاشف الغطاء، محمد حسين: المرجع السابق، ص ١٠٥-١٠٦. ولمعرفه موافقه السياسه المعبره عن موقف الإسلاميين بصوره عامه، بشأن قضيه فلسطين والجهاد ضد الصهاينه، راجع المرجع ذاته، ص ٥٩-٦٦. وفى الكتاب بحوث حول المطالب الأساسيه للمسلمين فى تلك المرحله، والأهداف الكبرى للإسلام فى المؤاخاه والوحده الإسلاميه، والرّد على التفرقه الطائفيه، والأفكار الهدّامه، راجع بحثه (حول قضيه البهائيه) المرجع نفسه، ص ٥٥-٥٨. كذلك بحثه (نداء إلى الطوائف الإسلاميه فى البحرين) ص ٤٧-٤٨.

بعقيدتهم. ووحده صفوفهم، حيث قال: «..إن قصارى من دعوتى هذه، أن أستنهض همم إخوانى المسلمين واستلفت أنظارهم واستحضر أفكارهم، وأستثير مدافع غيرتهم ونيران عزايمهم بجميع شعبيهم وعناصرهم وأسناخهم وأواصرهم راغباً بعاطفه الإسلام إليهم ناشراً عليهم دعوته وصرخته فيهم وبغيته منهم، متوسلاً بكل وسيله أن يجدوا ويجتهدوا.. فى إعاده مجدهم المؤثل، والعود إلى مقامهم الأول، ولا يتسنى لهم ذلك إلا بأن ينتبهوا من خدر الكسل إلى نشاط العمل، وينهضوا من وهده الجهل إلى ذروه العلم، ويمتطوا صهوه المعارف وغارب الطلب ويذلوا النفس والنفس دون التفانى على التمسك بعرى هذا الدين، ويحملوه أشد ما يكون بكلتا اليدين بل فى القلوب وعلى الرأس والعين، فإن فيه معادن البركات وينبوع الخيرات وجامع السعادات.. [حتى يقول].. والإسلام فى أشد الحاجه اليوم إلى ما كان محتاجاً إليه بالأمس، من اتحاد الكلمه وجمع شتات عناصر الأمة والتحزب والتآلف بجامعه حكمه التوحيد المقدسه والتعاون والتعاوض بقوه العلم وسطوه العمل..» (١).

ومن النماذج المهمه أيضاً، الشيخ الكبير محمد رضا المظفر المتوفى عام ١٩٦٣م، فهو يعد من أبرز العلماء المهتمين بتطوير المناهج الدراسيه للحوزات الدينيه، وقد أظهر براعه مهمه فى تحديثها بما يتناسب مع التجديد المتأصل، فكتب عده كتب دراسيه، وقد أصبحت معتمده فى الدراسات الفقهيّه، ومن أبرزها كتاب: المنطق، وكتاب: أصول الفقه، وكتاب: عقائد الإماميه (٢)، حيث يشهد جيلنا الحالى بفضله وخدماته العلميه، ومساهماته الكبيره فى إنجاح المشروع الكبير لجمعيه منتدى النشر التى أسست فى ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م. حيث كانت «مقاصد المنتدى تعميم الثقافه الإسلاميه والعلميه والإصلاح الاجتماعى بواسطه النشر والتأليف والتعليم، وغير ذلك من الطرق

ص: ٧٩٣

١- (١) كاشف الغطاء، محمد حسين: المرجع ذاته، ص ٣٢.

٢- (٢) هذه الكتب للشيخ محمد رضا المظفر طبعت مراراً فى النجف وبيروت وقم.

المشروع، التي يسنها مجلس إدارته» (١).

وقد أُسست في بغداد (جمعيه الهدايه الإسلاميه) في ١ كانون الثاني ١٩٣٠، وكانت غايتها مقاومه الإلحاد وفضح أساليب نشره في صفوف شباب المسلمين. وكانت برئاسة الشيخ إبراهيم الراوى (٢).

وفي كربلاء أحدث المرجع السيد حسين القمى المتوفى سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م نقله نوعيه في الحركة العلميه بكربلاء إثر دروسه وبحوثه، فكان يشترك كبار الأساتذه والعلماء فيها، أمثال الميرزا مهدى الشيرازى والسيد محمد هادى الميلانى والمرجع الكبير أبو القاسم الخوئى الذى حضر كربلاء لفترة قصيره باحثاً وأستاذاً. وحتى حينما آلت المرجعيه العليا إلى السيد القمى وانتقل إلى النجف الأشرف بقيت كربلاء تؤدى رسالتها العلميه فى الفقه والأصول، والإصلاحيه عبر التبليغ فظهر فيها «علماء كبار فطاحل يصنفون بالطبقه الممتازه ممن أغنوا الحوزه بدروسهم وبحوثهم الفقيهيه والأصوليه أمثال العالم الشيخ على الشاهرودى المتوفى سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م» (٣) والعلامه الميرزا هادى الخراسانى الحائرى المتوفى سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، الذى عرف بالتأليف والتحقيق، فصدر عنه كتاب (دعوه الحق) و(أصول الشيعه وفروع الشريعه)، وغيرهما. وكذلك ظهر السيد عبد الحسين الحججه أحد كبار علماء كربلاء المتوفى سنة ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م، بأسلوبه الخاص فى التعامل مع المسؤولين والإداريين، فقد عرف بالشجاعه والتصدى المباشر لهم، وكانت داره تعرف بالمحكمه من قبل الناس لفض المنازعات وحل الخصومات.

ص: ٧٩٤

١- (١) شبر، حسن: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٣١. وقد حصل الشيخ المظفر عبر جهوده الكبيره على موافقه رسميه لتأسيس (كلية الفقه) فى النجف الأشرف. وأسست الجمعيه (لجنه الوعظ والخطابه) لتخريج الخطباء الهادفين وكذلك بعض المشاريع الصحيه والثقافيه والخدماتيه. وهذا الحديث يخص ما بعد مرحله بحثنا. راجع شبر، المرجع ذاته، ص ٣٢٩-٣٣٨.

٢- (٢) المرجع ذاته، ص ٣٤٢.

٣- (٣) الشاهرودى، نور الدين: الحركة العلميه فى كربلاء ص ١٨٥.

وقد أصدر السيد حسين القزويني الحائري المتوفى سنة ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م كتاب (المدينه الفاضله فى الإسلام)، رسم فيه معالم بناء السعاده فى ظل الإسلام. وهكذا شهدت الساحة الإسلاميه علماء كبار كان لهم الأثر الواضح فى تلك المرحله (١).

وعلى المستوى الحركى، حصل تطور محدود فى وضع الشيعه، يقول الدكتور خالد التميمى: «فى الفتره بين حزيران/ يونيو - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٢، تم اتخاذ خطوات من قبل علماء النجف وكربلاء ورؤساء القبائل فى الفرات الأوسط، نحو تأسيس حزب للشيعه، فى ١٦ تموز/ يوليو ١٩٣٢، جرت محاوله للقيام بتكوين (جمعيه شباب الشيعه)، وقد بلغ ضباط قسم المباحث الجنائيه عن العديد من المحاولات التى قامت بها عناصر من شباب الشيعه لتنظيم أنفسهم فى جمعيات طوعيه أريد بها توسيع نسبه الشيعه فى السلطه، لكنهم لم ينجحوا بسبب عدم شهرتهم وتأثيرهم فى الناس بالمفهوم التقليدى للتسلسل الاجتماعى. ومن بين الجمعيات التى أسست آنذاك جمعيه سرية تأسست فى النجف فى شهر آب/ أغسطس وسميت (الصباح).. وجمعيه شباب الشيعه هى التى أنشأها عبد الحسين كبه وسيد محمد حسين فى شهر تموز/ يوليو ١٩٣٢ فى بغداد [أنشأت] بمحاوله أخرى فى ٥ آب/ أغسطس ١٩٣٢، لكن عبد الحسين كبه أهمل الجمعيه لما علم مسبقاً بأنه سيصبح عضواً فى الوفد العلمى المبعوث إلى مصر للدراسه. ومن الجمعيات الشيعيه الأخرى هى (جمعيه الإحسان) التى دعمها الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء» (٢).

ص: ٧٩٥

١- (١) للمزيد من الاطلاع راجع المرجع ذاته، فقره الحركه العلميه فى كربلاء بالنصف الثانى للقرن الرابع عشر ص ٦٥ وما بعدها
فقره حوزه كربلاء بعد الشيرازى ص ١٨٣ وما بعدها.

٢- (٢) التميمى، د. خالد: محمد جعفر أبو الثمن، دراسه فى الزعامه السياسيه العراقيه، مرجع سابق، ص ٣١٣-٣١٤.

قُبِلَ العراق عضواً في عصبة الأمم في الثالث من تشرين الأول عام ١٩٣٢، وبه أُلغى الانتداب عنه، وأُعلن استقلال العراق رسمياً (١). ويعتبر العراق «أول دولة منتدب عليها تحرز الاستقلال وتتخلص من الانتداب» (٢)، وهكذا تمّ «ظهور دولة جديدة إلى عالم الوجود بسلام بينما كان ذلك لا يحدث في الماضي إلاّ بوسائل العنف» (٣). وبذلك أصبح العراق العضو السابع والخمسين في العصبة، وثالث دولة في الشرق الأوسط تدخل المنظمه الدوليه (٤)، إلا أنه أُعلن - أيضاً - عن التزام العراق بكافه المعاهدات

ص: ٧٩٦

- ١- (١) منتشا شفيلي، ألبرت، م: العراق في سنوات الانتداب البريطاني، مرجع سابق، ص ٢٩٧.
- ٢- (٢) بصري، مير: أعلام السياسة في العراق الحديث، مرجع سابق، ص ٢٦٦. وللتفاصيل راجع: فوستر، هنري: نشأه العراق الحديث، ترجمه وتعليق سليم طه التكريتي، الجزء الثاني، الفصل الثاني عشر: إنهاء الانتداب ص ٤٤٩-٤٨٦. والفصل الثالث عشر: الحكايه بإيجاز ص ٤٨٧-٥٠٤.
- ٣- (٣) التكريتي، د. عبد المجيد كامل: مرجع سابق، ص ٣١٧. مقتبس عن دار الكتب والوثائق، ملفات البلاط الملكي، إضباره (دخول العراق عصبة الأمم)، تسلسل ٤٦٧٦- وع، رقم ك/١/١. كتاب رقم ٩٢٤ في ٢١ حزيران ١٩٣٢.
- ٤- (٤) كانت نتيجة التصويت لصالح انضمام العراق إلى عصبة الأمم بالإجماع تقريباً، حيث صوّت ٥٢ دولة من أصل ٥٦ دولة تشكل المنظمه الدوليه (عصبة الأمم) وقد أصبح نوري السعيد أول مندوب عربي يدخل العصبة. وبعد صدور القرار ألقى نوري السعيد خطاباً أمام المجلس، شكر فيه الحضور على قبول العراق عضواً في العصبة. النصيري، عبد الرزاق أحمد: نوري السعيد ودوره في السياسة العراقيه، مرجع سابق، ص ٢٩٩. وقد نُشر خطابه في جريده (صدي العهد) بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٣٢.

التي عقدها مع بريطانيا، وبجميع الالتزامات الماليه اتجاه الشركات الأجنبية، وكذلك حقوق الأقليات القوميه، وصدر في العراق النظام القضائي الموحد للعراقيين والأجانب بعد دخوله عصبه الأمم (١).

وهكذا انتقل العراق إلى فصل جديد من فصول المسرحيه الاستعماريه الطويله، فالجوهر الاستعماري بقي كما هو، بل تجذر عبر عملائه، فالإنكليز هم الحكام الحقيقيون للعراق، وما رجال السلطه المحليه إلا كدمى طيعه بأيديهم، يوجهونهم لأهدافهم، ويديرون الصراعات الداخليه وحاله المنافسه فيما بين السياسيين العراقيين، بطريقه تضمن لهم تحقيق المزيد من أهدافهم ومصالحهم، وذلك بأفضل السبل وأقل التكاليف. وكانت تلك السياسه البريطانيه تقتضى تبديل وجوه أبطال المسرحيه والشعارات والأسلوب الإداري، حسب الحاجه، «وعلى كل حال فإن يوم الاستقلال لم يكن أكثر من تكريس للاستعمار السياسي والاقتصادي البريطاني للعراق» (٢). و«صحيح أن العراق قد أحرز الاستقلال الوطني من الناحيه الاسمي، ولكنه مع ذلك كان تحت الانتداب. كما أن البلد لا يمكنه أن يوجد جيشاً قوياً قادراً على الدفاع عن الحدود دون إقرار الخدمه العسكريه الإلزاميه، ولكن ليس بمقدوره إقرار الخدمه الإلزاميه لأنه لا يملك جيشاً قوياً يمكنه من فرض هذا القانون.. لقد كان الوزراء، ورؤساء الوحدات الإداريه العراقيون يصرّحون علناً بأنهم يصادفون هذا (الوضع الشاذ) في كل دائره، فالحكومه العراقيه كانت تدير السكك الحديديه وميناء البصره، ولكن لم تكن تملكها.. والحكومات الأجنبية كان بمقدورها أن تمارس تمييزاً موجهاً ضد الرعايا العراقيين في قضايا التعريفات وغيرها من المسائل، في حين لم يكن من حق الحكومه العراقيه أن تقابلها بالمثل. والرعايا الأجانب يتمتعون بحقوق قضائيه خاصه في العراق،

ص: ٧٩٧

١- (١) منتشا شفيلى: المرجع السابق، ص ٢٩٧.

٢- (٢) ضياء الدين، خالد: مرجع سابق، ص ٢٦١.

لكن الرعايا العراقيين لا- يتمتعون بامتيازات متشابهه في الخارج. والحكومه العراقيه كانت تدفع نصف مصروفات المندوب السامى وموظفيه فى العراق، لكنها لا تملك الإشراف على صرفها..» (١). فأُدخل العراق فى تلك المرحله تحت الوصايه الفعلية للإنكليز، فالمندوب السامى الذى أصبح سفير بريطانيا فى العراق بعد دخوله عصبه الأمم، «ظل يلعب دوراً بارزاً فى حياه البلاد السياسيه، فمن غير الممكن عملياً تشكيل أى وزاره دون موافقه منه، كما أنه كان يحضر اجتماعات الحكومه إلى جانب العديد من الموظفين المستشارين (الخبراء) الذين كان جهاز الدوله يعجّ بهم، والبعثه العسكريه الإنكليزيه التى كانت تسيطر على الجيش العراقى» (٢).

وهكذا نرى عهد الوصايه بآسم الاستقلال لم يختلف عن عهد الانتداب، حتى فى الأشخاص، وإنما التغيير قد نال العناوين الظاهريه فقط، يقول الأستاذ حسين جميل: «إن الحاكمين فى عهد الاستقلال (الناقص لسبب أحكام معاهده ١٩٣٠ التى تنتقص من هذا الاستقلال) هم نفس الحاكمين فى عهد الانتداب (المندوب السامى) حل محله (السفير البريطانى) بمركزه الممتاز الذى هيئته له معاهده ١٩٣٠، وامتيازات بريطانيا فى العراق، واستمرار نفوذها فيه، والملك.. والوزراء نفس الوزراء السابقين، واستمر تزييف النظام البرلمانى ومفاهيم هذا النظام ومؤسساته، بتكوين مجالس للنواب يختار الحاكمون أعضاءها، بحيث لم يكن للنخبين رأى فى نوابهم إلى سنة ١٩٤٧.. بحيث أصبح مجلس النواب، ليس مجلس نواب الشعب، بل مجلس نواب الوزاره..» (٣).

والآن، وبعد الوصول إلى هذه النتائج إثر تلك التجربه الإسلاميه المليئه

ص: ٧٩٨

١- (١) منتشا شفيلى: المرجع ذاته، ص ٢٨١-٢٨٢.

٢- (٢) منتشا شفيلى: المرجع نفسه، ص ٢٨٣.

٣- (٣) جميل، حسين: فى تقديمه لكتاب الأحزاب السياسيه فى العراق ١٩٢١-١٩٣٢، مرجع سابق، ص ٩-١٠.

بالتضحيات والمواقف والنشاطات، يبقى أمامنا السؤال المصيري التالي:

أين النتائج التي كانت متوقعة لعموم التحرك السياسي والجهادي والتربوي في تلك المرحلة؟ وبمعنى آخر، أين مواطن الخلل التي حالت دون الوصول إلى تلك النتائج؟ والذي يمكن قوله - باختصار - في الإجابة عن هذه الإثارة، هو إن الخطه التغييريه كانت تشكو من ضعف قدرتها على توظيف طاقات الأمة في الساحة السياسيّه، على ضوء رؤيه المراجع القاده، ولعل السبب يعود إلى ضعف حلقة الوصل ما بين القائد والأمة، هذه الحلقة التي من المفروض أن تكون على درجه عاليه من الوعي والحكمه لتتمكن من توجيه حركه الأمة وضبطها في حاله المعارضه السياسيّه أو العمل الثوري، وأما السبل التي أُتبعَت للوصول إلى الأهداف الكبيره في إقامه حكم وطني إسلامي مستقل على أرض الرافدين، قد أدخلت القضية في دهاليز متعدده وأحياناً كانت مجهده إلى درجه كبيره، وخاصه بالنسبه للقيادات الدينيه العليا حيث إنها غابت عن الساحة في لحظات حرجه، كما حدث لقائد ثوره العشرين. ومن ثم التراجعات من قبل العلماء القاده عن التدخل في الشؤون السياسيّه للعراق، وأخيراً الدخول في المعارك الثقافيه، والوقوف عند حدّها - تقريباً - في تلك الحقبه الزمنيه، كمدافعين أو مهاجمين، كل ذلك أدى إلى وصول القضية إلى هذه النتائج، غير المتناسبه مع التضحيات الكبيره التي قدمها الشعب العراقي المسلم في مسيرته التحرريّه. ولكن بالإضافة إلى ما تقدم، تبقى تلك الحقبه الزمنيه حيّه في وجدان الأمة، نابضه بالمعنويات والذكريات البطوليّه، وغنيه بالمواقف والعبر، التي لو وُظفت بشكلٍ صحيحٍ في المسيره السياسيّه الحاليّه، لكانت تؤتي ثمارها لصالح الأمة، أي في بناء الوطن كما يطمح الواعون و المخلصون.

وبالعودة إلى تلك المرحلة، وعلى المستوى السياسي والإداري، فقد تمّ ربط العراق ببريطانيا ربطاً محكماً عبر الحكومه العراقيّه، تحت غطاء الاستقلال الرسمي المعلن

إلا- أنه في الحقيقة كان استقلالاً اسمياً لا فعلياً (١)، وبالإضافة إلى ذلك تمّ تحقيق الهدف المركزي للاستعمار البريطاني في العراق، وهو إبعاد الإسلاميين وبالذات العلماء المراجع، من التدخل في الشؤون السياسيّه، وبذلك تمّ تحجيم الشريعة الإسلاميّه في زاويا العبادات وبعض الشؤون الاجتماعيّه كالزواج والطلاق، منفصله عن السياسيّه والإداره للبلاد.

وقد كرّست الحكومات العراقيّه المتعاقبه مبدأ فصل الدين عن السياسيّه. كنتيجه مستحصله من السياسيّه الاستعماريّه، وشيئاً فشيئاً تعمّقت هذه الفكره بين العراقيين، وأصبح الشعب مزدوج الثقافه، فثقافه تغذيه من الجانب الروحي في العباده والسلوك الاجتماعي، يتولاها علماء الدين، وثقافه الواقع السياسي والإداري والوظيفي، تتولاها الحكومه المرتبطه بالأجنبي. وقد ضعف دور العلماء في حياه الأممه حتى في الدور التربوي والعبادي، نتيجه لتلك السياسيّه الاستعماريّه وما أُشيع حول علماء الدين من دعايات مغرضه هدفها شلّ حركتهم داخل الأممه، وقد بلغت الأزمه شدّتها حينما تجسّد ذلك الواقع المرير في ظهور خط فكري استسلامي داخل الأممه، وبذلك تحققت أمنيّه الاستعمار في محاوله تحنيط تعاليم الإسلام ضمن طقوس فارغه من الروح الحركيه الفاعله، التي تؤدى إلى بناء الوطن والحياه الكريمه.

والأدهى من ذلك إن الإداره السياسيّه العراقيّه كرسّت هذه التوجهات البريطانيّه كأساليب وقائيه، خوفاً من انتشار الوعي الإسلامي العام مجدداً ونهوض المسلمين ضد العمليه السياسيّه القائمّه، بل استخدمت لتحقيق هذا الهدف أنواع الإثارات الطائفيّه، والمذهبيّه وكذلك القوميّه والإقليميّه والمحليّه أحياناً، مما ساعد على حصر فعاليه العلماء والإسلاميين وإبعاد الناس عنهم وعن أطروحتهم الحياتيه. ومما يذكر في هذا الصدد، إن

ص: ٨٠٠

١- (١) التكريتي، د. عبد المجيد كامل: مرجع سابق، ص ٣٢٨-٣٢٩. راجع، صايغ، د. أمين: في مفهوم الزعامه السياسيّه من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر، بيروت ١٩٦٥، ص ٤٩.

الملك فيصل الأول شعر بعد مرور عشر سنوات على تأسيس الدوله العراقيه على «أن سلطته تعاني من عدم التوازن في التصرف المذهبي والقومي، فكتب مذكره إلى الزعماء العراقيين يسألهم فيها، إذا كان صحيحاً ما يقال من أن على الشيعة والأكراد، التجنيد والضرائب دون حقوق أخرى وأنهم لمحرمون من حقوق العمل في المؤسسات الحكوميه، وإن مناطقهم تعاني من تمييز مقصود في حصتها من المؤسسات التعليميه والصحيه؟ وأضاف الملك.. إننا ورثنا حكومه على أنقاض الحكومه العثمانيه فكيف نعمل؟ وما هي الحلول المقترحه؟ وكان قد أجاب معظم الذين استلموا مذكره الملك فيصل، على انفراد، لكن شبه إجماع كان يتمثل في إجابته ناجي شوكت التي أشار إليها في مذكراته قائلاً: إن على الحكومه أن تسعى بصوره محسوسه لتقليل نفوذ علماء الدين، بل لإبادته كلياً..» (١).

ولكن وبالرغم من تلك المحاولات من قبل الاستعمار وصنائه، فإن مبدأ فصل الدين عن السياسه، الذي خدمته الظروف الموضوعيه الضاغطة - آنذاك - قد أفرزته تلك التعهدات الخطيه من العلماء - كما تحدثنا سابقاً - لم يستمر خارج تلك الظروف المحدوده، زماناً ومكاناً إلا- لدى بعض النفوس الميَّاله إلى الراحة وعدم تحمل المسؤوليه الصعبه لقياده المسيره الإسلاميه. ولذلك سبرز في العراق كبار العلماء الإسلاميين الوطنيين لقياده الساعه في الفتره اللاحقه وهم ينسفون ذلك المبدأ الاستعماري (فصل الدين عن السياسه) من الناحيه الفكرية والعملية الميدانيه - أيضاً- (٢). إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن تطور تلك المحاولات لإزاله الركاب الاستعماري المؤثر عن صدر الأمه،

ص: ٨٠١

-
- ١- (١) نقلاً عن العلوي، حسن: التأثيرات التركيه في المشروع القومي العربي، مرجع سابق، ص ١٦١.
٢- (٢) أنظر شبر، حسن: مرجع سابق، ج ٢، ص ٣١٠-٣٣٨. نشاطات ومواقف الشيخ محمد جواد البلاغي، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا المظفر، كنماذج من العلماء المجتهدين منذ ١٣٥٢هـ-، ١٩٣٤م ومابعدها.

كان يواكبه على الدوام تطور ملحوظ في أساليب الاستعمار والحكّام المتسلطين على الأممه للوقوف أمام حركة الإسلاميين الناهضة.

وهكذا يبقى الهاجس المخيف لطموحات المستعمرين وصنائعهم في المنطقه، هو الإسلام والمبدئيون الواعون، لذلك اجتهدت -وتجتهد باستمرار- دوائر الاستعمار في محاولات طمس معالم هذا الدين الحنيف، خصوصاً في اتجاه النهضه السياسيه وبناء الوطن، وذلك بشتى الوسائل والأساليب الماكره. وقد كانت هنالك - للأسف - استعدادات ذاتيه لدى بعض الناس لتقبّل تلك التأثيرات الخارجيه، وبصراحه أدق، إنها ساعدت عمليه إنزال الفأس بالرأس - كما يقال، ومع ذلك أعود وأكرر القول - بأن الخوف الواقعي الذي يهزّ أعماق المستكبرين والانتهازيين، يأتي من الشريعه الإسلاميه ومن أصحاب المبادئ، الملتزمين والواعين الذين يتحملون مسؤوليه توجيه الأممه، فكرياً وسياسياً وإدارياً. وذلك لكون الشريعه الإسلاميه تمتلك من الحيويه الدائمه والحركيه المتفاعله مما يؤهلها لقياده دوله الإنسان، وإداره شؤون البشر بعدلٍ وأمنٍ واستقامه، طبعاً إذا توافرت لها الشروط والإمكانيات الكافيه لتحطيم تلك القيود ودفع الشبهات التي وضعها المستعمرون، أمام المسلمين، لغرض إقفال طريق النهضه أمام مسيرتهم، وتطويق الشريعه في أطرٍ محدوده، وإشغال المسلمين فيما بينهم بالتزاعات الداخليه، وإثاره الفتن الطائفيه و القوميه والإقليميه.

ففي هكذا ظروف إيجابيه ستفجر الأممه المتماسكه بمبادئها وقيمها طاقاتها العلميه والعملية، في سبيل تنفيذ ما يتوصل إليه العلماء المجتهدون، والواعون لمقاصد القرآن الكريم وسنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمه الأطهار من أهل البيت عليهم السلام، والعارفون بسيره الصالحين من الصحابه والتابعين، في طريق بناء الوطن المزدهر بخيراته، والعزيز بشعبه.

إن دراسه الأحداث المهمه فى التاريخ تعنى الدخول فى مدرسه التجارب الحياتيه بفصولها المتنوعه. هذه المدرسه التى تختزن كمّاً هائلاً من الدروس بنتائجها الملموسه، والعبر بمواعظها الثمينه، والسعيد من آتعتظ بتجارب غيره، ولقد قال تعالى فى الكتاب العزيز:

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ .. ١.

فلا يمكننا فهم حركه الأمم، واستيعاب الظواهر السلوكيه التى نشاهدها على سطح الأحداث بالمستوى الفردى أو الجمعى، من دون معرفه الجذور التاريخيه والخلفيات الثقافيه، والموروثات النفسيه، التى أنتجت هذه الظواهر الاجتماعيه، وهى أساساً منطلقه من جوهرها القديم، لكن بصياغه حديثه مطعمه بالمستجدات الطارئه على ضوء تطور الظروف. أمّا من يمتلك طموحاً لقياده الأمم، والدخول فى العمليه السياسيه وإداره المؤسسات الدستوريه، فالمسأله عندئذٍ تكون بالغه الأهميه وذلك لخطوره المهمه وثقل المسؤوليه. لأن دراسه أحداث التاريخ، من خلال نشاطات وفعاليات الناس على المستوى الحركى والسياسى تقتضى الانتقال إلى تلك الأيام السالفه، والتعرف على التجمعات الناشطه، والسير مع الناس فى الطرق والأزقه،

والجلوس معهم فى نواديهم واجتماعاتهم، واستنطاق ما يدور فى فكرهم وطموحهم، والتعرف عن كثب على المعالجات التى وصفت أو التى آتت لحلحه أزمه إقامه النظام، وكم حققت من نسبه النجاح على أرض الواقع؟ وما هى إفرات تلك المعالجات، وما هى طرق الوقايه منها؟ وذلك لغرض ترميم النواقص ومعالجه السليات بعد ربطها بالواقع المعاصر فى تجربتنا الحاليه. كل هذه الإضاءات تمنح الساعين لخير وصلاح الأمه خبره عاليه الدلالات، وتزود المتصدين للقياده السياسيه وعمليه التوجيه التربوى للأمم وعياً تجريبياً ثميناً، وتير الطريق أمام عموم المشتغلين، فى العمليه السياسيه، دروساً كبيره، بل تفتح أمامهم آفاقاً ميدانيه متوازنه، وترسم لهم خارطه طريق لبناء الوطن بالشكل الطموح.

من هنا تأتى أهميه محاوله السبر والتنقيب فى أعماق الأحداث التاريخيه، ومعايشه ملابسات ظروفها، خصوصاً للمتصدين السياسيين، والذين يشغلون مواقع إداريه مهمه فى الحكومه، وذلك لكى يدرسوا تلك المرحله الماضيه، ويتقوا الطريقه الفضلى لخدمه الإنسان فى ظل دوله القانون و المؤسسات.

ولكى نقرب الصوره بوضوح نذكر حالتين متقابلتين فى التعامل القيادى مع الآخرين، من خلال واقعنا الحالى، وهما:

الحاله الأولى: يتبنى بعض القاده الإسلاميين والساسه الحركيين والزعماء المحليين ووجهاء المدن فكره خاصه فى التعامل مع كوادرم وقواعدهم والجمهور العام، هذه الفكره تنبع من تربيتهم وظروفهم وحالتهم النفسيه التى يمتازون بها، فلكى يحافظوا على موقعهم القيادى بين الناس، أو مكانهم فى رأس الهرم التنظيمى فى أحزابهم يتبعون القاعده التى تقول: «جوع [شعبك] يركض وراءك». فيتعامل هذا القيادى مع عناصره، ويده مغلوله إلى عنقه بينما يبسطها كل البسط لأغراضه الشخصيه والعائليه

والدعاية والإعلام، منطلقاً من مقوله: «الأموال تفسد الرجال، والفلوس تخزب النفوس».

وفى الحاله الثانيه: ينبرى قيادى آخر فى تعامله مع عناصره وجمهوره وهو مبسوط اليد، يعتمد فى سلوكه على الكرم والبذل فيهتم بحياتهم المعيشيه وبذلك يكسب ودّهم وإخلاصهم له. منطلقاً من مقوله: «الأموال تكسب الرجال، وأصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب».

من هاتين الحالتين نستخلص درساً مهماً من الناحيه الواقعيه، خلاصته أن الأمه لا يمكن أن يسودها بخيل وأناى. يقول الإمام على عليه السلام فى وصفه للقائد الناجح وإمام الحق: «..لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامه المسلمين البخيل، فتكون فى أموالهم نهمته..» (١). بل أكثر من ذلك يدعو الإمام على عليه السلام إلى عدم اتخاذ البخيل فى الهيئه الاستشاريه، فقد قال عليه السلام فى عهده لمالك الاشر: «ولا تدخلن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشرّ بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله» (٢). إن هذه المسأله لا تتوقف عند حدودها فكما أنها حساسه من الناحيه النفسيه، فهى بالغه الخطوره من الناحيه العمليه، وذلك لأن المستعمرين والمحتلين بالذات سيلعبون بورقه الكرم والعطاء على حساب المبادئ فيجندون ما يحلو لهم من عناصر وحركات بهدف عرقله المسيره السياسيه، وذلك عن طريق الإرهاب وإثارة الفتن، للضغوط على المتصدين لقبول شروطهم. بينما ينجلى العلاج من خلال التجارب التاريخيه فى إتباع الكرم المدروس من قبل المتصدين لقياده الأمه من مراجع الدين أو القاده السياسيين، لىتم قطع الطريق أمام العدو المتربص

ص: ٨٠٧

١- (١) نهج البلاغه، باب الخطب، رقم ١٣١.

٢- (٢) نهج البلاغه، باب الرسائل، رقم ٥٣.

بالساحه والجاثم على صدر الأمه، الذى يسعى بشتى الأساليب والطرق ليخلق أجنحه داخله تخدم مصالحه ولو بعد حين.

وهكذا يزودنا التاريخ دروساً مجزّبه باتباع الأسلوب الأمثل فى طريقه التعامل مع الجمهور على مستوى قياده والإداره أو المداراه المطلوبه للوصول إلى هدف الإصلاح والنهضه. فالقائد المتصدى لقياده الساحه، هو الذى يسلك سبيل الاندماج الميدانى بآلام وآمال الشعب، يتحسس معاناتهم وينطلق بجديه التضحيه نحو تحقيق طموحاتهم فى الحياه. أما الذى يتصور بأن الناس يفكرون بعيونهم لا بعقولهم، إنما يستخفّ بقدرات الأمه، ويسخر من عقول الناس، فإذا كان يظن بأن ظهوره الإعلامى فى المقابلات والمحاضرات، والتعامل مع الأحداث عبر البيانات والتصريحات، هذه الطريقه تكفيه لقياده الناس، فإنه واهم، وذلك لأنه سوف لا يجد أحداً فى الميدان الفعلى من الواعين يوافقه على طرحه. لأنه فى الحقيقه يستبدل الأداء القيادى الفعلى بالخطابه و المنشورات العامه.

يقول الإمام على عليه السلام فى عهده للاشتر: «..و أكثر مدارسَ العلماء، ومناقشه الحكماء، فى تثبيت ما صيّلح عليه أمر بلادك، وإقامه ما استقام به الناس قبلك...وليكن آثر رؤوس جنديك عندك من واساهم فى معونته، وأفضّل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم. من خلوفِ أهليهم، حتى يكون همهم همياً واحداً فى جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، وإن أفضل قُرّه عين الولاه استقامه العدل فى البلاد، وظهور مودّه الرعيه. وإنه لا تظهر مودّتهم إلاّ بسلامه صدورهم..» (١).

إن الأمه التى تختزن فى داخلها طاقات الصمود الأسطورى فى ميدان المقاومه،

ص: ٨٠٨

١- (١) نهج البلاغه، باب الرسائل، رقم ٥٣. واساهم: ساعدهم بمعونته لهم. أفضّل عليهم: أى أفاض. الجدى -بكسر ففتح :- الغنى.

وقدرات التحدى الجبار فى ساحه الجهاد، وإمكانيات تربويه هائله، وامتدادات تاريخيه ملهمه لمسيره بناء دوله المؤسسات، إنما تسير على خطى القائد المنقذ لأزماتها، لا الكاتب والخطيب والشاعر، مع الاحترام والتقدير لهذه الأدوار المهمه.

وفى العراق تتجلى أهميه دراسه حركه العراقيين فى التاريخ الحديث بقياده الإسلاميين الوطنيين وعلى رأسهم المرجعيه الدينيه الشيعيه، حيث تم الاستنهاض الوطنى للشعب بكل مكوناتِه بواسطه فتاوى الجهاد، فوقف الشعب صفاً واحداً ضد المحتلين، الذين آسئدفوا الوحده الوطنيه، وعرقلوا بالقوه استمرار تصدى الإسلاميين للشأن السياسى، وقمعوا الحركه الوطنيه الاستقلاليه بالحديد والنار لئتموت فى مهدها، فأسقطوا حكومه كربلاء الوطنيه التى تشكلت بعد ثوره العشرين بإشراف المرجعيه الدينيه، والأدهى من ذلك زرعوا بؤر الفساد وخلايا الإرهاب داخل البلاد، ليثيروا الفتنة الطائفيه متى أرادوا، وذلك لغرض تمزيق كلمه الشعب، وهكذا استخدموا شبكات الإرهابيين كقنابل موقوته تهدد السلم الأهلى، بالسلب والنهب والقتل والاعتداء، وقد أوعزوا لأعداء الشعب بمهاجمه البلاد من الخارج، فباشر الوهابيون (الإخوان) [\(١\)](#) الذين قدموا من الحجاز هجومهم الوحشى ضد أهل العراق فى الوسط والجنوب، لأسباب سياسيه جنت ثمارها سلطه الاحتلال، خصوصاً فى اتجاه عرقله قيام الدوله الوطنيه المستقله.

إن دراسه تاريخ العراق الحديث فى الحقبه الزمنيه الممتده من ثوره الدستور ١٩٠٨م حتى الاستقلال الرسمى عام ١٩٣٢م، والتى احتوت على أحداث وتطورات ونشاطات سياسيه وجهاديه، كشفت بوضوح مدى قابليه الشعوب الإسلاميه على التصدى للمحتلين، ومقدار تضحياتها وهى تخوض معارك المصير ضد مشاريع السيطره والاستغلال للبلاد والعباد، ما دامت متمسكه بالإسلام مصدر عزتها وقوتها، وبوحده

ص: ٨٠٩

١- (١) الخالصى، الإمام الشيخ محمد: بطل الإسلام، ص ٤٠.

حركتها الوطنيه. فلقد قَدّم العراق صوراً ناصعه في الجهاد والكفاح من أجل نيل الاستقلال، وقد كلفت تلك التجربه المهمه شعب العراق أنهاراً من الدماء، وسيولاً من الدموع، واهتزت لصراخ الشائرين، ولآهات المظلومين أرض العراق حتى البرارى والوديان، كما وغطت سماء العراق نداءات التحرير وشعارات السياه والاستقلال. وما أحوجا اليوم إلى وعي متجدد لتلك التجربه التحرريه في ظل الاحتلال الجديد، وما رافقه من توظيف سياسى للتكفيريين بوجههم الإرهابى البغيض، الذين استهدفوا السلم الأهلى وإثاره الفتنة الطائفية خدمه للمحتلين. فمن خلال دراستنا التحليلية لتلك المرحله المهمه من تاريخنا الحديث، نسجل أهم النتائج التى توصلنا إليها، عسى أن تكون فى موقع الصواب والرضا، بغيه رقد المسيره الوطنيه المعاصره بما يشد من عزائم المتصدين، ويمدّهم بما ينتفعون به فى العمليه السياسيه لبناء العراق الجديد، وذلك عبر الفقرات التاليه:

١- إنّ الدين الإسلامى بمعناه الشمولى للحياه على المستوى العقدى والعبادى والسلوكى، الشخصى والجمعى، وكذلك من الناحيه الحركيه والسياسيه والجهاديه، هو الضمانه التامه للحياه الكريمه. والوسيله الناجحه لإنقاذ وضع المسلمين من حاله التدهور والضياع، لأنه يزود المؤمنين بالعزائم المتينه والهمم العاليه التى تمكّنهم من الوقوف أمام مشاريع المستعمرين بصلابه وحزم، لإحباط مؤامراتهم بالرغم من تطور أساليب الأعداء التى تستهدف فى جوهرها روح الإسلام، وتنوع أسلحتهم التى تستهدف المسلمين فى قدراتهم وخيرات بلادهم. فالالتزام الواعى بالإسلام هو سبيل الخلاص من قبضه المستعمرين، وإنقاذ أجيالنا الصاعده من شراكتهم، وتخليص خيرات العراق من أنيابهم، وذلك لأن الإسلام هو الدين الإلهى الذى يضمن للبشرية حين تطبيقه حياه الاستقرار والعداله والأمان، وذلك باسترجاع الحقوق إلى ذويها، والمحافظة عليها من دون ظلم أو استغلال، فى عصرٍ لا يفهم إلا لغه القوه والعنف. فالتطبيق

الصحيح للإسلام يضمن حقوق الجميع بما فيهم الأقليات الدينية والقومية بشكلٍ عادل، وسيعلم المستعمرون بأن الروح الإسلاميه تبقى حيه متفاعله في نفوس المؤمنين، تتفجر من خلالها ينابيع الخير والسلام لمن يحترم حقوق الإنسان والأمه، وتنفجر حمماً بركانيه على من يتآمر على حقوق الأمه، ويعتدى على كرامتها ويستهدف استقلالها. وكلما حاول المستكبرون بمختلف المراحل الماضيه والحاليه، أن يدخلوا إلى حياه المسلمين بشعاراتٍ براقه تستبطن أهدافهم التسلطيه، سرعان ما كان يفضحها الوعي الإسلامى. ومع أنهم كانوا يحصدون ما زرعوا ولكن حصادهم لم يبلغ ذروته، ففي كل مرحله كانوا يواجهون جيلاً من التحدى وسيلاً من المقاومه لمشاريعهم الاستعماريه. ولا- نقول إن المعركه قد آنتهت فصولها أبداً، وإنما تبقى مستمره ما دام في المسلمين تلك الروح النابضه بالحياه الكريمه، ومن خلال التجربه الواعيه نستخلص بأن الإسلام الصحيح هو الوعاء الطبيعى الذى يستوعب مشروع الإنسان فى تنظيم حياه، ووصوله إلى آماله النبيله فى إقامه دوله العدل ونظام المؤسسات الدستوريه واحترام الحقوق. وإن ظهر خللٌ فى حياتنا فهو يعود إلى ضعف وعينا بالإسلام، لا يرمم هذا الضعف بالترقيعات المستورده من الأنظمه الوضعيه.

٢- إن العراق الغنى بموارده الطبيعيه، وخصوبه أرضه، وموقعه الجغرافى المهم، إلى جانب كثافته السكانيه، وما يمتلك من تاريخ حضارى عريق، جعله هدفاً متميزاً للطامعين المستعمرين. لذلك تعرض للاحتلال البريطانى خلال الربع الأول من القرن الماضى، ويتعرض اليوم فى بدايه القرن الحالى للاحتلال المباشر أيضاً، مما يدل على أهميه هذا البلد فى الخارطه العامه لهذا الكوكب، ولكن فى الوقت نفسه يمنح هذا الموقع الاستراتيجى شعب العراق وسام الصداره فى الوقوف أمام المستعمرين ومقاومه جيوشهم وإفشال مخططاتهم الاستيلائييه فى المنطقه. ولعل هذه الحاله من التحدى الطويل جعلت شعب العراق شعباً متحمساً نهضوياً، وشاعراً عاطفياً، وناقداً بل

وسريع الغضب، وغيوراً في دفاعه عن حقه وعرضه وجاره، بل مضحياً من أجل الكرامه والعقيده، ولكنه في الوقت ذاته يكون بنسبه عامه متقلباً - أحياناً - في مواقفه. وقد عرف بالشجاعه والقساوه والتمرد والثوره على مرّ العصور. وتعدّ تجربته التحرريه في ثوره ١٩٢٠م تجربته رائده بالمنطقه جديره بالدراسه والتحليل، فهي غنيه بالمواقف الشجاعه ضد المحتلين في مختلف جبهات المواجهه - العسكريه والسياسيه والثقافيه-. ولم يتوقف العراقيون في جهادهم عند حدودهم الجغرافيه، فكما انبرى علماء المسلمين الشيعه في العراق لقياده المجاهدين العراقيين إلى جانب القوات العثمانيه النظاميه ضد الغزاه البريطانيين عند دخولهم جنوب العراق عام ١٩١٤م، كانت لهم مبادرات جهاديه ضد الغزاه الإيطاليين لليبيا عام ١٩١١م، وفي غيرها أيضاً.

٣- تعدّ تجربه الإسلاميين في العراق من التجارب الفريده بأبعادها ومراحلها، وأطر حركتها، فقد أغنت الحاله الإسلاميه العامه برؤى فكريه مبدئيه، ومواقف سياسيه نهضويه، وصور جهاديه نادره، أضافت إلى حلقات التاريخ الإسلامى مسلسلاً جهادياً مليئاً بالتضحيات والمعاناه والمواقف الصلبه. ويمكن القول بأنها كانت السبّاقه في تصدّيها لمواجهه الاحتلال الأجنبي - آنذاك - وقد تفاعلت مع التاريخ الجهادى والبطولى للأمه الإسلاميه منذ فجر الإسلام، وبذلك أضافت للإرث الحركى والسياسى والجهادى للأمه الإسلاميه عموماً وللأمه العربيه خصوصاً صوراً ناصعه وصفحات مشرقه في التاريخ الحديث، فأصبح المسلمون بهذه تجربه يمتلكون رصيلاً غنياً في طريق التحرير ونيل الاستقلال وبناء الوطن.

٤- أدرك الإنكليز أن قوه الإسلاميين الوطنيين تكمن في أمرين أساسيين هما:

الأمر الأول: يتعلق بالقياده المطاعه وهى تتمثل بالمرجعيه الدينيه الشيعيه، التى تمتاز بالمبدئيه والصرامه والشجاعه فى اتخاذ القرار الثورى. والأمر الثانى: يتعلق بالعمق

الشعبي الكبير المتمثل بالعشائر وأبناء المدن. فخطط الإنكليز مع مؤيديهم المحليين لإنزال ضربه قاصمه تحطم قوه العلماء من ناحيه، وسلطه شيوخ العشائر من ناحيه أخرى، فآندفعت الحكومه المحليه لتنفيذ المخطط البريطاني بكل قوه وذلك لكون العلماء ورؤساء العشائر وامتداداتهم يشكلون العقبه الكأداء أمام المشروع البريطاني للاستيلاء على العراق والمنطقه.

٥- ضمن المخطط البريطاني تمّ إقصاء الشيعة بالذات عن المناصب الإداريه داخل الحكومه منذ تشكيلها أول مرّه. فلقد كانت السياسه البريطانيه التي نفّذها (كوكس) بهذا الاتجاه. ومما لا شك فيه إن هذه السياسه الإداريه تحمل هدفاً أساسياً واضحاً على المدى القريب والبعيد، وهو شحن الاحتقان الطائفي بين السنه والشيعه، لخلق العداه بين الطرفين الذي يمهد لإثاره الفتنة داخل الأمه، وإشعال الحرب الأهليه. بينما كان من المفروض على العراقيين المتصدين للشأن السياسى والإدارى - بدءاً من السيد النقيب الكيلانى فى بدايه الأمر، ومن جاء من بعده من المسؤولين - أن يتعاملوا مع الشعب بكل أطيافه بشكل عادل، وأن لا يزجوا بأنفسهم فى تنفيذ خطه طائفيه غير حكيمه، فرضتها السلطه الأجنبيه المحتله، التي لا تريد الخير لكل العراقيين، وإنما تبحث عن مصالحها فقط. فكان الأجدد بالمسؤولين الإداريين الذين اعتمدت عليهم سلطه الاحتلال أن لا ينساقوا وراء سياسه (فرّق تسد)، وأن لا يكونوا رأس الحربه ضد الساده العلماء، ورؤساء العشائر، واخوتهم من الوطنيين المخلصين، الذين لولا جهادهم لم تغتير بريطانيا سياستها، ولم توافق على الاعتماد عليهم ولو بهذا القدر، ليكونوا واجهات عراقيه يمرّر المخطط الاستعمارى من خلالهم، ففى تقديرنا، لقد ساهمت الحكومات المحليه للأسف الشديد فى تخزين وقود الفتنة الطائفيه عبر إقصاء الشيعة إدارياً ومحاربتهم سياسياً، وهم أكثره شعب العراق.

٦- لقد تبلورت حركة العراقيين سياسياً وجهادياً بعد انتهاء دور الدوله العثمانيه، وتعرض المنطقه للاحتلال الأجنبي، لذلك تعتبر تلك الحقبه الزمنيه التي شهدت بزوغ حركة النهضه والتحرر من الاستعمار، هي مرحله تأسيسيه للتحرك السياسى الحديث فى العراق، فلقد شكّلت تلك المرحله انطلاقه حركة الوعى السياسى فى الأمه، التي رسمت خارطه الطريق لبناء الوطن السيد المستقل، ولقد تحمّل الإسلاميون الوطنيون صعوبات المرحله التأسيسيه لمسيره النهضه الحديثه. ومن أبرز تلك الصعوبات حجم التضحيات من قبل العلماء المتصدين ورؤساء العشائر والسياسيين (الافنديه) على ما يصطلح عليهم، وعموم الشعب، وقد اجتمعت المكوّنات المتعدده للشعب تحت رايه المرجع الأكبر للمسلمين الشيعه، وهذه مسأله ليست بسيطه خصوصاً فى أدوار المعارضه السياسيه والمقاومه الثوريه، فالقياده الدينيه وحث الساعه العامه باتجاه المعارضه والثوره، إلا أن المسأله الخطيره التي برزت بعد ثوره العشرين كانت تتمحور فى محاولات الاحتواء لبعض الساسه، وقد استطاعت الإداره البريطانيه من خلق أو دعم بعض الوجوه العراقيه، ممن يمتلكون استعداداً عدوانياً ضد الشعب. خصوصاً حينما سال لعابهم لنديا فرعون العصر، ووجدوا ما كانوا يحلمون به فى الجلوس على عرش الرشيد ببغداد، وللأسف لقد نجحت الإداره البريطانيه فى احتوائهم وزجهم لمحاربه شعبهم وجهاً لوجه كما تريد بريطانيا. حتى وصلت الأمور إلى مستوى توجيه الاتهامات إلى الثائرين والمضحجين وقاده التحرر، حيث تمّت ملاحتهم وسجنهم ونفيهم من البلاد. وهذه الفضائح المحزنه لم يرتكبها المحتل مباشره ولكن للأسف ارتكبتها أيدي عراقيه!! وكان الأجدد بها أن تنأى بنفسها عن هذه المظالم. والأعجب من ذلك تتعرض اليوم تلك المرحله التأسيسيه إلى محاوله احتواء من قبل بعض الباحثين غير الإسلاميين، من ذوى التوجهات العلمانيه (القوميه والقطريه) لغرض جعل تلك المرحله خلفيتهم النضاليه التي يبنون عليها أسس تطلعاتهم الحاليه والمستقبلية، وسنشير

إلى هذه المسأله بالتفصيل لأهميتها فى فقره خاصه.

إن الدراسه التاريخيه التى بين أيديكم - اخوتى وأعزائى - هى محاوله جادّه هدفها تخليص تاريخ العراق الحديث من محاولات الطمس والتهميش للوعى الإسلامى وجهاد الإسلاميين الوطنيين، فمن أهم الأهداف لهذه الدراسه إعاده الحق إلى نصابه عبر تحرير الوقائع التاريخيه من قيود العصبية وأغلال المصادره المفضوحه للجهود الخيره التى أرسى دعائم الاستقلال والسياده والكرامه فى العراق.

٧- العلماء - مراجع الدين - الذين تصدوا للعمل السياسى والجهادى فى المرحله التأسيسيه، انطلقوا من مبدأ الوحده الإسلاميه واعتبروها من المسائل الجوهرية فى حركتهم السياسيه بالتحديد، بغية توحيد الصف الوطنى فى مقاومه المحتلين. ووأد الفتنة الطائفية التى تسعى لإشعالها دوائر المستعمرين، وقد تجسّد هذا المبدأ فى تلك المرحله قبل ثوره العشرين وأثناء اندلاعها وما بعدها أيضاً. فقدموا صوراً ناصعه لهذا الطرح الوحوى الجامع فى مواجهه مشاريع السيطره الأجنبيّه، وقد أفسلوا عدّه محاولات استعماريه استهدفت الوحده الوطنيه ما بين المسلمين (١). لاعتقادهم بأن الوقوف فى وجه الأعداء بشكلٍ موحدٍ يحقق أهداف الأمه، ويغلق الثغرات فى الجدار الوطنى، حيث من الممكن أن ينفذ العدو من تلك الثغرات لتفريق الكلمه. ومن خلال التجربه التاريخيه نقول: إن الأمه التى تمتلك استعدادات الفرقة فى كلمتها والتمزّق فى مواقفها تحت ذرائع المصلحه الذاتيه أو المحليه أو الطائفية، إنها أمه تمنح المفترس -

ص: ٨١٥

١- (١) راجع موقف قائد ثوره التباك المرجع السيد محمد حسن الشيرازى فى سامراء، سنه ١٣١١هـ -، ١٨٩٣م الذى رفض مقابله القنصل البريطانى فى بغداد حيث سافر إلى سامراء لهذا الغرض حيث أراد أن يستغل الاعتداء الشخصى على الإمام وأن يمنح الشيعه امتيازات على أثر ذلك. وغيره من المواقف الوحديه لبقية المراجع الذى تصدوا لقياده الساحة من بعده، وذلك فى كتابنا هذا وفى غيره من الكتب المعنيه.

المتربص بها - فرصه الانقضاض عليها، لسلب خيراتها والتحكم بمصيرها. وبالتالي يحصل الاستسلام لخطه المستعمرين الذين يجدون مصلحتهم فى إشعال نار الفتنة بين المسلمين. خصوصاً حينما تلتقى تلك الخطه مع مصلحه المتضررين من التطورات السياسيه، كما هى أوضاع العراق اليوم، وكذلك حينما تلتقى مع هوى التكفيريين الذين تبلور مهمتهم فى الشحن الطائفى وتكفير المسلمين وإباحه دمائهم وأموالهم وأعراضهم، لتتحول الساحة الآمنه - على أيديهم - إلى بحيرات من دماء الأبرياء وأشلاء مقطعه من أجساد النساء والأطفال - كما يحصل فى العراق اليوم - أيضاً-. ويبدو لنا إن المعالجه العمليه لهذه الأزمه، تتحدد فى تعميم ثقافه الوحده الإسلاميه، وفضح ارتباطات التكفيريين بمشاريع تخدم أعداء الأمه من المستعمرين والصهاينه، الذين يحاولون نسف قيم الإسلام الأخلاقيه فى المحبه والسماحه والأخوه الإنسانيه، وإظهار الإسلام للبشرية بأنه دين عدوانى وإرهابى متوحش - والعياذبالله-.

وبالإضافه إلى هذه الخطوه المهمه فى المعالجه، لابد أن تستكمل بمباشره الحاله التنفيذيه على الأرض، وذلك فى توظيف الكفاءات العلميه وزج الطاقات العمليه من مختلف مكونات شعب العراق، لغرض إعاده أعمار العراق، والمسأله الدقيقه فى هذا الإطار تتعلق بإسناد المواقع الإداريه للأكفاء من أبناء الشعب، الذين يمتازون بالنزاهه ونظافه اليد والحرص على بناء الوطن إلى جانب قدراتهم العلميه، بشكل يضمن تفعيل الساحة وتطويرها بما يتناسب مع متطلبات المرحلة، ضمن شعار الوحده الوطنيه.

ومن المفيد أن نشير إلى أن هذه الوحده التى ننشدها لا تعنى إلغاء الخصوصيات القوميه أو المذهبيه، وإنما المطلوب وضعها فى إطارها الطبيعى الذى يضمن الحقوق والحريات فى أداء الشعائر والمراسيم بشكل يمنع انجرار الساحة إلى إثارة الفتنة والتناحر والتكفير. بهذا الوعى الإيمانى الذى ينطلق من القرآن الكريم والسنة الشريفة فى تحديد التقويم العادل للأعمال على أسس التقوى والعمل الصالح، تتقدم الأمه وتنتصر فى

ميادين الجهاد والبناء بشرط توافر النوايا الصادقه، يقول الإمام على عليه السلام: «ولقد كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، [أى كنا مع مدار الحق، الواجب علينا إطاعته بأمر الله سبحانه حيث يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ ..].

نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضيئاً على اللّم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو.. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر..» (١).

بهذه المنهجية التي آتمتدت كلمه التوحيد وتوحيد الكلمه تحرك القاده الإسلاميون الشيعة في العراق، وردوا كل محاولات المستعمر المحتل لدس أنفه في حياه المسلمين وخصوصياتهم.

٨- من خلال دراستنا يتطلع المتلقى اليوم بوضوح بأن التحرك الوطنى العام لشعب العراق كان يعتمد على فتاوى مراجع الدين المتصدين للساحة فقهياً وسياسياً وجهادياً. وكانت الأمة تتلقى تلك الفتاوى بالطاعه التامه، انطلاقاً من صدق الإيمان وإخلاص الولاء، باعتبار المرجع الفقيه هو نائب الإمام خليفه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقراراته شرعيه واجبه التطبيق على المكلفين. وكان الفتوى الشرعيه بمثابة المفتاح السرى للتحرك السياسى وصاعق الانفجار الثورى ضد المحتلين والسلطه المحليه. ولقد كانت المنظومه الإداريه للعلماء المجتهدين، تشكل حلقة الوصل ما بين المرجع الفقيه وما بين الناس، والفتوى الصادره من المرجع تخاطب عموم الأمة مباشره، وفي مقدمتهم حلقة الربط التى أشرنا إليها، وهى تتألف من جماعه المدرسين

ص: ٨١٧

١- (١) الآيه المباركه من سوره النساء، ٥٩/٤. وكلام الإمام فى نهج البلاغه، باب الخطب، رقم ٥٦. اللّم: معظم الطريق أو جادته. مضض الألم: لدعته. الكبت: الإذلال.

والأساتذة في الحوزة الدينية، ومن المسؤولين الإداريين لشؤون الطلبة والتبليغ والمسائل الماليه، فالمرجع الأعلى ينتقى - عادةً - من هؤلاء المقربين ليكونوا بمنزلة المستشارين له في شؤون الإدارة العامه للأمم.

بالإضافة إلى طبقه الوكلاء المعتمدين لديه، المتواجدين في أنحاء البلاد - داخل وخارج العراق - الذين يشكلون حلقة الارتباط التي تنظم علاقته الحركيه ما بين المرجع والأمه - كالنسخ الصاعد والنسخ النازل - فتصل للمرجع من خلال الوكلاء آلام الناس الحياتيه وآمالهم المستقبليه، بالإضافة إلى المسائل الفقيهيه محل الابتلاء، والمشاكل الاجتماعيه، والنشاطات الثقافيه والتربويه. ويقبض الوكلاء الحقوق الماليه كالخمس والذكاه والكفارات ليتم توزيعها في محلها خدمه للإسلام والمسلمين بإجازة المرجع.

هذا الارتباط الحياتي الوثيق بالمرجع هو الذي يصطلح عليه في أوساط المسلمين الشيعة بالتقليد، فالناس يقلّمون أي يتبعون المرجع الجامع للشرائط. ويرتبطون به روحياً وفقهياً وحياتياً ومالياً بل ومصيرياً. كما ويتعزز هذا الارتباط عقدياً من خلال المرين والمؤلفين وخطباء المنبر الحسيني، وخطباء الجمعة، والشعراء وعموم المثقفين الذين يدورون في المدار الفلكي للمرجعيه الدينيه. وكان الخطباء يمثلون لسان حال المرجعيه وبالذات أعني الخطباء الحسينيين في أغلب الأحيان، وقد لعبوا دوراً مهماً في رقد النهضه والثوره ومسأله التقارب ما بين المسلمين في الإطار الوجدوى لمواجهه العدو المشترك، وشهدت تلك الحقبه الزمنيه نشاطات مهمه في هذا الاتجاه، جديره بالمراجعه، لا لأجل الثناء والافتخار وإنما لغرض الدرس والاعتبار لدعم المسيره الحاليه.

وبعد تلك التجربه القياديه للمرجعيه الدينيه، لم تقف قوى الاستعمار والحكومات العراقيه المتعاقبه مكتوفه الأيدي أمام قوه أداء المرجع خصوصاً في الفتاوى

السياسيه والجهاديه، فلقد استطاع المستعمرون والحكام المحليون - للأسف - أن يُنفذوا إلى صفوف الأمة، ويزرعوا عيوناً على المراجع وعلى عموم العلماء والحركيين، في محاوله منهم لحبس أنفاسهم ومراقبه نشاطاتهم، وجعلهم تحت رحمة الجلادين العابثين. ولكن مع ذلك بقيت قياده العلماء هي ضمانه الاستقامه والثبات على المبادئ الوطنيه.

ومن هذه المسأله بالذات، ومن رحم المعاناه المؤلمه نتوصل إلى ضروره تطوير الأسلوب التقليدي لقياده الأمة، وذلك عبر إيجاد قنوات اتصال مدروسه، تمسك الأمة في وعيها والتزامها المصيري، وتحفظ تحركها من تلك العيون، وترسم للأمة في أيام جهادها السري أو العلني المسار المطلوب ضمن المسؤوليه الشرعيه، في ظل القياده المرجعيه، وترعى جانب تحصين الأمة من عمليه الاختراق المعادي، عبر الضوابط الأمنيه والحس الاستخباري الهادف، لتتم صيانته التحرك الميداني بشكل يضمن سلامه المسيره والأهداف.

وهذا الاستنتاج لا يعنى إطلاقاً إن الأحزاب والتنظيمات السياسيه الإسلاميه هي البديل القيادي للمرجعيه الدينيه، وإنما تمثل الدور الوسيط، بالتعاون والتنسيق مع الإمام المرجع، وذلك لتنظيم الربط الأمين بين القمه المتمثله بالمرجع، وبين القواعد الشعبيه أي الأمة. فالمرجع هو القائد الشرعي الذي يمثل قياده الإمام خليفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - كما ذكرنا آنفاً - وهذه مسأله مبدئيه في جوهر التحرك الإسلامى الشيعي، تشكل الملقأ الشرعي المتين الذي يحتضن الجميع، فلا يمكن أن تكون الحركات الإسلاميه الشيعيه بديله عن القياده المرجعيه، بل من المفترض أن ترعى المرجعيه جميع نشاطات وفعاليات الأمة، بدءاً من تشكيلاتها الحزبيه السياسيه والجهاديه، ومروراً بالنشاطات الثقافيه والاجتماعيه والخيريه، وانتهاءً برعايتها للشؤون الإداريه والسياسيه للدوله حسب الظروف المتاحه.

كما لا بد أن تتوافر في شخصيه المجتهد المرجع الأعلى (١)، مواصفات عصريه مهمه تؤهله إلى قياده الأمه بثقه وآقتدار، إلى جانب المواصفات الشرعيه الخاصه، فلا- يكفى الأسلوب السابق في قياده صراع الأمه مع الجاهليه الحديثه، لأن أسلحتها قد تطورت، وأساليبها التنظيميه والحزبيه دخلت في الأوساط الشعبيه بشتى الأطر والأسماء. فالمفروض تحقيق مواكبه التطور الحديث بما يتناسب مع متطلبات المرحله، لتفويت الفرصه على العدو. والمسأله تتعلق بالدرجه الأولى حول مسؤوليه بث الوعي الإدارى والتنظيمى والأمنى فى الأمه لحمايه قياده المرجعيه، وذلك باختيار الأنسب والأكفأ فى موقع التمثيل للمرجع والتوجيه التربوى للأمه، فيكون الوكلاء والخطباء والمربون على درجه كبيره من الوعي الحركى والإدارى، إلى جانب المؤهلات الفقهيه، التى تعتبر هى الأساس فى شخصيه الوكيل والموجه والفقيه.

٩- الإسلام هو دين الحياه بكل تفاصيلها، فالثقافه السياسيه هى جزء من الثقافه الإسلاميه، والعمل الحركى والسياسى والجهادى، انطلاقته من الشريعه الإسلاميه، فالإسلام الذى يحتوى الحياه بجميع مظاهرها على المستوى الفردى والجمعى لا يقبل التجزأه، فهو دين الله القويم الذى يختزن القدره الدائمه لقياده الحياه. إلا- أن للظروف الموضوعيه ضغوطها الواقعيه التى تفرض لكل مرحله سلم الأولويات فى تقديم الأهم على المهم بما يتناسب مع مصلحه العباد والبلاد. فتتبلور المرحله الجهاديه على ضوء ظروف الأمه والمصلحه العامه لإعلان المقاومه والجهاد ضد العدو، كما تتعين المرحله الثقافيه

ص: ٨٢٠

١- (١) درجه الاجتهاد هى «ملكه تحصيل الحجج على الأحكام الشرعيه أو الوظائف العمليه شرعيه أو عقليه». الحكيم، السيد محمد تقى: الأصول العامه للفقه المقارن، ص ٥٦٣.

والتربويه بما يتناسب مع مصلحه المسلمين، ومع ذلك لا يعنى هذا التصنيف المرحلى للعمل الميدانى تجزأه الإلتزام بالإسلام إطلافاً، وإنما تتحدد الاستجابة للظروف بحدود دفع الضرر عن الأمة، وتفعيل الأساليب الممكنة لنشر الوعى الحركى والثقافه السياسيه لتمكين الأمة من الوقوف والتصدى بجداره فى ساحات المقاومه والجهاد سياسياً وعسكرياً، ومعنى ذلك حينما تُشخص المرحله الثقافيه، تتوجه الطاقات والاهتمامات فى هذا الاتجاه، على سبيل الإعداد للمراحل المقبله، لا لإلغائها من الحساب، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبه من نفاق» (١).

١٠- إن المستعمرين يخططون ويراوغون باستمرار فى سبيل تحقيق مصالحهم وأطماعهم، فيوظفون المال والإعلام والقوه والدعم السياسى لإنجاح مشروعهم، حتى لو جوبهوا بثوره شعبيه عارمه كثوره العشرين، وإنما يبذلون قصارى جهدهم لاستيعاب الصدمه التى تكلفهم تضحيات ماديه ومعنويه، فينحنون أمام عواصف غضب الأمة فى مراوغه محدوده، وبالفعل يخرجون من الباب ويدخلون من الشباك - كما يقال - وهذا هو الذى حدث فى العراق. فجاء ترشيح فيصل ملكاً على العراق، وتشكيل الحكومه والمؤسسات الإداريه، وتم توزيع الأدوار بين المسؤولين البريطانيين ضمن هذا السياق، فنجحت بنسبه مهمه سياسيه القفز على أكتاف الثائرين وهم فى طريق الانتصار، وتمت سرقة أهداف الثوره فى الاستقلال والحريه والسياده وإقامه الحكومه الإسلاميه. وقد أفرزت تلك التطورات طبقه من السياسيين المصلحيين اللاهثين وراء قطف الثمار عبر التصدى لإداره البلاد بالطريقه المرسومه فى لندن، بل دخلوا فى حله المنافسه الوضيعه فيما بينهم لنيل الحظوه لدى المحتلين وتقديم المزيد من التنازلات على حساب حقوق الشعب، فاصبحوا الواجه المحليه لتمرير السياسه الاستعماريه. بينما بقيت الساحه الوطنيه الإسلاميه عاجزه عن صنع الواقع السياسى، فظلت تراوح محلها، ولعل هذه المراوحه هى بحد ذاتها تعدّ تراجعاً أمام الخطه الاستعماريه، وأكثر من ذلك حينما تصدّع الموقف العلمائى القيادى أمام ترشيح فيصل، وبان ضعفه برز الملك وجهاً

ص: ٨٢١

سياسياً ليناً، طمّح الشيخ الخالصى فى كسبه إلى الجانب الوطنى، ظناً منه بأن تأييد الملك بشروط كلاميه سيجعل أمره بيد الشيخ، وهذا ما لم يوافق عليه أحد من كبار العلماء والوطنيين آنذاك، وبالفعل تراجع الشيخ عن تأييده عند انكشاف أمر الملك على حقيقته، ولكن بعد فوات الأوان، حيث تركزت شخصيه الملك فى البعد الشعبى بنسبه مؤثره، خصوصاً حينما استغل نسبه الشريف فى أوساط العامه، باعتباره من الساده الأشراف الذى ينتهى نسبهم إلى آل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تقرب بذلك من الشيعة، وظهر اهتماماً بالعتبات المقدسه فى كربلاء والنجف والكاظميه و سامراء.

وعلى ضوء ما تقدم تزعزعت ثقته بنسبه مهمه داخل الأمه من الطرح السياسى للإسلاميين الوطنيين، لأنهم لم يتمكنوا من تطوير وضعهم عبر مبادره سياسه مضمونه النتائج، فتركوا فراغاً محسوساً على الساحة السياسيه، تمّ ملؤه من الطرف الآخر، فانتقلت القضيه إلى موقع آخر، حتى أن المبدئين من الناس عاشوا حاله من الاضطراب ما بين القبول بالأمر الواقع على الأقل فى المستوى الإدارى والوظيفى وما بين الالتزام بالعلماء والمبادئ الوطنيه. وكأن أحلام الخلاص والإنقاذ على يد العلماء أخذت تتبدّد لَمّا بان ضعفهم أمام متطلبات المرحلة ميدانياً، خصوصاً فى المواجهه التصعيديه التى اتبعتها سياسه الاحتلال والسلطه المحليه، ضد القيادات الإسلاميه والوطنيه المخلصه، وتعمّق الأمر أمام إغراءات المناصب الإداريه والمواقع السياسيه فأخذت تظهر الانهيارات بين الناس فسقط البعض فى الفخ المصلحى القاتل على حساب مصلحه الأمه.

وقد شجعت الدوائر الاستعماريه نشوء الأحزاب السياسيه بمختلف الواجهات المحليه وبشعارات الديمقراطيه والوطنيه وذلك على الطريقه الغربيه، أى لم تمت إلى الدين بأيه صله وخاصه فى العاصمه بغداد. ممّا زاد من إرباك الساحة الوطنيه المخلصه، وشعر

الإسلاميون كأنهم جسر العبور إلى مصالح تلك الحركات السياسيه المتنافسه على ركام عرش صنع فى بريطانيا!! وبناءً على هذه التطورات تضاعفت مسؤوليه الإسلاميين الوطنيين فى اتجاه التربيه ونشر الثقافه الواعيه التى تعتبر أساس التحرك السياسى الهادف.

واليوم تتكرر التجربه بنمط متقارب، وبناءً على ذلك تتكشف مسؤوليه المتصددين للساحه السياسيه والإداريه فى العراق، خصوصاً أبناء الحركات لإسلاميه والوطنيه الذين قضوا حياتهم فى جهاد الظلم والانحراف وعانوا فى مسيرتهم الجهاديه من القتل والتشريد والتهجير وتعرضوا للسجن والمطارده، فهم اليوم يمثلون الإرث الكبير لتضحيات مسيره الإسلاميين والوطنيين المخلصين فى العصر الحديث، تلك المسيره التى تزيّن صور الشهداء الأبرار وعلى من العلماء الكرام، وتضحيات المؤمنين والمؤمنات داخل وخارج العراق، هذا الإرث المتراكم يحثّ استمرار القناعه بمنهجيه المقاومه من أجل السيادة والاستقلال وإقامه الحكم الوطنى العادل. وهنا نرفع بإخلاص إشاره الإنذار والخطر من احتمال انزلاق بعض المتصددين فى الفخ المصلحى - شخصياً أو عائلياً أو طائفيًا - لأن هذا الانزلاق سيظهر أمام الشعب وتسقط حينذاك محاولات التغطيه على العيوب خصوصاً أمام أعداء متربصين بالعراق ينتظرون اللحظة المناسبه لإسقاط هيبة العمليه السياسيه بما تحمل من إرثٍ شعبى طويل وطموحات وطنيه كبيره.

١١- إن قاده التحرك الإسلامى مسكوا بناصيه الساحه السياسيه وقادوا سفينه النهضه الوطنيه بصدقٍ ووضوح، فمنذ البدايه وقفوا إلى جانب الدوله العثمانيه باعتبارها دوله إسلاميه ضد المستعمرين المحتلين، ووقفوا ضد المشروع البريطانى - الشريفي، أيضاً، لأن هذا المشروع فى وعيهم المبدئى يستهدف الدوله العثمانيه المسلمه، فلم يستجيبوا لتيار الثوره العرييه بالرغم من شعاراتها البراقه، وقد واصلوا معارضتهم ضد مشاريع السيطره الاستعماريه فى العراق والمنطقه. وقدموا تضحيات هائله فى

مسيرتهم. ولكن - كما يبدو لي - إن أصحاب الحق الذين يتعاطون الشأن السياسى على أسس المبادئ الإسلاميه، هم دائماً ضحايا المسيره ويقدمون أنفسهم قرايين من أجلها في مختلف الظروف، بينما يجنى غيرهم ثمار المراحل السياسيه المتناقضه كلما سنحت الفرصه لجنى تلك الثمار سياسياً وإدارياً، وذلك عبر الاتفاقيات الخاصه - تحت الطاولة كما يقال - مع الحاكم، بغض النظر عن شرعيته ومبادئه!!

فإن الذى لاحظناه فى تاريخ العراق الحديث عن قاده التحرك السياسى وهم علماء المسلمين الشيعه الذين جسدوا مبادئ الإسلام فى مواقفهم ووضعوا مصلحه الإسلام والمسلمين فوق كل شىء، وتحملوا سياسه الإقصاء بل الإلغاء والمحاربه من أجل تلك المواقف المبدئيه فى العهد العثمانى وفى عهد الاحتلال كذلك، وكأنما كتب عليهم وعلى امتدادهم الشعبى أن يضحوا من أجل الإسلام والقيم الوطنيه، بينما على الآخرين أن يحكموا وينعموا فى دنيا العهدين معاً!!

وقد عشنا مع بعض تلك التضحيات الجسيمه التى قدمها العلماء الإسلاميون، بدمائهم وأموالهم إلى جانب الجيش العثمانى المسلم ضد المحتلين الكفار، وقد نقلنا بعض مواقف الإعجاب والإكبار من القاده العثمانيين اتجاه جهاد علماء الشيعه فى مقاومه المحتلين فى حركه الجهاد الإسلامى وما جرى على العلماء فى جبهات القتال وعلى رأسهم السيد الحيدرى. حيث وقف علماء الشيعه مع الدوله العثمانيه المضطهده للشيعه فى العراق وذلك ضد المحتلين البريطانيين الذين حاولوا أن يتفوقوا مع الشيعه المضطهدين ضد الأتراك. لكنهم رفضوا بدوافع شرعيه ووطنيه. بينما نلاحظ على الطرف الآخر من المفتين الرسميين الذين أغدقت عليهم الدوله العثمانيه أسباب الراحة والنعم بالأموال والمواقع الإداريه لم يقفوا إلى جانبها فى حربها ضد الإنكليز بل اتفقوا مع الإنكليز لينعموا بالمناصب والأموال فى ظل الاحتلال أيضاً. وخير مثال هو عبد الرحمن النقيب الذى رضى أن يحرق تاريخه الدينى وهو الرجل المسن ليكون مطيه المحتلين،

فعاش منعمًا بدنيا العثمانيين والمحتلين البريطانيين معاً على حساب المبادئ الإسلامية والقيم الوطنية وحقوق الشعب.

ويذكر لنا التاريخ كلمه القائد التركي سليمان عسكرى بيك الذى كان يرقد فى المشفى ببغداد إثر جرحه فى المعركة ضد المحتلين الإنجليز، وقد قالها مخاطباً أحد رجال الدين الحكوميين حينما زاره فى المشفى: «أنت ها هنا ترفل بالراحه والطمأنينه والنعيم مع أنك تتقاضى راتباً ضخماً من الدوله طيله عمرك، وإن الإمام السيد مهدي السيد حيدر يحارب الإنجليز بنفسه - على شيخوخته وعظمته - وهو الآن فى الصفوف الأولى، مع أنه لم يقبل من أموال الدوله قليلاً ولا كثيراً طيله عمره» (1).

١٢- للأسف إن النموذج المكرر عادةً فى أوساط السياسيين هو أنه حينما يستلم أحدهم موقعاً إدارياً متقدماً فى الحكومه، يصاب بمرض انقلاب الموازين، بين مناداته بمطالب الأمه قبل استلام السلطه وما بين الواقع العملى بعد الاستلام، وكأنه قد وصل إلى مقصوده وهدفه النهائى، بينما المفروض أن تبدأ مسؤولياته اتجاه الشعب منذ تسلمه الموقع الإدارى والسياسى، منطلقاً نحو تطبيق الشعارات التى حملته لهذا الموقع، وعليه أن يجتهد بكل طاقاته لخدمه الناس. والمسأله تبلغ قمه التعقيد حينما تتغير القناعات، وهنا تكمن الخطوره ويتطور حبّ كرسى الرياسه إلى درجه لا يمكن إشباعها إلا بنقلها إلى الوريث، لا لكونه الأكفأ أو الكفوء فى الأداء، وإنما لكونه ابن الزعيم السياسى.

١٣- وهنالك مرض آخر قد يستفحل لدى بعض المتصددين الإسلاميين والوطنيين، وهو تشغيل أنفسهم بأداء معين دون توقف، مهما كان نوع الأداء وأثره فى الحياه، فالمهم لديه أن يقدم شيئاً يظهر به أمام الأعين فى حديث أو كتاب، من دون حسيب أو رقيب، وهذه الحاله من المؤكد أنها تنمى روح الأنانيه لدى هذا القيادى،

ص: ٨٢٥

١- (١) الوردى، د. على: المرجع ذاته، ص ١٣٧-١٣٩. والحسينى، أحمد: الإمام الثائر ص ٥٩.

فيرى نفسه دائماً على الحق ويسوّق أداءه مهما كان ساذجاً بطريقه إعلاميه لا ترضى إلا البسطاء والمصنفين من حوله، حتى لو كان أداءه خارج السرب العام لمسار القضيه ولا يدور حول المصلحه المرحليه للأمم، وكأن المسأله لا تخرج من إطار صراع الإرادات. وهنا تقع الكارثه حينما يخسر هذا القيادى النخب الواعيه من حوله والذين يقومون بدور الصقل لشخصيته ومواهبه، فيصاب بالتسطيح الفكرى والمحدوديه فى العطاء، بينما من المفروض أن يكون القائد قوياً مبدعاً من خلال جماعته المقتنعه بأدائه أولاً، ثم يأخذ حقه الطبيعى فى ميزان الأمه، وذلك بمدى ارتكازه على مبدأ خدمتها والسعى لصلاح ما فسدها.

١٤- إن التحرك السياسى بقياده علماء المسلمين الشيعه فى تلك الحقبه الزمنيه لم يكن طائفيّاً إطلاقاً، بالرغم من الظلامات الكثيره التى لحقت بالشيعه فى العهد العثمانى والتضحيات الكبيره التى قدمها المسلمون الشيعه ضد المحتلين الإنكليز إلى جانب الجيش العثمانى أيضاً. وباختصار كانت الظلامات فى العهد التركى ضد الشيعه تركز على الطائفه والقوميه والدكتاتوريه، ومع ذلك استطاع علماء الشيعه أن يضبطوا المسيره فى الشارع الشيعى ضمن الحاله الوطنيه، وهذا إنجاز إدارى يبلغ الذروه فى الأهميه لأنه يؤدى إلى تكريس السلم الأهلى، واحترام حقوق الناس، حيث يعيش المواطنون باختلاف مكوناتهم وطوائفهم بأمن واستقرار فى ظل التصدى القيادى لعلماء الشيعه، وما كان طرحهم فى إقامه حكومه إسلاميه، كما فى بعض التصريحات المنسوبه لبعض العلماء، على مستوى الفرض والإجبار وإنما هو شعار وطموح يخضع بالنتيجه لإرادته الشعب عبر صناديق الاقتراع بصوره ديمقراطيه.

١٥- القياده المرجعيه استغلت كافه السبل لرفع مظلوميه شعب العراق إثر الاحتلال البريطانى، فتحركت سياسياً على البعد الدولى لشرح معاناه الشعب وعرض مطالبه المشروعه فى السياده والاستقلال ورفض الاحتلال، فإنّ دَلَّ هذا التحرك

السياسى على شىء فإنه يدل على وعى القيادة المرجعيه لتغطيه حركه المعارضه والمقاومه دولياً، وذلك بآنعكاس المطالب عبر مخاطبه الدول المعتيه. فلذلك بعث الإمام الشيخ الشيرازى - مفجر ثوره العشرين - رساله مباشره إلى الرئيس الأمريكى، حملت توقيع مع توقيع شيخ الشريعة، ولهذا التوقيع المشترك الذى يدل على وحده الموقف القيادى انعكاسات سياسيه على العامل الدولى للقضيه العراقيه إلى جانب التأثير المعنوى المهم على الشعب فى الداخل.

١٦- من حقنا أن نتساءل عن سبب إصدار فتوى الجهاد من قبل المرجع الشيخ الشيرازى ضد الغزاه الإنكليز: هل كان يتوقع تحقيق الانتصار العسكرى على جيش الاحتلال؟ مع وجود الفارق الكبير بين القوتين فى العده والعدد.

فى تصورى إنه من السذاجه بمكان أن يتوقع القائد انتصاراً عسكرياً فى ميادين المواجهه والقتال، وذلك لعدم تكافؤ القوتين المتحاربتين. وإنما حققت الثوره انتصاراً سياسياً خلّصت العراق من القبضه الاستعماريه، كما حققت مكاسب معنويه حصّنت الأمه دينياً وأخلاقياً، حيث أدخلت الأمه فى دوره تربويه هادفه، عبر ميادين المعترك العسكرى تحت رايه الجهاد، وبالتالي تجذّر العداء ضد المحتلين خصوصاً حينما زين الشهداء بدمائهم ميادين التحرير.

يروى أستاذنا سماحه السيد عبد المنعم الحكيم (١) نقلاً عن خاله آيه الله السيد يوسف الحكيم نجل المرجع الأعلى الإمام السيد محسن الحكيم، بأن الإمام الشيخ الشيرازى قائد ثوره العشرين المعروف بالزهد والتواضع والعزوف عن الدنيا، حينما سئل عن كيفيه تصور التوافق ما بين تقواه وزهده عن الدنيا مع تصديه لقياده الثوره،

ص: ٨٢٧

١- (١) من حديث خاص لسماحه الأستاذ السيد عبد المنعم الحكيم فى جوابه لسؤالنا المذكور. وذلك فى مكتب المرجع الدينى الكبير السيد محمد سعيد الحكيم فى منطقته السيده زينب بدمشق، فى يوم الجمعه ٤ شوال ١٤٢٣هـ -، ٢٨ تشرين الثانى ٢٠٠٣م.

وما يتبع ذلك من مخاطر حياته على الأمة من إراقه الدماء وإزهاق الأرواح، وآثار اجتماعيه صعبه من زياده عدد اليتامى والأرامل، بالإضافة إلى الانعكاسات النفسيه السلبيه على عموم الأمة، نتيجته تضاؤل احتمال الانتصار العسكرى للثوار.

فأدلى قائد الثورة الإمام الشيرازى، على ضوء روايه السيد يوسف عن المرحوم والده الإمام الحكيم، بجواب مبدئى واضح عن هذا السؤال المشروع خلاصته: إن المسلمين فى العراق بل عموم الناس فى المنطقه كانوا قد آنهروا بالغرب عموماً وبالإنكليز خصوصاً لما حققوا من تطورات على المستوى الصناعى والتقنى والخدمى، بالإضافة إلى الانتصارات العسكريه فى المنطقه، هذا الانبهار المقترن بالإعجاب الذى قد يوصل الأمة إلى درجه الافتتان بهم، على المستوى العقدى والأخلاقى. وقد ظهرت بوادر المشروع البريطانى فى المنطقه الذى كان يستهدف الإسلام وعقول المسلمين وأخلاقهم وعاداتهم إلى جانب خيرات البلاد، ومن المعروف إن هذا المشروع له بريقه الإعلامى ومظاهره الجذابه، وإمكانياته الترفيهيه والماليه التى تحوم حول ضرب القيم الإسلاميه وتربيته الجيل على أخلاق الأجانب وعاداتهم ودينهم، وبذلك سينهد ركن الإسلام فى عقر داره - والعياذ بالله-. وحينذاك أصبح خيار المرجع الشيرازى محصوراً باتجاه إعلان الثورة ضد الغزاه الكفره المحتلين، لكى ينهض المسلمون استجابته لنداء دينهم إلى ساحات المواجهه والقتال قبل فوات الأوان. وبالتأكيد ستجرى هنالك الدماء أنهاراً، والدموع سيولاً، ويكفيها عزّة وكرامه أن تكشف حقيقه العدو ونواياه الفعلية، وحينذاك ستبنى حواجز نفسيه كبيره، تعرقل مشروع المحتلين فى العراق، خصوصاً باتجاه إيمان الناس وأخلاقهم وقيمهم الإسلاميه. وهذا الإنجاز يعتبر انتصاراً استراتيجياً للمسلمين، فى معركة فرضت عليهم من قبل قوى الاستعمار والتسلط، فهم جاؤا إلى بلاد المسلمين وهم أقوى سلاحاً وأموالاً ومكرراً، من دون شك، والعلماء يعرفون بأن الانتصار العسكرى صعب المنال، ولكن هذه التضحيات الجسام ستحافظ على دين

الناس وأخلاقهم وبالنتيجة سيحصلون على استقلالهم.

ومن المعلوم إن المجتهدين ليسوا بمعصومين وإنما على ضوء اجتهادهم وتسديد الله تعالى لهم، يسعون بكل إمكانياتهم ليحافظوا على الإسلام وبلاد المسلمين، ولولاهم لما بقيت استقامه في حياه المؤمنين، ولا إيمان صحيح في قلوبهم، وقد كان الغزاه يريدون تحويل الإسلام إلى مجموعته طقوس شكلية تقترب من العادات الموروثة، وهذا هو هدف الاستعمار الحقيقي، إذ إنه يحاول بكل ما أُوتى من قوه ومكرٍ وخديعه، أن يحوّل الإسلام إلى جثّه هامده، وبَدَنٍ محنّطٍ لا روح فيه ولا قدره حركيه له لقياده الحياه. فالإمام الشيرازي بموقفه الشجاع حدّد وظيفه المسلمين اتجاه دينهم فأنتزع العراق بشعبه وخيراته من فم البريطانيين الذين أرادوه أن يكون لقمه سائغه لهم. وهكذا تبقى المرجعيه الدينيه ضمانه استمرار الحياه الكريمه.

والآن بعد هذا التوضيح للموقف المبدئي من حقنا أن نتساءل أيضاً: أين هذا الوعي والفتوى التحرريه من الاحتلال الحالى للعراق من قبل أميركا وحلفائها، فلماذا لم يعلن المرجع الأعلى في العراق فتوى الجهاد اليوم؟

الحقيقه إن الإجابة على هذا السؤال واضحه على ضوء إجابة الإمام الشيرازي حسب الروايه التاريخيه التي ذكرناها، فالمسأله تختلف في ظروفها وأهدافها، وذلك لأن شعب العراق - اليوم - بكل أطيافه يكره المحتلين الأمريكان وحلفاءهم، وهذه الكراهيه تحمل جذوراً تاريخيه من بركات تلك الفتوى المباركه وما سبقتها من حركه الجهاد، وما لحقتها من نشاطات سياسيه معارضه، وهى لم تزل كفيله بوضع الحواجز النفسيه المطلوبه أمام مشاريع الاستعمار - الثقافيه والسياسيه - خصوصاً مشروعهم فى طمس معالم الإسلام وقيمه المعنويه والأخلاقيه، وعليه لا داعى لإراقه مزيد من الدماء لتتنشيط هذه الكراهيه، ولتخطيم حاله الإعجاب والافتتان بالأجانب، وفى الحقيقه إن

ذلك التاريخ الجهادي العريق لشعب العراق، زوّد الأجيال المتعاقبه وعياً مدروساً لبناء العزه والكرامه فى وطنٍ سيّدٍ مستقل، وتبقى طرق الخلاص من المحتلين مفتوحه على كل الاحتمالات ولكن الفرصه الآن للمعركه السياسيه التى ستحقق الاستقلال والسياده والحريه على يد المخلصين من أبناء العراق، يا ذنه تعالى.

١٧- توصّينا بموضوعيه تامه إلى أن فقهاء المسلمين الشيعه وزعماء عشائر الفرات الأوسط وأبناء المدن، خصوصاً المدن المقدسه، بجهادهم المزيّن بدماء شهداء المقاومه والثوره هم المؤسسون الحقيقيون للعراق المستقل، وهم البناه الفعليون للوطن، حيث إنهم رسموا الصفحات المشرقه لتاريخ العراق الحديث بمواقفهم المبدئيه وتضحياتهم الجليله. هم الذين صنعوا ملاحم أحداث السياده والاستقلال وكتبوا التاريخ بأحرفٍ من نور، وليس رجال السلطه السياسيه الذين حكموا البلاد منفيدين لإرادته المحتلين الإنكليز.

١٨- الذى لمستته بمرارهٍ وألمٍ من خلال قراءه الكتب الحديثه التى تناولت تلك المرحله التأسيسيه من تاريخنا الحديث، وذلك من قبل الذين يتبنون المشروع العلمانى، ويسوّقونه فى أوساط الشباب. إنهم يحاولون استبعاد الدور الأساس لعلماء المسلمين الشيعه، قاده الحركه الاستقلاليه فى العراق، الذين قادوا الساحه العراقيه بجدارهٍ وحزمٍ ونزاههٍ وتضحيه، وقد جنّد العلماء ما أستطاعوا من طاقات ذاتيه وموضوعيه - لغرض طرد الأجنبي المحتل، وبناء العراق المستقل. فى تقديرى إن أمثال هؤلاء يعيشون عقده نفسه من الإسلام والتحرك الإسلامى، لذلك يسعون -من خلال كتاباتهم - إلى تقليل دور العلماء والمجاهدين، لكى يجدوا موطأ قدمٍ فى تلك المرحله المهمه لمشروعهم العلمانى الطارئ على الساحه العراقيه، وذلك بلباس الوطنيه أو القوميه أو الديمقراطيه. وسنسلط الضوء على هذه الفكره بالتفصيل فى الفقره القادمه.

١٩- لما رأى الإنكليز أن قوه العراقيين نابعه من تمسكهم بالإسلام عبر علماء الدين، حاولوا تضليل الناس من خلال تسويق تجربتهم المريره مع رجال الدين المسيحي في بلادهم، تلك التجربه التي أوصلتهم إلى مبدأ (فصل الدين عن السياسه)، هذا المبدأ - كما يدعون - أنقذ الغرب من سلطه رجال الدين، وكان الهدف من إشاعتهم لهذه الفكره الغريبه مقطوعه عن ظروفها وملابساتها، هو التأثير على المسلمين تحت شعار الحريه والحقوق الشخصيه، لينحوا المنحى ذاته، وذلك ليتسنى لهم الانفراد بالشعب وتمير مؤامرتهم الاستعماريه على الوطن، ودفعوا السلطه المحليه لتنفيذ خطه إقصاء العلماء الإسلاميين عن الحياه السياسيه، وتحديد نشاطهم في زوايا العباده والشؤون الاجتماعيه والعمل الثقافى، وكان من أبرز ثمار تلك الخطه ما حصلوا عليه من التعهدات من العلماء المنفيين من البلاد، تلك التعهدات الخطيئه التي اشترطت عدم تدخلهم فى الشؤون السياسيه فى العراق بعد عودتهم إليه، وقد تحدثنا عن المسوّغات التي دفعت العلماء إلى تلك الموافقه وكانت تتمحور حول تقديم الأهم على المهم، فالأهم عندهم هو مسك الأمة روحياً ودينياً وأخلاقياً وقد فضّلنا هذه المسأله فى حينها، والذي توصّينا إليه بالرغم من الملاحظات والمؤاخذات عليها، إنها - بحق - فوّت الفرصه على المستعمرين فى محاولتهم لتجفيف منابع الوعى الإسلامى والوطنى فى الأمة، وقد بلغ هاجس الخوف قمته لدى المستعمرين والحكومات التابعه لهم من اسم الإسلام، ومن العلماء الواعين، والحركيين الوطنيين فعمدوا على مواصله أسلوبهم العدائى ضد العلماء، لغرض إسقاط هيبتهم، وتشويه حركتهم، ومطارده الناشطين منهم.

وضمن هذا السياق جرت كتابه تاريخ تلك الحقبه الزمنيه، مبيته على طمس حقائق الأحداث إرضاءً لغرائز بعض الباحثين الخاصه فى رسم أحداث التاريخ على ذوقهم بما يخدم توجّهاتهم الفكرية، فى محاوله واضحه لمصادره قسريه ومكشوفه لدور

الإسلاميين الريادى للساحه فى تاريخنا الحديث، وكان الإسلام يشكّل أمامهم البعبع المخيف، وأخذوا ينظرون إلى الإسلاميين من منظار الفزع الأكبر، فصبّوا جام غضبهم على الإسلاميين، بل جيّروا جهادهم وتضحياتهم فى الأطر التى ترضى غرورهم برعايه السلطه السياسيه التى فرضت كتابه التاريخ بهذه الطريقه، ولقد باءت وتبوء حالياً أيضاً هذه المحاولات بالفشل الذريع إن شاء الله، يقول تعالى:

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١.

ومن أمثله تلك المحاولات التى سعت لتشويه حقائق التاريخ بالاعتماد على تصورات وتقارير المحتلين الأجانب الذين ثبت عداءهم للشعب، ولعبوا على عده أوتار لإثاره الفتنة بين الناس، وتفريق كلمتهم، ما قرره الدكتور وميض جمال عمر نظمى فى أطروحتة المطبوعه بعنوان: «الجدور السياسيه والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) فى العراق»، معتمداً على تقارير المحتلين، رافضاً كتابات المؤرخين والأكاديميين الموثّقة من مصادرها، وذلك ليستمر فى طريق تشويه جهاد العلماء، الذين عُرفوا حتى لدى الأعداء بأنهم قمة النزاهه والإخلاص لدينهم وشعبهم، ووطنهم. لنقرأ ما قرّره بالنص ضد علماء الإسلام، تاركاً لنباهه القارئ الكريم الحكم العادل على أمثال هذه الكتابات، يقول الدكتور وميض نقلاً عن تقرير بريطانى حول المرجع الأعلى فى حينه السيد محمد كاظم اليزدى: «إنه فى قراره نفسه موالٍ لبريطانيا» (١). وإن الحاكم السياسى للشاميه حينما زار السيد اليزدى فى ٢٨ نيسان ١٩١٨م «شكا اليزدى بمراره من المحاولات التى يقوم بها بعض العلماء لجزّه إلى موقفٍ مناوئٍ لبريطانيا.. إن من الصعب تقدير المسانده المتواصله (لليزدى) حق قدرها بالنسبه لنا».

ص: ٨٣٢

١- (٢) نظمى، د. وميض: الجدور السياسيه، مرجع سابق، ص ١٢١.

ومن ناحيه أخرى يرّد على الدكتور عبد الله النفيسى الذى ذكر فى أطروحته أيضاً، والتي هى بعنوان «دور الشيعة فى تطور العراق السياسى الحديث»، حول السيد اليزدى بأنه «بذل جهوداً كبيره فى السّر لزعه السلطه البريطانيه». ويرّد الدكتور وميض هذا الكلام بقوله: «إن إدعاء عبد الله النفيسى.. إدعاء غير مؤكد»! (١).

وهكذا نلاحظ على الدكتور وميض إنه يأخذ كلام المس بيل وهى من قاده الاحتلال البريطانى للعراق، وكأنها الصادقه والنزيهه، وكلامها من باب المسلمات، وهى لا تسعى لتشويه العلماء وتفريق كلمه الأمه!.

وقد ثبت كذبها وتحريفها للوقائع لدى كبار المؤرخين العراقيين، نذكر للمثال ما نقله السيد عبد الرزاق الحسنى، وكذلك الشيخ فريق المزهر الفرعون وغيرهما، عن وقائع اجتماع (ولسن) الحاكم الملكى العام مع علماء وشخصيات النجف فى كانون الأول سنه ١٩١٨م، بأن السيد هادى الرفيعى الذى كان فى الاجتماع أيد الاحتلال، وقد قوبلت دعوته بالاستنكار والشجب من قبل المجتمعين الآخرين بحضور (ولسن)، بينما تنقل (المس بيل) إن جميع المجتمعين أيدوا الاحتلال البريطانى كذباً وزوراً (٢).

وللعلم نحن فى مقدمه الكتاب، وفى تقييمنا للمصادر والمراجع ذكرنا إشكاليه على الدكتور النفيسى بأنه يعتمد غالباً على ما كتبه أقلام المحتلين من تقارير ورسائل وكتب، ومع ذلك يرمى الأستاذ وميض هذه الحقائق الواضحه عرض الحائط ليعتمد على أقوال (المس بيل) المليئه حقداً على العراقيين الوطنيين، خصوصاً العلماء المجتهدين

ص: ٨٣٣

١- (١) نظمى، المرجع ذاته، ص ٣٥٠.

٢- (٢) راجع الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى ص ٥٦ وما بعدها، وكذلك راجع الفرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعه.. ص ٧٥. وراجع أيضاً النفيسى، عبد الله: دور الشيعة.. ص ١١٩-١٢١. وقد بين النفيسى مغالطه (المس بيل) فى مقالها «مذكره حول تقرير المصير». و(ايرلند) فى كتابه (العراق، دراسه فى التطور السياسى). وذكر النفيسى أيضاً دفاع السيد جعفر أبو التمن عن نفسه من اتهامات المس بيل وقد نفاها تماماً.

ليصوغ أطروحته على أسسٍ واهيةٍ ضد قادة الحركة الإسلامية الوطنية الاستقلالية، خدمه للمشروع الاستعماري. ومن المعيب حقاً على الباحث العروبي أن يردّ أخاه المسلم العربي ويكذبه، بينما يعتمد على المحتلين الكاذبين والمراوغين. فلنكمل قراءة كلام الدكتور وميض لتوضح الصورة حيث يقول: «إن إدعاء عبد الله النفيسي.. إدعاء غير مؤكد، ويكفي أن نعيد إلى الذهن كلمات غروترو ديبل «إن أحداً منا من الذين شاركوا في الدراما (الاستفتاء) لن ينس الإسناد الذي تلقيناه من.. السيد محمد كاظم اليزدي»!! (١). إنها من سخرية القدر أن نعتمد على كلام المحتلين بآتهام رجل النزاهة والعلم والتقوى وحب الوطن.

ولا يسعني في الرد إلا أن نستذكر قول الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لى بأنى كاملٍ

ولسنا مضطرين لإثبات هدف الأعداء من تشويه سمعه المرجعيه الدينيه بكل الذين تصدوا لقياده الأممه في مختلف المراحل، فالعدو المحتل يدرك تماماً أهميه المرجعيه الشيعيه وقدرتها على قياده الأممه وتوجيهها للنهضة والثوره والمقاومه. ولعل الدكتور وميض وأمثاله يتناسون الفتوى الجهاديه التي أصدرها المرجع السيد اليزدي ضد المحتلين البريطانيين حين دخولهم البصره عام ١٩١٤م. ومواقفه التصعيديه المستمره آنذاك، وقد أمر - ولده السيد محمد - بالاشتراك في اجتماعات حركة الجهاد الإسلامى فى الكاظميه والمشاركه الميدانيه أيضاً، وكان من وجوه المجاهدين المرابطين فى مقدمه المقاتلين فى جبهه الشعيه وقد آستشهد فى تلك الجبهه مع ثله من العلماء والشباب (٢).

ص: ٨٣٤

١- (١) نظمي، د. وميض، المرجع ذاته، ص ٣٥٠.

٢- (٢) الرهيمي، عبد الحلیم: تاريخ الحركة الإسلاميه فى العراق، ص ١٧١-١٧٢. راجع للتفاصيل: الفصل الأول من الباب الثانى فى كتابنا هذا، بعنوان: حركة الجهاد الإسلامى ضد الغزو البريطانى. وراجع النفيسى، المرجع السابق، ص ٨٦. يذكر خطاب السيد اليزدي فى الصحن الحيدري مؤكداً فتواه الجهاديه وذلك فى ٦ كانون الأول ١٩١٤م، ١٩ محرم ١٣٣٣هـ. وقد قدر عدد القتلى والأسرى من المجاهدين بالآلاف وكان من بينهم عدد من العلماء منهم: الشيخ باقر حيدر، والشيخ عيسى مال الله، والسيد محمد بن المرجع الأعلى السيد اليزدي. راجع: كمال الدين، محمد على: ثوره العشرين فى ذكراها الخمسين، ص ٧.

وفى نظرنا إن الخطأ الذى وقع فيه الدكتور وميض هو عدم فهمه لطبيعته موقع المرجعيه الدينيه، فإن هذا الموقع - أى موقع المرجع الأعلى - على درجه كبيره من المسؤوليته الشرعيه أمام الله تعالى والأمة، فالمراجع الكرام يدرسون الظروف الموضوعيه للأمة بدقه عاليه، ويحدّدون وظيفتهم الشرعيه على ضوء اجتهادهم بالمسأله، كما أنهم يتدارسون الفتاوى المفصليه والمصيريّه فى حياه الأمة مع مستشاريهم بأعلى درجات الوعى والتقوى والإخلاص للإسلام وللأمة الإسلاميه وللوطن.

٢٠- وأخيراً أدعو نفسى والقراء الكرام إلى اتخاذ منهج الموضوعيه الحياديه فى قراءه التاريخ فى المرحله التأسيسيه - كما سميناها-، وذلك لأن عمليه الكشف والتنقيب عن تاريخيه المرحله بحاجه إلى عمليات رفع الانقراض المتراكمه على حقائق مدفونه بفعل العوامل السياسيه والأيدلوجيه التى سعت لكتابه التاريخ بطريقه مختلفه، وهذه الممارسات استمرت لعهده عقود متتاليه، وبالفعل طُمست آثارٌ وزُيِّفت وقائع، وأصطنعت أحداث، لغرض إبراز وقائع التاريخ بتشكيله هجينه تغذى النظرية السياسيه الجاهزه.

ولقد ضُحِّمت أدوار، وزُخرفت أحداث، فأصيب التاريخ العراقى الحديث بمرض الانتفاخ المشبوه الذى لا يحمل مضموناً واقعياً يشكل امتداد الحضاره العريقه، وأمام ظاهره الانتفاخ السياسى برزت حاله الضمور القسرى للمحركين الأساسيين للنهضة والثوره، فتمّ إقصاء صنّاع التاريخ أحياناً، وأحياناً أخرى تمّ إلغاؤهم عن الساحه الفعلية، وهم العلماء المجتهدون الذين قادوا الحركه الاستقلاليه فى العراق بكلّ نزاههٍ وشجاعهٍ وتضحيهٍ. ويمكننى القول بأن عمليه إسدال الستار على جهاد الشعب

بقياده العلماء في حركة الجهاد عام ١٩١٤م، وفي ثوره العشرين، قد تمت ظلماً وعدواناً، وذلك للقضاء على ما تشكل تلك التجربه التحريره من دلالات مبدئيه وإنجازات ثوريه خافوا من إظهارها للأجيال، لأنها الدافع للثوره ضدهم، ولعل البعض أسدل هذا الستار على جهاد الشعب في وقت غفل فيه عن ذكر سياسه القمع والإرهاب ولغه النار والحديد والدمار في ممارسات المستعمرين والسائرين على نهجهم.

على العموم إن هذه الأطروحه محاوله تملك خصوصيه استنهاضيه في إطار.

فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الدُّكْرَى ١.

محاولة سلكت درباً محفوفاً بقلق المؤرخ الهادف، ورجاء المتأمل العارف.

ص: ٨٣٤

- ١- جواب الإمام الشيخ كاظم الخراساني على استفتاء العلماء من دعاه الدستور في إيران.
- ٢- فتوى المرجعيه الدينيه في النجف الأشرف بإعلان الجهاد ضد الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب سنه ١٩١١م.
- ٣- برقيه المرجع الأعلى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي إلى الشيخ خزعل يدعونه للجهاد.
- ٤- برقيه عدد من المجتهدين في النجف إلى الشيخ خزعل أمير المحمره يدعونه إلى الجهاد.
- ٥- المرجع الأعلى السيد اليزدي يؤكد وجوب الجهاد في جوابه على رساله الشيخ شعلان العطيه وأهالي عفك في ذي الحجه ١٣٣٣هـ، ١٩١٥م.
- ٦- نداء المرجع الأعلى السيد اليزدي إلى أهالي الشطره بوجوب الجهاد.
- ٧- بلاغ (الجنرال مود) القائد العام للقوات البريطانيه في ١٩ آذار ١٩١٧.
- ٨- التصريح الإنكليزي الفرنسي في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨.

٩- رساله إداره الحاكم الملكي العام فى العراق إلى الإمام الميرزا محمد تقى الحائرى الشيرازى فى ٥ أيار ١٩١٩م.

١٠- جواب (السير ولسن) قائممقام الحاكم الملكي العام فى العراق على رساله الشيخ الشيرازى، المهذده بالهجره من كربلاء.

١١- رساله الجوابيه التى بعثها الشريف حسين إلى الإمام الشيرازى.

١٢- رساله الشيخ محمد، نجل الإمام الشيرازى إلى ولى عهد المملكه الحجازيه.

١٣- رساله الإمام الشيرازى وشيخ الشريعه إلى الرئيس الأمريكى ولسن، بمناسبة انعقاد مؤتمر باريس.

١٤- رساله الإمام الشيخ الشيرازى إلى الأمير فيصل بن الحسين.

١٥- رساله الإمام الشيرازى للشيخ أحمد الشيخ داود.

١٦- رساله الإمام الشيرازى إلى جعفر أبوالتمن.

١٧- نداء الإمام الشيرازى إلى جميع العراقيين.

١٨- كتاب الإمام الشيرازى إلى الحاكم السياسى فى الحله.

١٩- رساله الإمام شيخ الشريعه إلى الحاكم الملكي العام فى العراق بتاريخ ٨ شوال ١٣٣٨هـ، ٢٥ حزيران ١٩٢٠م.

٢٠- جواب الحاكم الملكي العام فى ١٦ شوال ١٣٣٨هـ، ٢ تموز ١٩٢٠م.

٢١- ردّ الإمام شيخ الشريعه على جواب الحاكم الملكي العام، فى ٢١ شوال ١٣٣٨هـ، ٨ تموز ١٩٢٠م.

٢٢- رساله الإمام شيخ الشريعه إلى المؤمنين ورؤساء العشائر لممارسه الطرق السلميه للمطالبه بالحقوق المشروعه.

٢٣- رساله الحاكم الملكى العام شيخ الشريعة الاصفهاني، ألقته الطائرات البريطانيه على كربلاء يوم ١٩ ذى الحجه ١٣٣٨هـ-،
٢٦ آب ١٩٢٠م.

٢٤- جواب المرجع الأعلى الإمام شيخ الشريعة على رساله الحاكم الملكى العام ببغداد.

٢٥- لائحہ الانتداب البريطاني على العراق.

٢٦- رساله الشيخ عبد الكريم الجزائري إلى الشيخ خزعل.

٢٧- تعليمات الإدارة البريطانيه، التي وجهت إلى مجلس الدوله.

٢٨- نص منهاج تنظيم سفر الوفود إلى مؤتمر كربلاء المنعقد بين ١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠هـ، ٨-١٣ نيسان ١٩٢٢م.

٢٩- البيان الختامى الصادر من مؤتمر كربلاء المنعقد بين ١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠هـ / ٨-١٣ نيسان ١٩٢٢م.

٣٠- نموذج من الفتاوى التي أصدرها العلماء لمقاطعه انتخابات المجلس التأسيسى.

٣١- المعاهده الإنكليزيه - العراقيه المنعده فى ١٠ تشرين الأول ١٩٢٢م.

٣٢- لائحہ إحلال المعاهده العراقيه - البريطانيه وملاحقها لعام ١٩٢٢م محل الانتداب البريطاني، مرسله من الحكومه البريطانيه إلى عصبه الأمم.

٣٣- ملحق المعاهده الإنكليزيه - العراقيه لسنة ١٩٢٢م، بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٣م.

٣٤- المعاهده الإنكليزيه - العراقيه المنعده فى ١٣ كانون الثانى ١٩٢٦م.

٣٥- المعاهده الإنكليزيه - العراقيه المنعده فى ٣٠ حزيران ١٩٣٠م.

٣٦- ملحق المعاهده الإنكليزيه - العراقيه لسنة ١٩٣٠م.

٣٧- الاتفاقيه الإنكليزيه - العراقيه حول المسائل الماليه المنعقدده فى ١٩ آب ١٩٣٠م.

٣٨- الحكام العسكريون والمدنيون الإنكليز فى العراق.

٣٩- الوزارات العراقيه، أسماء الرؤساء وفترة حكمهم.

٤٠- نص رساله الإمام السيد أبو الحسن الاصفهاني لأهالى البصره، لتوحيد الكلمه.

٤١- الرساله الجوابيه لسماحه آيه الله السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للشوره الإسلاميه فى العراق.

ص: ٨٤٠

جواب الإمام الشيخ كاظم الخراساني على استفتاء العلماء من دعاه الدستور في إيران

«جواب الاستفتاء: هذا ما قرره المجتهدون الأعلام، بسمه تعالى وبه نستعين. بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وآله الطاهرين، ولعنه الله على القوم الظالمين إلى يوم القيامة. أما بعد. فبالتأكيدات الإلهية والمراحل السماوية وتحت توجيهات الهدى العالی الشأن حضره صاحب الزمان (روحنا فداه): إن قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسه ومحترمه وهي فرض على جميع المسلمين إن يقبلوا هذه القوانين وينفذوها. وعليه نكرر قولنا: إن الإقدام على مقاومه المجلس العالی بمنزله الإقدام على مقاومه أحكام الدين الحنيف، فواجب المسلمين أن يقفوا دون أى حركة ضد المجلس».

التوقيع: كاظم الخراساني

وقد وقّع الرسالة عدد من كبار علماء المسلمين الشيعة في العراق (باستثناء كاظم اليزدي) وهم: محمد تقى الشيرازي، عبد الله المازندراني، حسين الشيخ خليل، شيخ الشريعة، السيد مصطفى الكاشاني، السيد على الداماد، عبد الهادي شليله، حسين النائيني، محمد حسين القميشي، مصطفى النقشواني.

فتوى المرجعية الدينية في النجف الأشرف بإعلان الجهاد ضد الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب سنة ١٩١١م

بسم الله الرحمن الرحيم إلى كافة المسلمين الموحدين وممن جمعتنا وإياهم جامعة الدين والإقرار بمحمد سيد المرسلين، السلام عليكم أيها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والحافظون لبيضة الإسلام لا- يخفى عليكم أن الجهاد لدفع هجوم الكفار على بلاد الإسلام وثورته مما قام إجماع المسلمين وضروره الدين على وجوبه. قال الله سبحانه: انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٢. هذه كفره إيطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من أعظم الممالك الإسلامية وأهمها فخرها عامرها وأبادوا أبنيتها وقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها، ما لكم تبلغكم دعوه الإسلام فلا- تجيبون، وتوافقكم صرخه المسلمين فلا تغيثون، أنتظرون أن يزحف الكفار إلى بيت الله الحرام، وحرم النبي والأئمة عليهم السلام ويمحووا الديانة الإسلامية عن شرق الأرض وغربها، وتكونوا معشر المسلمين أذل من قوم سبأ، فالله الله في التوحيد، الله الله في رساله، الله الله في نواميس الدين، وقواعد الشرع المبين، فما بعد التوحيد إلا التثليث، ولا بعد الإقرار بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا عباده المسيح، ولا بعد استقبال الكعبه إلا تعلق الصليب، ولا بعد الآذان إلا قرع النواقيس فبادروا إلى ما افترضه الله عليكم من الجهاد في سبيله، واتفقوا ولا تفرقوا، واجمعوا كلمتكم وابدلوا أموالكم وخذوا حذرکم وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ

وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهِمُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ . ١ لئلا يفوت وقت الدفاع وأنتم غافلون، وينقضى زمن الجهاد وأنتم متناقلون
فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢.

[أختام العلماء و تواقيعهم]

خادم الشريعة المطهره محمد كاظم الخراساني،

الأحقر الجاني عبد الله المازندراني،

الجاني شيخ الشريعة الاصفهاني،

أقل خدام الشريعة محمد حسين القمشي،

الأقل على رفيش،

أقل خدام الشريعة الغراء حسن ابن المرحوم صاحب الجواهر،

الأحقر الجاني السيد على التبريزي،

الأقل الجاني مصطفى الحسيني الكاشاني،

الراجي عفو ربه محمد آل الشيخ صاحب الجواهر (قدس سره)،

الراجي عفو ربه الغفور محمد جواد الشيخ مشكور،

الأحقر جعفر ابن المرحوم الشيخ عبدالحسن،

بسم الله الناصر المعين أنا وكل مسلم نستعين،

الأقل محمد سعيد الجبوبي.

برقيه المرجع الأعلى السيد محمد كاظم الطباطبائي (اليزدي)

إلى الشيخ خزعل أمير المحمره يدعوه للجهد (١)

إلى حضره الشيخ خزعل خان عن النجف:

عشار - محمره. سلام على السردار الأرفع معز السلطه الشيخ خزعل دام إجلاله:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخفى أن من أهم الواجبات المحافظه على بيضه الإسلام والدفاع فى النفس والنفس عن ثغور المسلمين ضد مهاجمه الكفار. وأنت فى ثغرهم من تلك الثغور، فالواجب حفظ ذلك الثغر عن هجوم الكفار بكل ما تتمكن، كما يجب ذلك على سائر العشائر القاطنين فى تلك الجهات واللازم عليك تبليغ ذلك إليهم، كما أنه يحرم على كل مسلم معاونه الكفار ومعاضدتهم على محاربه المسلمين، والأمل بهمتك وغيرتك أن تبذل تمام جهدك فى دفع الكافرين والله. يؤيدك بالنصر على أعدائه إن شاء الله تعالى.

١/ محرم ١٣٣٣هـ، ٢٢ تشرين الثانى ١٩١٤م

محمد كاظم الطباطبائي

ص: ٨٤٤

١- (١) نقلاً عن النجار، مصطفى عبد القادر: التاريخ السياسى لإماره عربستان العرييه، ١٨٩٧-١٩٢٥، القايره ١٩٧١، ص ٣٠٢-٣٠٣.

ملحق رقم (٤)

برقيه عدد من المجتهدين فى النجف إلى الشيخ خزعل أمير المحمره يدعونه إلى الجهاد

عشار - بواسطة الأجل الحاج حمود الملاك لحضره الأجل الأكرم سردار أرفع دام إقباله:

باسم الشريعة المحمديه، يجب عليك النهوض والقيام، واتفاقكم مع المسلمين فى مدافعه الكفار عن ثغر البصره بالمال والنفس وبكل ما تقدرون عليه وهذا حكم دينى لا يفرق بين إيرانى وعثمانى، جاهدوا بأموالكم وأنفسكم لينصركم الله بحوله.

خادم الشريعة الأحقر الأقل

محمد حسين المهدي سيد مصطفى الكاشانى شيخ الشريعة الاصفهانى

الأحقر آيه الله زاده خراسانى الأحقر السيد على التبريزى

١/ محرم ١٣٣٣هـ، ٢٢ تشرين الثانى ١٩١٤

ملحق رقم (٥)

المرجع الأعلى السيد اليزدى يؤكد وجوب الجهاد فى جوابه على رساله الشيخ شعلان العطيه، إلى المؤمنين من أهالى عفا فى ١ ذى الحجه ١٣٣٣هـ، -١٩١٥م

إلى كافه إخواننا المؤمنين الموحدين من أهالى عفا: لا يخفى عليكم تحقق هجوم الكفره على ثغور المسلمين، فانفروا كما قال الله خفافاً وثقالاً، ولألفينكم كما يقول عز من قائل: أشدّاء

ص: ٨٤٥

عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ... ١ فانهبوا بتوفيق الله إلى جهاد عدوكم وعدو نبيكم. وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ .. ٢. فقد أعلننا
بوجوب الدفاع عن حوزة المسلمين وبيضة الدين وقد وَفَّضَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ٣.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد كاظم الطباطبائي (اليزدي)

ملحق رقم (٦)

نداء المرجع الأعلى السيد اليزدي إلى أهالي الشطره، بوجوب الجهاد

السلام على كافة إخواننا في الشطره وفيما حولها ورحمة الله وبركاته. غير خفى عليكم أننا أبرقتنا غير مره لكم ولغيركم وكتبنا
حتى كَلَّمُ القلم، وشافهتُ حتى اضطرب اللسان حثًا على الدفاع وإلزاماً بحفظ الثغر المهاجم وأقول الآن عوداً على بدء: يجب
عليكم الدفاع وحفظ بيضة الإسلام فبأى عذر بعد اليوم تعتذرون اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٤.

محمد كاظم الطباطبائي

ص: ٨٤٤

بلاغ (الجنرال) مود القائد العام للقوات البريطانية إلى سكان ولاية بغداد

بلاغ (الجنرال) مود (١) القائد العام للقوات البريطانية إلى سكان ولاية بغداد

باسم جلاله ملكي، وباسم الشعوب التي يملك عليها، أخاطبكم بما يلي:

إن غاية عملياتنا العسكرية هي قهر العدو وطرده من هذه الديار. وفي سبيل إنجاز هذه المهمة قد أوليت سلطه تامه عليا في جميع المناطق يقوم فيها الجيش البريطاني بعملياته العسكريه، ولكن جيشنا لم يدخل مدنكم وأراضيكم كجيش فاتح، أو كجيش عدو، بل جاء محرراً لكم.

منذ زمن هولاءكو والمواطنون عندكم يقاسون ظلم الغرباء، وأصبحت قصوركم أطلالاً، وجنائكم قفراً يباباً. وكان أجدادكم يئنون من الجور والاستعباد كما أنكم أنتم أيضاً تعانون من الظلم والبلاء. وقد كان أبناؤكم يؤخذون إلى ساحات الحرب التي لم يكن فيها مأرب. وكان أناس ظلام ينهبون ثرواتكم ليبدروها في أماكن بعيدة.

ومنذ زمن مدحت باشا والأتراك يتكلمون عن الإصلاح، ولكن انظروا الآن إلى الخرائب والأراضي المقفرة المجدبه، ماذا تجدون؟ أليست دليلاً قاطعاً على وعودهم الكاذبه؟

وليست هي إرادته جلاله ملكي وشعبه وحدها، بل أنها إرادته الشعوب العظيمة المتحالفه معه أن تكون أمه متقدمه مزدهره كما كنتم في سالف الزمن عندما كانت أرضكم خصبه معطاء، عندما أعطى أسلافكم العالم أدباً عظيماً وعلماً وفناً، عندما كانت بغداد يوماً من عجائب الدنيا.

ولقد قامت علاقات وديه وثيقه بين شعبكم وشعوب إمبراطوريه جلاله ملكي، وظلّ تجار بغداد والتجار البريطانيون يتبادلون التجاره والمنافع المشتركه طوال مئتي سنه. من جهة ثانيه

ص: ٨٤٧

١- (١) نقلاً عن: النفيسي، عبد الله فهد: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، مرجع سابق، ص ٢٠٤-٢٠٥.

لقد جعل الألمان والأتراك الذين نهبوكم وسلبوكم أموالكم، من بغداد مركز قوه لهم يهاجمون منه بريطانيا وحلفاءها في إيران والجزيره العربيه. ولذا لا يسع الحكومه البريطانيه أن تظل مكتوفه اليدين إزاء ما يجرى في بلادكم الآن، أو ما سيجرى في المستقبل، لأنه، نظراً إلى مصالح الشعب البريطاني وحلفائه، لا يسع الحكومه البريطانيه أن تسمح مرّة ثانيه باستخدام بغداد مركزاً لمحاربه المصالح البريطانيه كما فعل الألمان والأتراك في أثناء الحرب.

وأما أنتم، أهل بغداد، الذين تُعنى الحكومه البريطانيه بازدهار أعمالكم، وتهتم بتجاركم وبتحرّركم من الظلم والاعتداء الخارجى، فلا ينبغى أن يتبادر إلى أذهانكم أنّ الحكومه البريطانيه ترغب فى أن تفرض عليكم أنظمه ومؤسسات غريبه لا ترضون عنها. بل الأمر على نقيض هذا فإن الحكومه البريطانيه تأمل فى أن تتحقق يوماً الأمانى والآمال التى كان يحلم بها مفكروكم وأدباؤكم. وسيزهو أهل بغداد وسينعمون بثرواتهم وأموالهم فى ظل أنظمه ومؤسسات منبثقه من شريعتكم المقدسه، ومنسجمه مع سجاياكم وخصائصكم القوميه. إن عرب الحجاز قد طردوا الأتراك والألمان الذين ظلموهم وأعلنوا الشريف حسين ملكاً عليهم، ولهذا أن جلالته الآن يحكم البلاد حُرّاً مستقلاً، وقد انضم إلى صفوف الأمم التى تحارب الأتراك والألمان. وهكذا فعل أشراف العرب ونبلاؤهم فى نجد والكويت والعسير.

عديدون هم العرب الأشراف النبلاء الذين استشهدوا فى سبيل الحريه على يد الحكام الأتراك الغرباء الذين أذاقوهم من الظلم والبلاء ألواناً. وقد وُطدت حكومه بريطانيا العظمى، بالتعاون مع الدول العظمى من حلفائها. العزم على أن استشهد العرب النبلاء الذين ضحوا بحياتهم لن يذهب عبثاً. إن الشعب الإنكليزى وشعوب الدول المتحالفه معه ترغب وتأمل فى أن تنهض الأمه العربيه النبيله، وتعود إلى سالف عزّها ومجدها أمه عظيمه بين أمم الأرض، وأن تتحد فى سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل.

يا أهل بغداد، تذكروا أنكم قاسيتم العذاب والظلم طوال ستة وعشرين جيلاً في ظل حكم طُغاه غرباء كان دأبهم تحريض قوم منكم على قوم وإثارة عشيره ضد عشيره كي يجنوا الخير من انقساماتكم. ولذا فإنني مُخَوِّل أن أدعوكم، بواسطة شيوخكم وإشرافكم وممثليكم، إلى الاشتراك في تصريح شؤونكم المدني بالتعاون مع الممثلين السياسيين لحكومته بريطانيا العظمى الذين أتبعوا بالجيش البريطاني، فاتحدوا بإخوان لكم في الشمال والشرق والجنوب والغرب كي تحققوا الأمانى الجسام التي تحلم بها أمتكم العظيمة.

ف.س.مود

القائد العام للقوات البريطانية في العراق

صدر عن مركز القيادة في بغداد، في ١٩ آذار ١٩١٧ الموافق ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ جريه.

ملحق رقم (٨)

التصريح الإنجليزي - الفرنسي في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨

إن هدف فرنسا وبريطانيا العظمى في الحرب الدائرة الآن في الشرق والتي أشعلتها الأطماع الألمانية هو التحرير التام والنهائي للشعب الذي اضطهده الأتراك طويلاً، وإنشاء حكومات وإدارات وطنيه تستمد سلطتها من مبادره السكان الأصليين واختيارهم الحر.

ص: ٨٤٩

ولأجل تحقيق هذه الأهداف فإن فرنسا وإنكلترا متحدثتان في تشجيع ومساعدته إنشاء حكومات وإدارات أهليه وكذلك في الاعتراف بها حالما تتكون واقعاً، في سوريا وفي ما بين النهرين، التي انتهى الحلفاء من تحريرها في الوقت الحاضر، وفي المناطق التي يعملون الآن على تحريرها. إنهما مهتمتان فقط بإبداء المساعدة والمسانده الكافيه في العمل الصحيح للحكومات والإدارات التي ينتخبها السكان بحريه، بعيداً عن الرغبه في فرض أيه مؤسسات على سكان هذه المناطق..

تلك هي السياسيه التي تساندها الحكومتان الحليفتان في المناطق المحرره.

ملحق رقم (٩)

رساله إداره الحاكم الملكي العام في العراق إلى الإمام الشيخ محمد تقى الشيرازى في ٥ أيار ١٩١٩

إداره الحاكم الملكي العام في العراق..

الرقم ١٣٢٩٤

التاريخ ٥ أيار سنه ١٩١٩م

إلى حضره آيه الله العالم علامه، الحبر الفهامة الميرزا محمد تقى الشيرازى دام ظله العالى.

تحية وسلاماً وبعد:

نعت إلينا الأخبار بمزيد الأسف انتقال المرحوم الطيب حضره آيه الله السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى، فأكبرنا وتغلب علينا الحزن لفقدان ركن من أهم أركان حضرات الأعلام وحجج الإسلام دامت بركاتهم، فلا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم، وإنا لله وإنا إليه

ص: ٨٥٠

راجعون، هذا قضاء الله لا مردّ له.

نعم إن الرزء أليم، والخطب جسيم، لا سيما وإن الراحل الكريم كان تقيّاً ورعاً عالماً علامه، وخبيراً فهامه، مطاع الأمر والنهي، فى كل ماله تعلق بالأمر الدينيه والدينيوه، محباً للخير والوطن، عاملاً على تسكين الخواطر. ناصحاً عاقلاً، رشيداً حكيماً، حازماً هماماً، محرّضاً للناس على التزام جانب السكينه، هادياً لهم إلى طريق الخير والصلاح، ناهياً لهم عن ارتكاب الهفوات والغلطات، على أنه فى أشخاص حضرات آيات الله العلماء الأعلام، وحجج الإسلام، دامت بركاتهم، أكبر معزّ عن فقدته، ولنا فى تحليهم بصفاته، واتباعهم حُطاه الحكيمه خير سلوان يخفف عنا وطأه فراقه.

فنسأل الله أن يتعمّد الراحل الكريم برضوانه، ويسكنه فسيح جنّاته. وأن يعوضنا عنه بكم خيراً، ونطلب من المولى تعالى أن يطيل بقاءكم، ويسعد أيامكم، ويعلى قدركم بين الأنام، بما أنتم أهل له من رفعة المقام، آمين.

وقد أوفدنا من جانبنا حضره النواب محمد حسين خان البوليتيكل أتابشيه لدوله الحاكم الملكى العام بالعراق إلى كربلاء المعلى والنجف الشرف لتقديم واجب التعزيه إلى حضرات أنجال وأعضاء عائله الراحل الكريم، وإلى حضرات العلماء الأعلام، وحجج الإسلام دامت بركاتهم، فترجوكم أن تشملوه بعنايه خاصه. هذا واسمحوا لنا بالتعبير لكم عن تقدير الحكومه البريطانيه العظمى لخدمات حضرات العلماء الأعلام دامت بركاتهم، واستعدادهم لقاء ما ترونه فيه خير العباد ولكم منا السلام أولاً وأخيراً.

القائم مقام آ.ب. هاول

القائم بأعمال الحاكم الملكى العام بالعراق

ص: ٨٥١

جواب (السير ولسن) قائممقام الحاكم الملكي العام في العراق على رساله الإمام الشيرازى المهدده بالهجره من كربلاء

إداره الحاكم الملكي في العراق - بغداد ١٩١٩-٦

حضره آيه الله العظمى، حجه الإسلام الميرزا محمد تقى الحائرى الشيرازى دامت بركاتة.

لى الشرف أن أعرض لكم أنه وصيّلنا كتابكم المؤرخ ٨ ذى القعدة سنة ١٣٣٧هـ- تذكرون بكل أسف أن الأعمال التي أقدمت عليها حكومه بريطانيا العظمى لإجراء واجبات وظائفها، ولحفظ أحكام القوانين والأنظمة أوجبت استياء وتشويش العلماء الأعلام دامت بركاتهم في كربلاء، وكنت أعتقد في تجارب الأربع سنوات الماضيه قد ثبت لدى حضرتكم والمتعلقين بكم، بأن الحكومه البريطانيه اعتنت بصيانه وسلامه العتبات المقدسه أكثر من أيام دوله أخرى.

كانت كربلاء منذ مده طويله بؤره للاغتشاشات والثورات بين الأهالى والحكومه، وكما لا يخفى عليكم بأن هذه الثورات كانت تُحدث أضراراً وخسائر وتلفيات كثيره من قبل الجنود الترك على الأهالى والمدينه، لا سيما أن شرف العلم والعلماء كان غير مصون في تلك العصور، ممّا أدى إلى تيقظ الحكومه البريطانيه واهتمامها بمثل هذه الأصول المخالفه للعادات البريطانيه. لقد حصلت لنا اطلاعات كافيه في مده الأثنى عشر شهراً الماضيه تثبت أن بعض الأشخاص في كربلاء يقومون بتشويش الأذهان، وينشرون أخباراً غير مرضيه وغايتهم من ذلك تشويش أفكار الناس ضد الحكومه البريطانيه، وكنت منتظراً من مده طويله إنهاء هذه الإشاعات. غير المرضيه بعد إعلان الصلح، لكنى لاحظ أن الأمر قد انعكس، وإن بعض الجاهلين قد زادت جسارتهم وكثر سعيهم في تشويش الناس، فلذا لاحظت أن من الواجب القبض على بعض الأفراد، وإن

الأشخاص الذين قبض عليهم هم أربعة من أهالي المدينة الذين لم تكن لهم علاقة معكم ولا- مع العلماء الأعلام والروضات المطهره.

والإثنان اللذان هما من الساده وإن لم يكونا من ذوى الأهميه إلا- أنهما ينشران الإشاعات الكاذبه ضد الإنجليز، وهو باعث لتشويش أفكار الأهالي، ونظراً لأقداماتكم فقد عزمنا على تسريح السيد محمد على الطباطبائي وإرساله إلى سامراء على أن يسكن هنالك ولا يخرج منها بدون إجازة منا، فترجوكم إشعاره بهذا الأمر تحريرياً عند وصول كتابنا هذا إليكم مع إخباره بأن يبقى هناك ساكناً ولا يتدخل في أمور الناس، وإذا تخلف عن التقيّد بهذا الأمر فإننا بكمال حريتنا ننفية عن هذه المملكة إلى محل لا يتمكن فيه من إحداث أى تشويش.

وأما السيد محمد مهدي المولوى فإن له اليد الطولى فى تشويش أفكار العموم، وبما أنه هندي الأصل فقد استحسنا إرساله إلى وطنه الأصلي، حيث يعيش بكمال الحريه، لأنه لا يمكن إبقاءه فى كربلاء حيث وجوده موجب لعدم استراحه الناس فيها.

لنا وثيق الرجاء أن بعض الأشخاص فى كربلاء قد آنتبهوا واحترزوا فى إعطاء جميع الناس الرفاهيه التامه، لكننا لا نود أن يستعمل بعض الأشخاص هذه الحريه والرفاهيه لأغراض الاغتشاشات والتشويشات بين الناس. وقد قدمت هذه الرساله بواسطه النواب محمد حسين خان المعروف بالخدمه لدينا، وفى الحقيقه إنه الرجل الوحيد الذى نعتد عليه. وقد زودته ببعض معلومات شفويه ليعرضها على حضر تكم والسلام.

أ.ت. ولسن

قائم مقام الحاكم الملكى العام فى العراق

ص: ٨٥٣

الرسالة الجوابية التي بعثها الشريف حسين إلى الإمام الشيرازي رداً على الرسالة التي كان قد بعثها في صيف ١٩١٩ مع الشيخ رضا الشيبلي

الديوان الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي. إلى الجهيد الأفضل، والحبر الأكمل، مولانا الشيخ تقي الشيرازي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأنا في أنها الساعات تلقينا محرركم الكريم، وطيه صور إفاداتكم للجنة وعلم مآل الجميع، وإنني بعنايه الله سأبذل كل ما في الجهد لحصول رغائبكم. وكيف لا- أقول ذلك وأنها هي إحدى أساسات الأعمال التي ارتكبنا من أجلها التهلكة. فكونوا مطمئنين بالله تعالى بأنا على ما تؤملون. أما الفوز برغائبكم بل رغائبي فيكم التي هي قره عيني أو ترك الدنيا وما فيها، والله يتولانا وإياكم بتوفيقه فإنه يخلق ما يشاء ويختار، وسلامي عليكم كافه ورحمه الله وبركاته.

٢٤ ذى الحجه ١٣٣٧هـ- الحسين بن علي

ص: ٨٥٤

رسالة الشيخ محمد، نجل الإمام الشيرازي إلى ولي عهد المملكة الحجازية الأمير علي بن الحسين. أرسلت في صيف ١٩١٩

إلى حضره صاحب السمو الملكي الأمير علي ولي عهد السلطنة العربية، حفظه الله تعالى.

بعد الشاء على ذاتكم الكريمة المحترمة، والدعاء لبقاء العرش الهاشمي، واستمرار حياته، فإنه أصل حياه الأمة العربية وماده وجودها.

نبدى إلى سموكم أننا لا زلنا ولن نزال نتوسل إلى الله تعالى أن يعيد شرف الأمة الإسلامية إلى نصابه الأول على أيدي رجال النهضة الحديثه، الذين كوّنوا في هذه الظروف الحرجه دوله أصبحت موضع إعجاب الأمم الكبرى، ومحط آمال الشعوب العربية التي ما فتأت تنظر إلى ماضيها السعيد، وتشوق إلى حضارتها القديمه.

يا سمو ولي العهد، لا شك في أنكم جاهدتم في سبيل الأمة العربية جهاداً، قدّره حق قدره كل عربي أضيّم، فالشعب العربي في كل أنحاء المعموره مدين لكم بتفاديكم العجيب، لإنقاذكم إياه من شراك الظلم والاستبعاد، ومخالب العتو والاستبداد.

يا سمو ولي العهد: إن القطر العراقي كسائر الأقطار العربية التي بايعت جلاله الملك أبيكم، وأزيدكم إنه لأكثر تحمساً في سبيل الاستقلال التام، وأشد نعره قوميه، وأقرب إلى الوحده العربية، وذلك لأنه مسكون بشعب عربي بحت ليس فيه دخيل يُخشى شرّه، وها هو

اليوم ينتظر بفروغ الصبر أن يسمع صدى دفاعكم عنه، فقد أكله الظلم، ونخر عظامه الاستبداد.

ولا يُخفى على سموكم ما لاقاه العراقيون منذ بدء الاحتلال إلى هذا اليوم من المصائب العظيمة، والخطوب الجسميه، وتحملوا من المظالم والاعتسافات فى سبيل انتخاب أحد أخويكم الأمرين عبد الله وزيد ما لا يمكن سرده لكم، ولا ريب فى أنكم تدركون أن موقف العراقيين إزاء الحكومه المحتله موقف ملؤه المخاوف والأخطار، لذلك يصعب عليهم مباشره رفع أصواتهم إلى مؤتمر الصلح وعصبة الأمم وإلى الصحافه الحره والحكومات الديمقراطيه. ومن أجل ذلك كله فقد انتدب أبى حضره الفاضل الشيخ محمد باقر الشيبى ليفيدكم عما ينبغى عمله بالفعل لإنقاذ هذه البلاد الطاهره التى عاث فيها أعداء الإسلام فساداً، وضيقوا الخناق على إخوانكم الذين أبكاهم التحكم الغريب، والظلم العجيب. ومن جرّاء أفاعيل حكومه الاحتلال التى اعتدت ظلماً وعدواناً على الأماكن المقدسه مقامات أجدادكم الطاهرين، وأهانت مراكز العلماء الروحانيين، صمم أبى وجماعه العلماء الأعلام على مغادره هذه البلاد إلى بلاد فارس، فقد كبر عليه أن يرى تحقير المسلمين وازدراءهم من أعدائهم. نعم كبر عليه أن يرى الأعلام الصليبيه تخفق على البلاد العربيه، فالله الله فى العراق وانتشاله من مهاوى الحيف والجور.

والسلام عليكم ودوموا مؤيدين.

الأحقر محمد رضا نجل آيه الله الحائرى

ص: ٨٥٤

رسالة الشيخ الشيرازي وشيخ الشريعة إلى الرئيس الأمريكي ولسن، بمناسبة انعقاد مؤتمر باريس، يطلبان فيها مساندته في دعم العراقيين بإقامه دوله عربيه مستقله إسلاميه يرأسها ملك مسلم مقيد بمجلس وطني

رسالة الشيخ الشيرازي وشيخ الشريعة إلى الرئيس الأمريكي ولسن، بمناسبة انعقاد مؤتمر باريس (١)، يطلبان فيها مساندته في دعم العراقيين بإقامه دوله عربيه مستقله إسلاميه يرأسها ملك مسلم مقيد بمجلس وطني

لحضره رئيس جمهوريه الولايات المتحده الأمريكيه المحترم

ابتهجت الشعوب جميعها بالغايه المقصوده من الاشتراك في هذه الحروب الأورويه من منح الأمم المظلومه حقوقها وإفساح المجال لاستمتاعها بالاستقلال حسب الشروط المذاعه عنكم، وبما أنكم كنتم المبدأ في هذا المشروع، مشروع السعاده والسلام العام، فلا بد أن تكونوا الملجأ في رفع الموانع عنه، وحيث قد وجد مانع قوى يمنع من إظهار رغائب كثيره من العراقيين جميعهم والرأى السائد - بما أنهم أمه مسلمه - أن تكون حريه قانونيه واختيار دوله جديده عربيه مستقله إسلاميه، وملك مسلم مقيد بمجلس وطني. وأما الكلام في أمر الحمايه فإن رفضها أو الموافقه عليها يعود إلى رأى المجلس الوطنى بعد الانتهاء من مؤتمر الصلح.

فالأمل منا حيث أنا مسؤولون عن العراقيين في بث آمالهم وإزاله الموانع عن إظهار رغائبهم بما يكون كافياً ليطلع الرأى العام على حقيقه الغايه التي طلبتموها في الحريه التامه، ويكون لكم الذكر الخالد في التاريخ بحريه العراق ومدنيته الحديثه.

في ١٢ / جمادى الأولى ١٣٣٧ هـ -

شيخ الشريعة الاصفهاني محمد تقى الحائرى الشيرازي

ص: ٨٥٧

رسالة الإمام الشيرازي إلى الأمير فيصل بن الحسين إلى حضرة صاحب السمو فيصل نجل ملك العرب خُدملكه

بعد الدعاء بدوام عزكم. وبقاء مجدكم، نبدي لكم أننا لازلنا نسمع أبناء تفاديكم العظيم، في سبيل إحياء الجامعه العربيه التي هي عنوان المجد الإسلامي، ذلك المجد الرفيع، الذي رفع قواعده أجدادكم الطاهرون، وحمى حوزته أسلافكم الماضون، فحيا الله نخوتكم الهاشميه، وغيرتكم الإسلاميه، وأدامكم ملكاً تقرُّ به عيون المسلمين، وتفخر به أئمه الدين، هذا ولا يخفاكم ما تكابده الأمة العراقيه المظلومه في كل لحظه من أنواع الظلم الفاحش، مضافاً إلى الاستهانه بمكانتها التاريخيه، والإزدراء بتقاليدها الإسلاميه، وما زالت تنن من التحكّم الباطل، والاعتداء على حقوقها المشروعه، وقد بلغ الظلم مبلغاً لا يجوز معه الصبر، وحيث أن هذا المحيط العراقي مضغوط عليه كل الضغط من كل الجهات، حتى أنه لا يمكنه رفع صوته مباشره إلى الأمم التي ترأف بالضعيف وتشفق عليه، رجحنا أن نعتمد الشيخ محمد باقر الشيبى ليوقفكم على الأعمال القاسيه الجاريه في العراق، ويكشف لكم عن المظالم التي ما زالت تستعملها حكومه الاحتلال، فترفعوها إلى الصحافه الحره في كل أنحاء العالم، وتظهروها صريحه إلى الحكومات الأوروبيه والأمريكيه، حتى تتمكن بواسطتها من تحصيل مقاصدنا العاليه، وتيقنوا أن السكوت عن الضيم أمر لا يستطيع العراقيون تحمله، فساعدوا إخوانكم الذين اعتمدوكم من قبل للمطالبه باستقلال بلادهم، ولا تجعلوا سبيلاً لتثبث الأجنبي كيف كان، وامتداد نفوذهم إلى هذه الديار الإسلاميه، ودوموا مؤيدين ظافرين.

محمد تقى الحائري الشيرازي

٧/ رمضان ١٣٣٨ هـ -

ص: ٨٥٨

رساله الإمام الشيرازى للشيخ أحمد الشيخ داود

حضره الأمثل الأفضل الأوحد نجل الشيخ داود أحمد دام فضله.

سلام واحترام وبعد:

فقد تلقيت بالابتهاج برقيتكم فما وجدتها أعربت مقدرًا ولا أبرزت مستترًا، هذا ما أعتقده من عامه المسلمين أن يكونوا على مبدأ القرآن ومنهج الحق وقول الصدق، فكيف بمن ربى في حجر العلم ورضع درّ الإيمان أباً عن جد، ولا أرى أنه يسرك أن ترانى مقتنعاً بما عاهدت عليه الله، وقد أخذ من ذلك عليك عهدك من قبل أن يراك، بلى فسرّنى أن أرى مثلك على رأس قاده المسلمين، إلى الحق داعياً، للضالين هادياً، بحيث يسترشد بك المسترشدون وينهض بأمرك المتقاعدون لتكن أهلاً لذلك. فإنك له أهل وليكن التوفيق رائدك في عمل الخير وكن لساناً ناطقاً بالصواب، داعياً إلى الشرع الشريف أهله، سالكاً بهم محجته البيضاء، فإنك مقتدى للمسلمين وهذا هو الأجدر بى وبك ومن جرى مجرانا من خدام الدين وأنصار الشرع المبين. وأرجو إبلاغ جزيل السلام والدعاء والدعوة لإخواننا المؤمنين، نسأل الله لهم خير الدارين، وبلوغ الحُسنيين، فأنصروا الله وآتبتوا فإنكم إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٢ ، وثقوا أنكم ستجنون ثمره الجهاد والعناء فى سبيل الله وإن الله معكم إن آتقيتم. وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ٣.

محمد تقى الحائرى (الشيرازى)

رسالة الإمام الشيرازي إلى جعفر أبو التمن

إلى ولدنا الأنجب الأكمل محمد جعفر أبو التمن أعزه الله وحرسه.

السلام عليكم، لا- يخافك وصلنا كتابك المشتمل على بيان الحركة الإسلامية في بغداد، وزادها جلاء ولدنا الفاضل الأديب الشيخ محمد باقر الشبيبي وفقه الله، فسرنا إتحاد كلمه الأمة البغداديه، واندفاع علمائها ووجوهها وأعيانها إلى المطالبة بحقوق الأمة المشروعه ومقاصدها المقدسه، فشكر الله سعيك ومساعي إخوانك وأقرانك من الأشراف، وحقق المولى آمالنا وآمال علماء وفضلاء حاضرتمكم الذين قاموا بواجباتهم الإسلامية، هذا وإننا نوصيكم أن تراعوا في مجتمعاتكم قواعد الدين الحنيف، والشرع المنزه عن الوصايه الذميمة، وأن تحفظوا حقوق مواطنيكم الكتابيين وتصونوا نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، محترمين كرامه شعائرهم الدينيه كما أوصانا بذلك نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

والسلام عليكم وعلى العلماء و الأشراف و الأعيان.

محمد تقى الحائري (الشيرازي)

نداء الإمام الشيرازى إلى جميع العراقيين

إلى إخوانى العراقيين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أما بعد: فإن إخوانكم فى بغداد والكاظميه والنجف وكربلاء وغيرها من أنحاء العراق قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلميه، وقد قامت جماعه كبيره بتلك المظاهرات مع المحافظه على الأمن، طالبين حقوقهم المشروعه المنتجه لاستقلال العراق إن شاء الله بحكومته إسلاميه، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحيه إلى عاصمه العراق بغداد، وفداً للمطالبه بحقه متفقاً مع الذين يتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد. الواجب عليكم، بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم فى هذا المبدأ الشريف، وإياكم والإخلال بالأمن، والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض إن ذلك مضرّ بمقاصدكم، ومضيع لحقوقكم التى صار الآمن أوان حصولها بأيديكم، وأوصيكم بالمحافظه على جميع الملل والنحل التى فى بلادكم فى نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولا تنالوا أحد منهم بسوء أبداً، وفقكم الله جميعاً لما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٠ / رمضان ١٣٣٨هـ -

(الموافق ٢٩ أيار ١٩٢٠م)

محمد تقى الحائرى (الشيرازى)

ص: ٨٤١

كتاب الإمام الشيرازي إلى الحاكم السياسي في الحله

إلى حاكم سياسي الحله الميجر بولى هداه الله

قرأنا كتابكم وتعجبنا غايه العجب من مضمونه، حيث إنه جلب العساكر لمقابله الأشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعه الضروريه لحياتهم، من الأمور غير المعقوله، ولا- تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوه ويحتمل أن يكون الأشخاص الذين يقصدون الإفاده من إيجاد الخلاف بين أهالى العراق والإنكليز هم الذين غشّوكم ليحققوا بواسطته مقاصدهم. وفى الليله الماضيه أردت مقابلكم لرفع الشبهه عن نفسكم، كى لا تغفلوا عن هذه النكه، ولكنكم امتنعتم عن ذلك. وإن نظريتنا فى أمور المملكه أصلح وأنفع من سوق الجيوش، واستعمال القوه الجبريه. وأدعوكم عجاله لأبلغكم: إن توسلكم بالقوه فى قبال مطالب البلاد واستدعاءاتها، مخالف للعدل، ولإداره البلاد. وإذا امتنعتم عن المعجىء فى هذه المره أيضاً، فتصبح وصيتى للأمم بخصوص مراعاة السلم ملغاه من ذاتها، وأترك الأمم وشأنها، وبهذه الصوره تقع مسؤوليه كل نتائج السوء عليكم وعلى أصحابك. وفى الختام لى الأمل فى أن تؤثر فيك هذه النصيحه كى لا يقع ما يفسد النظام والأمن، وكى لا تكونوا سبباً لإراقه دماء الأبرياء.

محمد تقى الحائرى الشيرازى

ص: ١٤٢

رسالة الإمام شيخ الشريعة الاصفهاني إلى الحاكم الملكي العام في العراق بتاريخ ٨ شوال ١٣٣٨ هـ - ٢٥ حزيران ١٩٢٠ م

إلى حضره الأجل الحاكم الملكي في العراق عمّت معدلته بعد تقديم الاحترامات اللاتقه..

أبدى أنكم قد عرفتم وجربتم، في هذه المده الطويله التي حدثت فيها هذه المظاهرات والاجتماعات: إن أهل العراق سالكون سبيل السلم والهدوء والسكون، ويطالبون بما يريدون في حقوقهم، حسب مواعيدكم من أول الأمر، وبموجبها تقرّر لدى الدول المعظمه من حريه الشعوب. وكان طلبهم على وجه المعقول المشروع خالياً من القلق والمشاعبات خالصاً من إثارة أى فتنه أو فساد، وذلك بمقتضى سجيتهم ومثانه عقولهم وسلامه فطرتهم ونُصح عقلائهم، مؤكداً كل ذلك بما برز قولاً وكتباً كِراراً ومراراً من آيه الله الشيرازى دامت بركاته ومن بقيه العلماء الأعلام من إيجاب السكون العام عليهم وإلزامهم بترك كل ما فيه الإخلال بالأمن، لهذا أفتينا بوجوب السكون وحرمة الثوره والفساد. وقد برهنوا في حركتهم ومظاهراتهم المتواصله على تمسكهم بالنظام والقانون والانقياد لفتاوى العلماء. إلا أنه بلغنا خبر عجيب كان يصعب علينا تصديقه حتى تحقق من القبض على نجل آيه الله الشيرازى وجماعه من أهالي كربلاء والحله، ولا ذنب لهم إلا مطالبه ما يطالبه إخوانهم، ومس كرامه كل الروحانيين. وتأذى من هذه الجساره كل المسلمين، وعن قريب يعمّ كل أهالي إيران والهند والقفقاس، وكل بلده وقصبه يسكنها المسلمون. وهذا عمل هادم لكل ما بنت فيه من قديم الزمان أولياء الدوله الفخيمه من إشاعه العدل والإنصاف. وهو يورث سوء الظن جميع

الأمم في الحكومه البريطانيه وبالجمله فقد تشوشت الأفكار، وتبدلت الظنون، ويكاد يؤدي إلى الإخلال بالنظام الذى تريدون حفظه. وأرى أنّ الأصلح أن تأمر بفكّهم سريعاً قبل أن ينجر لما يخرج علاجه عن مقدرتنا. ولا أدري كيف خفى عليكم هذا الأمر غير المناسب لهذا الوقت والزمان. وأنتظر الجواب سريعاً إن شاء الله.

شيخ الشريعه الاصفهاني

ملحق رقم (٢٠)

جواب الحاكم الملكى العام فى ١٦ شوال ١٣٣٨هـ - الموافق ٢ تموز ١٩٢٠م

إلى جناب عمده العلماء وقدوه الفضلاء العظام حجه الإسلام آيه الله فى الأنام حضره الشيخ فتح الله شيخ الشريعه الاصفهاني دام بقاءه العالى.

رداً على تلغرافكم المؤرخ ٨ شوال ١٣٣٨هـ- المرسل إلى دوله القائد العام لجيوش الاحتلال، فقد أشار علىّ حضره القائد العام أن أعبّر لكم عن مزيد أسفه عما صدر بواسطه الضباط الذين فى الإداره الملكيه والذين تحت إدارته عن سابق مصادفته والتي كانت منبع هم وقلق سيادتكم لأن الحكومه فى العراق منذ الاحتلال وإلى الآن تعدّ من سيادتكم كأحد أركان السلم ومن لا يترك عمل أى خير لمنفعه الأهالى. فدوله القائد العام ونفسى كلانا متأسفان كل الأسف عن العمل المحتم وجوب تنفيذه من ضباط الحكومه والذي صار منبع هم وقلق سيادتكم.

إنّه لمعلوم لدى سيادتكم ما صار من الاغتشاش فى أقضيه الفرات أخيراً. فقبل حدوث القبض هجمت بعض القبائل على طريق السكه الحديدية (الشمندوفير) وأضرّت به، والذين أقدموا على هذه الأعمال غير القانونيه هى بتحريض بعض الأشخاص. فتخريب الشمندوفير هو

ص: ٨٦٤

عبارة عن فقد أرواح أو الإضرار بأرواح بريئه من الجمهور. وأيضاً السرقات من القوافل (الكروانات) ومن الحجاج الذين يزورون الأماكن المقدسه من الحله على طريق كربلاء، كانت غالبه الحدوث قبل إلقاء القبض. ولقد شوشت أفكار الجمهور فى بحثهم عن الأشخاص الذين يجتهدون تعمداً فى وجود القلاقل والذين يهيجون أميال وأهواء الجهلاء. فمثل هذه الأمور - والحقيقه - هى ضد حفظ السلام فى أى مملكه، لا- سيما فى العراق، حيث إن أهلها فى كفاءه قليله من العلم، بل وقابلين لتتبع النصائح المضره والملقاه لهم من أى شخص كان. ولقد يهمنى كثيراً سلامه الأماكن المقدسه وأيضاً سلامه حجاج إيران والذين هم يترددون بكثره فى هذا الفصل من السنه وبالأخص سلامه الأمه فى العراق. ولقد صممت الحكومه الإنكليزيه بأن تؤيد بأقرب فرصه تسنح فيها ما قد أعلنت به هى بنفسها فى خصوص مستقبل هذه المملكه. ولكن لا يمكن عمل ذلك إذا كانت أفكار الناس مشوشه والقلاقل سائده. ويتوقف نجاح هذا المشروع على حفظ السلام العام.

فلتلك الأسباب صار ذلك القبض ودوله القائد لجيوش الاحتلال لمتأكد على مقدار علم سيادتكم الواسع فى أحوال الإنسانيه وصراحتكم وحكمتكم الغزيره. فيتضح لدى سيادتكم على أنه لا- يوجد أى مجرى آخر تتخذ الحكومه بوقتها غير هذه الاحتياطات التى قد اتخذتها ولا كان فى وسعها تأخيره فى وقت آخر.

وفى ضمن أن النصر من سيادتكم بأن تستمروا على مساعدتكم الثمينه للحكومه فى العراق لخير البلاد ولسهوله كيانه السياسى ولزياده نجاح ورفاه الأمه.

الفتنتت كولونيل السير

أ.ب. ولسن

قائممقام الحاكم الملكى العام فى العراق

ص: ٨٦٥

رد الإمام شيخ الشريعة على جواب الحاكم الملكي العام في ٢١ شوال ١٣٣٨ هـ -، ٨ تموز ١٩٢٠م

حضره صاحب الفخامة قائممقام الحاكم الملكي العام في العراق دامت معدلته.

أخذنا كتابكم المؤرخ ٢ يوليو (تموز) ١٩٢٠ وفهمنا مقاصدكم وما يريدُه القائد العام لجيوش الاحتلال. وقد أظهرتُ لكم سابقاً في لزوم اتخاذ التدابير السلمية وإرجاع المنفيين وإظهار الشفقة على سواد الناس من الحاضر والبادي، قبل تفاقم الأمر وقبل أن ينجر إلى ما يخرج علاجه من مقدرتنا.

والآن قد بلغ الأمر إلى ما كنّا نكره وقوعه، وجعل الناس يقولون أن حضره آيه الله الشيرازي دامت بركاته يأمرنا بالسكوت والمحافظة على الأمن العام، والحكومة كل يوم تلقي القبض على جماعه منا بلا ذنب ولا سؤال ولا جواب.. وما ذكرتم من الفساد وتخريب الشمندوفير، فهو من القبض على من قبضتهم عليه في الحلّه وكربلاء. ويشهد بذلك تسييرهم إلى البصره بالقطار. وفي الحقيقه هو هذا التخريب وبعض القلاقل مستند إلى سياسه ضباط الإنكليز. فقد ألقوا القبض على رئيس الطوالم شعلان بلا ذنب، فصار سبباً لإراقه الدماء في الرميثه والأبيض. وقد كانت عشائر الشاميه ورؤساؤها عازمين على ملاقاه الحكومة، فلما بلغهم إلقاء القبض على الحاج مخيف وابن أخته تشوشت أفكارهم، فإن أحوال الحاج مخيف وسكونه والتزامه للمسلم والطاعه للحكومة معروفه لدى العموم. وأما السزاق للقوافل والكروانات فهو أمر عادي.

والسبب الوحيد في هياج الناس أنهم يعتقدون أن القبض على من قبض عليه، ليس إلا

لمطالبتهم بالحقوق المشروعه. وهو أمر يشترك فيه كل العراقيين. فإذا قبض على نجل آيه الله الشيرازي دامت بركاته، وهو يرى من كل ذنب خال من كل فساد، فمن الذى يأمن بعد ذلك على نفسه؟

وما ذكرتم أنه لا يمكن الكلام فى الحقوق المشروعه، ولا إنجاز ما وعدتم به من أول الأمر، ما دامت التشويشات بهذه الصوره. فهم يقولون إننا نعلم وكل عالم شاعر يعلم أنه فى كل وقت تطالب الأمه بحقوقها المشروعه تحدث من ضباط الحكومه المحتله الحركات الموجه للتشويش لكى تعتذر من إعطاء الحق بهذه الاعتذارات.

وفى هذه المده الطويله قد عرفتم مسلكى أن أطلب دائماً راحه العباد وتأمين البلاد والروابط الوديه بين الحكومه المعظمه والأمه العراقيه. والذى أقوله صداقه، وأراه طريقاً وحيداً فى تسكين التشويشات وحفظ الأمن العام، وإعادة الأحوال إلى سابقها أن تساعدونا وتقبلوا شفاعتنا فى إطلاق سراح المنفيين واستعمال الموده لسائر المتظاهرين، حتى الذين نُسبت إليهم بعض التشويشات، لكى يسعنا التسكين ومكاتبه الجميع بالانقياد والطاعه. وموافقه الحكومه متى أرادت مواجهتهم. فإذا رأينا ورأوا من الحكومه إحترام الحقوق الأميميه ومعامله العراقيين معامله مودّه وشفقه، صار لنا كل الأمل بقدرتنا على إعادة الأحوال إلى سابقها، وتسكين الناس من الهياج. والله المستعان.

شيخ الشريعه الاصفهاني

٢١ / شوال سنه ١٣٣٨ هـ -

ص: ٨٦٧

رسالة الإمام شيخ الشريعة إلى المؤمنين ورؤساء العشائر، لممارسه الطرق السلميه للمطالبه بالحقوق المشروعه

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على إخواننا المؤمنين ورؤساء العشائر وزعماء القبائل ورحمه الله وبركاته.

أبدى لكم أنه بعدما بلغنا خبر بعض المشاغبات وبعض المضادات مع الحكومه رأينا على خلاف المصلحه الحاضره، فأشغلنا بمذاكره الحكومه على التأمين التام، حتى على من علم منه بعض التشويشات وعلى إرجاع المنفيين وعلى إصلاح ذات البين. ونرجو التوفيق في جميع ذلك.

إلا أن اللازم فعلاً السكون وترك مضاده الحكومه وسلوك الطرق السلميه والاقتصار على مطالبه الحقوق الشرعيه من غير ثوره ولا فتنه، حتى نقدر على استدعاء المواد السابقه الذكر من الحكومه.

وإياكم أن تقابلوا الحكومه بقول أو فعل ينافى مطلوبنا ومطلوبكم وأرجو من جميعكم عدم الخروج من هذه الخطه إن شاء الله.

شيخ الشريعة الاصفهاني

رسالة الحاكم الملكي العام للإمام شيخ الشريعة الاصفهاني، ألقها الطائرات البريطانية على كربلاء يوم ١٩ ذى الحجة ١٣٣٨ هـ -، ٢٦
آب ١٩٢٠م

دائرة الحاكم الملكي العام ببغداد.

في: ١٣ ذى الحجة ١٣٣٨ الموافق ٢٠ آب ١٩٢٠م

حضره العلام الفهाम حجه الإسلام والمسلمين آيه الله في العالمين شيخ الشريعة الاصفهاني دام علاه.

بعد إهداء السلام والتفقد عن صحه ذاتكم الشريفه، نؤمل أن كتابنا الذي أظهرنا فيه إحساساتنا الودية وتبريكاتنا الصميميه بتقلدكم هذا المقام المنيع والشرف الرفيع الذي أنتم حائزون عليه الآن قد وصلكم سالمًا. ولكن في الحقيقه ونفس الأمر أن المقام الرفيع يستوجب التعزیه والتسليه لا التبريك والتهنئه في هذه الأيام، نظراً إلى المصائب التي انتابت العراق وسائر الممالك. وكان هذا من آراء المرحوم العلامه المبرور الميرزا محمد تقى الشيرازى طاب ثراه الذي كما هو معلوم لدى العموم عبّر في إحدى مفاوضاته الأخيره أنه يريد الصلح بين الحكومه والمله واجتناب سفك الدماء وإزهاق النفوس.

ولا يمكننى أن أشك بأن الذات الممتازه بصفات الإنسانيه والتقوى كحضرتكم لا بد أن تشعر بهذا الشعور السامى. وأما من جهه الحكومه، فكما هو المعلوم فى أقطار العالم أن الحكومه الإنكليزيه المعظمه قد اعتمدت دائماً على الأركان الثلاثه وهى الرحمه والعدل والتسامح الدينى. ومن قبل أن تقع الحرب العظمى كان للدوله الإنكليزيه التى شعارها المسالمة جيش صغير للدفاع

عن نفسها، فلما شرع الألمان والأتراك من تلقاء أنفسهم بالهجوم على بريطانيا العظمى قامت الأمم الموجوده في الممالك الإنكليزيه قومه واحده ودخل أبناؤها صفوف الجيش. ولما انكسر العدو شر كسره ووضعت الحرب أوزارها، كان للدوله الإنكليزيه جيش جزار عدده خمسه ملايين منتشراً في بلاد العدو في العالم بأسره.

ولما انتهت المنازعات بادرت الدوله الإنكليزيه بترخيص عساكرها بالرجوع إلى منازلهم وأوطانهم، والعوده إلى الحياه السلميه، فنقص بذلك عددهم نقصاً كبيراً، على أنه يمكن حشد هذا العدد العظيم مره أخرى متى دعت الحاجه إلى ذلك.

وأما من جهه ثروه الدوله الإنكليزيه وسائر موادها، فلا يلزم أن أشرح، هو ظاهر كالشمس في رابعه النهار، فأهل العراق قبلوا الدوله الإنكليزيه، وكانوا مسرورين من إبقاء جيوشها في هذه البلاد لما غلبت الأتراك.

ولكن لما رأى بعض المفسدين والمغرضين ذلك التنقيص في جيشها، قاموا يشوشون الأذهان ويحشدون الأفكار. وملخص الكلام هو أن ظهرت هذه الحاله الحاضره التي توجب الأسف.

وما هي الحاله الآن..؟ هي أن العشائر العراقيه في حاله الحرب وقويه، ولكن عددها قليل، وليس لها من الدراهم إلا القليل، ولا توجد وسائل لا-اختراع الآلات الحربيه كالمدافع والبنادق والرصاص، ولا يمكنها أن تحصل على المعاونه من الخارج. وإذا لم ترجع إلى زراعتها فإنها ستتلف وتموت العشائر جوعاً.

ها قد بذل العرب حتى الآن كل ما في وسعهم من الجهد، ولا يمكنهم أن يأتوا بعمل فوق ما عملوا، وهم يرون رأى العين أن قوتهم مائله إلى الزوال، بعكس الحكومه فإن قوتها كانت في مبدأ الأمر قليله، فتمكنت العشائر أن تسبب لها بعض المضايقه. ولكن الآن ترد المراكب في

البصره كل يوم حامله العساكر والمدافع والقنابل والبنادق والرشاشات والذخائر الحربيه وسائر ما يلزم للأعمال العسكريه.

وإذا اقتضى نظركم الشريف أن تبعثوا معتمداً إلى بغداد لكي يشاهد هذه الأشياء بعينه فإننا نرحب به ونرجعه سالماً آمناً بدون تأخير!

فبناء عليه إن النتيجة النهائيه هي معلومه، فلم يدوم سفك الدماء؟ إن الدوله الإنكليزيه عملاً بقواعدها الجاربه ستجازى بعض المشايخ وغيرهم الذين ضلّوا بالناس، وأسمائهم معلومه عندي كما هي معلومه لديهم، ولا ريب أن فضيلتكم تعرفونهم أيضاً، ولا حاجة إلى ذكرها هنا. ولكن لا خوف على غيرهم ولا على عامه الناس، بل يمكنهم أن يرجعوا لأوطانهم ومنازلهم سالمين وستسلم نفوسهم.

وكما لا يخفى على فضيلتكم بأني لما رأيت لزوم هذه المسأله وأهميتها، فقد عينتُ حضره (الكولونيل هاول) ناظر الماليه نائباً عنى ليدخل في المفاوضات والمراسلات التي لا بد أن تجرى قبل أن تنتهي المنازعات. وبما أن حضرتكم مشغولوا البال في الأمور الدينيه والمسائل الروحانيه على الأغلب فلهدا نرجوكم أن تعينوا معتمداً معبراً أو معتمدين لكي يلاقوا الكولونيل هاول في محل مناسب ويتباحثوا معه في هذه المسائل المهمه.

هذا ما لزم ذكره لفضيلتكم، وفي الختام نبلغكم احتراماتنا الوافره وتحياتنا الصميميه والسلام.

اللفتنت كولونيل السر ارنولد ويسلن

الحاكم الملكي العام في العراق

ص: ٨٧١

جواب المرجع الأعلى الإمام شيخ الشريعة على رساله الحاكم الملكي العام ببغداد

(

حضره الحاكم الملكي العام ببغداد.

استشعرنا من إلقاء طياراتكم في عده أماكن صورته كتابكم إلينا مضافاً إلى طبعه في جريده العراق اهتماماً بوقوفنا عليه وطلباً لجوابنا عنه. ومن الغريب أن كتابكم هذا سبق جوابه منا قبل أن تحرروه بمدته طويله أخرى بثنا نصائحنا فيه وأنذرناكم قائلين لكم تداركوا الأمر قبل خروجه عن مقدرتنا، ولا شك أنكم تعلمون أن تداركه بإعطاء العراقيين حقوقهم التي طالبوكم بها مطالبه سلميه فأبيتم إلا اغتصابها وجعلتم أصابعكم في آذانكم حذراً من أن تسمعوا مطالباً بها، وأخذتم بعد الوعود بالوعيد وبعد التأميل بالتضليل واستعملتم الشده والغلظه فنفيتم وقتلتم وسجنتم وأخفتتم وأضمرتم العداة الذي أظهرتم آثاره وطلبتم نفوس أولئك المتظلمين وأموالهم وما يجب الدفاع عنه من حرمهم فدافعواكم قياماً بواجبهم وهاجمتموهم تبعاً لهوى نفوسكم فوقفوا موقفاً حذرناكم عاقبته وأنذرناكم سوء منقلبه، أنا والسلف المرحوم آية الله الشيرازي الذي سقتم مساق تعزيتي بفقد نفسه الزكيه نسبه المصائب التي انتابت العراقيين إلى آرائه المقدسه فإنكم ما وقفتم على كتاباته إلى جميع الجهات وإلزام العموم بالهدوء والسكون والمطالبه السلميه بحقوقهم المشروعه، فجرحتم بتلك النسبه عاطفتي خصوصاً وعواطف المسلمين عموماً وجئتم بها نكراء بلغ سيلها الزبي وضاق لها حلقتا البطان وأرسلتم بواخركم المشحونه بأسباب الدمار وآلات النار وقدتم العساكر وكتبتم الكتائب إخضاعاً لتلك الأمه

وقد جاء في كتابكم «أن الحكومة الإنكليزية المعظمه قد اعتمدت دائماً على الأركان الثلاثة وهي الرحمه والعدل والتسامح الدينى» فأما الرحمه فهى مقابلتكم للأمه العراقيه عند مطالبتها باستقلالها بسوق الجيوش الجزاره عليها وقتل الرؤساء ونفى العلماء والمندوبين والزعماء ورمى النساء والأطفال بأنواع النيران وحرقت بيوت وأموال ومزارع جميع من امتنع عن الإقرار بوصايه الإنكليز، وطالبكم بتأسيس الحكومه العربيه العراقيه، وهتك الأعراض ومصادره الأموال ومحاصره البلاد بقصد إماته سكانها جوعاً والتحصن فى البلاد الغير المحكمه خلافاً للقوانين الموضوعه. وأما العدل بالقتل والإعدام لغير جرم وبدون محاكمه والنفى والتباعد لمجرد التفؤه بطلب الاستقلال والزج فى السجون لأقل شبهه وعدم قبول استماع دعوى ما على إنكليزى وغير ذلك مما لا ينطبق على عقل ولا قانون. وأما التسامح الدينى فهو رمى الطيارات والسيارات المدرعه المساجد وقتل المتعبدين والنساء والأطفال وتشكيل الإداره العرفيه لمعاقبه من يتصدى إلى عقد مجلس لقراءه منقبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المساجد أو ماتم عزاء الإمام الحسين عليه السلام إلا- بأخذ جواز (باص) وقطع مراسم أعياد المسلمين المعتاده وغير ذلك مما لو أردنا شرحه لطال.

والأعجب أنكم تطلبون إلتثام هذا الصدع الذى لا يجبر كسره وتقولون نحن لا نريد أن نجازى العراقيين، كلا إنما نجازى من أسماؤهم عندنا وعندكم معلومه بزعم أنهم مفسدون. فكأن تعريف الفساد عندكم هو المطالبه بالحق ونحن لا- نعرف من أحوالهم إلا- أنهم طالبوا بحق فمنعتموهم وأدرتم عليهم رحى الحرب الطاحنه فدافعواكم عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ولو تركتموهم وحققهم ما سالت منكم ولا منهم قطره دم ولكنكم أنتم فتقتم هذا الفتق الذى لا يخيظ بالخيوط ولا الإبر، فأنتم السبب وعليكم التبعه ورأينا فى الأمر أن يمنح العراقيون

استقلالهم التام حالياً عن كل شائبه عارياً عن كل قيد.

أما أمر المفاوضات فلم تتضح لى غايته ولن أثق بحسن نهايته وعلى كل فهو أمر دقيق يحتاج إلى جلاء وتأمل ومن الله نسال حسن الختام.

٢/ محرم سنه ١٣٣٩ هـ - (١٥ أيلول ١٩٢٠ م)

شيخ الشريعة الاصفهاني

ملحق رقم (٢٥)

لائحه الانتداب البريطاني على العراق

بناء على نص المادة (١٣٢) من معاهده الصلح الموقع عليها فى (سيفر) فى اليوم العاشر من شهر آب ١٩٢٠ التى تنازلت بموجبها تركيا عن كل حقوقها وتملكها فى العراق إلى الدول المتحالفه الرئيسه، وبناء على المادة (٩٤) من تلك المعاهده التى قررت الدول الكبرى بموجبها، وفقاً للفقرة الرابعه من المادة (٢٢) من الفصل الأول من ميثاق عصبة الأمم بأن تعترف بالعراق دوله مستقله، يشترط عليها قبول المشوره الإداريه والمساعده من قبل منتدبٍ إلى أن تصبح قادره على القيام بنفسها وحدها، وإن تحديد تخوم العراق، سواء ما هو مقرر فى المعاهده المذكوره واختيار المنتدب، وتتفق عليه الدول الرئيسه المتحالفه، وبما أن الدول المتحالفه الرئيسه قد اختارت صاحب الجلاله البريطانى قد قبل أن يكون منتدباً على البلاد المذكوره، وتعهد بذلك بالنيابه عن عصبة الأمم، طبقاً للمواد الآتيه، فعصبة الأمم توافق على شروط هذا الانتداب كما يلى:

ص: ٨٧٤

المادة الأولى: المنتدب يضع فى أقرب وقت، لا يتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تنفيذ الانتداب، قانوناً أساسياً للعراق يعرض على مجلس عصبه الأمم للمصادقة فينشره سريعاً، وهذا القانون سُنّ بمشوره الحكومه الوطنيه ويبين حقوق الأهالى الساكنين ضمن البلاد ومنافعهم ورجائهم، ويحتوى على مواد تسهل تدرج العراق وترقيه كدوله مستقلة. وفى المده قبل العمل بالقانون الأساسى تجرى إداره العراق طبقاً لروح الانتداب.

الماده الثانيه: يحق للمنتدب أن يحتفظ بقوه عسكريه فى البلاد الواقعه ضمن هذا الانتداب لأجل الدفاع عنها. وإلى أن ينفذ القانون الأساسى. ويوطد الأمن العام له أن يؤلف جيشاً محلياً لتأييد الأمن والدفاع عن البلاد يجنّده من الأهالى القاطنين فى البلاد فقط، ويكون هذا الجيش مسؤولاً- لدى الحكومه المحليه وخاضعاً دائماً للمشارفه (للسلطه) التى يتولاها المنتدب على هذا الجيش. ولا- يجوز للحكومه العراقيه أن تستخدم هذا الجيش فى سبيل آخر غير ما ذكر سابقاً إلا بموافقه المنتدب، ولا يُحوّل شىء مما هو مذكور فى هذه الماده دون اشتراك الحكومه المحليه فى نفقات أى جيش كان، يُقيّمه المنتدب على العراق، ويحق للمنتدب فى كل وقت استعمال الطرق والسكك الحديد والمراسى فى العراق لتحريك القوات المسلحه ونقل الوقود والأرزاق.

الماده الثالثه: يفوّض المنتدب بإداره علاقات العراق الخارجيه، وله الحق بإصدار التفويض للقناصل الذين تعينهم الدول الأجنبيه فيه، وكذلك يكون له الحق بفرض الحمايه السياسيه والقنصليه على رعايا العراق فى البلدان الأجنبيه.

الماده الرابعه: على المنتدب تبعه الاحتفاظ بالأراضى العراقيه فلا يتنازل عنها ولا يؤجر ولا توضع تحت سلطه دوله أجنبيه.

الماده الخامسه: يلغى بتاتاً فى العراق إعفاء الأجانب وامتيازاتهم فى المصالح الناتجه عن المحاكم القنصليه والحمايه التى كانوا يتمتعون بها نظاماً أو عرفاً فى السلطه العثمانيه.

الماده السادسة: على المنتدب تبعه تأسيس نظام عدلى فى العراق يؤمن:

١- مصالح الأجانب.

٢- القانون.

٣- وعلى قدر ما يلزم الاختصاص الشرعى المرعى الآن فى العراق فيما يتعلق بالأمر المختصه بالعقائد الدينيه عند بعض الطوائف مثل (نظام الأوقاف والأمر الشخصيه) وخصوصاً يوافق المنتدب على أن الإشراف على الأوقاف وإدارتها يجريان طبقاً للشريعه الدينيه وإرادته الواقفين.

الماده السابعه: ريثما تعقد معاهدات خاصه مع الدول الأجنبيه فيما يمس العراق من تسليم المجرمين الفارين إليه، يعمل بالمعاهدات الحاضره بين المنتدب والدول الأجنبيه.

الماده الثامنه: يؤمن المنتدب للجميع حريه الوجدان التامه وحريه العبادات فى كل هيئاتها وأشكالها بشرط أن لا يخل ذلك بالأمن العام والآداب، ولا تميز فئه على أخرى فى العراق بسبب جنسيه أو دين أو لغه، والمنتدب يشجع التعليم بلغات العراق الوطنيه ولا ينكر على فئه حقها ولا تضار فى تأييد مدارسها الخاصه لتعليم أبنائها لغتها الخاصه على شرط انطباق ذلك على مقتضيات التعليم التى ترسمها الحكومه.

الماده التاسعه: لا يجوز أن يؤول شىء مما ذكر فى هذا الانتداب بأنه يمنح المنتدب حق التدخل فى مباني أو إداره العتبات المقدسه التى تبقى صيانتها مكفوله.

الماده العاشره: على المنتدب أن يراقب أعمال المبشرين فى العراق حسبما تقتضيه الحاجه لتوطيد الأمن العام وحسن إداره الحكومه، وفيما سوى ذلك فلا تؤخذ وسيله ما من الوسائل لمعارضه تلك الأمور والمداخله فيها، ولا تميز فرقه على أخرى بسبب مذهب أو جنسيه.

ص: ٨٧٦

الماده الحادي عشره: على المنتدب أن يمنع في العراق التمييز بين رعايا أيه دوله مهما كانت من أعضاء عصبه الأمم (شاملاً ذلك الشركات المؤلفه طبقاً لأنظمه تلك الدول) فلا يكونون دون رعايا المنتدب، أو رعايا أيه دوله أخرى في كل ما هو متعلق بالضرائب والتجاره والصناعه والفنون أو في معامله السفن التجاريه أو الطيران الملكى وكذلك لا يكون تمييز في العراق بين البضائع الصادره عنه إلى أيه دوله أو الوارده إليه منها، وتكون حريه النقل تامه في كل البلاد بشروط عادله، وفيما سوى هذا فللحكومه العراقيه الحق -بعد استشاره المنتدب - أن تفرض الضرائب والرسوم الجمركيه كما يقتضى، وأن تتخذ أحسن الوسائل لاستثمار موارد البلاد الطبيعيه وتأمين منافع الأهالي، ولا يُحوّل شيء مما في هذه ماده دون حق الحكومه العراقيه - بعد مشوره المنتدب - بعقد اتفاق جمركى مع أيه دوله كانت في سنه ١٩١٤م داخله في تركيبه الآسيويه أو جزيره العرب.

الماده الثانيه عشره: يوافق المنتدب، بالنيابه عن العراق على المعاهدات الأمميه المتبعه الآن، أو التى ستعقد فيما بعد مصادقه عصبه الأمم، في كل ما هو متعلق بالنحاسه أو تجاره الأسلحه أو العقاقير المخدّره أو للمساواه التجاريه أو حريه النقل والملاحه، والملاحه الجويه، والسكك الحديد، والبريد والبرق واللاسلكى والملكات الفنيه والأدبيه و الصناعيه.

الماده الثالثه عشره: يضمن المنتدب مؤازره الحكومه العراقيه، ما سيمحت لها الأحوال الدينيه والاجتماعيه، على تنفيذ السياسه العامه التى تتخذها عصبه الأمم لمنع الأمراض ومحاربتها شاملاً ذلك أمراض النبات والحيوان.

الماده الرابعه عشره: يضمن المنتدب، أنه في أثناء اثنى عشر شهراً من تاريخ العمل بهذا الانتداب أن يسنّ نظاماً للآثار القديمه ويجرى بموجبه طبقاً على ما فى ماده (٤٢١) من الفصل الثالث عشر من المعاهده التركيه. عوضاً عن نظام الأثريات التركى، ويكفل المساواه في كل ما له

مساس بالتحريات الأثرية بين كل رعايا الدول التي هي أعضاء في عصبه الأمم.

الماده الخامسه عشره: بعدما ينفذ القانون الأساسى يُعقد اتفاق بين المنتدب والحكومہ العراقیه على الشروط التي بموجبها تتسلم الأخيره الأعمال العموميه والأشغال الأخرى الدائمه التي يرجع منافعها إلى الحكومه العراقیه، ويعرض هذا الاتفاق على مجلس عصبه الأمم.

الماده السادسه عشره: لا شيء ممّا فى هذا الانتداب يمنع المنتدب من تأسيس حكومه مستقلة إدارياً فى المقاطعات الكرديه كما يلوّح له.

الماده السابعه عشره: يرفع المنتدب كل سنه إلى مجلس عصبه الأمم بياناً بالأعمال المتخذة فى تلك السنه لتنفيذ الانتداب، ويرفقه بنسخ من كل الأنظمه والأوامر الصادره فى تلك المده.

الماده الثامنه عشره: يقتضى رضى مجلس عصبه الأمم لتعديل شروط هذا الانتداب على شرط أنه إذا اقترح المنتدب تحويراً يكفى للعمل به أن ينال رضى أكثرية المجلس.

الماده التاسعه عشره: إذا وقع اختلاف بين أعضاء عصبه الأمم على تأويل أو تنفيذ مواد هذا الانتداب ولم يكن تسويته بالمفاوضات فيرفع إلى محكمه العدل الدوليه الدائمه المذكوره فى الماده (١٤) من ميثاق عصبه الأمم.

الماده العشرون: عندما ينتهى الانتداب الممنوح بهذا التصريح، يتخذ مجلس عصبه الأمم التدابير اللازمه لجعل الحكومه العراقیه، بكفاله العصبه تدفع كل المصاريف القانونيه التي صرفها المنتدب مع حقوق الموظفين بالمكافأه ومعاش التقاعد.

تحفظ هذه النسخه فى خزانه عصبه الأمم، ويرسل أمين عام العصبه نسخه رسميه إلى كل من الدول الموقعه على معاهده الصلح مع تركيا.

ص: ٨٧٨

رسالة الشيخ عبد الكريم الجزائري، أحد علماء النجف، إلى الشيخ خزعل يطالبه فيها ترشيح نفسه ملكاً على العراق

بسم الله وله الحمد

حضره الأجل الماجد صاحب الدولة السردار أقدس الشيخ خزعل خان المحترم أدامه الله وأبقاه ووفقنا وإياه بما يحبه ويرضاه، آمين.

بعد السلام والاحترام والدعاء بحسن الختام.

لا يخفى، أنى أعجب كل العجب منك، مع علمى بمعرفتك وعقلك، تجنبك فى هذه المده أمور العراقيين، مع أنك تربطك بهم رابطة المذهب والوطن واللسان، هذا مع قطع النظر عن الخصوصيات السابقه مع آبائك - وبالأخص النجف - فإن آثارك بها قديماً وحديثاً، والآن بعد أن شاع أن الدولة البريطانيه قد أعطت الحريه للعراقيين بآنتخاب من يشاؤون لأموهم العامه، وأنت لك الخصوصيه عن سواك فى هذا الأمر، فلو أعطيتهم بعضك لأعطوك كلهم، فتدارك ما مضى من إعراضك بإقبالك عليهم، لتكون السبب فى إطلاق مسجونهم، وإرجاع شاردهم، وتأمين خائفهم وحفظ كافه شؤونهم، وحفظ صداقتهم، بل وصداقه العرب مع الدولة المعظمه البريطانيه وتحوز فخر الدنيا والآخره، وفقك الله تعالى لكل خير، آمين.

حرر يوم ٢٣ رجب ١٣٣٩هـ - (١٩٢١م)

عبد الكريم الجزائري (ختم)

تعليمات الإدارة البريطانية التي وجهت إلى مجلس الدولة

أولاً: ينبغي لمجلس الدولة أن يدرك إلى أن يتم عقد مجلس وطني لإقرار دستور للعراق، فإننا، نحن المندوب السامي مسؤولون شخصياً ومباشرة تجاه حكومه جلالته عن إداره البلاد.. وعليه فإن أى خلاف يقع فى وجهات النظر بينى وبين مجلس الدولة حول شؤون مطروحه لدى المجلس فإن القرار الأخير فى شأنها يعود إلى.

ثانياً: إنه بالنظر إلى أن انتخاب مجلس وطني وعقده يتطلبان بعض الوقت، فقد قرّرتُ أن أتخذ تدابير أوليه لتسيير شؤون الإدارة (باستثناء الشؤون السياسيه الخارجيه والاعتبارات العسكريه) وفى إشرافى، بتشكيل مجلس دوله فى رئاسه معالى النقيب. ويشمل هذا المجلس عدداً من الوزراء بعضهم يتولون مصالح الدوله المختلفه، وبعضهم الآخر يكونون أعضاء فى المجلس ولكن من دون حقائب وزاريه.

ثالثاً: إن رئيس كل مصلحه من مصالح الدوله سيكون الوزير المسؤول عن تلك المصلحه، ويعهد فى إدارتها وتصريف شؤونها إليه شريطه:

(أ) أن يراقب المجلس أعمال الوزراء.

(ب) وأن تؤخذ الآراء التي يبديها الموظف البريطاني الذي أعينه أنا كمستشار لمختلف المصالح فى الاعتبار.

أما فى ما يتعلق بهؤلاء المستشارين فإن وظائفهم ليست تنفيذيه بل استشاريه. ولكن لى ملء الثقه بأن المجلس، والوزراء المسؤولين عن مختلف المصالح، يدركون أن هؤلاء الموظفين

الذين اخترتهم مستشارين بفضل ما لهم من اختبار واسع في الشؤون الإدارية. وبفضل معرفتهم بسير الأمور في مختلف الدوائر التابعة للوزارات. ولذا ينبغي أن تراعى وجهات نظرهم وأن تؤخذ استشاراتهم بعين الاعتبار.

(ج) وأن يبقى معلوماً لدى المجلس أن القرار الأخير يعود إلى.

رابعاً: يبدو لي أن أفضل طريقه لتصريف شؤون دوائر الدولة المختلفه هي إحاله جميع المعاملات المتعلقة بوزاره ما على الوزير بواسطه المستشار. وينبغي للمستشار أن يرفع جميع المراسلات والأوراق التي يتسلمها إلى الوزير من دون إبطاء كي يتمكن الوزير المختص من اتخاذ الإجراءات القانونيه في صدها، بعد أن يكون قد استشار المستشار في الأمر. كذلك إذا أراد الوزير أن يتخذ إجراءً ما في صدد قضيه تتعلق بوزاره يتوجب عليه أولاً إما دعوه المستشار لأخذ رأيه في الأمر، وإما إصدار أوامره إلى الدائر المختص به بواسطه المستشار كي يتمكن هذا المستشار من إبداء رأيه في الأمر قبل أن تتخذ القضيه المنظور فيها شكلها النهائي.

خامساً: فإذا كان الوضع هكذا، ينبغي أخذ احتياطات لاحتمال وقوع اختلاف طارئ في وجهات النظر حول قضيه ما بين الوزير ومستشاره كمايلي:

(أ) في حاله إبداء المستشار نصحاً أو رأياً لوزيره وشعور هذا الوزير بأنه لا يستطيع الأخذ برأى المستشار أو نصحه فينبغي، عندئذٍ، للوزير أن يستدعى المستشار للتداول في الأمر. وإذا لم يتمكن، بعد التشاور، من الوصول إلى اتفاق في الرأي، وإذا شعر المستشار بأن الأمر موضع البحث على كثير من الخطوره وأن لا نفع من الاستمرار في النقاش حوله فإن له الحق في أن يطلب إلى الوزير إحاله القضيه على مجلس الدوله لينظر فيها. في هذه الحاله على الوزير أن يرجئ اتخاذ أى إجراء حول القضيه إلى أن ينعقد المجلس عندما تُطرح القضيه عليه لدرسها.

(ب) في الفتره التي تكون فيها القضيه قد أُحيلت على مجلس الدوله لينظر فيها، يُترك

للوزير وللمستشار الحقّ الكامل في رفع القضية إلى المندوب السامي. وهكذا يُتاح لى أن أنقل وجهه نظرى إلى مجلس الدوله من دون أى انحياز إلى أحد الطرفين، وذلك بناء على المادة العاشره من هذا المنهج.

سادساً: أما فى ما يتعلق بمجلس الدوله فيجب أن يعقد اجتماعات منتظمه مرّه واحده فى الأسبوع أو أكثر إذا اقتضت الحاجه إلى ذلك.

سابعاً: ولكى يسهل العمل على المجلس فى تسييره دقّه الإداره ينبغى أن يكون له أمين عام ذو كفاءات ممتازه مع عدد من الكّتاب ينبغى أن يصير تعيينهم حالاً.

ثامناً: كلّ قضيه تُرفع إلى المجلس لدرسها ينبغى أن يبعث بها الوزير المختص إلى الأمين العام للمجلس الذى عليه أن يُعدّ جدولاً بالأعمال المطروحه لكل اجتماع يعقده المجلس يُوزّع على:

(أ) المندوب السامى.

ص: ٨٨٢

(ب) وجميع أعضاء المجلس والمستشارين البريطانيين. وذلك قبل انعقاد المجلس بما لا يقل عن ٢٤ ساعة. ومن القوانين المتبعة ألا يبحث المجلس في أي قضية لا تكون مُدرجة في جدول الأعمال. ولكن ينبغي ألا يوضع قرار خاص في هذا الشأن، إذ قد تُطرح على المجلس قضية خطيره مستعجله يجب بتأثيرها فوراً.

تاسعاً: للأمين العام أن يحضر جميع الجلسات التي تعقدها الوزارة وأن يُسجل جميع وقائع الاجتماعات فيثبتها في شكل جدول ويذكر الأمور التي اتخذت في شأنها قرارات. وهذه الوقائع توزع في خلال ٢٤ ساعة من انعقاد الجلسة ويوقع عليها الأمين العام، ويبعث بنسخه منها إلى:

(أ) المندوب السامي.

(ب) كل من الوزراء والمستشارين، ويكون كل وزير مسؤولاً عن تنفيذ القرارات التي يتخذها مجلس الدولة والمتعلقه بوزارته. والوزير المختص يبعث بتقرير إلى الأمين العام الذي بدوره يُطلع المجلس على ما نُفذ في اجتماعه التالي. ومن الأمور المتبعة في المجالس الرسمية أن تبقى المداولات التي تجرى في شأن القضايا المطروحة للدرس سرّية ولا ينبغي إفشاؤها خارج المجلس.

عاشراً: إن جميع قرارات المجلس تكون مبرمه نهائيه بعد موافقتي عليها بصفتي رئيس الحكومه. وبصفتي المندوب السامي أحتفظ بحقي في نقض أي قرار يُتخذ في المجلس أو تعديله بناءً على المصلحه العامه.

البند الحادى عشر: ولكي يبق المجلس على إطلاع على الأمور المتعلقة بالمواضيع الوارده في جدول الأعمال، فإنه ينبغي حضور المستشار المختص اجتماع المجلس عندما يُبحث في القضايا العائده إلى وزاره التي هو فيها مستشار. وله الحق في أثناء المداولات في أن يبدى رأيه في القضيه المطروحه على بساط البحث، ولكنه لا يشترك في التصويت.

البند الثانى عشر: هذا ولى ملء الثقه بأن هذه التعليمات المتعلقة بسير العمل في مجلس الدوله وفي الوزارات المختلفه، والتي تحدّد علاقاتها بي من جبهه، وبالمستشارين من جهه ثانيه، ستؤدى إلى تيسير ماكينه الإداره في القياده العامه. أما في ما يتعلّق بالدوائر المركزيه التي تعمل الآن في الإداره، وبالنظر إلى أنها لسنوات خلت كانت تعمل في يسر وكفاءه فإن إلحاقها بالحكومه التي أنشئت، بعد إدخال بعض التعديلات عليها، لن يكون أمراً صعباً. أما في ما يتعلّق بالإداره في الأوليه فمن المحتمل أن تجابه بعض الصعوبات. ولكن - إن شاء الله - لن تكون صعوبات لا حل لها.

البند الثالث عشر: تعلمون إن إداره الأوليه المختلفه والأقضييه في العراق لا تزال، كما كانت إلى وقت مضى، تخضع لنظام يديره ضباط بريطانيون سياسيون، وفي تصرّفهم موظفون

إداريون من الدرجة الثانية كقائمقامين ومدراء.. الخ. وتعلمون أيضاً أن الإدارة في بعض الألوية لا تزال تعاني بعض الفوضى والتشويش، كما أن للجنود البريطانيين هناك وجوداً. ولذلك فإنه من العسير، في بعض المناطق، تغيير نظام الإدارة البريطانيه العسكريه وتسليمه إلى موظفين عراقيين في الأحوال الراهنه. ومن جهه ثانيه هناك ألويه يمكن اتخاذ خطوات فيها لنقل الإدارة من أيدي البريطانيين، كما هو مرغوب فيه، إلى أيدي الوطنيين العراقيين عندما يتوافر لدينا موظفون ذوو كفاءات.

البند الرابع عشر: وبما أن من المهمات الملقاه على عاتق مجلس الدوله اتخاذ إجراءات إداريه للتعجيل في تهدئه الوضع في الألويه، فإن على المجلس المذكور أن يهتم فوراً باختيار مرشحين وطنيين لائقين من ذوى الاختبار لتعيينهم تدريجياً في هذه المناصب حيث يعود تعيينهم بالخير والنفع. وعندما يتم هذا الأمر فإن على أعضاء المجلس أن يضعوا مقترحاتهم مع أسماء المرشحين ويرفعوها إلى النظر فيها وإصدار ما يلزم من قرارات.

ملحق رقم (٢٨)

نص منهاج سفر الوفود إلى مؤتمر كربلاء المنعقد بين ١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠هـ -، ٨-١٣ نيسان ١٩٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

منهاج السفر للاجتماع في كربلاء المشرفه

١- بأمر آيه الله الشيخ مهدي الكاظمي (الخالصي) وتحت رياسته، تألفت هيئه مركبه من

ص: ٨٨٤

الزعماء والأشراف وهم: السيد نور والسيد عزيز الياسرى والشيخ كاظم أبو التمن والسيد كاطع العوادى والسيد علوان الياسرى والشيخ محمد باقر الشيبى والحاج عبد الحسين الحجيجى فوضعت الهيئه المذكوره المنهاج للسير والعمل بموجبه.

٢- يوم الجمعة فى ٩ شعبان ١٣٤٠ الموافق ٨ نيسان ١٩٢٢ هو اليوم المعين للحركه والسفر إلى كربلاء للاشتراك فى الاجتماع المزمع عقده هناك ويجوز لمن تأخر أن يلتحق فى اليوم الخامس عشر من شهر شعبان صباحاً.

٣- الغايه من هذا الاجتماع هى المذاكره فى شأن عاديه الخوارج الأخوان على حدود العراق واتخاذ التدابير لحفظ البلاد عامه والعتبات خاصه إزاء ما يحتمل ويتكررووقوعه.

٤- يراعى فى هذا الاجتماع أصول الاجتماعات الدينيه والمتبع فيها والنافذه من مقرراتها هى مقررات الرؤساء الروحانيين دامت بركاتهم.

٥- يؤيد هذا الاجتماع سياسه صاحب الجلاله الملك المفدى بناء على ما هو المعهود من آراء وأفكار الأمة العراقيه النجيبه.

٦- قبل يومين من اليوم المعين للحركه تسافر عن طريق الحله فالنجف فكربلاء هيئه مؤلفه من ثلاث ذوات وهم الفاضل الشيخ محمد نجل آيه الله الكاظمى والحاج عبد الحسين جلبى الحجيجى والفاضل السيد أبو طالب صهر آيه الله الشيرازى مهمتها البت والنصح فى وجوب المحافظه على الراحه العامه والسكينه فى الاجتماعات.

٧- لأخذ أهبه السفر من الكاظميه وبغداد وتنظيمه فى الطريق قد عهد إلى هيئه مؤلفه من الذوات الآتى ذكرهم وهم: محمد صادق جلبى الاسترabadى وحمدى أفندى الباجه جى وعبد الرسول جلبى والسيد إدريس الكاظمى وعبد الهادى جلبى الحجيجى، والمسؤول بالهيئه والموكل بإداره شؤونها هو الشيخ كاظم أبو التمن.

٨- حركة السفن فى الكاظمية تقوم فى الساعه الثالثه صباحاً من يوم الجمعة فيمر الجمع على بغداد من الجانب الغربى مستطرقاً دون أن يتأخر ووجهته كربلاء ماراً على الحله.

٩- فى اليوم الثانى عشر من شهر شعبان يسافر الوفد العلمى من بغداد المؤلف من الأفاضل عبد الوهاب أفندى النائب برياسه الوفد والشيخ أحمد أفندى الشيخ داود والشيخ إبراهيم أفندى الراوى وعبد الجليل أفندى جميل رأساً إلى كربلاء.

١٠- المحل فى كربلاء لعقد الاجتماع والمذاكره هو دار المرحوم حجه الإسلام آيه الله المرزا الشيرازى (قدس سره) وأول اجتماع يعقد يبتدأ فيه بخطابه فى موضوع الغايه من الاجتماع ثم ينفرد العلماء والأعلام بالزعماء والرؤساء ومن ينسبهم العلماء للاشتراك بالمذاكره فيقرروا ما يجب تقريره من اتخاذ التدابير وينتهى عقد الاجتماعات عند انتهاء المذاكرات.

١١- لتنظيم الرابطة فى الاجتماعات التى تعقد فى كربلاء يعهد إلى هيئه مؤلفه من الذوات الآتى ذكرهم وهم: الشيخ محمد حسن أبو المحاسن والسيد عيسى جلى البزاز و خليل جلى الاسترابادى والسيد هاشم شاه والسيد محمد الكشميرى والسيد محمد رضا نصر الله ومن المشايخ عمر الحاج علوان وعبد الكريم عواد.

١٢- لأجل معرفه الواردين إلى كربلاء من الرؤساء والأشراف ومعرفه منازلهم وتمهيد طريقه إيصالهم إلى الاجتماعات التى تنعقد يجب أن تقوم بذلك هيئه مؤلفه من رؤساء وخدام العتبات المقدسه فى كربلاء وانتخاب الذوات للهيئه المذكوره، منوط وعائد إلى الهيئه المنوّه عنها فى ماده العاشره وهى المسؤوله بذلك.

١٣- يُعمل بهذا المنهاج اعتباراً من يوم نشره وهو اليوم الثامن من شهر شعبان ١٣٤٠هـ.

البيان الختامي الصادر عن مؤتمر كربلاء المنعقد بين ١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠هـ - (٨-١٣ نيسان ١٩٢٢) بمناسبة اعتداءات الوهابيين على العراق

نحن الموقعين أدناه سادات وزعماء وأشرف مدن العراق أصاله عن أنفسنا ووكاله عن منيبينا تلبيه لدعوه حجج الإسلام دامت بركاتهم الذين هم يمثلونا والرأى الإسلامى العام قد حضرنا الاجتماعات المتعدده بكربلاء للنظر فى قضيه الأخوان، تلك الاجتماعات المبتدئه من ١٠ شعبان والمنتھيه بالخامس عشر منه وبناء على ما أوقعه الخوارج الأخوان بإخواننا المسلمين من الأفعال الوحشيه من القتل والسلب والنهب، قد اتفقت كلمتنا بحيث لم يتخلف منّا أحد عن كل ما تقتضيه مصلحه بلادنا عامه وحفظ المشاهد المقدسه وقبور الأولياء خاصه وسلامتها من جميع طوائى العدوان خصوصاً عاديه الأخوان وقّرنا معاونه القبائل بكل ما فى وسعنا واستطاعتنا لمدافعه الخوارج الأخوان ومقاتلتهم العائد أمر تدبيرنا لإراداه صاحب الجلاله الملك فيصل الأول الساهر على حفظ استقلال بلادنا، وبناءً على تعلقنا بعرش جلالته، فإننا نطلب إلى جلالته، أن يتكّرم بإسعاف طلب الأمه المتعلقه بإغاثه منكوبى حوادث الأعتداء وتعويضهم عن الخساره اللاحقه بهم، وقد نَظّمنا لهذا الميثاق نسختين، قدمنا إحداهما لأعتاب صاحب الجلاله والثانيه للعلماء الأعلام والله المستعان.

نموذج عن الفتاوى التي أصدرها العلماء لمقاطعه المجلس التأسيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة إخواننا المؤمنين المتدينين المتمسكين بشريعه سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين. لا يخفى عن كل ذي لب، أنه قد صدر منّا الحكم بحرمة الانتخابات، وأعلّنا به إلى كافة المؤمنين وكتبنا إن الداخل فيه والمساعد عليه، كمن حارب الله ورسوله وأولياءه صلوات الله عليهم أجمعين. وقد بُلغنا أنّ بعض ذوى الأغراض والأمراض الذين لا خلاق لهم فى الإسلام ربما يلقى فى قلوب المتدينين أننا قد سكتنا عن ذلك فلا يدخل بذلك فى قلب أحد شك ولا شبهة. وليعلم أنّ حكم الله تعالى لا يتغير، وإن الجبهه التى دعتنا إلى التحريم لم تتبدل. والآن، كما كان ولم نسكت على ذلك، ونعلن جديداً، إنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر المساعده فى الأمر والدخول فيه، وإن المساعد عليه مُعادٍ لله ولرسوله صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، أعاذ الله المسلمين عن ذلك، والسلام على من اتبع الهدى.

٨/ جمادى الثانيه ١٣٤١هـ - (كانون الأول ١٩٢٢م)

ص: ٨٨٨

المعاهدة الإنجليزیه – العراقيه المنعقدہ فی ١٠ تشرين الأول ١٩٢٢م

الماده ١- بناءً على طلب جلاله ملك العراق يتعهد جلاله ملك بريطانيا بأن يقدم في أثناء مدته المعاهده مع التزام نصوصها ما يقتضى لدوله العراق من المشوره والمساعده بدون أن يمَسّ ذلك بسيادتها الوطنيّه.

يمثل جلاله بريطانيا في العراق بمعتمدٍ سامٍ وقنصلٍ عامٍ تعاونه الحاشيه الكافيه.

الماده ٢- يتعهد جلاله ملك العراق بأن لا يُعيّن مدته هذه المعاهده موظفًا ما في العراق من تابعيه غير عراقيه في الوظائف التي تقتضى إرادته ملكيه بدون موافقه جلاله ملك بريطانيا، وستعقد اتفاقيه منفرده لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه في الحكومه العراقيه.

الماده ٣- يوافق جلاله ملك العراق على أن ينظّم قانونًا أساسيًا يُعرَض على المجلس التأسيسي العراقي ويكفل تنفيذ هذا القانون الذي يجب أن لا يحتوى على ما يخالف نصوص هذه المعاهده، وأن يأخذ بعين الاعتبار حقوق ورغبات ومصالح جميع السكان القاطنين في العراق ويكفل للجميع حريه الوجدان التامه وحريه ممارسه جميع أشكال العباده بشرط أن لا تكون مخلّه بالآداب والنظام العموميّن.

وكذلك يكفل ألا يكون أدنى تمييز بين سكان العراق بسبب قوميّه أو دين أو لغه، ويؤمّن لجميع الطوائف عدم نكران أو مساس حقها بالاحتفاظ بمدارسها لتعليم أعضائها بلغاتها الخاصه على أن يكون ذلك موافقاً لمقتضيات التعليم العامه التي تفرضها حكومه العراق، ويجب

أن يُعَيَّن هذا القانون الأساسى الأصول الدستوريه تشريعيه كانت أو تنفيذيه التى ستتبع فى اتخاذ القرارات فى جميع الشؤون المهمه بما فيها الشؤون المرتبطه بمسائل الخطط الماليه والنقديه والعسكريه.

الماده ٤- يوافق جلاله الملك وذلك من غير مساس بنصوص المادتين ١٧ و١٨ من هذه المعاهده على أن يستدل بما يقدمه جلاله ملك بريطانيا من المشوره - بواسطة المعتمد السامى - فى جميع الشؤون المهمه التى تمس بتعهدات ومصالح جلاله ملك بريطانيا الدوليه والماليه وذلك طول مده هذه المعاهده.

ويستشير جلاله ملك العراق المعتمد السامى الاستشاره التامه فيما يودى إلى سياسه ماليه ونقديه سليمه ويؤمن ثبات وحسن نظام ماليه حكومه العراق ما دامت تلك الحكومه مديونه لحكومه جلاله ملك بريطانيا.

الماده ٥- لجلاله ملك العراق الحق فى التمثيل السياسى فى لندن وغيرها من العواصم والأماكن الأخرى مما يتم عليها الاتفاق بين الفريقين السامين المتعاقدين وفى الأماكن التى لا ممثل فيها لجلاله ملك العراق يوافق جلالته على أن يعهد إلى جلاله ملك بريطانيا بحمايه الرعايا العراقيين فيها. وجلاله ملك العراق هو الذى يصدر التصديق على أوراق اعتماد ممثلى الدول الأجنبيه فى العراق بعد موافقه جلاله ملك بريطانيا على تعيينهم.

الماده ٦- يتعهد جلاله ملك بريطانيا بأن يسعى بإدخال العراق فى عضويه عصبه الأمم فى أقرب ما يمكن.

الماده ٧- يتعهد جلاله ملك بريطانيا بأن يقدم الإمداد والمساعده لقوات جلاله ملك العراق المسلحه ما يتفق عليه من وقت إلى آخر الفريقان المتعاقدان الساميان، وتعقد بينهما اتفاقيه منفرده لتعيين مقدار هذا الإمداد وهذه المساعده وشروطها وتبلغ هذه الاتفاقيه إلى مجلس

المادة ٨- لا- يتنازل عن أراض ما فى العراق ولا تؤجر إلى أیه دولة أجنبیه ولا توضع تحت سلطتها بأى طریقه كانت إلا أن هذا لا یمنع جلاله ملك العراق من أن یتخذ ما یلزم من التدابیر لإقامه الممثلین السیاسیین الأجنبیین ولأجل القیام بمقتضیات الماده السابقه.

الماده ٩- یتعهد جلاله ملك العراق بقبول الخطه الملائمه التى یشیر بها جلاله ملك بریطانیا ویکفل تنفیذها فى أمور العدلیه لتأمین مصالح الأجانب بسبب عدم تطبیق الامتیازات والصیانات التى كان یتمتع بها هؤلاء بموجب الامتیازات الأجنبیه أو العرف. و یجب أن توضع نصوص هذه الخطه فى اتفاقیه منفرده، وتبلّغ إلى مجلس عصبه الأمم.

الماده ١٠- یوافق الفریقان السامیان المتعاقدان على عقد اتفاقیات منفرده لتأمین تنفیذ المعاهدات أو الاتفاقیات أو التعهدات التى قد تعهد جلاله ملك بریطانیا بأن تكون نافذه فیما یتعلق بالعراق، و جلاله ملك العراق متعهد بأن یهیئ المواد التشریعیه اللازمه لتنفیذها. وتُبلّغ هذه الاتفاقیات إلى مجلس عصبه الأمم.

الماده ١١- یجب أن لا- تكون میزه ما فى العراق للرعایا البریطانیین أو لغيرهم من رعایا الدول الأجنبیه الأخرى، على رعایا أیه دولة هى عضو فى عصبه الأمم أو رعایا أیه دولة مما قد وافق جلاله ملك بریطانیا بموجب معاهده على أن یضمن لها عین الحقوق التى قد تتمتع بها فیما لو كانت من ضمن أعضاء العصبه المذكوره (وتشمل كلمه رعایا الدول الشركات المؤلفه بموجب قوانین تلك الدوله) فى الأمور التجاریه المتعلقه بالضرائب أو الملاحه أو ممارسه الصنائع والمهن أو معامله السفن التجاریه أو الطیران المدنى. وكذلك یجب ألا تكون میزه ما فى العراق لدوله ما من الدول المذكوره على الأخرى فیما یتعلق بمعامله البضائع الصادره منها أو المصدّره إليها. و یجب أن تطلق حریه مرور البضائع وسط أراضى العراق بموجب شروط عادله.

المادة ١٢- لا تتخذ وسيله ما فى العراق لمنع أعمال التبشير أو للتدخل فيها أو لتمييز مبشر ما على غيره بسبب اعتقاده الدينى أو جنسيته على أن لا تخل تلك الأعمال بالنظام العام وحسن إداره الحكومه.

المادة ١٣- يتعهد جلاله ملك العراق بأن يساعد بقدر ما تسمح له الأحوال الاجتماعيه والدينيه وغيرها على تنفيذ كل خطه عامه تتخذها عصبه الأمم لمنع الأمراض ومقاومتها وتدخل فى ذلك أمراض النبات والحيوان.

المادة ١٤- يتعهد جلاله ملك العراق بأن يتخذ الوسائل اللازمه لسنّ نظام للآثار القديمه فى خلال اثنى عشر شهراً من تاريخ العمل بهذه المعاهده، ويكمل تنفيذه ويكون هذا النظام مؤسساً على القواعد الملحقه بالماده ٤٢١ من معاهده الصلح الموقع عليها فى سيفر فى ١٠ أغسطس سنه ١٩٢٠، فيقوم مقام النظام العثمانى السابق للآثار القديمه ويضمن فى مسائل تحرى الآثار القديمه المساواه بين رعايا جميع الدول من أعضاء عصبه الأمم ورعايا أية دوله مما قد وافق جلاله ملك بريطانيا بموجب معاهده على أن يضمن لها عين الحقوق التى قد تتمتع بها فيما لو كانت من ضمن أعضاء العصبه المذكوره.

المادة ١٥- تعقد اتفقيه منفرده لتسويه العلاقات الماليه بين الفريقين المتعاقدين الساميين، ينص فيها من جهه على تسليم حكومه جلاله ملك بريطانيا إلى حكومه العراق ما ينفق عليه من المرافق العموميه وعلى تقديم حكومه جلاله ملك بريطانيا مساعده ماليه حسبما تقتضيه الحاجه فى العراق من وقت إلى آخر. وينص فيها من جهه أخرى على تصفيه حكومه العراق تدريجياً جميع الديون المتكبده فى هذا السبيل وتبّغ هذه الاتفقيه إلى مجلس عصبه الأمم.

المادة ١٦- يتعهد جلاله ملك بريطانيا على قدر ما تسمح له تعهداته الدوليه بأن لا يضع عقبه ما فى سبيل ارتباط دوله العراق لمقاصد جمركيه أو غيرها مع من يرغب فى ذلك من الدول

الماده ١٧- فى حاله وقوع خلاف ما بين الفريقين الساميين المتعاقدين فيما يتعلق بتفسير نصوص هذه المعاهده يعرض الأمر على محكمه العدل الدوليه الدائمه المنصوص عليها فى ماده ١٤ من ميثاق عصبه الأمم. وإذا وجد فى حاله كهذه أنّ هناك تناقضاً فى المعاهده بين النص الإنكليزى والنص العربى يعتبر النص الإنكليزى المعمول به.

الماده ١٨- تصبح هذه المعاهده نافذه العمل حالما تُصدّق من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين بعد قبولها من المجلس التأسيسى. وتظل معمولاً بها لمدته عشرين سنه. وعند انتهاء هذه المده تفحص الحاله، فإذا رأى الفريقان الساميان المتعاقدان لم يبقَ من حاجه إليها يصير إنهاؤها ويكون أمر الإنهاء عرضه للتشيت من قبل عصبه الأمم. ما لم تدخل ماده السادسه فى حيز التنفيذ قبل ذلك التاريخ. وفى الحاله الأخيره يجب أن يُبلّغ إشعار الإنهاء إلى مجلس عصبه الأمم. ولا مانع للفريقين الساميين المتعاقدين من إعادته النظر من وقت إلى آخر فى شروط هذه المعاهده وشروط الاتفاقيات المنفرده الناشئه عن المواد ٧ و١٠ و١٥ بقصد إدخال ما يترأى مناسبتة من التعديلات حسبما تقتضيه الظروف الراهنه آنئذٍ، وكل تعديل يتفق عليه الفريقان المتعاقدان الساميان يجب أن يُبلّغ إلى مجلس عصبه الأمم.

ملحق رقم (٣٢)

لائحه إحلال المعاهده العراقيه - البريطانیه وملاحقها لعام ١٩٢٢ محل الانتداب البريطانى، مرسله من الحكومه البريطانیه إلى عصبه الأمم

ص: ٨٩٣

لما كانت الدول المتحالفه الرئيسيه قد وافقت على أن بلاد العراق التي كانت فى السابق تابعه للإمبراطوريه العثمانيه، يجب إيداعها ضمن الحدود التي تعينها الدول المذكوره إلى دوله منتدبه (وَصِيَّه) يُعهد إليها وظيفه تقديم المشوره والمساعده الإداريتين للأهالى وفقاً لنصوص ٢٢ (فقره ٤) من ميثاق عصبه الأمم.

ولما كانت الدول المتحالفه الرئيسيه قد قرّرت إن بالانتداب (الوصايه) على البلاد المشار إليها أعلاه يجب أن يعهد به صاحب الجلاله البريطانيه الذى قد قبله. ولما كان صاحب الجلاله البريطانيه قد تعهد بأن يمارس هذا الانتداب بالنيابه عن عصبه الأمم وفقاً للشروط الآنفه الذكر. ولما كانت ماده ٢٢ (فقره ٨) تنص على أنه إن لم تكن درجه السلطه وحق المراقبه والإداره التي ستقوم بها دوله الانتداب معينه حسب اتفاق سابق بين أعضاء عصبه الأمم. وجب على العصبه أن تسرع حالاً فى تنظيمها ولما كان صاحب الجلاله البريطانيه قد اعترف بحكومته مستقلة فى العراق وعقد مع صاحب الجلاله ملك العراق معاهده مع ملحق (بروتوكول) واتفاقيات متفرعه كما هو مبين فى الجدول المربوط وهى المعاهده المعبر عنها فيما يلى بمعاهده التحالف.

فبناءً عليه إن مجلس عصبه الأمم يوافق على إحلال معاهده التحالف المذكوره محل الانتداب ويقرر علاوه على ذلك ماأتى:

الماده الأولى: يجب أن تنتهى معاهده التحالف عندما يصبح العراق عضواً فى عصبه الأمم. وعلى كل حال يجب أن لا يتأخر انتهاؤها عن أربع سنوات من دخول معاهده لوزان فى حيز التنفيذ.

الماده الثانيه: إن امتيازات وصيانات الأجانب بما فى ذلك منافع القضاء القنصلية والحمايه القنصلية على نحو ما كان يتمتع بها فى السابق فى الإمبراطوريه العثمانيه بموجب الامتيازات الأجنبية أو العرف، يجب عدم تطبيقها فى العراق أثناء تنفيذ معاهده التحالف.

المادة الثالثة: فى أثناء تنفيذ معاهدة التحالف يتخذ صاحب الجلالة البريطانىة باستشاره صاحب الجلالة ملك العراق ما يلزم من التدابير لأجل عقد اتفاقه خاصه بالنيابه عن العراق لتسليم المجرمين، ويجب تبليغ صور جميع هذه الاتفاقية إلى مجلس عصبه الأمم.

المادة الرابعة: يجب أن يقدم صاحب الجلالة البريطانىة إلى مجلس عصبه الأمم تقريراً سنوياً ينال رضى المجلس عما يتعلق بالتدابير المتخذة فى أثناء السنه لأجل القيام بنصوص معاهدة التحالف، ويجب أن يرفق مع هذا التقرير صور جميع القوانين والأنظمة الصادره فى أثناء السنه.

المادة الخامسة: ينبغى الحصول على موافقه مجلس الأمم على كل تعديل فى شروط معاهدة التحالف.

المادة السادسة: عند انتهاء معاهدة التحالف على مجلس عصبه الأمم أن يستعمل نفوذه لأجل أن يضمن فى المستقبل قيام الحكومه العراقيه بما كانت قد أخذته على عاتقها أثناء مده معاهدة التحالف من التعهدات الماليه بما فيه رواتب التقاعد و المخصصات.

المادة السابعه: فى حاله حدوث خلافٍ ما، مهما كان، بين صاحب الجلالة البريطانىة وعضوٍ آخر من أعضاء عصبه الأمم فيما يتعلق بتفسير أو تطبيق نصوص معاهدة التحالف، يوافق صاحب الجلالة - إذا لم يكن بالإمكان حسم هذا الخلاف بالمفاوضات - على إحالته إلى محكمه العدل الدوليه الدائمه المنصوص عليها فى المادة ١٤ من ميثاق عصبه الأمم.

إن نصّ هذه الوثيقه الأصلية يجب إيداعه فى خزانه سجلات عصبه الأمم وعلى السكرتير العام لعصبه الأمم أن يرسل نسخاً مصدقةً منها إلى جميع أعضاء العصبه.

ملحق المعاهده الإنجليزیه العراقیه لسنة ١٩٢٢ بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٣

قد تمّ الاتفاق بين الفريقين الساميين المتعاقدين على أنه رغباً عن نصوص المادة (١٨) يجب أن تنتهي المعاهده الحاليه عند صيروره العراق عضواً في عصبه الأمم، وعلى كل حال يجب ألا يتأخر انتهاؤها عن أربع سنوات من تاريخ إبرام الصلح مع تركيه. وليس في هذا (البروتوكول) ما يمنع عقد اتفقيه جديده لأجل تنظيم ما يكون بعد ذلك من العلاقات بين الفريقين الساميين المتعاقدين ويجب الدخول في المفاوضات بينهما لأجل ذلك الغرض قبل انتهاء المده المذكوره في أعلاه.

المعاهده الإنجليزیه – العراقیه المنعقده في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦م

الماده الأولى: إنّ الأحكام الوارده في ماده الثامنه عشره من المعاهده بين الفريقين المتعاقدين الساميين الموقعه في بغداد في اليوم العاشر من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٢ ميلاديه، الموافق لليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٠ هجريه وفي البروتوكول الموقع في بغداد في اليوم الثلاثين من شهر نيسان سنة ١٩٢٣ ميلاديه الموافق لليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٠ هجريه، يُلغى منها ما له تعلق بمده المعاهده المذكوره معمولاً بها لمدته خمس وعشرين سنة ابتداءً من اليوم السادس عشر من شهر كانون الأول سنة ١٩٢٥ ما لم يصبح العراق عضواً

فى عصبه الأمم قبل انقضاء المده المذكوره، وكذلك الاتفاقيات المختلفه المعقوده بين الفريقين الساميين المتعاقدين الملحقه بمعاهده اليوم العاشر من شهر تشرين الأول سنه ١٩٢٢ الآنفه الذكر تبقى فيما يخص مدتها المجعوله تابعه لمده المعاهده المذكوره معمولاً بها للمده المنصوص عليها فى هذه المعاهده وأما فى الخصومات الأخرى فلا تمس أحكامها.

الماده الثانيه: يتفق الفريقان المتعاقدان الساميان على أنهما فوراً بعد إبرام هذه المعاهده وموافقه مجلس عصبه الأمم عليها يواصلان النظر بجدي ونشاطٍ فى المسائل التى وضعت موضع البحث بينهما قبلاً بخصوص تعديل الاتفاقيتين الناشئتين عن المادتين السابعه والخامسه عشره من معاهده اليوم العاشر من شهر تشرين الأول ١٩٢٢.

الماده الثالثه: يتعهد جلاله ملك بريطانيا وذلك من غير مساس بأحكام ماده السادسه من معاهده اليوم العاشر من شهر تشرين الأول سنه ١٩٢٢ المتعلقه بإدخال العراق فى جمعيه الأمم أو أحكام ماده الثامنه عشره من المعاهده المذكوره التى تجيز تعديل أحكام المعاهده المذكوره أو أحكام بعض الاتفاقيات الملحقه بها فى أى وقت كان بشرط موافقه عصبه الأمم بأن ينظر بجدي ونشاطٍ فى المسألتين الآتيتين عند حلول الوقت الذى كان ينبغى فيه أن تنتهى معاهده اليوم العاشر من شهر تشرين الأول سنه ١٩٢٢ بموجب بروتوكول اليوم الثلاثين من شهر نيسان سنه ١٩٢٣، ثم بعد ذلك فى فترات متتابعه مده كل أربع سنوات إلى أن تنقضى مده الخمس والعشرين سنه المذكوره فى هذه المعاهده أو إلى أن يدخل العراق فى عصبه الأمم:

(١) هل فى استطاعته الإلحاح على إدخال العراق فى عصبه الأمم.

(٢) إن لم يكن فى استطاعته ذلك ففى مسأله تعديل الاتفاقيات المبحوث عنها فى ماده الثامنه عشره من معاهده اليوم العاشر من شهر تشرين الأول سنه ١٩٢٢ بناء على التقدم الذى بلغته المملكه العراقيه أو بناء على أى سببٍ آخر.

المعاهدة الإنجليزیه - العراقیه المنعقدہ فی ٣٠ حزيران ١٩٣٠

الماده ١: يسود سلّم وصدّاقه دائمين بين صاحب الجلاله ملك العراق وبين صاحب الجلاله البريطانيه ويؤسّس بين الفريقين الساميين المتعاقدين تحالف وثيق توطيداً لصدّاقتهما وتفاهمهما الودّي وصلاتهما الحسنه. وتجرى بينهما مشاوره تامه وصريحه في جميع شؤون السياسه الخارجيه ممّا قد يكون له مساس بمصالحهما المشتركه ويتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بالأ يقف في البلاد الأجنبيه موقفاً لا يتفق وهذا التحالف أو قد يخلق مصاعب للفريق الآخر.

الماده ٢- يمثل كلاً من الفريقين الساميين المتعاقدين لدى بلاط الفريق السامى المتعاقد الآخر ممثل دبلوماسى، يعتمد وفقاً للأصول المرعيه.

الماده ٣- إذا أدى أى نزاع بين العراق وبين دوله ثالثه إلى حاله يترتب عليها خطر قطع العلاقات بتلك الدوله يوحد حينئذ الفريقان الساميان المتعاقدان مساعيهما لتسويه ذلك النزاع بالوسائل السلميه وفقاً لأحكام ميثاق عصبه الأمم ووفقاً لأى تعهدات دوليه أخرى يمكن تطبيقها على تلك الحاله.

الماده ٤- إذا اشتبك أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في حرب رغم أحكام ماده الثالثه أعلاه يبادر حينئذ الفريق السامى المتعاقد الآخر فوراً إلى معونته بصفه كونه حليفاً وذلك دائماً وفق أحكام ماده التاسعه أدناه.

وفى حاله خطر حرب محدد يبادر الفريقان الساميان المتعاقدان فوراً إلى توحيد المساعى فى

اتخاذ تدابير الدفاع المقتضيه.

إنَّ معونه صاحب الجلاله ملك العراق فى حاله حربٍ أو خطرٍ محدقٍ تنحصر فى أن يقدم إلى صاحب الجلاله البريطانى فى الأراضى العراقىه جميع ما فى وسعه أن يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك استخدام السكك الحديدىه والأنهر والموانئ والمطارات ووسائل المواصلات.

الماده ٥- من المفهوم بين الفريقين الساميين المتعاقدين أن مسؤوليه حفظ الأمن الداخلى فى العراق وأيضاً - بشرط مراعاة أحكام ماده الرابعه أعلاه - مسؤوليه الدفاع عن العراق إزاء الاعتداء الخارجى تنحصران فى صاحب الجلاله ملك العراق.

مع ذلك يعترف ملك العراق بأن حفظ وحمايه مواصلات صاحب الجلاله البريطانىه الأساسيه بصوره دائمه فى جميع الأحوال هما من صالح الفريقين الساميين المتعاقدين المشترك.

فمن أجل ذلك وتسهيلاً للقيام بتعهدات صاحب الجلاله البريطانىه وفقاً للماده الرابعه أعلاه يتعهد جلاله ملك العراق بأن يمنح صاحب الجلاله البريطانىه مواقع لقواعد جوييه فى البصره أو فى جوارها وموقفاً واحداً لقاعدته جوييه ينتقيها صاحب الجلاله البريطانىه فى غرب نهر الفرات.

وكذلك يأذن جلاله ملك العراق لصاحب الجلاله البريطانىه فى أن يقيم قوات فى الأراضى العراقىه فى الأماكن الآنفه الذكر وفقاً لأحكام ملحق هذه المعاهده على أن يكون مفهوماً أنّ وجود هذه القوات لن يعتبر بوجهٍ من الوجوه احتلالاً ولن يمس على الإطلاق حقوق سياده العراق.

الماده ٦- يعتبر ملحق هذه المعاهده جزءاً لا يتجزأ منها.

الماده ٧- تحلُّ هذه المعاهده محل معاهدتى التحالف الموقع عليهما فى بغداد فى اليوم العاشر

من شهر تشرين الأول لسنة آثنتين وعشرين وتسعمائه بعد الألف الميلاديه الموافق لليوم التاسع عشر من شهر صفر لسنة إحدى وأربعين وثلثمائه بعد الألف الهجريه وفي اليوم الثالث عشر من شهر كانون الثاني لسنة ست وعشرين وتسعمائه بعد الألف الميلاديه الموافق لليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الآخره. لسنة أربع وأربعين وثلثمائه بعد الهجريه مع الاتفاقيات الفرعيه الملحقه بهما التي تمسى ملغاه عند دخول هذه المعاهده حيز التنفيذ.

وتوضع هذه المعاهده فى نسختين فى كل من اللغتين العربيه والإنكليزيه ويعتبر النص الأخير المعمول به والمعمول عليه.

الماده ٨- يعترف الفريقان الساميان المتعاقدان بأنه عند الشروع فى تنفيذ هذه المعاهده تنتهى من تلقاء نفسها وبصوره نهائيه جميع المسؤوليات المترتبه على صاحب الجلاله البريطانى فيما يتعلق بالعراق وفقاً للمعاهدات والاتفاقيات المشار إليها فى الماده السابعه من هذه المعاهده وذلك فيما يختص بجلالته البريطانى وبأنه إذا بقى شىء من هذه المسؤوليات فيترتب على صاحب الجلاله ملك العراق وحده.

ومن المعترف به أيضاً أنّ كل ما بقى من المسؤوليات المترتبه على صاحب الجلاله البريطانى فيما يتعلق بالعراق وفقاً لآى وثيقه دوليه أخرى ينبغى أن يترتب كذلك على جلاله ملك العراق وعلى الفريقين الساميين المتعاقدين أن يبادرا فوراً إلى اتخاذ الوسائل المقتضيه لتأمين نقل هذه المسؤوليات إلى صاحب الجلاله ملك العراق.

الماده ٩- ليس فى هذه المعاهده ما يرمى بوجه من الوجوه إلى الإخلال أو بخس بالحقوق والتعهدات المترتبه أو التي قد تترتب لأحد الفريقين الساميين المتعاقدين أو عليه وفقاً لميثاق عصبة الأمم أو معاهده تحريم الحرب الموقع عليها فى باريس فى اليوم السابع والعشرين من شهر آب لسنة ثمان وعشرين وتسعمائه بعد الألف الميلاديه.

الماده ١٠- إذا نشأ خلاف مّا يتعلق بتطبيق هذه المعاهده أو تفسيرها ولم يوفق الفريقان الساميان المتعاقدان إلى الفصل فيه بالمفاوضه رأساً بينما يعالج الخلاف حينئذٍ وفقاً لأحكام ميثاق عصبه الأمم.

الماده ١١- تبرم هذه المعاهده ويتم تبادل الإبرام بأسرع ما يمكن، ثم يجرى تنفيذها عند قبول العراق عضواً في عصبه الأمم. وتظل هذه المعاهده نافذه مده خمس وعشرين سنه ابتداءً من تاريخ تنفيذها. وفي أى وقت كان بعد عشرين سنه من تاريخ المشروع فى تنفيذ هذه المعاهده على الفريقين الساميين المتعاقدين أن يقوموا ببناءً على طلب أحدهما بعقد معاهده جديده ينصّ فيها على الاستمرار على حفظ وحمايه مواصلات صاحب الجلاله البريطانىه الأساسيه فى جميع الأحوال، وعند الخلاف فى هذا الشأن يعرض ذلك الخلاف على مجلس عصبه الأمم.

ملحق رقم (٣٦)

ملحق المعاهده الإنجليزیه - العراقیه لسنة ١٩٣٠م

(١) يُعَيّن صاحب الجلاله البريطانىه من حين إلى آخر مقدار القوات التى يقيمها جلالته فى العراق، وفقاً لأحكام ماده الخامسه من هذه المعاهده وذلك بعد مشاوره صاحب الجلاله ملك العراق فى الأمر.

ويقيم صاحب الجلاله البريطانىه قوات فى الهندي لمدّه خمس سنوات بعد الشروع فى تنفيذ هذه المعاهده، وذلك لكى يمكن صاحب الجلاله ملك العراق من تنظيم القوات المنتخبه للحلول محل تلك القوات. وعند انقضاء تلك المدّه تكون قوات صاحب الجلاله البريطانىه قد انسحبت

ص: ٩٠١

من الهنيدى، ولصاحب الجلالة البريطانيه أيضاً أن يقيم قوات فى الموصل لمدّه حدّها الأعظم خمس سنوات تبتدئ من تاريخ الشروع فى تنفيذ هذه المعاهده. وبعد ذلك لصاحب الجلالة البريطانيه أن يضع قواته فى الأماكن المذكوره فى ماده الخامسة من هذه المعاهده. ويؤجر صاحب الجلالة ملك العراق مده هذا التحالف صاحب الجلالة البريطانيه المواقع المقتضيه لإسكان قوات صاحب الجلالة البريطانيه فى تلك الأماكن.

٢) بشرط أى تعديلات قد يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على إحداثها فى المستقبل تظل الحصانات والامتيازات فى شؤون القضاء والعائدات الأميريه، وفى ذلك الإعفاء من الضرائب التى تتمتع بها القوات البريطانيه فى العراق شامله القوات المشار إليها فى الفقره الأولى أعلاه وتشمل أيضاً قوات صاحب الجلالة البريطانيه من جميع الصنوف وهى القوات التى يحتمل وجودها فى العراق عملاً- بأحكام هذه المعاهده وملحقها أو وفقاً لاتفاق يتم عقده بين الفريقين الساميين المتعاقدين. وأيضاً يواصل العمل بأحكام أى تشريع محلى له مساس بقوات صاحب الجلالة البريطانيه المسلحه. وتتخذ الحكومه العراقيه التدابير المقتضيه للتثبيت من كون الشروط المتبادلّه لا تجعل موقف القوات البريطانيه فيما يتعلق بالحصانات والامتيازات أقل ملاءمه بوجه من الوجوه من الموقف الذى تتمتع به هذه القوات فى تاريخ الشروع فى تنفيذ هذه المعاهده.

٣) يوافق جلاله ملك العراق على القيام بجميع التسهيلات الممكنه لتنقل القوات المذكوره فى الفقره الأولى من هذا الملحق وتدريبها وإعالتها وعلى منحها عين تسهيلات استعمال التلغراف اللاسلكى التى تتمتع بها عند الشروع فى تنفيذ هذه المعاهده.

٤) يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق بأن يقدم بناءً على طلب صاحب الجلالة البريطانيه وعلى نفقه صاحب الجلالة البريطانيه وفقاً للشروط التى يتفق عليها الفريقان الساميان المتعاقدان حرساً خاصاً من قوات صاحب الجلالة ملك العراق لحمايه القواعد الجويه مما قد تشغله

قوات جلالته البريطانيه وفقاً لأحكام هذه المعاهده، وأن يؤمن سن القوانين التشريعيه التي قد يقتضيها تنفيذ الشروط الآنفه الذكر.

(٥) يتعهد صاحب الجلاله البريطانيه بأن يقوم عند كل طلب يطلبه صاحب الجلاله ملك العراق بجميع التسهيلات الممكنه فى الأمور التاليه وذلك على نفقه جلاله ملك العراق وهى:

ص تعليم الضباط العراقيين الفنون البحريه والعسكريه والجويه فى المملكه المتحده.

ص تقديم الأسلحه والعتاد والتجهيزات والسفن والطائرات من أحدث طرازٍ متيسرٍ إلى قوات جلاله ملك العراق.

ص تقديم ضباط بريطانيين بحريين وعسكريين وجوئيين للخدمه بصفه استشاريه فى قوات جلاله ملك العراق.

(٦) لما كان من المرغوب فيه توحيد التدريب والأساليب فى الجيشين العراقى والبريطانى يتعهد جلاله ملك العراق بأنه إذا رأى ضروره الالتجاء إلى مدربين عسكريين أجنب فإنهم يختارون من الرعايا البريطانيين.

ويتعهد أيضاً بأن أى أشخاص من قواته من الذين قد يوفدون إلى الخارج للتدريب العسكرى يرسلون إلى مدارس وكليات ودور تدريب عسكريه فى بلاد جلالته البريطانيه بشرط ألا يمنع ذلك صاحب الجلاله ملك العراق من إرسال الأشخاص الذين لا يمكن قبولهم فى المعاهده ودور التدريب المذكوره إلى أى قطر آخر كان.

ويتعهد أيضاً بأن التجهيزات الأساسيه لقوات جلالته وأسلحتها لا تختلف فى نوعها عن أسلحه وقوات صاحب الجلاله البريطانيه و تجهيزاتها.

(٧) يوافق جلاله ملك العراق على أن يقوم، عند طلب صاحب الجلاله البريطانيه ذلك،

ص: ٩٠٣

بجميع التسهيلات الممكنة لمرور قوات صاحب الجلالة البريطانيه من جميع الصنوف العسكريه عبر العراق، ولنقل وخزن جميع المؤن والتجهيزات التي قد تحتاج إليها هذه القوات في أثناء مرورها في العراق. وتتناول هذه التسهيلات استخدام طرق العراق وسككه الحديدية وطرقه المائيه وموانئه ومطاراته ويؤذن لسفن صاحب الجلالة البريطانيه إذناً عاماً في زياره شط العرب، بشرط إعلام جلاله ملك العراق قبل القيام بتلك الزيارات للموانئ العراقيه.

ملحق رقم (٣٧)

الاتفاقية الإنجليزیه - العراقيه حول المسائل الماليه، المنعقدہ في ١٩ آب ١٩٣٠م

الاتفاقية الإنجليزیه - العراقيه (١) حول المسائل الماليه، المنعقدہ في ١٩ آب ١٩٣٠م

١- تنقل حكومه المملكه المتحدہ البريطانيه العظمى وايرلندا الشماليه، إلى الحكومه العراقيه في خلال المده المنصوص عليها في الفقره الأولى من ملحق معاهده التحالف الممضاء في ٣٠ حزيران سنه ١٩٣٠، المطارات والمعسكرات التي في الهندي والموصل، والتي تشغلها الآن قوات صاحب الجلالة البريطانيه. وتتقبل الحكومه العراقيه انتقال هذه المطارات والمعسكرات إليها «ما عدا سقيفتين فولاذيتين من نوع (A) ومعدات الثلج الموجوده في الهندي والموصل، التي ستنقلها حكومه المملكه المتحدہ» بثلاث الثمن الذي تشهد وزاره الطيران لحكومه المملكه المتحدہ بصحته، ويشمل ذلك المباني والمعامل والمؤسسات والإنشاءات الدائمه الموجوده هناك، ولا يدخل في هذا الحساب المباني الطينيه التي تنتقل إلى الحكومه العراقيه بلا ثمن. ولا تتأخر الحكومه العراقيه في دفع هذا المبلغ إلى حكومه المملكه المتحدہ عن التاريخ الذي يتم فيه

ص: ٩٠٤

١- (١) الحسنی، عبد الرزاق: العراق في ظل المعاهدات، ط ٢، صيدا ١٩٥٨، ص ٢١٥-٢١٨. وكذلك منتشاشفيلي، البرت م: العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ص ٤٠٧-٤١١.

وفى خلال المده القصوى عليها فى الفقره الأولى من ملحق معاهده التحالف تظل قوات صاحب الجلاله البريطانى آمنه فى إشغال مواقعها الحالىة فى الهنيدى والموصل والشعبية وفى استعمال أماكنها الحالىة المخصصة لنزول الطيارات الاضطرارى، ولا تطالب حكومه المملكه المتحده بدفع بدلات إيجار لهذه الأماكن تزيد على البدلات التى تدفعها الآن.

٢- عند انسحاب قوات صاحب الجلاله البريطانىة من الهنيدى والموصل، وفق أحكام الفقره الأولى من ملحق معاهده التحالف، إذا قررت حكومه المملكه المتحده تأسيس قاعده جويه بريطانيه فى جوار الحباتيه، تتخذ الحكومه العراقيه حينئذ جميع التدابير الممكنه بغير أن يترتب فى ذلك نفقات على أى كان من الحكومتين، لإنشاء سكه حديديه تصل تلك القاعده الجويه بالسكك الحديديه العراقيه.

٣- لا- تستوفى بدلات إيجار عن مواقع القواعد الجويه، التى تؤجر من حكومه صاحب الجلاله البريطانىة، وفق أحكام الماده الخامسه من معاهده التحالف، متى كانت تلك المواقع فى أرض أميريه خاليه. إما إذا كانت تلك البقاع فى أراضى غير أميريه فتجرى جميع التسهيلات الممكنه لتحتيم عقد تلك الإيجارات بشروط معقوله، على أن تقوم الحكومه العراقيه بعقد هذه الإيجارات، بناءً على طلب حكومه المملكه المتحده وعلى نفقه المملكه المتحده. وتعفى الأراضى المأجوره من جميع الضرائب والرسوم، وتظل الإيجارات نافذه المفعول ما دامت قوات صاحب الجلاله البريطانىة شاغله هذه القواعد، وفق أحكام معاهده التحالف السابق ذكرها، أو وفق أحكام أى تحديد آخر لها. وعند انتهاء أجل إيجار المواقع المذكوره أو أجل إيجار أى منها بصوره نهائيه، أما أن تتسلم الحكومه العراقيه نفسها المباني والمؤسسات والإنشاءات الدائمه المبنيه فى تلك المواقع، بثمين معقول مع اعتبار استعمالها، وأما أن تجرى التسهيلات المعقوله المقتضيه لتمكين

حكومه المملكه المتحده فى تصريفها على أفضل صوره وبعد انقضاء المده القصوى المنصوص عليها فى الفقره الأولى من ملحق معاهده التحالف وما دامت معاهده التحالف المذكوره نافذه المفعول، لا تطالب حكومه المملكه المتحده بدفع أجور استعمال أى كان من الأماكن الحاليه المخصصه لنزول الطيارات الاضطرارى فى العراق.

٤- تنفيذ التدابير التاليه، المتخذة للتصرف بالسكك الحديديه العراقيه وإدارتها بأسرع ما يمكن وفى خلال مده لا يتعدى حدّها الأقصى، على كل حال سنه واحده ابتداءً من دخول معاهده التحالف حيز التنفيذ.

آ - تنقل حكومه المملكه المتحده ملكيه السكك الحديديه الشرعيه إلى الحكومه العراقيه وتسجّل باسم الحكومه العراقيه، وفى عين الوقت الذى يتم فيه هذا الانتقال تخوّل هيئه خاصه أو نقابه ذات شخصيه قانونيه حق الانتفاع التام على سبيل الإيجار أو غيره، ويبدل إيجار إسمى وبشروط ترضاهها حكومه المملكه المتحده على أن تؤلف هذه الهيئه أو مجلس الإدارة بقانون خاص تسنّه الهيئه التشريعيه العراقيه وتوافق على نصوصه كلتا الحكومتين.

ب - تكون النقبه مسؤوله بأجمعها عن إداره السكك الحديديه العراقيه وتدير شؤونها ولها وحدها دون غيرها جمع رأسمال جديد باكتتاب عام أو بعقد قرضٍ خاصٍ مع سلطه التصرف بدخل هذه السكك الحديديه على أن تراعى فى ذلك القيود المفروضه فى القانون المارذكره.

ج - - يتألف رأسمال النقبه المذكوره ممايلي:

١- يخصص لحكومه المملكه المتحده ما قيمته ٣٧٥ لك روبيه من الأسهم الممتازه بفائده ٦٪ ولا تتراكم هذه الفائده لمده عشرين سنه ابتداءً من تاريخ انتقال ملكيه السكك الجديده ولكنها تتراكم بعد انقضاء هذه المده ويحسب ٢٥ لك روبيه من هذا المبلغ قيمه رأس المال المدينه به السكك الحديديه لحكومه المملكه المتحده على حساب النصفيه.

٢- يَخْصِي ص لِلْحُكُومَةِ الْعِرَاقِيَةِ ٤٥ لَكْ و٨٥ أَلْفَ رُوبِيَةٍ مِنَ الْأَسْهُمِ الْمَمْتَاذِهِ بِعَيْنِ الشَّرُوطِ وَهَذَا الْمَبْلَغُ يَسَاوِي الْمَبَالِغَ الَّتِي اقْتَرَضَتْهَا الْحُكُومَةُ الْعِرَاقِيَةُ لِلسَّكِّكَ الْحَدِيدِيَةِ وَالَّتِي أُعْفِيَتْ مِنَ الْفَائِدَةِ.

٣- أَيْضاً يَخْصِي ص لِلْحُكُومَةِ الْعِرَاقِيَةِ ٢٥٠ لَكْ رُوبِيَةٍ مِنَ الْأَسْهُمِ الْمَمْتَاذِرِ وَلِلْحُكُومَةِ الْعِرَاقِيَةِ الْخِيَارَ فِي أَنْ تُشْتَرَى مَتَى شَاءَتْ الْأَسْهُمَ الْمَخْصَصَةَ لِحُكُومَةِ الْمَمْلَكَةِ الْمُتَّحِدَةِ بِقِيمَتِهَا الْأَصْلِيَةِ.

د - يَتَأَلَّفُ مَجْلِسُ إِدَارَةِ النِّقَابَةِ مِنْ خَمْسَةِ مَدِيرِينَ تُعَيَّنُ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ الْحُكُومَةُ الْعِرَاقِيَةُ وَاثْنَيْنِ مِنْهُمْ حُكُومَةُ الْمَمْلَكَةِ الْمُتَّحِدَةِ أَمَّا الْخَامِسُ الَّذِي يَكُونُ رَئِيسَ مَجْلِسِ إِدَارَتِهِ فَيُتَمَّ تَعْيِينُهُ بِاتِّفَاقِ كِلْتَا الْحُكُومَتَيْنِ وَيَكُونُ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِمَجْلِسِ إِدَارَتِهِ مَدِيرُ السَّكِّكَ الْحَدِيدِيَةِ الْعِرَاقِيَةِ الْحَالِي.

هـ - تَكُونُ النِّقَابَةُ مَسْئُولَةً عَنِ اقْتِرَاضِ رَأْسِ الْمَالِ الْمَطْلُوبِ لِإِصْلَاحِ السَّكِّكَ الْحَدِيدِيَةِ الْعِرَاقِيَةِ وَتُوسِعُهَا وَلَا يَتَعَهَّدُ أَيُّ كَانٍ مِنَ الْحُكُومَتَيْنِ بِضَمَانِ هَذَا الْقَرْضِ، سِوَا مَا كَانَ ذَلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَائِدَةِ أَمْ بِرَأْسِ الْمَالِ.

و- كِلْ رَأْسَمَالٍ تَقْتَرِضُهُ النِّقَابَةُ لِإِصْلَاحِ السَّكِّكَ الْحَدِيدِيَةِ الْعِرَاقِيَةِ أَوْ لِتُوسِعِهَا يَقُومُ عَلَى الْأَسْهُمِ الْمَخْصَصَةِ لِلْحُكُومَتَيْنِ وَفَقْأً لِلْفَقْرَةِ (ج-) السَّابِقَةِ.

ز - تَتَقَبَّلُ الْحُكُومَةُ الْعِرَاقِيَةُ بِصَفِهِ كُونِهَا صَاحِبَةَ الرِّقْبِيِّ لِلسَّكِّكَ الْحَدِيدِيَةِ التَّبَعَةَ النَّهَائِيَةَ عَمَّا يَظْهَرُ فِيمَا بَعْدَ مِنْ دِيُونٍ عَلَى هَذِهِ السَّكِّكَ غَيْرِ مُتْرَبَةٍ عَلَى النِّقَابَةِ. وَمَقَابِلَ هَذِهِ التَّبَعَةِ تُحَوَّلُ حُكُومَةُ الْمَمْلَكَةِ الْمُتَّحِدَةِ إِلَى الْحُكُومَةِ الْعِرَاقِيَةِ مِنَ الْأَسْهُمِ الْمَمْتَاذِرِ مَا تَسَاوَى قِيمَتُهُ الْإِسْمِيَّةَ الْمَبَالِغَ الَّتِي لَا يُمْكِنُ اسْتِرْدَادُهَا مِمَّا قَدْ تَضَطَّرَّ الْحُكُومَةُ الْعِرَاقِيَةُ إِلَى دَفْعِهِ تَسْهِيداً لِتِلْكَ الدِّيُونِ وَذَلِكَ مَتَى ثَبَّتَتْ صَحَّةَ تِلْكَ الدِّيُونِ ثُبُوتاً تَقْتَنَعُ حُكُومَةُ الْمَمْلَكَةِ بِهِ.

ح - تَوْقَعاً لِانْتِقَالِ السَّكِّكَ الْحَدِيدِيَةِ وَتَأْلِيْفِ النِّقَابَةِ تَبَادَرُ الْحُكُومَةُ الْعِرَاقِيَةُ إِلَى مَنَحِ عَقُودِ

مدتها ثلاث سنوات وفق شروط (المعاهدة) لموظفي السكك الحديدية البريطانيين الذين قد يوصى بهم مدير السكك الحديدية العراقي لذلك. ولا- تبطل هذه العقود بعد منحها إلا بموافقه حكومه المملكه المتحده. أما مسأله منح هؤلاء الموظفين عقوداً لمدد أطول من هذه المده، فتترك لقرار مجلس الإدارة بعد تأليفه.

٥- إن الملك الكائن في ميناء البصره، الموجود الآن في حيازه حكومه المملكه المتحده ينتقل إلى الحكومه العراقيه وتقوم بإداره الميناء هيئه تدعى مجلس أمناء الميناء. ولهذه الغايه يسنّ العراق تشريعاً بنصوص يتفق عليها مع حكومه المملكه المتحده لتأليف مجلس أمناء الميناء له شخصيه قانونيه. على أن لا- يعدل هذه التشريع إلا- بموافقه حكومه المملكه المتحده، ما دام لحكومه المملكه المتحده أى جزء كان من الدين المتعلق بالميناء.

وعند التشريع المذكور، وتأليف مجلس أمناء الميناء، يُنقل الملك الكائن في الميناء إلى الحكومه العراقيه ويسجل باسمها. وفي عين الوقت الذى يتم فيه هذا الانتقال، يمنح مجلس أمناء الميناء حق الانتفاع التام على سبيل الإيجار. أو الامتياز أو بواسطه أخرى مناسبه على أن توافق حكومه المملكه المتحده على الشروط، وذلك للمده التى يكون فيها الميناء مديناً لحكومه المملكه المتحده، بأى جزء كان من الدين.

ملحق رقم (٣٨)

الحكام العسكريون والمدنيون الإنجليز في العراق

ستانلى مود: القائد العام للقوات الإنجليزيه فى العراق فى ١٩١٦-١٩١٧.

وليم مارشال: القائد العام للقوات الإنجليزيه فى العراق فى ١٩١٧-١٩١٨.

ص: ٩٠٨

برسى كوكس: الضابط السياسى الأول من ١٩١٦ حتى نيسان ١٩١٨.

أرنولد تالبوت ولسون: المفوض المدنى من أيار ١٩١٨ حتى ١ تشرين الأول ١٩٢٠.

برسى كوكس: المندوب السامى من ١ تشرين الأول ١٩٢٠ حتى أيار ١٩٢٣.

هنرى دويس: المندوب السامى من أيار ١٩٢٣ حتى حزيران ١٩٢٩.

جيلبرت كلايتن: المندوب السامى من ١١ حزيران حتى ١١ أيلول ١٩٢٩.

فرنسيس همفريز: المندوب السامى من ١١ أيلول ١٩٢٩ حتى ٤ تشرين الثانى ١٩٣٢، ثم سفير بريطانيا العظمى فى العراق.

ملحق رقم (٣٩)

الوزارات العراقية بأسماء الرؤساء وفترة حكمهم فى المملكة العراقية، بعهد الملك فيصل الأول (١٩٢١-١٩٣٣م)

الوزارات العراقية بأسماء الرؤساء وفترة حكمهم (١) فى المملكة العراقية، بعهد الملك فيصل الأول (١٩٢١-١٩٣٣م)

فى البدايه تمّ تشكيل الحكومه المؤقتة برأسه السيد عبد الرحمن النقيب [الكيلانى]، (بغداد ١٨٤٥-١٩٢٧)، ابتداءً من ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠ حتى ٩ أيلول ١٩٢١م.

١- السيد عبد الرحمن النقيب، حكومته الثانية، تشكلت فى عهد الملك فيصل، فى ١٠ أيلول ١٩٢١-١٩ آب ١٩٢٢.

٢- السيد عبد الرحمن النقيب، حكومته الثالثة، ٣٠ أيلول ١٩٢٢-١٧ تشرين الثانى ١٩٢٢.

٣- عبد المحسن السعدون، (الناصرية ١٨٨٠-١٩٢٩م)، حكومته الأولى ابتداءً من ١٨

ص: ٩٠٩

١- (١) بصرى، مير: أعلام السياسة فى العراق، ص ٢٨٢-٢٨٣.

تشرين الثاني ١٩٢٢ - ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٣.

٤- جعفر العسكري (بغداد ١٨٨٥-١٩٣٦م)، حكومته الأولى ابتداءً من ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٣ - ٣ آب ١٩٢٤.

٥- ياسين الهاشمي، (ولاده بغداد ١٨٨٤-١٩٣٧) حكومته من ١٤ آب ١٩٢٤ - ٢٠ حزيران ١٩٢٥م.

٦- عبد المحسن السعدون، حكومته الثانية من ٢٦ حزيران ١٩٢٥ - ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٦.

٧- جعفر العسكري، حكومته الثانية من ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٦ - ١٣ كانون الثاني ١٩٢٨.

٨- عبد المحسن السعدون، حكومته الثالثة من ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ - ٢٧ نيسان ١٩٢٩م.

٩- توفيق السويدي، (بغداد ١٨٩٢-١٩٦٨م)، حكومته من ٢٨ نيسان ١٩٢٩ - ١٨ أيلول ١٩٢٩.

١٠- عبد المحسن السعدون حكومته الرابعة من ١٩ أيلول ١٩٢٩ - ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٩.

١١- ناجي السويدي، (بغداد ١٨٨٢-١٩٤٢)، حكومته من ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٩ - ٢٢ آذار ١٩٣٠.

١٢- نوري السعيد (بغداد ١٨٨٨-١٩٥٨م)، حكومته الأولى ابتداءً من ٢٣ آذار ١٩٣٠ - ١٩ تشرين الأول ١٩٣١.

ص: ٩١٠

١٣- نوري السعيد، حكومته الثانيه من ١٩ تشرين الأول ١٩٣١-٢ تشرين الثاني ١٩٣٢.

١٤- ناجي شوكت (الكوت ١٨٩٣-١٩٨٠م)، حكومته ابتداءً من ٣ تشرين الثاني ١٩٣٢- ١٩ آذار ١٩٣٣م.

١٥- رشيد عالي الكيلاني (بغداد ١٨٩٢-١٩٦٥م)، حكومته ابتداءً من ٢٠ آذار ١٩٣٣- ١٩ أيلول ١٩٣٣.

ملحق رقم (٤٠)

نص رساله الإمام السيد أبو الحسن الاصفهاني إلى أهالي البصره - لتوحيد الكلمه - إثر سؤال بعض البصريين حول بعض المسائل الاعتقاديّه المهمه

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة المؤمنين المتدينين بشريعه سيد المرسلين وفقكم الله لما يحب ويرضى.

بعد السلام عليكم والدعاء للجميع بحسن التوفيق.

لا يخفى، وردني مكتوبكم الموقع فيه أسماء جماعه تذكرون فيه عقائدكم من نفى الغلو ومن الإقرار بالمعاد الجسماني والمعراج الجسماني وانشقاق القمر وغير ذلك من ضروريات الإسلام، وإنكم لا تقولون بوحده الناطق ولا تنكرون شيئاً من اعتقادات المؤمنين المشهوره

ص: ٩١١

بين الفرقة الناجية ومع ذلك إن جناب السيد مهدي (سلمه الله) قد صدر منه في البصره ما يوجب تفرقه الكلمه والتحرّيات الدينيه، نعم من كانت هذه عقيدته فهو أخونا في الدين وحاله حال جميع المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، ولا أظن بالسيد وبمن دونه التعرّض إلى من كانت عقيدته هذه العقيده، ولعل ما وقع في البين ناشئ من سوء التفاهم بين الطرفين، فأما إن السيد إعتقد أنه عقيدتكم غير تلك العقيده، وأما أن الأمر ليس كما بلغكم، وعلى أي حال يلزم رفع الاشتباه وإزاله الشحاء من الطرفين، وأظن أن العمده في منشأ هذه الضوضاء انتشار الكتاب الذي صنّفه جناب السيد قبل عشر سنين، وإنى بعون الله تعالى مهتم بكمال جدّي وجهدي في رفع هذه الغائله والتوسل بكل وسيله في إطفاء هذه النائره، وقد التمسيت من السيد سلمه الله اللزوم على الطريقه اللينه مع كافة البصريين على اختلاف مشاربهم، والأمل فيكم أيضاً أن تجتنبوا معه طريق الشده فإنه أجل من أن يرضى بتفرقه الكلمه خصوصاً في مثل هذه الأيام الحرجه، قال يا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسِينًا وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ .1

وفقنى وإياكم لما يحب ويرضى، والسلام على من آتبع الهدى، هذا ويبلغكم على بن موسى عنى شفاهايات إذا أصغيتم إليها يكون صلاحكم، والسلام.

١٤ ذى القعدة ١٣٤٤هـ -

الأحقر أبو الحسن الموسوى

ص: ٩١٢

الرساله الجوابيه لسماحه آيه الله السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثوره الإسلاميه فى العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الفاضل الكامل العالم الشيخ محمد جواد مالك دام عزه

بعد السلام عليكم ورحمه الله وبركاته.. والدعاء لكم بالتوفيق والتسديد لا سيما فى بحثكم الذى يتناول موضوعاً هاماً يحتاج إلى متابعه وتفسير وتحليل، أسأله تعالى لكم التوفيق والنجاح.

أما بالنسبه إلى السؤالين المذكورين فى رسالتكم:

الجواب عن الأول: هو أن النجف لم يكن يسكنها أحد من أبناء السنّه إلا مجموعه لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحده، وهم من أتباع طريقه البكداشيه التى تُكنُّ حباً شديداً لأهل

البيت عليهم السلام ويُحسبون على الشيعة فى مشاعرهم وعواطفهم ولديهم حضور كبير فى تركيا وألبانيا. ولذا يكون من الطبيعى أن يتولى النقابه شخص كالسيد (رضا الرفيعى) الذى هو من الساده الأشراف الذين تمكنوا أن يحولوا سدنه الروضه من عائله إلى أخرى وهى عائله الملاى إلى هذه العائله العريقه وهى (آل الرفيعى)، وبقيت السدانه والنقابه تنتقل إلى أبنائه حتى انتقل الأمر إلى السيد أحمد بن السيد محمد حسن فأختص هو بالسدانه وانتقلت النقابه إلى عمه السيد هادى، باعتباره كبير السن ويتناسب سنّه مع هذا الموقع الإشرافى.

ولا شك أن ضعف الدوله العثمانيه فى عهد السيد رضا، وتولى العلماء لإداره البلد (النجف) كان له دور فى ذلك.

ويمكنكم مراجعه ماضى النجف وحاضرها (ج ١ ص ٢٦٣-٢٦٧).

وأما الجواب عن السؤال الثانى: فهنا لابد أن نأخذ بنظر الاعتبار عده حقائق كانت تُلقى بثقلها على الأحداث ونتائجها:

الأولى: إن الشيعة وفيهم المرجعيه الدينيه فى العراق كانوا يعيشون عزله سياسيه تكاد أن تكون شامله فى العهد العثمانى لأنهم أقلية مضطهده، وكان دخولهم فى حركه الجهاد ضد الغزو الإنجليزى استجابته للتكليف الشرعى.

الثانيه: إنّ الوعى السياسى العام لدى المرجعيه المتصديه (مرجعيه الشيخ الشيرازى) كان محدوداً حيث كان يحكمها تصوّر البديل للسلطه الأجنبيه (الإنجليز) هو الحكم الإسلامى، إذ لم يكن معروفاً وجود خيار وصيغه ثالثه فى التاريخ الإسلامى. ولذا كان التصور أنه بمجرد خروج العراق من الهيمنه الأجنبيه قيام الحكم الإسلامى. وأما الحكم الوطنى فهو حكم مجهول وغريب، مع أنّ هذا الحكم كانت له قواعد فى الأوساط السياسيه المتصديه خصوصاً السنيه بتأثير تيار جمعيه الاتحاد والترقى التركيه والنشاط السياسى للاستعمار والأجانب.

الثالثة: إنّ الحوزه العلميه كانت منقسمه على نفسها فى موقفها من ثوره العشرين بين واجب الخروج عن سلطه الأجانب الذى كان يتولاه الشيخ الشيرازى وبين الإحساس بوجود الانحراف السياسى فيما يسمى بدعاه الوطنيه والذى كان يقوده السيد اليزدى، وكانت العشائر العراقيه متأثره بهذا الانقسام أيضاً، ولم تكن العمليه واضحه.

وهذه الحقائق وغيرها تعنى أنّ المرجعيه كانت فاعله فى عمليه التحرير الوطنيه ولكنها لم تكن منظمه ولا واعيّه لكل أبعاد العمليه السياسيه، وكان الوطنيون يقومون بدور نفاقى ويحاولون أن يستفيدوا من قوه المرجعيه ونفوذها من جانب ويتعاملون مع السلطات الإنجليزيه ويحاورونها وصولاً إلى أهدافهم الخاصه من جانبٍ آخر.

والحديث فى هذا الموضوع يحتاج إلى دقّه فى التحليل ومتابعه للمعلومات ومقارنه بينها، لا تسعه هذه الفرصه من الحديث.

وتوجد إشارات لذلك فى مقالنا حول حركه الإصلاح والحوزه العلميه، وفى تحليل مختصر عام لموقف العلماء من ثوره العشرين، لم ينشر.

سددكم الله وبارك فى جهودكم، والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

١٠/ جمادى الأولى ١٤١٨هـ -

محمد باقر الحكيم

ص: ٩١٥

إشاره

أولاً: - القرآن الكريم.

ثانياً: أ - الرسائل الجامعيه.

ب - الكتب العربيه والمترجمه إلى العربيه.

ج - المقالات الفكرية المنشوره في الكتب والصحف

و الدوريات العربيه.

د - أرشيف الجرائد والمجلات العراقيه.

هـ - المراسلات و المقابلات الشخصيه.

و - الوثائق.

ز - الكتب الأجنبيه.

ثانياً: أ - الرسائل الجامعيه

١- الأدهمي، د. محمد مظفر: المجلس التأسيسي العراقي، دراسه وثائقيه في التاريخ السياسي الحديث لمقدمات وانتخابات ومناقشات أول مؤسسه تشريعيه في العراق. جزآن، وزاره الثقافه والإعلام، دار الشؤون الثقافيه العامه، ط ٢، بغداد

ص: ٩١٧

١٩٨٩م. (الكتاب بالأصل رساله ماجستير مقدمه إلى قسم التاريخ فى كلية الآداب بجامعة بغداد).

٢- الأنصارى، د. فاضل: مشكله السكان، نموذج القطر العراقى، منشورات وزاره الثقافه والإرشاد القومى دمشق ١٩٨٠م. (بالأصل رساله دكتوراه مقدمه إلى معهد الاستشراق فى موسكو عام ١٩٧٨م).

٣- التميمى، د. خالد: محمد جعفر أبو التمن، دراسه فى الزعامه السياسيه العراقيه، الناشر دار الوراق للدراسات والنشر، مطبعه الإخاء - دمشق، الطبعه الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. بالأصل أطروحه دكتوراه قدمت إلى جامعه لندن عام ١٩٨٣م.

٤- الجابرى، محمد هليل: الحركه القوميه العربيه فى العراق بين ١٩٠٨-١٩١٤، رساله دكتوراه، جامعه بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ ١٩٨٠م.

٥- الجبورى، عبد الجبار حسن: الأحزاب والجمعيات السياسيه فى القطر العراقى ١٩٠٨-١٩٥٨، بغداد ١٩٧٧. (رساله ماجستير مقدمه إلى جامعه بغداد).

٦- جليل، جليلى: انتفاضه الأكراد فى سنه ١٨٨٠، أطروحه دكتوراه فى التاريخ، والمؤلف سوفيائى كردى، موسكو ١٩٦٦ باللغه العربيه.

٧- حلاق، حسان على: موقف الدوله العثمانيه من الحركه الصهيونيه ١٨٩٧-١٩٠٩، ط ٢ بيروت - المدار الجامعيه، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. (بالأصل رساله ماجستير فى الدراسات العربيه والإسلاميه، قدمت إلى جامعه بيروت العربيه ١٩٧٧م).

٨- الخطاب، رجاء حسنى: العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧، طبع بغداد ١٩٧٦. (رساله ماجستير قدمت إلى جامعه بغداد).

٩- الدراجى، عبد الرزاق: جعفر أبو التمن ودوره فى الحركه الوطنيه فى العراق ١٩٠٨-١٩٤٥، بغداد ١٩٧٨. (رساله ماجستير قدمت إلى جامعه بغداد)، ط ٢، دار

- ١٠- الرهيمى، عبد الحليم: تاريخ الحركة الإسلاميه فى العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخ ١٩٠٠-١٩٢٤، بيروت ط ١، ١٩٨٥م. (رساله ماجستير فى التاريخ قدمت إلى الجامعه اللبنانيه ببيروت).
- ١١- العمر، فاروق صالح: الأحزاب السياسيه فى العراق ١٩٢١-١٩٣٢، بغداد ١٩٧٨. منشورات مركز دراسات الخليج العربى (١٨)، (رساله ماجستير مقدمه إلى جامعته عين شمس فى القاهره عام ١٩٧٠).
- ١٢- فرج، لطفى جعفر: عبد المحسن السعدون ودوره فى تاريخ العراق السياسى المعاصر، بغداد ١٩٧٨، منشورات وزاره الثقافيه والفنون - الجمهوريه العراقيه - سلسله الأعلام والمشهورين (٥)، (رساله ماجستير قدمت إلى جامعته بغداد). ومطبوع أيضاً فى مطبعه الخلود ببغداد (غير مؤرخ) نشر وتوزيع مكتبه اليقظه العربيه. بإضافه بسيطه لإسم المؤلف هكذا، فرج عبد الله، د. لطفى جعفر.
- ١٣- الفياض، د. عبد الله: الثورة العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠، بغداد ١٩٦٣. (بالأصل رساله ماجستير قدمت إلى الجامعه الأمريكيه ببيروت عام ١٩٥٤). ط ٢ بغداد ١٩٧٥.
- ١٤- الكبيسى، باسل: حركة القوميين العرب، تعريب: نادره الخضيرى الكبيسى، الناشر: مؤسسه الأبحاث العربيه، ط ٤، ١٩٨٥ بيروت. (رساله دكتوراه قدمت إلى الجامعه الأمريكيه بواشنطن عام ١٩٧١).
- ١٥- النجار، د. جميل موسى: الإدارة العثمانيه فى ولايه بغداد، من عهد الوالى مدحت باشا إلى نهايه الحكم العثمانى، ١٨٦٩-١٩١٧. ط ١، القاهره ١٤١١هـ-، ١٩٩١م. (بالأصل رساله دكتوراه من جامعته القاهره ١٩٨٩).

١٦- النصيري، عبد الرزاق أحمد: نوري السعيد ودوره في السياسة العراقيه حتى عام ١٩٣٢، بغداد ط ٢، ١٩٨٨م، (بالأصل رساله ماجستير قدمت إلى جامعه بغداد عام ١٩٨٥).

١٧- نظمي، د. وميض جمال عمر: الجذور السياسيه والفكرية والاجتماعيه للحركه القوميه العربيه (الاستقلاليه) في العراق، مركز دراسات الوحده العربيه، سلسله أطروحات الدكتوراه (٥)، طبع بيروت ط ١، ١٩٨٤م. (رساله دكتوراه قدمت إلى جامعه درهام).

١٨- نعمه، د. كاظم: الملك فيصل الأول والإنكليز والاستقلال، الدار العربيه للموسوعات - بيروت ط ٢، ١٩٨٨. والكتاب بالأصل أطروحه دكتوراه في السياسه الدوليه من جامعه ويلز في المملكه المتحده عام ١٩٧٤.

١٩- النفيسي، عبد الله فهد: دور الشيعة في تطور العراق السياسى الحديث، ترجمه دار النهار، بيروت ١٩٧٣. (رساله دكتوراه قدمت إلى جامعه كمبردج عام ١٩٧٢).

ب- الكتب العربيه، والمترجمه إلى العربيه

٢٠- ابن هشام: السيره النبويه، ج ٣، طبع بيروت ١٩٨٥.

٢١- أحمد، حليم: موجز تاريخ العراق الحديث ١٩٢١-١٩٥٨، دار ابن خلدون - بيروت، تاريخ المقدمه حزيران ١٩٧٨.

٢٢- أرسكين، مسز ستورث: فيصل ملك العراق، مطبوعات المكتبه الأهليه في بيروت ربيع الأول ١٣٥٣هـ-، تموز سنه ١٩٣٤م، عرّبه عن الإنكليزيه عمر أبوالنصر.

٢٣- الأسد آبادي، السيد جمال الدين. وعبد، الشيخ محمد: العروه الوثقى والثوره التحريريّه الكبرى، طبع إيران.

٢٤- الأسدى، حسن: ثورة النجف ضد الإنكليز، بغداد ١٩٧٤.

٢٥- الإسطوانى، المجاهد عبد الغنى: العرب من وراء اللهب (مذكرات)، تقديم أحمد غسان سبانو، راجعه وعلّق عليه: أحمد راتب حموش ط ١، ١٤٠٧هـ-، ١٩٨٦م، مطبعة خالد بن الوليد دمشق.

٢٦- أسود، العميد عبد الرزاق محمد: المدخل إلى دراسه الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨١م - ١٤٠١هـ.

٢٧- الأصفى، محمد مهدي: تاريخ الفقه الشيعى، تقديم لكتاب اللمعه الدمشقيه للشهيد محمد بن جمال الدين مكى العاملى (الشهيد الأول)، والروضه البهيه فى شرح اللمعه الدمشقيه للشهيد السعيد زين الدين الجبى العاملى (الشهيد الثانى)، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٨- الألوسى، محمد: فى التسنن والتشيع، رؤيه إسلاميه معاصره، بيروت، دار المحججه البيضاء ١٩٢٢م.

٢٩- الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة، طبع بيروت ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٠- أمين، أحمد: فجر الإسلام، الناشر مؤسسسه الخانجى بمصر، تاريخ المقدمه ١٩٥٢ والطبعه العاشره سنه ١٩٦٩، دار الكتاب العربى - بيروت.

٣١- انطونيوس، جورج: يقظه العرب، ط ٤، بيروت ١٩٧٤. وط ٧ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢، ترجمه الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس.

٣٢- ايرلند، فيليب: العراق دراسه فى تطوره السياسى، ترجمه جعفر الخياط، بيروت ١٩٤٩م.

٣٣- البازركان، على: الوقائع الحقيقه فى الثوره العراقيه، بغداد ١٩٥٤.

- ٣٤- البجنوردى، السيد ميرزا حسن الموسوى: القواعد الفقهيّه، الجزء الأول طبع النجف ١٣٨٩هـ-، ١٩٦٩م، وهو سبعة أجزاء.
- ٣٥- بدر الدين، صلاح: الأكراد شعباً وقضيه، من سلسلة المكتبة التقدّميه الكرديه (١٥)، بيروت ط ١، دار الكاتب ١٩٨٧.
- ٣٦- بزّو، توفيق على: العرب والترک في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، دار الهنا للطباعه والنشر، القاهره ١٩٦٠.
- ٣٧- برو كلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلاميه، ترجمه: نسيه أمين فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، تموز ١٩٦٨.
- ٣٨- البزاز، عبد الرحمن: محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، محاضرات القيت على طلبه قسم الدراسات التاريخيه ١٩٥٣-١٩٥٤. دار مصر للطباعه ١٩٤٥ عن جامعه الدول العربيه - معهد الدراسات العربيه العالیه.
- ٣٩- بصرى، مير: أعلام السياسه في العراق الحديث، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٨٥.
- ٤٠- البصير، محمد مهدي: تاريخ القضيه العراقيه، جزآن، بغداد ١٩٢٤.
- ٤١- بطاطو، حنا: العراق، الطبقات الاجتماعيه والحركات الثوريه من العهد العثماني حتى قيام الجمهوريه، ترجمه: عفيف الرزاز، الكتاب الأول، بيروت مؤسسه الأبحاث العربيه ط ١، ١٩٩٠م.
- ٤٢- بطى، روفائيل: مقدمه ديوان عبد المحسن الكاظمي، القاهره ١٩٤٨م.
- ٤٣- البهى، د. محمد: الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، طبع القاهره - مكتبه وهبه ١٣٥٩هـ-، ١٩٧٥م، ط ٨.
- ٤٤- بل، مس غير ترود: فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمه جعفر

الخياط، ط ١، بيروت ١٩٦٧، ط ٢، بيروت ١٩٧١.

٤٥- بيل، مس: خلق الملوك (من رساله لأبيها) ترجمه عبد الكريم الناصري، جمع وتحقيق بثينه عبد الكريم الناصري، منشورات مكتبه النهضه، بغداد - بيروت، ط ١، أيلول ١٩٧٣.

٤٦- التكريتي، د. عبد الحميد كامل: الملك فيصل الأول ودوره في تأسيس الدوله العربيه الحديثه ١٩٢١-١٩٣٣. وزاره الثقافه الإعلام دار الشؤون الثقافيه العامه (آفاق عربيه) الطبعة الأولى بغداد، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٤٧- التلعفري، قحطان أحمد غبوش: ثوره تلعفر ١٩٢٠ والحركات الوطنيه الأخرى في منطقه الجزيره. ساعدت وزاره التربيه على نشره، مطبعه الأزهر - بغداد ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

٤٨- التميمي، د. خالد: محمد جعفر أبو التمن، دراسه في الزعامه السياسيه العراقيه، دار الوراق للدراسات والنشر، دمشق ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤٩- الجاردي، كامل: من أوراق كامل الجاردي جزآن، طبع بيروت دار الطليعه ط ١، ١٩٦٩-١٩٧١.

٥٠- الجعفري، محمد حمدي: نهايه قصر الرحاب، تفاصيل أحداث ليله ١٤ تموز وصبيحتها، ط ١، ١٩٨٩م. مطابع دار الشؤون الثقافيه في بغداد.

٥١- جليل، جليلي: نهضه الأكراد الثقافيه والقوميه في نهايه القرن التاسع عشر وبدايه القرن العشرين، نقله عن الروسيه بافي نازي دمولا ثور، كدر، رابطه كاوا للثقافه الكرديه، منشورات المكتبه التقدميه ٩، ط ١، بيروت ١٩٨٦.

٥٢- جميل، حسين: مقدمه كتاب الأحزاب السياسيه في العراق ١٩٢١-١٩٣٢ للدكتور فاروق العمر، طبع بغداد ١٩٧٨.

٥٣- الجندي، أنور: السلطان عبد الحميد والخلافه الإسلاميه، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، ط ١، بيروت ١٤٠٧هـ- دار ابن زيدون - بيروت، دار الكتب السلفيه - القايره.

٥٤- الجواهري، عماد أحمد: تاريخ مشكله الأرض في العراق ١٩١٤ - ١٩٣٢، طبع بغداد ١٩٧٨.

٥٥- الجواهري، الحاج محمد صالح: ضياء الصالحين، كتاب يحوى مجموعه من الأدعيه والزيارات، طبع النجف ط ١٢، ١٣٨٩هـ-

٥٦- حسن، د. محمد سلمان: التطور الاقصادى في العراق، ١٨٦٤-١٩٨٥، طبع صيدا ١٩٦٥.

٥٧- الحسنى، سليم: دور علماء الشيعة في مواجهه الاستعمار ١٩٠٠-١٩٢٠، الغدير للدراسات والنشر بيروت لبنان ١٤١٥هـ-، ١٩٩٥م.

٥٨- الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الصحافه العراقيه، ج ١، صيدا - لبنان ١٣٩١هـ-، ١٩٧١م، ط ٣.

٥٩- الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ العراق السياسى الحديث، ثلاثه أجزاء، طبع صيدا، ١٣٦٧هـ-، ١٩٤٨م، وط ٢ منقحه، صيدا، مطبعه العرفان ١٩٧٥م.

٦٠- الحسنى، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقيه، عشره أجزاء، صيدا، ١٩٦٥. طبع الجزء الأول في صيدا، ١٣٥٢هـ-، ١٩٣٣م.

٦١- الحسنى، عبد الرزاق: الثوره العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠، ط ٤ بيروت ١٩٧٨م.

٦٢- الحسنى، عبد الرزاق: العراق في دورى الاحتلال والانتداب، جزآن، صيدا ١٩٣٥م.

٦٣- حسين، د. فاضل: مقدمه الطبعة الأولى لكتاب (المجلس التأسيسي العراقي ج ١ للدكتور محمد مظفر الأدهمي)، ط ٢، بغداد ١٩٨٩.

٦٤- حسين، محمد توفيق: عندما يثور العراق - دراسه في تاريخ العراق الحديث، دار العلم للملايين بيروت، ط ١ كانون الثاني ١٩٥٩.

٦٥- الحكيم، محمد تقى: الأصول العامه للفقاه المقارن، مدخل إلى دراسه الفقه المقارن، طبع بيروت - دار الأندلس، ط ١٩٨٣، ٣.

٦٦- حلاق، حسان: دور اليهود والقوى الدوليه في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، ١٩٠٨-١٩٠٩، بيروت الدار الجامعيه. ط ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦٧- الحلبي، يوسف كركوش: تاريخ الحله، طبع النجف ١٩٦٥.

٦٨- حوراني، ألبرت: الفكر العربي في عصر النهضة، ترجم كريم عزقول، طبع بيروت ١٩٦٨.

٦٩- الخاقاني، علي: شعراء الغرى أو النجفيات، اثنا عشر جزءاً النجف ١٩٥٥م.

٧٠- الخاقاني، علي: فنون الشعر الشعبي - الحلقة الرابعه - بغداد ١٩٦٢.

٧١- الخالصى، الشيخ محمد (مذكرات): بطل الإسلام الإمام الشهيد محمد مهدي الخالصى، وثائق أحداث العراق، حركه الجهاد والثوره ١٩١٤-١٩٢٥م. عن مركز وثائق الإمام الخالصى، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧٢- الخالصى، الشيخ محمد: في سبيل الله (مذكرات) - مخطوطه ومحفوظه في مكتبه (مدرسه جامعه العلم) في الكاظميه - بغداد.

٧٣- خدوري، مجيد: أسباب الاحتلال البريطاني للعراق، بيروت ١٩٦٦.

٧٤- خدورى، مجيد: العراق الجمهورى، الدار المتحداه للنشر ط ١، ١٩٧٤. المؤلف رئيس معهد دراسات الشرق الأوسط فى جامعه جونز هربكتر - واشنطن.

٧٥- الخرسان، صلاح: التيارات السياسيه فى كردستان العراق، قراه فى ملفات الحركات والأحزاب الكرديه فى العراق. ١٩٤٦ - ٢٠٠١م. مؤسسه البلاغ، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٦- خزعل، حسين خلف (الشيخ): تاريخ الكويت السياسى، طبع بيروت ١٩٧١.

٧٧- الخوئى، السيد أبو القاسم: منهاج الصالحين، طبع بيروت - الطبعه العشرون - بلا تاريخ - الجزء الأول، العبادات، (الرساله العمليه).

٧٨- الدجيلى، كاظم: أحداث ثوره العشرين، بغداد ١٩٧٣.

٧٩- الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام التدمرى، طبع بيروت، دار الكاتب العربى، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.

٨٠- الرصافى، معروف: ديوان الرصافى، ط ٣، القاهره ١٩٤٧.

٨١- الريحانى، امين: فيصل الأول، مطبعه صادر - بيروت ١٩٤٣م، ط ٢ بيروت ١٩٥٨. دارالريحانى.

٨٢- الريحانى، أمين: ملوك العرب أو رحله فى البلاد العربيه، بيروت ١٩٥١، دار صادر، جزآن. مطبعه الريحانى.

٨٣- الزركلى، خير الدين: عامان فى عمان، طبع القاهره ١٩٢٥.

٨٤- الزعبي، د. محمد على: الماسونيه فى العراق، طبع ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - لم يذكر مكان الطبع - إلا أن أغلب الظن بيروت، لأن الدكتور على زيعور، أستاذ

الفلسفه فى الجامعه اللبنانيه يتحدث عن الكتاب والمؤلف على الغلاف الخلفى للكتاب.

٨٥- الزيدى، العقيد الركن أحمد: البناء المعنوى للقوات المسلحه العراقيه، دار الروضه بيروت ط ١، ١٩٩٠م، ١٤١١هـ-.

٨٦- زين، نورالدين: نشوء القوميه العرييه، بيروت ١٩٦٨م.

٨٧- السحمرانى، د. أسعد: التصوف منشؤه ومصطلحاته، طبع بيروت - دار النفائس ط ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٨٨- السراج، عدنان إبراهيم: الإمام محسن الحكيم ١٨٨٩-١٩٧٠م، طبع بيروت ط ١، ١٤١١هـ، ١٩٩٣م.

٨٩- سعيد، أمين: الثوره العرييه الكبرى - تاريخ مفصل جامع للقضيه العرييه فى ربع قرن، القايره ١٩٣٥ - ١٩٣٦م، جزآن.

٩٠- السعيد، نورى: مذكرات نورى السعيد عن الحركات العسكريه للجيش العراقى فى الحجاز وسوريا ١٩١٦ - ١٩١٨م، ألقاها

الفريق الركن نورى السعيد على طلاب كليه الأركان ببغداد فى مايس ١٩٤٧، بيروت الدار العرييه للموسوعات ط ٢، ١٩٨٧م.

٩١- سلامه، غسان: المجتمع والدوله فى المشرق العربى - عن مركز دراسات الوحده العرييه، ط ١، بيروت ١٩٨٧م. الفصل

الثالث (أزمه التمثيل الشعبى) ص ١١٧ ومابعدها.

٩٢- سليمان، حكمت سامى: نبط العراق - دراسه اقتصاديه سياسيه، دار الرشيد للنشر، دار الحريه للطباعه ١٤٠٠هـ، ١٩٧٩م

منشورات وزاره الثقافه والإعلام - الجمهوريه العراقيه، توزيع الدار الوطنيه ١٩٧٩م، سلسله دراسات، رقم (١٩٣).

٩٣- آل سميمس النجفى، الشيخ محمد حسن: سحر البيان وسمر الجنان، حققه

ص: ٩٢٧

وشرحه وترجم لأعلامه: حسام الدين آل سميسم، بيروت - لبنان دار البيان العربي ط ١، ١٤١٤هـ-، ١٩٩٣م.

٩٤- السويدي، توفيق: مذكراتي، نصف قرن من تاريخ العراق والقضيه العربيه، دار الكاتب العربي - بيروت ط ١، ١٩٦٩م.

٩٥- الشاهرودي، نور الدين: أسره المجدد الشيرازي، طبع قم ط ٣، ١٣٧١هـ-.

٩٦- الشاهرودي، نور الدين: تاريخ الحركة العلميه في كربلاء، بيروت ط ١، ١٩٩٠م.

٩٧- شبر، حسن: تاريخ العراق السياسى المعاصر، جزآن:

ج- ١ - العمل الحزبى فى العراق ١٩٠٨-١٩٥٨م، ط ١، دار التراث العربى - بيروت ١٩٨٩م.

ج- ٢ - التحرك الإسلامى فى العراق ١٩٠٠-١٩٥٧، ط ١، دار المنتدى للنشر بيروت ١٩٩٠م.

٩٨- الشيببى، محمد رضا: مقدمه كتاب الثوره العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠ للدكتور عبد الله فياض، طبع بغداد ١٩٦٣.

٩٩- شراره، عبد اللطيف: الرصافى دراسه تحليليه، من سلسله شعراؤنا ٢، طبع بيروت، دار صادر - غير مؤرخ.

١٠٠- شرف، د. محمد جلال: التصوف الإسلامى، مدارس ونظريات، طبع بيروت، دار العلوم العربيه، ط ١، ١٤١٠هـ-، ١٩٩٠م.

١٠١- شرف، د. محمد جلال: دراسات فى التصوف الإسلامى، شخصيات ومذاهب، طبع بيروت ١٩٨٤م.

- ١٠٢- الشرقى، على: الأحلام، طبع بغداد ١٩٦٣ ط ١، شركة الطبع والنشر الأهلية.
- ١٠٣- شمس الدين، الشيخ محمد مهدي: عاشوراء سنة ١٤٠٢هـ-، ١٩٨٢م، ط ١، الدار الإسلامية - بيروت.
- ١٠٤- شمس الدين، الشيخ محمد مهدي: عهد الأشر، بيروت مؤسسه الوفاء ط ١، ١٤٠٤هـ-، ١٩٨٤م.
- ١٠٥- الشهرستاني، السيد هبه الدين: الهيئة والإسلام، جزآن، بغداد ١٣٢٨هـ- - ١٩٠٩م.
- ١٠٦- شيركوه، د. د. بله ج: القضية الكردية - ماضي الكرد وحاضرهم، النشره الخامه، دار الكاتب - بيروت ط ١، ١٩٨٦م.
- ١٠٧- صالح، د. زكى: مجمل تاريخ العراق الدولى فى العهد العثمانى، محاضرات على طلبه قسم الدراسات التاريخيه والجغرافيه، معهد الدراسات العربيه العالیه، جامعه الدول العربيه، المطبعه الفنيه الحديثه، القاهره ١٩٦٦م.
- ١٠٨- صالح، زكى: مقدمه فى دراسه العراق المعاصر، طبع بغداد ١٩٥٣م.
- ١٠٩- صايغ، دكتور أنيس: فى مفهوم الزعامه السياسيه من فيصل الأول إلى جمال عبد الناصر، بيروت ١٩٦٥م.
- ١١٠- صفوه، نجاهه فتحى: العراق فى مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، منشورات المكتبه العصريه، صيدا - بيروت ط ١، ١٩٦٩م.
- ١١١- آل ضياء الدين، السيد ضياء: المرجعيه العامله، دراسه تحليليه لحياه المرجع الدينى الأعلى آيه الله العظمى السيد أبو الحسن الموسوى الاصفهانى كتاب مخطوط - نسخه كامله محفوظه فى مكتبه الحوزه العلميه الزينيه بدمشق.

١١٢- الطائي، نجاح عطا: الفكر القومي إسلامياً وتاريخياً، طبع طهران ١٤٠٦هـ-، ١٩٨٦م. الناشر: معاونيه العلاقات الدوليه في منظمه الإعلام الإسلامى - الجمهوريه الإسلاميه في إيران.

١١٣- الطاهر، عبد الجليل: العشائر العراقيه، بغداد ١٩٧٢م.

١١٤- الطبرسى، الشيخ أبو على الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات دار مكتبه الحياه - بيروت - سسته مجلدات - بلاتاريخ.

١١٥- الطريحي، الرئيس الأول الركن محمد حسن: مذكرات ضابط عراقي تحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي، مجله الموسم، العدد الرابع عشر ١٩٩٣م، ١٤١٣هـ-، ص ١٥٩-٢١٣، وللمنثور في هذا العدد تتمه في العدد القادم. نقلاً عن المخطوطه الفريده المحفوظه في مكتبه جامعه ليدن - هولندا تحت رقم ٩٤٧ و٢٢.

١١٦- الطعمه، سلمان هادي: تراث كربلاء - بيروت ط ٢، ١٤٠٣هـ-، ١٩٨٣م.

١١٧- الطعمه، سلمان هادي: كربلاء في الذاكره، بغداد ١٩٨٨م.

١١٨- العاملى، السيد محسن الأمين: لواعج الاشجان في مقتل الحسين عليه السلام، طبع لبنان - صيدا، مطبعه العرفان ١٣٣١هـ-.

١١٩- العاملى، السيد محسن الأمين: المجالس السنيه في مناقب ومصائب العتره النبويه، المجلد الأول. من منشورات الشريف الرضى - قم ١٤٠٦هـ- الطبعه الخامسه ١٣٩٤هـ-، ١٩٧٤م.

١٢٠- طوران، مصطفى: أسرار الانقلاب العثماني، ترجمه: كمال خوجه ط ٢، ١٣٩٨هـ-، ١٩٧٨م دار السلام - بيروت.

١٢١- عبد الحميد الثانى، السلطان: مذكراتى السياسيه ١٨٩١-١٩٠٨م،

١٢٢- عجمي، الدكتور فؤاد: الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان، طبع بيروت، دار الأندلس الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٢٣- عزالدين، يوسف: تطور الفكر الحديث في العراق، دار المناهل للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٦.

١٢٤- العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، ثمانية أجزاء، بغداد، مطبعة بغداد الحديثه ١٩٣٥-١٩٥٦م.

١٢٥- العزاوي، المحامي عباس: عشائر العراق، بغداد ١٩٣٧م، ١٣٥٦هـ- أربعة أجزاء. ٣، أهل الأرياف، شركة التجاره والطباعه المحدوده بغداد ١٩٥٥م.

١٢٦- العشماوي، محمد سعيد: روح العدالة، طبع بيروت ط ٣، ١٤٠٦هـ-، ١٩٨٦م.

١٢٧- العلوجي، عبد الحميد، والحجيه، عزيز جاسم: الشيخ ضاري قاتل الكولونيل لجمن في خان النقطه، بغداد ١٩٦٨م. مطبعه أسعد.

١٢٨- العلوي، حسن: التأثيرات التركيه في المشروع القومي العربي في العراق. دار الزوراء - لندن ١٩٨٨م.

١٢٩- العلوي، حسن: الشيعة والدوله القوميه في العراق، باريس ١٩٨٩م.

١٣٠- عماره، دكتور محمد: الأعمال الكامله لجمال الدين الأفغاني، القاهره - دار الكتاب العربي للطباعه والنشر ١٩٦٨م.

١٣١- عماره، دكتور محمد: الأعمال الكامله لعبد الرحمن الكواكبي، ط ٢، بيروت - المؤسسه العربيه للدراسات والنشر ١٩٧٥م.

١٣٢- العمر، فاروق صالح: حول السياسه البريطانيه (دراسه وثائقيه) ١٩١٤-١٩٢١، طبع بغداد ١٩٧٧.

١٣٣- العمرى، خيرى أمين: حكايات سياسيه من تاريخ العراق الحديث، طبع بغداد ط ١، (بلا تاريخ)، من منشورات مكتبه آفاق عربيه. أما طبعه القاهره - دار الهلال فهى بتاريخ ١٩٦٩م.

١٣٤- العمرى، خيرى أمين: شخصيات عراقيه، ج ١، مطبعه دار المعرفه، بغداد ١٩٥٥م.

١٣٥- العمرى الموصلى، محمد طاهر: تاريخ مقدرات العراق السياسيه، ثلاثه أجزاء، بغداد ١٩٢٤-١٩٢٥. المطبعه العصريه.

١٣٦- عواد، عبد الحسين مهدى: الشيخ على الشرقى حياته وأدبه، دار الرشيد للنشر ١٩٨١، منشورات وزاره الثقافه والأعلام - الجمهوريه العراقيه، سلسله الأعلام والمشهورين (١٦) دار الحريه للطباعه بغداد. ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.

١٣٧- الغريفى، السيد عبد الله: التشيع - نشوؤه - مراحل - مقوماته، بيروت ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٣٨- الغلامى، عبد المنعم: أسرار الكفاح الوطنى فى الموصل ١٩٠٨-١٩٢٥م، ج ١، أشرف على طبعه مؤيد الغلامى مطبعه شفيق بغداد ١٩٥٨م.

١٣٩- غنيمه، يوسف: تجاره العراق قديماً وحديثاً، بغداد ١٩٥٢م.

١٤٠- فراتى (جعفر الخليلى): على هامش الثورة العراقيه الكبرى، بغداد ١٩٥٢ شركة النشر والطباعه العراقيه.

١٤١- آل فرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعه فى الثورة العراقيه سنه ١٩٢٠ وتنازجها. جزآن، مطبعه النجاح، بغداد ١٩٥٢م.

- ١٤٢- فريد، محمد: تاريخ الدوله العليه العثمانيه، القايره ١٨٩٣م، ١٣١١هـ- ودار الجيل - بيروت ١٩٧٧م.
- ١٤٣- فضل الله، السيد محمد حسين: مقدمه كتاب (تاريخ العراق السياسى المعاصر)، للسيد حسن شبر ج ٢، طبع بيروت ١٩٩٠م.
- ١٤٤- فوستر، هنرى: نشأه العراق الحديث، ترجمه وتعليق سليم طه التكريتى، ج ١، ج ٢، الطبعة الأولى بغداد ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- ١٤٥- فياض، عبد الله: مشكله الأراضى فى لواء المنتفك، بغداد ١٩٥٦م.
- ١٤٦- فيضى، سليمان: فى غمره النضال (مذكرات)، بغداد ١٩٥٢م.
- ١٤٧- فيلبى، جون: أيام فيلبى فى العراق، ترجمه جعفر الخياط، بيروت ١٩٥٠م.
- ١٤٨- قزانجى، فؤاد: العراق فى الوثائق البريطانيه ١٩٠٥-١٩٣٠م تقديم ومراجعه عبد الرزاق الحسنى، دار المأمون للترجمه والنشر بغداد ١٩٨٩م. طبع دار الحريره بغداد ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.
- ١٤٩- القصاب، عبد العزيز: من ذكرياتى، بيروت ١٩٦٢م.
- ١٥٠- الكاتب، أحمد: تجربه الثوره الإسلاميه فى العراق منذ ١٩٢٠م حتى ١٩٨٠م طبع طهران - دار القبس - ١٩٨١م، ١٤٠٢هـ-.
- ١٥١- كبه، محمد مهدى: مذكراتى فى صميم الأحداث، بيروت ١٩٦٥م.
- ١٥٢- آل كاشف الغطاء، محمد حسين: أصل الشيعة وأصولها، ط ٤، بيروت ١٩٨٢م.
- ١٥٣- آل كاشف الغطاء، محمد حسين: الدين والإسلام أو الدعوه الإسلاميه، بيروت - دار المعرفه - غير مؤرخ-.

١٥٤- آل كاشف الغطاء، الإمام الأكبر محمد حسين: فى السياسه والحكمه، دار التوجيه الإسلامى - بلا تاريخ-، ومقدمه الكتاب بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٧٥م، ٣ ربيع الثانى ١٣٩٥هـ.

١٥٥- الكاظمى، عباس على: زعيم الثورة العراقيه، صفحات من حياه السيد محمد الصدر، بغداد ١٩٥٠م.

١٥٦- الكاظمى، عبد المحسن: ديوان الكاظمى، ج ١، طبع دمشق، مطبعه ابن زيدون - بلا تاريخ - ج ٢ طبع القايره ١٩٤٨م.

١٥٧- الكرباسى، موسى: موسوعه الشيخ على الشرقى الثريه، الألواح التاريخيه، القسم الأول مطبعه العمال المركزيه بغداد - ١٩٨٨م.

١٥٨- الكرباسى، موسى: موسوعه الشيخ على الشرقى الثريه، النوادى العراقيه القسم الثانى. وبيت الأمه وطبقاتها القسم الثالث، مطبعه العمال المركزيه بغداد ١٩٨٩م.

١٥٩- كمال الدين، محمد على: التطور الفكرى فى العراق، بغداد ١٩٦٠م.

١٦٠- كمال الدين، محمد على: ثوره العشرين فى ذكراها الخمسين - معلومات ومشاهدات فى الثورة العراقيه الكبرى سنه ١٩٢٠م، بغداد ١٩٧٥.

١٦١- كنه، خليل: العراق أمسه وغده، ط ١، بيروت ١٩٦٦م.

١٦٢- كوتولوف، ل.ن: حركه التحرر الوطنى فى المشرق العربى (منتصف القرن التاسع عشر - ١٩٠٨) ترجمه: سعيد أحمد، دمشق ١٩٨١م.

١٦٣- كوتولوف، ل.ن: ثوره العشرين التحرريه الوطنيه فى العراق، ترجمه: د. عبد الواحد كرم، بغداد ١٩٧١. سلسله الكتب المترجمه ٨ وزاره الإعلام - مديريه الثقافه العامه، ط ٢، بيروت ١٩٧٥م.

ص: ٩٣٤

- ١٦٤- كوثرانى، د. وجه: الاتجاهات الاجتماعيه - السياسيه فى جبل عامل والمشرق العربى ١٨٦٠-١٩٢٠، ط ١ بيروت ١٩٧٦م.
- ١٦٥- كوكس، بيرسى: تكوين الحكم الوطنى فى العراق، ترجمه: بشير فرجو، الموصل ١٩٥١م.
- ١٦٦- الكيالى، د. عبد الوهاب: موسوعه السياسه، ط ١، ١٩٨٧ - بيروت، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، سته أجزاء.
- ١٦٧- لوتسكى، ف. أ.: تاريخ الأقطار العربيه الحديث، ترجمه الدكتور عفيفه البستاني، دار التقدم، موسكو ١٩٧١م.
- ١٦٨- لونكريك، ستيفن همسلفى: أربعة قرون من تاريخ العراق، ترجمه: جعفر الخياط، بيروت ط ١، ١٩٤١م باللغه العربيه. أما باللغه الإنجليزيه فقد طبع الكتاب عام ١٩٢٥م، وطبع الكتاب طبعه رابعه فى مدينه قم بتاريخ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، (والجدير بالذكر أن المؤلف رجل بريطانى عسكري، اشترك مع الجيش البريطانى فى الحرب العالميه الثانيه برتبه آمر لواء، وهو المفتش الإدارى فى الحكومه العراقيه سابقاً).
- ١٦٩- مالك، محمد جواد: العقائد الإسلاميه، دراسه منهجيه فى أصول الدين طبع بيروت - مؤسسه البلاغ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٧٠- مالك، محمد جواد: الحوزات والجامعات، تقويم ومقارنه، بيروت - مؤسسه البلاغ، ط، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٧١- آل محبوبه، جعفر الشيخ باقر: ماضى النجف وحاضرها، جزآن. طبع صيدا ١٣٥٦هـ - ط ٢ بيروت ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- ١٧٢- المحلاتى، ذبيح الله: مآثر الكبراء فى تاريخ سامراء، جزآن، النجف ١٣٦٨هـ -.

١٧٣- محمد كاظم، عباس: ثوره الخامس عشر من شعبان - ثوره العشرين - الثوره الإسلاميه الأولى في العراق. سلسله نحو حضاره إسلاميه ١٨، ط ١، ١٤٠٤هـ-، ١٩٨٤م، مكان إصدار السلسله في لندن.

١٧٤- المخزومي، محمد باشا: خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى، بيروت: دار الحقيقه ط ١، ١٩٣١م، ١٣٤٩هـ. ط ٢، ١٩٨٠م، ١٤١٠هـ.

١٧٥- مراد، محمد عدنان: بريطانيا والعرب - تاريخ الاستعمار البريطانى فى الوطن العربى - عميد ركن ماجستير فى العلوم العسكريه، دار طلاس، دمشق ط ١، ١٩٨٩م.

١٧٦- مشتاق، طالب: أوراق أيامى، بغداد والعراق والوطن العربى ج ١، ١٩٠٠-١٩٥٨، الطبعة الأولى - دار الطليعه بيروت ١٩٦٨م. ط ٢، الدار العربيه للطباعه بغداد ١٩٨٩، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، أشرف على تحرير الطبعة الثانيه وأعدّها للنشر ولده حازم طالب مشتاق أستاذ الفلسفه اليونانيه القديمه - كليه الآداب - جامعه بغداد.

١٧٧- مشكور، الدكتور محمد جواد: موسوعه الفرق الإسلاميه، تعريب: على هاشم: مجمع البحوث الإسلاميه للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ-، ١٩٩٥م.

١٧٨- المطهرى، مرتضى: الحركات الإسلاميه فى القرن الأخير، ترجمه صادق العبادى، بيروت دار الهادى ط ١، ١٤٠٢هـ-، ١٩٨٢م.

١٧٩- المظفر، الشيخ محمد حسين: تاريخ الشيعه، ط ٢، بيروت ١٩٨٢م.

١٨٠- معلوف، لويس: المنجد فى اللغه والأعلام - دار المشرق - بيروت، القسم الثانى فى الأعلام، ط ١٢، ١٩٨٢م.

١٨١- مغنيه، محمد جواد: الشيعة فى الميزان، طبع بيروت - دار التعارف الطبعه الرابعه، ١٣٩٩هـ-، ١٩٧٩م.

١٨٢- مغنيه، محمد جواد: الشيعة والحاكمون، طبع بيروت - ط ٥، ١٩٨١م.

١٨٣- المفتى، حازم: العراق بين عهدين، ياسين الهاشمى وبكر صدقى، طبع بغداد تاريخ تقديم الكتاب بقلم: الدكتور عماد عبد السلام رؤف، ١٩٨٩/٧/١٤م.

١٨٤- مكارىوس، شاهين: فضائل الماسونيه، طبع القاهره ١٨٩٩م.

١٨٥- منتشاشفيلى، ألبرت. م: العراق فى سنوات الانتداب البريطانى. ترجمه الدكتور هاشم صالح التكريتى، مطبعه جامعه بغداد ١٩٧٨. (المؤلف مستشرق سوفياتى معاصر، وأسمه الكامل هو: البرت ميخايموفتش منتشاشفيلى).

١٨٦- المؤتمر العربى الأول: اللجنه العليا لحزب اللامركزيه بمصر، القاهره ١٣٣١هـ-، ١٩١٣م.

١٨٧- مؤسسسه الجهاد: الحركه الإسلاميه فى العراق، دراسه موضوعيه عن الماضى والحاضر والمستقبل، بيروت - لبنان ط ١، ١٤٠٥هـ-، ١٩٨٥م.

١٨٨- موسى، سليمان: الحركه العربيه - المرحله الأولى للنهضه العربيه ١٩٠٨ - ١٩٢٤ بيروت ١٩٧٧م.

١٨٩- الموسوى، محسن: آفاق المستقبل فى العالم الإسلامى - بيروت دار المنهل ط ٢، ١٩٨٧م، ١٤٠٧هـ-.

١٩٠- الميلاد، زكى: خطاب الوحده الإسلاميه - مساهمات الفكر الإصلاحى الشيعى، دار الصفوه بيروت - لبنان ط ١، ١٤١٧هـ-، ١٩٩٦م.

١٩١- مينور سكى، ف. ف: الأكراد ملاحظات وانطباعات، الأكراد أحفاد

ص: ٩٣٧

الميديين، ترجمه الدكتور معروف خزنه دار، المكتبه التقديميه الكرديه (١٤)، طبع دار الكاتب - بيروت ط ١، ١٩٨٧م.

١٩٢- النائيني، المحقق النائيني: تنبيه الأمة وتنزيه المله، تعريب: عبد الحسن آل نجف، تحقيق عبد الكريم آل نجف، مؤسسه أحسن الحديث، قم ط ١، ١٤١٩هـ-.

١٩٣- النجار، مصطفى عبد القادر: التاريخ السياسى لإماره عربستان العرييه، ١٨٩٧-١٩٢٥، القايره ١٩٧١م.

١٩٤- الندوى، أبو الحسن: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الكاتب العربى - بيروت ط ٧، ١٤٠٢هـ-، ١٩٨٢م.

١٩٥- نديم، العميد الركن شكرى محمود: حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨ دراسه علميه، مطبعه العاني بغداد ١٩٧٤ الطبعه الثامنه.

١٩٦- نقاش، اسحق: شيعه العراق، ترجمه عبد الإله النعيمى، منشورات دار المدى، رقم ٨ دمشق، الطبعه العرييه الأولى ١٩٩٦م.

١٩٧- نوار، د. عبد العزيز سليمان: تاريخ العراق الحديث - من نهايه حكم داود باشا إلى نهايه حكم مدحت باشا - القايره ١٩٦٨م، ١٣٨٧هـ- إصدار وزاره الثقافيه - مصر، الناشر دار الكاتب العربى للطباعه والنشر بالقاهره.

١٩٨- الهلالى، عبد الرزاق: تاريخ التعليم فى العراق فى العهد العثمانى، بغداد ١٩٥٩م.

١٩٩- الهلالى، عبد الرزاق: معجم العراق، سجل تاريخى سياسى اقتصادى اجتماعى ثقافى - يبحث بايجاز دقيق عن مختلف نواحى الحياه العامه فى العراق منذ العهد العثمانى حتى اليوم، الجزء الثانى طبع دار الكشاف ١٣٧٦هـ-، ١٩٥٦م.

٢٠٠- هيئه مدرسه الخالصى: زعيم الإسلام الخالد المجتهد الأكبر الإمام

٢٠١- الوردى، د. على: لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث، ستة أجزاء فى سبعة كتب، بغداد، مطبعة الإرشاد ١٩٦٩-١٩٧٦م.

٢٠٢- الوائلى، إبراهيم: الشعر العراقى وحرب طرابلس، بغداد ١٩٦٤م.

٢٠٣- الوهاب، عبد الرزاق: كربلاء فى التاريخ، بغداد ١٩٣٥م.

٢٠٤- الياسرى، عبد الشهيد: البطولة فى ثوره العشرين، النجف ١٩٦٦م.

٢٠٥- آل ياسين، محمد حسن: تاريخ الصحافه فى الكاظميه - بغداد ١٩٦٩م. لجنه بحوث العيد المئوى للصحافه العراقيه (١٨٦٩-١٩٦٩م).

ج- المقالات الفكرية المنشوره فى الكتب والصحف و الدوريات العربيه

٢٠٦- الشابندر، غالب: التحولات الفكرية والسياسيه فى العراق خلال القرنين الأخيرين، مجله (الفكر الجديد)، السنه الأولى، العدد الأول كانون الثانى ١٩٩٢م، رجب ١٤١٢هـ. تصدر عن دار الحكمة - لندن.

٢٠٧- الشيببى، محمد رضا: ثوره النجف، مجله (الثقافه الجديده) العدد الخامس الصادر فى تموز ١٩٦٩م.

٢٠٨- الشيببى، محمد رضا: (فقدنا الكبير)، (الأيام) البغداديه العدد ١٢٤، ١٠ ربيع الثانى ١٣٨٢هـ، ١٠ أيلول ١٩٦٢م.

٢٠٩- الشرقى، الشيخ على: النوادى العراقيه، فى جريده (النهضه العراقيه) السنه الأولى العدد ٢٥، بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٩٢٧، ٨ ربيع الثانى ١٣٤٦هـ.

٢١٠- ضياء الدين، خالد: العراق من الانتداب حتى الاستقلال الرسمى مجله (البصائر) العدد ٣ السنه الثانيه ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢١١- الطريحي، محمد سعيد: المرجعيه الشيعيه وقضايا العالم الإسلامى، الغزو الإيطالى للقطر الليبى وحرب طرابلس سنه ١٩١١م. وفتوى المرجعيه فى النجف الأشرف بإعلان الجهاد المقدس ضد الغزو الإيطالى لطرابلس الغرب سنه ١٩١١م. مجله (الموسم) الفصلية التراثيه، العدد السادس المجلد الثانى. ١٩٩٠م، ١٤١٠هـ. ص ٣٧٧-٣٨٢. ويستمر هذا الملف فى المجله إلى ص ٤٢٥.

٢١٢- العطييه، د. غسان: التنظيم الحزبى فى العراق قبل الحرب العالميه الأولى، مجله (دراسات عربيه) العدد ١٢، السنه الثامنه، بيروت ١٩٧٢م.

٢١٣- عماره، د. محمد: القوميه العربيه والإسلام، بحوث ومناقشات الندوه الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحده العربيه، الفصل الرابع، طبع ١ بيروت ١٩٨١م.

٢١٤- فتى الثوره من كربلاء: افتراءات (المس بيل) على التاريخ مجله الموسم، العدد الرابع عشر ١٩٩٣م، ١٤١٣هـ، ص ١٢١-١٢٧. نقلًا عن مجله العرفان الصيداويه، المجلد ٢٤، سنه ١٩٣٣م - وهذا العدد خاص بشيعه العراق.

٢١٥- الكوثرانى، د. وجيه: العصر العثمانى، المجتمع والسلطه والعالم. فى فتره حياه بهاء الدين العاملى ٩٥٣-١٠٣١هـ، ١٥٤٧-١٦٢٢م. مجله الثقافه الإسلاميه العدد الخامس ١٤٠٦هـ- عدد خاص بالشيخ البهائى، المجله تصدرها المستشاريه الثقافيه للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه بدمشق.

٢١٦- مركز كربلاء للبحوث والدراسات فى لندن، دراسات حول كربلاء ودورها الحضارى، وقائع الندوه العلميه التى عقدت فى لندن بتاريخ ٣٠-٣١/٣/١٩٩٦م، الموافق ١٠-١١ ذى القعدة ١٤١٦هـ. ط ١، مؤسسه الزهراء الخيره - الكويت.

٢١٧- النائينى، الشيخ محمد حسين: تنبيه الأمة وتنزيه المله، تعريب: صالح الجعفرى،

تقديم ومراجعته محمد سعيد الطريحي، مجله (الموسم) التراثيه الفصليه تحت عنوان (كتاب الموسم) العدد الخامس، المجلد الثاني، ١٩٩٠م، ١٤١٠هـ، بيروت، ص ٣٦-١٤٢.

٢١٨- نظمي، وميض جمال: شيعه العراق وقضيه القوميه العربيه - الدور التاريخي قبل الاستقلال، الفصل السابع من كتاب (دراسات في القوميه العربيه والوحده) إصدار مركز دراسات الوحده العربيه، سلسله كتب المستقبل العربي (٥)، طبع بيروت ط ١، ١٩٨٤، ط ٢، ١٩٩٢م.

٢١٩- الوردى، الدكتور على: تمهيد تاريخي، المشروطيه الإيرانيه وأثرها في العراق مجله (الموسم) التراثيه الفصليه، العدد الخامس، المجلد، ١٩٩٠م، ١٤١٠هـ، بيروت ص ٥٠-٧٠.

د- أرشيف الجرائد والمجلات العراقيه

١- جريده (الاستقلال)، بغداد ١٩٢٠، ١٩٢١، ١٩٢٢، ١٩٢٤.

٢- جريده (الأوقات البغداديه) سنه ١٩٢٤.

٣- مجله (الثقافه الجديده) عدد خاص في تموز ١٩٦٩.

٤- جريده (الرقيب) البغداديه، السنه الأولى ١٣٢٧هـ- ١٩٠٩م، العدد ٧، ١١، ٥٦.

٥- مجله (رساله الشرق) الكربلايه، ١٩٢٠.

٦- جريده (العالم العربي) بغداد ١٩٢٠، ١٩٢٤، ١٩٢٨، ١٩٣٠.

٧- جريده (العراق) بغداد ١٩٢٠، ١٩٢١، ١٩٢٢، ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٨.

٨- مجله (العلم) النجفيه ١٩١٠-١٩١١م، للسيد هبه الدين الشهرستاني، العدد الأول ربيع الأول ١٣٢٨هـ-، ٢٩ مارس ١٩١٠م.

ص: ٩٤١

٩- جريده (الفرات) بغداد ١٩٢٠.

١٠- جريده (الفرات) النجف ١٩٢٠.

١١- (الوقائع العراقيه) الجريده الرسميه سنه ١٩٣٠م.

ه - - المراسلات والمقابلات الشخصيه

١- الحكيم، السيد محمد باقر، نجل المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم، رئيس المجلس الأعلى للثوره الإسلاميه فى العراق. من طهران - رساله جوابيه-.

٢- الخالصي، الشيخ جواد، حفيد الإمام الخالصي بدمشق - رساله جوابيه-.

٣- حديث مع سماحه العلامة السيد عبد المنعم الحكيم فى دمشق.

و- الوثائق

١- الحكومه العراقيه، وزاره الداخليه، مجموعته مذاكرات المجلس التأسيسي العراقى لسنة ١٩٢٤م (وثائق الحكومه العراقيه)، جزآن، بغداد ١٩٢٤م، ١٣٤٣هـ-.

٢- دائره الاستخبارات البريطانيه - تقرير سرى عن العشائر والسياسه، ترجمه: عبد الجليل الطاهر، بغداد ١٩٥٨م.

٣- العراق فى الوثائق البريطانيه، ترجمه: فؤاد قزانجى، بغداد ط ١، ١٩٨٩م.

٤- المركز الوطنى لحفظ الوثائق المستعمله فى بغداد، ملفات البلاط الملكى، ملفه المعاهده العراقيه الإنكليزيه رقم ج/٩، ١٩٢٤-١٩٢٥. وملفات وزاره الداخليه (حول الانتخابات فى المناطق)، ملفه الانتخابات فى الحله رقم G/٤/١/D، تسلسل ١٤٢، وفى كربلاء رقم K/٤/١/D، تسلسل ١٢٢، وفى الموصل رقم B/٤/١/D، تسلسل ١٥٦، وفى المتفك رقم J/٤/١/D، تسلسل ١٨٣. وملفه مفاوضات ومقررات مجلس الوزراء ١٩٢١-١٩٢٨.

ص: ٩٤٢

1-Administration Report of the Baghdad Wilayat, 1917,p. 12-1.

2-Batatu.Hannd: The old social classes and the revolutionary movement of Iraq. Newjericy, 1978.

3-Bell. Lady florence: The letters of Gertude Bell, 2 vols (London) 1974.

4-Birae: JK. Aguide to Turkish Area Study. Washington, 1949.

5-التقارير البريطانيه المرفوعه إلى عصبه الأمم، صورته عنها في المكتبه المركزيه ببغداد (شعبه الأمم المتحده).

6-British Colonial office. Report on Iraq Administration, April. 1922-March 1923, (London-1924).

7-British Colonial office. Report by his Britannie majestys Govermenton the Administration. of Iraq, for the perod, April 1923, December, 1924 (London-1925).

8-(Haldan, A.L: The Insurrection in Mesopotamia 1920 (Eclinburgh, 1922).

9-Ireland, W.Iraq. London, 1937.

10-(Longrigg, S.H: Iraq, 1900 to 1950. Apolitical social and Econmic History (London, 1953).

11-Mann: Administrator in the Making London-1921.

12-Thomas Lyell. (The Ins and outs of Mesopotamia) London 1923.

13-Wilson. A.T: Mesapotamia 1917-1920- Aclash of loyalties, Apersonal of Historical-record. Vol.2 (London, 1937).

أما الكتب باللغه الفارسيه المطبوعه في إيران فقد اقتبست ترجمتها من:

شبر، حسن: تاريخ العراق السياسي المعاصر، ج 2، التحرك الإسلامي 1900م - 1957م. طبع دار المتندى بيروت ط 1، 1990م.

وأهمها:

دروني، علي: نهضت روحانيون إيران.

الطهرانی، آغا بزرك: ميرزای شیرازی.

كفائي، عبد الحسين مجيد: مرگی در نور.. زندگانی آخوندخراسانی.

ملك زاده، د. مهدي: تاريخ انقلاب مشروطيت ایران.

ص: ۹۴۳

المحتويات

الإهداء ... ٥

شكر وتقدير ... ٦

تقديم بقلم: الأستاذ الدكتور محمد حسين الصغير ... ٧

مقدمه اللجنه العلميه ... ١١

مقدمه المؤلف ... ١١

محتويات الكتاب ... ١٧

أهداف الكتاب ... ١٩

مصادر ومراجع الكتاب ... ٢٢

ص: ٩٤٥

الإسلاميون في مواجهه السياسه العثمانيه أواخر عهدھا ١٩٠٨-١٩١٤م

صراع من أجل الإصلاح

الفصل الأول: العراق في ظل الدوله العثمانيه ... ٣٥

١. لمححه تمهيديه عامه عن العراق ... ٣٧

سكان العراق ... ٤٤

جدول رقم (١) ... ٤٥

جدول رقم (٢) ... ٥٠

جدول رقم (٣) ... ٥١

٢. تطور السياسيه العثمانيه - داخلياً وخارجياً - (نظره عامه) ... ٥٣

٣. أوضاع العراق في نهايات العهد العثماني ... ٦٣

أ. نظره تاريخيه عامه ... ٦٣

تعديلات الإداره الداخليه ... ٦٦

مجمل الحياه الاقصاديه ... ٦٨

ب. أوضاع العراق من الناحيه الاجتماعيه والثقافيه و التوزيع الجغرافي ... ٧٠

جدول رقم (٤) ... ٧٨

الفصل الثاني: العوامل المؤثره في واقع الساحه العراقيه، (داخلياً وخارجياً) ... ٨٥

توطئه ... ٨٧

١. السلطه المركزيه ومواجهه ثقافه العامه ... ٨٨

أ. صراع مراكز القوى داخل السلطه المركزيه ... ٨٨

ب. مواجهه الواقع الثقافى للأمة ... ٩١

أولاً: الاصطدام بالمسلمين عموماً، وبالمسلمين الشيعة على الخصوص ... ٩٣

ثانياً: الاصطدام بالقوميات غير التركيّه عموماً، وبالقوميه العربيه على الخصوص ... ١٠٢

ثالثاً: الاصطدام بالاقليات الأخرى ... ١٠٨

٢. النفوذ الأجنبي، بدايه الاختراق المباشر ... ١١٣

أ. البعد الدولى - سبل التغلغل الأوروبى - الإنكليزى ... ١١٣

ب. البعد الإقليمى ... ١٢٠

٣. الواقع الثقافى والأبعاد التاريخيه للعراقيين ... ١٢٥

الوحده الإسلاميه، محور التحرك الواعى ... ١٢٧

ظهور أسر الأشراف ... ١٣٠

الدور السياسى والأمنى للمؤسسات الدينيه والاجتماعيه ... ١٣٥

تمايز المسلمين الشيعة عن المسلمين السنه ... ١٣٨

مناطق تواجدهم ... ١٣٩

الأسس العقديّه والمرتكزات الفكرية - السياسيه لدى الشيعة ... ١٤٠

أئمه أهل البيت خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ... ١٤١

الامتداد الشرعى المتواصل لقياده الإمام ... ١٤٣

وجوب تقليد المرجع الحى ... ١٤٤

أولاً: مسأله التزامهم بالتقيّه فى حياتهم ... ١٤٩

ثانياً: مسأله إحياء عاشوراء، ذكرى مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ... ١٥٠

الأكراد والتركمان والأقليات الأخرى فى العراق ... ١٥٣

نظره عامه إلى انطلاقه الحركة السياسيه للأكراد و تطوراتها ... ١٥٥

ما بين الشيعة والأكراد ... ١٥٨

المسلمون التركمان ... ١٦٣

أصل التسميه ... ١٦٤

ص: ٩٤٧

الأصالة الإسلامية والدور الوطني الحديث للتركمان ... ١٥٦

الشيعة التركمان، ظلامه مزدوجه ... ١٦٧

الفصل الثالث: نمو الوعي الإسلامي في العراق ١٩٠٨-١٧٣ ... ١٩١٤

١. بروز أطروحة الإسلاميين الإصلاحية ... ١٧٥

سيادة الحركة الإصلاحية في الساحة الإسلامية ... ١٦٧

المدرسة التجديديه للإمام الميرزا حسن الشيرازي، انطلاقه التحرك السياسي والجهادي ... ١٩٠

التجديد والإصلاح في الساحة العراقية ... ١٩٩

أهم أفكار وخطوات المدرسة الإصلاحية-التجديديه - ... ٢٠٨

تقويم الأطروحة الإصلاحية ... ٢١٨

٢. تبلور الوعي الإسلامي و انتشاره في مظاهر حركيه - سياسيه ... ٢٢٤

أثر حركتي الدستور، الإيرانيه و التركيه ... ٢٢٦

نشأه الجمعيات و الأندية ... ٢٣٨

١ - جمعیه الاتحاد و الترقی ... ٢٣٩

٢- الحزب الحر المعتدل ... ٢٣٩

٣- حزب الحریه و الائتلاف ... ٢٤١

٤- جمعیه الإخاء العربی ... ٢٤٢

٥- المنتدی الأدبی ... ٢٤٢

٦- الجمعیات القحطانیه ... ٢٤٢

٧- جمعیه العهد ... ٢٤٢

٨- جمعیه اللامركزیه الإداریه العثمانیه ... ٢٤٥

٩- جمعیه العربیه الفتاه ... ٢٤٦

١٠- الجمعیه الإصلاحيه فى البصره ... ٢٤٧

١١- النادى الوطنى العلمى فى بغداد ... ٢٤٨

تقویم الجمعیات و النوادی ... ٢٤٩

المرجعيه الدينيه الشيعيه، مواقف مبدئيه ... ٢٥٤

ص: ٩٤٨

العراقيون في مواجهه الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢٠ صراع من أجل الحريه

الفصل الأول: حركة الجهاد الإسلامى ضد الغزو البريطانى ١٩١٤-٢٦٥ ... ١٩١٧

موقف الإسلاميين من عموم الاعتداءات الأجنبيه ... ٢٦٧

العوامل الخارجيه و الداخليه لحركه الجهاد الإسلامى ... ٢٧٠

علماء المسلمين الشيعه يقودون حركه الجهاد ... ٢٧٥

وقفه مع أحداث حركه الجهاد الإسلامى ... ٢٨٤

النهايه البطوليه لحركه الجهاد ... ٢٨٨

المسئوليه الجديده للإسلاميين ... ٢٩١

من نتائج العمليه الجهاديه ... ٢٩٤

التطورات المحليه معالجات محدوده ... ٢٩٥

مبدئيه علماء الشيعه ضمانه الوحده الإسلاميه ... ٢٩٩

بدايات الغليان الثورى ... ٣٠٢

علماء المسلمين الشيعه ينقذون الموقف ... ٣١٠

تقويم حركه الجهاد الإسلامى ... ٣١٦

الفصل الثانى: التصدى السياسى للمرجعيه الدينيه الشيعيه، وظهور الجمعيات والأحزاب السياسيه المعارضه ١٩١٧-٣٢٧ ... ١٩٢٠

السياسيون ومسئوليات المرحله ... ٣٢٩

أثر إعلان الانتداب، وشعارات الوعود ... ٣٣١

ثوره النجف، أسبابها و وقائعها ... ٣٣٧

(جمعيه النهضه الإسلاميه) و التطورات الحركيه فى النجف الأشرف ... ٣٤١

حديث التقويم ... ٣٥٥

(الجمعيه الإسلاميه) وتطورات الحركه الإسلاميه فى كربلاء المقدسه ... ٣٦١

الاستفتاء الشعبى العام ... ٣٦٩

البدايه الصعبه، ومسلسل الصدمات الشديده ... ٣٧٣

التصدى السياسى للمرجعيه الدينيه الشيعيه ... ٣٨٤

(حرس الاستقلال) والتطورات الحركيه فى بغداد و الكاظميه ... ٣٩٠

جمعيه الشبيبه الجعفريه ... ٣٩٣

الجمعيه الإسلاميه فى الكاظميه المقدسه ... ٣٩٣

الفصل الثالث: الثوره العراقيه الشامله عام ٣٩٥ ... ١٩٢٠

ثوره العشرين، الثوره العراقيه الشامله ... ٣٩٧

أسباب الثوره و أهدافها ... ٤٠١

العوامل الخارجيه ... ٤٠٦

العوامل الداخليه ... ٤١١

القياده الإسلاميه وخطتها فى الإعداد الثورى ... ٤١٩

الإمام الشيخ الحائرى الشيرازى فى موقع قياده الثوره ... ٤٢٨

تبلور المعارضه المدنيه ... ٤٣٩

الأخرس الكربلائى، شهيد الوطن ... ٤٥٠

تصعيد المواجهه السياسيه ... ٤٥٢

اعتقال نجل الإمام الحائرى - قائد الثوره - ... ٤٥٨

إعلان الثوره ... ٤٦٢

خلاصه أحداث الثورة - الشراره الأولى من الرميثة- ... ٤٦٦

الحكومة الإسلامية الوطنية في كربلاء عاصمه الثورة ... ٤٧٥

حكومة كربلاء ترفع العلم الوطني - لأول مره في العراق- ... ٤٨٦

الشيخ فخرى كموته رجل المرحله ... ٤٩٣

ص: ٩٥٠

الشيخ ضارى المحمود بطل الكرامه الوطنيه ... ٥٠٠

الإمام الشيخ الاصفهاني إلى قياده الثوره ... ٥٠٦

أبرز نتائج الثوره ... ٥١٠

الباب الثالث

العراقيون فى مواجهه مشاريع السيطره البريطانيه

تطور الصراع من أجل الاستقلال ١٩٢١-١٩٣٢

الفصل الأول: المعارضه الإسلاميه الوطنيه فى مواجهه الانتداب البريطانى، والحكومہ المؤقتہ، وتنصيب فيصل ملكاً على العراق

٥٢١ ...

نظره تمهيديه ... ٥٢٣

السياسه البريطانيه ومحاولة احتواء الثوره ... ٥٢٨

الإمام شيخ الشريعه وقرار استمرار الثوره ... ٥٣٣

الإنكليز، وتغيير الأسلوب الإدارى ... ٥٣٨

الإسلاميون فى المعترك السياسى ... ٥٤٤

أ. معارضه فكره الانتداب ... ٥٤٤

معاداه الإسلاميين ... ٥٥٠

إعلان الانتداب ... ٥٥٤

ب. الحكومه المؤقته ... ٥٦٠

موقف الإسلاميين من الحكومه المؤقته ... ٥٦٧

ج. تنصيب فيصل ملكاً على العراق ... ٥٧٠

لماذا فيصل المرشح الأوحده؟ ... ٥٧٩

فصل ملك العراق رسمياً ... ٥٨٧

ص: ٩٥١

الخطوات الإداريه للمندوب السامى ... ٥٩١

موقف المعارضه الإسلاميه من تنصيب فيصل ... ٥٩٩

مؤتمر كربلاء المِفْصل التاريخى الهام ... ٦٠٩

مؤتمر كربلاء، وحده الموقف الوطنى ... ٦١٤

البيان الختامى للمؤتمر ... ٦٢٠

مؤتمر كربلاء فى الميزان السياسى ... ٦٢٤

الفصل الثانى: المعارضه الإسلاميه الوطنيه فى مواجهه المعاهده البريطانيه- العراقيه وانتخابات المجلس التأسيسى عام ١٩٢٤م ...

٦٢٩

أ. معارضه المعاهده البريطانيه - العراقيه ... ٦٣١

سلطه الاحتلال وسياسه الخطوه - خطوه ... ٦٣١

تقاسم الأدوار، بين الشده واللين ... ٦٣٣

المعارضه الإسلاميه والتصدى السياسى ... ٦٣٧

المعارضه الإسلاميه ومطالبه الحقوق بالطرق السلميه ... ٦٤٤

الحكومته واتباع منهج السياسيه الغربيه ... ٦٤٦

سياسه القمع والإرهاب ضد الإسلاميين ... ٦٥٠

ب - معارضه انتخابات المجلس التأسيسى ... ٦٥٨

موقف المعارضه الإسلاميه من الانتخابات ... ٦٦٠

السعدون رجل المهمات البريطانيه الصعبه ... ٦٦٥

المعارضون والسلطه - التحدى المتبادل ... ٦٧١

الإسلاميون يخوضون معركه مكشوفه ... ٦٧٥

١- تشديد الموقف الإسلامى ... ٦٧٥

٢- اعتقال ونفى العلماء المراجع - رأس التحرك الإسلامى و رموزه- ...٦٧٩

الإمام الخالصى فى مدينه قم - مشروع فردى ... ٦٩١

الإسلاميون يواصلون نشاطاتهم ضد إجراء الانتخابات ... ٦٩٩

محاولات الإسلاميين فى عرقلة تصديق المعاهده ... ٧٠٨

ص: ٩٥٢

الفصل الثالث: الإسلاميون في المعترك الثقافي و الحركي، منذ منتصف العشرينيات حتى الاستقلال الرسمي عام ١٩٣٢م (دخول العراق عصبه الأمم) ... ٧٢١

حصيله التجربه الجهاديه والصراع السياسى ... ٧٢٣

التوجه الثقافى، خيار العلماء الإسلاميين ... ٧٢٨

الإنكليز يفتحون جبهه المعركه الثقافيه ... ٤٣٣

تطوير مراكز الثقافه الإسلاميه ... ٧٤٢

المعارضه الإسلاميه تسعى وراء الأحداث ... ٧٤٨

١. تطور الأوضاع السياسيه و إداريات الحكم ... ٧٥٠

٢. الإنكليز والبحث عن الرجل الأنسب للمرحله ... ٧٥٧

٣. نورى السعيد إلى رئاسه الحكومه ... ٧٦٧

الإسلاميون ومراجعه الحسابات ... ٧٧٠

الإنكليز وإتباع أسلوب الهجوم فى عمليات الغز و الثقافى ... ٧٧٣

الإنكليز ونشر الثقافه الهدّامه ... ٧٧٨

الإسلاميون ومحاولات الخروج من المأزق السياسى ... ٧٨٨

دخول العراق عصبه الأمم - بدايه عهد الاستقلال الرسمي ... ٧٩٦

الخاتمه و الاستنتاجات و الملاحق ... ٨٠٣

الخاتمه و الاستنتاجات ... ٨٠٥

الملاحق ... ٨٣٧

الملحق رقم (١)

جواب الإمام الشيخ كاظم الخراسانى على استفتاء العلماء من دعاه الدستور فى إيران ... ٨٤١

ملحق رقم (٢)

فتوى المرجعية الدينية فى النجف الأشرف بإعلان الجهاد ضد الغزو الإيطالى لطرابلس الغرب سنه ١٩١١م ... ٨٤٢

ص: ٩٥٣

ملحق رقم (٣)

برقيه المرجع الأعلى السيد محمد كاظم الطباطبائي (اليزدي) ... ٨٤٤

ملحق رقم (٤)

برقيه عدد من المجتهدين في النجف إلى الشيخ خزعل أمير المحمره يدعونه إلى الجهاد ... ٨٤٥

ملحق رقم (٥)

المرجع الأعلى السيد اليزدي يؤكد وجوب الجهاد في جوابه على رساله الشيخ شعلان العطيه، إلى المؤمنين من أهالي عفك في

١ ذى الحجه ١٣٣٣هـ-، ١٩١٥م ... ٨٤٦

ملحق رقم (٦)

نداء المرجع الأعلى السيد اليزدي إلى أهالي الشطره، بوجوب الجهاد ... ٨٤٧

ملحق رقم (٧)

بلاغ (الجنرال) مود القائد العام للقوات البريطانيه إلى سكان ولايه بغداد ... ٨٤٧

ملحق رقم (٨)

التصريح الإنجليزى - الفرنسى في ٨ تشرين الثانى ٨٤٩ ... ١٩١٨

ملحق رقم (٩)

رساله إداره الحاكم الملكى العام فى العراق إلى الإمام الشيخ محمد تقى الحائرى الشيرازى فى ٥ أيار ٨٥٠ ... ١٩١٩

ملحق رقم (١٠)

جواب (السير ولسن) قائممقام الحاكم الملكى العام فى العراق على رساله الإمام الشيرازى المهدهه بالهجره من كربلاء ... ٨٥٢

ملحق رقم (١١)

الرساله الجوابيه التى بعثها الشريف حسين إلى الإمام الشيرازى رداً على الرساله التى كان قد بعثها فى صيف ١٩١٩ مع الشيخ

رضا الشيببى ... ٨٥٤

ملحق رقم (١٢)

رساله الشيخ محمد، نجل الإمام الشيرازى إلى ولي عهد المملكة الحجازيه الأمير على بن الحسين. أرسلت فى صيف ٨٥٥...

١٩١٩

ملحق رقم (١٣)

رساله الشيخ الشيرازى وشيخ الشريعة إلى الرئيس الأمريكى ولسن، بمناسبة انعقاد مؤتمر باريس،

ص: ٩٥٤

يطلبان فيها مساندته في دعم العراقيين بإقامه دوله عرييه مستقله إسلاميه يرأسها ملك مسلم مقيد بمجلس وطني ... ٨٥٧

ملحق رقم (١٤)

رساله الإمام الشيرازى إلى الأمير فيصل بن الحسين إلى حضره صاحب السمو فيصل نجل ملك العرب خُلدملكه ... ٨٥٨

ملحق رقم (١٥)

رساله الإمام الشيرازى للشيخ أحمد الشيخ داود ... ٨٥٩

ملحق رقم (١٦)

رساله الإمام الشيرازى إلى جعفر أبو التمن ... ٨٦٠

ملحق رقم (١٧)

نداء الإمام الشيرازى إلى جميع العراقيين ... ٨٦١

ملحق رقم (١٨)

كتاب الإمام الشيرازى إلى الحاكم السياسى فى الحله ... ٨٦٢

ملحق رقم (١٩)

رساله الإمام شيخ الشريعه الاصفهانى إلى الحاكم الملكى العام فى العراق بتاريخ ٨ شوال ١٣٣٨هـ، ٢٥ حزيران ١٩٢٠م ... ٨٦٣

ملحق رقم (٢٠)

جواب الحاكم الملكى العام فى ١٦ شوال ١٣٣٨هـ- الموافق ٢ تموز ١٩٢٠م ... ٨٦٤

ملحق رقم (٢١)

ردّ الإمام شيخ الشريعه على جواب الحاكم الملكى العام فى ٢١ شوال ١٣٣٨هـ، ٨ تموز ١٩٢٠م ... ٨٦٤

ملحق رقم (٢٢)

رساله الإمام شيخ الشريعه إلى المؤمنين ورؤساء العشائر، لممارسه الطرق السلميه للمطالبه بالحقوق المشروعه ... ٨٦٨

ملحق رقم (٢٣)

رساله الحاكم الملكي العام للإمام شيخ الشريعة الاصفهاني، ألقته الطائرات البريطانيه على كربلاء يوم ١٩ ذى الحجه ١٣٣٨هـ-

٢٦ آب ١٩٢٠م ... ٨٦٩

ص: ٩٥٥

ملحق رقم (٢٤)

جواب المرجع الأعلى الإمام شيخ الشريعة على رساله الحاكم الملكى العام ببغداد ... ٨٧٢

ملحق رقم (٢٥)

لائحه الانتداب البريطانى على العراق ... ٨٧٤

ملحق رقم (٢٦)

رساله الشيخ عبد الكريم الجزائرى، أحد علماء النجف، إلى الشيخ خزعل يطالبه فيها ترشيح نفسه ملكاً على العراق ... ٨٧٩

ملحق رقم (٢٧)

تعليمات الإدارة البريطانيه التى وجهت إلى مجلس الدوله ... ٨٨٠

ملحق رقم (٢٨)

نص منهاج سفر الوفود إلى مؤتمر كربلاء المنعقد بين ١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠هـ، ٨-١٣ نيسان ١٩٢٢م ... ٨٨٤

ملحق رقم (٢٩)

البيان الختامى الصادر عن مؤتمر كربلاء المنعقد بين ١٠-١٥ شعبان ١٣٤٠هـ - (٨-١٣ نيسان ١٩٢٢) بمناسبة اعتداءات الوهابيين

على العراق ... ٨٨٧

ملحق رقم (٣٠)

نموذج عن الفتاوى التى أصدرها العلماء لمقاطعه المجلس التأسيسى ... ٨٨٨

ملحق رقم (٣١)

المعاهده الإنجليزيه -العراقيه المنعقده فى ١٠ تشرين الأول ١٩٢٢م ... ٨٨٩

ملحق رقم (٣٢)

لائحه إحلال المعاهده العراقيه - البريطانىه وملاحقها لعام ١٩٢٢ محل الانتداب البريطانى، مرسله من الحكومه البريطانىه إلى

عصبة الأمم ... ٨٩٣

ملحق رقم (٣٣)

ملحق المعاهده الإنجليزيه العراقيه لسنة ١٩٢٢ بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٣ ... ١٩٢٣

ملحق رقم (٣٤)

المعاهده الإنجليزيه - العراقيه المنعقده في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ م ... ١٩٢٦

ص: ٩٥٦

ملحق رقم (٣٥)

المعاهده الإنجليزيه - العراقيه المنعقده فى ٣٠ حزيران ١٩١٨ ... ١٩٣٠

ملحق رقم (٣٦)

ملحق المعاهده الإنجليزيه - العراقيه لسنة ١٩٣٠ م ... ٩٠١

ملحق رقم (٣٧)

الاتفاقيه الإنجليزيه - العراقيه حول المسائل الماليه، المنعقده فى ١٩ آب ١٩٣٠ م ... ٩٠٤

ملحق رقم (٣٨)

الحكام العسكريون والمدنيون الإنجليز فى العراق ... ٩٠٨

ملحق رقم (٣٩)

الوزارات العراقيه بأسماء الرؤساء وفترة حكمهم فى المملكه العراقيه، بعهد الملك فيصل الأول (١٩٢١-١٩٣٣ م) ... ٩٠٩

ملحق رقم (٤٠)

نص رساله الإمام السيد أبو الحسن الاصفهاني إلى أهالى البصره - لتوحيد الكلمه - إثر سؤال بعض البصريين حول بعض

المسائل الاعتقاديه المهمه ... ٩١١

ملحق رقم (٤١)

الرساله الجوابيه لسماحه آيه الله السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثوره الإسلاميه فى العراق ... ٩١٣

المصادر والمراجع ... ٣

ثانياً: أ - الرسائل الجامعيه ... ٩١٧

ب - الكتب العربيه، والمترجمه إلى العربيه ... ٩٢٠

ج - المقالات الفكرية المنشوره فى الكتب والصحف و الدوريات العربيه ... ٩٣٩

د - أرشيف الجرائد و المجلات العراقيه ... ٩٤١

هـ - المراسلات و المقابلات الشخصيه ... ٩٤٢

و- الوثائق ... ٩٤٢

ز - الكتب الأجنبيه ... ٩٤٣

المحتويات ... ٩٤٥

ص: ٩٥٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

